يونس ١ هود ٢ يوسف ٣ رعد ٤ ابراهيم ٥ حجر ٦ نحل ٧

سبحان ١١ سورة الانبياء ١٢ طه ١٣ مريم ١٠ سورة الكهف ٩ اسرا ٨

سورة النمل ١٨ سورة الشعرا ١٧ سورة الفرقان ١٦ سورة النور ١٥ سورة المؤمنون ١٤

سورة القصص ١٩ آدل خر سورة العنكبوت الى قوله تعالى بالتى هى احسن الآية ٢٠

ماب الطبع شارح الكتاب في ثالث عشر
شعبان من سنة ثلث واربعين وسبعمائة
٧٤٣

ماب الامام احمد بن الحسن الجارربردي
شارح الكتاب في رمضان سنة
٧٤٦

111

MİLLET GENEL KÜTÜPHANESİ
KISIM : V. Carullah
ESKİ KAYIT No. 131
YENİ KAYIT No.
TASNİF No.

قال الحرايد صلاح البيت والاما هلاكه تفسير قاضي قوله عم ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر قاضي
وقال عم ما اجتمع الحلال والحرام الا غلب الحرام قاضي وقال عم لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها قاضي

طبقة التابعين

قال ابن تيمية اعلم الناس بالتفسير اهل مكة لانهم اصحاب ابن عباس رض كمجاهد وعطاء ابن
ابي رباح وعكرمة مولى ابن عباس وسعيد ابن جبير وطاوس وغيرهم وكذلك
في الكوفة اصحاب ابن مسعود رض وعلماء اهل المدينة في التفسير مثل زيد ابن اسلم الذي
اخذ عنه ابنه عبد الرحمن بن زيد ومالك بن انس انتهى فمن المبرزين منهم مجاهد قال
الفضل ابن ميمون سمعت مجاهدا يقول عرضت القرآن على ابن عباس ثلثين مرة وعنه
ايضا قال عرضت المصحف على ابن عباس ثلث عرضات اقفه عند كل اية منه واساله
عنها فيم نزلت وكيف كانت وقال خصيف كان اعلمهم بالتفسير مجاهد وقال الثوري
اذا جائك التفسير عن مجاهد فحسبك به قال ابن تيمية ولهذا يعتمد على تفسيره الشافعي
والبخاري وغيرهما من اهل العلم قلت وغالب ما اورده الفريابي في تفسيره عنه وما اورده
فيه عن ابن عباس او غيره قليل جدا ومنهم سعيد بن جبير قال سفيان الثوري عن اربعة
عن سعيد ابن جبير ومجاهد وعكرمة والضحاك وقال قتادة كان اعلم التابعين اربعة
كان عطاء بن ابي رباح اعلمهم بالمناسك وكان سعيد بن جبير اعلمهم بالتفسير وكان
عكرمة اعلمهم بالسير وكان الحسن اعلمهم بالحلال والحرام ومنهم عكرمة مولى ابن عباس رض
وقال الشعبي ما بقي احد اعلم بكتاب الله من عكرمة وقال سماك بن حرب سمعت
عكرمة يقول لقد فسرت ما بين اللوحين وقال عكرمة كان ابن عباس يجعل في رجلي
الكبل ويعلمني القرآن والسنن واخرج ابن ابي حاتم عن سماك قال قال عكرمة كل شيء
احدثكم في القرآن فهو عن ابن عباس رض ومنهم الحسن البصري وعطاء بن ابي رباح
وعطاء بن ابي سلمة الخرساني ومحمد بن كعب القرظي وابو العالية والضحاك بن مزاحم
وعطية العوفي وقتادة وزيد بن اسلم ومرة الهمداني وابو مالك ويليهم الربيع
بن انس وعبد الرحمن بن زيد بن اسلم في آخرين فهولاء قدماء المفسرين وغالب اقوالهم
تلقوها من الصحابة رض ثم بعد هذه الطبقة الفت تفاسير تجمع اقوال الصحابة رض

الكبل القيد الضخم صحاح

الضخم الغليظ من كل شيء صحاح جوهري

والتابعين كتفسير سفيان بن عيينة ووكيع بن الجراح وشعبة بن الحجاج ويزيد بن هارون
وعبد الرزاق وآدم بن ابي اياس واسحاق بن راهويه وروح بن عبادة وعبد بن حميد
وسنيد وابي بكر بن ابي شيبة وآخرين وبعدهم ابن جرير الطبري وكتابه اجل التفاسير
واعظمها ثم ابن ابي حاتم وابن ماجة والحاكم وابن مردويه وابو الشيخ بن حيان وابن المنذر
في آخرين وكلها مسندة الي الصحابة والتابعين واتباعهم رضي الله تعالى عنهم وليس
فيها غير ذلك الا ابن جرير فانه يتعرض لتوجيه الاقوال وترجيح بعضها على بعض
والاعراب والاستنباط فهو يفوقها بذلك ثم القوا في التفسير خلائق فاختصروا
الاسانيد ونقلوا الاقوال بتراً فدخل من هنا الدخيل والتبس الصحيح بالعليل
ثم صار كل من يسنح له قول يورده ومن يخطر بباله شيء يعتمده ثم ينقل ذلك عنه
من يجيء بعده ظانا ان له اصلا غير ملتفت الى تحرير ما ورد عن السلف الصالح ومن
يرجع اليهم في التفسير حتى رأيت من حكى في تفسير قوله تعالى غير المغضوب عليهم ولا الضالين
نحو عشرة اقوال وتفسيرها باليهود والنصاري هو الوارد عن النبي صلعم وجميع الصحابة
والتابعين واتباعهم حتى قال ابن ابي حاتم لا اعلم في ذلك اختلافا بين المفسرين ثم
صنف بعد ذلك قوم برعوا في علوم فكان كل منهم يقتصر في تفسيره على الفن الذي يغلب عليه
فالنحوي تراه ليس له هم الا في الاعراب وتكثير الاوجه المحتملة فيه ونقل قواعد النحو
ومسائله وفروعه وخلافياته كالزجاج والواحدي في البسيط وابي حيان في
البحر والفخر والاخباري ليس له شغل الا القصص واستيفائها والاخبار عن
سلف سواء كانت صحيحة او باطلة كالثعلبي والفقيه يسرد فيه الفقه من باب الطهارة
الى امهات الاولاد وربما استطرد الى اقامة ادلة الفروع الفقهية التي لا تعلق
لها بالآية اصلا والجواب عن ادلة المخالفين كالقرطبي وصاحب العلوم العقلية خصوصا
الامام فخر الدين قد ملاء تفسيره باقوال الحكماء والفلاسفة وشبههما وخرج من
شيء الى شيء حتى يقضي الناظر العجب من عدم مطابقة المورد للآية قال ابو حيان في البحر
جمع الامام الرازي في تفسيره اشياء كثيرة طويلة لا حاجة بها في علم التفسير ولذلك
قال بعض العلماء فيه كل شيء الا التفسير والمبتدع ليس له قصد الا تحريف
الآيات وتسويتها على مذهبه بحيث انه متى لاح له شاردة من بعيدة اقتنصها
او وجد موضعا له فيه ادنى مجال سارع اليه قال البلقيني استخرجت من الكشاف

التقنص بالتسكين مصيد تقنص اي صاد وفي اصطياد اقتنص اصطاد

شاردة بعير شرد شرودا نفر فهو شارد

من الطوابع الخاصة على ابي عبد الله ولي الدين جار الله عمله

حسبي ربي

اعتزالا بالمنافقين من قوله في تفسير فمن زحزح الخ عن النار وادخل الجنة فقد فاز
واي فوز اعظم من دخول الجنة اشار به الى عدم الرؤية والملحد فلا تسائل عن كفره
والحاده في آيات الله تعالى وافترائه على الله ما لم يقله كقول ابن عربي في ان حي الا
فتنتك ما على العباد اضر من ربهم وقوله في شجرة موسى ما قال وقول الرافضة
في يأمركم ان تذبحوا بقرة ما قالوا وعلى هذا وامثاله يحمل على ما اخرجه ابو يعلى وغيره
عن حذيفة رض ان النبي صلعم قال ان في امتي قوما يقرؤن القرآن ينثرونه نثر الدقل
يتأولونه على غير تأويله فان قلت فاي التفاسير ترشد اليه وتأمر الناظرين ان
يعولوا عليه قلت تفسير الامام ابي جعفر بن جرير الطبري رحمه الذي اجمع العلماء
المعتبرون على انه لم يؤلف في التفسير مثله قال النووي رحمه في تهذيبه كتاب
ابن جرير في التفسير لم يصنف احد مثله وقد شرعت في تفسير جامع لجميع ما يحتاج
اليه من التفاسير المنقولة والاقوال المقولة والاستنباطات والاشارات
والاعاريب واللغات ونكت البلاغة ومحاسن البديع وغير ذلك بحيث لا
تحتاج معه الى غيره اصلا وسميته بمجمع البحرين ومطلع البدرين وهو الذي جعلت
هذا الكتاب مقدمة له والله سبحانه وتعالى اسئل ان يعين على اكماله بمحمد وآله

من كتاب الاتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي رحمه

وهو كتاب الاتقان في علوم القرآن

من من الله واحسانه الى عبده الحقير الى غفرانه محمد بن علي الشهير صفائي زاده كتب الله تعالى له بحسن وزياده بحرمة قل نبيه النبيه

تم شرف بملكه محمد اسعد الحسيني مدرس سابق حوطه عفي عنه

وقف في نوبة العبد الفقير الراجي عفو ربه الغني ابو الضياء الشهير بفرزي زاده الواعظ في جامع المرحوم السلطان احمد خان الاول طاب ثراه

١٤١

بسم الله الرحمن الرحيم و به نستعين الم تعديد للحروف
على طريق التحدى و تلك آيات الكتاب اشارة الى ما تضمنت السورة من الآيات والكتاب
السورة الحكيم ذو الحكمة لاشتماله عليها و نطقه بها او وصف بصفة محدثه
قال الاعشى وغريبة تاتي الملوك حكيمة قد قلتها ليعان من ذاقاها
الهمزة لانكار التعجب و التعجيب منه وان اوحينا اسم كان وعجبا خبره وقرا ابن مسعود
عجب فجعله اسما وهو نكرة وان اوحينا خبرا وهو معرفة كقوله يكون مزاجها
عسل وماء والاجود ان تكون كان تامة وان اوحينا بدلا من عجب فان قلت
فما معنى اللام فى قوله اكان للناس عجبا وما الفرق بينه وبين قولك اوكان عند
عند الناس عجبا قلت معناه انهم جعلوه لهم اعجوبة يتعجبون منها و نصبوه علما
لهم يوجهون نحوه استهزاءهم و انكارهم وليس فى عند الناس هذا المعنى والذي تعجبوا
منه ان يوحى الى بشر وان يكون رجلا من افناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم
فقد كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابي طالب
وان يذكر لهم البعث و ينذرهم بالنار و يبشر بالجنة وكل واحد من هذه الامور
ليس بعجب لان الرسل المبعوثين الى الامم لم يكونوا الا بشرا امثالهم وقال الله قل
لو كان فى الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا وارسال
الفقير او اليتيم ليس بعجب ايضا لان الله انما يختار من استحق الاختيار لجمعه
اسباب الاستقلال بما اختير له من النبوة والغنى والتقدم فى الدنيا ليس من تلك
الاسباب فى شئ وما اموالكم ولا اولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى والبعث
للجزاء على الخير والشر وهو الحكمة العظمى فكيف يكون عجبا انى العجب العجيب
والمنكر فى العقول تعطيل الجزاء ان انذر الناس ان هى المفسرة لان الايحاء
فيه معنى القول ويجوز ان تكون المخففة من الثقيلة واصله انه انذر الناس

على معنى ان الشان قولنا انذر الناس وان لهم الباء معه محذوف قدم صدق عند ربهم
اى سابقة وفضلا ومنزلة رفيعة فان قلت لم سميت السابقة قدما قلت لما كان السعى
والسبق بالقدم سميت المساعاة الجميلة والسابقة قدما كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد
وباعا لان صاحبها يبوع بها فعيل لفلان قدم فى الخير واضافته الى صدق دلالة على زيادة
فضل وانه من السوابق العظيمة وقيل مقام صدق ان هذا الكتاب وما جاء به محمد
لسحر ومن قرا لساحر فهذا اشارة الى الرسول انه صلى الله عليه وسلم وهو دليل عجزهم واعترافهم
به وان كانوا كاذبين فى تسميته سحرا وفى قراءة ابى ما هذا الا سحر يدبر بقضى ويقدر
على حسب مقتضى الحكمة ويفعل ما يفعل المتحرى للصواب الناظر فى ادبار الامور وعواقبها
ليلا يلقاه ما يكرهه آخرا والامر امر الخلق كلهم وامر ملكوت السموات والارض والعرش
فان قلت ما موقع هذه الجملة قلت قد دل بالجملة قبلها على عظمة شانه وملكه لخلق
السموات والارض مع بسطتها واتساعها فى وقت يسير وباستوائه على العرش واتبعها هذه
الجملة لزيادة الدلالة على العظمة وانه لا يخرج امر من الامور من قضائه وتقديره وكذلك قوله
من شفيع الا من بعد اذنه دليل على العزة والكبرياء كقوله يوم يقوم الروح والملئكة صفا
لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وذلكم اشارة الى المعلوم بتلك العظمة اى ذلك العظيم الموصوف
بما وصف به هو ربكم وهو الذى يستحق منكم العبادة فاعبدوه وحده ولا تشركوا به
بعض خلقه من ملك او انسان فضلا عن جماد لا يضر ولا ينفع افلا تذكرون فان ادنى
التفكر والنظر ينبهكم على الخطاء فيما انتم عليه اليه مرجعكم جميعا اى لا ترجعون
فى العاقبة الا اليه فاستعدوا للقائه وعد الله مصدر مؤكد لقوله مرجعكم وحقا مصدر
مؤكد لقوله وعد الله انه يبدأ الخلق ثم يعيده استيناف معناه التعليل لوجوب
المرجع اليه وهو ان الغرض ومقتضى الحكمة بابتداء الخلق واعادته هو جزاء المكلفين
على اعمالهم وقرئ انه يبدأ الخلق بمعنى لانه او هو منصوب بالفعل الذي نصب وعد الله
اى وعد الله وعدا على لفظ الفعل ويبدئ من ابدأ ويجوز ان يكون مرفوعا بما نصب
اى حقا حقا بدء الخلق كقوله أحقا عباد الله ان لست جازيا

ولا ذاهبا الا على رقيب وقرئ حق انه يبدأ الخلق كقولك حق ان زيدا منطلق
بالقسط بالعدل وهو متعلق بيجزي والمعنى ليجزيهم بقسطه ويوفيهم اجورهم او بقسطهم وبما
اقسطوا وعدلوا ولم يظلموا حين آمنوا وعملوا صالحا لان الشرك ظلم قال الله تعالى ان
الشرك لظلم عظيم والعصاة ظلام انفسهم وهذا اوجه لمقابلة قوله بما كانوا يكفرون
الياء في ضياء منقلبة عن واو ضوء لكسرة ما قبلها وقرئ ضئاء بهمزتين بينهما الف
على القلب بتقديم اللام على العين كما قيل في عاق عقا والضياء اقوى من النور وقدره
وقدر القمر والمعنى وقدر مسيره منازل او قدره ذا منازل كقوله والقمر قدرناه منازل
والحساب وحساب الاوقات من الاشهر والايام والليالي ذلك اشارة الى المذكور اي ما
خلقه الا ملتبسا بالحق الذي هو الحكمة البالغة ولم يخلقه عبثا وقرئ يفصل بالياء خص
المتقين لانهم يحذرون العاقبة فيدعوهم الحذر الى النظر والتدبر لا يرجون لقاءنا
لا يتوقعونه اصلا ولا يخطرونه ببالهم لغفلتهم المستولية عليهم المذهلة باللذات وحب العاجل
عن التفطن للحقايق او لا يأملون حسن لقائنا الذي يجب ان يخاف ورضوا بالحيوة
الدنيا من الآخرة وآثروا القليل الفاني على الكثير الباقي كقوله ارضيتم بالحيوة الدنيا
من الآخرة واطمأنوا بها اي وسكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها فبنوا شديدا واملوا
بعيدا يهديهم ربهم بايمانهم يسددهم بسبب ايمانهم للاستقامة على سلوك السبيل المؤدي
الى الثواب ولذلك جعل تجري من تحتها الانهار بيانا له وتفسيرا لان التمسك بسبب السعادة
كالوصول اليها ويجوز ان يريد يهديهم في الآخرة بنور ايمانهم الى طريق الجنة كقوله
يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم ومنه الحديث ان
المؤمن اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة حسنة فيقول له انا عملك فيكون
له نورا وقائدا الى الجنة والكافر اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة سيئة
فيقول له انا عملك فينطلق به حتى يدخله النار فان قلت فلقد دلت هذه الآية
على ان الايمان الذي يستحق العبد به الهداية والتوفيق والنور يوم القيمة هو ايمان
مقيد وهو الايمان المقرون بالعمل الصالح والايمان الذي لم يكن مقرونا بالعمل الصالح فصاحبه

كما يأمل السعداء او لا يخافون سوء لقائنا ٦ صح

لا توفيق

لا توفيق له ولا نور قلت الامر كذلك الا ترى كيف اوقع الصلة مجموعا فيها بين الايمان
والعمل كانه قال ان الذين جمعوا بين الايمان والعمل الصالح ثم قال بايمانهم اي بايمانهم هذا
المضموم اليه العمل الصالح وهو بين واضح لا شبهة فيه دعواهم لان اللهم نداء لله ومعناه اللهم انا
نسبحك كقول القانت في دعاء القنوت اللهم اياك نعبد ولك نصلي ونسجد ويجوز ان يراد بالدعاء
العبادة واعتزلكم وما تدعون من دون الله على معنى ان لا تكليف في الجنة ولا عبادة وما عبادتهم الا
ان يسبحوا الله ويحمدوه وذلك ليس بعبادة انما يلهمونه فينطقون به تلذذا بلا كلفة كقوله وما كان صلوتهم
عند البيت الا مكاء وتصدية وآخر دعواهم وخاتمة دعائهم الذي هو التسبيح ان يقولوا الحمد لله رب
العالمين ومعنى وتحيتهم فيها سلام ان بعضهم يحيي بعضا بالسلام وقيل هي تحية الملائكة اياهم اضافة
للمصدر الى المفعول وقيل تحية الله لهم وان هي المخففة من الثقيلة واصله انه الحمد لله على ان الضمير
للشان كقوله ان هالك كل من يحفى وينتعل وقرئ ان الحمد لله بالتشديد ونصب الحمد
اصله ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله لهم بالخير فوضع استعجالهم بالخير موضع تعجيله لهم
الخير اشعارا بسرعة اجابته لهم واسعافه بطلبتهم حتى كان استعجالهم بالخير تعجيل لهم والمراد اهل
مكة وقولهم فامطر علينا حجارة من السماء يعني ولو عجلنا لهم الشر الذي دعوا به كما نعجل لهم الخير
ونجيبهم اليه لقضي اليهم اجلهم لاميتوا واهلكوا وقرئ لقضى اليهم اجلهم على البناء للفاعل وهو الله
عز وجل وتنصره وقراءة عبد الله لقضينا اليهم اجلهم فان قلت فكيف اتصل به قوله فنذر الذين لا يرجون
لقاءنا في طغيانهم وما معناه قلت قوله ولو يعجل الله متضمن معنى نفي التعجيل كانه قيل ولا نعجل لهم
الشر ولا نقضي اليهم اجلهم فنذرهم في طغيانهم اي فنمهلهم ونفيض عليهم النعمة مع طغيانهم الزاما للحجة عليهم
لجنبه في موضع الحال بدليل عطف الحالين عليه اي دعانا مضطجعا او قاعدا او قائما فان قلت
ما فائدة ذكر هذه الاحوال قلت ان المضرور لا يزال داعيا لا يفتر عن الدعاء حتى يزول عنه الضر
فهو يدعونا في حالاته كلها كان منبطحا عاجزا النهض متخاذل النواء او كان قاعدا لا يقدر على القيام
او كان قائما لا يطيق المشي والمضطرب الى ان يخف كل الخفة ويرزق الصحة بكمالها والمسحة
بتمامها ويجوز ان يراد ان من المضرورين من هو اشد حالا وهو صاحب الفراش ومنهم من هو
اخف وهو القادر على القعود ومنهم المستطيع للقيام وكلهم لا يستغنون عن الدعاء واستدفاع البلاء

اصل في فتية كسنون الهند قد علموا

لان الانسان للجنس مرّ اى مضى على طريقته الاولى قبل مس الضرّ وفى حال الجهد او مرّ عن موقف الابتهال والتضرع لا يدعنا اليه كانه لم يدعنا اليه كان لم يدعنا كانه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشان قال كان لم تر يا وحقان كذلك مثل ذلك التزيين زين للمسرفين زين الشيطان بوسوسته او الله عز وجل لانه وتخليته ما كانوا يعملون من الاعراض عن الذكر واتباع الشهوات لما ظرف لاهلكنا والواو فى وجاءتهم للحال اى ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم رسلهم بالحج والشواهد على صدقهم وهى المعجزات وقوله وما كانوا ليؤمنوا يجوز ان يكون عطفا على ظلموا وان يكون اعتراضا واللام لتاكيد النفى يعنى وما كانوا يؤمنون حقا تاكيدا لنفى ايمانهم وان الله قد علم منهم انهم يصرّون على كفرهم وان الايمان مستبعد منهم والمعنى ان السبب فى اهلاكهم تكذيبهم الرسل وعلم الله انه لا فائدة فى امهالهم بعد ان الزموا الحجة ببعثة الرسل كذلك مثل ذلك الجزاء يعنى الاهلاك بكرى كل مجرم وهذ وعيد لاهل مكة على اجرامهم بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ يجزى بالياء ثم جعلناكم الخطاب للذين بعث اليهم محمد صلى الله عليه وسلم اى استخلفناكم فى الارض بعد القرون التى اهلكنا لننظر اتعملون خيرا او شرا امتحانا لكم على حسب علمكم وكيف فى محل النصب بتعملون لا بننظر لان معنى الاستفهام فيه يجب ان يتقدم عليه عامله فان قلت كيف جاز النظر على الله وفيه معنى المقابلة قلت هو مستعار للعلم المحقق الذي هو العلم بالشئ موجودا شبه بنظر الناظر وعيان المعاين فى تحققه عالمهم بما فى القرآن من ذم عبادة الاوثان والوعيد للمشركين فقالوا ائت بقرآن آخر ليس فيه ما يغيظنا من ذلك تستحك او بدله بان تجعل مكان آية عذاب آية رحمة وتسقط ذكر الالهة وذم عبادتها فامر بان يجيب عن التبديل لانه داخل تحت قدرة الانسان وهو ان يضع مكان آية عذاب آية رحمة مما انزل وان يسقط ذكر الالهة واما الاتيان بقرآن آخر فغير مقدور عليه للانسان ما يكون لى ينبغى لى وما يحل كقوله ما يكون لى ان اقول ليس لى بحق ان ابدله من تلقاء من قبل نفسى وقرئ بفتح التاء من غير ان يامرنى بذلك ربى ان اتبع الا ما يوحى الىّ لا آتى ولا آت شيئا من نحو ذلك الا متبعا لوحى الله وامره ان نسخت آية نبعت الناسخ وان بدلت آية مكان آية نبعت التبديل وليس الى تبديل ولا نسخ انى اخاف ان عصيت ربى بالتبديل والنسخ من عند نفسى عذاب يوم عظيم فان قلت اما ظهر وتبين لهم العجز عن الاتيان بمثل القرآن حتى قالوا ائت بقرآن غير هذا

قلت بلى ولكنهم كانوا لا يعترفون بالعجز وكانوا يقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا ويقولون افتراه على الله كذبا فينسبون الى الرسول ويدعونه قادرا عليه وعلى مثله مع علمهم بان العرب مع كثرة فصحائها وبلغائها اذا عجزوا عنه كان الواحد منهم اعجز فان قلت لعلهم ارادوا ائت بقرآن غير هذا او بدله من جهة العجم كما أتيت بالقرآن من جهتهم واراد بقوله ما يكون لى ما يتسهل لى وما يمكننى ان ابدله قلت يردّه قوله انى اخاف ان عصيت ربى فان قلت فما كان غرضهم وهم ادهى وانكد هم فى هذا الاقتراح قلت الكيد والمكر اتما اقتراح ابدال قرآن بقرآن فغيه انه من عندك وانك قادر على مثله فابدل مكانه آخر واما اقتراح التبديل والتغيير فلتلطخ والاجتباء بالحال وانه ان وجد منه تبديل فاريد ان يهلكه الله ويجوا منه او لا يهلكه فيسخر وا منه ويجعلوا التبديل حجة عليه وتصحيحا لافترائه على الله لوتا، الله ما تلوته عليكم يعنى ان تلاوته لبث الاربعين واحدانه امرا عجيبا خارجا عن العادات وهو ان يخرج رجل امى لم يتعلم ولم يسمع ولم يمارس العلماء ثم يأتى بكتاب معجز خارج من نمط كلام الناس ونظامهم وفيه علم الاولين والآخرين من اخبار الامم الماضية والقرون الخالية وشرائع الانبياء وسيرهم على وجه لا يقدر عليه احد من علماء اهل الكتاب الذين برعوا فى كل علم وفيهم فصحاء يهرون كل كلام فصيح ويعلون على كل منثور ومنظوم مشحونا بعلوم من علوم الاصول والفروع كان وما كان وما هو كائن واخبار تما يكون نا طقا بالغيوب التى لا يعلمها الا الله وقد لبث بين ظهرانيكم اربعين سنة تطلعون على احواله ولا يخفى عليكم شئ من اسراره وما سمعتم منه حرفا من ذلك ولا عرفه به احد من اقرب الناس منه والصقهم به ولا ادريكم ولا اعلمكم به على لساني وقرأ الحسن ولا ادراكم به على لغة من يقول اعطانيه وارضانيه فى معنى اعطيته وارضيته وتعضد قراءة ابن عباس ولا انذرتكم به ورواه الفراء ولا ادراكم به بالهمز وفيه وجهان احدهما ان يقلب الالف همزة كما قيل لبأت بالحج وراءات المبيت وخلأت السويق وذلك لان الالف والهمزة من واد واحد الا ترى ان الالف اذا استتها الحركة انقلبت همزة والثانى ان تكون من درأته اذا دفعته وادرأته اذا جعلته دارئا يا دار المعنى ولا جعلتكم بتلاوته خصما تدرؤنني بالجدال وتكذبونني عن ابن كثير ولا ادريكم به بلام الابتداء لاثبات الادراء ومعناه لوتا، الله ما تكونه انا عليكم ولا علمكم به على لساني غيري ولكنه عين على من يشاء من عباده فخصني بهذه الكرامة وراني لها اهلا دون سائر الناس فقد لبثت فيكم عمرا وقرئ عمرا بالسكون يعنى فقد

اقمت فيما بينكم يافعا وكهلا فلم يعرفني احد منكم متعاطيا شيئا من نحوه ولا قدرت
عليه ولا كنت متواصفا بعلم وبيان فتتمتموني باختراعه **افلا تعقلون** فتعلموا انه
ليس الا من الله لا من مثلي وهذا جواب عما دسوه تحت قولهم ايت بقرآن غير هذا من
اضافة الافتراء اليه **ممن افترى على الله كذبا** يحتمل ان يريد افتراء المشركين على
الله في قولهم انه ذو شريك وذو ولد وان يكون تفاديا مما اضافوه اليه من الافتراء ما
لا يضرهم ولا ينفعهم الاوثان التي هي جماد لا يقدر على نفع ولا ضر وقيل ان عبدوها لم تنفعهم
وان تركوا عبادتها لم تضرهم ومن حق المعبود ان يكون مثيبا على الطاعة معاقبا وكان
اهل الطايف يعبدون اللات واهل مكة العزى ومناة وهبل واسافا ونايلة وكانوا
يقولون هولاء شفعاؤنا عند الله وعن النضر بن الحارث اذا كان يوم القيامة شفعت
لي اللات والعزى **اتنبئون الله بما لا يعلم** اتخبرونه بكونهم شفعاء عنده وهو انباء
بما ليس بمعلوم لله واذا لم يكن معلوما له وهو العالم الذات المحيط بجميع المعلومات لم يكن
شيئا لان الشيء ما يعلم ويخبر عنه وكان خبرا ليس له مخبر عنه **فان قلت** كيف انبأ الله
بذلك **قلت** هو تهكم بهم وبما ادعوه من المحال الذي هو شفاعة الاصنام واعلام بان الذي
انبأوا به باطل غير منطو تحت الصحة فكانهم يخبرونه بشيء لا يتعلق به علمه كما يخبر الرجل
الرجل بما لا يعلمه قرئ اتنبئون بالتخفيف وقوله في السموات ولا في الارض تاكيد لنفيه
لان ما لم يوجد فيهما فهو منتف معدوم يشركون قرئ بالياء والتاء وما موصولة او مصدرية
اي عن الشركاء الذين يشركونهم به او عن اشراكهم **وما كان الناس امة واحدة**
حنفاء متفقين على ملة واحدة من غير ان يختلفوا بينهم وذلك في عهد آدم عليه السلام
الى ان قتل قابيل هابيل وقيل بعد الطوفان حين لم يذر الله من الكافرين ديارا
ولولا كلمة سبقت من ربك وهو تاخير الحكم بينهم الى يوم القيامة **لقضي بينهم**
عاجلا **فيما اختلفوا فيه** ولميز المحق من المبطل وسبق كلمته بالتاخير لحكمة
اوجبت ان تكون هذه الدار دار تكليف وتلك دار ثواب **وقالوا لولا انزل عليه**
آية من ربه ارادوا آية من الآيات التي كانوا يقترحونها وكانوا لا يعتدون
بما انزل عليه من الآيات العظام المتكاثرة التي لم ينزل على احد من الانبياء مثلها
وكفى بالقرآن وحده آية باقية على وجه الدهر بديعة غريبة في الآيات دقيقة

المسلك

المسلك من بين المعجزات وجعلوا نزولها كلا نزول وكانه لم تنزل عليه آية قط حتى قالوا لو
لا انزل عليه آية واحدة من ربه وذلك لفرط عنادهم وتماديهم وانهماكهم في الغي **فقل**
انما الغيب لله اي هو المختص بعلم الغيب المستاثر به لا علم لي ولا لاحد به يعني ان الصارف عن
انزال الآيات المقترحة امر مغيب لا يعلمه الا هو فانتظروا نزول ما اقترحتموه
اني معكم من المنتظرين لما يفعل الله بكم لعنادكم وجحودكم الآيات سلط الله القحط
سبع سنين على اهل مكة حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فلما رحمهم طفقوا يطعنون
في الآيات ويعادون رسول الله ويكيدونه واذا الاولى للشرط والآخرة للجواب وهي
للمفاجاة والمكر اخفاء الكيد وطيه من الجارية الممكورة المطوية الخلق ومعنى مستهم خالطتهم
حتى احسوا بسوء اثرها فيهم **فان قلت** ما وصفهم بسرعة المكر فكيف صح قوله اسرع مكرا
قلت بلى دلت على ذلك كلمة المفاجاة كانه قال واذا رحمناهم من بعد ضراء فاجاؤا
وقوع المكر منهم وسارعوا اليه قبل ان يغسلوا رؤسهم من مس الضراء ولم يتلبثوا
ريثما يسيغون غصتهم والمعنى ان الله تعالى قد مر عقابكم وهو موقعه بكم قبل ان
تدبروا كيف تعملون في اطفاء نور الاسلام **ان رسلنا يكتبون** اعلام بان ما
يظنونه خافيا مطويا لا يخفى على الله وهو منتقم منكم وقرئ تمكرون بالتاء والياء
وقيل مكرهم قولهم سقينا بنوء كذا وعن ابي هريرة ان الله ليصبح القوم بالنعمة ويمسيهم
بها فتصبح طايفة منهم بها كافرين يقولون مطرنا بنوء كذا قرا زيد بن ثابت ينشركم
ومثله فانتشروا في الارض ثم اذا انتم بشر تنتشرون **فان قلت** كيف جعل الكون
في الفلك غاية للتسيير في البحر والتسيير في البحر انما هو بالكون في الفلك **قلت**
لم يجعل الكون في الفلك غاية للتسيير ولكن مضمون الجملة الشرطية الواقعة بعد
حتى بما في حيزها كانه قيل يسيركم حتى اذا وقعت هذه الحادثة وكان كيت وكيت
من مجي الريح العاصف وتراكم الامواج والظن للهلاك والدعاء بالانجاء **فان قلت** ما
جواب اذا قلت جاءتها **فان قلت** فدعوا **قلت** بدل من ظنوا لان دعاءهم من لوازم ظنهم
الهلاك فهو ملتبس به **فان قلت** ما فايدة صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة **قلت** المبالغة
كانه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعي منهم الانكار والتقبيح **فان قلت** ما وجه قراءة
ام الدرداء في الفلكي بزيادة ياء النسب **قلت** قيل فيما زايدتان كما في الخارجي والاحمري

ويجوز ان يراد به اللج والماء الغمر الذي لا تجري الفلك الا فيه والضمير في جرين للفلك لانه جمع
فلك كالاسد في فعل اخي فعل وفي قراءة ام الدرداء للفلك ايضا لان الفلكي يدل عليه
جاءتها جاءت الريح الطيبة اي تلقتها وقيل الضمير للفلك من كل مكان من جميع امكنة
الموج احيط بهم جعل احاطة العدو بالحي مثلا في الهلاك مخلصين له الدين من غير اشراك
به لانه لا يدعون حينئذ غيره معه لئن انجيتنا على ارادة القول او لان دعوا من جملة القول
يبغون في الارض يفسدون فيها ويعيثون متراقين في ذلك متراقين في ذلك ممعنين
فيه من قولك بغى الجرح اذا ترامى في الفساد فان قلت ما معنى قوله بغير الحق والبغي لا يكون بحق
قلت بلى وهو استيلاء المسلمين على ارض الكفرة وهدم دورهم واحراق زروعهم وقلع
وقلع اشجارهم كما فعل رسول الله صلعم ببني قريظة قرئ متاع الحيوة الدنيا بالنصب فان قلت
ما الفرق بين القراءتين قلت اذا رفعت كان المتاع خبرا عن المبتدا الذي هو بغيكم
وعلى انفسكم صلته كقوله فبغى عليهم ومعناه انما بغيكم على امثالكم والذين جنسهم جنسكم
يعني بغي بعضكم على بعض منفعة الحياة الدنيا لا بقاء لها واذا نصبت فعلى انفسكم
خبر غير صلة معناه انما بغيكم وبال على انفسكم ومتاع الحياة الدنيا في موضع المصدر
المؤكد كانه قيل تتمتعون متاع الحيوة الدنيا ويجوز ان يكون الرفع على هو متاع
الحيوة الدنيا بعد تمام الكلام وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تمكر ولا تعن ماكرا ولا تبغ
ولا تعن باغيا ولا تنكث ولا تعن ناكثا وكان يتلوها وعنه عليه السلام اسرع الخير ثوابا
صلة الرحم واعجل الشر عقابا البغي واليمين الفاجرة وروى ثنتان يعجلهما الله في الدنيا
البغي وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رضي الله عنهما لو بغى جبل على جبل لدك الباغي وكان
المامون رحمه الله يتمثل بهذين البيتين في اخيه

يا صاحب البغي ان البغي مصرعة ... فاربع فخير فعال المرء اعدله
فلو بغى جبل يوما على جبل ... لاندك منه اعاليه واسفله

وعن محمد بن كعب ثلث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر قال الله تعالى
انما بغيكم على انفسكم هذا من التشبيه المركب شبهت حال الدنيا في سرعة تقضيها وانقراض
نعيمها بعد الاقبال بحال نبات الارض في جفافه وذهابه حطاما بعد ما التف وتكاثف
وزين الارض بخضرته ورفيقه فاختلط به فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا

اخذت

اخذت الارض وازينت كلام فصيح جعلت الارض آخذة زخرفها على التمثيل
بالعروس اذا اخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكتستها وتزينت بغيرها من الوان
الزين واصل ازينت تزينت فادغم وبالاصل قرا عبد الله وقرئ وازينت على افعلت
من غير اعلال الفعل كاغيلت اي صارت ذات زينة وازيانت بوزن ابياضت
قادرون عليها متمكنون من منفعتها محصلون لثمرتها رافعون لغلتها اتاها
امرنا وهو ضرب زرعها ببعض العاهات بعد امنهم واستيقانهم انه قد سلم فجعلناها
فجعلنا زرعها حصيدا شبيها بما يحصد من الزرع في قطعه واستيصاله كان لم تغن
كان لم يغن زرعها اي لم يلبث على حذف المضاف في هذه المواضع لا بد منه والا لم يستقم
المعنى وقرا الحسن كان لم يغن بالياء على ان الضمير للمضاف المحذوف الذي هو الزرع
وعن مروان انه قرا على المنبر كان لم تتغن بالامس من قول الاعشى
طويل الثواء طويل التغن ... والامس مثل في الوقت القريب كانه قيل كان لم تغن
آنفا دار السلام الجنة اضافها الى اسمه تعظيما لها وقيل السلام السلامة لان اهلها
سالمون من كل مكروه وقيل لفشو السلم بينهم وتسليم الملائكة عليهم الا قيلا سلاما سلاما ويهدي
ويوفق من يشاء وهم الذين علم ان اللطف يجدي عليهم لان مشيته تابعة لحكمته ومعناه
يدعوا العباد كلهم الى دار السلام ولا يدخلها الا المهديون الحسنى المثوبة الحسنى
وما يزيد على المثوبة وهي التفضل ويدل عليه قوله ويزيدهم من فضله وعن علي رضي الله عنه
الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة وعن ابن عباس الحسنى الجنة والزيادة عشر امثالها
وعن الحسن عشر امثالها الى سبعمائة ضعف وعن مجاهد الزيادة مغفرة من الله ورضوان
وعن يزيد بن شجرة الزيادة ان تمر السحابة باهل الجنة فتقول ما تريدون ان امطركم
فلا يريدون شيئا الا امطرتهم وزعمت المشبهة والمجبرة ان الزيادة النظر الى وجه الله
وجاءت بحديث مرفوع اذا دخل اهل الجنة الجنة نودوا ان يا اهل الجنة فيكشف
الحجاب فينظرون اليه فوالله ما اعطاهم الله شيئا هو احب اليهم منه ولا يرهق
وجوههم لا يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة ولا اثر هوان وكسوف بال والمعنى
لا يرهقهم ما يرهق اهل النار بما ينقذهم منه برحمته الا ترى الى قوله ترهقها قترة
وترهقهم ذلة فان قلت ما وجه قوله والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها

وزيادة صح

وكيف يتلاءم قلت لا يخلو إما أن يكون والذين كسبوا معطوفا على قوله للذين أحسنوا كأنه قيل وللذين كسبوا السيآت جزاء سيئة بمثلها على معنى جزاؤهم أن يجازى سيئة واحدة بسيئة مثلها لا يزاد عليها وهذا أوجه من الأول لأن في الأول عطفا على عاملين وإن كان الاخفش يجيزه وفي هذا دليل على أن المدلو بالزيادة الفضل لأنه دل بترك الزيادة على السبة على عدله ودل ثم بإثبات الزيادة على المثوبة على فضله وقرئ يرهقهم بالياء من الله من عاصم اى لا يعصمهم احد من سخط الله وعذابه ويجوز أن يراد من جهة الله ومن عند من يعصمهم كما يكون للمؤمنين مظلما حال من الليل ومن قرأ قطعا بالكون من قوله بقطع من الليل جعله صفة له وتعضد قراءة ابى بن كعب كما يغشى وجوههم قطع من الليل مظلم فان قلت اذا جعلت مظلما حالا من الليل فى العامل فيه قلت لا يخلو إما ان يكون اعنيت من قبل إن من الليل صفة لقوله قطعا فكان افضاؤه من الموصوف كافضائه الى الصفة واما ان يكون معنى الفعل فى من الليل مكانكم الزموا مكانكم لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل بكم وانتم أكد به الضمير فى مكانكم ليسد مسد قوله الزموا شركاءكم عطف عليه وقرئ وشركاؤكم على ان الواو بمعنى مع والعامل فيه ما فى مكانكم من معنى الفعل فزيلنا بينهم ففرقنا بينهم وقطعنا اقرانهم والوصل التى كانت بينهم فى الدنيا أو فما زلنا بينهم بعد الجمع بينهم فى الموقف وتبرؤ شركائهم منهم ومن عبادتهم كقوله ابن شركائى الذين كنتم تزعمون قالوا ضلوا عنا وقرئ فزايلنا بينهم كقولك صاغ خاتما وصوغه وكالمته وكلمته ما كنتم إيانا تعبدون انما كنتم تعبدون الشياطين حيث امرتكم ان تتخذوا لله اندادا فاطعتموهم ان كنا اى المخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة بينها وبين النافية وهم الملائكة والمسيح ومن عبد من دون الله من اولى العقل وقيل الاصنام ينطقها الله عز وجل فتشافههم بذلك كان الشفاعة التى زعموا وعلقوها اطماعهم هنالك فى ذلك المقام وفى ذلك الوقت او فى ذلك الوقت على استعارة اسم المكان للزمان تبلوا كل نفس تختبر وتذوق ما اسلفت من العمل فتعرف كيف هو اقبيح ام حسن انافع ام ضار مقبول ام مردود كما يختبر الرجل الشئ ويتعرفه ليكتسبه حاله ومنه قوله تعالى يوم تبلى السرائر وعن عاصم نبلوا كل نفس بالنون ونصب كل اى نختبرها باختبار ما اسلفت من العمل فنعرف حالها بعرفة حال عملها ان كان حسنا فهى سعيدة وان كان سيئا فهى

شقية والمعنى نفعل بها فعل المختبر كقوله لنبلوكم ايكم احسن عملا ويجوز ان يراد ونصب بالبلاء وهو العذاب كل نفس عاصية بسبب ما اسلفت من الشر وقرئ تتلو اى تتبع ما اسلفت لان عمله الذى يهديه الى طريق الجنة او الى طريق النار او تقرأ فى صحيفتها ما قدمت من خير او شر مولاهم الحق ربهم الصادق ربوبيته لانهم كانوا يتولون ما ليس لربوبيته حقيقة او الذى يتولى جزاءهم وثوابهم العدل الذى لا يظلم احدا وقرئ الحق بالفتح على تأكيد قوله ردوا الى الله كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل او على المدح كقولك الحمد لله اهل الحمد وضل عنهم ما كانوا يفترون وضاع عنهم ما كانوا يدعون انهم شركاء الله او بطل عنهم ما كانوا يختلقون من الكذب وشفاعة الآلهة من السماء والارض اى يرزقكم منهما جميعا ثم يقصر رزقكم على جهة واحدة فيفيض عليكم نعمته ويوسع رحمته من يملك السمع والابصار من يستطيع خلقها وتسويتها على الحد الذى سوى عليه من الفطرة العجيبة او من يحييها ويحصنها من الآفات مع كثرتها في المشاق والطوارق وهما للطيفان يوفيها ادنى شئ بكلاءته وحفظه ومن يدبر الامر ومن يلى تدبير العالم كله جاء بالعموم بعد الخصوص افلا تتقون انفسكم ولا تحذرون عليها عقابه فيما انتم بصدده من الضلال ذلكم اشارة الى من هن من قدرته وافعاله ربكم الحق الثابت ربوبيته ثباتا لا ريب فيه لمن حقق النظر فاذا بعد الحق الا الضلال يعنى ان الحق والضلال لا واسطة بينهما فمن تخطى الحق وقع فى الضلال فانى تصرفون عن الحق الى الضلال وعن التوحيد الى الشرك وعن السعادة الى الشقاء كذلك مثل ذلك الحق حقت كلمة ربك اى كما حق وثبت ان الحق بعد الضلال او كما حق انهم مصروفون عن الحق فكذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا اى تمردوا فى كفرهم وخرجوا الى الحد الاقصى فيه وانهم لا يؤمنون بدل من الكلمة اى حق عليهم انتفاء الايمان وعلم الله منهم ذلك او حق عليهم كلمة الله انهم من اهل الخذلان وان ايمانهم غير كائن او اراد بالكلمة العدة بالغلب وانهم لا يؤمنون تعليل معنى لانهم لا يؤمنون فان قلت كيف قيل لهم هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده وهم غير معترفين بالاعادة قلت قد وضعت اعادة الخلق لظهور بدئها موضع ما ان دفعه دافع كان مكابرا اذ الظاهد البين الذى لا مدخل للشبهة فيه دلالة على انهم فى انكارهم لها منكرون امرا مسلما معترفا بصحته عند العقلاء وقال

والضلال هو الله تعالى والشيطان والاوثان والشركاء يجعل الله تعالى والشيطان والاوثان والشركاء يجعل بعد الاعراب

لنبيه قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فامره ان ينوب عنهم في الجواب يعني انه لا يدعهم لجاجهم و
مكابرتهم ان ينطقوا بكلمة الحق فكلم عنهم يقال هداه للحق والى الحق فجمع بين اللغتين
ويقال هدي بنفسه بمعنى اهتدي كما يقال شري بمعنى اشترى ومنه قوله امن لا يهدي وقري
لا يهدي بفتح الهاء وكسرها وتشديد الدال والاصل يهتدي فادغم وفتحت الهاء بحركة التاء
او كسرت لالتقاء الساكنين وقد كسرت الياء لاتباع ما بعدها وقرئ الا ان يهدى من
هداه وهداه للمبالغة ومنه قولهم تهدي ومعناه ان الله وحده هو الذي يهدي للحق
بما ركب في المكلفين من العقول واعطاهم من التمكين للنظر في الادلة التي نصبها لهم وبما لطف
بهم ووفقهم والهمهم واخطر ببالهم ووقفهم على الشرايع فهل من شركائهم الذين جعلتم اندادا
لله احد من اشرافهم كالملائكة والمسيح وعزير يهدي الى الحق مثل هداية الله ثم قال
افمن يهدي الى الحق هذه الهداية احق بالاتباع ام الذي لا يهدي اي لا يهتدي
بنفسه او لا يهدي غيره الا ان يهديه وقيل معناه ام من لا يهتدي من الاوثان الى مكان
فينتقل اليه الا ان يهدي الا ان ينقل او لا يهتدي ولا يصح منه الاهتداء الا ان ينقله
الله من حاله الى ان يجعله حيوانا مكلفا فيهديه فما لكم كيف تحكمون بالباطل حيث
تزعمون انهم انداد الله وما يتبع اكثرهم في اقرارهم بالله الا ظنا لانه قول غير مستند
الى برهان عندهم ان الظن في معرفة الله لا يغني من الحق وهو العلم شيئا وقيل وما يتبع
اكثرهم في قولهم للاصنام انها آلهة وانها شفعاء عند الله الا الظن والمراد بالاكثر الجميع
ان الله عليم وعيد على ما يفعلون من اتباع الظن وتقليد الآباء وقري تفعلون
بالتاء وما كان هذا القرآن افتراء من دون الله ولكن كان تصديق الذي بين يديه وهو
ما تقدمه من الكتب المنزلة لانه معجز دونها فهو عيار عليها وشاهد لصحتها كقوله وهو
الحق مصدقا لما بين يديه وقرئ ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب على
ولكن هو تصديق وتفصيل ومعنى وما كان ان يفترى وما صح وما استقام وكان محالا
ان يكون مثله في علو امره واعجازه مفترى وتفصيل الكتاب وتبيين ما كتب وفرض
من الاحكام والشرايع من قوله كتاب الله عليكم فان قلت بم اتصل قوله لا ريب
فيه من رب العالمين قلت هو داخل في حيز الاستدراك كانه قال ولكن
كان تصديقا وتفصيلا منتفيا عنه الريب كائنا من رب العالمين ويجوز ان يراد ولكن

كان

كان تصديقا من رب العالمين وتفصيلا منه لا ريب فيه فيكون من رب العالمين متعلقا
بتصديق وتفصيل ويكون لا ريب فيه اعتراضا كما تقول زيد لا شك فيه كريم ام يقولون افتريه
بل ايقولون اختلقه على ان الهمزة تقرير لالزام الحجة عليهم او انكار لقولهم واستبعاد
والمعنيان متقاربان قل ان كان الامر كما تزعمون فاتوا انتم على وجه الافتراء بسورة
مثله فانتم مثلي العربية والفصاحة ومعنى بسورة مثله اي شبيهة به في البلاغة
وحسن النظم وقرئ بسورة مثله على الاضافة اي بسورة كتاب مثله وادعوا من دون الله
من استطعتم من خلقه للاستعانة به على الاتيان بمثله يعني ان الله وحده هو القادر
على ان ياتي بمثله لا يقدر على ذلك احد غيره فلا تستعينوا به وحده ثم استعينوا بكل
من دونه ان كنتم صادقين انه افتراء بل كذبوا بل سارعوا الى التكذيب بالقرآن
وفاجاؤه في بديهة السماع قبل ان يفقهوه ويعلموا كنه امره وقبل ان يتدبروه
ويقفوا على تاويله ومعانيه وذلك لفرط نفورهم عما يخالف دينهم وشرادهم عن مفارقة
دين آبائهم كالناشي على التقليد من الحشوية اذا احس بكلمة لا توافق ما نشا
عليه والفه وان كانت اضوء من الشمس في ظهور الصحة وبيان الاستقامة انكرها
في اول وهلة واشمأز منها قبل ان يحس ادراكها بحاسة سمعه من غير ان يفكر
في صحة او فساد لانه لم يشعر قلبه الا صحة مذهبه وفساد ما عداه من المذاهب
فان قلت ما معنى التوقع في قوله ولما ياتهم ياتهم تاويله قلت معناه
انهم كذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التاويل تقليدا للآباء وكذبوه
بعد التدبر تمردا وعنادا فذمهم بالتسرع الى التكذيب قبل به وجاء بكلمة التوقع
ليؤذن انهم علموا بعد علو شانه واعجازه لما كرر عليهم التحدي ورازوا قواهم
في المعارضة واستيقنوا عجزهم عن مثله فكذبوا به بغيا وحسدا كذلك حربوا
اي مثل ذلك التكذيب كذب الذين من قبلهم يعني قبل النظر في معجزات
الانبياء وقيل يدبرها من غير انصاف من انفسهم ولكن قلدوا الآباء وعاندوا
وقيل هو في الذين كذبوا وهم شاكون ويجوز ان يكون معنى ولما ياتهم تاويله ولما
ياتهم بعد تاويل ما فيه من الاخبار بالغيوب اي عاقبته حتى يبين لهم اهو كذب
ام صدق يعني انه كتاب معجز من جهة اعجاز نظمه ومن جهة ما فيه من الاخبار

بالغيوب فسرعوا الى التكذيب به قبل ان ينظروا فى نظمه وبلوغه حد الاعجاز وقبل
ان يخبروا اخبان بالغيوب وصدقه وكذبه ومنهم من يؤمن به يصدق بدفى نفسه
ويعلم انه حق ولكنه يعاند بالتكذيب ومنهم من يشك فيه لا يصدق به او يكون للاستقبال
اى ومنهم من سيؤمن به ومنهم من سيصر وربك اعلم بالمفسدين بالمعاندين او المصرين
وان كذبوك وان تموا على تكذيبك ويئست من اجابتهم فتبرأ منهم وخلهم فقد اعذرت كقوله
فان عصوك فقل انى برئ وقيل هى منسوخة بآية السيف ومنهم من يستمعون معناه ومنهم
ناس يستمعون اليك اذا قرأت القرآن وعلمت الشرايع ولكنهم لا يعون ولا يعقلون وناس
ينظرون اليك ويعاينون ادلة الصدق واعلام النبوة ولكنهم لا يصدقون ثم قال
اتطمع انك تقدر على اسماع الصم ولو انضم الى صممهم عدم عقولهم لان الاصم العاقل ربما تفرس
واستدل اذا وقع فى صماخه دوى الصوت واذا اجتمع سلب السمع والعقل جميعا فقد عم
الامر وانجب انك تقدر على هداية العمى ولو انضم الى العمى وهو فقد البصر فقد البصيرة
لان الاعمى الذى له فى قلبه بصيرة قد يحدس ويتظنن واما العمى مع الحمق فجهد البلاء
يعنى انهم فى اليأس من ان يقبلوا ويصدقوا كالصم والعمى الذين لا عقول لهم ولا بصائر
وقوله افانت افانت دلالة على انه لا يقدر على اسماعهم وهدايتهم الا الله عز وجل بالقدر
للالجاء كما يقدر على رد الاصم والاعمى المسلوبى العقل حديدي السمع والبصر راجح العقل
الا هو وحده ان الله لا يظلم الناس شيئا اى لا ينقصهم شيئا مما يتصل بصلاحهم من بعثة
الرسل وانزال الكتب ولكنهم يظلمون انفسهم بالكفر والتكذيب ويجوز ان يكون وعيدا
للمكذبين يعنى ان ما يلحقهم يوم القيامة من العذاب لاحق بهم على سبيل العدل والاستحقاق
ولا يظلمهم الله به ولكنهم ظلموا انفسهم باقتراف ما كان سببا فيه الا ساعة من النهار يستقربون
وقت لبثهم فى الدنيا وقيل فى القبور لهول ما يرون يتعارفون بينهم يعرف بعضهم
بعضا كأنهم لم يتعارفوا الا قليلا او ذلك عند خروجهم من القبور ثم ينقطع التعارف بينهم لشدة
الامر عليهم فان قلت كان لم يلبثوا او يتعارفون كيف موقعهما قلت اما الاولى فحال
منهم اى نحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة واما الثانية فاما ان يتعلق بالظرف
واما ان يكون بينة لقوله كان لم يلبثوا الا ساعة لان التعارف لا يبقى مع طول العهد
وينقلب تناكرا قد خسر على ارادة القول اى يتعارفون بينهم قائلين ذلك او هى شهادة

من الله

من الله والمعنى انهم وضعوا فى تجارتهم وبيعهم الايمان بالكفر وما
كانوا مهتدين للتجار عارفين بها وهو استيناف فيه معنى التعجب كأنه قيل
ما اخسرهم فالينا مرجعهم جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف كأنه قيل
واما نرينك بعض الذى نعدهم فى الدنيا فذاك او نتوفينك قبل ان نريكه
فنحن نريكه فى الآخرة فان قلت الله شهيد على ما يفعلون فى الدارين فما معنى
ثم قلت ذكرت الشهادة والمراد مقتضاها ونتيجتها وهو العقاب كأنه قال
ثم الله معاقب على ما يفعلون وقرأ ابن ابى عبلة ثم بالفتح اى هناك ويجوز ان
يراد ان الله مؤد شهادته على افعالهم يوم القيامة حين ينطق جلودهم والسنتهم
وايديهم وارجلهم شاهدة عليهم ولكل امة رسول يبعث اليهم ينبههم على
التوحيد ويدعوهم الى دين الحق فاذا جاءهم رسولهم بالبينات فكذبوه ولم يتبعوه
قضى بينهم اى بين النبى ومكذبيه بالقسط بالعدل فانجى الرسول وعذب
المكذبون كقوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا او لكل امة من الامم يوم
يوم القيمة رسول ينسب اليه وتدعى به فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم
بالكفر والايمان كقوله وجئ بالنبيين والشهداء قضى بينهم متى هذا الوعد استعجال
لما وعدوا من العذاب استبعادا انه لا املك لنفسى ضرا من مرض او فقر
ولا نفعا من صحة او غنى الا ما شاء الله استثناء منقطع اى ولكن ما
شاء الله من ذلك كائن فكيف املك لكم الضر وجلب العذاب لكل امة اجل
يعنى ان عذابكم له اجل مضروب عند الله وحد محدود من الزمان اذا جاء
ذلك الوقت انجز وعدكم لا محالة فلا تستعجلوا وقرأ ابن سيرين فاذا
جاء اجالهم بياتا نصب على الظرف بمعنى وقت بيات فان قلت هلا قيل ليلا
او نهارا قلت لانه اريد ان اتاكم عذابه وقت بيات فبيتكم وانتم نائمون
كما تأتون لا تشعرون كما يبيت العدو المباغت والبيات بمعنى التبييت
كالسلام بمعنى التسليم ولذلك قوبل نهارا بمعناه فى وقت انتم فيه مشتغلون
بطلب المعايش واللعب ونحوه بياتا وهم نائمون ضحى وهم يلعبون الضمير
فى منه للعذاب والمعنى ان العذاب كله مكروه مدة المذات موجب للنفار فاى شئ

ل

يستعجلون منه وليس شئ منه يوجب الاستعجال ويجوز ان يكون معناه التعجب كأنه قيل اى شئ هول شديد يستعجلون منه ويجوز ان يكون من البيان فى هذا الوجه وقيل التضمير فى منه لله تعالى **فان قلت** بم يتعلق الاستفهام واين جواب الشرط **قلت** تعلق بأرأيتم لان المعنى اخبرونى ماذا يستعجل منه المجرمون وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال او تعرفوا الخطأ فيه **فان قلت** فهلا قيل ماذا يستعجلون منه **قلت** اريدت الدلالة على موجب تدبر الاستعجال وهو الاجرام لان من حق المجرم ان يخاف التعذيب على اجرامه ويهلك فزعا من بيته وان ابطأ فضلا ان يستعجله ويجوز ان يكون ماذا يستعجل منه المجرمون جوابا للشرط كقولك ان اتيتك ماذا تطعمنى ثم تتعلق الجملة بأرأيتم وان يكون ثم اذا وقع آمنتم به جواب الشرط وماذا يستعجل منه المجرمون اعتراضا والمعنى ان اتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان ودخول حرف الاستفهام على ثم كدخوله على الواو والفاء فى قوله افأمن اهل القرى او امن اهل القرى **الآن** على ارادة القول اى قيل لهم اذا آمنوا بعد وقوع العذاب الآن آمنتم به وقد كنتم تستعجلون يعنى وقد كنتم به تكذبون لان استعجالهم كان على جهة التكذيب والانكار وقرئ الآن بحذف الهمزة التى بعد اللام والقاء حركتها على اللام **ثم قيل للذين ظلموا** عطف على قيل المضمر قبل الآن **ويستنبئونك** ويستخبرونك فيتركون **احق هو** وهو استفهام على جهة الانكار والاستهزاء لتضمنه معنى التعريض بانه باطل وذلك ان اللام للجنس فكأنه قيل أهو الحق لا الباطل او أهو الذى سميتموه الحق والضمير للعذاب الموعود **واى** بمعنى نعم فى القسم خاصة كما كان هل بمعنى قد فى الاستفهام خاصة وسمعتم يقولون فى التصديق ايو فيصلونه بواو القسم ولا ينطقون به وحده **وما انتم بمعجزين** بفائتين العذاب وهو لاحق بكم لا محالة **ظلمت** صفة لنفس على ولو ان لكل نفس ظالمة ما فى الارض اى ما فى الدنيا اليوم من خزائنها واموالها وجميع منافعها على كثرتها **لافتدت به** لجعلته فدية لها يقال فداه فافتدى ويقال افتداه ايضا بمعنى فداه **واسروا الندامة** لما رأوا العذاب لانهم بهتوا الدهش بهم فلم يجدوه ولم يخطر ببالهم وغاظوا من شدة الامر وتفاقم ما نابهم قواتهم وبهرهم فلم يطيقوا عنده بكاء ولا صراخا ولا

ولا ما يفعله الجازع سوى اسرار الندم والحسرة فى القلوب كما تدى المقدم المتصلب يخنقه ما دهمه من فظاعة الخطب ويغلب حتى لا يبقى بكلمة ويبقى جامدا مبهوتا وقيل اسروها رؤساؤهم الندامة من سفلتهم الذين اضلوهم حياء منهم وخوفا من تعييرهم وقيل اسروها اخلصوها اما لان اخفاها اخلاصها واما من قولهم سر الشئ لخالصه وفيه تهكم بهم وباخطائهم وقت اخلاص الندامة وقيل اسروا الندامة اظهروها من قولهم اسر الشئ واشره اذا اظهره وليس هناك تجلد **وقضى بينهم** اى بين الظالمين والمظلومين دل على ذلك ذكر الظلم ثم اتبع ذلك الاعلام بان له الملك كله وانه المثيب المعاقب ما وعد من الثواب والعقاب فهو حق وهو القادر على الاحياء والاماتة لا يقدر عليهما غيره والى حسابه وجزائه المرجع ليعلم ان الامد كذلك فيخاف وعيده ويرجى ولا يغتر به المغترون **قد جاءتكم موعظة** اى قد جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد من موعظة وتنبيه على التوحيد **هو شفاء** اى دواء لما فى صدوركم من العقايد الفاسدة ودعاء الى الحق **ورحمة** لمن آمن منكم اصل الكلام بفضل الله وبرحمته فليفرحوا فبذلك فليفرحوا والتكرير للتاكيد والتقرير وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوايد الدنيا فحذف احد الفعلين لدلالة المذكور عليه والفاء داخلة لمعنى الشرط كأنه ان فرح بشئ فليخصهما بالفرح فانه لا مفروح به احق منهما ويجوز ان يراد بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك فليفرحوا ويجوز ان يراد قد جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته فبذلك فبمجيئهما فليفرحوا وقرئ فلتفرحوا بالتاء وهو الاصل والقياس وهى قراءة رسول صلى الله عليه وسلم فيما روى وعنه لتأخذ ومصاحفكم قالها فى بعض الغزوات وفى قراءة ابى فافرحوا **هو** راجع الى ذلك **مما يجمعون** بالياء والتاء وعن ابى بن كعب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قل بفضل الله وبرحمته فقال بكتاب الله والاسلام وقيل فضله الاسلام ورحمته ما وعد عليه **ارأيتم** اخبرونى وما انزل الله ما فى موضع النصب بانزل او بارأيتم فى معنى اخبرونيه **فجعلتم منه حراما وحلالا** اى الذى انزله الله رزقا حلالا كله فبعضتموه وقلتم هذا حلال وهذا حرام كقولهم هذه انعام وحرث حجر ما فى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا **آلله اذن لكم** متعلق بارأيتم

(الصادق المغتفر والتوفيق ابن عيينة التوفيق والعصمة والعون بفضل الله ورحمته عن ابى عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن ابن عيينة عن ابن عجلان عن ابى سهيل النصاح عن ابيه عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة يونس اعطى عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وغرق مع فرعون وهامان وقارون وبلعم يقاسمه فى كل يوم الى الليل)

وقل تكرير للتوكيد والمعنى اخبروني آلله اذن لكم في التحليل والتحريم فانتم تفعلون ذلك باذنه
ام تكذبون على الله في نسبته ذلك اليه ويجوز ان تكون الهمزة للانكار وام منقطعة بمعنى
بل اتفترون على الله تفريرا للافتراء وكفى بهذه الآية زاجرة زجرا بليغا عن التجوز فيما يسأل
عنه من الاحكام وباعثة على وجوب الاحتياط فيه وان لا يقول في شئ جايز اوغير جايز الا
بعد ايقان واتقان ومن لم يوقن فليتق الله وليصمت والا فهو مفتر على الله يوم
القيامة منصوب بالظن وهو ظن واقع فيه يعني اي شئ ظن المفترين في ذلك اليوم
ما يصنع بهم فيه وهو يوم الجزاء بالاحسان والاساءة وهو وعيد عظيم حيث ابهم
امره وقرأ عيسى بن عمر وماظن على لفظ الفعل ومعناه واي ظن ظنوا يوم القيامة
وجيئ به على لفظ الماضي لانه كاين فكان قد كان ان الله لذو فضل على الناس
حيث انعم عليهم بالعقل ورحمهم بالوحي وتعليم الحلال والحرام ولكن اكثرهم لا يشكرون
هذه النعمة ولا يتبعون ما هدوا اليه وما يكون في شأن ما نافية والخطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم والشأن الامر والحالة الهمة يعني القصد من شأنت
شأنه اذا قصدت قصده والضمير في منه للشأن لان تلاوة القرآن شأن من شأن
رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو معظم شأنه او للتنزيل كانه قيل وما تتلو من التنزيل من
لان كل جزء منه قرآن والاضمار قبل الذكر تفخيم له او لله عز وجل وما تعملون
انتم جميعا من عمل اي عمل كان الا كنا عليكم شهودا شاهدين رقبا نحصي عليكم
اذ تفيضون فيه من افاض في الامر اذا اندفع فيه وما يعزب قرئ بالضم والكسر
وما يبعد وما يغيب ومنه الدوض العازب ولا اصغر من ذلك ولا اكبر
القراءة بالنصب والرفع والوجه النصب على نفي الجنس والرفع على الابتداء ليكون كلاما
برأسه وفي العطف على محل من مثقال ذرة او على لفظ مثقال ذرة فتحا في موضع الجر
لامتناع الصرف اشكال لان قوله لا يعزب عنه شئ الا في كتاب مشكل فان قلت
لم قدمت الارض على السماء بخلاف قوله في سورة سبا عالم الغيب لا يعزب عنه
مثقال ذرة في السموات ولا في الارض قلت حق السماء ان تقدم على الارض و
لكنه لما ذكر شهادته على شؤن اهل الارض واحوالهم واعمالهم ووصل بذلك
لا يعزب عنه لا جرم ذلك ان قدم الارض على السماء على ان العطف بالواو لا يحكم

هذا انشاع الى الان
سقط بياض لا
(بتعليق)

حكم التثنية اولياء الله الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة وقد فسر ذلك في
قوله الذين آمنوا وكانوا يتقون فهو تولية اياه لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الآخرة
فهو تولية اياهم وعن سعيد بن جبير لما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم من اولياء
الله فقال هم الذين يذكر الله بذكرهم يعني السمت والهيئة وعن ابن عباس رضي الله عنه
الاخبات والسكينة وقيل هم المتحابون في الله وعن عمر رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول ان من عباد الله عبادا ما هم بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم
القيمة لمكانهم من الله قالوا يا رسول الله خبرنا من هم وما اعمالهم فلعلنا نحبهم قال
هم قوم تحابوا في الله على غير ارحام بينهم ولا اموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم
لنور وانهم لعلى منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن
الناس ثم قرأ الآية الذين آمنوا نصب او رفع على المدح او على وصف الاولياء او على
الابتداء والخبر لهم البشرى والبشرى في الدنيا ما بشر الله المؤمنين المتقين في غير
في غير مكان من كتابه وعن النبي صلى الله عليه وسلم هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم او ترى
له وعنه عليه السلام ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وقيل هي محبة الناس له
والذكر الحسن وعن ابي ذر قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل يعمل العمل لله و
يحبه الناس فقال تلك عاجل بشرى المؤمن وعن عطاء لهم البشرى عند
الموت تأتيهم الملايكة بالرحمة قال الله تنزل عليهم الملايكة الا تخافوا ولا تحزنوا
وابشروا بالجنة واما البشرى في الآخرة فتلقى الملايكة اياهم مسلمين مبشرين
بالفوز والكرامة ومايدون من بياض وجوههم واعطاء الصحايف بايمانهم وما
يقدون وغير ذلك من البشارات لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله ولا اخلاف
لمواعيده كقوله ما يبدل القول لدي وذلك اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين
وكلتا الجملتين اعتراض ولا يحزنك وقرئ ولا يحزنك من احزنه فوهم تكذيبهم
لك وتهديدهم وتشاورهم في تدبير هلاكك وابطال امرك وسايد ما يتكلمون
به في شانك ان العزة استيناف بمعنى التعليل كانه قيل مالي لا احزن فقيل ان
العزة لله جميعا اي ان الغلبة والقهر في ملكة الله جميعا لا يملك احد شيئا
منها لا انتم ولا غيركم فهو يغلبهم وينصرك عليهم كتب الله لاغلبن انا ورسلي انا

لنصر رسلنا وقرأ ابو حيوة ان العزة بالفتح بمعنى لان العزة على صريح التعليل ومن
جعله بدلا من قولهم ثم انكذه فالمنكر هو تحديه لا ما انكر من القراءة به هو السميع
العليم يسمع ما يقولون ويعلم ما يدبرون ويعزمون عليه وهو مكافيهم بذلك
من في السموات ومن في الارض يعني العقلاء المميزين وهم الملايكة والثقلان
وانما خصهم ليوذن ان هولاء اذا كانوا له وفي ملكته فهم عبيده كلهم وهو سبحانه
وتعالى ربهم ولا يصلح احد منهم للربوبية ولا ان يكون شريكا له فيها فما وراءهم مما
لا يعقل احق ان لا يكون له ندا وشريكا وليدل على من اتخذ غيره ربا من ملك
او انسي فضلا عن ضيم او غير ذلك فهو مبطل تابع لما اوى اليه التقليد وترك
ومعنى وما يتبعون شركاء اي وما يتبعون حقيقة الشركاء وان كانوا يسمونها شركاء
لان شركة الله في الربوبية محال ان يتبعون الا الظن انها شركاء وان هم
الا يخرصون يقدرون ويقدرون ان تكون شركاء تقديرا باطلا ويجوز ان يكون
وما يتبع في معنى الاستفهام يعني واي شيء يتبعون وشركاء نصب على هذا بيدعون
وعلى الاول بيتبع وكان حقه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء شركاء
فاقتصر على احدهما للدلالة ويجوز ان تكون ما موصولة معطوفة على من كانه قيل
ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء اي وله شركاؤهم وقرأ علي بن ابي طالب رضي الله عنه
تدعون بالتاء ووجهه ان تحمل وما يتبع على الاستفهام اي واي شيء يتبع الذين تدعونهم
شركاء من الملايكة والنبيين يعني انهم يتبعون الله ويطيعونه فما لكم لا تتبعون مثل فعلهم
كقوله اوليك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ثم صرف الكلام عن الخطاب الى
الغيبة فقال ان يتبع هولاء المشركين الا الظن ولا يتبعون ما يتبع الملايكة والنبيون
من الحق ثم نبه على عظيم قدرته ونعمته الشاملة لعباده التي يستحق بها ان يتوحدوه
بالعبادة بانه جعل لهم الليل مظلما ليسكنوا فيه مما يقاسون في نهاريهم من تعب
التردد في المعاش والنهار مضيئا يبصرون فيه بطلب ارزاقهم ومكاسبهم لقوم
يسمعون سماع معتبر متدبر سبحانه تنزيه له عن اتخاذ الولد وتعجب
من كلماتهم المحكية هو الغني علة لنفي الولد لان ما يطلب به الولد من يلد وما
يطلبه له السبب في كله الحاجة فمن الحاجة منتفية تعالى كان الولد عنه منتفيا

لما في

له ما في السموات وما في الارض فهو مستغن بملكه لهم عن اتخاذ احد منهم ولدا ان عندكم
من سلطان بهذا ما عندكم من حجة بهذا القول والباء حقها ان يتعلق بقوله ان عندكم
على ان يجعل القول مكانا للسلطان كقولك ما عندكم بارضكم موزا كانه قيل ان عندكم
فيما تقولون سلطان اتقولون على الله ما لا تعلمون لما نفى عنهم البرهان جعلهم غير
عالمين وذلك على ان كل قول لا بد ان عليه لغائله فذاك جهل وليس بعلم يفترون على
الله الكذب باضافة القول اليه متاع في الدنيا اي افتراؤهم هذا منفعة قليلة في
الدنيا وذلك حيث يقيمون رياستهم في الكفر ومناصبة النبي صلى الله عليه وسلم بالتظاهر به ثم
يلقون الشقاء المؤبد بعد كبر عليكم مقامي عظم عليكم وشق وثقل ومنه قوله تعالى
وانها لكبيرة الا على الخاشعين ويقال تعاظم الامر مقامي مكاني يعني نفسه كما تقول
كذا لمكان فلان وفلان ثقيل الظل ومنه لمن خاف مقام ربه بمعنى خاف ربه او قيامي
ومكثي بين اظهركم مدة طويلة الا فسنة الآخرين عاما او مقامي وتذكيري لانهم كانوا
اذا وعظوا الجماعة قاموا على ارجلهم يعظونهم ليكون تمكنهم بينا وكلامهم مسموعا
كما يحكى عن عيسى صلوات الله عليه وعلى نبينا انه كان يعظ الحواريين قياما وهم قعود
فاجمعوا امركم وشركاءكم من اجمع الامر وازمعه اذا انواه وعزم عليه قال
هل اغدون يوما وامري مجمع والواو بمعنى مع يعني فاجمعوا امركم مع شركائكم وقرأ الحسن وشركاؤكم بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز من غير تاكيد بالمنفصل
لقيام الفاصل مقامه لطول الكلام كما تقول اضرب زيدا وعمرو وقرئ فاجمعوا من الجمع
وشركاءكم نصب للعطف على المفعول اولان الواو بمعنى مع وفي قراءة ابي فاجمعوا امركم
وادعوا شركاءكم فان قلت كيف جاز اسناد الايحاء الى الشركاء قلت على وجه
التهكم كقوله قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فان قلت ما معنى الامرين امرهم الذي
يجمعونه وامرهم الذي لا يكون عليهم غمة قلت اما الامر الاول فالقصد الى اهلاكه
يعني فاجمعوا ما تريدون من اهلاكي واحشدوا فيه وابذلوا وسعكم في كيدي
وانما قال ذلك اظهارا لقلة مبالاته وثقته بما وعده ربه من كلاءته وعصمته
وانهم لن يجدوا اليه سبيلا واما الثاني ففيه وجهان احدهما ان يراد مصاحبتهم
له وما كانوا معه من اجل الشدة عليهم المكدوهة عندهم يعني ثم اهلكوني ليلا يكون

عَيْنِكُمْ أَيْ عُضَّةً وَحَالُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً أَيْ غَمٌّ وَهَمٌّ وَالْغَمُّ وَالْغُمَّةُ كَالْكَرْبِ وَالْكُرْبَةِ وَالْمَعْنَى
أَنْ يُرَادَ بِهِ مَا أُرِيدَ بِالْأَمْرِ الْأَوَّلِ وَالْغُمَّةُ السُّتْرَةُ مِنْ غَمَّهُ إِذَا سَتَرَهُ وَمِنْهَا قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
وَلَا غُمَّةَ فِي فَرَائِضِ اللَّهِ أَيْ لَا تُسْتَرُ وَلَكِنْ يُجَاهَرُ بِهَا يَعْنِي وَلَا يَكُنْ قَصْدُكُمْ إِلَى إِهْلَاكِي مَسْتُورًا
عَلَيْكُمْ وَلَكِنْ مَكْشُوفًا فَاسْتَهْوِرُوا مُجَاهِرِينَ بِهِ ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ ذَلِكَ الْأَمْرَ الَّذِينَ تَرُومُونَ
بِي أَيْ أَدُّوا إِلَيَّ قَطْعَهُ وَتَصْحِيحَهُ كَقَوْلِهِ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَوْ أَدُّوا إِلَيَّ مَا هُوَ حَقٌّ
عَلَيْكُمْ مِنْ إِهْلَاكِي كَمَا يَقْضِي الرَّجُلُ غَرِيمَهُ وَلَا تُنْظِرُونِ وَلَا تُمْهِلُونِ وَقُرِئَ ثُمَّ افْضُوا
إِلَيَّ بِالْفَاءِ يَعْنِي ثُمَّ انْتَهُوا إِلَيَّ بِشَرِّكُمْ وَقِيلَ مِنْ اقْضِ الدَّجْلِ إِذَا خَرَجَ إِلَى الْفَضَاءِ أَيِ اصْحَرُوا
إِلَيَّ بِهِ وَابْرُزُوهُ لِي فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنْ أَعْرَضْتُمْ عَنْ تَذْكِيرِي وَنَصِيحَتِي وَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ
فَمَا كَانَ عِنْدِي مَا يُنَفِّرُكُمْ عَنِّي وَيَسْتَهْوِينِي لِأَجْلِهِ مِنْ طَمَعٍ فِي أَمْوَالِكُمْ وَطَلَبِ أَجْرٍ عَلَى عِظَتِكُمْ
إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ الثَّوَابُ الَّذِي يُثِيبُنِي بِهِ فِي الْآخِرَةِ أَيْ مَا نَصَحْتُكُمْ إِلَّا لِوَجْهِ
اللَّهِ تَعَالَى لَا لِغَرَضٍ مِنْ أَغْرَاضِ الدُّنْيَا وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ لَا يَأْخُذُونَ
عَلَى تَعْلِيمِ الدِّينِ شَيْئًا وَلَا يَطْلُبُونَ بِهِ دُنْيَا يُرِيدُونَ أَنَّ ذَلِكَ مُقْتَضَى الْإِسْلَامِ وَالَّذِي
كَلَّفَنِي مَا كَلَّفَ وَالْمُرَادُ أَنْ يَجْعَلَ الْحُجَّةَ لَازِمَةً لَهُمْ وَيُبَرِّئَ سَاحَتَهُ فَذَكَّرَ أَنَّ تَوَلِّيَهُمْ
لَمْ يَكُنْ عَنْ تَفْرِيطٍ فِي سَوْقِ الْأَمْرِ مَعَهُمْ عَلَى الطَّرِيقِ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يُسَاقَ عَلَيْهِ وَإِنَّمَا ذَلِكَ
لِعِنَادِهِمْ وَتَعَمُّدِهِمْ لِلْغَدْرِ فَكَذَّبُوهُ فَتَصَدَّوْا عَلَى تَكْذِيبِهِمْ وَكَانَ تَكْذِيبُهُمْ لَهُ فِي أَخَذِ الْمَيْثَاقِ
كَتَكْذِيبِهِمْ فِي أَوَّلِهَا وَذَلِكَ عِنْدَ مُشَارَفَةِ الْهَلَاكِ بِالطُّوفَانِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ
يَخْلُفُونَ الْهَالِكِينَ بِالْغَرَقِ كَيْفَ يَكُونُ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ تَعْظِيمٌ لِمَا جَرَى عَلَيْهِمْ وَتَحْذِيرٌ
لِمَنْ أَنْذَرَهُمْ رَسُولُ التَّبَعِ مِثْلَهُ وَتَسْلِيَةٌ لَهُ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ إِلَى قَوْمِهِ هُمْ
يَعْنِي هُودًا وَصَالِحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَلُوطًا وَشُعَيْبًا فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ بِالْحُجَجِ الْوَاضِحَةِ الْمُثْبِتَةِ
لِدَعْوَاهُمْ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا فَمَا كَانَ إِيمَانُهُمْ لِامْتِنَاعِهِ كَالْمُحَالِ لِشِدَّةِ شَكِيمَتِهِمْ فِي الْكُفْرِ
وَتَصْمِيمِهِمْ عَلَيْهِ بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ بِدِيدَنِهِمْ كَانُوا قَبْلَ بَعْثَةِ الرُّسُلِ أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ
مُكَذِّبِينَ بِالْحَقِّ فَمَا وَقَعَ فَصْلٌ بَيْنَ حَالَتِهِمْ بَعْدَ بَعْثَةِ الرُّسُلِ وَقَبْلَهَا كَأَنْ لَمْ يُبْعَثْ
إِلَيْهِمْ أَحَدٌ كَذَلِكَ نَطْبَعُ مِثْلَ ذَلِكَ الطَّبْعِ الْمُحْكَمِ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ وَالطَّبْعُ
جَارٍ مَجْرَى الْكِنَايَةِ عَنْ عِنَادِهِمْ وَلَجَاجِهِمْ لِأَنَّ الْخِذْلَانَ يَتْبَعُهُ الْأَتْرَى كَيْفَ أَسْنَدَ إِلَيْهِمُ
الِاعْتِدَاءَ وَوَصَفَهُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ الرُّسُلِ بِآيَاتِنَا بِالْآيَاتِ التِّسْعِ فَاسْتَكْبَرُوا عَنْ

قَبُولِهَا

قَبُولِهَا وَهُوَ أَعْظَمُ الْكِبْرِ أَنْ يَتَهَاوَنَ الْعَبِيدُ بِرِسَالَةِ رَبِّهِمْ بَعْدَ تَبْيِينِهَا وَيَتَعَظَّمُوا عَنْ
تَقَبُّلِهَا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ كُفَّارًا ذَوِي آثَامٍ عِظَامٍ فَلِذَلِكَ اسْتَكْبَرُوا عَنْهَا وَاجْتَرَءُوا
عِنْدَ ذَا عَلَى رَدِّهَا فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا وَهُمُ الْعَالِمُونَ فَلَمَّا عَرَفُوا أَنَّ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَا مِنْ قِبَلِ مُوسَى
وَهَرُونَ قَالُوا لِجَهْلِهِمُ الشُّبُهَاتِ إِنْ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ لَا حَقَّ أَبْعَدُ شَيْءٍ
مِنَ السِّحْرِ الَّذِي لَيْسَ إِلَّا تَمْوِيهًا وَبَاطِلًا فَإِنْ قُلْتَ هَلَّا قَطَعُوا بِقَوْلِهِمْ إِنَّ هَذَا
لَسِحْرٌ مُبِينٌ عَلَى أَنَّهُ سِحْرٌ فَكَيْفَ قِيلَ لَهُمْ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ أَسِحْرٌ هَذَا قُلْتُ فِيهِ
وَجْهَانِ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ أَتَعِيبُونَهُ وَتَطْعَنُونَ فِيهِ وَكَانَ عَلَيْكُمْ
أَنْ تُذْعِنُوا لَهُ وَتُعْطُوهُ مِنْ قُوَّتِكُمْ فُلَانٌ يُحَابِي الْقَالَةَ وَبَيْنَ النَّاسِ تُقَاوِلُ
إِذَا قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ مَا يَسُوءُهُ وَنَحْوُ الْقَوْلِ الذِّكْرُ فِي قَوْلِهِ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ
ثُمَّ قَالَ أَسِحْرٌ هَذَا فَأَنْكَرَ مَا قَالُوهُ فِي عَيْبِهِ وَالطَّعْنِ عَلَيْهِ وَأَنْ يُحْذَفَ مَفْعُولُ
أَتَقُولُونَ وَهُوَ مَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُمْ إِنْ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ كَأَنَّهُ قِيلَ أَتَقُولُونَ مَا
تَقُولُونَ يَعْنِي قَوْلَهُمْ إِنْ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ ثُمَّ قِيلَ أَسِحْرٌ هَذَا وَأَنْ تَكُونَ جُمْلَةُ قَوْلِهِ
أَسِحْرٌ هَذَا فَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ حِكَايَةً لِكَلَامِهِمْ كَأَنَّهُمْ قَالُوا أَجِيئَنَا بِالسِّحْرِ تَطْلُبَانِ بِهِ
الْفَلَاحَ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ كَمَا قَالَ مُوسَى لِلسَّحَرَةِ مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ
لِتَلْفِتَنَا لِتَصْرِفَنَا وَاللَّفْتُ وَالْقَلْتُ أَخَوَانِ وَمَطَاوِعُهُمَا الِالْتِفَاتُ وَالِانْعِتَالُ
عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا يَعْنُونَ عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ أَيِ الْمُلْكُ
لِأَنَّ الْمُلُوكَ مَوْصُوفُونَ بِالْكِبْرِ وَلِذَلِكَ قِيلَ لِلْمَلِكِ الْجَبَّارِ وُصِفَ بِالصِّيدِ وَالشُّوسِ
وَلِهَذَا وَصَفَ ابْنُ الدُّمَيْنَةِ مُصْعَبًا فِي قَوْلِهِ "مَلِكٌ عُرَافَةٌ لَيْسَ فِيهِ جَبَرُوتٌ
مِنْهُ وَلَا كِبْرِيَاءُ" بِنَفْيِ مَا عَلَيْهِ الْمُلُوكُ مِنْ ذَلِكَ وَيَجُوزُ أَنْ يُقْصَدَ وَا
دَّعَيَا وَأَنَّهُمَا أَنَّ مُلْكَا أَرْضِ مِصْرَ جَبَرُوتٌ وَكِبْرٌ كَمَا قَالَ الْقِبْطِيُّ لِمُوسَى إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ
جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ أَيْ مُصَدِّقِينَ لَكُمَا فِيمَا جِئْتُمَا بِهِ وَقُرِئَ
يَطْبَعُ وَيَكُونُ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ بِالْيَاءِ مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ مَا مَوْصُولَةٌ وَاقِعَةٌ مُبْتَدَأٌ وَالسِّحْرُ
خَبَرُهُ أَيِ الَّذِي جِئْتُمْ بِهِ هُوَ السِّحْرُ لَا الَّذِي سَمَّاهُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ سِحْرًا مِنْ آيَاتِ اللَّهِ
وَقُرِئَ السِّحْرُ عَلَى الِاسْتِفْهَامِ فَعَلَى مَنْ قَرَأَ مَا بِالِاسْتِفْهَامِ مَبْنِيَّةٌ أَيْ أَيَّ شَيْءٍ جِئْتُمْ بِهِ أَهُوَ
السِّحْرُ وَقَرَأَ عَبْدُ اللَّهِ مَا جِئْتُمْ بِهِ سِحْرٌ وَقَرَأَ أُبَيٌّ مَا أَتَيْتُمْ بِهِ سِحْرٌ وَالْمَعْنَى لَمَّا أَتَيْتُ

انما صعب عليهم التصديق بموجب ما ظهر لهم

عمل المفسدين

به ان الله سيبطله سيمحقه او يظهر بطلانه باظهار المعجزة على الشعوذة لا يصلح
لا يثبته ولا يديمه ولكن يسلط عليه الدمار ويحق الله الحق ويثبته بكلماته
باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته بامره ومشيته فما آمن لموسى في اول امره الا ذرية
من قومه الا طايفة من ذراري بني اسرائيل كانه قيل الا اولاد من اولاد قومه وذلك
انه دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون واجابته طايفة من ابنائهم مع الخوف
وقيل الضمير في قومه لفرعون والذرية مؤمن آل فرعون وآسية امرأته وخازنه وامرأة
خازنه وماشطته فان قلت الام يرجع الضمير في قوله وملائهم قلت الى فرعون بمعنى آل
فرعون كما يقال ربيعة ومضر او لانه ذو اصحاب يأتمرون له ويجوز ان يرجع الى الذرية
اي على خوف من فرعون وخوف من اشراف بني اسرائيل لانهم كانوا يمنعون اعقابهم خوفا من
فرعون عليهم وعلى انفسهم ويدل عليه قوله ان يفتنهم يريد ان يعذبهم لعال في الارض
لغالب فيها قاهر وانه لمن المسرفين في الظلم والفساد وفي الكبر والعتو بادعائه
الربوبية ان كنتم آمنتم بالله صدقتم به وبآياته فعليه توكلوا فاليه اسندوا امركم في
العصمة من فرعون ثم شرط في التوكل الاسلام وهو ان يسلموا نفوسهم لله اي يجعلوها
له سالمة خالصة لا حظ للشيطان فيها لان التوكل لا يكون مع التخليط ونظيره في
في الكلام ان ضربك زيد فاضربه ان كانت بك قوة فقالوا على الله توكلنا انما قالوا
ذلك لان القوم كانوا مخلصين لا جرم ان الله سبحانه قبل توكلهم واجاب دعاءهم
ونجاهم واهلك من كانوا يخافونه وجعلهم خلفاء في ارضه فمن اراد ان يصلح للتوكل
على ربه والتفويض اليه فعليه برفض التخليط الى الاخلاص لا تجعلنا فتنة
موضع فتنة لهم اي عذاب يعذبوننا ويفتنوننا عن ديننا او فتنة لهم يفتنون
بنا ويقولون لو كان هؤلاء على الحق لما اصيبوا تبوأ المكان اتخذه مباءة كقولك
توطنه اذا اتخذه وطنا والمعنى اجعلا بمصر بيوتا من بيوته مباءة لقومكما ومرجعا
يرجعون اليه للعبادة والصلوة فيه واجعلوا بيوتكم تلك قبلة اي مساجد متوجهة
نحو القبلة وهي الكعبة وكان موسى ومن معه يصلون الى الكعبة وكانوا في اول امرهم ما
مأمورين بان يصلوا في بيوتهم خفية من الكفرة لئلا يظهروا عليهم فيؤذوهم ويفتنوهم
عن دينهم كما كان المؤمنون على ذلك اول الاسلام بمكة فان قلت كيف نوع الخطاب

فثنى

فثنى اولا ثم جمع ثم وحد آخرا قلت خوطب موسى وهارون عليهما السلام ان يتبوآ لقومكما
بيوتا ويختاراها للعبادة وذلك مما يفوض الى الانبياء ثم سيق الخطاب عاما لهما ولقومهما با
باتخاذ المساجد والصلوة فيها لان ذلك واجب على الجمهور ثم خص موسى صلوات الله عليه
بالبشارة التي هي الغرض تعظيما لها وللمبشر بها الزينة ما يتزين به من لباس او حلي
او فرش او اثاث او غير ذلك وعن ابن عباس كانت لهم من فسطاط مصر الى ارض الحبشة
جبال فيها معادن من ذهب وفضة وزبرجد وياقوت فان قلت ما معنى قوله ربنا
ليضلوا عن سبيلك قلت هو دعاء بلفظ الامر لقوله ربنا اطمس واشدد وذلك
انه انه لما عرض عليهم آيات الله وبيناته عرضا مكررا وردد عليهم النصائح والمواعظ زمانا
طويلا وحذرهم عذاب الله وانتقامه وانذرهم عاقبة ما كانوا عليه من الكفر والضلال
المبين ورآهم لا يزيدون على عرض الآيات الا كفرا وعلى الانذار الا استكبارا وعلى
النصيحة الا نبوا ولم يبق له مطمع فيهم وعلم بالتجربة وطول الصحبة انه لا يجيء منهم الا الغي
والضلال وان ايمانهم كالمحال الذي لا يدخل تحت الصحة او علم ذلك بوحي من الله
اشتد غضبه عليهم وافرط مقته وكراهته لحالهم فدعا الله عليهم بما علم انه لا يكون
غيره كما تقول لعن الله ابليس واخزى الله الكفرة مع علمك انه لا يكون غير ذلك
وليشهد عليهم بانه لم تبق له فيهم حيلة وانهم لا يستأهلون الا ان يخذلوا ويخلى بينهم
وبين ضلالهم يتسكعون فيه كانه قال ليثبتوا على ما هم عليه من الضلال وليكونوا
ضلالا وليطبع الله على قلوبهم فلا يؤمنوا وما علي منهم هم احق بذلك واحق كما يقول
الاب المشفق لولده الشاطر اذا لم يقبل منه حسرة على ما فاته من قبول نصيحته
وحردا لا ان يريد خلاعته واتباعه هواه ومعنى الشد على القلوب الاستيثاق منها حتى
لا يدخلها الايمان غضبا فلا يؤمنوا جواب للدعاء الذي هو اشدد او دعاء بلفظ النهي وقد
حملت اللام في ليضلوا على التعليل على انهم جعلوا نعمة الله سببا في الضلال فكانهم
اوتوها ليضلوا وقوله فلا يؤمنوا عطف على ليضلوا وقوله ربنا اطمس على اموالهم
واشدد على قلوبهم دعاء معترض بين المعطوف والمعطوف عليه وقرأ الفضل الرقاشي
آانك آتيت على الاستفهام واطمس قرئ دعواتكما قيل كان موسى يدعو وهرون
يؤمن ويجوز ان يكونا جميعا يدعوان والمعنى ان دعاءكما مستجاب وما طلبتها كائن

ولكن في وقته **فاستقيما** فاثبتا على ما انتما عليه من الدعوة والزيادة في الزام الحجة فقد
لبث نوح في قومه الف عام الا قليلا فلا تستعجلا قال ابن جريج فمكث موسى بعد الدعاء
اربعين سنة **ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون** اي لا تتبعا طريق الجهلة لعادة
الله في تعليقه الامور بالمصالح ولا تعجلا فان العجلة ليست بمصلحة وهذا كما قال لنوح
عليه السلام اني اعظك ان تكون من الجاهلين وقرئ ولا تتبعان بالنون الخفيفة وكسرها
لالتقاء الساكنين تشبيها بنون التثنية وبتخفيف التاء من تبع قرأ الحسن وجوزنا من
اجاز المكان وجاوزه وجوزه وليس من جوز الذي في بيت الاعشى واذا تجوزها
حبال قبيلة لانه لو كان منه لكان حقه ان يقال وجوزنا ببني اسرائيل في البحر
كما قال كما جوز السكي في الباب فيتق **فاتبعهم** فلحقهم يقال تبعته حتى اتبعته
وقرأ الحسن وعدوا وقرئ انه بالفتح على حذف الباء التي هي صلة الايمان وانه بالكسر
على الاستيناف بدلا من آمنت كرر المحذول المعنى الواحد ثلث مرات في ثلث عبارات
حرصا على القبول ثم لم يقبل منه حيث اخطأ وقته وقاله حين لم يبق له اختيار قط
وكانت المرة الواحدة كافية في حال الاختيار وعند بقاء التكليف **الآن** اتؤمن الساعة
في وقت الاضطرار حين ادرك الغرق وايست من نفسك قيل قال ذلك حين الجمه
الغرق يعني حين اوشك ان يغرق وقيل قاله بعد ان غرق في نفسه والذي
يحكى انه قيل قال آمنت اخذ جبريل عليه السلام من حال البحر فدسه في فيه فللغضب
لله على الكافرين في وقت قد علم ان ايمانه لا ينفعه واما ما يضم اليه من قولهم خشية
ان تدركه رحمة الله فمن زيادات الباهتين لله وملايكته وفيه جهالتان
احديهما ان الايمان يصح بالقلب كايمان الاخرس فحال البحر لا يمنعه والاخرى ان
من كره ايمان الكافر واحب بقاءه على الكفر فهو كافر لان الرضا بالكفر كفر
من المفسدين من الضالين المضلين عن الايمان كقوله الذين كفروا وصدوا
عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون وروي ان جبريل
اتاه بفتيا ما قول الامير في عبد لرجل نشأ في ماله ونعمته وجحد حقه وادعى
السيادة دونه فكتب فرعون فيه يقول ابو العباس الوليد بن مصعب جزاء
العبد الخارج على سيده الكافر نعماه ان يغرق في البحر فلما الجمه الغرق ناوله جبريل

والصواب ان الرضا بكفر نفسه كفر لا كفر مطلقا

خطه

خطه فعرفه **ننجيك** بالتشديد والتخفيف نبعدك مما وقع فيه قومك من قعر البحر وقيل نلقيك
بنجوة من الارض وقرئ ننحيك بالحاء نلقيك بناحية مما يلي البحر وذلك انه طرح بعد الغرق
بجانب البحر قال كعب رماه الماء الى الساحل كانه **ببدنك** في موضع الحال اي في الحال التي
لا روح فيك وانما انت بدن او ببدنك كاملا سويا لم ينقص منه شيء ولم يتغير او
عريانا لست الا بدنا من غير لباس قال عمرو بن معدي كرب
اعادل شكتي بدني وسيفي وكل مقلص سلس القياد
وكانت له درع من ذهب يعرف بها وقرأ ابو حنيفة رح بابدانك وهو على وجهين
اما ان يكون مثل قولهم هوى باجرامه يعني ببدنك كله وافيا باجزائه او يريد
بدروعك كانه كان مظاهرا بينها **لمن خلفك آية** لمن وراءك من الناس علامة
وهم بنو اسرائيل وكان في انفسهم ان فرعون اعظم شانا من ان يغرق وروي انهم قالوا
ما مات فرعون ولا يموت ابدا وقيل اخبرهم موسى عليه السلام بهلاكه فلم يصدقوه فالقاه
الله على الساحل حتى عاينوه وكان مطرحه كان على ممر من بني اسرائيل حتى قيل لمن خلفك
وقيل لمن خلفك لمن يأتي بعدك من القرون ومعنى كونه آية ان يظهر للناس عبوديته
ومهانته وان ما كان يدعيه من الربوبية باطل محال وانه مع ما كان فيه من عظم
الشان وكبرياء الملك آل امره الى ما ترون لعصيانه ربه فما الظن بغيره او لتكون
عبرة تعتبر بها الامم بعدك فلا يجترئوا على نحو ما اجترأت عليه اذا سمعوا بحالك وهوانك
على الله وقرئ لمن خلقك بالقاف اي ولتكون لخالقك آية كسائر آياته ويجوز ان
يراد ليكون طرحك على الساحل وجدك وتميزك من بين المغرقين لئلا يشتبه على
الناس امرك ولئلا يقولوا لادعائك العظيمة ان مثله لا يغرق ولا يموت آية من
آيات الله التي لا يقدر عليها غيره وليعلموا ان ذلك تعمد منه لاماطة الاذى الشبهة في امرك
مبوأ صدق منزلا صالحا مرضيا وهو مصر والشام **مما اختلفوا في دينهم** وما
تشعبوا فيه شعبا الا من بعد ما قرأوا التورية وكسبوا العلم بدين الحق ولزمهم
الثبات عليه واتحاد الكلمة وعلموا ان الاختلاف فيه تفرق عنه وقيل العلم بمحمد صلعم
واختلاف بني اسرائيل وهم اهل الكتاب اختلافهم في صفته ونعته وانه هو ام ليس
بعد ما جاءهم العلم والبيان انه هو لم يرتابوا فيه كما قال الله تعالى يعرفونه

كما يعرفون ابناءهم فان قلت كيف قال لرسوله صلى الله عليه وسلم فان كنت في شك مما انزلنا اليك مع قوله في الكفرة وانهم لفي شك منه مريب قلت فرق عظيم بين قوله وانهم لفي شك منه مريب باثبات الشك لهم على سبيل التاكيد والتحقيق وبين قوله فان كنت في شك بمعنى الفرض والتمثيل كانه قيل فان وقع لك شك مثلا وخيل لك الشيطان خيالا منه تقديرا فسال الذين يقرؤن الكتاب والمعنى ان الله عز وجل قدم ذكر بني اسرائيل وهم قراءة الكتاب ووصفهم بان العلم فدجاءهم لان امر رسول الله مكتوب عندهم في التوراة والانجيل وهم يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فاراد ان يوكد علمهم بصحة القرآن وصحة نبوة محمد عليه السلام ويبالغ في ذلك فقال فان وقع لك شك فرضا وتقديرا وسبيل من حالته شبهة في الدين ان يسارع الى حلها واماطتها اما بالرجوع الى قوانين الدين وادلته واما بمفاوضة العلماء المتبحرين عالحق فسال علماء اهل الكتاب يعني انهم من الاحاطة بصحة ما انزل اليك وقتلها علما بحيث يصلحون لمراجعة مثلك ومسالة لانهم فضلا عن غيرك فالغرض وصف الاخبار بالرسوخ في العلم بصحة ما انزل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا وصف رسول الله بالشك فيه ثم قال لقد جاءك الحق من ربك اي ثبت عندك بالايات والبراهين القاطعة ان ما اتاك هو الحق الذي لا مدخل فيه للمرية فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله اي فاثبت ودم على ما انت عليه من انتفاء المرية عنك والتكذيب بايات الله ويجوز ان يكون على طريقة التهييج والالهاب كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا يصدنك عن آيات الله بعد اذ انزلت اليك ولزيادة التثبيت والعصمة ولذلك قال عليه السلام عند نزوله لا اشك ولا اسال بل اشهد انه الحق وعن ابن عباس لا والله ما شك طرفة عين ولا سال احدا منهم وقيل خوطب رسول الله والمراد خطاب امته ومعناه فان كنتم في شك مما انزلنا اليكم كقوله وانزلنا اليكم نورا مبينا وقيل الخطاب للسامع ممن يجوز عليه الشك كقول العرب اذا عز اخوك فهن وقيل ان للنفي اي فما كنت في شك فسل يعني لا تمتر بالسؤال لانك شاك ولكن لتزداد يقينا كما ازداد ابراهيم بمعاينة احياء الموتى وقري فاسئل الذين يقرؤون الكتب حقت عليهم كلمة ربك ثبت عليهم قول الله الذي كتبه في اللوح واخبر به الملائكة انهم يموتون كفارا فلا يكون غيره وتلك كتابة معلوم لاكتابة مقدر ومراد بعالي التعجب ذلك فلولا كانت

قرية فهلا كانت قرية واحدة من القرى التي اهلكناها تابت عن الكفر واخلصت الايمان قبل المعاينة وقت بقاء التكليف ولم تؤخر كما اخر فرعون الى ان اخذ فنفعها ايمانها بان يقبله الله منها لوقوعه في وقت الاختيار وقراءة ابي وعبد الله فهلا كانت الا قوم يونس استثناء من القرى لان المراد اهاليها وهو استثناء منقطع بمعنى ولكن قوم يونس لما آمنوا ويجوز ان يكون متصلا والجملة في معنى النفي كانه قيل ما آمنت قرية من القرى الهالكة الا قوم يونس وانتصابه على اصل الاستثناء وقري بالرفع على البدل روي عن الحسن والكلبي روي ان يونس عليه السلام بعث الى نينوى من ارض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا فلما قفد وخافوا نزول العذاب قلبوا المسوح وعجوا اربعين ليلة وقيل لهم يونس ان اجلكم اربعون ليلة فقالوا ان راينا اسباب الهلاك آمنا به فلما مضت خمس وثلثون اغامت السماء غيما اسود هايلا يدخن دخانا شديدا ثم هبط حتى غشي مدينتهم وسوّد سطوحهم فلبسوا المسوح وبدروا الى الصعيد بانفسهم وبنيهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان وبين الدواب واولادها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج واظهروا الايمان والتوبة وتضرعوا فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة وعن ابن مسعود بلغ من توبتهم ان تردوا المظالم حتى ان الرجل كان يقتلع الحجر وقد وضع عليه اساس بنايه فيردّه وقيل خرجوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال لهم قولوا ياحي حين لا حي وياحي محي الموتى وياحي لا اله الا انت فقالوها فكشف عنهم وعن الفضيل بن عياض قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت اعظم منا واجل افعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله ولو شاء ربك مشيئة القسر والالجاء لآمن من في الارض كلهم على وجه الاحاطة والشمول جميعا مجتمعين على الايمان مطبقين عليه لا يختلفون فيه الا تري الى قوله افانت تكره الناس يعني انما يقدر على اكراههم واضطرارهم الى الايمان هو لا انت وايلاء الاسم حرف الاستفهام للاعلام بان الاكراه ممكن مقدور عليه وانما الشان في الكره من هو وما هو الا هو وحده لا يشارك فيه لانه هو القادر على ان يفعل في قلوبهم ما يضطرون عنده الى الايمان

وذلك غير مستطاع للبشر وما كان لنفس يعني من النفوس التي علم انها تؤمن الا باذن الله
اي بتسهيله وهو منع الالطاف ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون قابل الاذن بالرجس
وهو الخذلان والنفس المعلوم ايمانها بالذين لا يعقلون وهم المصرون على الكفر كقوله صم بكم
عمي فهم لا يعقلون وسمي الخذلان رجسا وهو العذاب لانه سببه وقرئ الرجز بالزاي
وقرئ ونجعل بالنون ماذا في السموات والارض من الآيات والعبر وما تغني الآيات والنذر
والرسل المنذرون او الانذارات عن قوم لا يؤمنون لا يتوقع ايمانهم وهم لا يعقلون وقرئ
وما يغني بالياء وما نافية او استفهامية ايام الذين خلوا من قبلهم وقايع الله فيهم
كما يقال ايام العرب لوقايعها ثم ننجي رسلنا على حكاية الاحوال الماضية والذين
آمنوا ومن آمن معهم كذلك ننجي المؤمنين مثل ذلك الانجاء ننجي المؤمنين
منكم ونهلك المشركين وحقا علينا اعتراض يعني حق ذلك علينا حقا وقرئ ننجي بالتشديد
يا ايها الناس يا اهل مكة ان كنتم في شك من ديني وصحته وسداده فهذا ديني فاسمعوا
وصفه واعرضوه على عقولكم وانظروا فيه بعين الانصاف لتعلموا انه دين لا مدخل فيه
للشك وهو اني لا اعبد الحجارة التي تعبدونها من دون من هو آلهكم وخالقكم ولكن
اعبد الله الذي يتوفاكم وانما وصفه بالتوفي ليريهم انه الحقيق بان يخاف ويتقى
فيعبد دون ما لا يقدر على شيء وامرت ان اكون من المؤمنين يعني ان الله
امرني بذلك بما ركب في من العقل وبما اوحى الي في كتابه وقيل معناه ان كنتم
في شك من ديني ومما انا عليه اثبت عليه ام اتركه واوافقكم فلا تحدثوا انفسكم
بالمحال ولا تشكوا في امري واقطعوا عني اطماعكم واعلموا اني لا اعبد الذين تعبدون
من دون الله ولا اختار الضلالة على الهدى كقوله قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما
تعبدون وامرت ان اكون اصله بان اكون فحذف الجار وهذا الحذف يحتمل ان
يكون من الحذف المطرد الذي هو حذف الحروف الجارة مع ان وان وان يكون من
من الحذف غير المطرد وهو قوله امرتك الخير فاصدع بما تؤمر فان قلت عطف
قوله وان اقم على ان اكون فيه اشكال لان ان لا تخلو من ان تكون التي للعبارة او التي
تكون مع الفعل في تاويل المصدر فلا يصح ان تكون للعبارة وان كان الامر مما يتضمن
معنى القول لان عطفها على الموصولة يابى ذلك والقول بكونها موصولة مثل الاولى

لا يساعد

لا يساعد عليه لفظ الامر وهو اقم لان الصلة حقها ان تكون جملة يحتمل الصدق والكذب
قلت قد سوغ سيبويه ان توصل ان بالامر والنهي وشبه ذلك بقولهم انت الذي
تفعل على الخطاب لان الغرض وصلها بما تكون معه في معنى المصدر والامر والنهي دالان
على المصدر دلالة غيرهما من الافعال اقم وجهك استقم اليه ولا تلتفت يمينا ولا شمالا
وحنيفا حال من الدين او من الوجه فان فعلت معناه فان دعوت من دون الله ما
لا ينفعك ولا يضرك فكن عنه بالفعل ايجازا فانك اذا من الظالمين اذا جزاء للشرط
وجواب لسؤال مقدر كان سائلا سال عن تبعة عبادة الاوثان وجعل من الظالمين
لانه لا ظلم اعظم من الشرك ان الشرك لظلم عظيم اتبع النهي عن عبادة الاوثان ووصفها
بانها لا تنفع ولا تضر ان الله عز وجل هو الضار النافع الذي ان اصابك بضر لم يقدر
على كشفه الا هو وحده دون كل احد فكيف بالجماد الذي لا شعور به وكذلك ان ارادك
بخير لم يرده احد ما يريده بك من فضله واحسانه فكيف بالاوثان فهو الحقيق
اذن ان توجه اليه العبادة دونها وهو ابلغ من قوله ان ارادني الله بضر هل
هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته فان قلت لم ذكر
المس في احدهما والارادة في الثاني قلت كانه اراد ان يذكر الامرين جميعا الارادة
والاصابة في كل واحد من الضر والخير وانه لا راد لما يريد منهما ولا مزيل لما يصيب
به منهما فاوجز الكلام بان ذكر المس وهو الاصابة في احدهما والارادة في الآخر
ليدل بما ذكر على ما ترك على انه قد ذكر الاصابة بالخير في قوله يصيب به من يشاء
من عباده والمراد بالمشية مشية المصلحة قد جاءكم الحق فلم يبق لكم عذر ولا على
الله حجة فمن اختار الهدى واتباع الحق فما نفع باختياره الا نفسه فمن آثر
الضلال فما ضر الا نفسه واللام وعلى دلا على معنى النفع والضرر وكل اليهم الامر
بعد ابانة الحق وازاحة العلل وفيه حث على ايثار الهدى واطراح الضلال
مع ذلك مع كونه موكولا اليهم وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول الي امركم وحملكم على ما اريد انما انا بشير
ونذير واصبر على دعوتهم واحتمال اذاهم واعتراضهم حتى يحكم الله لك بالنصر عليهم و
والغلبة وروي انها لما نزلت جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصار فقال انكم ستجدون
بعدي اثرة فاصبروا حتى تلقوني يعني اني امرت في هذه الآية بالصبر على ما سامتني الكفرة

فصبرت فاصبروا انتم على ما يسومكم الامراء الجورة قال انس فلم نصبر وروي ان ابا قتادة رضي الله عنه
تخلف عن تلقي معاوية حين قدم المدينة وقد تلقته الانصار ثم دخل عليه فقال له مالك
لم تتلقنا قال لم تكن عندنا دواب قال فاين النواضح قال قطعناها في طلبك وطلب ابيك يوم
بدر وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار انكم ستلقون بعدي اثرة قال
معوية فماذا قال قال فاصبروا حتى تلقوني قال فاصبر قال اذن نصبر
فقال عبد الرحمن بن حسان ۞ الا ابلغ معوية بن حرب ۞ امير الظالمين نثا كلامي
بانا صابرون فمنظروكم ۞ الى يوم التغابن والخصام ۞ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة يونس اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق يونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون

سورة هود مكية وهي مائة وثلث وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم احكمت آياته نظمت نظما رصينا
محكما لا يقع فيه نقض ولا خلل كالبناء المحكم المرصف ويجوز ان يكون نقلا بالهمزة
من حكم بضم الكاف اذا صار حكيما اي جعلت حكيمة كقوله آيات الكتاب الحكيم
وقيل منعت من الفساد من قولهم احكمت الدابة اذا وضعت عليها الحكمة لتمنعها
من الجماح قال جرير ۞ ابني حنيفة احكموا سفهاءكم ۞ اني اخاف عليكم ان اغضبا
وعن قتادة احكمت من الباطل ثم فصلت كما تفصل القلايد بالفوايد من دلايل التوحيد
والاحكام والمواعظ والقصص او جعلت فصولا سورة سورة وآية آية او فرقت
في التنزيل ولم تنزل جملة واحدة او فصل فيها ما يحتاج اليه العباد اي بين ولخص
وقرئ احكمت آياته ثم فصلت اي احكمتها انا ثم فصلتها وعن عكرمة والضحاك
ثم فصلت اي فرقت بين الحق والباطل فان قلت ما معنى ثم قلت ليس معناها التراخي
في الوقت ولكن في الحال كما تقول هي محكمة احسن الاحكام ثم مفصلة احسن التفصيل
وفلان كريم الاصل ثم كريم الفعل وكتاب خبر مبتدا محذوف واحكمت صفة له
وقوله من لدن حكيم خبير صفة ثانية ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر وان يكون
صلة لاحكمت وفصلت اي من عنده احكامها وتفصيلها وفيه طباق حسن لان
المعنى احكمها حكيم وفصلها اي بينها وشرحها خبير عالم بكيفيات الامور ان لا
تعبدوا مفعول له على معنى لان لا تعبدوا او تكون ان مفسرة لان في تفصيل

الآيات معنى القول كانه قيل قال لا تعبدوا الا الله او امركم الا الله او امركم الا تعبدوا
وان استغفروا اي امركم بالتوحيد والاستغفار ويجوز ان يكون كلاما مبتدا منقطعا عما قبله
على لسان النبي صلى الله عليه وسلم اغراء منه على اختصام الله بالعبادة ويدل عليه قوله انني لكم منه
نذير وبشير كانه قال ترك عبادة غير الله انني لكم منه نذير كقوله تعالى فضرب الرقاب
والضمير في منه لله عز وجل اي انني لكم نذير وبشير من جهته كقوله رسول من الله او هي صلة
لنذير اي انذركم منه ومن عذابه ان كفرتم وابشركم بثوابه ان آمنتم فان قلت ما معنى
ثم في قوله ثم توبوا اليه قلت معناه استغفروا من الشرك ثم ارجعوا اليه بالطاعة او
او استغفروا والاستغفار توبة ثم اخلصوا التوبة واستقيموا عليها ثم استقاموا يمتعكم
يطول نفعكم في الدنيا بمنافع حسنة مرضية من عيشة واسعة ونعمة متتابعة الى اجل
مسمى الى ان يتوفاكم كقوله فلنحيينه حيوة طيبة ويؤت كل ذي فضل فضله ويعط في الآخرة
كل من كان له فضل في العمل وزيادة فيه جزاء فضله لا يبخس منه او فضله في الثواب
والدرجات تتفاضل في الجنة على قدر تفاضل الطاعات وان تولوا وان تتولوا
عذاب يوم كبير هو يوم القيامة وصف بالكبر كما وصف بالعظم والثقل وبين عذاب
يوم الكبير بان مرجعهم الى من هو قادر على كل شيء فكان قادرا على اشد ما اراد من عذابهم
لا يعجزه وقرئ فان تولوا من ولى يثنون صدورهم يزورون عن الحق وينحرفون
لان من اقبل على الشيء استقبله بصدره ومن ازور عنه وانحرف ثنى عنه صدره
وطوى عنه كشحه ليستخفوا منه يعني ويريدون ليستخفوا من الله فلا يطلع رسوله
والمؤمنين على ازورارهم ونظير اضمار يريدون لقود المعنى الى اضماره الاضمار في قوله
تعالى اضرب بعصاك الحجر فانفلق معناه فضرب فانفلق ومعنى الا حين يستغشون ثيابهم
ويريدون الاستخفاء حين يستغشون ثيابهم ايضا كراهة لاستماع كلام الله كقول نوح
عليه السلام جعلوا اصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم ثم قال يعلم ما يسرون
وما يعلنون يعني انه لا تفاوت في علمه بين اسرارهم واعلانهم فلا وجه لتوصلهم
الى ما يريدون من الاستخفاء والله مطلع على ثنيهم صدورهم واستغشائهم ثيابهم
ونفاقهم غير نافق عنده روي انها نزلت في الاخنس بن شريق وكان يظهر
لرسول الله المحبة وله منطق حلو وحسن سياق للحديث وكان يعجب رسول الله صلعم

مجالسته ومحادثته وهو يضمر خلاف ما يظهر وقيل نزلت في المنافقين وقرئ تثنوني صدورهم
واثنوني افعوعل من الثني كاحلولى من الحلاوة وهو بناء مبالغة وقرئ بالتاء والياء
وعن ابن عباس رضي الله عنه لتثنوني صدورهم وقرئ تثنون واصله تثنونن تفعوعل من
الثن وهو ما هش وضعف من الكلاء يريد مطاوعة صدورهم للثني كما ينثني الهش من
النبات او اراد ضعف ايمانهم ومرض قلوبهم وقرئ تثنين من اثناءن افعال منه
ثم همز كما قيل ابياءضت وادهامت وقرئ تثنوي بوزن ترعوي **فان قلت**
كيف قال على الله رزقها بلفظ الوجوب وانما هو تفضل **قلت** هو تفضل الا انه لما ضمن
ان يتفضل به عليهم رجع التفضل واجبا كنذور العباد والمستقر مكانه من به عليهم
رجع التفضل واجبا كنذور العباد والمستقر مكانه من الارض ومسكنه والمستودع حيث
كان مودعا قبل الاستقرار من صلب او رحمة او بيضة كل واحد من الدواب ورزقها
ومستقرها ومستودعها في اللوح يعني ذكرها مكتوب فيه مبين **وكان عرشه على الماء**
اي ما كان تحته خلق قبل خلق السموات والارض وارتفاعه فوقها الا الماء وفيه دليل
على ان العرش والماء كانا مخلوقين قبل السموات والارض وكان الماء على متن الريح
والله اعلم بذلك وكيف ما كان فالله ممسك كل ذلك بقدرته وكل ما ازدادت الاجرام
كانت احوج اليه والى امساكه **ليبلوكم** متعلق بخلق اي خلقهن بحكمة بالغة وهو ان
يجعلها مساكن لعباده وينعم عليهم فيها بفنون النعم ويكلفهم الطاعات واجتناب
المعاصي فمن شكر واطاع اثابه ومن كفر وعصى عاقبه ولما اشبه ذلك اختبار المختبر
قال ليبلوكم يريد ليفعل بكم ما يفعل المبتلي لاحوالكم كيف تعملون **فان قلت**
كيف جاز تعليق فعل البلوى **قلت** لما في الاختبار من معنى العلم لانه طريق اليه
فهو ملابس له كما تقول انظر ايهم احسن وجها واسمع ايهم احسن صوتا لان النظر
والاستماع من طرق العلم **فان قلت** كيف قيل ايكم احسن عملا واعمال المؤمنين هي التي
تتفاوت الى حسن واحسن فاما اعمال المؤمنين والكافرين فتفاوتهما الى حسن وقبيح **قلت**
الذين هم احسن عملا هم المتقون وهم الذين استبقوا الى تحصيل ما هو غرض الله من عباده
فخصهم بالذكر واطرح ذكر من وراءهم تشريفا لهم وتنبيها على مكانهم منه وليكون ذلك
لطفا للسامعين وترغيبا في حيازة فضلهم **وعن النبي** صلى الله عليه وسلم ليبلوكم ايكم احسن عقلا

الغرض والغرضة وهي العقدة

واورع

١٨

واورع عن محارم واسرع في طاعة الله قرئ ولئن قلت انكم مبعوثون بفتح الهمزة ووجهه
ان يكون من قولهم ايت السوق عنك تشتري لنا لحما وانك تشتري بمعنى علك
اي ولئن قلت لهم لعلكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم وظنوه ولا تبنوا القول بانكاره
لقالوا ان هذا الا سحر مبين باتين القول ببطلانه ويجوز ان يضمن قلت ذكرت ومعنى
قولهم ان هذا الا سحر مبين ان السحر امر باطل وان بطلانه كبطلان السحر تشبيها له به
او اشاروا بهذا الى القرآن لان القرآن هو الناطق بالبعث فاذا جعلوه سحرا فقد اندرج
تحته انكار ما فيه من البعث وغيره وقرئ ان هذا الا ساحر مبين يريدون الرسول
والساحر كاذب مبطل **العذاب** عذاب الآخرة وقيل عذاب يوم بدر وعن ابن عباس
قتل جبريل المستهزئين **الى امة** الى جماعة من الاوقات **ما يحبسه** ما يمنعه من النزول
استعجالا له على وجه التكذيب والاستهزاء **ويوم يأتيهم** منصوب بخبر ليس ويستدل
من يستجيز تقديم خبر ليس على ليس وذلك انه اذا جاز تقديم معمول خبرها عليها كان ذلك
دليلا على جواز تقديم خبرها اذ المعمول تابع للعامل فلا يقع الا حيث يقع العامل **وحاق**
بهم واحاط بهم **ما كانوا به يستهزؤن** العذاب الذي كانوا به يستعجلون لان
استعجالهم كان على جهة الاستهزاء والمعنى ويحيق بهم الا انه جاء على عادة الله تعالى
في اخباره **الانسان** للجنس **رحمة** نعمة من صحة وامن وجدة **ثم نزعناها منه**
اي وغنى
ثم سلبناه تلك النعمة **انه لبؤس** شديد اليأس من ان يعود اليه مثل تلك النعمة
المسلوبة قاطع رجاءه من سعة فضل الله من غير صبر ولا تسليم لقضائه ولا استرجاع
كفور عظيم الكفران لما سلف له من التقلب في نعمة الله نساء له **ذهب**
السيئات عني اي المصائب التي ساءتني **انه لفرح** بطر **فخور** على الناس
على الناس بما اذاقه الله من نعمائه قد شغله الفرح والفخر عن الشكر **الا الذين**
آمنوا وعملوا فان عادتهم ان نالتهم رحمة ان يشكروا وان زالت عنهم ان يصبروا كانوا
يقترحون عليه تعنتا لا استرشادا لانهم لو كانوا مسترشدين كانت آية واحدة
مما جاء به كافية في رشادهم ومن اقتراحاتهم لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك وكانوا
لا يعتدون بالقرآن ويتهاونون به وبغير ما جاء به من البينات فكان يضيق صدر
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يلقي اليهم ما لا يقبلونه ويضحكون منه فحرك الله منه وهيجه

يدركه المعنى والا لقال صبروا

لإداء الرسالة وطرح المبالاة بردهم واستهزائهم ولقتراحهم بعده فلعلك تارك بعض ما يوحى
اليك اي لعلك تترك ان تلقيه اليهم وتبلغه اياهم مخافة ردهم وتهاونهم به وضايق
صدرك بان تتلوه عليهم ان يقولوا مخافة ان يقولوا لولا انزل عليه كنز اي هلا انزل
عليه ما اقترحناه نحن من الكنز والملائكة ولم انزل عليه ما لا نريده ولا نقترحه ثم قال
انما انت نذير اي ليس عليك الا ان تنذرهم بما اوحي اليك وتبلغهم ما امرت بتبليغه
ولا عليك ردوا او تهاونوا او اقترحوا والله على كل شئ وكيل يحفظ ما يقولون وهو فاعل
بهم ما يجب ان يفعل فتوكل عليه وكل امرك اليه وعليك بتبليغ الوحي بقلب فسيح و
صدر منشرح غير ملتفت الى استكبارهم ولا مبال بسفههم واستهزائهم فان قلت
لم عدل عن ضيق الى ضايق قلت ليدل على انه ضيق عارض غير ثابت لان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان افسح الناس صدرا ومثله قولك زيد سيد وجواد تريد السيادة
والجود الثابتين المستقرين فاذا اردت الحدوث قلت وجاد ونحوه كاذ واعام بين
في بعض الآلات وقوله السمهري العجلي بمنزلة اما الليم فمابين هلوكيد الى الكاهل
بادٍ شحوبها ام منقطعة والضمير في افتراه لما يوحى اليك تحداهم اولا بعشر سور ثم
بسورة واحدة كما يقول المحاج في الخط لصاحبه اكتب عشرة اسطر خوما
اكتب فاذا تبين له العجز عن مثل خط قال قد اقتصرت منك على سطر واحد مثله
بمعنى امثاله ذهابا الى مماثلة كل واحدة منها له مفتريات صفة لعشر سور لما قالوا افتراه
القرآن واختلقه من عند نفسك وليس من عند الله فادوهم على دعواهم وارخى معهم
العنان وقال هبوا اني اختلقته من عند نفسي ولم يوح الي وان الامر كما
قلتم فانتم ايضا بشر مثلي لا تعجزون عن مثل ما اقدر عليه من الكلام فان قلت كيف يكون ما يأتون
به مثله وما يأتون به مفترى وهذا غير مفترى قلت معناه مثله في حسن النظم
والبيان وان كان مفترى فان قلت ما وجه جمع الخطاب بعد افراده وهو قوله
لكم فاعلموا بعد قوله قل قلت معناه فان لم يستجيبوا لك وللمؤمنين لان
رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين كانوا يتحدونهم وقد قال في موضع آخر فلم لم
يستجيبوا لك فاعلم وتجوز ان يكون الجمع لتعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم كقول الشاعر

فان يشت

فان شئت حذفت التاء سواكم ، ووجه آخر وهو ان يكون الخطاب للمشركين والضمير
في قوله لم يستجيبوا لمن استطعتم يعني فان لم يستجب لكم من تدعونه من دون الله الى
المظاهرة على المعارضة لعلمهم بالعجز عنه وان طاقتهم اقصر من ان تبلغه فاعلموا انما انزل
بعلم الله اي انزل ملتبسا بما لا يعلمه الا الله من نظم معجز للخلق واخبار بالغيوب لا سبيل
لهم اليه واعلموا عند ذلك ان لا اله الا الله وحده وان توحيده واجب والاشراك
به ظلم عظيم فهل انتم مسلمون مبايعون بالاسلام بعد هذه الحجة القاطعة وهذا وجه
حسن مطرد ومن جعل الخطاب للمسلمين فمعناه فاثبتوا على العلم الذي انتم عليه وازدادوا
يقينا وثبات قدم على انه منزل من عند الله وعلى التوحيد ومعنى فهل انتم مسلمون فهل
انتم مخلصون نوف اليهم نوصل اليهم اجور اعمالهم وافية كاملة من غير بخس في الدنيا
وهم مما يرزقون فيها من الصحة والرزق وقيل هم اهل الرياء يقال للقارئ بينهم اريد
ان يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك ولمن وصل الرحم وتصدق فعلت حتى يقال
فقيل ولمن قاتل فقتل قاتلت حتى يقال فلان جريء فقد قيل وعن انس بن مالك
هم اليهود والنصارى ان اعطوا سائلا او وصلوا رحما عجل لهم جزاءه ذلك بتوسعة
في الرزق وصحة في البدن وقيل هم الذين جاهدوا من المنافقين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاسهم لهم في الغنائم وقرئ يوف بالياء على ان الفعل لله عز وجل ونوف اليهم اعمالهم بالنون
على البناء للمفعول وفي قراءة الحسن نوفي بالتخفيف واثبات الياء لان الشرط وقع
ماضيا كقوله يقول لاغايب وحبط ما صنعوا فيها وحبط في الآخرة ما صنعوه او
صنعهم يعني لم يكن له ثواب لانهم لم يريدوا به الآخرة انما اراد وا به الدنيا وقد وفي اليهم
ما اراد وا وما كانوا يعلمون اي كان عملهم في نفسه باطلا لانه لم يعمل لوجه صحيح والعمل
الباطل لا ثواب له وقرئ وبطل على لفظ الفعل وعن عاصم وباطلا بالنصب وفيه وجهان
ان يكون ما ابهاميته وينتصب بيعملون ومعناه وبطلا اي باطل ما كانوا يعملون
وان تكون بمعنى المصدر على وبطل بطلانا ما كانوا يعملون افمن كان على بينة
معناه افمن كان يريد الحيوة الدنيا فمن كان على بينته اي لا يعقبونهم في المنزلة ولا
يغاربونهم يريدان بين الفريقين تفاوتا بعيدا وتباينا بينا واراد بهم من آمن
من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره كان على بينة من ربه اي على برهان من الله وبيان

ان دين الاسلام حق وهو دليل العقل ويتلوه ويتبع ذلك البرهان شاهد منه اي
شاهد يشهد بصحته وهو القرآن منه من الله او شاهد من القرآن فقد تقدم ذكره
آنفا ومن قبله ومن قبل القرآن كتاب موسى وهو التورية اي ويتلوا ذلك البرهان
ايضا من قبل القرآن كتاب موسى وقرئ كتاب موسى بالنصب ومعناه كان على
بينة من ربه وهو الدليل على ان القرآن حق ويتلوه ويقرأ القرآن شاهد منه شاهد
ممن كان على بينة كقوله وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله قل كفى بالله شهيدا بيني و
بينكم ومن عنده علم الكتاب ومن قبله كتاب موسى ويتلوا من قبل القرآن التورية
اماما كتابا مؤتما به في الدين قدوة فيه ورحمة ونعمة عظيمة على المنزل اليهم اولئك
يعني من كان على بينة يؤمنون به يؤمنون بالقرآن ومن يكفر به من الاحزاب
يعني اهل مكة ومن ضامهم من المتحزبين على رسول الله صلى الله عليه وسلم فالنار موعده فلا تك في مرية
وقرئ مرية بضم الميم وهما الشك منه من القرآن او من الموعد يعرضون على ربهم يحبسون
في الموقف ويعرض اعمالهم وتشهد عليهم الاشهاد من الملائكة والنبيين بانهم الكذابون على الله
بانه اتخذ ولدا او شريكا ويقال الا لعنة الله على الظالمين فواخزياه ووافضيحتاه والاشهاد
جمع شاهد او شهيد كاصحاب او اشراف ويبغونها عوجا يصفونها بالاعوجاج وهي مستقيمة
او يبغون اهلها ان يعوجوا بالارتداد وهم الثانية لتاكيد كفرهم بالآخرة واختصاصهم به
اولئك لم يكونوا معجزين في الارض اي ما كانوا يعجزون الله في الدنيا ان يعاقبهم لو اراد عقابهم
وما كان لهم من يتولاهم فينصرهم منه ويمنعهم من عقابه ولكنه اراد انظارهم وتاخير عقابهم
الى هذا اليوم وهو من كلام الاشهاد يضاعف لهم العذاب وقرئ يضعف ما كانوا
يستطيعون السمع اراد انهم لفرط تصامهم عن استماع الحق وكراهتهم له كانهم لا يستطيعون
السمع ولعل بعض المجبرة يتوثب اذا عثر عليه فيوعوع على اهل العدل كانه لم يسمع الناس
يقولون في كل لسان هذا الكلام لا استطيع ان اسمعه وهذا مما يمجه سمعي ويحتمل ان
ان يريد بقوله وما كان لهم من اولياء انهم جعلوا آلهتهم اولياء من دون الله وولايتها
ليست بشيء مما كان لهم في الحقيقة من اولياء ثم بين نفي كونهم اولياء بقوله ما كانوا
يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون فكيف يصلحون للولاية وقوله يضاعف لهم
العذاب اعتراض بوعيد خسروا انفسهم اشتروا عبادة الآلهة بعبادة الله وكان

خسرانهم

خسرانهم في تجارتهم ما لا خسران اعظم منه وهو انهم خسروا انفسهم وضل عنهم وبطل عنهم
وضاع ما اشتروه وهو ما كانوا يفترون من الآلهة وشفاعتها لا جرم فسر في مكان
آخر هم الاخسرون لا ترى احدا ابين خسرانا منهم واخبتوا الى ربهم واطمأنوا اليه وانقطعوا
الى عبادته بالخشوع والتواضع من الخبت وهي الارض المطمئنة ومنه قولهم للشيء الدني الخبيث بالتاء
ينفع الطيب القليل من الرزق ولا ينفع الكثير الخبيث وقيل التاء فيه
بدل من الثاء شبه فريق الكافرين بالاعمى والاصم وفريق المؤمنين بالبصير والسميع وهو
من اللف والطباق وفيه معنيان ان يشبه الفريق تشبيهين اثنين كما شبه امرؤ القيس
قلوب الطير بالحشف والعناب وان يشبهه بالذي جمع بين العمى والصمم او الذي جمع بين البصر
والسمع على ان تكون الواو في والاصم وفي والسميع لعطف الصفة على الصفة كقوله
الصابح والغانم فالآيب هل يستويان يعني الفريقين مثلا تشبيها اي ارسلنا
نوحا باني لكم نذير مبين ومعناه ارسلناه ملتبسا بهذا الكلام وهو قوله اني لكم نذير مبين
بالكسر فلما اتصل به الجار فتح كما فتح في كان والمعنى على الكسر وهو قولك ان زيدا كالاسد
وقرئ بالكسر على ارادة القول ان لا تعبدوا بدل من اني لكم نذير اي ارسلناه بان لا تعبدوا
الا الله او تكون ان مفسرة متعلقة بارسلنا او بنذير وصف اليوم باليم من الاسناد
المجازي لوقوع الالم فيه فان قلت فاذا وصف به العذاب قلت مجازي مثله لان الاليم
في الحقيقة هو المعذب ونظيرهما قولك نهارك وجد جده الملأ الاشراف من قولهم
فلان ملئ بكذا اذا كان مطيقا له وقد ملؤ بالامر لانهم ملؤوا بكفايات الامور واضطلعوا
بها وبتدبيرها او لانهم يتمالؤن اي يتظاهرون ويتساندون او لانهم يملأون القلوب
هيبة والمجالس ابهة او لانهم ملأ بالاحلام والآراء الصائبة ما نراك الا بشرا مثلنا
تعريض بانهم احق منه بالنبوة وان الله لو اراد ان يجعلها في احد من البشر لجعلها
فيهم فقالوا هب انك واحد من الملأ ومواز في المنزلة فما جعلك احق منهم الا ترى
الى قولهم وما نرى لكم علينا من فضل او ارادوا انه كان ينبغي ان يكون ملكا لا بشرا
والاراذل والاجمع الارذل كقوله اكابر مجرميها احاسنكم اخلاقا قرئ بادي الرأي
بالهمز وغير الهمز بمعنى اتبعوك اول الرأي او ظاهر الرأي وانتصابه على الظرف
اصله وقت حدوث اول رأيهم او وقت حدوث ظاهر رأيهم فحذف ذلك واقيم المضاف
اليه مقامه

ارادوا ان اتباعهم لك انما هو عن لهم بديهة من غير روية ونظر وانما استرذلوا المؤمنين لفقرهم
وتاخرهم في الاسباب الدنيوية لانهم كانوا جهالا ما كانوا يعلمون الا ظاهرا من الحيوة الدنيا فكان
الاشرف عندهم من له جاه ومال كما ترى اكثر المتسمين بالاسلام يعتقدون ذلك ويبنون
عليه اكرامهم واهانتهم ولقد ذل عنهم ان التقدم في الدنيا لا يقرب احدا من الله وانما يبعده و
يرفعه بل يضعه فضلا ان يجعله سببا في الاختيار للنبوة والتاهيل لها على ان الانبياء بعثوا
في طلب الآخرة ورفض الدنيا مزهدين فيها مصغرين لشانها وشان من اخلد اليها فما ابعد حالهم
من الاتصاف بما يبعد من الله والتشرف بما هو ضعة عند الله من فضل من زيادة شرف علينا
تؤهلكم للنبوة بل نظنكم كاذبين فيما تدعونه ارايتم اخبروني ان كنت على بينة على برهان
من ربي وشاهد يشهد بصحة دعواي واتاني رحمة من عنده بايتاء البينة على ان البينة
في نفسها هي الرحمة ويجوز ان يريد بالبينة المعجزة وبالرحمة النبوة فان قلت فقوله فعميت
ظاهر على الوجه الاول فما وجهه على الوجه الثاني وحقه ان يقال فعميتا قلت الوجه ان يقدر فعميت
بعد البينة وان يكون حذفه للاقتصار على ذكره مرة ومعنى عميت خفيت وقرئ فعميت بمعنى اخفيت
وفي قراءة ابي فعماها عليكم فان قلت فما حقيقته قلت حقيقته ان الحجة كما جعلت بصيرة ومبصرة
جعلت عمياء لان الاعمى لا يهتدي ولا يهدي غيره فمعنى فعميت عليكم البينة فلم تهدكم كما لو عمي على
القوم دليلهم في المفازة بقوا بغير هاد فان قلت فما معنى قراءة ابي قلت المعنى انهم صمموا على الاعراض
عنها فخلاهم الله وتصميمهم فجعلت تلك التخلية تعمية منه والدليل عليه قوله انلزمكموها وانتم
لها كارهون يعني انكرهكم على قبولها ونقسركم على الاهتداء بها وانتم تكرهونها ولا انتم تختارونها
ولا اكراه في الدين وقد جيء بضميري المفعولين متصلين جميعا ويجوز ان يكون الثاني منفصلا
كقولك انلزمكم اياها ونحوه فسيكفيكهم ويجوز فسيكفيك اياهم وحكي عن ابي عمرو اسكان
الميم ووجهه ان الحركة لم تكن الا خلسة خفيفة فظنها الراوي سكونا والاسكان الصريح لحن
عند الخليل وسيبويه وحذاق البصريين لان الحركة الاعرابية لا يسوغ طرحها الا في ضرورة الشعر
والضمير في قوله لا اسالكم عليه راجع الى قوله لهم اني لكم نذير مبين الا تعبدوا الا الله وقرئ
وما انا بطارد الذين آمنوا بالتنوين على الاصل فان قلت ما معنى قوله انهم ملاقوا ربهم
قلت معناه انهم يلاقون الله فيعاقب من طردهم او يلاقونه فيجازيهم على ما في قلوبهم من ايمان
صحيح ثابت كما ظهر لي منه وما اعرف غيره منه او على خلاف ذلك مما تقرفونهم به من بناء ايمانهم على
اي تتهمونهم

بادي الراي

بادي الراي من غير نظر وتفكر وما علي ان اشق على قلوبهم واتعرف سر ذلك منهم حتى اطردهم
ان كان الامر كما تزعمون ونحوه ولا تطرد الذين يدعون ربهم الآية او هم مصدقون
بلقاء ربهم موقنون عالمون انهم ملاقوه لا محالة تجهلون تتسافهون على المؤمنين و
وتدعونهم اراذل من قوله الا لا يجهلن احد علينا او تجهلون لقاء ربكم او
تجهلون انهم خير منهم من ينصرني من الله من يمنعني من انتقامه ان طردتهم وكانوا يسالونه
ان يطردهم ليؤمنوا به انفة من ان يكونوا معهم على سواء اعلم الغيب معطوف على عندي
خزائن الله اي لا اقول عندي خزائن الله ولا اقول انا اعلم الغيب ومعناه لا اقول لكم
عندي خزائن الله فادعي فضلا عليكم في الغنى حتى تجحدوا فضلي بقولكم وما نرى لكم علينا
من فضل ولا ادعي علم الغيب حتى تنسبوني الى الكذب والافتراء او حتى اطلع على نفوس
اطياعي وضمائر قلوبهم ولا اقول اني ملك حتى تقولوا لي ما انت بشر مثلنا ولا احكم
على من استرذلتم من المؤمنين لفقرهم ان الله لن يؤتيهم خيرا في الدنيا والآخرة لهوانهم
عليه كما تقولون مساعدة لكم ونزولا على هواكم اني اذا لمن الظالمين ان قلت
شيئا من ذلك والازدراء افتعال من زرى عليه اذا عابه وازرى به قصر به يقال
ازدرته عينه واقتحمته عينه جادلتنا فاكثرت جدالنا معناه اردت جدالنا
وشرعت فيه فاكثرته كقولك جاد فلان فاكثر واطاب فاتنا بما تعدنا من العذاب
المعجل انما ياتيكم به الله اي ليس الاتيان بالعذاب الي انما هو الى من كفرتم به
وعصيتموه ان شاء يعني ان اقتضت حكمته ان يعجله لكم وقرا ابن عباس رض فاكثرت
جدلنا فان قلت ما وجه ترادف هذين الشرطين قلت قوله ان كان الله يريد
ان يغويكم جزاؤه ما دل عليه قوله لا ينفعكم نصحي وهذا الدال في حكم ما دل عليه
فوصل بشرط كما وصل الجزاء بالشرط في قولك ان احسنت الي احسنت اليك ان
امكنني فان قلت فما معنى قوله ان كان الله يريد ان يغويكم قلت اذا عرف الله من
الكافر الاصرار فخلاه وشانه ولم يلجئه سمي ذلك اغواء واضلالا كما انه اذا عرف
منه انه يتوب ويرعوي فلطف به سمي ارشادا وهداية وقيل ان يغويكم ان يهلككم
من غوى الفصيل غوى اذا بشم فهلك ومعناه انكم اذا كنتم من التصميم على الكفر
بالمنزلة التي لا تنفعكم نصائح الله ومواعظه وسائر الطافه كيف ينفعكم فعلي اجرامي

نصحي

تمامه
فيجهل فوق جهل ليجاهلنا

واجرائي بلفظ الصدر والجمع كقوله والله يعلم ارسالهم واسارهم وخوجهم واجرامهم قتل
واقتال وبنصرة الجمع ان فرقة الاولون باتباعي والمعنى ان صح وثبت اني افتريته فعلي
عقوبة اجرامي اي افتراءي وكان حق حبيب ان تعرضوا عني وتتألبوا علي وانا بريء يعني
ولم يثبت ذلك وانا بدي منه ومعنى تجرمون من اجرامكم في اسناد الافتراء الي فلا وجه
لاعدامكم ومعادكم لن يؤمن اقناط من ايمانهم وانه كالحال الذي لا تعلق به للتوقع الا من
قد آمن الا من وجد منه ما كان يتوقع من ايمانه وقد للتوقع وقد اصابت نوحا فلا تبتئس
فلا تحزن حزنا بليغا مستكنا قال كايقبح الله اقبل عني وتبتئس مني
واقعد كرنما ناع البالي والمعنى فلا تحزن بما فعلوه من تكذيبك وايذائك ومعاداتك
فقد حان وقعت الانتقام منهم باعيننا في موضع الحال بمعنى اصنعها محفوظا وحقيقته
ملتبسا باعيننا كائنا لله معه اعينا تكلاءه ان يزيغ في صنعته عن الصواب وان لا يحول
بيننا وبين عمله احد من اعدائه ووحينا وانا نوحي اليك ونلهمك كيف تصنع
عن ابن عباس لم يعلم كيف صنعة الفلك فاوحى الله اليه ان يصنعها مثل جوجؤ
الطاير ولا تخاطبني في الذين ظلموا ولا تدعني في شانهم فقد حكمت وانقضى
عنهم بشفاعتك انهم مغرقون انهم محكوم عليهم بالاغراق وقد وجب ذلك وقضي به
القضاء وجف القلم فلا سبيل الى كفه كقوله يا ابرهيم اعرض عن هذا انه قد جاء
امر ربك وانهم آتيهم عذاب غير مردود ويصنع الفلك حكاية حال ماضية سخروا منه
ومن عمله السفينة وكان يعملها في بدية بمكان في ابعد موضع من الماء وفي وقت
عز الماء فيه عزة شديدة فكانوا يمضا يحكون ويقولون يا نوح صرت نجارا بعد
ما كنت نبيا فانا نسخر منكم يعني في المستقبل كما تسخرون الساعة اي نسخر منكم سخرية
مثل سخريتكم اذا وقع عليكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة وقيل ان
تجهلونا فيما يصنع فانا نستجهلكم فيما انتم عليه من الكفر والتعرض لسخط الله
وعذابه فانتم اولى بالاستجهال منا او ان تستجهلونا فانا نستجهلكم في استجهالكم لانكم
لا تستجهلون الا عن جهل بحقيقة الامر وبناء على ظاهر الحال كما هو عادة الجهلة
في البعد عن الحقايق وروي ان نوحا عليه السلام اتخذ السفينة في سنين وكان طولها
ثلثمائة ذراع وعرضها خمسون ذراعا وطولها في السماء ثلثون ذراعا وقالت من خشب

السابع

الساج وجعل لها ثلثة بطون فحمل في البطن الاسفل الوحوش والسباع والهوام وفي بطن
الاوسط الدواب والانعام وركب هو ومن معه في البطن الاعلى مما يحتاج اليه من
الزاد وحمل معه جسد آدم وجعله معترضا بين الدجال والناس وعن الحسن كان طولها الفا
وماتي ذراع وعرضها ستمائة وقيل ان الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام لو بعثت لنا رجلا
يشهد السفينة نجد تنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى الى كثيب من تراب فقال اتذرون من هذا (اي الكثيب)
قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا كعب بن حام قال فضرب الكثيب بعصاه فقال قم باذن الله
فاذا هو قائم ينفض التراب عن راسه وقد شاب فقال له عيسى اهكذا هلكت قال لا مت
وانا شاب ولكني ظننت انها الساعة فمن ثم شبت قال حدثنا عن سفينة نوح قال كان
طولها الف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلث طبقات طبقة
للدواب والوحوش وطبقة للانس وطبقة للطير ثم قال له باذن الله كما كنت
فعاد ترابا من يأتيه عذاب يخزيه في محل النصب بتعلمون اي فسوف تعلمون الذي
يأتيه عذاب يخزيه ويعني به اياهم ويريد بالعذاب عذاب الدنيا وهو الغرق ويحل عليه
حلول الدين والحق اللازم الذي لا انفكاك له عنه عذاب مقيم وهو عذاب الآخرة
حتى هي التي تبتدأ بعدها الكلام وخلت عن الجملة من الشرط والجزاء فان قلت وقعت
غاية لماذا قلت لقوله ويصنع الفلك اي وكان يصنعها الى ان جاء وقت الموعد
فان قلت فاذا اتصلت حتى بيصنع فما تصنع بما بينهما من الكلام قلت هو حال من يصنع
كانه قال يصنعها والحال انه كلما مر عليه ملا من قومه سخروا منه فان قلت فما جواب
كلما قلت انث بين امرين اما ان تجعل سخروا جوابا وقال استينافا على تقدير سؤال
سائل او تجعل سخروا بدلا من مر او صفة للملا وقال جوابا اهلك عطف على
انجين وكذلك ومن آمن يعني واحمل اهلك والمؤمنين من غيرهم واستثنى من اهله
من سبق عليه القول انه من اهل النار وما سبق عليه القول انه من اهل النار وما
سبق عليه القول بذلك الا لعلم بانه يختار الكفر لا لتقديره عليه واراده به تعالى
الله عن ذلك قال الضحاك اراد ابنه وامراته الا قليل روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال كانوا ثمانية نوح واهله وبنوه الثلثة ونساؤهم وعن محمد بن اسحق كانوا اثنين
وثمانين رجلا ونساؤهم وقيل كانوا اثنين وسبعين رجلا وامراة واولاد نوح

سام وحام ويافث ونساؤهم فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء يجوز ان يكون
كلاما واحدا او كلامين فالكلام الواحد ان يتصل بسم الله باركبوا حالا من الواو بمعنى اركبوا
فيها مسمين الله او قائلين بسم الله وقت اجرائها ووقت ارسائها اما لان المجرى والمرسى للوقت
واما لانهما مصدران كالاجراء والارساء حذف منهما الوقت المضاف كقولهم خفوت النجم ومقدم الحاج
ويجوز ان يراد مكان الاجراء والارساء وانتصابهما بما في بسم الله من معنى الفعل او بما فيه من ارادة
القول والكلامان ان يكون مجراها ومرساها جملة من مبتدا وخبر مقتضبة اي بسم الله اجراؤها
وارساؤها يروى انه كان اذا اراد تجري قال بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسو قال بسم الله
فرست ويجوز ان يقحم الاسم كقوله ثم اسم السلام عليكما ويراد بالله اجراؤها وارساؤها اي
بقدرته وامره وقرئ مجراها ومرساها بفتح الميم من جرى ورسا اما مصدرين او وقتين او مكانين
وقرا مجاهد مجريها ومرسيها بلفظ اسم الفاعل مجروري المحل صفتين فان قلت ما معنى
قولك جملة مقتضبة قلت معناه ان نوحا عليه السلام امرهم بالركوب ثم اخبرهم ان مجراها ومرساها
بذكر اسم الله او بامره وقدرته ويحتمل ان تكون غير مقتضبة بان تكون في موضع الحال
كقوله وجاؤنا بهم سكر علينا فلا تكون كلاما برأسه ولكن فضلة من فضلات
الكلام الاول وانتصاب هذه الحال عن ضمير الفلك كانه قيل اركبوا فيها مجراة ومرساة
بسم الله بمعنى التقدير كقوله ادخلوها خالدين ان ربي لغفور رحيم لولا مغفرته لذنوبكم
ورحمته اياكم لما نجاكم فان قلت بم اتصل قوله وهي تجري بهم قلت بمحذوف دل عليه اركبوا
فيها بسم الله كانه قيل فركبوا فيها يقولون بسم الله وهي تجري بهم اي تجري وهم فيها في موج
كالجبال يريد موج الطوفان شبه كل موجة منه بالجبل في تراكمها وارتفاعها فان قلت
الموج ما يرتفع فوق الماء عند اضطرابه وزخيره وكان الماء قد التقى وطبق ما بين السماء
والارض وكانت الفلك تجري في جوف الماء كما تسبح السمكة فما معنى جريها في الموج قلت
كان ذلك قبل التطبيق وقبل ان يغمر الطوفان الجبال الا ترى الى قول ابنه ساوي
الى جبل يعصمني من الماء قيل كان اسم ابنه كنعان وقيل يام وقرا علي رضي الله عنه ابنها والضمير
لامراته وقرا محمد بن علي وعروة بن الزبير ابنه بفتح الهاء يريدان ابنها فاكتفيا
بالفتحة عن الالف وبه ينصر مذهب الحسن قال قتادة سالته فقال والله ما
كان ابنه فقلت ان الله حكى عنه ان ابني من اهلي وانت تقول لم يكن ابنه واهل الكتاب لا يختلفون

فاجلى اليوم والسكران صاح

زخر الماء والبحر اي عب وعب عبا اي امتلا

في انه

في انه كان ابنه فقال ومن ياخذ دينه من اهل الكتاب واستدل بقوله من اهلي ولم يقل مني ولنسبته
الى امه وجهان احدهما ان يكون ربيبا كعمر بن ابي سلمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وان يكون
لغير رشدة وهذه غضاضة عصمت منها الانبياء عليهم السلام وقرا السدي ونادى نوح ابناه
على الندبة والترثي اي قال يا ابناه والمعزل مفعل من عزله عنه اذا نحاه وابعده يعني
وكان في مكان عزل فيه نفسه عن ابيه وعن مركب المؤمنين وقيل كان في معزل
عن دين آبائه يا بني قرئ بكسر الياء اقتصارا عليه من الالف المبدلة من ياء الاضافة
في قولك يا بنيا او سقطت الياء والالف لالتقاء الساكنين لان الراء بعدهما ساكنة
الا من رحم الا الراحم وهو الله تعالى او لا عاصم اليوم من الطوفان الا من رحم الله يعني الا
مكان من رحم الله من المؤمنين وكان لهم غفورا رحيما في قوله ان ربي لغفور رحيم
وذلك انه لما جعل الجبل عاصما من الماء قال له لا يعصمك اليوم معتصم قط من جبل
ونحوه سوى معتصم واحد وهو مكان من رحمهم الله ونجاهم يعني السفينة وقيل لا عاصم
بمعنى لا ذا عصمة الا من رحمه الله كقوله ماء دافق وعيشة راضية وقيل الا من رحم
استثناء منقطع كانه قيل ولكن من رحمه الله فهو المعصوم كقوله ما لهم به من علم
الا اتباع الظن وقرئ الا من رحم على البناء للمفعول نداء الارض والسماء بما
ينادى به الحيوان المميز على لفظ التخصيص والاقبال عليهما بالخطاب من بين
سائر المخلوقات وهو قوله يا ارض ويا سماء ثم امرهما بما يؤمر به اهل التمييز والعقل
من قوله ابلعي ماءك واقلعي من الدلالة على الاقتدار العظيم وان السموات والارض
وهذه الاجرام العظام منقادة لتكوينه فيها ما يشاء غير ممتنعة عليه عقلاء مميزون
قد عرفوا عظمته وجلالته وثوابه وعقابه وقدرته على كل مقدور وتبينوا تحتم طاعته
عليهم وانقيادهم له وهم يهابونه ويفزعون من التوقف دون الامتثال له والنزول
على مشيته على الفور من غير ريث فكما يرد عليهم امره كان المامور به مفعولا لا حبس
ولا ابطاء والبلع عبارة عن النشف والاقلاع الامساك يقال اقلع المطر واقلعت
الحمى وغيض الماء من غاضه اذا نقصه وقضي الامر وانجز ما وعد الله نوحا من هلاك
قومه واستوت واستقرت السفينة على الجودي وهو جبل بالموصل وقيل بعدا
يقال بعد بعدا وبعدا اذا ارادوا البعد البعيد من حيث الهلاك والموت

وتحو ذلك ولذلك اختص بدعاء السوء، ومجئ اخبار على الفعل المبنى للمفعول للدلالة على الجلال والكبرياء، وان تلك الامور العظام لا تكون الا بفعل فاعل قادر وتكوين مكون قاهر وان فاعلها فاعل واحد لا يشارك في افعاله فلا يذهب الوهم الى ان يقول غيره يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي ولا ان يقضى ذلك الامر الهائل غيره وان لام يستوي التسوية علامتين للجودي وتستقر عليه الا بتسوية واقدار وبما ذكرنا من المعاني والنكت استفصح علماء البيان هذه الآية ورقصوا لها رؤسهم لانها تنبس الكلمتين وهما قوله واقلعي وذلك وان كان لا يخلي الكلام من حسن فهو كغير الملتفت اليه بازاء تلك المحاسن التي هي اللب وما عداها قشور وعن قتادة استقلت بهم السفينة لعشر خلون من رجب وكانت في الماء خمسين ومائة يوم واستقرت بهم على الجودي شهرا وهبط بهم يوم عاشوراء وروي انها مرت بالبيت فطافت سبعا وقد اعتقه الله من الغرق وروي ان نوحا عليه السلام صام يوم الهبوط وامر من معه فصاموا شكرا لله تعالى نداؤه ربه دعاؤه له وهو قوله رب مع ما بعده من اقتضاء وعده في تنجية اهله فان قلت فاذا كان النداء هو قوله رب فكيف عطف قال رب على ناداي بالفاء قلت اريد بالنداء ارادة النداء ولو اريد النداء نفسه لجاء كما جاء قوله اذ نادى ربه نداء خفيا قال رب بغير فاء ان ابني من اهلي اي بعض اهلي لانه كان ابنه من صلبه او كان ربيبا له فهو بعض اهله وان وعدك الحق وان كل وعد تعده فهو الحق الثابت الذي لا شك في ايجاز والوفاء به وقد وعدتني ان تنجي اهلي فما بال ولدي وانت احكم الحاكمين اي اعلم الحكام واعدلهم لانه لا افضل لحاكم على غيره الا بالعدل والعلم ورب عريق في الجهل والجور من متقلدي الحكومة في زمانك فقد لقب اقضى القضاة ومعناه احكم الحاكمين فاعتبر واستعبر ويجوز ان يكون من الحكمة على ان يبنى من الحكمة حاكم بمعنى النسبة كما قيل دارع من الدرع وحابض وطالق على مذهب الخليل انه عمل غير صالح تعليل لانتفاء كونه من اهله وفيه ايذان بان قرابة الدين غامرة لغيرابة النسب وان نسيبك في دينك ومعتقده من الاباعد في المنصب وان كان جنيا والجنية تخرج على غلبة وتهره وكنت قد شبأت الصيقك وخصيصك ومن لم يكن على دينك وان كان امس اقاربك رحما فهو ابعد منك وجعلت ذاته عملا غير

بعيد م

صالح

صالح مبالغة في ذمه كقولها فانما هي اقبال وادبار وقيل الضمير للنداء نوح عليه السلام اي ان نداءك هذا عمل غير صالح وليس بذاك فان قلت فهلا قيل انه عمل فاسد قلت لما نفاه عن اهله نفى عنه صفتهم بكلمة التي يستبقى معها لفظ النفي وآذن بذلك انه انما انجى من انجى من اهله لصلاحهم لانهم اهلك واقاربك وان هذا لما انتفى عنه الصلاح لم تنفعه البتة كقولك كانت تحت عبد من عبادنا صالحين فحاسباها فلم يغنيا عنها من الله شيئا وقرئ عمل غير صالح اي عملا غير صالح فذري فلا تسلن بكسر النون بغير ياء، الاضافة وبالنون الثقيلة بياء وبغير ياء، يعني تكتمني ملتمسا او التماسا لا تعلم اصوابه هو ام غير صواب حتى تقف على كنهه وذكر السلبة دليل على ان النداء كان قبل ان يغرق حين خلف عليه فان قلت لم سمي نداءه سؤالا ولا سؤال فيه قلت قد تضمن دعاؤه معنى السؤال وان لم يصرح به لانه اذا ذكر الوعد بنجاة اهله في وقت مشارفة ولد الغرق فقد استنجز وجعل سؤالا ما لا يعرف كنهه جهلا وعتاب وموعظة ان لا يعود اليه والى امثاله من افعال الجاهلين فان قلت قد وعده ان ينجي اهله وما كان عند ان ابنه ليس منهم دينا فلما اشفى على الغرق تثبت عليه الامد لان العدة قد سبقت له وقد عرف الله حكيما لا يجور عليه القبيح وخلف الميعاد فطلب اماطة الشبهة وطلب اماطة الشبهة واجب فلم زجر وسمي سؤاله جهلا قلت ان الله عز وجل قدم له الوعد بانجاء اهله مع استثنا، من سبق عليه القول منهم فكان عليه ان يعتقد ان في جملة اهله من هو مستوجب للعذاب لكفره غير صالح وان كلهم ليسوا بناجين وان لا نجاة شبهة حين شارف ولد الغرق في انه من المستثنين لا من المستثنى منهم فعوتب على ان اشتبهت عليه ما يجب ان لا يشتبه ان اسئلك من ان اطلب منك في المستقبل ما لا علم لي بصحته تأدبا بادبك واتعاظا بوعظك والا تغفر لي ما فرط مني من ذلك وترحمني بالتوبة على اكن من الخاسرين اعما لا وقدري يا نوح اهبط بضم الباء، بسلام سلما محفوظا من جهتنا او سلما عليك مكدرا وبركات عليك وبارك عليك والبركات الخيرات النامية وقرئ وبذكه عليك على التوحيد وعلى امم ممن معك يحتمل ان تكون من للبيان فتراد الامم الذين كانوا معه في السفينة لانهم كانوا اجناسا او قيل لهم امم لان الامم تشعبت منهم وان تكون لابتداء الغاية اي على امم ناشئة ممن معك وهي الامم

الى لحد الدهر وهو الوجه وقوله وانتم صفة والخبر محذوف تقديره ومن معك امم ممتعون ويجوز ان يكون الخبر ممتعون وانما حذف لان قوله من معك يدل عليه والمعنى ان السلام منا والبركات عليك وعلى مؤمنين ينشأون ممن معك وممن معك امم ممتعون بالدنيا منقلبون الى النار وكان نوح عليه السلام ابو الانبياء والخلق بعد الطوفان منه ومن كان في السفينة وعن محمد ابن كعب القرظي دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيامة وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر وعن ابن زيد هبطوا والله عنهم راض ثم اخرج منهم نسلا منهم من رحم ومن عذب وقيل المراد بالامم الممتعة قوم هود وصالح ولوط وشعيب تلك اشارة الى قصة نوح ومحلها الرفع على الابتداء والجملة بعدها اخبار اى تلك القصة بعض انباء الغيب موحاة اليك مجهولة عندك وعند قومك من قبل هذا من قبل ان يحاهي اليك واخبارك بها او من قبل هذا العلم الذي كنت به بالوحي او من قبل هذا الوقت فاصبر على تبليغ الرسالة واذى قومك كما صبر نوح وتوقع في العاقبة لك ولمن كذبك نحو ما قيض لنوح ولقومه ان العاقبة في الفوز والنصر والغلبة للمتقين وقوله ولا قومك معناه ان قومك الذين انت منهم على كثرتهم ووفور عددهم اذا لم يكن شأنهم ولا سعوه ولا عدوه فكيف برجل منهم كما تقول لم يعرف هذا لعبد الله ولا اهل بلدي اخاهم واحدا منهم والنصابه للعطف على ارسلنا نوحا وهودا عطف بيان وغيره بالرفع صفة على محل الجار والمجرور وقرئ غيره بالجر صفة على اللفظ ان انتم الا مفترون تفترون على الله الكذب باتخاذكم الاوثان له شركاء ما من رسول الا واحة قومه بهذا القول لان شأنهم النصيحة والنصيحة لا يحصها ولا يحصلها الا حسم المطامع وما ذاك بتوهم شيء منها لم ينجح ولم تنفع افلا تعقلون اذ تردون نصيحة من لا يطلب عليها اجرا الا من الله وهو ثواب الآخرة ولا شيء انفى للتهمة من ذلك ثم توبوا اليه من عبادة غيره لان التوبة لا تصح الا بعد الايمان والمدرار الكثيرة الدرور كالمغزار وانما قصد استمالتهم الى الايمان وترغيبهم فيه بكثرة المطر وزيادة القوة لان القوم كانوا اصحاب زروع وبساتين وعمارات حراصا عليها اشد الحرص وكانوا احوج شيء الى الماء وكانوا مدبرين بما او توا من شدة القوة والبطش والبأس والنجدة مسمرين زين بها من العدد ومهيبين في كل ناحية وقيل اراد القوة في المال وقيل القوة في النكاح وقيل حبس عنهم القطر ثلث سنين وعقمت ارحام نسائهم وعن الحسن رضي الله عنه

انه وفد على معاوية فلما خرج تبعه بعض حجابه فقال اني رجل ذو مال ولا ولد لي فعلمني شيئا لعل الله يرزقني ولدا فقال عليك بالاستغفار وكان يكثر الاستغفار حتى ربما استغفر في يوم واحد سبعمائة مرة فولد له عشرة بنين فلما بلغ ذلك معاوية فقال لاصحابه سألته ما قال وسألته ما قال وفد وفدة اخرى فسأله الرجل فقال الم تسمع قول هود ويمددكم قوة الى قوتكم وقول نوح ويمددكم بأموال وبنين ولا تتولوا ولا تعرضوا عني وما ادعوكم اليه وارغبكم فيه مجرمين مصرين على اجرامكم واثامكم ما جئتنا ببينة كذب وجحود منهم كما قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم لولا انزل عليه آية من ربه مع فوت آياته الحصر عن فوت حال من الضمير في تاركي آلهتنا كأنه قيل وما نترك آلهتنا صادرين عن قولك وما نحن لك بمؤمنين وما يصح من امثالنا ان يصدقوا مثلك فيما يدعوهم اليه اقناطا لهم من الاجابة اعتراك مفعول تقول والا لغو والمعنى ما تقول الا قولنا اعتراك بعض آلهتنا بسوء اى خبلك ومسك بجنون لسبك اياها وصدك عنها وعداوتك لها فكافأتك منها على سوء فعلك بسوء الجزاء فان ثم تكلم بكلام البائنين وتهدي بهذيان المبرسمين ولبس بعجب من اولئك ان يسموا التوبة والاستغفار خبلا وجنونا وهم غواة اعلام الكفر واوتاد الشرك وانما العجب من قوم من المتطاهرين بالاسلام سمعنا هم يسمون التائب عن ذنوبه مجنونا والمنيب الى ربه مخبلا ولم نجد هم معه على عتيهما كانوا عليه في ايام جاهليتهم من المواتاة وما ذاك الا لعرق من الالحاد اي الا ان يبغض وضيت من الذي ندقه اراد ان يطلع راسه وقد دلت اجوبتهم المتقدمة على ان القوم كانوا جفاة غلاظ الاكباد لا يبالون بالهبات ولا يلتفتون الى النصح ولا تلين شكيمتهم للرشد وهذا الاخير دال على اجهل مفرط وبله متناه حيث اعتقدوا في حجارة انها تضر وتنفع ولعلهم حين اجازوا العقاب كانوا يجيزون الثواب من اعظم الآيات ان يواجه بهذا الكلام رجل واحد امة عطاشا الى اراقة دمه يدفعونه عن قوس واحدة وذلك لنفاذ بديهته وانه بعضهم منهم فلا تشتبه فيه مخايلهم وتخوذك قال نوح عليه السلام لقومه ثم اقضوا الي ولا تنظرون اكد بذلك من انتهامهم وشركهم ووثقها بما جرت به عبادة الناس من توثيقهم الامور بشهادة الله وشهادة العباد فيقول الرجل الله شهيد علي اني لا افعل كذا ويقول لقومه كونوا شهداء علي اني لا افعله فان قلت هلا قيل اني اشهد الله واشهدكم

منه السلام يريد بقولهم الا ابن وسلام الذي فعناه ابن الكفر

الوفد

قلت لان شهادة على البراءة من الشرك اشهاد صحيح ثابت في معنى تثبيت التوحيد وشدة
معاقد واما اشهادهم فانما هو الآلهة وان بدينهم ودلالته على قلة المبالاة بهم فحسب فعدل عن
لفظ الاشهاد لاختلاف مابينهما وحمي به على لفظ الامر بالشهادة كما يقول الرجل لمن يبس التري بينه
وبينه اشهد علي اني لا احبك تهكما به واستهانة بحاله تشركون من دونه من
اشركهم الآلهة من دونه اي انتم تجعلونها شركاء له ولم يجعلها هو شركاء ولم ينزل بذلك
سلطانا فكيدوني جميعا انتم والهتكم اجمل ما تفعلون من غير انظار فاني لا ابالي بكم و
بكيدكم ولا اخاف معرتكم وان تعاونتم علي وانتم الاقوياء الشداد فكيف تضرني الهتكم
وما هي الا جماد لا يضر ولا ينفع وكيف تنتقم مني اذا نلت منها وصددت عنها وعن عبادتها
بان تخبلني وتذهب بعقلي وما ذكد توكله على الله وثقته بحفظه وكلاءته ووصفه بالوجوب
التوكل عليه من استمال ربوبيته عليه وعليهم ومن كل دابة في قبضته وملكته وتحت قهره
وسلطانه والاخذ بنواصيها تمثيل لذلك ان ربي على صراط مستقيم يريد انه على طريق
الحق والعدل في ملكه لا يفوته ظالم ولا يضيع عنده معتصم به فان تولوا
فان قلت الابلاغ كان قبل التولي فكيف وقع جزاء الشرط قلت معناه فان تتولوا لم اعاتب على تفريط
في الابلاغ وكنتم محجوجين بان ما ارسلت به اليكم قد بلغكم فاديتم الا تكذيب الرسالة
وعداوة الرسول ويستخلف كلام مستانف بريد ويهلكم الله ويجيء بقوم اخرين يخلفونكم
في دياركم واموالكم ولا تضرونه بتوليكم شيئا من ضر قط لانه لا يجوز عليه المضار والمنافع
وانما تضرون انفسكم وفي قراءة عبد الله ويستخلف بالجزم وكذلك ولا تضر عطفا على محل
فقد ابلغتكم والمعنى ان تتولوا يعذبني ويستخلف قوما غيركم ولا تضروا الا انفسكم على
كل شيء حفيظ اي رقيب عليه مهيمن فاخشى عليه اعمالكم ولا يغفل عن مواخذتكم او من كان ربا
على الاشياء كلها حافظا لها وكانت مقتدرة على حفظ من المضار لم يضر مثله مثلكم والذين
آمنوا معه قبل كانوا اربعة آلاف فان قلت ما معنى تكرير التنجية قلت ذكر اولا انه
حين اهلك عدوهم نجاهم ثم قال ونجيناهم من عذاب غليظ على معنى وكانت تلك التنجية
من عذاب غليظ وذلك ان الله عز وعلا بعث عليهم السموم وكانت تدخل في انوفهم وتخرج من ادبارهم
فتقطعهم عضوا عضوا او قبل اراد بالثانية التنجية من عذاب الآخرة ولا عذاب اغلظ منه
واشد قوله برحمة منا يريد بسبب الايمان الذي انعمنا عليهم بالتوفيق له وتلك عاد

اشارة الى قبورهم وآثارهم كانه قال سيحوا في الارض فانظروا اليها واعتبروا انتم استانف
وصف احوالهم فقال جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله لانهم اذا عصوا رسولهم فقد عصوا
جميع رسل الله لاتفاق بين احد من رسله فيما لم يرسل اليهم الا بدعوة جميع الرسل وحمل كل جبار
عنيد يريد رؤساءهم وكبراءهم ودعاتهم الى تكذيب الرسل ومعنى اتباع امرهم طاعتهم وما
كانوا تابعين لهم دون الرسل جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبتهم على وجوههم وعذاب
الله والا وتكدار ما مع النداء على كفرهم والدعاء عليهم تهويل لامرهم وتفظيع لشرهم وبعث
على الاعتبار بهم والحذر من مثل حالهم فان قلت بعد دعاء بالهلاك فما معنى الدعاء به عليهم
بعد هلاكهم قلت معناه الدلالة على انهم كانوا مستاهلين له الا ترى الى قوله
اخوتي لا تبعدوا ابدا وبلى والله قد بعدوا قوم هود عطف بيان لعاد فان قلت
ما الفائدة في هذا البيان والبيان حاصل بدونه قلت الفائدة فيه ان يوسموا بهذه
الدعوة وسما ويجعل فيهم امرا محققا لا شبهة فيه بوجه من الوجوه ولان عادا عادان
الاولى القديمة التي هي قوم هود والعصفة فيهم والاخرى ارم هو انشاكم من الارض
بنشكم منها الا هو ولم يستعمركم فيها غيره وانشأهم منها خلق آدم من التراب واستعمركم
وامدكم بالعمارة والعمائر متنوعة الى واجب ومندب ومباح ومكروه وكان ملوك فارس
قد اكثروا من حفر الانهار وغرس الاشجار وعمروا الاعمار الطوال مع ما كان
فيهم من عسف الرعايا فسأل نبي من انبياء زمانهم ربه عن سبب تعميرهم فاوحى اليه
انهم عمروا بلادي فعاش فيها عبادي وعن معاوية بن ابي سفيان انه اخذ في احياء
ارض في آخر امره فقيل له ما حملني عليه الا قول القائل (بعد ابن زبيد الطائي، في وكيع الابادي)

ليس الفتى بفتى لا يستضاء به ولا تكون له في الارض آثار وقيل
استعمركم من العجب كقولك استبقاكم من البقاء وقد جعل من العمري وفيه وجهان احدهما
ان يكون استعمر في معنى اعمر كقولك سلبته ثوبه في معنى اسلبته ومعناه اعمركم فيها دياركم
ثم هو وارثها منكم عند انقضاء اعماركم والثاني ان يكون بمعنى جعلكم معمرين دياركم
فيها لان الرجل اذا ورث دار من بعض فكانما اعمره اياها لانه يكنها عمره ثم يتركها
لغيره قريب داني الرحمة سهل المطلب مجيب لما دعاه وسأله فينا فيما بيننا مرجوا
كانت تلوح منك مخايل الخير وامارات الرشد فكنا نرجوك لتشفع بك وتكون مشاورا

في الامور ومستدام في الدنيا فلما انطقت بهذا القول انقطع رجاؤنا عنك وعلمنا ان الخير
فيك وعن ابن فاضلا خيرا لقد كنت علي التاس جميعا وقيل كنا نرجو ان تدخل
في ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه **يعبد آباؤنا** حكاية حال ماضية **مريب** من
اراب اذا اوقعه في الريبة وهي قلق النفس وانتفاء الطمانينة باليقين او من اراد
اراب الرجل اذا كان ذا ريبة على الاسناد المجازي قيل **ان كنت على بينة من ربي**
بحذف الشك وكان على يقين انه على بينة لان خطابه للجاحدين فكانه قال قد ترون اني على
بينة من ربي واني بني على الحقيقة وانظروا ان تابعتكم وعصيت ربي في اوامره فمن ينجيني
من عذاب الله **فما تزيدونني** اذ ان جئتكم **غير تخسير** يعني تخسرون اعمالي وتبطلونها
او فما تزيدونني بما تقولون لي وتحملوني عليه غير ان اخسركم اي انسبكم الى الخسران وقولهم
انكم خاسرون **آية** نصب على الحال فذعل فيها ما دل عليه اسم الاشارة من معنى
الفعل **فان قلت** فبم يتعلق لكم **قلت** بآية حالا منها متقدمة لانها لو تاخرت لكانت
صفة لها فلما تقدمت انتصبت على الحال **عذاب قريب** عاجل لا يتاخر عن مسكم لها
بسوء الا يسير اي وذلك ثلثة ايام ثم يقع عليكم **تمتعوا** استمتعوا بالعيش في داركم في بلدكم
وسميت البلاد الديار لانه يدار فيها ان يتصرف بقال ديار بكر لبلادها وتقول العرب
الذين حوالي مكة نحن من عرب الدار يريدون من عرب البلد وقيل في دار الدنيا وقيل
عقروها يوم الاربعاء وهلكوا يوم السبت **غير مكذوب** غير مكذوب فيه فاشيع في الظرف
بحذف الحرف واجرائه مجرى المفعول به كقولك يوم مشهود من قولهم يوم شهدناه
او على المجاز كانه قيل للموعد ائتني بك فاذا وفى به فقد صدق ولم يكذب او وعد غير كذب
على ان المكذوب مصدر كالمجلود والمعقول كالمصدوقة بمعنى الصدق **ومن خزي**
يومئذ قرئ مفتوح الميم لانه مضاف الى اذ وهو غير متمكن كقولهم على حين عاتبت المشيب
فان قلت علام عطف **قلت** على بجينا لان تقديره وبجيناهم من خزي يومئذ
كما قال وبجيناهم من عذاب غليظ على وكانت النجية من خزي يومئذ اي من ذله وهوانه
وفضيحته والاخزي اعظم من خزي من كان هلاكه بغضب الله وانتقامه ويجوز ان يريد
بيومئذ يوم القيمة كما فسر العذاب الغليظ بعذاب الآخرة وقرئ **الا ان ثمودا** وثمود
كلاهما بالصرف وامتناعه فالصرف لذهابه الى الحي او الاب الاكبر ومنعه للتعريف والتانيث

ولم على الاصل والكسر لان الالف للالحاق او التانيث بمنزلة الفتحة في حمراء والكسر لالتقاء الساكنين

عثمان الصيني
وقلت لما تقيء والشيوانع

ثمودا وثمود

بعض

بعني القبيلة **رسلنا** يريد الملائكة عن ابن عباس جاءه جبريل وملكان معه وقيل جبريل وميكائيل
واسرافيل وقيل كانوا تسعة وعن السدي احد عشر **بالبشرى** هي البشارة بالولد وقيل
بهلاك قوم لوط والظاهر الولد **سلاما** سلمنا عليك سلاما **أمركم سلام** وقرئ
فقالوا سلما قال سلم بمعنى السلام وقيل سلم وسلام كحرم وحرام وانشد
مررنا فقلنا ايه سلم فسلمت كما اكتل بالبرق الغمام اللوائح **فما لبث ان جاء**
فما لبث في المجيء به بل عجل فيه او فما لبث مجيئه **والعجل** ولد البقرة ويسمى الحميل
والجشع بلغة اهل الارادة وكان مال ابرهيم البقر **حنيذ** مشوي بالرضف في اخاديد وقيل
حنيذ يقطر وسمه من حنذت الفرس اذا القيت عليها الجل حتى تعطفر قال وبدل عليه بعجل
سمين يقال نكره وانكره واستنكره ومنكور قليل في كلامهم وكذلك انكرت ولكن
منكر ومستنكر وانكرك وقال الاعشى وانكرتني وما كان الذي نكرت
من الحوادث الا الشيب والصلعا قيل كان بنزل في طرف من الارض فخاف ان يبدو اليه
منكرون وقيل كانت عادتهم انه اذا مس من يطعمهم طعامهم امنوه والا خافوه والظاهر
انه احس بانهم ملائكة ونكرهم لانه تخوف ان يكون نزولهم لامر انكره الله عليهم او لتحدث
قومه الآتي الى قولهم لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط وانما يقال هذا لمن عرفهم ولم يعرف
فيم ارسلوا **فاوجس** فاضمر واما قالوا لا تخف لانهم راوا اثر الخوف والتغير في وجهه
او عرفوه بتعريف الله او علموا ان علمه بانهم ملائكة موجب الخوف لانهم كانوا لا يامنون الا بعذاب
وامراته قائمة قيل كانت قائمة وراء الستر تسمع تحاورهم وقيل كانت قائمة على
رؤسهم تخدمهم وفي مصحف عبد الله وامراته قاعدة وهو قاعد **فضحكت** سرورا
بذوال الخيفة او بهلاك اهل الخبائث او كان ضحكها ضحك الكافر لغفلتهم وقد
اصلهم العذاب وقيل كانت تقول لابرهيم اصمم لوطا ابن اخيك اليك فاني
اعلم انه ينزل بهؤلاء القوم عذاب فضحكت سرورا لما اتى الامد على ما توعدت
وقيل فضحكت فحاضت وفزا محمد بن زياد الاعرابي فضحكت بفتح الحاء **يعقوب**
رفع بالابتداء كانه قيل ومن وراء اسحق يعقوب مولود او موجود اي من بعد وقيل
الوراء ولد الولد وعن الشعبي انه قيل له اهذا ابنك قال نعم من الوراء وكان ولد
ولد وقرئ بعقوب بالنصب كانه قيل ووهبنا لها اسحق ومن وراء اسحق يعقوب

عاطف بعد قوله ليلوا مصلحين عشيرة ولا ناعب الالف في ياويلتا مبدلة من ياء
الاضافة وكذلك في يالهفا ويا عجبا وقرأ الحسن يا ويلتي بالياء على الاصل وشيخا نصب بما دل
عليه اسم الاشارة وقرئ شيخ على انه خبر مبتدأ محذوف اى هذا بعلي هو شيخ او بعلي بدل
من المبتدأ وشيخ خبره او يكونان معا خبرين فيل بشرت ولها ثمانون وتسعون سنة ولابراهيم
مائة وعشرون ان هذا لشيء عجيب ان يولد ولد من هرمين وهما بعد من حيث العادة
التي اجراه الله تعالى وانما انكرت عليها الملائكة تعجبها فقالوا اتعجبين من امر الله لانها كانت
كانت في بيت الآيات ومهبط المخبات والامور الخارقة للعادات وكان عليها ان تتوقر ولا يزدوجها
مايدوهي سابقات الى الايمان بنبوة النبوة وان تبشر الله وتحمده مكان التعجب والى ذلك
اشارت الملائكة صلوات الله عليهم في قولهم رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت اراد وان تهن
وامثالها تما يكرمكم به رب العزة ويخصكم بالانعام به يا اهل بيت النبوة فليست بمكان
عجب وامر الله وقدرته وحكمته وقوله رحمة الله وبركاته كلام مستأنف علل
به انكار التعجب كانه قيل اياك والتعجب فان امثال هذه الرحمة والبركة متكاثرة عليكم
من الله وقيل الرحمة النبوة والبركات ملكا طامن بني اسرائيل لان الانبياء منهم وكلهم من
ولد ابراهيم حميد فاعل ما يستوجب به الحمد من عباده مجيد كثير
الاحسان اليهم واهل البيت نصب على النداء او على الاختصاص لان اهل البيت مدح لهم او الرفع
اهل بيت خليل الرحمن الروع ما اوجس من الخيفة حين نكد اضيافه والمعنى انه لما
اطمأن قلبه بعد الخوف وملئ سرورا بسبب البشرى بدل الخوف فلما ذهب عنه الروع
واين جواب لما قلت هو محذوف كما حذف في قوله فلما ذهبوا به واجمعوا او قوله يجادلنا
كلام مستأنف دال على الجواب وتقديره اخذ يجادلنا او فطن لمجادلتنا او فاك كيت
وكيت ثم ابتدأ فقال يجادلنا في قوم لوط وقيل في يجادلنا هو جواب لما والمجيء به مضارعا
لحكاية الحال وقيل ان لما تدرج المضارع الى معنى الماضي كما تدرج الماضي الى معنى الاستقبال وقيل
معناه اخذ يجادلنا والمعنى يجادل رسلنا ويجادلنهم اياهم انهم قالوا انا مهلكوا اهل هذه
القرية قال ارايتم لو كان فيها خمسون رجلا من المؤمنين اتهلكونها قالوا لا قال فاربعون
قالوا لا قال فثلثون قالوا لا حتى بلغ عشرة قالوا لا قال ارايتم ان كان فيها رجل واحد
مسلم اتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه

واهله في قوم لوط ومعناهم وعن ابن عباس قالوا له ان كان فيها حسنة يصلون
رفع عنهم العذاب وعن قتادة ما قوم لا يكون فيهم عشرة فيهم خير وقيل كان فيها اربعة آلاف
الف انسان ان ابراهيم لحليم عنه عجول على كل من اساء اليه اواه كثير التاوه من
الذنوب منيب تائب راجع الى الله تعالى عما يحبه ويرضى وهو من الصفات والة عارقة القلب
والرافة والرحمة فبين ان ذلك تما حمله على المجادلة فيهم رجاء ان يدفع عنهم العذاب ويمهلوا
لعلهم يحدثون التوبة والانابة كما حمله على الاستغفار لابيه يا ابراهيم على ارادة القول
اى قالت له الملائكة اعرض عن هذا الجدال وان كانت الرحمة يدنك فلا فايدة فيه
انه قد جاء امر ربك وهو قضاؤه وحكمه الذي لا يصدر الا عن صواب وحكمة والعذاب
نازل بالقوم لا محالة لا مرد له بجدال ولا دعاء ولا غير ذلك كانت مساءة لوط وضيق
ذرعه لانه حسب انهم انس فخاف عليهم خبث قومه وان يعجز عن مقاومتهم ومدافعتهم وروي
ان الله تعالى قال لهم لا تهلكوا حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات فلما مشى معهم
منطلقا بهم الى منزله قال لهم اما بلغكم امر هذه القرية قالوا وما امرهم قال اشهد
بالله انها لشر قرية في الارض عملا يقول ذلك اربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم
بذلك احد فخرجت امرأته فاخبرت بهم قومها فجاؤا ومن غضب وغضوضب اذا كان شديدا
من قولك غضبه اذا شدة يهرعون يسرعون كانما يدفعون دفعا ومن قبل كانوا يعملون
السيات ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون الفواحش ويكثرونها فضروا بها ومرنوا عليها
وقل عندهم استقباحها فلذلك جاؤا يهرعون مجاهرين لا يكفهم حياء وقيل معناه وقد عرف
لوط عادتهم في العمل الفواحش قبل ذلك هؤلاء بناتي اراد ان يقي اضيافه ببناته و
ذلك غاية الكرم واراد هؤلاء بناتي فتزوجوهن وكان تزويج المسلمات من الكفار
جائزا كما زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنتيه من عتبة بن ابي لهب وابي العاص بن
وابل قبل الوحي وهما كافران وقيل كان لهم سيدان مطاعان فاراد ان يزوجهما
ابنتيه وقرأ ابن مروان هن اطهر لكم بالنصب وضعفه سيبويه قال احتى ابن
مروان في لحنه وعن ابي عمرو بن العلاء من قرأ هن اطهر لكم بالنصب فقد تربع في
لحنه وذلك ان انتصابه على ان يجعل حالا قد عمل فيها ما في هؤلاء من معنى الفعل كقوله
هذا بعلي شيخا او ينتصب هؤلاء بفعل مضمر كانه قيل خذوا هؤلاء وبناتي بدل ويعمل

هذا المضمر في الحال وهن فصل وهذا لا يجوز لان الفصل مختص بالوقوع بين جزئي الجملة ولا
يقع بين الحال وذي الحال وقد خرج له وجه لا يكون هن فيه فصلا وذلك ان يكون هؤلاء
مبتدأ وبناتي هن جملة في موضع خبر المبتدأ كقولك هذا اخي هو ويكون اظهر حالا **فاتقوا**
الله بايثارهن عليهم **ولا تخزوني** ولا تهينوني ولا تفضحوني من الخزي او تخجلوني من
الخزاية وهي الحياء **في ضيفي** في حق ضيوفي فانه اذا خزي ضيف الرجل او جاره فقد
خزي الرجل وذلك من عراقة الكرم واصالة المروة **اليس منكم رجل رشيد** رجل واحد
يهتدي الى سبيل الحق وفعل الجميل والكف عن السوء وقرئ ولا تخزون بطرح الياء ويجوز
ان يكون عرض البنات عليهم مبالغة في تواضعه لهم واظهارا لشدة امتعاضه مما اوردوا
عليه طمعا في ان يستحيوا منه ويرقوا له اذا سمعوا ذلك فيتركوا له ضيوفه مع ظهور الامر
واستقرار العلم عنده وعندهم ان لا مناكحة بينه وبينهم ومن ثم قالوا لقد علمت
مستشهدين بعلمه ما لنا في بناتك من حق لانك لا ترى مناكحتنا وما هو الا عرض سابري
وقيل لما اتخذوا اتيان الذكران مذهبا ودينا لتواطؤهم عليه كان عندهم انه
هو الحق وان نكاح الاناث من الباطل فلذلك قالوا ما لنا في بناتك من حق قط لان
نكاح الاناث امر خارج من مذهبنا الذي نحن عليه ويجوز ان يقولوه على وجه الخلاعة
والغرض نفي الشهوة **لنعلم ما نريد** عنوا اتيان الذكور وما لهم فيه من الشهوة جواب
لو محذوف كقوله ولو ان قرانا سيرت به الجبال يعني لو ان لي بكم قوة لفعلت بكم وصنعت
يقال ما لي به قوة وما لي به طاقة ونحوه لاقبل لكم بها وما لي به يدان لانه في معنى لا اضطلع
به ولا استقل به والمعنى لو قويت عليكم بنفسي او اويت الى قوي استند اليه واتمنع به
فيحميني منكم فشبه القوي العزيز بالركن من الجبل في شدته ومنعته ولذلك قالت الملائكة
وقد وجدت عليه ان ركنك لشديد وقال النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي لوطا كان
يأوي الى ركن شديد وقرئ او اوي بالنصب باضمار ان كانه قيل لو ان لي بكم قوة او اويا
كقولها للبس عباءة وتقر عيني وقرئ الى ركن بضمتين وروي انه اغلق
بابه حين جاؤا وجعل يراد هم ما حكى الله عنه ويجادلهم فتسوروا الجدار فلما رات الملائكة
ما لقي لوط من الكرب قالوا يا لوط ان ركنك لشديد انا رسل ربك لن يصلوا اليك
فافتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا فاستاذن جبريل ربه في عقوبتهم فاذن

له فقام في الصورة التي يكون فيها فنشر جناحه وله جناحان وعليه وشاح من در
منظوم وهو براق الثنايا فضرب بجناحه وجوههم فطمس اعينهم فاعماهم كما قال الله عز وعلا
فطمسنا على اعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون النجا النجا فان في بيت
لوط قوما سحرة **لن يصلوا اليك** جملة موضحة للتي قبلها لانهم اذا كانوا رسل الله لم يصلوا
اليه ولم يقدروا على ضرره وقرئ **فاسر** بالقطع والوصل **الا امرأتك** بالرفع والنصب
وروي انه قال لهم متى موعد هلاكهم قالوا الصبح فقال اريد اسرع من ذلك فقالوا
اليس الصبح بقريب وقرئ الصبح بضمتين **فان قلت** ما وجه قراءة من قرأ الا امرأتك
بالنصب **قلت** استثناها من قوله فاسر باهلك والدليل عليه قراءة عبد الله فاسر
باهلك بقطع من الليل الا امرأتك ويجوز ان ينتصب عن لا يلتفت على اصل الاستثناء
وان كان الفصيح هو البدل اعني قراءة من قرأ بالرفع فابدلها عن احد وفي اخراجها
مع اهلها روايتان روي انه اخرجها معهم وامر ان لا يلتفت منهم احد الا هي فلما
سمعت هدة العذاب التفت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها وروي انه
امر بان يخلفها مع قومها فان هواها اليهم فلم يسر بها واختلاف القراءتين لاختلاف
الروايتين **جعلنا عاليها سافلها** جعل جبريل جناحه في اسفلها ثم رفعها
الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم واتبعوا
الحجارة من فوقهم **من سجيل** قيل هي كلمة معربة من سنك كل بدليل قوله من طين
وقيل هي من اسجله اذا ارسله لانها ترسل على الظالمين ويدل عليه قوله لنرسل
عليهم حجارة وقيل مما كتب الله ان يعذب به من السجل وسجل لفلان **منضود** نضد
في السماء نضدا معدا للعذاب وقيل يرسل بعضه في اثر بعض متتابعا **مسومة**
معلمة للعذاب وعن الحسن كانت معلمة ببياض وحمرة وقيل عليها سيمى يعلم
بها انها ليست من حجارة الارض وقيل مكتوب على كل واحد اسم من يرمى به **وما هي**
من كل ظالم **ببعيد** وفيه وعيد لاهل مكة **وعن** رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سال جبريل
فقال يعني ظالمي امتك ما من ظالم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة
الى ساعة وقيل الضمير للقرى اي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في مسايرهم
ببعيد بشيء بعيد ويجوز ان يراد وما هي بمكان بعيد لانها وان كانت في السماء وهي

اسرع شيء لحوقا بالمرمي فكانها بمكان قريب **اني اراكم بخير** يعني بثروة وسعة تغنيكم
عن التطفيف او اراكم بنعمة من الله حقها ان تقابل بغير ما تفعلون او اراكم بخير فلا
تزيلوه عنكم بما انتم عليه كقول مؤمن آل فرعون يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض
فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا **يوم محيط** مهلك من قوله واحيط بثمره واصله من احاطة
العدو **فان قلت** وصف العذاب بالاحاطة ابلغ ام وصف اليوم بها **قلت** بل وصف اليوم
لان اليوم زمان يشتمل على الحوادث فاذا احاط بعذابه فقد اجتمع للمعذب ما اشتمل عليه منه كما اذا
احاط بنعيمه **فان قلت** النهي عن النقصان امر بالايفاء فما فايدة قوله اوفوا **قلت** نهوا
اولا عن عين القبيح الذي كانوا عليه من نقص المكيال والميزان لان في التصريح بالقبيح نعيا
على المنهي وتعييرا له ثم ورد الامر بالايفاء الذي هو حسن في العقول مصرحا بلفظه لزيادة ترغيب
فيه وبعث عليه وجيء به مقيدا بالقسط اي ليكن الايفاء على وجه العدل والسوية من غير زيادة
امرا بما هو الواجب وفيه توقيف على ان الموفي عليه ان ينوي بالوفاء القسط لان الايفاء وجه
حسنه انه قسط وعدل فهذه ثلث فوايد **البخس** الهضم والنقص ويقال للمكس البخس
قال زهير وفي كل ما باع امرؤ بخس درهم ويروى مكس درهم وكانوا يأخذون
من كل شيء يباع شيئا كما يفعل السماسرة او كانوا يمكسون الناس او كانوا ينقصون من اثمان
ما يشترون من الاشياء فنهوا عن ذلك والعثي في الارض نحو السرقة والغارة وقطع السبيل
ويجوز ان يجعل التطفيف والبخس عثيا منهم في الارض **بقية الله** ما يبقى لكم من الحلال
بعد التنزه عما هو حرام عليكم **خير لكم ان كنتم مؤمنين** بشرط ان تؤمنوا **فان قلت**
بقية الله خير للكفرة لانهم يسلمون معها من تبعة البخس والتطفيف فلم شرط الايمان
قلت لظهور فايدتها مع الايمان من حصول الثواب مع النجاة من العقاب وخفاء فايدتها
مع فقده لانغماس صاحبها في غمرات الكفر وفي ذلك استعظام للايمان وتنبيه على جلالة
شانه ويجوز ان يراد ان كنتم مصدقين لي فيما اقول لكم وانصح به اياكم ويجوز ان
يريد ما يبقى لكم عند الله من الطاعات خير لكم كقوله والباقيات الصالحات خير عند
ربك واضافة البقية الى الله من حيث انها رزقه الذي يجوز ان يضاف اليه واما
الحرام فلا يضاف الى الله ولا يسمى واذا اريد بها الطاعة وكما تقول طاعة الله وقرئ
تقية الله بالتاء وهي تقواه ومراقبته التي تصرف عن المعاصي والقبايح **وما انا عليكم**

مع

بحفيظ وما بعثت لاحفظ عليكم اعمالكم واجازيكم عليها وانما بعثت مبلغا ومنبها
على الخير وناصحا وقد اعذرت حين انذرت كان شعيب عليه السلام كثير الصلوات
وكان قومه اذا راوه يصلي تغامزوا وتضاحكوا فقصدوا بقولهم **اصلوتك**
تامرك السخرية والهزء والصلوة وان جاز ان تكون آمرة على طريق المجاز كما كانت
ناهية في قوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وان يقال ان الصلوة
تامر بالجميل والمعروف كما يقال تدعوا اليه وتبعث عليه الا انهم ساقوا الكلام
مساق الطنز وجعلوا الصلوة آمرة على سبيل التهكم بصلاته وارادوا ان هذا
الذي تامر به من ترك عبادة الاوثان باطل لا وجه لصحته وان مثله لا يدعوك
اليه داعي عقل ولا يامرك به امر فطنة فلم يبق الا ان يامرك به آمر هذيان
ووسوسة شيطان وهو صلوتك التي تداوم عليها في ليلك ونهارك وعندهم
انها من باب الجنون ومما يتولع به المجانين والموسوسون من بعض الاقوال
والافعال ومعنى تامرك ان نترك تامرك بتكليف ان نترك ما يعبد آباؤنا فحذف
المضاف الذي هو التكليف لان الانسان لا يؤمر بفعل غيره وقرئ اصلوتك على
وقرأ ابن ابي عبلة او ان تفعل في اموالنا ما تشاء بتاء الخطاب فيهما وهو ما كان
يامرهم به من ترك التطفيف والبخس والاقتناع بالحلال القليل من الحرام الكثير
وقيل كان ينهاهم عن حذف الدراهم والدنانير وتقطيعها وارادوا بقولهم **انك**
انت الحليم الرشيد نسبته الى غاية السفه والغي فعكسوا ليتهكموا كما يتهكم بالسحيح
الذي لا يبض حجره فيقال لو ابصرك حاتم لسجد لك وقيل معناه انك للمتواصف
بالحلم والرشد في قومك يعنون ان ما تامر به لا يطابق حالك وما شهرت به
ورزقني منه اي من لدنه **رزقا حسنا** وهو ما رزقه الله من النبوة والحكمة وقيل
رزقا حسنا حلالا طيبا من غير بخس ولا تطفيف **فان قلت** اين جواب ارايتم وما له
لم يثبت كما اثبت في قصة نوح ولوط **قلت** جوابه محذوف وانما لم يثبت لان اثباته
في القصتين دل على مكانه ومعنى الكلام ينادي عليه والمعنى اخبروني ان كنت على حجة واضحة
ويقين من ربي وكنت نبيا على الحقيقة ايصح لي ان لا آمركم بترك عبادة الاوثان
والكف عن المعاصي والانبياء لا يبعثون الا لذلك يقال خالفني فلان الى كذا

اذا قصده وانت مول عنه وخالفني عنه اذا ولى عنه وانت قاصده ويلقاك الرجل صادرا عن
الماء فتسأله عن صاحبه فيقول خالفني الى الماء يريد انه قد ذهب اليه واردا وانا ذاهب عنه
صادرا ومنه قوله تعالى وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه يعني ان اسبقكم الى شهواتكم
التي نهيتكم عنها لاستبد بها دونكم **ان اريد الا الاصلاح ما استطعت**
ما اريد الا ان اصلحكم بموعظتي ونصيحتي وامري بالمعروف ونهيي عن المنكر ما استطعت
ظرف اي مدة استطاعتي للاصلاح وما دمت متمكنا منه لا آلو فيه جهدا او بدل من
الاصلاح اي المقدار الذي استطعته منه ويجوز ان يكون على تقدير حذف المضاف
على قولك الا الاصلاح اصلاح ما استطعت او مفعول له كقوله ضعيف النكاية اعداءه
اي ما اريد الا ان اصلح ما استطعت اصلاحه من فاسدكم **وما توفيقي الا بالله** وما كوني
موفقا لاصابة الحق فيما آتي وآذر ووقوعه موافقا لرضاء الله الا بمعونته وتاييده
والمعنى انه استوفق ربه في امضاء الامر على سننه وطلب منه التاييد والاظهار
على عدوه وفي ضمنه تهديد للكفار وحسم لاطماعهم فيه **جرم** مثل كسب في تعديه
الى مفعول واحد والى مفعولين تقول جرم ذنبا وكسبه وجرمته ذنبا وكسبته اياه قال
جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا ومنه قوله تعالى لا يجرمنكم شقاقي ان يصيبكم اي لا يكسبنكم
شقاقي في اصابة العذاب وقرأ ابن كثير بضم الياء من اجرمته ذنبا اذا جعلته جارما
له اي كاسبا وهو منقول من جرم المتعدي الى مفعول واحد كما نقل اكسبه المال من كسب
المال وكما لا فرق بين كسبته مالا واكسبته اياه فكذلك لا فرق بين جرمته ذنبا واجرمته
اياه والقراءتان مستويتان في المعنى لا تفاوت بينهما الا ان المشهورة افصح لفظا كما ان
كسبته مالا افصح من اكسبته والمراد بالفصاحة انه على السنة الفصحاء من العرب الموثوق
بعربيتهم ادوروهم له اكثر استعمالا وقرأ ابو حيوة ورويت عن نافع مثل ما اصاب بالفتح
لاضافته الى غير متمكن كقوله لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت **وما قوم لوط**
منكم ببعيد يعني انهم اهلكوا في عهد قريب من عهدكم فهم اقرب الهالكين منكم او لا
يبعدون منكم في الكفر والمساوي وما يستحق به الهلاك **فان قلت** ما البعيد لم يرد
على ما يقتضيه قوم من حمله على لفظه او معناه **قلت** اما ان يراد وما اهلاكهم ببعيد
او ما هم بشيء بعيد او بزمان او مكان بعيد ويجوز ان يسوى في بعيد وقريب وقليل

تمه يخال الفرار يراخي الاجل صح

اوله ولقد طعنت ابا عيينة طعنة

تمامه وان اوقال حمامة في غصون

وكثير

وكثير بين المذكر والمؤنث لورودها على زنة المصادر التي هي الصهيل والنهيق ونحوهما رحيم
ودود عظيم الرحمة للتائبين فاعل بهم ما يفعل البليغ المودة بمن يوده من الاحسان والاجمال
ما نفقه ما نفهم كثيرا مما تقول لانهم كانوا لا يلقون اليه اذهانهم رغبة عنه وكراهية له كقوله
وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وكانوا يفهمونه ولكنهم لم يقبلوه فكانهم لم يقبلوه قالوا
ذلك على وجه الاستهانة به كما يقول الرجل لصاحبه اذا لم يعبأ بحديثه ما ادري ما تقول
او جعلوا كلامه هذيانا وتخليطا لا ينفهم كثير منه وكيف لا ينفهم كلامه وهو خطيب الانبياء
وقيل كان الثغ **فينا ضعيفا** لا قوة لك ولا عز فيما بيننا فلا تقدر على الامتناع منا ان اردنا
بك مكروها وعن الحسن ضعيفا مهينا وقيل ضعيفا اعمى وحمير تسمي المكفوف ضعيفا كما تسمي
ضريرا وليس بسديد لان فينا يأباه الا ترى انه لو قيل انا لنريك فينا اعمى لم يكن كلاما لان
الاعمى اعمى فيهم وفي غيرهم ولذلك قللوا قومه حيث جعلوهم رهطا والرهط من الثلثة
الى العشرة وقيل الى السبعة وانما قالوا ولولاهم اجتراما لهم واعتدادا بهم لانهم كانوا على ملتهم
لا خوفا من شوكتهم وعزتهم **لرجمناك** لقتلناك شر قتلة **وما انت علينا بعزيز**
اي لا تعز علينا ولا تكرم حتى نكرمك من القتل ونرفعك عن الرجم وانما يعز علينا
رهطك لانهم من اهل ديننا لم يختاروك علينا ولم يتبعوك دوننا فقد دلى ايلاء
ضميره حرف النفي على ان الكلام واقع في الفاعل لا في الفعل كانه قيل وما انت علينا بعزيز
بل رهطك هم الاعزة علينا ولذلك قال في جوابهم ارهطي اعز عليكم من الله ولو قيل
وما عززت علينا لم يصح هذا الجواب **فان قلت** فالكلام واقع فيه وفي رهطه وانهم الاعزة
عليهم دونه فكيف صح قوله ارهطي اعز عليكم من الله **قلت** تهاونهم به وهو نبي الله
تهاون بالله فحين عز عليهم رهطه دونه كان رهطه اعز عليهم من الله الا ترى الى
قوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله واتخذتموه وراءكم ظهريا ونسيتموه وجعلتموه
كالشيء المنبوذ وراء الظهر لا يعبأ به والظهري منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات
النسب ونظيره قولهم في النسبة الى الامس امسي **بما يعملون محيط** قد احاط باعمالكم
علما فلا يخفى عليه شيء منها **على مكانتكم** لا تخلوا المكانة من ان تكون بمعنى المكان
يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة او تكون مصدرا من مكن مكانة فهو مكين والمعنى
اعملوا قارين على جهتكم التي عليها من الشرك والشنآن لي او اعملوا متمكنين من
عداوتي

مطيقين لها اني عامل على حسب ما يؤتيني الله من النصرة والتأييد ويمكنني **من يأتيه** يجوز
ان تكون من استفهامية معلقة لفعل العلم عن عمله فيها كأنه قيل سوف تعلمون أينا
يأتيه عذاب يخزيه وأينا هو كاذب وان تكون موصولة قد عمل فيها كأنه قيل سوف تعلمون
الشقي الذي يأتيه عذاب يخزيه والذي هو كاذب **فان قلت** اي فرق بين ادخال الفاء ونزعها
في سوف تعلمون **قلت** ادخال الفاء وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل ونزعها وصل
خفي تقديري بالاستيناف الذي هو جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا فماذا يكون اذا عملنا
نحن على مكانتنا وعملت انت فقال سوف تعلمون فوصل تارة بالفاء وتارة بالاستيناف للتفنن
في البلاغة كما هو عادة بلغاء العرب واقوى الوصلين وابلغهما الاستيناف وهو باب من ابواب
علم البيان تتكاثر محاسنه **وارتقبوا** وانتظروا العاقبة وما اقول لكم **اني معكم رقيب**
اي منتظر والرقيب بمعنى الراقب من رقبه كالضريب والصريم بمعنى الضارب والصارم او بمعنى
المراقب كالعشير والنديم او بمعنى المرتقب كالفقير والرفيع بمعنى المفتقر والمرتفع **فان**
قلت قد ذكر عملهم على مكانتهم وعمله على مكانته ثم اتبعه ذكر عاقبة العاملين منه ومنهم
فكان القياس ان يقول من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو صادق حتى ينصرف من يأتيه
عذاب يخزيه الى الجاحدين ومن هو صادق الى النبي المبعوث اليهم **قلت** القياس ما ذكرت
ولكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب يعني في زعمكم ودعواكم تجهيلا لهم **فان قلت**
ما بال ساقتي قصة عاد وقصة مدين جاءتا بالواو والساقتان الوسطيان بالفاء **قلت**
قد وقعت الوسطيان بعد ذكر الوعد وذلك قوله ان موعدهم الصبح ذلك وعد غير
مكذوب فجيء بالفاء الذي هو للسبب كما تقول وعدته فلما جاء الميعاد كان كيت وكيت
واما الاخريان فلم تقعا بتلك المثابة وانما وقعتا مبتدأتين فكان حقهما ان تعطفا بحرف
الجمع على ما قبلهما كما تعطف قصة على قصة الجاثم اللازم لمكانه لا يريم كاللابد يعني ان
جبريل صاح بهم صيحة فزهق روح كل واحد منهم بحيث هو قعصا **كأن لم يغنوا** كأن
يقيموا في ديارهم احياء متصرفين مترددين البعد بمعنى البعد وهو الهلاك كالرشد
بمعنى الرشد الا ترى الى قوله كما بعدت وقرأ السلمي بعدت بضم العين والمعنى في
البنائين وهو نقيض القرب الا انهم ارادوا التفصلة بين البعد من جهة الهلاك
وبين غيره فغيروا البناء كما فرقوا بين ضماني الخير والشر فقالوا وعد واوعد وقراءة

السلمي

السلمي جاءت على الاصل اعتبارا لمعنى البعد من غير تخصيص كما يقال ذهب فلان ومضى
في معنى الموت وقيل معناه بعدا لهم من رحمة الله كما بعدت ثمود منها **بآياتنا وسلطان**
مبين فيه وجهان ان يراد ان هذه الآيات فيها سلطان مبين لموسى على صدق نبوته وان يراد
بالسلطان المبين العصا لانها ابهرها **وما امر فرعون برشيد** تجهيل لمتبعيه حيث شايعوه
على امره وهو ضلال مبين لا يخفى على من فيه ادنى مسكة من العقل وذلك انه ادعى الالهية وهو
بشر مثلهم وجاهر بالعسف والظلم والشر الذي لا يأتي الا من شيطان مارد ومثله بمعزل
من الالهية ذاتا وافعالا **فاتبعوه** وسلموا له دعواه وتتابعوا على طاعته والامر الرشيد
الذي فيه رشد اي وما في امره رشد انما هو غي صريح وضلال ظاهر مكشوف وانما يتبع
العقلاء من يرشدهم ويهديهم لا من يضلهم ويغويهم وفيه انهم عاينوا الآيات والسلطان
المبين في امر موسى عليه وعلموا ان معه الرشد والحق ثم عدلوا عن اتباعه الى اتباع من ليس
في امره رشد قط **يقدم قومه** اي كما كان قدوة لهم في الضلال كذلك يتقدمهم الى النار وهم
يتبعونه ويجوز ان يريد بقوله وما امر فرعون برشيد وما امره بصالح حميد العاقبة ويكون
قوله يقدم قومه لذلك وايضاحا اي كيف يرشد امر من هذه عاقبته والرشد مستعمل
في كل ما يحمد ويرضى كما استعمل الغي في كل ما يذم ويسخط ويقال قدمه بمعنى تقدمه ومنه
مقدمة الجيش واقدم بمعنى تقدم ومنه مقدم العين **فان قلت** هلا قيل يقدم قومه
فيوردهم النار ولم جيء بلفظ الماضي **قلت** لان الماضي يدل على امر موجود مقطوع به فكأنه قيل
يقدمهم فيوردهم النار لا محالة والورد المورد والمورود الذي وردوه شبه بالفارط
الذي يتقدم الواردة الى الماء وشبه اتباعه بالواردة ثم قيل بئس الورد الذي يردونه النار
لان الورد انما يراد لتسكين العطش وتبريد الاكباد والنار ضده **واتبعوا في هذه**
اي في هذه الدنيا **لعنة** اي يلعنون في الدنيا ويلعنون في الآخرة **بئس الرفد**
المرفود رفدهم اي بئس العون المعان وذلك ان اللعنة في الدنيا رفد للعذاب
ومدد له وقد رفدت باللعنة في الآخرة وقيل بئس العطاء المعطى **ذلك** مبتدأ **من**
انباء القرى نقصه عليك خبر بعد خبر اي ذلك النبأ بعض انباء القرى المهلكة
المهلكة مقصوص عليك منها الضمير للقرى اي بعضها باق وبعضها عافي الاثر كالزرع
القائم على ساقه والذي حصد **فان قلت** ما محل هذه الجملة **قلت** هي مستأنفة لا محل لها

التتابع بالياء في الشر خاصة قال ع ما تجلكم على ان تتابعوا في الكذب كما تتابع الفراش في النار اي تمثلها فتنوا كما تهافت هي

تتابعوا على طاعته

فرط القوم اي سبقهم وفاتهم

وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب ما به اهلكوا فما اغنت عنهم
آلهتهم فما قدرت ان ترد باس الله يدعون يعبدون وهي حال ماضية ولما منصوب بما
امر ربك عذابه ونقمته تتبيت تخسير يقال تب اذا خسر وتببه غيره اوقعه في الخسران
محل الكاف الرفع تقديره ومثل ذلك الاخذ اخذ ربك والنصب فيمن قرا وكذلك اخذ ربك
بلفظ الفعل وقرئ اذ اخذ القرى وهي ظالمة حال من القرى اليم شديد وجيع صعب على
الماخوذ وهذا تحذير من وخامة عاقبة الظلم لكل اهل قرية من كفار مكة وغيرها بل لكل
من ظلم غيره او نفسه بذنب يقترفه فعلى كل من اذنب ان يحذر اخذ ربه الاليم الشديد
فيبادر التوبة لا يغتر بالامهال ذلك اشارة الى ما قص الله تعالى من قصص الامم الهالكة
بذنوبهم لاية لمن خاف لعبرة له لانه ينظر الى ما احل الله بالمجرمين في الدنيا وما هو الا انموذج
مما اعد لهم في الآخرة فاذا راى عظمه وشدته اعتبر به عظم العذاب الموعود فيكون له عبرة وعظة
ولطفا في زيادة التقوى والخشية من الله ونحوه ان في ذلك لعبرة لمن يخشى ذلك
اشارة الى يوم القيامة لان عذاب الآخرة دل عليه والناس رفع باسم المفعول الذي
هو مجموع كما يرفع بفعله اذا قلت يجمع له الناس فان قلت لاي فائدة اوثر اسم المفعول
على فعله قلت لما في اسم المفعول من دلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وانه يوم لا بد من ان يكون
ميعادا مضروبا لجمع الناس له وانه الموصوف بذلك صفة لازمة وهو اثبت ايضا لاسناد
الجمع الى الناس وانهم لا ينفكون منه ونظيره قول المتهدد انك لمنهوب مالك محروب
قومك فيه من تمكن الوصف وثباته ما ليس في الفعل وان شئت فوازن بينه وبين
قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع تعتبر على صحة ما قلت لك ومعنى يجمعون لما فيه من الحساب
والثواب والعقاب يوم مشهود مشهود فيه فاتسع في الظرف باجرائه مجرى المفعول
به كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا اي يشهد فيه الخلائق الموقف لا يغيب
عنه احد والمراد بالمشهود الذي كثر شاهدوه ومنه قولهم لفلان مجلس مشهود
وطعام محضور قال في محفل من نواصي الناس مشهود فان قلت ما منعك
ان تجعل اليوم مشهودا في نفسه دون ان تجعله مشهودا فيه كما قال الله تعالى فمن شهد
منكم الشهر فليصمه قلت الغرض وصف ذلك اليوم بالهول والعظم وتمييزه من بين
الايام فان جعلته مشهودا في نفسه فسائر الايام كذلك مشهودات كلها ولكن يجعل

حرب الرجل سلب ماله حريب ومحروب

مشهودا

مشهودا فيه حتى يحصل التمييز كما تميز يوم الجمعة عن ايام الاسبوع بكونه مشهودا فيه حتى يحصل
التمييز كما تميز يوم الجمعة عن ايام الاسبوع بكونه مشهودا فيه دونها ولم يجز ان يكون مشهودا
في نفسه لان سائر ايام الاسبوع مثله يشهدها كل من يشهده وكذلك قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه
الشهر منتصب ظرفا لا مفعولا به وكذلك الضمير في وليصمه والمعنى فمن شهد منكم في الشهر فليصم
فيه يعني فمن كان منكم مقيما حاضرا لوطنه في شهر رمضان فليصم فيه ولو نصبته مفعولا فالمسافر
والمقيم كلاهما لا يشهدان الشهر لا يشهده المقيم ويغيب عنه المسافر الاجل يطلق على مدة
كلها وعلى منتهاها فيقولون انتهى الاجل وبلغ الاجل آخره ويقولون حل الاجل فاذا جاء اجلهم لا
يراد آخر مدة التاجيل والعد انما هو للمدة لا لغايتها ومنتهاها فمعنى قوله وما نؤخره الا لاجل
معدود الا لانتهاء مدة معدودة بحذف المضاف وقرئ وما يؤخره بالياء قرئ يوم يات
بغير ياء ونحوه قولهم لا ادر حكاه الخليل وسيبويه وحذف الياء والاجتزاء عنها بالكسرة كثير
في لغة هذيل فان قلت فاعل ياتي ما هو قلت الله عز وجل كقوله عز وجل هل ينظرون الا ان
ياتيهم الله او ياتي ربك وجاء ربك ويعضده قراءة من قرا وما يؤخره بالياء وقوله
باذنه ويجوز ان يكون الفاعل ضمير اليوم كقوله تعالى ان تاتيهم الساعة فان قلت
بم انتصب الظرف قلت اما ان ينتصب بلا تكلم واما باضمار اذكر واما بالانتهاء المحذوف
في قوله الا لاجل معدود اي ينتهي الاجل يوم ياتي فان قلت فاذا جعلت الفاعل ضمير اليوم
فقد جعلت اليوم وقتا لاتيان اليوم وجددت الشيء بنفسه قلت المراد اتيان هوله
وشدائده لا تتكلم لا تتكلم وهو نظير قوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن فان قلت
كيف يوفق بين هذا وبين قوله يوم ياتي كل نفس تجادل عن نفسها وقوله هذا يوم
لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون قلت ذلك يوم طويل له مواقف ومواطن
ففي بعضها يجادلون عن انفسهم وفي بعضها يكفون عن الكلام فلا يؤذن لهم وفي بعضها
يؤذن لهم فيتكلمون وفي بعضها يختم على افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم فمنهم
الضمير لاهل الموقف ولم يذكروا لان ذلك معلوم ولان قوله لا تكلم نفس يدل عليه
وقد مر ذكر الناس في قوله مجموع له الناس والشقي والشقي الذي وجبت له النار
لاساءته والسعيد الذي وجبت له الجنة لاحسانه قراءة العامة بفتح الشين وقرا
الحسن شقوا بالضم كما قرئ سعدوا والزفير اخراج النفس والشهيق رده قال

الفاء للتفسير

مع

مع

قال التماخ بعيد مدي التطيب اول صوته زفير ويتلوه شهيق مخرجه ع

ما دامت السموات والارض فيه وجهان احدهما ان تراد سموات الآخرة وارضها وهي دائمة مخلوقة للابد والدليل على ان لها سموات وارضا قوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وقوله واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء، ولا بد لاهل الآخرة مما يقلهم ويظلهم اما سماء يخلقها الله او يظلهم العرش وكل ما اظلك فهو سماء، والثاني ان يكون ع عبارة عن التابيد ونفي الانقطاع ما دام بقاء وما اقام ثبير وحالا كوكب وغير ذلك من كلمات التابيد فان قلت فما معنى الاستثناء في قوله الا ما شاء ربك وقد ثبت خلود اهل الجنة والنار في الابد من غير استثناء، قلت هو استثناء من الخلود في عذاب النار ومن الخلود في نعيم الجنة وذلك ان اهل النار لا يخلدون في عذاب النار وحده بل يعذبون بالزمهرير وبانواع من العذاب سوى عذاب النار وبها هو اغلظ منها كلها وهو سخط الله عليهم وخطابه لهم واهانته اياهم وكذلك اهل الجنة لهم سوى الجنة ما هو اكبر منها واجل موقعا منهم وهو رضوان الله كما قال وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر ولهم ما يتفضل الله به عليهم سوى ثواب الجنة مما لا يعرف كنهه الا هو فهو الداد بالاستثناء والدليل عليه قوله عطاء غير مجذوذ ومعنى قوله في مقابلة ان تركك فعال لما يريد انه يفعل باهل النار من العذاب كما يعطي اهل الجنة عطاءه الذي لا انقطاع له فتأمله فان القرآن يفسر بعضه بعضا ولا يخدعنك عنه قول المجبرة ان المراد بالاستثناء خروج اهل الكبائر من النار بالشفاعة فان اهل التناوي على تكذيبهم ويستجلبون افئدة الناس ومباطنتك بقوم نبذوا كتاب الله لما روى لهم بعض النواب عن عبد الله عمرو بن العاص ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه ابوابها ليس فيها احد وذلك بعد ما يلبثون فيها احقابا وقد بلغني ان من الضلال من اغتر بهذا الحديث فاعتقد ان الكفار لا يخلدون في النار وهذا وحده والعياذ بالله من الخذلان المبين زادنا الله هداية الى الحق ومعرفة بكتابه وتنبيها على ان نعقل عنه ولئن صح هذا الحديث عن ابن ابن فمعناه انهم يخرجون من حد النار الى برد الزمهرير فذلك خلو جهنم وصفق ابوابها واقول اما كان لابن عيد في سيفيه ومقالتيه بهما علي بن ابي طالب رضوان الله ما يشغله عن تسيير هذا الحديث

ما يريدم

ارادوقوله الا ما شاء ربك

اي تردد وتغلق

طنز

غير

غير مجذوذ غير مقطوع ولكنه ممتد الى غير نهاية كقوله لهم اجر غير ممنون لما قص قصص عبدة الاوثان وذكر ما اعد لهم من نقمته وما اعد لهم من عذابه قال فلا تكن في مرية مما يعبد هؤلاء اي فلا تشك بعد ما انزل عليك من هذه القصص في سوء عاقبة عبادتهم وتعرضهم بها لما اصاب امثالهم قبلهم تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعدة بالانتقام منهم ووعيدا لهم ثم قال ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم يريد ان حالهم في الشرك مثل حال اباهم من غير تفاوت بين الحالين وقد بالغ ما نزل باباهم فسيركت بهم مثله وهو استيفاء معناه تعليل النهي عن المرية وما في مما وكما يجوز ان تكون مصدرية ومعمولة اي من عبادتهم وكعبادتهم او ما يعبدون من الاوثان ومثل ما يعبدون منها وانا لموفوهم نصيبهم اي حظهم من العذاب كما وفينا اباهم نصيبا، ثم فان قلت كيف نصب غير منقوص حالا عن النصيب الموفى قلت يجوز ان يوفى وهو ناقص ويوفى وهو كامل الا تراك تقول وفيته حقه وتنقصه حقه وحقه كملا وناقصا فاختلف فيه آمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف في القرآن ولولا كلمة يعني كلمة الانظار الى يوم القيامة لقضي بينهم بين قوم موسى او قومك وهي من جملة التسلية ايضا وان كلا التنوين عوض من المضاف اليه يعني وان كلهم وان جميع المختلفين فيه ليوفينهم جواب قسم محذوف واللام في لما موطئة للقسم وما مزيدة والمعنى وان جميعهم والله ليوفينهم ربك اعمالهم من حسن وقبيح وايمان وجحود ووفى وان كلا بالتخفيف على اعمال المخففة عمل الثقيلة اعتبارا لاصلها الذي هو التثقيل وقراءة ابي وان كل لما ليوفينهم على ان ان نافية ولما بمعنى الا وقراءة عبد الله مقدرة لها وان كل الا ليوفينهم بالتنوين كقوله اكلا لما والمعنى وان كلا ملغين بمعنى مجموعين كانه قيل وان كلا جميعا كقوله فسجد الملائكة كلهم اجمعون فاستقم كما امرت فاستقم استقامة مثل الاستقامة التي امرت بها على جادة الحق غير عادل عنها ومن تاب معك معطوف على المستتر في استقم وانما جاز العطف عليه ولم يؤكد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه والمعنى فاستقم انت وليستقم من تاب عن الكفر وآمن معك ولا تطغوا ولا تجاوزوا عن حدود الله انه بما تعملون بصير عالم فهو مجازيكم به فاتقوه وعن ابن عباس رضي الله عنه ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع القرآن آية كانت اشد ولا اشق عليه من هذه الآية ولهذا قال شيبتني هود والواقعة واخواتها وروي ان اصحابه قالوا له قد اسرع اليك الشيب فقال شيبتني هود

تصحيح هود هنا غير مصروف كما وجود في سورة بلد بتنوين لان المراد بها السورة لا النبي عليه السلام

وعن بعضهم رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له روي عنك انك قلت شيبتني هود فقال نعم
قلت ما الذي شيبك منها اقصص الانبياء وهلاك الامم قال ولكن قوله فاستقم كما امرت وعن جعفر
الصادق رضي الله عنه فاستقم كما امرت قال افتقر الى الله بصحة العزم قرئ **ولا تركنوا** بفتح الكاف
وضمها مع فتح التاء وعن ابي عمرو بكسر التاء وفتح الكاف على لغة تميم في كسرهم حروف المضارعة
الا الياء في كل ما كان من باب علم يعلم ونحوه قراءة من قرا فتمسكم بكسر التاء وقرا
ابن ابي عبلة ولا تركنوا على البناء للمفعول من اركنه اذا اماله والنهي متناول للانحطاط في
هواهم والانقطاع اليهم ومصاحبتهم ومجالستهم وزيادتهم ومداهنتهم والرضى باعمالهم والتشبه
بهم والتزيي بزيهم ومد العين الى زهرتهم وذكرهم بما فيه تعظيم لهم وتامل قوله ولا تركنوا
فان الركون هو الميل اليسير وقوله **الى الذين ظلموا** اي الذين وجد منهم الظلم ولم
يقل الى الظالمين وحكي ان الموفق صلى خلف الامام فقرا بهذه الاية فغشي عليه فلما افاق قيل
فقال هذا فيمن ركن الى من ظلم فكيف بالظالم وعن الحسن رحمه الله جعل الله الدين بين
لائين ولا تطغوا ولا تركنوا ولما خالط الزهري السلاطين كتب اليه اخ له في الدين
عافانا الله واياك ابا بكر من الفتن فقد اصبحت بحال ينبغي لمن عرفك ان يدعو لك الله
ويرحمك اصبحت شيخا كبيرا وقد اثقلتك نعم الله بما فهمك من كتابه وعلمك من سنة نبيه
وليس كذلك اخذ الله الميثاق على العلماء قال الله سبحانه وتعالى لتبيننه للناس ولا تكتمونه
واعلم ان ايسر ما ارتكبت واخف ما احتملت انك انست وحشة الظالم وسهلت
سبيل الغي بدنوك ممن لم يؤد حقا ولم يترك باطلا حين ادناك اتخذوك قطبا تدور
عليك رحى باطلهم وجسرا يعبرون عليك الى بلائهم وسلما يصعدون فيك الى ضلالهم
يدخلون الشك بك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهلاء فما ايسر ما عمروا لك في جنب
ما خربوا عليك وما اكثر ما اخذوا منك فيما افسدوا عليك من دينك فما يؤمنك ان تكون
ممن قال الله فيهم فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون
غيا فانك تعامل من لا يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل فداو دينك فقد دخله سقم وهي زادك
فقد حضر السفر البعيد وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء والسلام وقال
سفين في جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزائرون للملوك وعن الاوزاعي ما من شيء ابغض
الى الله من عالم يزور عاملا وعن محمد بن مسلمة الذباب على العذرة احسن من قارئ على باب

الموفق من اولاد العباسيين كان قائدا للجيوش وهو الذي يلزم البرقعي الذي خرج على الخلفاء العباسية

اي الزهاد

صفة

خبر

هولاء

هولاء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا لظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله في ارضه
ولقد سئل سفين عن ظالم اشرف على الهلاك في برية هل يسقى شربة ماء فقال لا فقيل له
يموت فقال دعه يموت **وما لكم من دون الله من اولياء** حال من قوله فتمسكم اي فتمسكم
النار وانتم على هذه الحال ومعناه وما لكم من دون الله من انصار يقدرون على منعكم
من عذابه لا يقدر على منعكم غيره **ثم لا تنصرون** ثم لا ينصركم هو لانه وجب في حكمته تعذيبكم
وترك الابقاء عليكم **فان قلت** فما معنى ثم **قلت** معناها الاستبعاد لان النصرة من الله مستبعدة
مع استيجابهم العذاب واقتضاء حكمته له **طرفي النهار** غدوة وعشية **وزلفا من الليل**
وساعات من الليل وهي ساعاته القريبة من اخر النهار من ازلفه اذا قربه وازلف اليه
وصلاة الغدوة الفجر وصلوة العشية الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشي وصلوة
الزلف المغرب والعشاء وانتصاب طرفي النهار على الظرف لانهما مضافان الى الوقت كقولك
اقمت عنده جميع النهار واتيته نصف النهار واوله واخره تنصب هذا كله على اعطاء
المضاف حكم المضاف اليه ونحوه واطراف النهار وقرئ وزلفا جمع زلفة كظلم في ظلمة
والزلف بالسكون نحو بسرة وبسر والزلف بضمتين نحو بسر في بسر والزلفى بمعنى الزلفة
كما ان القربى بمعنى القربة وهو ما يقرب من اخر النهار من الليل وقيل وزلفا من الليل و
قربا من الليل وحقها على هذا التفسير ان تعطف على الصلوة اي اقم الصلوة طرفي النهار
واقم زلفا من الليل على معنى واقم صلوات يتقرب بها الى الله عز وجل في بعض الليل **ان الحسنات**
يذهبن السيئات فيه وجهان احدهما ان يراد تكفير الصغائر بالطاعات وفي الحديث ان الصلوة
الى الصلوة كفارة ما بينهما ما اجتنب الكبائر والثاني ان الحسنات يذهبن السيئات بان
تكن لطفا في تركها كقوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقيل نزلت في ابي اليسر
عمرو بن غزية الانصاري كان يبيع التمر فاتته امراة فاعجبته فقال لها ان في البيت
اجود من هذا التمر فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها
وندم فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بما فعل فقال له انتظر امر ربي فلما صلى
صلاة العصر نزلت فقال نعم اذهب فانها كفارة لما عملت وروي انه اتى ابا بكر فاخبره فقال
له مثل ذلك ثم اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فقال عمر اهذا له خاصة ام للناس عامة فقال
بل للناس عامة وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له توضا وضوءا حسنا وصل ركعتين

غير مهموز

ههنا ترك مذهبه وتسنن

مع

وقيل قال عم هل شهدت معنا العصر قال نعم قال هي كفارة لك

ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك اشارة الى قوله فاستقم فما بعده ذكرى للذاكرين عظة للمتعظين
ثم كر الى التذكير بالصبر بعد ما جاء بما هو خاتمة للتذكير وهذا الكرور لفضل خصوصية ومزية
وتنبيه على مكان الصبر ومحله كانه قال وعليك بما هو اهم مما ذكرت به واحق بالتوصية وهو الصبر
على امتثال ما امرت به والانتهاء عما نهيت عنه فلا يتم شيء منه الا به فان الله لا يضيع اجر المحسنين
جاء بما هو مشتمل على الاستقامة واقامة الصلوات والانتهاء عن الطغيان والركون الى الظالمين
والصبر وغير ذلك من الحسنات فلولا كان من القرون فهلا كان وقد حكوا عن الخليل كل
لولا في القرآن فمعناها هلا الا التي في الصافات وما صحت هذه الحكاية ففي غير الصافات ولولا
كلمة سبقت من ربك لكان لزاما ولولا رجال مؤمنون ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن
اليهم اولو بقية اولو فضل وخير وسمي الفضل والجودة بقية لان الرجل يستبقي
مما يخرجه اجوده وافضله فصار مثلا في الجودة والفضل ويقال فلان من بقية القوم
اي من خيارهم وبه فسر بيت الحماسة ان تذنبوا ثم تاتيني بقيتكم
ومنه قولهم في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا ويجوز ان تكون البقية بمعنى البقوى
كالتقية بمعنى التقوى اي فهلا كان منهم ذوو ابقاء على انفسهم وصيانة لها من سخط الله
وعقابه وقرئ اولوا بقية بوزن لقية من بقاه يبقيه اذا راقبه وانتظره ومنه
بقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم والبقية المرة من مصدره والمعنى فلولا كان اولوا مراقبة
وخشية من انتقام الله كانهم ينتظرون ايقاعه بهم لاشفاقهم الا قليلا استثناء منقطع معناه
ولكن قليلا ممن انجينا من القرون نهوا عن الفساد وسائرهم تاركون للنهي ومن في ممن
انجينا حقها ان تكون للبيان لا للتبعيض لان النجاة انما هي للناهين وحدهم بدليل قوله
عز وجل انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا فان قلت هل لوقوع هذا
الاستثناء متصلا وجه يحمل عليه قلت ان جعلته متصلا على ما هي عليه ظاهر الكلام كان المعنى
لانه يكون تحضيضا لاولي البقية على النهي عن الفساد الا لقليل من الناجين منهم كما يقول
هلا قرأ قومك القرآن الا الصلحاء منهم تريد استثناء الصلحاء من المحضضين على
قراءة القرآن وان قلت في تحضيضهم على النهي عن الفساد معنى نفيه عنهم وكانه قيل ما كان
من القرون اولوا بقية الا قليلا كان استثناء متصلا ومعنى صحيحا وكان انتصابه
على اصل الاستثناء وان كان الافصح ان يرفع على البدل واتبع الذين ظلموا ما اترفوا

فيه

فيه اراد بالذين ظلموا تاركي النهي عن المنكرات اي لم يهتموا بما هو ركن عظيم من اركان الدين
وهو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وعقدوا هممهم بالشهوات واتبعوا ما عرفوا فيه التنعم
والتبرف من حب الرياسة والثروة وطلب اسباب العيش الهني ورفضوا ما وراء
ذلك ونبذوه وراء ظهورهم وقرأ ابو عمرو في رواية الجعفي واتبع الذين ظلموا يعني
واتبعوا جزاء ما اترفوا فيه ويجوز ان يكون المعنى في القراءة المشهورة انهم اتبعوا جزاء
اترافهم وهذا معنى قوي لاجل تقدم الانجاء كانه قيل الا قليلا ممن انجينا منهم وهلك
السائر فان قلت علام عطف واتبع الذين ظلموا قلت ان كان معناه واتبعوا الشهوات
كان معطوفا على مضمر لان المعنى الا قليلا ممن انجينا منهم نهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا
شهواتهم فهو عطف على نهوا وان كان معناه واتبعوا جزاء الاتراف فالواو للحال كانه قيل
انجينا القليل وقد اتبع الذين ظلموا جزاءهم فان قلت فقوله وكانوا مجرمين قلت على اترفوا
اي اتبعوا الاتراف وكونهم مجرمين لان تابع الشهوات مغمور بالآثام او اريد بالاجرام
اغفالهم للشكر او على اتبعوا اي اتبعوا شهواتهم وكانوا مجرمين بذلك ويجوز ان
يكون اعتراضا وحكما عليهم بانهم مجرمون كان بمعنى صح واستقام واللام لتاكيد النفي
وبظلم حال من الفاعل والمعنى واستحال في الحكمة ان يهلك الله القرى ظالما لها واهلها
قوم مصلحون تنزيها لذاته عن الظلم وايذانا بان اهلاك المصلحين من الظلم وقيل الظلم
الشرك ومعناه انه لا يهلك القرى بسبب شرك اهلها وهم مصلحون يتعاطون الحق فيما
بينهم ولا يضمون الى شركهم فسادا آخر ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة
يعني لاضطرهم الى ان يكونوا اهل امة واحدة اي ملة واحدة وهي ملة الاسلام كقوله
ان هذه امتكم امة واحدة وهذا الكلام يتضمن نفي الاضطرار وانه لم يضطرهم الى الاتفاق
على دين الحق ولكنه مكنهم من الاختيار الذي هو اساس التكليف فاختار بعضهم الحق
وبعضهم الباطل فاختلفوا فلذلك قال ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك الا
ناسا هداهم الله ولطف بهم فاتفقوا على دين الحق غير مختلفين ولذلك خلقهم ذلك
اشارة الى ما دل عليه الكلام الاول وتضمنه يعني ولذلك من التمكين والاختيار الذي كان
عنه الاختلاف خلقهم ليثيب مختار الحق بحسن اختياره ويعاقب مختار الباطل بسوء
اختياره وتمت كلمة ربك وهي قوله للملائكة لاملان جهنم من الجنة والناس

لعلمه بكثرة من يختار الباطل وكلا التنوين فيه عوض عن المضاف اليه كانه قيل وكل نبأ نقص
عليك من انباء الرسل بيان لكل وما نثبت به فؤادك بدل من كلا ويجوز ان يكون المعنى وكل
اقتصاص نقص عليك على معنى وكل نوع من انواع الاقتصاص نقص عليك يعني على
الاساليب المختلفة وما نثبت به مفعول نقص ومعنى تثبيت فؤاده زيادة يقينه وما فيه
طمانينة قلبه لان تكاثر الادلة اثبت للقلب وارسخ للعلم وجاءك في هذه الحق
اي في هذه السورة او في هذه الانباء المقتصة فيها ما هو حق وموعظة وذكرى وقل للذين
لا يؤمنون من اهل مكة وغيرهم اعملوا على حالكم وجهتكم التي انتم عليها انا عاملون وانتظروا
بنا الدوائر انا منتظرون ان ينزل بكم نحو ما اقتص الله من النقم النازلة باشباهكم ولله
غيب السموات والارض لا تخفى عليه خافية مما يجري فيها فلا تخفى عليه اعمالكم واليه يرجع الامر كله
فلا بد ان يرجع اليه امرهم وامرك فينتقم لك منهم فاعبده وتوكل عليه فانه كافيك وكافلك
بغافل عما يعملون وقرئ تعملون بالتاء اي انت وهم على تغليب المخاطب وما ربك
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قراءة سورة هود اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح ومن كذب
به وهود وصالح وشعيب ولوط وابراهيم وموسى وكان يوم القيامة من السعداء لنا الله ذلك

سورة يوسف مكية وهي مائة واحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم تلك اشارة الى آيات السورة والكتاب
المبين السورة اي تلك الآيات التي انزلت اليك في هذه السورة آيات السورة الظاهر
امرها في اعجاز العرب وتبكيتهم او التي تبين لمن تدبرها انها من عند الله لا من عند
البشر او الواضحة التي لا تشتبه على العرب معانيها لنزولها بلسانهم او قد ابين فيها
ما سالت عنه اليهود من قصة يوسف فقد روي ان علماء اليهود قالوا لكبراء المشركين
سالوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف عليه السلام انزلناه
هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف في حال كونه قرآنا عربيا وسمي بعض القرآن
قرآنا لان القرآن اسم جنس يقع على كله وبعضه لعلكم تعقلون ارادة ان تفهموه
وتحيط بمعانيه ولا تلتبس عليكم ولو جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت آياته
القصص على وجهين يكون مصدرا بمعنى الاقتصاص تقول قص الحديث يقصه
قصصا كقولك شله يشله شللا اذا طرده ويكون فعلا بمعنى مفعول كالنقض

والحسب

والحسب ونحوه النبأ والخبر في معنى المنبأ به ويجوز ان يكون من تسمية المفعول
بالمصدر كالخلق والصيد فان اريد المصدر فمعناه نحن نقص عليك احسن الاقتصاص
بما اوحينا اليك هذا القرآن اي بايحائنا اليك هذه السورة على ان يكون احسن
منصوبا نصب المصدر لاضافته اليه ويكون المقصوص محذوفا لان قوله بما اوحينا
هذا القرآن مغن عنه ويجوز ان ينتصب هذا القرآن بنقص كانه قيل نحن نقتص
عليك احسن الاقتصاص هذا القرآن بايحائنا اليك والمراد باحسن الاقتصاص انه
اقتص على ابدع طريقة واعجب اسلوب الا ترى ان هذا الحديث مقتص في كتب الاولين
وفي كتب التواريخ ولا ترى اقتصاصه في كتاب منها مقارنا لاقتصاصه في القرآن وان اريد
بالقصص المقصوص فمعناه نحن نقص عليك احسن ما يقص من الاحاديث وانما كان احسنه
لما يتضمن من العبر والنكت والحكم والعجائب التي ليست في غيره والظاهر انه احسن ما يقتص
في بابه كما يقال في الرجل هو اعلم الناس وافضلهم يراد في فنه فان قلت مم اشتقاق القصص
قلت من قص اثره اذا اتبعه لان الذي يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيئا فشيئا كما يقال
تلا القرآن اذا قرأه لانه يتلو اي يتبع ما حفظ منه آية بعد آية وان كنت ان مخففة
من الثقيلة واللام هي التي تفرق بينها وبين النافية والضمير في قبله راجع الى قوله
ما اوحينا والمعنى وان الشأن والحديث كنت من قبل ايحائنا اليك من الغافلين
عنه اي من الجاهلين به ما كان لك فيه علم قط ولا طرق سمعك طرف منه اذ قال
يوسف بدل من احسن القصص وهو من بدل الاشتمال لان الوقت مشتمل على القصص
وهو المقصوص فاذا قص وقته فقد قص او باضمار اذكر ويوسف اسم عبراني وقيل
عربي وليس بصحيح لانه لو كان عربيا لانصرف لخلوه عن سبب آخر سوى التعريف فان
قلت فما تقول فيمن قرأ يوسف بكسر السين او يوسف بفتحها هل يجوز على قراءته
ان يقول هو عربي لانه على وزن الفعل المضارع المبني للفاعل او المفعول من آسف
وانما منع الصرف للتعريف ووزن الفعل قلت لا لان القراءة المشهورة قامت بالشهادة
على ان الكلمة اعجمية فلا يكون عربية تارة واعجمية اخرى ونحو يوسف يونس رويت
فيه هذه اللغات الثلث ولا يقال هو عربي لانه في لغتين منها بوزن المضارع من آنس
واونس وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا قيل من الكريم فقولوا الكريم بن الكريم ابن الكريم بن الكريم يوسف
بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم

يا ابت قرئ بالحركات الثلث فان قلت ما هذه التاء قلت تاء تانيث وقعت عوضا من ياء الاضافة
والدليل على انها تاء تانيث قلبها هاء في الوقف فان قلت كيف جاز الحاق تاء التانيث
بالمذكر قلت كما جاز حمامة ذكر وشاة ذكر ورجل ربعة وغلام يفعة فان قلت فلم
ساغ تعويض تاء التانيث من ياء الاضافة قلت لان التانيث والاضافة يتناسبان
في ان كل واحد منهما زيادة مضمومة الى الاسم في آخره فان قلت فما هذه الكسرة قلت هي
التي كانت قبل الياء في قولك يا ابي قد زحلقت الى التاء لاقتضاء تاء التانيث ان يكون
ما قبلها مفتوحا فان قلت فما بال الكسرة لم تسقط بالفتحة التي اقتضتها التاء وتبقى التاء ساكنة
قلت امتنع ذلك فيها لانها اسم والاسماء حقها التحريك لاصالتها في الاعراب وانما جاز تسكين
الياء واصلها ان تحرك تخفيفا لانها حرف لين واما التاء فحرف صحيح نحو كاف الضمير
فلزم تحريكها فان قلت يشبه الجمع بين التاء وبين هذه الكسرة الجمع بين العوض والمعوض
منه لانها في حكم الياء اذا قلت يا غلام فكما لا يجوز يا ابتي فلا يجوزن يا ابت قلت
الياء والكسرة قبلها شيئان والتاء عوض من احد الشيئين وهو الياء والكسرة
غير متعرض لها فلا يجمع بين العوض والمعوض منه الا اذا جمع بين التاء والياء
لا غير الا ترى الى قولهم يا ابتا مع كون الالف فيه بدلا من الياء كيف جاز الجمع بينها
وبين التاء ولم يعد ذلك جمعا بين العوض والمعوض منه فالكسرة ابعد من ذلك
فان قلت قد دلت الكسرة في يا غلام على الاضافة لانها قرينة الياء ولصيقتها فان
دلت على مثل ذلك في يا ابت فالتاء المعوضة لغو وجودها كعدمها قلت بل حالها
مع التاء كحالها مع الياء اذا قلت يا ابي فان قلت فما وجه من قرأ بفتح التاء وضمها قلت
اما من فتح فقد حذف الالف من يا ابتا واستبقى الفتحة قبلها كما فعل من حذف الياء في
يا غلام ويجوز ان يقال حركها بحركة الياء المعوض منها في قولك يا ابي واما من ضم فقد
اسما في آخره تاء تانيث فاجراه مجرى الاسماء المؤنثة بالتاء فقال يا ابت من غير اعتبار
لكونها عوضا من ياء الاضافة وقرئ اني رايت بتحريك الياء واحد عشر بسكون
العين تخفيفا لتوالي المتحركات فيما هو في حكم اسم واحد وكذا الى تسعة عشر الا اثنا
عشر لئلا يلتقي ساكنان ورايت من الرؤيا لا من الرؤية لان ما ذكره معلوم انه منام
لان الشمس والقمر لو اجتمعا مع الكواكب ساجدة ليوسف في حال اليقظة لكانت آية عظيمة ليعقوب

عليه السلام

عليه السلام ولما خفيت عليه وعلى الناس فان قلت ما اسماء تلك الكواكب قلت روى جابر
ان يهوديا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اخبرني عن النجوم التي رآهن يوسف عم
فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل واخبره بذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم لليهودي
ان اخبرتك هل تسلم قال نعم قال جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق
والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين رآها يوسف والشمس والقمر نزلن
من السماء وسجدن له فقال اليهودي اي والله انها لاسماؤها وقيل الشمس والقمر ابواه
وقيل ابوه وخالته والكواكب اخوته وعن وهب ان يوسف راى وهو سبع سنين
ان احدى عشرة عصا طوالا كانت مركوزة في الارض كهيئة الدارة واذا عصا صغيرة
تثب عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لابيه فقال اياك ان تذكر هذا لاخوتك
ثم راى وهو ابن ثنتي عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصها على ابيه
فقال له لا تقصها عليهم فيبغوا لك الغوائل وقيل كان بين رؤيا يوسف ومصير اخوته
اليه اربعون سنة وقيل ثمانون فان قلت لم اخر الشمس والقمر قلت اخرهما
ليعطفهما على الكواكب على طريق الاختصاص بيانا لفضلهما واستبدادهما بالمزية على غيرهما
كما اخر جبريل وميكائيل عن الملائكة ثم عطفهما عليها لذلك ويجوز ان الواو بمعنى مع اي رايت
الكواكب مع الشمس والقمر فان قلت ما معنى تكرار رايت قلت ليس بتكرار انما هو كلام مستانف
على تقدير سؤال وقع جوابا له كان يعقوب عليه السلام قال له عند قوله اني رايت احد عشر كوكبا
كيف رايتها سائلا عن حال رؤيتها فقال رايتهم لي ساجدين فان قلت فلم اجريت مجرى العقلاء
في رايتهم لي ساجدين قلت لانه لما وصفها بما هو خاص بالعقلاء وهو السجود اجرى عليها حكمهم
كانها عاقلة وهذا كلام شائع في كلامهم ان يلابس الشيء الشيء من بعض الوجوه فيعطى حكما
من احكامه اظهارا لاثر الملابسة والمقاربة عرف يعقوب عليه السلام دلالة الرؤيا على
ان يوسف يبلغه الله مبلغا من الحكمة ويصطفيه للنبوة وينعم عليه بشرف الدارين كما فعل
بآبائه فخاف عليه حسد الاخوة وبغيهم والرؤيا بمعنى الرؤية الا انها مختصة بما كان منها
في المنام دون اليقظة فرق بينهما بحرفي التانيث كما قيل القربة القربى وقرئ رؤياك
بقلب الهمزة واوا وسمع الكسائي رياك ورياك بالادغام وضم الراء وكسرها وهي ضعيفة
لان الواو في تقدير الهمزة فلا يقوى ادغامها كما لم يقو الادغام في قولهم اتزر من الازار واتجر
من الاجر

رؤية الذوات

لامر التجارة

فيكيدوك منصوب باضمار ان والمعنى ان قصصتها عليهم كادوك هلا قيل فيكيدوك
كما قيل فكيدون ضمن معنى فعل يتعدى باللام ليفيد معنى فعل الكيد مع افادة معنى
الفعل المضمن فيكون آكد وابلغ في التخويف وذلك نحو فيحتالوا لك الا ترى الى تاكيده بالمصدر
عدو مبين ظاهر العداوة لما فعل بآدم وحواء ولقوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم فهو يحمل
على الكيد والمكر وكل شر ليورط من يحمله ولا يؤمن ان يحملهم على مثله وكذلك ومثل ذلك
الاجتباء يجتبيك ربك يعني وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا العظيمة الدالة على شرف وعز و
وكبرياء شان كذلك يجتبيك لامور عظام ويعلمك كلام مبتدا غير داخل في حكم التشبيه
كانه قيل وهو يعلمك ويتم نعمته عليك والاجتباء الاصطفاء افتعال من جبيت الشيء اذا
حصلته لنفسك وجبيت الماء في الحوض جمعته والاحاديث الرؤى لان الرؤيا اما حديث
نفس او ملك او شيطان وتاويلها عبارتها وتفسيرها وكان يوسف اعبر الناس للرؤيا
واصحهم عبارة لها ويجوز ان يراد بتاويل الاحاديث معاني كتب الله وسنن الانبياء وما
غمض واشتبه على الناس من اغراضها ومقاصدها يفسرها لهم ويشرحها ويدلهم على مودعات
حكمها وسميت احاديث لانه يحدث بها عن الله ورسله فيقال قال الله وقال الرسول كذا
وكذا الا ترى الى قوله فباي حديث بعده يؤمنون الله نزل احسن الحديث وهو اسم جمع
للحديث وليس بجمع احدوثة ومعنى اتمام النعمة عليهم انه وصل لهم نعمة الدنيا بنعمة الآخرة
بان جعلهم انبياء في الدنيا وملوكا ونقلهم عنها الى الدرجات العلى في الجنة وقيل
اتمها على ابرهيم بالخلة والانجاء من النار ومن ذبح الولد وعلى اسحق بانجائه
من الذبح وفدائه بذبح عظيم وباخراج يعقوب والاسباط من صلبه وقيل علم يعقوب
ان يوسف يكون نبيا واخوته انبياء استدلالا بضوء الكواكب فلذلك قال وعلى آل
يعقوب وقيل لما بلغت الرؤيا اخوة يوسف حسدوه وقالوا ما رضي ان سجد له اخوته
حتى سجد له ابواه وقيل كان يعقوب مؤثرا له بزيادة المحبة والشفقة لصغره ولما يرى
فيه من المخايل وكان اخوته يحسدونه فلما راى الرؤيا ضاعف له المحبة وكان يضمه
كل ساعة الى صدره ولا يصبر عنه فتبالغ فيهم الحسد وقيل لما قص رؤياه على يعقوب
قال هذا امر مشتت يجمع الله لك بعد دهر طويل وآل يعقوب اهله وهم نسله
وغيرهم واصل آل اهل بدليل تصغيره على اهيل الا انه لم يستعمل الا فيمن له خطر يقال

آل

آل النبي وآل الملك ولا يقال آل الحائك ولا آل الحجام ولكن اهلهما واراد بالابوين الجد و
وابا الجد لانهما في حكم الاب في الاصالة ومن ثم يقولون ابن فلان وان كان بينه وبين
فلان عدة وابرهيم واسحق عطف بيان لابويك ان ربك عليم يعلم من يحق له الاجتباء حكيم
لا يتم نعمته الا على من يستحقها في يوسف واخوته اي في قصتهم وحديثهم آيات علامات ودلائل
على قدرة الله وحكمته في كل شيء للسائلين لمن سال عن قصتهم وعرفها وقيل آيات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
للذين سالوه من اليهود عنها فاخبرهم بالصحة من غير سماع من احد ولا قراءة كتاب وقرئ
آية وفي بعض المصاحف عبرة وقيل انما قص الله على النبي عليه السلام خبر يوسف وبغي اخوته
عليه لما راى من بغي قومه عليه ليأتسي به وقيل اساميهم يهوذا (اخوة يوسف) وروبيل وشمعون
ولاوي وريالون ويشجر ودينة ودان ويفتالي وجاد وآشر السبعة
الاولون كانوا من ليا بنت خالة يعقوب والاربعة الآخرون من سريتين زلفة وبلهة
فلما توفيت ليا تزوج اختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف ليوسف اللام لام
الابتداء وفيها تاكيد وتحقيق لمضمون الجملة ارادوا ان زيادة محبته لهما امر ثابت لا شبهة
فيه واخوه هو بنيامين وانما قالوا اخوه وهم جميعا اخوته لان امهما كانت واحدة
وقيل احب في الاثنين لان افعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكر
والمؤنث اذا كان معه من ولا بد من الفرق مع لام التعريف واذا اضيف جاز الامران
والواو في ونحن عصبة واو الحال يعني انه يفضلهما في المحبة علينا وهما اثنان صغيران
لا كفاية فيهما ولا منفعة ونحن جماعة عشرة رجال كفاة نقوم بمرافقه فنحن احق بزيادة
المحبة منهما لفضلنا بالكثرة والمنفعة عليهما ان ابانا لفي ضلال مبين اي في ذهاب
عن طريق الصواب في ذلك والعصبة والعصابة العشرة فصاعدا وقيل الى الاربعين
سموا بذلك لانهم جماعة تعصب بهم الامور ويستكفون النوائب وروى النزال بن سبرة
عن علي رضي الله عنه ونحن عصبة بالنصب وقيل معناه ونحن نجتمع عصبة وعن ابن الانباري
هذا كما تقول العرب انما العامري عمته اي يتعهد عمته اقتلوا يوسف من جملة
ما حكي بعد قوله اذ قالوا كانهم اطبقوا على ذلك الا من قال لا تقتلوا يوسف وقيل
الامر بالقتل شمعون وقيل دان والباقون كانوا راضين فجعلوا آمرين
ارضا ارضا منكورة مجهولة بعيدة من العمران وهو معنى تنكرها واخلائها من الوصف

ولايهامها من هذا الوجه نصبت نصب الظروف المبهمة **يخل لكم وجه ابيكم** يقبل عليكم اقبالة
واحدة لا يلتفت عنكم الى غيركم والمراد سلامة محبته لهم ممن يشاركهم فيها وينازعهم اياها
وكان ذكر الوجه لتصوير معنى اقباله عليهم لان الرجل اذا اقبل على الشيء اقبل بوجهه
ويجوز ان يراد بالوجه الذات كما قال ويبقى وجه ربك وقيل يخل لكم يفرغ لكم من الشغل
بيوسف **من بعده** من بعد كفايته بالقتل او التغريب او يرجع الضمير الى مصدر اقتلوا
او اطرحوا **قوما صالحين** تائبين الى الله مما جنيتم عليه او يصلح ما بينكم وبين ابيكم
بعذر تمهدونه او تصلح دنياكم وتنتظم اموركم بعده بخلو وجه ابيكم **وتكونوا** اما مجزوم
عطفا على يخل لكم واما منصوب باضمار ان والواو بمعنى مع كقوله وتكتموا الحق **قائل منهم**
هو يهوذا وكان احسنهم فيه رايا وهو الذي قال فلن ابرح الارض قال لهم القتل عظيم
القوه في غيابة الجب وهي غوره وما غاب منه عن عين الناظر واظلم من اسفله
قال المنخل ان انا يوما غيبتني غيابتي فسيروا بسيري في العشيرة والاهل
اراد غيابة حفرته التي يدفن فيها وقرئ غيابات على الجمع وغيابات بالتشديد وقرأ
الجحدري غيبة والجب البئر لم تطو لان الارض تجب جبا لا غير **يلتقطه** يأخذه بعض
السيارة بعض الاقوام الذين يسيرون في الطريق (اي لم تصلح باجر) وقرئ تلتقطه بالتاء على المعنى لان بعض
سيارة كقوله كما شرقت صدر القناة من الدم ومنه بعض اصابعه **ان
كنتم فاعلين** ان كنتم على ان تفعلوا ما يحصل بكم به غرضكم فهذا هو الراي **ما لك
لا تأمنا** قرئ باظهار النونين وبالادغام باشمام وبغير اشمام وتيمنا بكسر التاء مع الادغام
والمعنى لم تخافنا عليه ونحن له الخير ونحبه ونشفق عليه وما وجد منا في بابه ما
يدل على خلاف النصيحة والمقة وارادوا بذلك لما عزموا على كيد يوسف استنزاله عن رايه
وعادته في حفظ منهم وفيه دليل على انه احس منهم بما اوجب ان لا يأمنهم عليه **نرتع**
نتسع في اكل الفواكه وغيرها واصل الرتعة الخصب والسعة وقرئ نرتع من ارتعى
يرتعي وقرئ يرتع ويلعب بالياء من ارتع ماشيته وقرأ العلاء بن سيابة
يرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء **فان قلت** كيف استجاز لهم يعقوب عليه السلام
اللعب **قلت** كان لعبهم الاستباق والانتضال ليضروا انفسهم بما يحتاج اليه لقتال
العدو لا للهو بدليل قوله انا ذهبنا نستبق وانما سموه لعبا لانه في صورته **ليحزنني**

اي من بعد يوسف اي

اللعب ترك ما ينبغي الى ما لا ينبغي

اللام

اللام لام الابتداء كقوله ان ربك ليحكم بينهم ودخولها احد ما ذكره سيبويه من سببي المضارعة
اعتذر اليهم بشيئين احدهما ان ذهابهم به ومفارقته اياه مما يحزنه لانه كان لا يعبر عنه
ساعة والثاني خوفه عليه من عدوة الذئب اذا غفلوا عنه برعيهم ولعبهم او قل به اهتمامهم
(اي مفارقة يوسف يعقوب)
ولم تصدق بحفظه عنايتهم وقيل راى في النوم ان الذئب قد شد على يوسف وكان يحذره
فمن ثم قال ذلك فكفتهم العلة وفي امثالهم البلاء موكل بالمنطق وقرئ الذئب
بالهمز على الاصل وبالتخفيف وقيل اشتقاقه من تذاءبت الريح اذا اتت من كل جهة
القسم محذوف تقديره والله لئن اكله الذئب واللام موطئة للقسم وقوله انا اذا لخاسرون
جواب للقسم مجزئ عن جزاء الشرط والواو في ونحن عصبة واو الحال حلفوا له
لئن كان ما خافه من خطفة الذئب اخاهم من بينهم وحالهم انهم عشرة رجال بمثلهم تعصب
الامور وتكفى الخطوب انهم اذا لقوم خاسرون اي هالكون ضعفا وخورا وعجزا او
مستحقون ان يهلكوا لانه لا غناء عندهم ولا جدوى في حياتهم او مستحقون لان يدعى
عليهم بالخسار والدمار وان يقال خسرهم الله ودمرهم حين اكل الذئب بعضهم
وهم حاضرون وقيل ان لم نقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت مواشينا اذن وخسرنا
فان قلت قد اعتذر اليهم بعذرين فلم اجابوا عن احدهما دون الآخر **قلت** هو الذي كان
يغيظهم ويذيقهم الامرين فاعاروه آذانا صما ولم يعبأوا به ان يجعلوه مفعول اجمعوا
من قولك اجمع الامر وازمعه فاجمعوا امركم وقرئ في غيابات الجب قيل هو بئر
ببيت المقدس وقيل بارض الاردن وقيل بين مصر ومدين وقيل على ثلثة
فراسخ من منزل يعقوب وجواب لما محذوف ومعناه فعلوا به ما فعلوا من الاذى
فقد روي انهم لما برزوا به الى البرية اظهروا له العداوة واخذوا يهينونه ويضربونه
وكلما استغاث بواحد منهم لم يغثه الا بالاهانة والضرب حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح
يا ابتاه لو تعلم ما يصنع بابنك اولاد الاماء فقال يهوذا ما اعطيتموني موثقا
ان لا تقتلوه فلما ارادوا القاءه في الجب تعلق بثيابهم فنزعوها من يديه فتعلق من
بحائط البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال يا اخوتاه ردوا علي قميصي اتوارى به
وانما نزعوه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على ابيهم فقالوا له ادع الشمس والقمر والاحد
عشر كوكبا تؤنسك ودلوه في البئر فلما بلغ نصفها القوه ليموت وكان في البئر ماء

فسقطت فيه ثم أوى إلى صخرة فقام إليها وهو يبكي فناداه فظن انها رحمة أدركتهم فجاءهم
فأرادوا أن يرضخوه ليقتلوه فمنعهم يهوذا وكان يهوذا يأتيه بالطعام ويروى ان
ابرهيم صلوات الله عليه حين ألقي في النار وجد عن ثيابه اناه جبريل عليه السلام بقميص من
من حرير الجنة فألبسه اياه فدفعه ابرهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله يعقوب في
عيمة علقها في عنق يوسف فجاء جبريل فأخذه والبسه اياه **واوحينا اليه** قيل اوحي
اليه في الصغر كما اوحي الى يحيى وعيسى وقيل كان ادراكا مدركا وعن الحسن كان له سبع عشرة
سنة **لتنبئنهم بامرهم هذا** واما اوحي اليه ليؤنسه في الظلمة والوحشة بما يؤل اليه امره
ومعناه لتخلصن مما انت فيه ولتحدثنهم اخوتك بما فعلوا بك **وهم لا يشعرون** انك
يوسف لعلو شانك وكبريائك وبعد حالك عن اوهامهم ولطول العهد المبدل
للهيآت والاشكال وذلك انهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون دعا
بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال انه ليخبرني هذا الجام انه كان لكم اخ من ابيكم
يقال له يوسف وكان يدنيه دونكم وانكم انطلقتم به والقيتموه في غيابة الجب وقلتم
لابيكم اكله الذيب ويعتوه بتشديد الياء وبجوز ان يتعلق وهم لا يشعرون بقوله واوحينا
على انا انسناه بالوحي وازلنا عن قلبه الوحشة وهم لا يشعرون ذلك ويجوز ان يكون مستأنفا
مستوحشا لا انيس له وقرئ لتنبئنهم بالنون على انه وعيد لهم وقوله وهم لا يشعرون متعلق
باوحينا لا غير وعن الحسن **عشيا** على تصغير عشي يقال لقيته عشيا وعشيانا واصيلا
واصيلانا وروى ابن جني عشا بضم العين والقصر وقالوا عشوا من البكاء وروي ان
امرأة حاكمت الى شريح فبكت فقال له الشعبي يا ابا امية اما ترى اما تبكي قال فدعها
اخوة يوسف يبكون وهم ظلمة ولا ينبغي لاحد ان يقضي الا بما امر ان يقضي به من السنة
المضية وروي انه لما سمع صوتهم فزع وقال مالكم يا بني هل اصابكم في غنمكم شيء قالوا
لا قال فمالكم وابن يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق اي نتسابق والافتعال
والتفاعل يشتركان كالانتضال والتناضل والارتماء والترامي وغير ذلك والمعنى
نتسابق في العدو او الرمي وجاء في التفسير نتصارع **بومن لنا** بمصدق لنا **ولو**
كنا صادقين ولو كنا عندك من اهل الصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف فكيف
وانت سيء الظن بنا غير واثق بقولنا **بدم كذب** او وصف بالمصدر مبالغة كأنه

نفس الكذب وعينه كما يقال للكذاب هو الكذب بعينه والدور بذاته ونحوه
فهن به جود وانتم به بخل وقرئ كذبا نصبا على الحال بمعنى جاؤا به كاذبين ويجوز
ان يكون مفعولا له وقرأت عائشة رضي الله عنها بكذب بالدال غير المعجمة اي كدر وقيل
طري وقال ابن جني اصله من الكذب وهو الغوف البياض الذي يخرج على اظفار الاحداث
كانهم قد اتوا في قميصه رووا انهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وزل عنهم ان يمزقوه
وروي ان يعقوب لما سمع بخبر يوسف صاح يا على صوته وقال ابن القميص فاخذه
فالقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال تالله ما رأيت كاليوم
ذيبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه وقيل كان في قميص يوسف ثلث
آيات كان دليلا ليعقوب على كذبهم والقاه على وجهه فارتد بصيرا ودليلا على براءة يوسف
حين قد من دبر فان قلت على قميصه ما محله قلت محله النصب على الظرف كانه قيل جاؤا
بدم كائن على قميصه بدم كما تقول جاء على حاله باحمال فان قلت هل يجوز ان تكون حالا
متقدمة قلت لان الحال المجرور لا يتقدم عليه سولت سهلت من السول وهو
الاسترخاء اي سهلت لكم انفسكم امرا عظيما ارتكبتموه من يوسف وهونته في اعينكم
استدل على فعلهم به بما كان يعرف من حرصهم وبلاءه القميص او اوحي اليه
بانهم قصدوا **فصبر جميل** خبر او مبتدأ لكونه موصوفا اي فامري صبر جميل
او فصبر جميل امثل وفي قراءة ابي فصبرا جميلا فالصبر الجميل حاء في الحديث
المدفوع انه الذي لا شكوى فيه ومعناه لا شكوى فيه الى الخلق الا الى الله
قوله انما اشكو بثي وحزني الى الله وقيل لا اعاتبكم على كآبة الوجه بل اكون
لكم كما كنت وقيل سقط حاجبا يعقوب على عينيه فكان يرفعهما بعصابة فقيل
له ما هذا فقال طول الزمان وكثرة الاحزان فاوحى الله تعالى اليه يا يعقوب اتشكوني
قال يا رب خطيئة فاغفر لي **والله المستعان** اي اسعنه على احتمال ما تصفون
من هذا يوسف والصبر على الرزء فيه **وجاءت سيارة** رفقة تسير من قبل
مدين الى مصر وذلك بعد ثلثة ايام من القاء يوسف في الجب فاخطأوا الطريق
فنزلوا قريبا منه وكان الجب في قفرة بعيدة من العمران لم يكن الا للرعاة
وقيل كان ماؤه ملحا فعذب حين القي فيه يوسف فارسلوا رجلا يقال له

عامة في الوارد ولم تبلغ ما بلغ ابو اكر

الا عشيا بعد العشاء يوسف

مالك بن ذعر الخزاعي ليطلب لهم الماء، والوارد الذي يرد الماء ليستقي للقوم **يا بشرى** نادى البشري كأنه يقول تعالى فهذا من أوانك وفدي يا بشراي على اضافتها الى نفسه وفي قراءة الحسن وغيره يا بشري بالياء، مكان الالف جعلت الياء، بمنزلة الكسرة قبل ياء الاضافة وهي لغة للعرب مشهورة سمعت امل البدوات يقولون في دعائهم يا سيدي ومولي وعن نافع يا بشراي بالسكون وليس بالوجه لما فيه من التقاء الساكنين على غير حده الآن بقصد الوقف فيل لما أدلى دلوه اي ارسلها في الجب تعلق يوسف بالحبل فلما خرج اذا هو غلام احسن ما يكون فقال يا بشراي هذا غلام وقيل ذهب به فلما دنى من اصحابه صاح بذلك يبشرهم به **واسروه** الضمير للوارد واصحابه اخفوه من الرفقة وقيل اخفوا امره ووجدانهم له في الجب وقالوا لهم دفعه الينا املا، لبضاعة لهم بمصر وعن ابن عباس ان الضمير لاخوة يوسف وانهم قالوا للرفقة هذا غلام لنا قد ابق فاشتروه منا وسكت يوسف مخافة ان يقتلوه **وبضاعة** منصوب على الحال اي اخفوه متاعا للتجارة والبضاعة ما يضع من المال للتجارة اي قطع **والله عليم بما يعملون** لم يخف عليه اسرارهم او هو وعيد لهم حيث استضعفوا مالهم او والله عليم بما يعمل اخوة يوسف بابيهم واخيهم من سوء الصنيع **وشروه** وباعوه **بثمن بخس** ينحوس ناقص عن القيمة نقصانا ظاهرا او زيف ناقص العيار **دراهم** لا دنانير **معدودة** قليلة تعد عدا ولا توزن لانهم كانوا لا يزنون الا ما بلغ الاوقية وهي الاربعون ويعدون ما دونها وقيل للقليلة معدودة لان الكثيرة يمتنع من عدها لكثرتها وعن ابن عباس كانت عشرين درهما وعن السدي اثنين وعشرين **وكانوا فيه من الزاهدين** مما يرغب عما في يديه بما طمع من الثمن لانهم التقطوه والملتقط لتشهيها ون به لا يبالي بما باعه ولانه يخاف ان يعرض له مستحق ينتزعه من يده فيبيعه من اول سام باوكس الثمن ويجوز ان يكون معنى **وشروه** واشتروه بمعنى الرفقة من اخوته وكانوا فيه من الزاهدين لانهم اعتقدوا انه آبق فخافوا ان يخطروا بالهم فيه ويروى ان اخوته اتبعوهم يقولون استوثقوا منه لا يابق وقوله فيه ليس من صلة الزاهدين لان الصلة لا تتقدم على الموصول الا تراك لا تقول وكانوا زيدا من الضاربين وانما هو بيان كانه قيل في اي شيء زهدوا فقال زهدوا فيه

الذي اشتراه قيل هو قطفير او اطفير وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر والملك يومئذ الريان ابن الوليد رجل من العماليق وقد آمن بيوسف ومات في حياة يوسف وملك بعده قابوس بن مصعب فدعاه يوسف الى الاسلام فابى واشتراه العزيز وهو ابن بضع عشرة سنة واقام في منزله ثلث عشرة سنة واستوزره ريان بن الوليد وهو ابن ثلثين سنة واتاه الله الحكمة والملك وهو ابن ثلث ونلثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة وقيل كان الملك في ايامه فرعون موسى عاش اربع مائة سنة بدليل قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وقيل فرعون موسى من اولاد فرعون يوسف وقيل اشتراه العزيز بعشرين دينارا وزوجي نعل وثوبين ابيضين وقيل ادخلوه السوق يعرضونه فتزايدوا في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا ووزنا وحريرا فابتاعه قطفير بذلك المبلغ **اكرمي مثواه** اجعلي منزله ومقامه عندنا كريما اي حسنا مرضيا بدليل قوله انه ربي احسن مثواي والمراد تفقديه بالاحسان وتعهديه بحسن الملكة حتى تكون نفسه طيبة في صحبتنا كائنة في كنفنا ويقال للرجل كيف ابو مثواك وام مثواك لمن ينزل به من رجل او امراة يريد هل تطيب نفسك بثوائك عبده وهل يراعي حقي نزولك به واللام في لامراته متعلقة بقال لا باشتراه **عسى ان ينفعنا** لعلة او اذا تدرب وراض الامور وفهم مجاريها نستظهر به على بعض ما نحن بسبيله فينفعنا فيه بكفايته وامانته او نتبناه ونقيمه مقام الولد وكان قطفير عقيما لا ولد له قد تفرس فيه الرشد فقال ذلك وقيل افرس الناس ثلثة العزيز حين تفرس في يوسف فقال لامراته اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا والمراة التي اتت موسى وقالت لابيها يا ابت استاجره وابو بكر حين استخلف عمر وروي انه سماه له عن نفسه فاخذه بشبهه فعرفه **وكذلك** الاشارة الى ما تقدم من انجائه وعطف مكن العزيز عليه والكاف منصوب تقديره ومثل ذلك الانجاء والعطف **وكذلك** اي كما انجيناه وعطفنا عليه العزيز كذلك مكنا له في ارض مصر وجعلناه ملكا يتصرف فيها بامره ونهيه **ولنعلمه من تاويل الاحاديث** كان ذلك الانجاء والتمكين لان غرضنا ليس الا ما يحمد عاقبته من علم وعمل **والله غالب على امره** اي على امر نفسه لا يمنع عما يشاء ولا يناله ما يريد ويقضي او على امر يوسف يدبره لا يكله الى غيره قد اراد اخوته به ما اراد واولم يكن الا ما اراد الله

ودبر ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الامر كله بيد الله قيل في الاشد ثماني عشرة سنة
وعشرون وثلث وثلثون واربعون وقيل اقصاه ثنتان وستون حكما وهو العلم بالعمل
واجتناب ما يجهل فيه وقيل حكما بين الناس وفقها وكذلك نجزي المحسنين تنبيه على انه
كان محسنا في عمله متقيا في عنفوان امره وان الله آتاه الحكم والعلم جزاء على احسانه وعن الحسن
من احسن عبادة ربه في شبيبته آتاه الله الحكمة في اكتهاله المراودة مفاعلة من راد يرود اذا جاء
وذهب كان المعنى خادعته عن نفسه اي فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عن الشيء الذي لا يريد
ان يخرجه من يده يحتال ان يغلبه عليه ويأخذه منه وهي عبارة عن التمحل لمواقعته اياها وغلقت
الابواب قيل كانت سبعة قرى هيت بفتح الهاء وكسرها مع فتح التاء وبناؤه كبناء اين
وعيط وهيت كجير وهيت كحيث وهيئت بمعنى تهيأت ويقال هاء يهيء كجاء يجيء اذا تهيأ
وهيئت لك واللام من صلة الفعل واما في الاصوات فللبيان كانه قيل لك اقول هذا كما تقول
هلم لك معاذ الله اعوذ بالله معاذا انه ان الشان والحديث ربي سيدي ومالكي يريد قطفير
احسن مثواي حين قال لك اكرمي مثواه فما جزاؤه ان اخلفه في اهله سوء الخلافة واخونه
فيهم انه لا يفلح الظالمون الذين يجازون الحسن بالسيء وقيل اراد الزناة لانهم ظالمون
وقيل اراد بقوله ربي الله تعالى لانه مسبب الاسباب هم بالامر اذا قصده وعزم
عليه قال هممت ولم افعل وكدت وليتني تركت على عثمان تبكي جلائله
ومنه قولك لا افعل ذلك ولا كيدا ولا هما اي ولا اكاد ان افعله كيدا ولا اهم بفعله
هما حكاه سيبويه ومنه الهمام وهو الذي اذا هم بامر امضاه ولم ينكل عنه وقوله
ولقد همت به وهم بها معناه ولقد همت بمخالطته وهم بمخالطتها لولا ان راى برهان ربه
جوابه محذوف تقديره لولا ان راى برهان ربه لخالطها فحذف لان قوله وهم بها يدل عليه
كقولك هممت بقتله لولا اني خفت الله معناه لولا اني خفت الله لقتلته فان قلت
كيف جاز على نبي الله ان يكون منه هم بالمعصية وقصد اليها قلت المراد ان نفسه مالت
الى المخالطة ونازعت اليها عن شهوة الشباب وقرمه ميلا يشبه الهم به والقصد اليه وكما
تقتضيه صورة تلك الحال التي تكاد تذهب بالعقول والعزائم وهو يكسر ما به ويرده
بالنظر في برهان الله المأخوذ على المكلفين من وجوب اجتناب المحارم ولو لم يكن ذلك الميل
الشديد المسمى هما لشدته لما كان صاحبه ممدوحا عند الله بالامتناع لان استعظام الصبر على

الابتلاء

الابتلاء على حسب عظم الابتلاء وشدته ولو كان همه كهمها عن عزيمة لما مدحه الله بانه من
عباده المخلصين ويجوز ان يريد بقوله وهم بها وشارف ان يهم بها كما يقول الرجل قتلته
لو لم اخف الله يريد مشارفة القتل ومشافهته كانه شرع فيه فان قلت قوله وهم بها
داخل تحت حكم القسم في قوله ولقد همت به ام هو خارج منه قلت الامران جائزان
ومن حق القارئ اذا قدر خروجه من حكم القسم وجعله كلاما برأسه ان يقف على قوله
ولقد همت به ويبتدئ قوله وهم بها لولا ان راى برهان ربه وفيه ايضا اشعار
بالفرق بين الهمين فان قلت لم جعلت جواب لولا محذوفا يدل عليه هم بها وهلا جعلته
هو الجواب مقدما قلت لان لولا يتقدم عليها جوابها من قبل انه في حكم الشرط والشرط
صدر الكلام وهو مع ما في حيزه من الجملتين مثل كلمة واحدة ولا يجوز تقديم بعض الكلمة
على بعض واما حذف بعضها اذا دل الدليل عليه فجائز فان قلت فلم جعلت لولا متعلقة
بهم بها وحده ولم تجعلها متعلقة بجملة قوله ولقد همت به وهم بها لان الهم لا يتعلق
بالجواهر ولكن بالمعاني فلا بد من تقدير المخالطة والمخالطة لا تكون الا من اثنين معا فكانه
قيل ولقد هما بالمخالطة لولا ان منع مانع احدهما قلت نعم ما قلت ولكن الله سبحانه
وتعالى قد جاء بالهمين على سبيل التفصيل حيث قال ولقد همت به وهم بها فكان اغفاله
الغاء له فوجب ان يكون التقدير ولقد همت بمخالطته على ان المراد بالمخالطتين توصلها
تفصيل
الى ما هو حظها من قضاء شهوتها وتوصله الى ما هو حظه من قضاء شهوته منها لولا ان
راى برهان ربه فترك التوصل الى حظه من الشهوة فلذلك كانت لولا حقيقة بان تعلق
بهم بها وحده وقد فسر هم يوسف بانه حل الهميان وجلس منها مجلس المجامع وبانه
حل تكة سراويله وقصد بين شعبها الاربع وهي مستلقية على قفاها وفسر البرهان
بانه سمع صوتا اياك واياها فلم يكترث له فسمعه ثانيا فلم يعمل به فسمعه ثالثا اعرض عنها
قلة المبالات
فلم ينجع فيه حتى مثل له يعقوب عاضا على انملته وقيل ضرب بيده في صدره فخرجت
شهوته من انامله وقيل كل ولد يعقوب له اثنا عشر ولدا الا يوسف فانه ولد له احد عشر
ولدا من اجل ما نقص من شهوته حين هم وقيل صيح به يا يوسف لا تكن كالطائر كان له
ريش فلما زنى قعد لا ريش له وقيل بدت كف فيما بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب
فيها وان عليكم لحافظين كراما كاتبين فلم ينصرف ثم راى فيها ولا تقربوا الزنى انه كان

وقد فسر هم يوسف

فاحشة وساء سبيلا فلم ينته ثم راى فيه واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فلم ينجع فيه فقال
الله لجبريل ادرك عبدي قبل ان يصيب الخطيئة فانحط جبريل وهو يقول يا يوسف اتعمل
عمل السفهاء وانت مكتوب في ديوان الانبياء وقيل راى تمثال العزيز وقيل قامت المراة الى صنم
هناك فسترته وقال استحيي ان يرانا فقال يوسف استحييت ممن لا يسمع ولا يبصر ولا استحيي
من السميع البصير العليم بذوات الصدور وهذا ونحوه مما يورده اهل الحشو والجبر
الذين دينهم بهت الله وانبيائه واهل العدل والتوحيد ليسوا من مقالاتهم ورواياتهم
بحمد الله بسبيل ولو وجدت من يوسف عليه السلام ادنى زلة لنعيت عليه وذكرت
توبته واستغفاره كما نعيت على ادم صلوات الله عليه زلته وعلى داود وعلى نوح وعلى ايوب وعلى ذي النون
وذكرت توبتهم واستغفارهم كيف وقد اثنى عليه وسمي مخلصا فعلم بالقطع انه ثبت في ذلك
المقام الدحض وانه جاهد نفسه مجاهدة اولي القوة والعزم ناظرا في دليل التحريم ووجه القبح حتى
استحق من الله الثناء فيما انزل من كتب الاولين ثم في القرآن الذي هو حجة على سائر كتبه ومصداق
لها ولم يقتصر الا على استيفاء قصته وضرب سورة كاملة عليها ليجعل له لسان صدق في الآخرين
كما جعله لجده الخليل ابرهيم وليقتدي به الصالحون الى آخر الدهر في العفة وطيب الازار والتثبت
في مواقف العثار فاخزى الله اولئك في ايرادهم ما يؤدي الى ان يكون انزال الله السورة
التي هي احسن القصص في القرآن العربي المبين ليقتدي بنبي من انبياء الله في العقود بين
شعب الزانية وفي حل تكته للوقوع عليها وفي ان ينهاه ربه ثلث كرات ويصاح به من عنده
ثلث صيحات بقوارع القرآن وبالتوبيخ العظيم وبالوعيد الشديد ولا التشبيه بالطائر الذي
سقط ريشه حين سفد غير انثاه وهو جاثم في مربضه لا يتحلحل ولا ينتهي ولا ينتبه حتى
يتداركه الله بجبريل وباجباره ولو ان اوقح الزناة واشطرهم واحدهم حدقة واجلحهم وجها
لقي بادنى ما لقي به نبي الله مما ذكروا لما بقي له عرق ينبض ولا عضو يتحرك فيا له من مذهب
ما افحشه ومن ضلال ما ابينه **كذلك** الكاف منصوب المحل اي مثل ذلك التثبيت
ثبتناه او مرفوعه اي الامر مثل ذلك **لنصرف عنه السوء** من خيانة السيد **والفحشاء**
من الزنا **انه من عبادنا المخلصين** الذين اخلصوا دينهم لله وبالفتح الذين اخلصهم الله
لطاعته بان عصمهم ويجوز ان يريد بالسوء مقدمات الفاحشة من القبلة والنظر بشهوة
ونحو ذلك وقوله من عبادنا معناه بعض عبادنا اي هو مخلص من جملة المخلصين او هو ناشئ

منهم

منهم لانه من ذرية ابرهيم الذين قال فيهم انا اخلصناهم بخالصة **واستبقا الباب** وتسابقا
الى الباب على حذف الجار وايصال الفعل كقوله تعالى واختار موسى قومه او على تضمين استبقا
معنى ابتدرا نفر منها يوسف فاسرع يريد الباب ليخرج واسرعت وراءه لتمنعه الخروج
فان قلت كيف وحد الباب وقد جمعه في غلقت الابواب **قلت** اراد الباب البراني الذي
هو المخرج من الدار والمخلص فقد روى كعب انه لما هرب يوسف جعل فراش القفل
يتناثر ويسقط حتى خرج من الابواب **وقدت قميصه من دبر** اجتذبته من خلفه
فانقد اي انشق حين هرب الى الباب وتبعته تمنعه **والفيا سيدها** فصادفا بعلها
وهو قطفير تقول المراة لبعلها سيدي وقيل انما لم يقل سيدهما لان ملك يوسف لم يصح
فلم يكن سيدا له على الحقيقة قيل الفياه مقبلا يريد ان يدخل وقيل جالسا مع ابن
عم للمراة لما اطلع منها زوجها على تلك الهيئة المريبة وهي مغتاظة على يوسف اذ لم يواتها
جاءت بحيلة جمعت فيها غرضيها وهي تبرئة ساحتها عند زوجها من الريبة والغضب
على يوسف وتخويفه طمعا في ان يواتيها خيفة منها ومن مكرها وكرها لما ايست من
مواتاته طوعا الا ترى الى قوله ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وما نافية اي ليس جزاؤه
الا السجن كما تقول من في الدار الا زيد **فان قلت** كيف لم تصرح في قولها بذكر يوسف وانه
اراد بها سوءا **قلت** قصدت العموم وان كل من اراد باهلك سوءا فحقه ان يسجن او
يعذب لان ذلك ابلغ فيما قصدته يوسف وقيل العذاب الاليم الضرب بالسياط ولما اغرت
وعرضته للسجن والعذاب وجب عليه الدفع عن نفسه هي راودتني عن نفسي ولولا
ذلك لكتم عليها **وشهد شاهد من اهلها** قيل كان ابن عم لها وانما القى الله الشهادة
على لسان من هو من اهلها ليكون اوجب للحجة عليها واوثق لبراءة يوسف وانفى للتهمة
عنه وقيل هو الذي كان جالسا مع زوجها لدا الباب وقيل كان حكيما يرجع اليه
الملك ويستشيره ويجوز ان يكون بعض اهلها كان في الدار فبصر بها من حيث لا تشعر
فاغضبه الله ليوسف بالشهادة له والقيام بالحق وقيل كان ابن خال لها صبيا
في المهد وعن النبي صلى الله عليه وسلم تكلم اربعة وهم صغار ابن ماشطة فرعون وشاهد
يوسف وصاحب جريج وعيسى **فان قلت** لم سمي قوله شهادة وما هو بلفظ الشهادة
قلت لما ادى مؤدى الشهادة في ان ثبت به قول يوسف وبطل قولها سمي شهادة

من تخويف

فان قلت الجملة الشرطية كيف جازت حكايتها بعد فعل الشهادة قلت لانها قول من القول او على
ارادة القول كانه قيل وشهد شاهد فقال ان كان قميصه فان قلت ان دل قد قميصه من دبر
على انها كاذبة وانها هي التي تبعته واجتذبت قميصه اليها فقدته فمن اين دل قده من قبل
على انها صادقة وانه كان تابعها وهي دافعته قلت من وجهين احدهما انه اذا كان تابعها
وهي دافعته عن نفسها قدت قميصه من قدامه بالدفع والثاني ان يسرع خلفها ليلحقها
فيتعثر في مقادم قميصه فيشقه وقرئ من قبل ومن دبر بالضم على مذهب الغايات والمعنى
من قبل القميص ودبره واما التنكير فمعناه من جهة يقال له دبر وعن ابن ابي اسحق انه
قرأ من قبل ومن دبر بالفتح كانه جعلهما علمين للجهتين فمنعهما الصرف للعلمية والتانيث
وقرئا بسكون العين فان قلت كيف جاز الجمع بين ان الذي للاستقبال وبين كان قلت
لان المعنى ان يعلم انه كان قميصه قد ونحوه قولك ان احسنت الي فقد احسنت اليك من قبل
لمن يمتن عليك باحسانه تريد ان تمتن علي امتن عليك فلما راى يعني قطفير وعلم
براءة يوسف وصدقه وكذبها قال انه ان قولك ما جزاء من اراد باهلك سوءا او ان
هذا الامر وهو طمعها في يوسف من كيدكن الخطاب لها ولامتها وانما استعظم كيد النساء
لانه وان كان في الرجال الا ان النساء الطف كيدا وانفذ حيلة ولهن في ذلك نيقة
ورفق وبذلك يغلبن الرجال ومنه قوله ومن شر النفاثات في العقد والقصريات
من بينهن معهن ما ليس مع غيرهن من البوايق وعن بعض العلماء انا اخاف من
النساء اكثر مما اخاف من الشيطان للمجانسة لان الله تعالى يقول ان كيد الشيطان كان ضعيفا
وقال للنساء ان كيدكن عظيم يوسف حذف منه حرف النداء لانه منادى قريب مفاطن
للحديث وفيه تقريب له وتلطيف لمحله اعرض عن هذا الامر واكتمه ولا تحدث به واستغفري
انت لذنبك انك كنت من الخاطئين من جملة القوم المتعمدين للذنب يقال خطئ اذا اذنب
متعمدا وانما قال من الخاطئين بلفظ التذكير تغليبا للذكور على الاناث وما كان العزيز
الا رجلا حليما وروي انه كان قليل الغيرة وقال نسوة وقال جماعة من النساء وكن
امراة الساقي وامراة الخباز وامراة صاحب الدواب وامراة صاحب السجن وامراة
الحاجب والنسوة اسم مفرد لجمع المراة وتانيثه غير حقيقي كتانيث اللمة ولذلك لم تلحق
فعله تاء التانيث وفيه لغتان كسر النون وضمها في المدينة في مصر امراة العزيز يردن

قطفير

قطفير والعزيز الملك بلسان العرب فتاها غلامها يقال فتاي وفتاتي اي غلامي وجاريتي
شغفها خرق حبه شغاف قلبها حتى وصل الى الفؤاد والشغاف حجاب القلب وقيل
جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب قال النابغة وقد حال هم دون ذلك والج
مكان الشغاف تبتغيه الاصابع وقرئ شعفها بالعين من شعف البعير اذا هناه
فاحرقه بالقطران قال كما شعف المهنوءة الرجل الطالي نصب على التمييز
في ضلال مبين في خطاء وبعد عن طريق الصواب بمكرهن باغتيابهن وسوء قالتهن
وقولهن امراة العزيز عشقت عبدها الكنعاني ومقتها وسمي الاغتياب مكرا لانه في خفية
وحال غيبة كما يخفي الماكر مكره وقيل كانت استكتمتهن سرها فافشينه عليها ارسلت
اليهن دعتهن قيل دعت اربعين امراة منهن الخمس المذكورات واعتدت لهن متكأ
ما يتكئن عليه من نمارق قصدت بتلك الهيئة وهي قعودهن متكئات والسكاكين
في ايديهن ان يدهشن ويبهتن عند رؤيته ويشغلن عن نفوسهن فتقع ايديهن
على ايديهن فيقطعنها لان المتكئ اذا بهت لشيء وقعت يده على يده ولا يبعد ان تقصد
الجمع بين المكر وبهن فتضع الحناجر في ايديهن ليقطعن ايديهن فتبكتهن بالحجة
ولهول يوسف من مكرها اذا خرج على اربعين نسوة مجتمعات في ايديهن الحناجر
توهمه انهن يثبن عليه وقيل متكأ مجلس طعام لانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب
والحديث كعادة المترفين ولذلك نهي ان ياكل الرجل متكئا واتتهن السكاكين ليعالجن
بها ما ياكلن وقيل متكأ طعاما من قولك اتكأنا عند فلان طعمنا على سبيل الكناية لان
من دعوته ليطعم عندك اتخذت له تكاءة يتكئ قال جميل فظللنا بنعمة واتكأنا
وشربنا الحلال من قلله وعن مجاهد متكأ طعاما يحز حزا كان المعنى يعتمد بالسكين
لان القاطع يتكئ على المقطوع بالسكين وقرئ متكا بغير همز وعن الحسن متكاء بالمد
كانه مفتعال وذلك لاشباع فتحة الكاف كقوله بمنتزاح بمعنى بمنتزح ونحوه ينباع بمعنى
ينبع وقرئ متكا وهو الاترج وانشد فاهدت متكة لبني ابيها
تخب بها العثمثمة الوقاح وكانت اهدت اترجة على ناقة وكانها الاترجة
التي ذكرها ابو داود في سننه انها شقت بنصفين وحملا كالعدلين على حمل وقيل الزماورد
وعن وهب اترجا وموزا وبطيخا وقيل اعتدت لهن ما يقطع من متك الشيء بمعنى بتكه

اذا قطعه وقرأ الاعرج متكأ، مفعلا من تكى يتكى **اكبرنه** حضنه وهبن ذلك الحسن الرائع والجمال الفائق قيل كان فضل يوسف على الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على نجوم السماء، وعن النبي صلى الله عليه وسلم مررت بيوسف الليلة التي عرج بي الى السماء، فقلت جبريل من هذا فقال يوسف فقيل يا رسول الله كيف رأيته قال كالقمر ليلة البدر وقيل كان يوسف اذا سار في أزقة مصر يرى تلألؤ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس من الماء عليها وقيل ما كان احد يستطيع وصف يوسف وقيل كان يشبه آدم يوم خلقه ربه وقيل ورث الجمال من جدته سارة وقيل اكبرن بمعنى حضن والهاء للسكت يقال اكبرة المرأة اذا حاضت وحقيقته دخلت في الكبر لانها بالحيض تخرج من حد الصغر الى حد الكبر وكان ابا اللهب اخذ من هذا النعت قوله بشرقي فان لحت حاضت في الخدور العواتق **وقطعن ايديهن** جرحنا كما تقول كنت اقطع اللحم فقطعت يدي تريد جرحتها **حاشا** كلمة تفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء يقول اساء القوم حاشا زيدا قال

حاشا ابي ثوبان ان به ضنا على الملحاة والشتم

وهي حرف من حروف الجر وضعت موضع التنزيه والبراءة فمعنى حاشا لله براءة الله وتنزيه الله وهي قراءة ابن مسعود على اضافة حاشا الى الله اضافة البراءة ومن قرأ حاشا لله فنحو قولك سقيا لك كأنه قال براءة ثم قال لله لبيان من يبرئ وينزهه والدليل على تنزيل حاشا لله بالتنوين وقراءة ابي عمرو وحاش لله بحذف الالف الاولى وقرأ حاش لله بكون الشين على ان الفتحة اتبعت الالف في الاسقاط وهي ضعيفة لما فيها من التقاء ساكنين على غير حده وقرئ حاشا الآله فان قلت فلم جاز في حاشا لله ان لا ينون بعد اجرائه مجرى براءة لله قلت مراعاة لاصله الذي هو الحرفية الا ترى الى قولهم جلست من عن يمينه كيف تركوا عن غير معرب على اصله وعلى قوله غدت من عليه منقلب الالف الى الياء مع الضمير والمعنى تنزيه الله من صفات العجز والتعجب من قدرته على خلق جميل مثله واما قوله حاشا لله ما علمنا عليه من سوء فالتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله **ما هذا بشرا** نفين عنه البشرية لغرابة حاله ومبالغة حسنه لما علمه محاسن الصور واثبتن له الملكية وبنين له الحكم وذلك لان الله عز وجل ركز في الطباع ان لا احسن من الملك كما ركز فيها ان لا اقبح من الشيطان ولذلك يشبه كل متناه في الحسن والقبح بهما وما ركز ذلك فيهما

الآلان

الآلان الحقيقة بذلك كما ركز في الطباع ان لا ادخل في الشر من الشيطان ولا اجمع للخير من الملك الا ملكية الغيبة الخاصية المجردة من تفضيل الانس على الملك وما هو الامن تعكيسهم للحقايق وجحودهم للعلوم الضرورية ومكابرتهم في كل باب واعمال ما عمل ليس هي اللغة القرى الحجازية وبها ورد القرآن ومنها قوله ما هن امهاتهم ومن قرأ على سليقته من بني تميم قرأ بشر بالرفع وهي في قراءة ابن مسعود وقرئ ما هذا بشرى اي ما هو بعبد مملوك لئيم **ان هذا الا ملك كريم** تقول هذا بشرى اي حاصل بشرى بمعنى هذا مشترى وتقول هذا لك بشري ام بكري والقراءة هي الاولى لموافقتها المصحف ومطابقة تبشرن الملك **قالت فذلكن** ولم تقل فهذا وهو حاضر رفعا لمنزلته في الحسن واستحقاق ان يحب ويفتتن به ورياء بحاله واستبعادا لمحله ويجوز ان يكون اشارة الى المعنى بقولهن حاشا لله ما هذا بشرا كأنه قيل فذلكن الذي عبدتنا الكنعانية تقول هو ذلك العبد الكنعاني الذي صورتن في انفسكن ثم لمتنني فيه بمعنى انكن لم تصورنه بحق صورته ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتنني في الافتتان به **واعتصم** بناء مبالغة يدل على الاشباع البليغ والتحفظ الشديد كأنه في عصمة وهو مجتهد في الاستزادة منها ونحوه استمسك واستوسع الفتق وتجمع الراي وتفعل الخطب وهذا بيان لما كان من يوسف عليه السلام لامر بدا عليه وبدا بان لا شئ انول لمنزلته عند ربه مما اضاف اليه اهل العشق مما قصدوا به الهم والبرهان **فان قلت** الضمير في آمره راجع الى الموصول ام الى يوسف **قلت** بل الى الموصول والمعنى ما آمره به لحذف الجار كما في قوله امرتك الخير ويجوز ان تجعل ما مصدرية فيرجع الى يوسف ومعناه ولئن لم يفعل امري اياه اي موجب امري ومقتضاه قدي **وليكونن** بالتشديد والتخفيف والتخفيف اولى لان النون كتبت في المصحف الفا على حكم الوقف وذلك لا يكون الا في الخفيفة وقرئ السجن بالفتح على المصدر وقال رب السجن احب الي مما يدعونني اليه لانهن تضمخن له وزين له مطاوعتها وقلن له اياك والقاء نفسك في السجن والتصاغر فالتجاء الى ربه عند ذلك وقال رب نزول السجن احب الي من ركوب المعصية **فان قلت** نزول السجن مشقة على النفس شديدة وما دعونه اليه لن عظيمة فكيف كانت المشقة احب اليه من الذرة **قلت** كانت احب اليه وآثر عنده نظرا في حسن العقبى على احتمالها لوجه الله وفي قبح المعصية وفي عاقبتها كل واحد منهما لا نظر في مشتهى النفس ومكدوهها

ابشروا واصبروا فوجدوا ان لهذا للجا فقالوا بارك الله عليك ما احسن وجهك وما احسن خلقك لقد بورك لنا في جوارك فمن انت يا فتى قال انا يوسف ابن صفي الله يعقوب بن ذبيح الله اسحق بن خليل الله ابراهيم فقال له عامل السجن لو استطعت خليت سبيلك ولكني احسن جوارك فكن في اي بيوت السجن شئت وروي ان الفتيين قالا له انا لنجد من حسن صمتك ما يسرنا فقال اشدد كما بالله ان لا تجتبا في فوالله ما جبي احد قط الا دخل علي من جبته بلاء لقد اجتبني عمتي فدخل علي من جبتها بلاء ثم اجتبني ابي فدخل علي من جبته بلاء ثم اجتبني زوجة صاحبي فدخل علي من جبتها بلاء فلا تجتبا في بارك الله فيكما وعن الشعبي انها تحاكما ليمتحناه فقال الساقي اراني في بستان واذا باصل حملة عليها ثلثة عناقيد من عنب فقطعتها وعصرتها في كاس الملك وسقيته وقال الخباز اراني وفوق راسي ثلث سلال فيها انواع الاطعمة واذا سباع الطير تنهش منها فان قلت الام يرجع الضمير في بيتا بتاويله قلت الى ما قصا عليه والضمير يجري مجرى اسم الاشارة في نحوه كما نه قيل بيتنا بتاويل ذلك لما استعبراه ووصفاه بالاحسان افتص ذلك فوصل به وصف نفسه بما هو فوق علم العلماء وهو الاخبار بالغيب وانه ينبئهما عما يحمل اليهما من الطعام في السجن قبل ان ياتيهما ويصفه لهما ويقول اليوم ياتيكما طعام من صفته كيت وكيت فيجدانه كما اخبرهما وجعل ذلك تخلصا الى ان يذكر لهما التوحيد ويعرض عليهما الايمان ويدينه لهما ويقبح اليهما الشرك بالله وهذه طريقة على كل ذي علم ان يسلكها مع الجهال والغواة اذا استفتاه واحد منهم ان الهداية والارشاد والموعظة والنصيحة اولا ويدعوه الى ما هو اولى به واوجب عليه مما استفتى فيه ثم يفتيه بعد ذلك وفيه ان العالم اذا جهلت منزلته في العلم فوصف نفسه بما هو بصدده وغرضه ان يقبس منه وينتفع به في الدين لم يكن من باب التزكية بتاويله ببيان ماهيته وكيفيته لان ذلك يشبه تقرير المثل والاعراب عن معناه ذلكما اشارة لهما الى التاويل اي ذلك التاويل والاخبار بالمغيبات مما علمني ربي واوحى الي به ولم اقله عن تكهن وتنجم اني تركت يجوز ان يكون كلاما مبتدا وان يكون تعليلا لما قبله اي علمني ذلك واوحى الي لاني رفضت ملة اولئك واتبعت ملة الانبياء المذكورين وهي الملة الحنيفية واراد باولئك الذين لا يؤمنون اهل مصر ومن كان الفتيان على دينهم

والانصراف عني كيدهن فرع منه الى الطافن الله وعصمته كعادة الانبياء والصالحين فيما عزم عليه ووطن عليه نفسه من القبيح لان يطلب منه الاجابة على التعفف والالجاء اليه اصب اميل الهوى والصبوة الميل الى الهوى ومنه الصبا لان النفوس تصبو اليها لطيب نسيمها وروحها وقرئ اصب اليهن من الصبابة من الجاهلين من الذين لا يعلمون ما يعلمون لان من لا تحرى لعله فهو من لا يعلم سواء او من الشهوات لان الحكيم لا يفعل القبيح وانما ذكر الاستجابة ولم يتقدم الدعاء لان قوله والا تصرف عني فيه معنى طلب الصرف والدعاء باللطف التسبيح لدعوات الملتجئين اليه العليم باحوالهم وما يصلحهم بدا لهم فاعله مضمر لدلالة ما يفسره عليه وهو ليسجننه والمعنى بدا لهم بدا اي ظهر لهم راي ليسجننه والضمير لهم للعزيز واهله من بعد ما راوا الايات وهي الشواهد على براءته وما كان ذلك الا بامتزاق المراة لزوجها وقتلها منه في الذروق والغلاب وكان مطواعة لها وجبلا ذلوما زمامه في يدها حتى اناه ذلك ما عاين من الايات وعلى بدا لهما في سجنه والحاق الصغار به كما اوعدته به وذلك لما ايست من طاعته لها او لطمعها وان بذلة السجن ويسخره لها وفي قراءة الحسن ليسجننه بالتاء على الخطاب خاطب به بعضهم العزيز ومن يليه او العزيز وحده على وجه التعظيم حتى حين الى زمان كما نها افترحت ان يسجن زمانا حتى تبصر ما يكون منه وقراءة ابن مسعود عتى حين ولغة هذيل وعن ابن عمر رضي الله عنه انه سمع رجلا يقرا عتى حين فقال من اقراك قال ابن مسعود فكتب اليه ان الله انزل القران فجعله عربيا وانزله بلغة قريش فاقرئ الناس بلغة قريش ولا تقرئهم بلغة هذيل والسلام مع بدل على معنى الصحبة والمحذوف انهن تواطان خرجن مع الامير تريد مصاحبا له فيجب ان يكون دخولها السجن مصاحبين له فتيان عبدان للملك خبازه وشرابيه رفيع اليه انهما يسمانه فامر بهما الى السجن فادخلا السجن ساعة ادخل يوسف اني اراني بعض في المنام وهي حكاية حال ماضية اعصر خمرا سميه للعنب بما يؤول اليه وقيل الخمر بلغة عمان اسم للعنب وفي قراءة ابن مسعود اعصر عنبا من المحسنين من الذين يحسنون عبارة الرؤيا اي يجيدونها او يراك نقص عليه بعض اهل السجن رؤياه فيؤولها له فقالا له ذلك اومن العلماء لانهما سمعاه يذكر للناس ما علمنا به انه عالم اومن المحسنين الى اهل السجن فاحسن الينا ان تنبئنا عنا الخير بتاويل ما رايناه ان كانت تك يذ في تاويل الرؤيا روي انه كان اذا مرض رجل منهم قام عليه واذا اضاف اوسع له

وتكريرهم للدلالة على انهم خصوصا كافرون بالآخرة وان غيرهم وان غيرهم قوم مؤمنون
بها وهم الذين على ملة ابرهيم ولتوكيد كفرهم بالجزاء تنبيها على ما هم عليه من الظلم والكبائر التي لا
يرتكبها الا من هو كافر بدار الجزاء ويجوز ان يكون فيه تعريض بما مني به من جهتهم حين
اودعوه السجن بعد ما راوا الآيات الشاهدة على براءته وان ذلك ما لا يقدم عليه الا من هو
شديد الكفر بالجزاء وذكر اباءه ليريهما انه من بيت النبوة بعد ان عرفهما انه نبي يوحى اليه
بما ذكر من اخباره بالغيوب ليقوي رغبتهما في الاستماع اليه واتباع قوله ما كان لنا
ما صح لنا معشر الانبياء ان نشرك بالله اي شيء كان من ملك او جني او انسي فضلا ان نشرك
به صنما لا يسمع ولا يبصر ثم ذلك التوحيد من فضل الله علينا على الناس اي على الرسل وعلى المرسل
اليهم لانهم نبهوهم عليه وارشدوهم اليه ولكن اكثر الناس المبعوث اليهم لا يشكرون
فضل الله فيشركون ولا يتنبهون وقيل ان ذلك من فضل الله علينا لانه نصب الادلة
لسائر الناس من غير تفاوت ولكن اكثر الناس لا ينظرون ولا يستدلون اتباعا لاهوائهم
فيبقون كافرين غير شاكرين يا صاحبي السجن يريد يا صاحبي في السجن فاضافهما
الى السجن كما تقول يا سارق الليلة فكما ان الليلة مسروق فيها غير مسروقة فكذلك
السجن مصحوب فيه غير مصحوب وانما المصحوب غيره وهو يوسف عليه السلام ونحوه قولك
لصاحبيك يا صاحبي الصدق فتضيفهما الى الصدق ولا تريد انهما صحبا الصدق ولكن
كما تقول رجلا صدق وسميتهما صاحبين لانهما صحباك ويجوز ان يريد يا ساكني السجن
كقوله اصحاب النار واصحاب الجنة لسكانهما أأرباب متفرقون خير يريد التفرق
في العدد والتكاثر يقول أأن تكون لكما ارباب شتى يستعبدكما ويستعبدكما خير
لكما ام ان يكون لكما رب واحد قهار لا يغالب ولا يشارك في الربوبية بل هو القهار
الغالب وهذا مثل ضربه لعبادة الله وحده ولعبادة الاصنام ما تعبدون خطاب
لهما ولمن على دينهما من اهل مصر الا اسماء يعني انكم سميتم ما لا يستحق الالهية آلهة ثم طفقتم
تعبدونها فكانكم لا تعبدون الا اسماء فارغة لا مسميات تحتها ومعنى سميتموها سميتم بها
يقال سميته بزيد وسميته زيدا ما انزل الله بها اي بتسميتها من سلطان من حجة
ان الحكم في امر العبادة والدين الا لله ثم بين ما حكم به فقال امر الا تعبدوا الا اياه ذلك
الدين القيم الثابت الذي دلت عليه البراهين اما احدكما يريد الشرابي فيسقي ربه

سيده

سيده وقرأ عكرمة فيسقى ربه اي يسقى ما يروى به على المفعول روي انه قال للاول
ما رايت من الكرمة وحسنها هو الملك وحسن حالك عنده واما القضبان الثلثة فانها ثلثة
ايام تمضي في السجن ثم تخرج وتعود الى ما كنت عليه وقال للثاني ما رايت من السلال ثلثة
ثم تخرج فتقتل قضي الامر قطع وتم ما تستفتيان فيه من امركما وشانكما فان قلت ما استفتيا
في امر واحد بل في امرين مختلفين فما وجه التوحيد قلت المراد بالامر ما اتهما به من سم
الملك فكانهما كانا يستفتيانه في الامر الذي نزل بهما اعاقبته نجاة ام هلاك فقال لهما قضي الامر الذي
فيه تستفتيان اي ما يجر اليه من العاقبة وهي اهلاك احدهما ونجاة الآخر وقيل جحدا وقالا ما رأينا
شيئا على ما روي انه تحاكما له فاخبرهما ان ذلك كائن صدقتما او كذبتما ظن انه ناج الظان
هو يوسف عليه السلام ان كان تاويله بطريق الاجتهاد وان كان بطريق الوحي فالظان
هو الشرابي او يكون الظن بمعنى اليقين اذكرني عند ربك صفني عند ربك بصفتي وقص
عليه قصتي لعله يرحمني وينتاشني من هذه الورطة فانساه الشيطان فانسى الشرابي
ذكر ربه ان يذكره لربه وقيل فانسى يوسف ذكر الله حين وكل امره الى غيره بضع
سنين البضع ما بين الثلث الى التسع واكثر الاقاويل على انه لبث فيه سبع سنين فان قلت
كيف يقدر الشيطان على الانساء قلت يوسوس الى العبد بما يشغله عن الشيء من اسباب
النسيان حتى يذهب عنه ويزل قلبه ذكره واما الانساء ابتداء فلا يقدر عليه الا الله عز وجل
ما ننسخ من آية او ننسها فان قلت ما وجه اضافة الذكر الى ربه اذا اريد به الملك وما هي
باضافة المصدر الى الفاعل ولا الى المفعول قلت قد لابسه في قولك فانساه الشيطان
ذكره لربه او عند ربه فجازت اضافته اليه لان الاضافة تكون بادنى ملابسة او على تقدير
فانساه الشيطان ذكر اخبار ربه فحذف المضاف الذي هو الاخبار فان قلت لم انكر
على يوسف عليه السلام الاستعانة بغير الله في كشف ما كان فيه وقد قال الله تعالى وتعاونوا
على البر والتقوى وقال حكاية عن عيسى عم من انصاري الى الله وفي الحديث الله في عون العبد
ما دام العبد في عون اخيه المسلم من فرج عن مؤمن كربة فرج الله عنه كربة من
كرب الآخرة وعن عائشة رضي الله عنها لم يأخذه النوم ليلة من الليالي وكان يطلب من يحرسه
حتى جاء سعد فسمعت غطيطه وهل ذلك الا مثل التداوي بالادوية والتقوي بالاشربة
والاطعمة وان كان ذلك لان الملك كان كافرا فلا خلاف في جواز ان يستعان بالكفار في دفع
الظلم

قال عم لولا كلمة قالها في السجن ما لبث في السجن ما لبث

الا انه امن بيوسف نص عليه ابو اسحق الثعلبي

والغرق والحرق ونحو ذلك من المضار قلت كما اصطفى الله الانبياء على خليقته فقد اصطفى لهم
احسن الامور وافضلها واولاها والاحسن والاولى بالنبي ان لا يكل امره اذا ابتلي ببلاء الا
ربه ولا يعتضد الا به خصوصا اذا كان المعتضد به كافرا لئلا يشمت به الكفار ويقولوا
لو كان هذا على الحق وكان له رب يعينه كما استغاث بنا وعن الحسن انه كان يبكي اذا قرأها
ويقول نحن اذا نزل بنا امر فزعنا الى الناس لما دنى فرج يوسف راى ملك مصر
الريان ابن الوليد رؤيا عجيبة هالته راى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع
بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان وراى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعا اخر
يابسات قد استحصدت وادركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها فاستعبرها فلم يجد
في قومه من يحسن عبارتها سمان جمع سمين وسمينة وكذلك رجال ونسوة كرام فان قلت
هل من فرق بين ايقاع سمان صفة للمميز وهو بقرات دون المميز وهو سبع وان يقال
سبع بقرات سمانا قلت اذا اوقعتها صفة لبقرات فقد قصدت الى ان تميز السبع بنوع من
البقرات وهي السمان منهن لا بجنسهن ولو وصفت بها السبع لقصدت الى تمييز السبع بجنس البقرات
لا بنوع منها ثم رجعت فوصفت المميز بالجنس بالسمن وهو السبع فان قلت هلا قيل سبع عجاف على الاضافة
قلت التمييز موضوع لبيان الجنس والعجاف وصف لا يقع البيان وحده فان قلت
فقد يقولون ثلثة فرسان وخمسة اصحاب قلت الفارس والصاحب والراكب ونحوها
صفات جرت مجرى الاسماء فاخذت حكمها وجاز فيها ما لم يجز في غيرها الا تراك لا تقول عندي
ثلثة ضخام واربعة غلاظ فان قلت ذاك مما يشكل وما نحن بسبيله لا اشكال فيه الا ترى انه لم
يقل وبقرات سبع عجاف لوقوع العلم بان المراد البقرات قلت ترك الاصل لا يجوز مع وقوع
الاستغناء بقولك سبع عجاف عما تقترحه من التمييز بالوصف والعجف الهزال الذي ليس بعده والسبب
في وقوع عجاف جمعا لعجفاء وافعل وفعلاء لا يجمعان على فعال حمله على سمان لانه نقيضه ومن
دابهم حمل النظير والنقيض على النقيض فان قلت هل في الاية دليل على ان السنبلات اليابسة
كانت سبعا كالخضر قلت الكلام مبني على انصبابه الى هذا العدد في البقرات السمان والعجاف
والسنابل الخضر فوجب ان يتناول معنى الاخر السبع ويكون قوله واخر يابسات بمعنى وسبعا
اخر فان قلت هل يجوز ان يعطف قوله واخر يابسات على سنبلات خضر فيكون مجرور
المحل قلت يؤدي الى تدافع وهو ان عطفها على سنبلات خضر يقتضي ان يدخل في حكمها

فتكون

فتكون معها مميزا للسبع المذكور ولفظ الاخر يقتضي ان تكون غير السبع بيانه انك تقول
عنده سبعة رجال قيام وقعود بالجر فيصح لانك ميزت السبعة برجال موصوفين بالقيام
والقعود على ان بعضهم قيام وبعضهم قعود فلو قلت عنده سبعة رجال قيام واخرين قعود
تدافع وفسد يا ايها الملأ كانه اراد الاعيان من العلماء والحكماء واللام في قوله للرؤيا
اما ان تكون للبيان كقوله وكانوا فيه من الزاهدين واما ان تدخل لان العامل اذا تقدم
عليه معموله لم يكن في قوته على العمل فيه مثله اذا تاخر عنه فعضد بها كما يعضد اسم الفاعل
اذا قلت هو عابر للرؤيا لانحطاطه عن الفعل في القوة ويجوز ان يكون للرؤيا خبر كان كما تقول
كان فلان لهذا الامر اذا كان مستقلا به متمكنا منه وتعبرون خبر اخر او حال وان يضمن
تعبرون معنى فعل يتعدى باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا وحقيقة عبرت الرؤيا
ذكرت عاقبتها واخر امرها كما تقول عبرت النهر اذا قطعته حتى تبلغ اخر عرضه وهو عبره
ونحوه اولت الرؤيا اذا ذكرت مآلها وهو مرجعها وعبرت الرؤيا بالتخفيف هو الذي اعتمده
الاثبات ورايتهم ينكرون عبرت بالتشديد والتعبير والمعبر وقد عثرت على بيت انشده
المبرد في كتاب الكامل لبعض الاعراب رايت رؤيا ثم عبرتها وكنت للاحلام عبارا
اضغاث احلام تخاليطها واباطيلها وما يكون منها من حدائث نفس او وسوسة شيطان
واصل الاضغاث ما جمع من اخلاط النبات وحزم الواحد ضغث فاستعيرت لذلك والاضافة
بمعنى من اي اضغاث من احلام والمعنى هي اضغاث احلام فان قلت ما هو الا حكم واحد فلم قالوا
اضغاث احلام فجمعوا قلت هو كما تقول فلان يركب الخيل ويلبس عمائم الخز لمن لا يركب
الا فرسا واحدا او ما له الا عمامة فردة تزيدا في الوصف فهؤلاء ايضا تزيدوا في وصف الحكم
بالبطلان فجعلوه اضغاث احلام ويجوز ان يكون قد قص عليهم مع هذه الرؤيا رؤى
غيرها وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين اما ان يريدوا بالاحلام المنامات الباطلة خاصة
فيقولوا ليس لها عندنا تاويل فان التاويل انما هو للمنامات الصحيحة الصالحة واما ان يعترفوا
بقصور علمهم وانهم ليسوا في تاويل الاحلام بنحارير قرئ وادكر بالدال وهو الفصيح وعن الحسن
واذكر بالذال اي تذكر الذي نجا من الفتيين من القتل يوسف وما شاهد منه بعد امة
بعد مدة طويلة وذلك انه حين استفتى الملك في رؤياه واعضل على الملأ تاويلها تذكر الناجي
يوسف وتاويله رؤياه ورؤيا صاحبه وطلبه اليه ان يذكره عند الملك وقرأ الاشهب العقيلي

بعد امة بكسر الهمزة والامة النعمة قال عدي ثم بعد الفلاح والملك والامة
وارتهم هناك القبور اى بعد ما ابقى عليه بالنجاة وقدي بعد امة بعد نسيان يقال
امه يأمه اذا نسي ومن قرأ بكون اليم فقد خطئ انا انبئكم بتأويله انا اخبركم به
عن عنده علم وفي قراءة الحسن انا آتيكم بتأويله وهي قراءة ابن عباس
باسقاط ابن وعن ابن عباس لم يكن السجن في المدينة المعنى فارسلوه الى يوسف فاتاه فقال
يوسف ايها الصديق ايها البليغ في الصدق وانما قال له ذلك لانه ذاق احواله وعرف صدقه
في تاويل رؤياه ورؤيا صاحبيه حيث جاء كما اوّل ولذلك كلامه كلام محترز فعلك لعلي ارجع
الى الناس لعلهم يعلمون لانه لم يكن على يقين من الرجوع فربما احترم دونه ولا من علمهم
فربما لا يعلمون او معنى لعلهم يعلمون لعلهم يعلمون فضلك ومكانك من العلم فيطلبونك ويخلصونك
من محنتك تزرعون خبر في معنى الامر كقوله تؤمنون بالله وبرسوله وانما يخبر الامر في صورة الخبر للمبالغة في ايجاب ايجاد المأمور به فيجعل كانه يوجد فهو يخبر
عنه والدليل على كونه في معنى الامر قوله فذروه في سنبله دأبا بكون الهمزة وتحريكها
وهما مصدر دأب في العمل وهو حال من المأمورين اى وايبين اما على تداوبون دأبا واما على
ايقاع المصدر حالا بمعنى ذوي دأب فذروه في سنبله لئلا يسوس ويأكلن من الاسناد
المجازي جعل اكل الملهن مسندا اليهن تحصنون تحرزون وتحبأون يغاث الناس
من الغوث او من الغيث يقال غيثت البلاد اذا مطرت ومنه قول الاعرابية غثنا ما شئنا
يعصرون بالياء والتاء يعصرون العنب والزيتون والتمسم وقيل يحلبون الضروع وقرئ
يعصرون على البناء للمفعول من عصره اذا انجاه وهو مطابق للاغاثة ويجوز ان يكون المبني
للفاعل بمعنى يمطرون كانه قيل فيه يغيثون اى يغيثهم الله ويغيث بعضهم
وقيل يعصرون يمطرون من اعصرت السحابة وفيه وجهان اما ان يضمن اعصرت بمعنى مطرت
فيعدي بتعديته واما ان يقال اصله اعصرت عليهم فحذف الجار واوصل الفعل فاول البقرات
السمان والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب والعجاف واليابسات بسنين مجدبة ثم قدم
بعد الفراغ من تاويل الرؤيا بيان العام الثامن يكون مباركا خصيبا كثير الخير عديد النعم
وذلك من جهة الوحي وعن قتادة ذاده الله علما بسنة فان قلت معلوم ان السنين
المجدبة اذا انتهت كان انتهاؤها بالخصب والام توصف بالانتهاء فلم قلت ان علم ذلك من

من جهة الوحي قلت معلوم علما مطلقا لا مفصلا وقوله فيه يغاث الناس وفيه يعصرون تفصيل
لحال العام وذلك لا يعلم الا بالوحي انما اتى وثبت في سؤال الملك اجابة الملك وقدم سؤال
النسوة ليظهر براءة ساحته عما قذفن به وسجن فيه ليلا يتسلق به الحاسدون الى تغيير امره
عنده ويجعلوه سلما الى حط منزلته لديه وليلا يقولوا لو اما خلد في السجن سبع سنين الا
لامر عظيم وجرم كبير حق به ان يسجن ويعذب ويشكك شده وفيه دليل على ان الاجتهاد
في نفي التهم واجب وجوب اتقاء الوقوف في مواقفها قال عليه السلام من كان يؤمن بالله واليوم
الآخر فلا يقفن مواقف التهم ومنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
للمارتين به في معتكفه وعنده بعض نسائه هي فلانة اتقاء التهمة وعن النبي صلى الله عليه وسلم
لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان
ولو كنت مكانه ما اخبرتهم حتى اشترط ان يخرجوني ولقد عجبت منه حين اتاه الرسول
فقال ارجع الى ربك ولو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لاسرعت الاجابة وبادرت اليه
الباب ولما ابتغيت العذر ان كان حليما ذا اناة وانما قال سل الملك عن شان النسوة ولم
يقل سله ان يفتش عن شانهن لان السؤال مما يهجم الانسان ويحركه للبحث عما سئل عنه
فاراد ان يورد عليه السؤال ليجد في التفتيش عن حقيقة القصة وفصل الخبر
حتى تتبين له براءة ساحته بيانا مكشوفا يتميز الحق من الباطل وقرئ النسوة بضم النون ومن
كرمه وحسن ادبه انه لم يذكر سيدته مع ما صنعت به وتسببت فيه من السجن والعذاب واقتصر
على ذكر المقطعات ايديهن ان ربي ان الله تعالى بكيدهن عليم اراد انه كيد عظيم
لا يعلمه الا الله لبعد غوره او استشهد بعلم الله على انهن كدنه وانه بريء مما قذف به
او اراد الوعيد لهن اى هو عليم بكيدهن فمجازيهن عليه ما خطبكن ما شانكن
اذ راودتن يوسف هل وجدتن فيه ميلا اليكن قلن حاشا لله تعجبا من عفته
وذهابه بنفسه عن شيء من الريبة ومن نزاهته عنها قالت امراة العزيز الآن
حصحص الحق اى ثبت واستقر وقرئ حصحص على البناء للمفعول وهو من حصحص البعير
اذا القى ثفناته للاناخة قال فحصحص في صم الصفا ثفناته وناء بسلمى نواه
ثم صمما ولا مزيد على شهادتهن له بالبراءة والنزاهة واعترافهن على انفسهن
بانه لم يتعلق بشيء مما قذفنه به لانهن خصومه واذا اعترف الخصم بان صاحبه على الحق

وهو على الباطل لم يبق لأحد مقال وقالت المجبرة والحشوية نحن فد بقي لنا مقال ولا بد لنا ان ندق
في فروق من ثبت نداهته ذلك ليعلم من كلام يوسف اى ذلك التثبت والتثمر لظهور البراءة
لبعلم العزيز اني لم أخنه بظهر الغيب وحرمته ومحل بالغيب للحال من الفاعل او المفعول
عا معنى وانا غايب عنه خفي عن عينه او هو غايب عني خفي عن عيني ويجوز ان يكون ظرفا
اى بمكان الغيب وهو الخفاء والاستتار وراء الابواب السبعة المغلقة وليعلم وليعلم
ان الله لا يهدي كيد الخاينين لا ينفذه ولا يسدده وكانه تعريض بامراته في خيانتها
امانة زوجها وبه في خيانة امانة الله حين ساعدها بعد ظهور الآيات على جبه ويجوز ان
ان يكون تاكيدا لامانته وانه لو كان خاينا لما هدى الله كيده ولا سدده ثم اراد ان يتواضع
لله ويهضم نفسه لئلا يكون لها مزكيا وبجالها في الامانة معجبا ومفتخرا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا سيد ولد آدم ولا فخر وليبين ان ما فيه من الامانة ليس به وحده وانما هو بتوفيق الله
ولطفه وعصمته فقال وما ابرئ نفسي من الزلل وما اشهدها بالبراءة الكلية
ولا اذكيها ولا يخلو اما ان يريد في هذه الحادثة لما ذكرنا من الهم الذي هو ميل النفس عن طريق
الشهوة البشرية لا عن طريق القصد والعزم واما ان يريد عموم الاحوال ان النفس
لامارة بالسوء اراد الجنس الذي اى ان هذا الجنس يأمر بالسوء ويحمل عليه بما فيه من الشهوات
الا ما رحم ربي الا البعض الذي رحمه ربي بالعصمة كالملائكة ويجوز ان يكون ما رحم
في معنى الزمان الا وقت رحمة ربي يعني انها امارة بالسوء في كل وقت وزمان الا وقت العصمة
ويجوز ان يكون استثناء منقطعا اى ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الاساءة كقوله ولا هم
ينفدون الا رحمة وقيل معناه ذلك ليعلم الله اني لم اخنه لان المعصية خيانة وقيل هو
من كلام امراة العزيز اى ذلك الذي قلت ليعلم يوسف اني لم اخنه وما اكذب على حال
الغيبة وجيت بالتصريح والصدق فيما سئلت عنه وما ابرئ نفسي مع ذلك من الخيانة فاني
قد خنته حين قذفته وقلت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب السجن
يزيد الاعتذار عما كان منها ان كل نفس امارة بالسوء الا ما رحم ربي الا نفسا رحمها الله با
لعصمة كنفس يوسف ان ربي غفور رحيم استغفرت ربها واسنه حتما ازلت فان قلت
كيف صح ان يجعل من كلام يوسف ولا دليل عما ذكرت قلت كفى بالمعنى دليلا فانه يدل
الى ان يجعل من كلامه ونحوه قوله قال الملا من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم

مع الكل معصومون عليهم وعند الجبائي للمكلفين منهم ذنوب من غير الانبياء

من ارضكم بسحره ثم قال فماذا تامرون وهو من كلام فرعون يخاطبهم ويستشيرهم وعن ابن
جريج هذا من تقديم القرآن وتاخيره ذهب الى ان ذلك ليعلم متصل بقوله مسئلة ما بال النسوة
اللاتي قطعن ايديهن ولقد لفقت المبطلة روايات مصنوعة فزعموا ان يوسف حين قال
اني لم اخنه بالغيب قال له جبريل ولا حين همت بها وقالت له امراة العزيز ولا حين
حللت تكة سراويلك يا يوسف وذلك لتهالكهم على بهت الله ورسله فقال استخلصه لنفسي
اذ اجعله خالصا لنفسي وخاصا به فلما كلمه وشاهد منه ما لم يحب قال انك الصديق
انك اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة امين مؤتمن على كل شئ روي ان الرسول
جاءه فقال اجب الملك فخرج من السجن ودعا لاهله اللهم اعطف عليهم قلوب الاخيار ولا تعم
عليهم الاخبار وفهم اعلم الناس بالاخبار في الواقعات وكتب على باب السجن هذا منازل البلوى
وقبور الاحياء وشماتة الاعداء وجربة الاصدقاء فاغتسل وتنظف من درن السجن ولبس
ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم اني اسالك بخيرك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك
من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال ما هذا اللسان فقال لسان آبائي وكان
الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلمها فاجابه بجميعها فتعجب منه وقال ايها الصديق اني
احب ان اسمع رويا يا منك قال رايت بقرات فوصف لونهن واحوالهن ومكان خروجهن
ووصف السنابل وما كان منها على الهيئة التي راها الملك لا يخرم منها حرفا فاوقال لي من جمع
ان يجمع الطعام في الاهراء فيأتيك الخلق من النواحي ويمتارون منك ويجتمع لك من الكنوز
ما لم يجتمع لاحد قبلك اجعلني على خزاين الارض ولني حدا بن ارضك اني حفيظ عليم
امين احفظ ما تستحفظني عالم بوجوه التصرف وصفا النفسه بالامانة والكفاية اللتين
مما طلبه الملوك من يتولونه وانما قال ذلك ليتوصل الى امضاء احكام الله واقامة
الحق وبسط العدل والتمكن مما لاجله يبعث الانبياء الى العباد ولعلمه ان احدا
غيره لا يقوم مقامه في ذلك فطلب التولية ابتغاء وجه الله لا لحب الملك والدنيا
وعن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اجعلني على خزاين الارض لاستعمله
من ساعته ولكنه اخر ذلك سنة فان قلت كيف جاز ان يتولى عملا من يد كافر
ويكون متبعا له وتحت امره وطاعته قلت روي مجاهد انه كان قد اسلم وعن قتادة
هو دليل على انه يجوز ان يتولى الانسان عملا من يد سلطان جايد وقد كان السلف

من ارضكم

يتولون القضاء من جهة البغاة ويرونه واذا علم النبي او العالم انه لا سبيل الى الحكم بامر الله
ودفع الظلم الا بتمكين الملك الكافر او الفاسق فله ان يستظهر به وقيل كان الملك يصدر عن رايه
ولا يعترض عليه في كل ما راى فكان في حكم التابع له والمطيع وذلك ومثل ذلك التمكين الظاهر
مكنا ليوسف في ارض مصر دونها انها كانت اربعين فرسخا في اربعين يتبوأ منها
حيث يشاء قرئ بالنون والياء اي كل مكان اراد ان يتخذه منزلا ومتبوأ له لم يمنع منه
لاستيلائها على جميعها ودخوله تحت ملكته وسلطانه روي توجه وختمه
بخاتمه ورداه بسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت وروي انه قال
اما السرير فاشد به ملكك واما الخاتم فادبر به امرك واما التاج فليس من لباسي
ولا لباس ابائي فقال وقد وضعته اجلالا لك واقرارا بفضلك فجلس على السرير
ودانت له الملوك وفوض الملك اليه امره وعزل قطفير ثم مات بعده فزوجه الملك امراته
فلما دخل عليها قال اليس هذا خيرا مما طلبت فوجدها عذراء فولدت له ولدين افرائيم وميشا
واقام العدل بمصر واحبته الرجال والنساء واسلم على يديه الملك وكثير من الناس وباع
من اهل مصر في سني القحط الطعام بالدنانير والدراهم في السنة الاولى حتى لم يبق معهم شيء
ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا فقالوا
والله ما راينا كاليوم ملكا اجل ولا اعظم منه فقال للملك كيف رايت صنع الله بي فيما
خولني فما ترى قال الراي رايك قال فاني اشهد الله تعالى واشهدك اني اعتقت
اهل مصر عن آخرهم ورددت عليهم املاكهم وكان لا يبيع من احد من الممتارين اكثر
من حمل بعير تقسيطا بين الناس واصاب ارض كنعان وبلاد الشام نحو ما اصاب
مصر فارسل يعقوب بنيه ليمتاروا واحتبس بنيامين برحمتنا بعطائنا في الدنيا
من الملك والغنى وغيرهما من النعم من نشاء من اقتضت الحكمة ان نشاء له ذلك ولا نضيع
اجر المحسنين ان نأجرهم في الدنيا والآخرة خير لهم قال سفين بن عيينة المؤمن
يثاب على حسناته في الدنيا والآخرة والفاجر يعجل له الخير في الدنيا والآخرة من خلاق
وتلا هذه الآية لم يعرفوه لطول العهد ومفارقته اياهم في سن الحداثة ولاعتقادهم انه
قد هلك ولذهابه عن اوهامهم لقلة فكرهم فيه واهتمامهم بشانه ولبعد حاله التي فارقوه
عليها طريحا في البئر مشريا بدراهم معدودة حتى لو تخيل لهم انه هو لكذبوا انفسهم

اي امراة القطفير وهي راعيل

لاجرهم

وماله في م

وظنونهم

وظنونهم ولان الملك مما يبدل الزي ويلبس صاحبه من الهيب والاستعظام ما ينكر له المعروف
وقيل رآه على زي فرعون عليه ثياب الحرير جالسا على سرير في عنقه طوق من ذهب
وعلى راسه تاج فما خطر ببالهم انه هو وقيل ما راوه الا من بعيد بينهم وبينه مسافة وحجاب
وما وقفوا الا حيث يقف طلاب الحوائج وانما عرفهم لانه فارقهم وهم رجال وراى زيهم قريبا
من زيهم اذ ذاك ولان همته كانت معقودة بهم وبمعرفتهم وكان يتأمل ويتفطن وعن الحسن
ما عرفهم حتى تعرفوا له ولما جهزهم بجهازهم اي اصلحهم بعدتهم وهي عدة السفر من الزاد
وما يحتاج اليه المسافرون واوقر ركائبهم بما جاؤا له من الميرة وقرئ بجهازهم بكسر الجيم
قال ائتوني باخ لكم من ابيكم لا بد من مقدمة سبقت له معهم حتى اجترأ القول هذه
المسألة روي انه لما راهم وكلموه بالعبرانية قال لهم اخبروني من انتم وما شانكم فاني انكركم
قالوا نحن قوم من اهل الشام رعاة اصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم جئتم عيونا
تنظرون عورة بلادي قالوا معاذ الله نحن اخوة بنو اب واحد وهو شيخ صديق نبي من
الانبياء اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فهلك منا واحد قال فكم انتم ههنا
قالوا عشرة قال فاين الحادي عشر قالوا هو عند ابيه يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد
لكم انكم لستم بعيون وان الذي تقولون حق قالوا انا ببلاد لا يعرفنا فيها احد فيشهد لنا
قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني باخيكم من ابيكم وهو يحمل رسالة من ابيكم
حتى اصدقكم فاقترعوا بينهم فاصابت القرعة شمعون وكان احسنهم رايا في يوسف
فخلفوه عنده وكان قد احسن انزالهم وضيافتهم فلا تقربون فيه وجهان احدهما ان
يكون داخلا في حكم الجزاء مجزوما عطفا على محل قوله فلا كيل لكم كانه قيل فان لم تأتوني
به تحرموا ولا تقربوا وان يكون بمعنى النهي سنراود عنه اباه سنخادعه عنه ونجتهد ونحتال
حتى ننتزعه من يده وانا لفاعلون وانا لقادرون على ذلك لا نتعايا به او وانا لفاعلون
ذلك لا محالة لا نفرط فيه ولا نتوانى به لفتيته وقرئ لفتيانه وهما جمع فتى كاخوة واخوان
في اخ وفعلة للقلة وفعلان للكثرة اي لغلمانه الكيالين لعلهم يعرفونها حتى ردها وحق
التكرم باعطاء البدلين اذا انقلبوا الى اهلهم وفرغوا ظروفهم لعلهم يرجعون لعل
معرفتهم بذلك تدعوهم الى الرجوع الينا وكانت بضاعتهم النعال والادم وقيل تخوف
ان لا يكون عند ابيه من المتاع ما يرجعون به وقيل لم ير من الكرم ان ياخذ من ابيه

وأخوته ثمنا وقيل علم ان ديانتهم تحذرهم عارد البضاعة لا يستحلون اثما كما فيرجعون لاجلها وقيل معنى لعلهم يرجعون لعلهم يردون ما منع منا الكيل يريدون قول يوسف فان لم تاتوني به فلا كيل لكم لانهم اذا انذروا ابتغ الكيل فقد منع الكيل نكتل نرفع المانع من الكيل ونكتل من الطعام ما نحتاج اليه وقرئ يكتل بمعنى يكتل اخونا فينضم اكتيالنا الى اكتيالنا او يكن سببا للاكتيال فان امتناعه بسببه هل آمنكم عليه يريد انكم قلتم في يوسف وانا له لحافظون كما تقولونه في اخيه ثم خستم بعضها بعض فما يؤمنني من مثل ذلك ثم قال فالله خير حافظا فتوكل على الله فيه ودفعه اليهم وحافظا كقولك هو خير ثم رجلا ولله در قائلها ويجوز ان يكون حالا وقرئ حفظا وقرا الاعمش فالله خير حافظ وقرا ابو حيوة خير الحافظين وهو ارحم الراحمين فارجوا ان يبقيه على بعقوبه ولا يجمع علي مصيبتين وقرئ ردت الينا بكسر الراء على ان كسرة الدال الدغمة نقلت الى الراء كما قيل قيل وبيع وحكي قطرب ضرب زيد على نقل كسرة الراء فيمن سكنها الى الضاد وما نبغي للبغي اي ما نبغي في القول وما نزيد فيما وصفنا لك من احسان الملك واكرامه وكانوا قالوا له انا قدمنا على خير رجل انزلنا واكرمنا كرامة لو كان رجلا من آل يعقوب ما اكرمنا اكرامته او ما نبغي شيأ وراء ما فعل بنا من الاحسان او على الاستفهام يعني اي شيء نطلب وراء هذا وفي قراءة ابن مسعود ما نبغي بالتاء على المخاطبة يعقوب معناه اي شيء تطلب وراء هذا من الاحسان او من ان رد علي صدقتنا وقيل معناه ما نريد منك بضاعة اخرى وقوله هذه بضاعتنا ردت الينا جملة مستانفة موضحة لقوله ما نبغي والجمل بعدها معطوفة عليها على معنى ان بضاعتنا ردت الينا فنستظهر بها ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ونرجع الى الملك ونحفظ اخانا فما يصيبه شيء مما نخافه ونزداد بحمل بعير اخينا وشق بعير زائد لعلو او سافي اباعيرنا فاي شيء ينبغي ورا هذه المباغي التي نتوصل بها الى حوائجنا ونوسع دات ايدينا وانما قالوا ونزداد كيل بعير لما ذكرنا انه كان لا يزيد للرجل على حمل بعير للتفسيط فان قلت هذا اذا قرنته بالكذب والتبرئة في القول كانت الجملة الاولى وهي قوله هذه بضاعتنا ردت الينا بيانا لصدقهم وانتفاء التهمة عنهم والجمل البواقي تصنع بالجمل التي قبلها عاطفة ما ينبغي على معنى لا ينبغي فيما نقول وتمير اهلنا ونفعل كيت وكيت ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ كقولك وينبغي ان تمير اهلنا كما نقول سعيت في حاجة فلان واجتهدت في تحصيل غرضه ويجب ان اسعى وينبغي لي ان لا اقصر

ويجوز

ويجوز ان يراد ما ينبغي ما ننطق الا بالصواب فيما نخبر به عليك من تجهيزنا مع اخينا ثم قالوا هذه بضاعتنا استظهروا بها وبينوا انهم لنا ونفعل ونصنع بيانا لانهم لا يبغون في رايهم وانهم مصيبون فيه وهو وجه حسن واضح ذلك كيل يسير اي ذاك مكيل قليل لا يكفينا يعنون ما يكال لهم فاراد وا ان يزدادوا اليه ما يكال لاجلهم او يكون ذلك اشارة الى كيل بعير اي ذلك الكيل شيء قليل تجبنا اليه الملك ولا يضايقنا فيه او سهل عليه متيسر لا يتعاظمه ويجوز ان من كلام يعقوب وان حمل بعير واحد شيء يسير لا يخاطر لمثله بالولد لقوله ذلك ليعلم لن ارسله معكم منافي حالي وقد رابني منكم ما رابني ارساله معكم حتى تعطوني موثقا من الله حتى تعطوني ما اتوثق به من عند الله اراد ان يحلفوا بالله وانما جعل الحلف بالله موثقا منه لان الحلف به توكد به اليهود وتشدد وقد اذن الله في ذلك فهو اذا منه لتاتنني به جواب اليمين لان المعنى حتى تحلفوا لتاتنني به الا ان يحاط بكم من العهد اي الا ان تغلبوا فلم تطيقوا الاتيان به او الا ان تهلكوا فان قلت اخبرني عن حقيقة هذا الاستثناء ففيه اشكال قلت ان يحاط بكم منعوله له والكلام المثبت الذي هو قوله لتاتنني به في تاويل النفي معناه لا تمتنعون من الاتيان به الا لاحاطة بكم اي لا تمتنعون منه لعلة من العلل الا لعلة واحدة وهي ان يحاط بكم فهو استثناء من اعم العام في المفعول له من اعم العام لا يكون الا في النفي وحق فلا بد من تاويله بالنفي ونظير من الاثبات المتاول بمعنى النفي قولهم افسقت بالله لما فعلت والا فعلت نريد ما طلب منك الا الفعل على ما نقول من طلب الوثيق واعطائه وكيل رقيب مطلع وانما نهاهم ان يدخلوا من باب واحد لانهم كانوا ذوي بهاء وشارة حسنة وقدات تهم اهل مصر بالقدة عند الملك والتكرمة الخاصة التي لم تكن لغيرهم وكانوا مظنة لطموح الابصار اليهم من بين الوفود وان تبار اليهم بالاصابع ويقال هؤلاء اضياف الملك انظروا اليهم ما احسنهم من فتيان وما اخلقهم بالاكرام لامر ما اكرمهم الملك وفدتهم وفضلهم على الوافدين عليه فخاف لذلك ان يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا لجمالهم وجلالة امرهم في القصد وترصيدهم ما يسؤهم ولذلك لم يوصهم بالتفرق في الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين معذورين بين الناس فان قلت وهل للاصابة بالعين وجه يصح عليه قلت يجوز ان يحدث الله عز وجل عند النظر الى الشيء والاعجاب به نقصانا فيه وخللا من بعض الوجوه ويكون ذلك

ان الى الرسالة الربية وفي معلم لنا في

ح

ابتلاء من الله وامتحانا لعباده ليتبين المحققون من اهل الهشو فيقول المحقق هذا فعل الله ويقول الهشوي هو انه العين كما قال وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا الآية وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يتعوذ الحسن والحسين فيقول اعيذكما بكلمات الله التامات من كل هامة ومن كل عين لامة هل اغنى عنكم من الله من شئ يعني ان اراد الله بكم سوءا لم ينفعكم ولم يدفع عنكم ما احذرتم به عليكم من التفرق وهو مصيبكم لا محالة ان الحكم الا لله ثم قال ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم اى متفرقين ما كان يغني عنهم من الله من شئ اى يعقوب ودخولهم متفرقين شيئا قط حبث اصابهم ما ساءهم مع تفرقهم من اضافة السرقة اليهم وافتضاحهم بذلك واخذ اخيهم بوجدان الصواع في رحله وتضاعف المصيبة على ابيهم الا حاجة استثناء منقطع عما معنى ولكن حاجة في نفس يعقوب قضاها وهي شفقته عليهم واظهارها بما قاله لهم ووصاهم به وانه لذو علم يعني قوله وما اغني عنكم وعلمه بان القدر لا ينجى عنه الحذر آوى اليه اخاه ضم اليه بنيامين وروي انهم قالوا له هذا اخونا فدجنا به فقال لهم احسنتم واصبتم وستجدون عندي فاندلهم واكدهم ثم اضافهم واجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين وحده فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال يوسف بقي اخوكم وحيدا فاجلسه معه على مائدته وجعل يؤاكله وقال انتم عشرة فكيل لكل اثنين منكم بيتا وهذا لاثاني له فيكون معي فبات يوسف يضمه اليه ويشم رائحته حتى اصبح وساله عن ولده فقال لي عشرة بنين اشتقت اسماءهم من اسم رب لي هلك فقال له اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من ذا يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام اليه وعانقه وقال له اني انا اخوك يوسف فلا تبتئس فلا تحزن بما كانوا يعملون بنا فيما مضى فان الله قد احسن الينا وجمعنا على خير ولا تعلمهم بما اعلمتك وعن ابن عباس تعرف اليه وعن وهب انما قال له انا اخوك بدل اخيك المفقود فلا تبتئس بما كنت تلقى منهم من اذى عرف يوسف توالبه الحسد والاذى فقد امنهم وروي انه قال له فانا لا افارقك قال قد علمت اغتمام والدي بي فاذا حبستك از داد غمه ولا سبيل الى ذلك الآن اسبك الى والدي ما لا يحمل قال لا ابالي فافعل ما بدا لك فقال فاني اوسوس صاعي في رحلك ثم انادي عليك بانكم سارقة ليتهيأ لي ردك بعد تسريحكم معهم قال افعل السقاية مشربة يشرب بها وهي الصواع

قيل

قيل كان يشرب بها الملك ثم جعلت صاعا يكال به وقيل كانت الدواب تسقى بها ويكال بها وقيل كانت اناء مستطيلا يشبه المكوك وقيل هي المكوك الفارسي الذي يلتقط فاه تندب بها الاعاجم وقيل كانت من فضة مموهة بالذهب وقيل كانت من ذهب وقيل كانت مرصعة بالجواهر ثم اذن مؤذن ثم نادى مناد يقال آذنه اعلمه واذن اكثر الاعلام وبه المؤذن لكثرة ذلك منه روي انهم ارتحلوا وابعدوا يوسف حتى انطلقوا ثم امر فادركوا وحبسوا ثم قيل لهم ذلك والعير الابل التي عليها الاحمال لانها تعير اى تذهب وتجئ وقيل هي قافلة الحمير ثم كثر حتى قيل لكل قافية عير كانها جمع عير واصلها فعل كسقف وسقف فعل به ما فعل ببيض وعيد والمراد اصحاب العير كقوله واسئل القرية وجعل السقاية على حذف جواب لما كانه قيل فلما جهزهم بجهازهم وجعل السقاية في رحل اخيه اذن مؤذن وقراء ابو عبد الرحمن السلمي تفقدون من افقده اذا وجده فقيدا او فردا صواع وصاع وصوع وصوع بفتح الصاد وضمها والعين مهملة وغير معجمة وانا به زعيم بقوله المؤذن يريد وانا بحمل البعير كفيل اوديه الى من جاء به واراد وسق بعير من طعام جعلا لمن حصله تالله قسم فيه معنى التعجب مما اضيف اليهم وانما قالوا لقد علمتم فاستشهدوا بعلمهم لما ثبت عندهم من دلائل دينهم واماناتهم في كرة مجيئهم ومداخلتهم للملك ولانهم دخلوا وافواه رواحلهم مكعومة ليلا ستاولا زرعا او طعاما لاحد من اهل السوق ولا تهم ردوا بضاعتهم التي وجدوا ما في رحالهم وما كنا سارقين وما كنا نوصف قط بالسرقة وهي منافية لحالنا فما جزاؤه الضمير للصواع اى فما جزاء سرقته ان كنتم كاذبين في جحودكم وادعائكم البراءة منه قالوا جزاؤه من وجد في رحله اى جزاء سرقته اخذ من وجد في رحله وكان حكم السارق في آل يعقوب ان يسترق سنة فلذلك استفتوا في جزائه وقولهم فهو جزاؤه نقد بذلك للحكم اى فاخذ السارق نفسه هو جزاؤه لا غير كقولك حق زيد ان يكسى ويطعم وينعم عليه فذلك حقه او فهو حقه لتقرر ما ذكرته من استحقاقه وتلزمه ويجوز ان يكون جزاؤه مبتدأ والجملة الشرطية كما هي جيئ بها على اقامة الظاهر فيها مقام المضمر والاصل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو فوضع الجزاء موضع هو كما تقول لصاحبك من اخو زيد فيقول لك اخوه من يعقد الى جنبه فهو هو يرجع الضمير الاول الى من والثاني الى الاخ ثم تقول

الكوك صاع ونصف صاع تأمل

ركبوا حديث ابن مسعود عليه السلام

فهو اخوه مقيما للمظهر مقام المضمر ويحتمل ان يكون جزاؤه خبر مبتدا محذوف اى المسؤل عنه جزاؤه
ثم افتوا بقولهم من وجد فى رحله فهو جزاؤه كما يقول من يستفتى فى جزاء صيد المحرم جزاء صيد
المحرم ثم يقول ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم **فبدأ باوعيتهم** قيل قال لهم من وكل
بهم لابد من تفتيش اوعيتكم فانصرف بهم الى يوسف صدا بتفتيش اوعيتهم قبل وعاء بنيامين
لنفى التهمة حتى بلغ وعاءه فقال ما اظن هذا اخذ شيئا فقالوا والله ما نتركه حتى ننظر فى رحله
فانه اطيب لنفسك وانفسنا فاستخرجوه منه وقرا الحسن وعاء اخيه بضم الواو وهى لغة
وقرا سعيد بن جبير اعاء اخيه بقلب الواو همزة **فان قلت** لم ذكر صواع الصواع مرات
ثم انثه **قلت** رجع بالتانيث على السقاية او انث الصواع لانه يذكر ويؤنث ولعل
يوسف كان يسميه سقاية وعبيده صواعا فقد وقع فيما يتصل به من الكلام سقاية وفيما
يتصل بهم منه صواعا **كذلك كدنا** مثل ذلك الكيد العظيم كدنا ليوسف يعنى علمناه اياه
واوحينا به اليه **ما كان ليأخذ اخاه فى دين الملك** تفسير للكيد وبيان له لانه كان
فى دين ملك مصر وما كان يحكم به فى السارق ان يغرم مثلى ما اخذ لا ان يلزم ويستعبد
اى فى قضائه وحكمه الذى
الا ان يشاء الله اى ما كان ياخذه الا بمشية الله واذنه فيه **نرفع درجات من نشاء**
فى العلم كما رفعنا درجة يوسف فيه وقرئ يرفع بالياء ودرجات بالتنوين **وفوق
كل ذى علم عليم** فوقه ارفع درجة منه فى علمه او فوق العلماء كلهم عليم هم دونه فى العلم
وهو الله عز وعلا **فان قلت** ما اذن الله فيه يجب ان يكون حسنا فمن اى وجه حسن هذا
الكيد وما هو الا بهتان وتسريق لمن لم يسرق وتكذيب لمن لم يكذب وهو قوله انكم لسارقون
فما جزاؤه ان كنتم كاذبين **قلت** هو فى صورة البهتان وليس ببهتان فى الحقيقة لان
قوله ان كنتم لسارقون تورية عما جرى مجرى السرقة من فعلهم بيوسف وقيل كان ذلك
القول من المؤذن لا من يوسف وقوله ان كنتم كاذبين فرض لانتفاء برائتهم وفرض التكذيب
لا يكون تكذيبا على انه لو صرح لهم بالتكذيب كما صرح لهم بالتسريق لكان له وجه لانهم كانوا
كاذبين فى قولهم وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذيب هذا وحكم هذا الكيد حكم
الحيل الشرعية التى يتوصل بها الى مصالح ومنافع دينية كقوله لايوب عليه السلام
وخذ بيدك ضغثا ليتخلص من جلدها ولا يحنث وكقول ابرهيم عليه السلام هى اختى وما
لتسلم من يد الكافر وما الشرائع كلها الا مصالح وطرق الى التخلص من الوقوع فى المفاسد

وقد علم

وقد علم الله تعالى فى هذه الحيلة التى لقنها يوسف مصالح عظيمة فجعلها سلما
وذريعة اليها وكانت حسنة جميلة وانزاحت عنها وجوه القبح لما ذكرنا **اخ له**
ارادوا يوسف روى انهم لما استخرجوا الصاع من رحل بنيامين نكس اخوته رؤسهم
حياء واقبلوا عليه وقالوا له ماذا الذى فضحتنا وسودت وجوهنا يا بنى
راحيل ما يزال لنا منكم بلاء متى اخذت هذا الصاع فقال بنو راحيل لا يزال
منكم عليهم البلاء ذهبتم باخى فاهلكتموه ووضع هذا الصواع فى رحلى وضع
البضاعة فى رحالكم واختلف فيما اضافوا الى يوسف من السرقة فقيل كان
فى صباه صنما لجده ابى امه وكسره والقاه بين الجيف فى الطريق وقيل دخل
كنيسة فاخذ تمثالا صغيرا من ذهب كانوا يعبدونه فدفنه وقيل كانت فى
عناق او دجاجة فاعطاها السائل وقيل كانت لابراهيم عليه السلام منطقة يتوارثها
اكابر ولده فورثها اسحق ثم وقعت الى ابنته وكانت اكبر اولاده فحضنت
يوسف وهى عمته بعد وفاة امه وكانت لا تصبر عنه فلما شب اراد يعقوب
ان ينتزعه منها فعمدت الى المنطقة فحزمتها على يوسف تحت ثيابه وقالت فقدت
منطقة اسحق فانظروا من اخذها فوجدوها محزومة على يوسف فقالت انه لى
سلم افعل به ما شئت فخلاه يعقوب عندها حتى ماتت **فاسرها** اضمار
على شريطة التفسير تفسيره **انتم شر مكانا** وانما انث لان قوله انتم شر مكانا
جملة او كلمة على تسميتهم الطائفة من الكلام كلمة كانه قيل فاسر الجملة او الكلمة
التى هى قوله انتم شر مكانا والمعنى قال فى نفسه انتم شر مكانا لان قوله قال انتم شر مكانا
بدل من اسرها وفى قراءة ابن مسعود فاسره على التذكير يريد القول او الكلام ومعنى
انتم شر مكانا انتم شر منزلة فى السرق لانكم سارقون بالصحة لسرقتكم اخاكم
من ابيكم **والله اعلم بما تصفون** يعلم انه لم يصح ولا لاخى سرقة وليس الامر كما
تصفون استعطفوه باذكارهم اياه حق ابيهم يعقوب وانه شيخ كبير السن او
كبير القدر وان بنيامين احب اليه منهم وكانوا قد اخبروه بان ولدا له قد
هلك وهو عليه ثكلان وانه مستانس باخيه **فخذ احدنا مكانه** فخذه بدله
على وجه الاسترهان او الاستعباد **انا نراك من المحسنين** الينا فاتمم احسانك

او من عادتك الاحسان فاجر على عادتك ولا تغيرها **معاذ الله** هو كلام موجه ظاهره
انه وجب على قضية فتواكم اخذ من وجد الصواع في رحله واستعباده فلو اخذنا غيره
كان ذلك ظلما في مذهبكم فلم تطلبون ما عرفتم انه ظلم وباطنه ان الله امرني واوحى
الي باخذ بنيامين واحتباسه لمصلحة او لمصالح جمة علمها في ذلك فلو اخذت
غير من امرني باخذه كنت ظالما او عاملا على خلاف الوحي ومعنى معاذ الله ان
ناخذ فاضيف المصدر الى المفعول به وحذف من واذن جواب لهم وجزاء لان
المعنى ان اخذنا بدله ظلمنا **استيأسوا** يئسوا وزيادة السين والتاء في المبالغة
نحو ما مر في استعصم والنجي على معنيين يكون بمعنى المناجي كالعشير والسمير
بمعنى المعاشر والمسامر ومنه قوله تعالى وقربناه نجيا وبمعنى المصدر الذي هو
التناجي كما قيل النجوى بمعناه ومنه قيل قوم نجي كما قيل واذ هم نجوى تنزيلا
للمصدر منزلة الاوصاف ويجوز ان يقال هم نجي كما قيل هم صديق لانه بزنة
المصادر وجمع انجية قال اني اذا ما القوم كانوا انجية ومعنى **خلصوا**
اعتزلوا وانفردوا عن الناس خالصين لا يخالطهم سواهم **نجيا** ذوي نجوى او
فوجا نجيا اي مناجيا لمناجاة بعضهم بعضا واحسن منه انهم تمحضوا تناجيا
لاستجماعهم لذلك وافاضتهم فيه بجد واهتمام كانهم في انفسهم صورة التناجي
وحقيقته وكان تناجيهم في تدبير امرهم على اي صفة يذهبون وماذا يقولون لابيهم
في شان اخيهم كقوم تعايوا بما دهمهم من الخطب فاحتاجوا الى التشاور **كبيرهم**
في العقل والراي وهو يهوذا **ما فرطتم في يوسف** فيه وجوه ان تكون ما صلة اي ومن قبل
هذا قصرتم في شان يوسف ولم تحفظوا عهد ابيكم وان تكون مصدرية على ان
محل المصدر الرفع على الابتداء وخبره الظرف وهو من قبل ومعناه ووقع من قبل
تفريطكم في يوسف او النصب عطفا على مفعول الم تعلموا وهو ان اباكم كانه قيل
الم تعلموا اخذ ابيكم عليكم موثقا وتفريطكم من قبل في يوسف وان تكون موصولة
بمعنى ومن قبل هذا ما فرطتموه اي قدمتموه في حق يوسف من الخيانة العظيمة ومحله
الرفع او النصب على الوجهين **فلن ابرح الارض** فلن افارق ارض مصر **حتى ياذن**
لي ابي في الانصراف اليه **او يحكم الله لي** بالخروج منها او بالانتصاف ممن اخذ

نعوذ بالله معاذا من ان ناخذ

اخي او بخلاصه من يده بسبب من الاسباب **وهو خير الحاكمين** لانه لا يحكم الا بالعدل
والحق وقرئ سرق اي نسب الى السرقة **وما شهدنا** عليه بالسرقة **الا بما**
علمنا من سرقته وتيقناه لان الصواع استخرج من وعائه ولا شيء ابين من هذا
وما كنا للغيب حافظين وما علمنا انه سيسرق حين اعطيناك الموثق او ما علمنا انك
تصاب به كما اصبت بيوسف ومن قرا سرق فمعناه وما شهدنا الا بقدر ما علمنا
من التسريق وما كنا للغيب للامر الخفي حافظين اسرق بالصحة ام دس الصاع
في رحله ولم يشعره **القرية التي كنا فيها** هي مصر اي ارسل الى اهلها فسلهم عن كنه
القصة **والعير التي اقبلنا فيها** واصحاب العير وكانوا قوما من كنعان من جيران
يعقوب وقيل من اهل صنعاء معناه فرجعوا الى ابيهم فقالوا له ما قال لهم اخوهم
فقال بل سولت لكم انفسكم اردتموه والا فما ادري ذلك الرجل ان السارق يؤخذ بسرقته
لولا فتواكم وتعليمكم **بهم جميعا** بيوسف واخيه وروبيل او غيره **انه هو العليم**
بحالي في الحزن والاسف **الحكيم** الذي لم يبتلني بذلك الا لحكمة ومصلحة **وتولى**
عنهم واعرض عنهم كراهة لما جاؤا به **يا اسفى** اضاف الاسف وهو اشد الحزن
والحسرة الى نفسه والالف بدل من ياء الاضافة والتجانس بين لفظتي الاسف
ويوسف مما يقع مطبوعا غير متعمل فيملح ويبدع ونحوه اثاقلتم الى الارض ارضيتم
وهم ينهون عنه وينأون عنه يحسبون انهم يحسنون من سبا بنبا وعن النبي صلى الله عليه وسلم
لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة الا امة محمد الا ترى الى
يعقوب حين اصابه ما اصابه لم يسترجع وانما قال يا اسفى **فان قلت**
كيف تاسف على يوسف دون اخيه ودون الثالث والرزء الاحدث اشد على النفس
واظهر اثرا **قلت** هو دليل على تمادي اسفه على يوسف وانه لم يقع فائت عنده
موقعه وان الرزء فيه مع تقادم عهده كان غضا عنده طريا ولم تنسني اوفى
المصيبات بعده ولان الرزء في يوسف كان قاعدة مصيباته التي ترتبت
عليها الرزايا في ولده وكان الاسف عليه اسفا على من لحق به **وابيضت عيناه**
اذا كثر الاستعبار محقت العبرة سواد العين وقلبته الى بياض كدر قيل قد
عمي بصره وقيل كان يدرك ادراكا ضعيفا قرئ من الحزن ومن الحزن الحزن كان

سبب البكاء الذي حدث منه البياض وكانه حدث من الحزن قيل ما جفت عينا يعقوب
من وقت فراق يوسف الى حين لقائه ثمانين عاما وما على وجه الارض اكرم على الله
من يعقوب وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سال جبريل ما بلغ من وجد يعقوب على
يوسف قال وجد سبعين ثكلى قال فما كان له من الاجر قال اجر مائة شهيد
وما ساء ظنه بالله ساعة قط **فان قلت** كيف جاز لنبي الله ان يبلغ به الجزع ذلك
المبلغ **قلت** الانسان مجبول على ان لا يملك نفسه عند الشدايد من الحزن
ولذلك حمد صبره وان يضبط نفسه حتى لا يخرج الى ما لا يحسن ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم
على ولده ابراهيم وقال القلب تجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب
وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون وانما الجزع المذموم ما يقع من الجهلة من الصياح
والنياحة ولطم الصدور والوجوه وتمزيق الثياب وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انه بكى على ولد بعض بناته وهو يجود بنفسه فقيل يا رسول الله تبكي وقد نهيتنا عن
البكاء فقال ما نهيتكم عن البكاء وانما نهيتكم عن صوتين احمقين صوت عن الفرح
وصوت عند الترح وعن الحسن رحمه الله انه بكى على ولد او غيره فقيل له في ذلك فقال
ما رايت الله جعل الحزن عارا على يعقوب **فهو كظيم** فهو مملو من الغيظ على اولاده
ولا يظهر ما يسوءهم فعيل بمعنى مفعول بدليل قوله وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملئه
والكظم بفتح الظاء مخرج النفس يقال اخذ باكظامه **تفتؤ** اراد لا تفتؤ فحذف حرف
النفي لانه لا يلتبس بالاثبات لانه لو كان اثباتا لم يكن بد من اللام والنون ونحوه فقلت
يمين الله ابرح قاعدا ومعنى لا تفتأ لا تزال وعن مجاهد لا تفتر من حبه كانه جعل الفتوء
والفتور اخوين يقال ما فتئ يفعل قال اوس فما فتئت خيل تثوب وتدعي
ويلحق منها لاحق وتقطع **حرضا** مشفيا على الهلاك مرضا واحرضه المرض ويستوي
فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لانه مصدر والصفة حرض بكسر الراء ونحوهما
دنف ودنف وجاءت القراءة بهما جميعا وقرا الحسن حرضا بضمتين ونحوه في الصفات
رجل جنب وغرب البث اصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثه الى الناس
اي ينشره ومنه باثه امره وابثه اياه ومعنى **انما اشكو** اني لا اشكو الى احد منكم
ومن غيركم انما اشكو الى ربي داعيا له وملتجيا اليه فخلوني وشكايتي وهذا معنى توليه

عنهم

اي فتولى عنهم الى الله والشكاية اليه وقيل دخل على يعقوب جار له فقال يا يعقوب
قد تهشمت وفنيت وما بلغت من السن ما بلغ ابوك فقال هشمني وافناني
ما ابتلاني الله به من هم يوسف فاوحى الله اليه يا يعقوب اتشكوني الى خلقي قال يا رب
خطيئة اخطأتها فاغفر لي فغفر له فكان بعد ذلك اذا سئل قال انما اشكو بثي و
حزني الى الله وروي انه اوحى الى يعقوب انما وجدت عليكم لانكم ذبحتم شاة
فقام ببابكم مسكين فلم تطعموه وان احب خلقي الي الانبياء ثم المساكين فاصنع
طعاما وادع عليه المساكين وقيل اشترى جارية مع ولدها فباع ولدها
فبكت حتى عميت **واعلم من الله ما لا تعلمون** اي اعلم من صنعه ورحمته وحسن ظني به
انه ياتيني بالفرج من حيث لا احتسب وروي انه راى ملك الموت في منامه فسأله هل
روح يوسف فقال لا والله هو حي فاطلبه وقرا الحسن وحزني بفتحتين وحزني
بضمتين قتادة **فتحسسوا من يوسف واخيه** فتعرفوا منهما وتطلبوا خبرهما
وقرئ بالجيم كما قرئ بهما في الحجرات وهما تفعل من الاحساس وهو المعرفة
فلما احس عيسى منهم الكفر من الجس وهو الطلب ومنه قالوا لما اعز الانسان
الحواس والجواس **من روح الله** من فرجه وتنفيسه وقرا الحسن وقتادة
من روح الله بالضم اي من رحمته التي يحيا بها العباد الضر الهزال من الشدة
والجوع **مزجاة** مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارا لها من ازجيته
اذا دفعته وطردته والريح تزجي السحاب قيل كانت من متاع الاعراب صوفا
وسمنا وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل سويق المقل والاقط وقيل دراهم زيوفا
لا تؤخذ الا بوضيعة **فاوف لنا الكيل** الذي هو حقنا **وتصدق علينا** وتفضل
علينا بالمسامحة والاغماض عن رداءة البضاعة او زدنا على حقنا فسموا ما هو
فضل وزيادة لا تلزمه صدقة لان الصدقات محظورة على الانبياء وقيل كانت
تحل لغير نبينا صلى الله عليه وسلم وسئل ابن عيينة عن ذلك فقال الم تسمع وتصدق علينا اراد انها
كانت حلالا لهم والظاهر انهم تمسكنوا له وطلبوا اليه ان يتصدق عليهم ومن ثم رق
لهم وملكته الرحمة عليهم فلم يتمالك ان عرفهم نفسه وقوله **ان الله يجزي المتصدقين**
شاهد لذلك لذكر الله وجزائه والصدقة العطية التي يبتغى بها المثوبة من الله ومنه

قول الحسن لمن سمعه يقول اللهم تصدق علي ان الله تعالى لا يتصدق انما يتصدق الذي
يبتغي الثواب قل اللهم اعطني او تفضل علي او ارحمني قال هل علمتم اتاهم من جهة الدين وكان
حليما موفقا وكلمهم مستفهما عن معرفة وجه القبح الذي يجب ان يراعيه التائب
فقال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون لا تعلمون قبحه فلذلك
اقدمتم عليه يعني هل علمتم قبحه فتبتم الى الله لان علم القبح يدعوا الى الاستقباح والاستقباح يجر الى التوبة
فكان كلامه شفقة عليهم وتنصحا لهم في الدين لا معاتبة وتثريبا ايثارا لحق الله على حق
نفسه في ذلك المقام الذي يتنفس فيه المكروب وينفث المصدور ويتشفى المغيظ المحنق
ويدرك ثاره الموتور فلله اخلاق الانبياء ما اوطاها واسجحها ولله حصى عقولهم ما
ارزنها وارجحها وقيل لم يرد نفي العلم عنهم لانهم كانوا علماء ولكنهم لما لم يفعلوا ما يقتضيه
العلم ولا يقدم عليه الا جاهل سماهم جاهلين وقيل معناه اذ انتم صبيان في حد السفه
والطيش قبل ان يبلغوا اوان الحلم والرزانة روي انهم لما قالوا مسنا واهلنا الضر وتضرعوا
اليه ارفضت عيناه ثم قال هذا القول وقيل ادوا اليه كتاب يعقوب من يعقوب
اسرائيل بن اسحق ذبيح الله بن ابرهيم خليل الله الى عزيز مصر اما بعد فانا اهل بيت
موكل بنا البلاء اما جدي فشدت يداه ورجلاه ورمي به في النار ليحرق فنجاه الله
وجعلت النار بردا وسلاما واما ابي فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه الله واما انا
فكان لي ابن وكان احب اولادي الي فذهب به اخوته الى البرية ثم اتوني بقميصه ملطخا
بالدم وقالوا قد اكله الذئب فذهبت عيناي من بكائي عليه ثم كان لي ابن وكان اخاه
من امه وكنت اتسلى به فذهبوا ثم رجعوا وقالوا انه سرق وانك حبسته لذلك وانا اهل
بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته علي والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع
من ولدك والسلم فلما قرا يوسف الكتاب لم يتمالك وعيل صبره فقال لهم ذلك وروي
انه لما قرا الكتاب بكى وكتب الجواب اصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا فان قلت ما فعلهم
باخيه قلت تعريضهم اياه للغم والثكل بافراده عن اخيه لابيه وامه وجفاؤهم به حتى كان
لا يستطيع ان يكلم احدا منهم الا كلام الذليل للعزيز وايذاؤهم له بانواع الاذى قرئ
اينك على الاستفهام وانك على الايجاب وفي قراءة ابي آينك او انت يوسف على
معنى آينك يوسف او انت يوسف فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وهذا كلام متعجب

اي مملت ادمغا

اي الخفة

اي البطن السابع

مستغرب

مستغرب لما يسمع فهو يكرر الاستثبات فان قلت كيف عرفوه قلت رأوا في رؤيته
وشمائله حين كلمهم بذلك ما شعروا به انه هو مع علمهم بان ما خاطبهم به لا يصدر مثله
الا عن حنيف مسلم من سنخ ابراهيم لا عن بعض اعزاء مصر وقيل عند ذلك فعرفوه بثناياه
وكانت كاللؤلؤ المنظوم وقيل ما عرفوه حتى رفع التاج عن راسه فنظروا الى علامة بقرنه
كانت ليعقوب وسارة مثلها تشبه الشامة البيضاء فان قلت قد سالوه عن
نفسه فلم اجابهم عنها وعن اخيها على ان اخاه كان معلوما لهم قلت لانه كان في ذكر
اخيه بيان لما سالوه عنه من يتق من يخف الله وعقابه ويصبر عن المعاصي وعلى
الطاعات فان الله لا يضيع اجرهم فوضع المحسنين موضع الضمير لاشتماله على المتقين
والصابرين لقد اثرك الله علينا اي فضلك علينا بالتقوى والصبر وسيرة المحسنين
وان شاننا وحالنا انا كنا خاطئين متعمدين للاثم لم نتق ولم نصبر لا جرم ان الله
اعزك بالملك واذلنا بالتمسكن بين يديك لا تثريب عليكم لا تانيب عليكم ولا عتب
واصل التثريب من الثرب وهو الشحم الذي هو غاشية الكرش ومعناه ازالة الثرب
كما ان التجليد والتقريع ازالة الجلد والقرع لانه اذا ذهب كان ذلك غاية الهزال
والعجف الذي ليس بعده فضرب مثلا للتقريع الذي يمزق الاعراض ويذهب
بماء الوجوه فان قلت بم تعلق اليوم قلت بالتثريب او بالمقدر في عليكم من معنى
الاستقرار وبيغفر والمعنى لا اثربكم اليوم وهو اليوم الذي هو مظنة التثريب فما ظنكم بغيره
من الايام ثم ابتدا فقال يغفر الله لكم فدعا لهم بمغفرة ما فرط منهم يقال غفر الله لك
ويغفر الله لك على لفظ الماضي والمضارع جميعا ومنه قول المشمت يهديكم الله ويصلح بالكم
او اليوم يغفر الله لكم بشارة بعاجل غفران الله لما تجدد يومئذ من توبتهم وندمهم على
خطيئتهم وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ بعضادتي باب الكعبة يوم الفتح لقريش
ما ترونني فاعلا بكم قالوا نظن خيرا اخ كريم وابن اخ كريم وقد قدرت فقال اقول ما قال
اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم وروي ان ابا سفين لما جاء ليسلم قال له العباس اذا اتيت
الرسول فاتل عليه قال لا تثريب عليكم ففعل فقال رسول الله غفر الله لك ولمن علمك
ويروى ان اخوته لما عرفوه ارسلوا اليه انك تدعونا الى طعامك بكرة وعشيا ونحن نستحيي
لما فرط منا فيك فقال يوسف ان اهل مصر وان ملكت فيهم فانهم ينظرون الي بالعين

تبسم

اي احلافه

اي تظنونني

انت

الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت الآن بكم وعظمت
في العيون حيث علم الناس انكم اخوتي واني من حفدة ابرهيم اذهبوا بقميصي هذا قيل هو القميص
المتوارث الذي كان في تعويذ يوسف وكان من الجنة امره جبريل ان يرسله فان فيه ريح
الجنة لا يقع على مبتلى ولا سقيم الا عوفي يأت بصيرا يصر بصيرا كقولك جاء البناء محكما
بمعنى صار ويشهد له فارتد بصيرا او يأت الي وهو بصير وينظره قوله وأتوني بأهلكم اي يأتني
ابي ويأتني اله جميعا وقيل يهوذا هو الحامل قال انا احزنته بحمل القميص ملطخا بالدم اليه فافرحه
كما احزنته وقيل حمله وهو حاف حاسر من مصر الى كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا
فصلت العير خرجت من عريش مصر يقال فصل من البلد فصولا اذا انفصل عنه وجاوز
حيطانه وقرأ ابن عباس فلما انفصل العير قال لولد ولده ومن حوله من قومه اني لاجد
ريح يوسف اوجده الله ريح القميص حين اقبل من مسيرة ثمان والتفنيد النسبة الى الفند
وهو الخرف وانكار العقل من هرم يقال شيخ مفند ولا يقال عجوز مفندة لانها لم تكن
في شبيبتها ذات راي فتفند في كبرها والمعنى لولا تفنيدكم اياي لصدقتموني لفي ضلالك
القديم لفي ذهابك عن الصواب قدما في افراط محبتك ليوسف ولهجك ورجائك للقائه
وكان عندهم انه قد مات القاه طرح البشير القميص على وجه يعقوب او القاه يعقوب
فارتد فرجع بصيرا يقال رده فارتد وارتده اذا ارتجعه الم اقل لكم يعني قوله اني
لاجد ريح يوسف او قوله ولا تيأسوا من روح الله وقوله اني اعلم كلام مبتدأ لم يقع عليه
القول ولك ان توقعه عليه وتريد قوله انما اشكو بثي وحزني الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون
وروي انه سأل البشير كيف يوسف فقال هو ملك مصر قال ما اصنع بالملك على اي دين
تركته قال على دين الاسلام قال الآن تمت النعمة سوف استغفر لكم قيل اخر الاستغفار
الى وقت السحر وقيل الى ليلة الجمعة ليتعمد به وقت الاجابة وقيل ليتعرف حالهم في صدق
التوبة واخلاصها وقيل اراد الدوام على الاستغفار لهم فقد روي انه كان يستغفر لهم كل
ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة وقيل قام الى الصلوة في وقت السحر فلما فرغ رفع يديه وقال
اللهم اغفر لي جزعي على يوسف وقلة صبري عنه واغفر لولدي ما اتوا الى اخيهم فاوحي اليه
ان الله قد غفر لك ولهم اجمعين وروي انهم قالوا له وقد علتهم الكآبة ما يغني عنا عفوكما
ان لم يعف عنا ربنا فان لم يوح اليك بالعفو فلا قرت لنا عين ابدا فاستقبل الشيخ

الولد قد يكون وجمعا وكذلك بالضم

سوء الحال والانكسار من الحزن

القبلة

القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين عشرين
حتى بلغ جهدهم وظنوا انها الهلكة نزل جبريل فقال ان الله قد اجاب دعوتك
في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة وقد اختلف في استنبائهم فلما دخلوا
على يوسف قيل وجه يوسف الى ابيه جهازا ومائتي راحلة ليتجهز اليه بمن معه وخرج يوسف
والملك في اربعة آلاف من الجند والعظماء واهل مصر باجمعهم فتلقوا يعقوب وهو يمشي يتوكأ
على يهوذا فنظر الى الخيل والناس فقال يا يهوذا هذا فرعون مصر قال هذا ولدك
فلما لقيه قال يعقوب السلام عليك يا مذهب الاحزان وقيل ان يوسف قال له لما التقيا
يا ابت بكيت علي حتى ذهب بصرك الم تعلم ان القيامة تجمعنا فقال بلى ولكن خشيت
ان تسلب دينك فيحال بيني وبينك وقيل ان يعقوب وولده دخلوا مصر وهم اثنان
وسبعون ما بين رجل وامرأة وخرجوا منها مع موسى ومقاتلتهم ستمائة الف وخمس
مائة وبضعة وسبعون رجلا سوى الذرية والهرمى وكانت الذرية الف الف ومائتي الف
آوى اليه ابويه ضمهما اليه واعتنقهما قال ابن ابي اسحق كانت امه تحيا وقيل هما
ابوه وخالته ماتت امه فتزوجها وجعلها احد الابوين لان الرابة تدعى اما لقيامها
مقام الام او لان الخالة ام كما ان العم اب ومنه قوله واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق
فان قلت ما معنى دخولهم عليه قبل دخولهم مصر قلت كأنه حين استقبلهم نزل لهم في
في مضرب او بيت ثم فدخلوا عليه وضم اليه ابويه ثم قال لهم ادخلوا مصر ان شاء الله
آمنين ولما دخل مصر وجلس في مجلسه مستويا على سريره واجتمعوا اليه اكرم ابويه فرفعهما
على السرير وخروا له يعني الاخوة الاحد عشر والابوين سجدا ويجوز ان يكون قد خرج
في قبة من قباب الملوك التي تحمل على البغال فامر ان يرفع اليه ابواه فدخلا عليه
القبة فآواهما اليه بالضم والاعتناق وقربهما منه وقال بعد ذلك ادخلوا مصر فان
قلت بم تعلقت المشية قلت بالدخول مكيفا بالامن لان القصد الى اتصافهم بالامن
في دخولهم فكأنه قيل اسلموا وامنوا في دخولكم ان شاء الله ونظيره قولك للغازي ارجع سالما
غانما ان شاء الله فلا تعلق المشية بالرجوع مطلقا ولكن مقيدا بالسلامة والغنيمة مكيفا
بهما والتقدير ادخلوا مصر آمنين ان شاء الله دخلتم آمنين ثم حذف الجزاء لدلالة الكلام
ثم اعترض بالجملة الجزائية بين الحال وذي الحال ومن يدع التفاسير ان قوله ان شاء الله من

حكاية حال ماضية يعني انها كانت في الحيوة

اي الشرطية

من باب التقديم والتأخير وان ووضعها ما بعد قوله سوف استغفر لكم ربي في كلام يعقوب
وما ادري ما اقول فيه وفي نظايره **فان قلت** كيف جاز لهم ان يسجدوا لغير الله **قلت**
كانت السجدة عندهم جارية مجرى التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد ونحوها
مما جرت عليه عادة الناس من افعال شهرت في التعظيم والتوقير وقيل ما كانت الا انحناء دون
تعفير الجباه وحرورهم سجدا بآباه وقيل معناه وخروا لاجل يوسف سجدا لله وشكرا
وهذا ايضا فيه بنوة يقال لحن اليه وبه وكذلك اساء اليه وبه قال اسيئي بنا او احسني لا
لاملومة **من البدو** من البادية لانهم كانوا اهل عمد واصحاب مواشي ينتقلون في المياه والمناجع
نزغ افسد بيننا واغري واصله من نخس الدابة وحثها على الجري يقال نزغه
ونسغه اذا نخسه **لطيف لما يشاء** لطيف التدبير لاجله رفيق حتى يجيء على وجه الحكمة والصواب
وروي ان يوسف اخذ بيد يعقوب فطاف به في خزائنه فادخله خزائن الورق والذهب
وخزائن الثياب وخزائن السلاح وغير ذلك فلما ادخله خزانة القراطيس قال يا بني ما
اعقك عندك من القراطيس وما كتبت الي على ثمان مراحل قال امرني جبريل قال او ما سألته
قال انت ابسط اليه مني مسئلة قال جبريل الله امرني بذلك لقولك واخاف ان ياكله الذيب
قال مهلا اخفتني وروي ان يعقوب اقام معه اربعا وعشرين سنة ثم مات واوصى ان يدفنه
بالشام الى جنب ابيه اسحق ففعل بنفسه ودفنه ثم عاد الى مصر وعاش بعد ابيه تلثا
وعشرين سنة فلما تم امره وعلم انه لا يدوم له طلبت نفسه الملك الدائم الخالد فتاقت
نفسه اليه وتمنى الموت وقيل ما تمناه نبي قبله ولا بعده فتوفاه طيبا طاهرا فتخاصم اهل
مصر وتشاجروا في دفنه كل يحب ان يدفن في محلتهم حتى هموا بالقتال فرأوا من الرأي
ان علوا له صندوقا من مرمر وجعلوه فيه ودفنوه في النيل بحيث يمد عليه الماء ثم يصل
الى مصر ليكونوا كلهم فيه شرعا واحدا وولد له افرايم وميشا وولد لافرايم نون ولنون يوشع
فتى موسى (اي سواء) ولقد توارثت القراعنة من العمالقة بعده مصر ولم تزل بنو اسرائيل تحت ايديهم على بقايا
دين يوسف وبايته الى ان بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم **من** في من الملك **ومن تاويل الاحاديث**
للتبعيض لانه لم يؤت الا بعض ملك الدنيا او بعض ملك مصر وبعض التاويل **انت ولي**
انت الذي تتولاني بالنعمة في الدارين وبوصل الملك الفاني بالملك الباقي **توفني مسلما**
طلب للوفاة على حال الاسلام ولان يختم له بالخير والحسنى كما قال يعقوب لولده ولا تموتن

الا وانتم

الا وانتم مسلمون ويجوز ان يكون تمنيا للموت على ما قيل **والحقني بالصالحين** من ابائي
او على العموم وعن عمر بن عبد العزيز ان ميمون بن مهران بات عنده فرآه كثير البكاء
والمسئلة للموت فقال له صنع الله على يديك خيرا كثيرا احييت سنتا وامت بدعا
وفي حيوتك خير وراحة للمسلمين فقال افلا اكون كالعبد الصالح لما اقر الله عينيه وجمع له امره
قال توفني مسلما والحقني بالصالحين **فان قلت** علام انتصب فاطر السموات **قلت**
على انه وصف لقوله رب كقولك اخا زيد حسن الوجه او على النداء **ذلك** اشارة الى ما سبق
من نبإ يوسف والخطاب لرسول الله ومحله الابتداء وقوله **من انباء الغيب نوحيه**
اليك خبران ويجوز ان يكون اسما موصولا بمعنى الذي ومن انباء الغيب صلته والضمير
الجنس والمعنى ان هذا النبأ غيب لم يحصل لك الا من جهة الوحي لانك لم تحضر بني يعقوب
حين اجمعوا امرهم وهو القاؤهم اخاهم في البئر لقوله واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب
وهذا تهكم بقريش وبمن كذبه لانه لم يخف على احد من المكذبين انه لم يكن من حملة هذا
الحديث واشباهه ولا لقي فيها احدا ولا سمع منه ولم يكن من علم قومه فاذا اخبر به وقصه
هذا القصص العجيب الذي اعجز حملته ورواته لم تقع شبهة في انه ليس منه واتاه من
جهة الوحي فاذا انكروه تهكم بهم وقيل لهم قد علمتم بالمكابدة انه لم يكن متاهلا لمن مضى
من القرون الخالية ونحوه وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وهم يمكرون
بيوسف ويبغون له الغوائل وما اكثر الناس يريد العموم كقوله ولكن اكثر الناس لا يؤمنون
وعن ابن عباس اراد اهل مكة اي وما هم بمؤمنين ولو حرصت وتهالكت على ايمانهم لتصميمهم
على الكفر وعنادهم وما تسالهم على ما تحدثهم به وتذكرهم ان ينيلوك منفعة وجدوي كما
تعطى حملة الاحاديث والاخبار ان هو الا ذكرى عظة من الله للعالمين عامة وحث على
طلب النجاة على لسان رسوله ض **من آية** من علامة ودلالة على الخالق وعلى صفاته
وتوحيده يمرون عليها ويشاهدونها وهم معرضون عنها لا يعتبرون بها وقرئ والارض
بالرفع على الابتداء ويمرون عليها جره وقراءة السدي والارض بالنصب على ويطوون
الارض يمرون عليها وفي مصحف عبد الله والارض يمشون عليها بدفع الارض والمراد
ما يرون من آثار الامم الهالكة وغير ذلك من العبر **وما يؤمن اكثرهم** في اقرارهم بالله وبانه
خلقهم وخلق السموات والارض الا وهم مشركون بعبادة الاوثان وعن الحسن هم اهل الكتاب

معهم شرك وايمان وعن ابن عباس هم الذين يشبهون الله بخلقه غاشية نقمة تغشاهم والناس في اسواقهم
وقيل ما يغمرهم من العذاب ويجللهم وقيل الصواعق هذه سبيلي هذه السبيل التي هي الدعوة الى
الى الايمان والتوحيد سبيلي والسبيل والطريق يذكران ويؤنثان ثم فسر سبيله بقوله ادعو
الى الله على بصيرة اي ادعو الى دينه مع حجة واضحة غير عمياء وانا تاكيد للمستتر في ادعو ومن
اتبعني عطف عليه يريد ادعو اليها ويدعو اليها من اتبعني ويجوز ان يكون انا مبتدا وعلى
بصيرة خبرا مقدما ومن اتبعني عطفا على انا اخبارا مبتدا بانه رسول ومن اتبعه على حجة وبرهان لا على
هوى ويجوز ان يكون على بصيرة حالا من ادعو عاملة الرفع في انا ومن اتبعني وسبحان الله
وانزهه من الشركاء الا رجالا لا ملائكة لانهم كانوا يقولون لو شاء ربنا لانزل ملائكة
وعن ابن عباس يريد ليست فيهم امراة وقيل في سجاح المتنبئة ولم يزل انبياء الله ذكرانا
وقرئ نوحي اليهم بالنون من اهل القرى لانهم اعلم واحلم واهل البوادي فيهم الجهل
والجفاء والقسوة ولدار الآخرة ولدار الساعة او الحال الآخرة خير للذين اتقوا للذين
خافوا الله فلم يشركوا به ولم يعصوه وقرئ افلا يعقلون بالياء والتاء حتى متعلقة
بمحذوف دل عليه الكلام كانه قيل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا فتراخى نصرهم حتى اذا استيأسوا
عن النصر وظنوا انهم قد كذبوا اي كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون او رجاؤهم
لقولهم رجاء صادق ورجاء كاذب والمعنى ان مدة التكذيب والعداوة من الكفار وانتظار
النصر من الله وتاميله قد تطاولت عليهم وتمادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا ان لا نصر لهم
في الدنيا فجاءهم نصرنا فجاءة من غير احتساب وعن ابن عباس وظنوا ضعفوا وغلبوا
انهم قد اخلفوا ما وعدهم الله من النصر وقال كانوا وتلا قوله وزلزلوا حتى يقول الرسول
والذين آمنوا معه متى نصر الله فان صح هذا عن ابن عباس فقد اراد بالظن ما يخطر بالبال
ويهجس في القلب من شبه الوسوسة وحديث النفس على ما عليه البشرية واما الظن الذي
هو ترجح احد الجائزين على الآخر فغير جائز على رجل من المسلمين فما بال رسل الله هم اعرف الناس
بربهم وانه متعال عن خلف الميعاد منزه عن كل قبيح وقيل وظن المرسل اليهم ان الرسل
قد كذبوا اي اخلفوا وظن المرسل اليهم انهم كذبوا من جهة الرسل اي كذبتهم الرسل في انهم
ينصرون عليهم ولم يصدقوا هم فيه وقرئ كذبوا بالتشديد على وظن الرسل انهم قد كذبتهم قومهم
فيما وعدوهم من العذاب والنصرة وقرا مجاهد كذبوا بالتخفيف على البناء للفاعل على وظن الرسل

انهم

انهم قد كذبوا فيما حدثوا به قومهم من النصرة اما على تاويل ابن عباس واما على ان قومهم اذا لم يروا
لموعدهم اثرا قالوا لهم انكم قد كذبتمونا فيكونون كاذبين عند قومهم او ظن المرسل اليهم
ان الرسل قد كذبوا ولو قرئ بهذا مشددا لكان معناه وظن الرسل ان قومهم كذبوهم في موعدهم
قرئ فنجي بالتخفيف والتشديد من انجاه ونجاه وفنجي على لفظ الماضي المبني للمفعول وقرا ابن
محيصن فنجا والمراد بمن نشاء المؤمنون لانهم الذين يستاهلون ان يشاء نجاتهم وقد بين
ذلك بقوله ولا يرد باسه عن القوم المجرمين الضمير في قصصهم للرسل وينصره قراءة من قرا في
قصصهم بكسر القاف وقيل هو راجع الى يوسف واخوته فان قلت فالام يرجع الضمير في فيما كان
حديثا يفترى فيمن قرا بالكسر قلت الى القرآن اي ما كان القرآن حديثا يفترى ولكن كان
تصديق بين يديه اي قبله من الكتب السماوية وتفصيل كل شيء يحتاج اليه في الدين لانه القانون
الذي يستند اليه السنة والاجماع والقياس بعد ادلة العقل وانتصاب ما نصب بعد لكن للعطف
على خبر كان وقرئ ذلك بالرفع على ولكن هو تصديق الذي بين يديه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم علموا ارقاءكم سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله وما ملكت يمينه
هون الله عليه سكرات الموت واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما

سورة الرعد مختلف فيها وهي خمس واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

تلك اشارة الى آيات السورة والمراد بالكتاب السورة اي تلك الآيات آيات السورة الكاملة
العجيبة في بابها ثم قال والذي انزل اليك من القرآن كله هو الحق الذي لا مزيد عليه لا هذه السورة
وحدها وفي اسلوب هذا الكلام قول الانمارية هم كالحلقة المفرغة لا يدا اي ابن طرفاها تريد الكلمة
الله مبتدا والذي خبره بدليل قوله وهو الذي مد الارض ويجوز ان يكون صفة وقوله
يدبر الامر يفصل الآيات خبرا بعد خبر وينصره ما تقدمه من ذكر الآيات رفع السموات بغير عمد
ترونها كلام مستانف استشهاد برؤيتهم لها كذلك وقيل هي صفة لعمد ويعضده قراءة ابي
ترونه وقرئ عمد بضمتين يدبر الامر يدبر امر مملوكته وربوبيته يفصل آياته في كتبه
المنزلة لعلكم توقنون بالجزاء وبان هذا المدبر والمفصل لا بد لكم من الرجوع اليه وقرا الحسن
ندبر بالنون جعل فيها زوجين اثنين خلق منها من جميع انواع الثمرات زوجين زوجين حين
مدها ثم تكاثرت بعد ذلك وتنوعت وقيل اراد بالزوجين الاسود والابيض والحلو والحامض

والصغير والكبير وما اشبه ذلك من الاصناف المختلفة يغشى الليل النهار يلبسه مكانه فيصير اسود
مظلما بعد ما كان ابيض منيرا وقرئ يغشى بالتشديد قطع متجاورات بقاع مختلفة متجاورة بعضها
متجاورة متلاصقة طيبة الى سبخة وكريمة الى زهيادة وصلبة الى رخوة وصالحة للزرع
لا للشجر الى اخرى على عكسها مع انتظامها جميعا في جنس الارضية وذلك دليل على قادر
مريد موقع لافعاله على وجه دون وجه وكذلك الكروم والزروع والنخيل اثنا بتة
في من القطع مختلفة الاجناس والانواع وهي تسقى ماء واحد وتراها متغايرة القدر
في الاشكال والالوان والطعوم والروائح متفاضلة فيها وفي بعض المصاحف قطعا
متجاورات على وجعل وقرئ وجنات بالنصب للعطف على زوجين او بالجر على كل
الثمرات وقرئ وزرع ونخيل بالجر عطفا على اعناب او جنات والصنوان جمع صنو
وهي النخلة لها رأسان واصلهما واحد وقرئ بالضم والكسر لغة اهل الحجاز والضم لغة
بني تميم وقيس يسقى بالياء وتفضل بالنون وبالياء على البناء للفاعل والمفعول جميعا
بضم الكاف وسكونها وان تعجب يا محمد من قولهم في انكار البعث فقولهم عجيب حقيق بان
يتعجب منه لان من قدر على انشاء ما عدد عليك من الفطر العظيمة ولم يعي بخلقهن كانت الاعادة
اهون شيء عليه وايسره فكان انكارهم اعجوبة من الاعاجيب ايذا كنا الى آخر قولهم يجوز ان يكون
في محل الرفع بدلا من قولهم وان يكون منصوبا بالقول واذا نصب بما دل عليه قوله ائنا لفي خلق جديد
اولئك الذين كفروا بربهم اولئك الكاملون المتمادون في كفرهم واولئك الاغلال في اعناقهم صفة بالاصار
كقوله اناجعلنا في اعناقهم اغلالا ونحوه لهم عن الرشد اغلال واقياد او هو من جملة الوعيد
بالسيئة قبل الحسنة بالنقمة قبل العافية والاجان اليهم بالامهال وذلك انهم سألوا رسول الله
ان يأتيهم بالعذاب استهزاء منهم بانذاره وقد خلت من قبلهم المثلات اى عقوبات امثالهم من المكذبين
فما لهم لم يعتبروا بها ولا يستهزئوا والمثلة العقوبة بوزن السمرة والمثلة لما بين العقاب
والمعاقب عليه من المماثلة وجزاء سيئة سيئة مثلها ويقال امتثل الرجل من صاحبه
واقتصصته منه والمثال القصاص وقرئ المثلات بضمتين لاتباع الفاء العين والمثلات
بفتح الميم وسكون الثاء كما يقال السمع والمثلات بضم الميم وسكون الثاء تخفيف المثلات بضمتين
والمثلات جمع مثلة كذكبة وذكبات لذو مغفرة للناس على ظلمهم اى مع ظلمهم انفسهم بالذنوب ومحله
الحال بمعنى ظالمين لانفسهم وفيه اوجه ان يريد اثبات المغفرة لمجتنب الكبائر او الكبائر بشرط

التوبة او يريد بالمغفرة الستر والامهال وروي انها لما نزلت قال النبي صلى الله عليه وسلم
لو لا عفو الله وتجاوزه ما هنأ احدا العيش ولو لا وعيده وعقابه لاتكل كل احد
لولا انزل عليه آية من ربه لم يعتدوا بالآيات المنزلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم عنادا
فاقترحوا نحو آيات موسى وعيسى من انقلاب العصا حية واحياء الموتى فقيل لرسول الله
انما انت رجل ارسلت منذرا مثل سائر الرسل فما عليك الا الانذار بما يصح به انك رسول منذر وصحة ذلك حاصلة بآية آية كانت والآيات
كلها سواء في حصول صحة الدعوى بها لا تفاوت بينها والذي عند كل شيء بمقدار يعطى
كل نبي آية على حسب ما اقتضاه علمه بالمصالح وتقديره لها ولكل قوم هاد من الانبياء يدعوهم
الى الدين ويدعوهم الى الله بوجه من الهداية وبآية خص بها ولم يجعل لانبي آية شرعا
واحدا في آيات مخصوصة وجه آخر وهو ان يكون المعنى انهم يجحدون كون ما انزل عليك
آيات ويعاندون فلا يهمنك ذلك انما انت منذر فما عليك الا ان تنذر لا ان تلجئهم
الايمان في صدورهم ولست بقادر عليه ولكل قوم هاد قادر على هدايتهم بالالجاء وهو الله
تعالى ولقد دل بما اردفه من ذكر آيات علمه وتقديره للاشياء على قضايا حكمته ان اعطاه
كل منذر آيات خلاف آيات غيره امر مدبر بالعلم النافذ مقدر بالحكمة الربانية
ولو علم في اجابتهم الى مقترحهم خيرا ومصلحة لاجابهم اليه واما على الوجه الثاني فقد دل
به على ان من هذه قدرته وهذا علمه هو القادر وحده على هدايتهم العالم باي طريق
يهديهم ولا سبيل الى ذلك لغيره الله يعلم يحتمل ان يكون كلاما مستأنفا وان يكون
المعنى هو الله تفسير الهاد على الوجه الاخير ثم ابتدئ فقيل يعلم ما تحمل كل انثى وما في تحمل
وما تغيض وما تزداد اما موصولة واما مصدرية فان كانت موصولة فالمعنى انه يعلم
ما تحمله من الولد على اى حال هو من ذكورة وانوثة وتمام وخداج وحسن وقبح وطول وقصر
وغير ذلك من الاحوال الحاضرة والمترقبة ويعلم ما تغيظه الارحام اى تنقصه يقال
غاض الماء وغضته انا ومنه قوله تعالى وغيض الماء وما تزداده اى تأخذه زايدا تقول اخذت
منه حقي وازددت منه كذا ومنه قوله تعالى وازدادوا تسعا ويقال زدته فزاد بنفسه وازداد
وما تنقصه الرحم وتزداده عدد الولد فانها تشتمل على واحد وقد تشتمل على اثنين وثلثة
واربعة ويروى ان سريجا كان رابع اربعة في بطن امه ومنه جسد الولد فانه يكون تاما

(هو شريح بكسر العين)

ومخدجا ومنه مدة ولادته فانها تكون اقل من تسعة اشهر وازيد عليها الى سنتين عند
ناقصا
ابي حنيفة والى اربع عند الشفعي والى خمس عند مالك وقيل ان الضحاك ولد لسنتين وهرم
بن حيان بقي في بطن امه اربع سنين ولذلك سمي هرما ومنه الدم فانه يقل ويكثر وان
كانت مصدرية فالمعنى انه يعلم حمل كل انثى ويعلم غيض الارحام وازديادها لا يخفى عليه شيء
من ذلك ومن اوقاته واحواله ويجوز ان يراد غيوض ما في الارحام وزيادته فاسند الفعل
الى الارحام وهو لما فيها على ان الفعلين غير متعديين ويعضده قول الحسن الغيضوضة
وعلى الاول كانا متعديين
ان تضع لثمانية اشهر او اقل من ذلك والازدياد ان تزيد على تسعة اشهر وعنه الغيض
الذي يكون سقطا لغير تمام والازدياد ما ولد لتمام **بمقدار** بقدر وحد لا يجاوزه ولا ينقص
عنه لقوله انا كل شيء خلقناه بقدر العظيم الشان الذي كل شيء دونه **المتعالي** المستعلي
على كل شيء بقدرته او الذي كبر عن صفات المخلوقين وتعالى عنها **سارب** ذاهب في سربه
بالفتح اي في طريقه ووجهه يقال سرب في الارض سروبا والمعنى سواء عنده من استخفى
اي طلب الخفاء في مختباء بالليل في ظلمته ومن يضطرب في الطرقات ظاهرا بالنهار
يبصره كل احد **فان قلت** كان حق العبارة ان يقال ومن هو مستخف بالليل ومن هو
سارب بالنهار حتى يتناول معنى الاستواء المستخفي والسارب والا فقد تناول واحدا
وهو مستخف وسارب **قلت** فيه وجهان احدهما ان قوله وسارب عطف على من هو مستخف
لا على مستخف والثاني انه عطف على مستخف الا ان من في معنى الاثنين كقوله نكن مثل من
يا ذيب يصطحبان كانه قيل سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والضمير
في **له** مردود على من كانه قيل لمن اسر ومن جهر ومن استخفى ومن سرب **معقبات**
جماعات من الملائكة تعتقب في حفظه وكلائته والاصل معتقبات فادغمت التاء في القاف
كقوله وجاء المعذرون بمعنى المعتذرون ويجوز معقبات بكسر العين ولم يقرأ به او هو
مفعلات من عقبه اذا جاء على عقبه كما يقال قفاه لان بعضهم يعقب بعضا او لانهم
يعقبون ما يتكلم به فيكتبونه **يحفظونه من امر الله** هما صفتان جميعا وليس من امر الله
بصلة للحفظ كانه قيل له معقبات من امر الله او يحفظونه من اجل امر الله اي من اجل
ان الله امرهم بحفظه والدليل عليه قراءة علي وابن عباس وزيد بن علي وجعفر بن محمد
وعكرمة يحفظونه بامر الله او يحفظونه من باس الله ونقمته اذا اذنب بدعائهم له ومسئلتهم

ربهم ان يمهله رجاء ان يتوب وينيب لقوله قل من يكلأكم بالليل والنهار من الرحمن وقيل المعقبات
الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في توهمه وتقديره من امر الله اي من قضاياه
ونوازله او على التهكم به جمع معقب او معقبة والياء عوض من حذف احدى القافين
في التكسير **ان الله لا يغير ما بقوم** من العافية والنعمة **حتى يغيروا ما بانفسهم** من الحال الجميلة
بكثرة المعاصي **من وال** ممن يلي امرهم ويدفع عنهم **خوفا وطمعا** لا يصح ان يكون مفعولا
لانهما ليسا بفعل فاعل الفعل المعلل الا على تقدير حذف المضاف اي ارادة خوف وطمع
او على معنى اخافة واطماعا ويجوز ان يكونا منتصبين على الحال من البرق كانه في نفسه خوف
وطمع او على معنى ذا خوف وذا طمع او من المخاطبين اي خائفين وطامعين ومعنى الخوف والطمع
ان وقوع الصواعق يخاف عند لمع البرق ويطمع في الغيث قال ابو الطيب فتى كالسحاب
الجون تخشى وترتجى يرجى الحيا منها وتخشى الصواعق وقيل يخاف المطر من له فيه
ضرر كالمسافر ومن في جرينه التمر والزبيب ومن له بيت بكف ومن البلاد ما لا ينتفع
اي يفطر
اهله بالمطر كاهل مصر ويطمع فيه من له نفع ويحيا به السحاب اسم الجنس والواحدة سحابة
والثقال جمع ثقيلة لانك تقول سحابة ثقيلة وسحاب ثقال كما تقول امراة كريمة ونساء
كرام وهي الثقال بالماء **ويسبح الرعد بحمده** ويسبح سامعو الرعد من العباد الراجين للمطر
للمطر حامدين له اي يضجون بسبحان الله والحمد لله وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان سبحان
من يسبح الرعد بحمده وعن علي رضي الله عنه سبحان من سبحت له واذا اشتد الرعد قال رسول الله
يخاطب الرعد
اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وعن ابن عباس ان اليهود
سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد ما هو فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق
من نار يسوق بها السحاب وعن الحسن خلق من خلق الله بملك ومن بدع المتصوفة الرعد
صعقات الملائكة والبرق زفرات افئدتهم المطر بكاؤهم **والملائكة من خيفته** ويسبح الملائكة
من هيبته واجلاله ذكر علمه النافذ في كل شيء واستواء الظاهر والخفي عنده وما دل
على قدرته الباهرة ووحدانيته ثم قال وهم يعني الذين كفروا وكذبوا رسول الله وانكروا
يجادلون في الله حيث ينكرون على رسوله ما يصفه به من القدرة على البعث واعادة
الخلائق بقولهم من يحيي العظام وهي رميم ويردون الوحدانية باتخاذ الشركاء والانداد
ويجعلونه الله بعض الاجسام المتوالدة بقولهم الملائكة بنات الله فهذا جدالهم بالباطل

ليدحضوا به الحق وقيل الواو للحال اى فيصيب بها من يشاء في حال جدالهم وذلك ان اربد
اخا لبيد بن ربيعة العامري قال لرسول الله حين وفد عليه مع عامر بن الطفيل قاصدين
لقتله فرمى الله عامرا بغدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية وارسل على اربد صاعقة
فقتله اخبرني عن ربنا امن نحاس هو ام من حديد المحال المماحلة وهي شدة المماكرة والمكايدة
ومنه تمحل لكذا اذا تكلف له استعمال الحيلة واجتهد فيه ومحل بفلان اذا كاده وسعى به الى
السلطان ومنه الحديث ولا تجعله علينا ماحلا مصدقا وقال الاعشى فرع نبع يهش في (اى غمره)
غصن المجد عزيز الندى شديد المحال والمعنى انه شديد المكر والكيد لاعدائه يأتيهم بالهلكة
من حيث لا يحتسبون وقرأ الاعرج بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول محالا اذا احتال ومنه
احول من ذئب اى اشد حيلة ويجوز ان يكون المعنى شديد الفقار ويكون مثلا في القوة والقدرة
كما جاء فساعد الله اشد وموساه احد لان الحيوان اذا اشتد محاله كان منعوتا بشدة (اى فقار الظهر)
والاضطلاع بما يعجز عنه غيره ما لا ترى الى قولهم فقرته الفواقر وذلك ان الكفقار عمود
الظهر وقوامه **دعوة الحق** فيها وجهان احدهما ان تضاف الدعوة الى الحق الذي هو نقيض
الباطل كما تضاف الكلمة اليه في قولك كلمة الحق للدلالة على ان الدعوة ملابسة للحق مختصة
به وانها بمعزل من الباطل والمعنى ان الله سبحانه يدعى فيستجيب الدعوة ويعطي الداعي سؤله ان
كان مصلحة له فكانت دعوة ملابسة للحق لكونه حقيقا بان يوجه اليه الدعاء لما في دعوته من الجدوى
والنفع بخلاف ما لا ينفع ولا يجدي دعاؤه (اى دعوة الله) والثاني ان يضاف الى الحق الذي هو الله عز وجل على
معنى دعوة المدعو الحق الذي يسمع فيجيب وعن الحسن رحمه الله الحق هو الله وكل دعاء اليه دعوة
الحق **فان قلت** ما وجه اتصال هذين الوصفين بما قبله **قلت** اما على قصة اربد فظاهر
لان اصابته بالصاعقة محال من الله ومكر به من حيث لم يشعر وقد دعا رسول الله عليه وعلى صاحبه
بقوله اللهم اخسفهما بما شئت فاجيب فيهما فكانت الدعوة دعوة حق واما على الاول فوعيد للكفرة
على مجادلتهم رسول الله بحلول محاله بهم واجابة دعوة رسول الله ان دعا عليهم فيهم **والذين**
يدعون والالهة الذين يدعوهم الكفار من دون الله **لا يستجيبون لهم بشيء** (معترضة) من طلباتهم
الا كباسط كفيه الا استجابة كاستجابة باسط كفيه اليه يطلب منه ان يبلغ فاه والماء
جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه وحاجته اليه ولا يقدر ان يجيب دعاءه ويبلغ فاه وكذلك
ما يدعونه جماد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع اجابتهم ولا يقدر على نفعهم وقيل شبهوا في قلة

جدوى

جدوى دعائهم لالهتهم بمن اراد ان يغرف الماء بيديه ليشربه فبسطهما ناشرا اصابعه فلم تلق كفاه
منه شيئا ولم يبلغ طلبته من شربه وقرئ تدعون بالتاء وكباسط كفيه بالتنوين **الا في ضلال**
الا في ضياع لا منفعة فيه لانهم ان دعوا الله لم يجبهم وان دعوا الالهة لم تستطع اجابتهم **ولله يسجد**
اى ينقادون لاحداث ما اراده فيهم من افعاله شاؤا او ابوا لا يقدرون ان يمتنعوا عليه وتنقاد
له ضلالهم ايضا حيث تتصرف على مشيته في الامتداد والتقلص والفيء والزوال وقرئ **بالغدو**
والايصال من آصلوا اذا دخلوا في الاصيل **قل الله** حكاية لاعترافهم وتاكيد له عليهم لانه اذا قال
له من رب السموات والارض لم يكن له بد ان يقولوا الله كقوله قل من رب السموات السبع
ورب العرش العظيم سيقولون الله وهذا كما يقول المناظر لصاحبه اهذا قولك فاذا قال هذا قولي
قال هذا قولك فيحكي اقراره تقريرا له عليه واستيثاقا منه ثم تقول له فيلزمك هذا القول كيت
وكيت ويجوز ان يكون تلقينا اى ان كعوا عن الجواب فلقنهم فانهم يتلقونه ولا يقدرون ان ينكروه
افاتخذتم من دونه اولياء ابعد ان علمتموه رب السموات والارض اتخذتم من دونه اولياء
فجعلتم ما كان يجب ان يكون سبب التوحيد من علمكم واقراركم سبب الاشراك **لا يملكون**
لانفسهم نفعا ولا ضرا لا يستطيعون لانفسهم ان ينفعوها او يدفعوا عنها ضررا فكيف يستطيعونه
لغيرهم وقد آثرتموهم على الخالق الرزاق المعاقب فما ابين ضلالتكم **ام جعلوا** بل اجعلوا
ومعنى الهمزة للانكار وخلقوا صفة لشركاء يعني انهم لم يتخذوا لله شركاء خالقين قد خلقوا
مثل خلق الله فتشابه عليهم خلق الله وخلقهم حتى يقولوا قدر هؤلاء على الخلق كما قدر الله عليه
فاستحقوا العبادة فنتخذهم له شركاء ونعبدهم كما يعبد اذ لا فرق بين خالق وخالق ولكنهم
اتخذوا له شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا ان يقدروا على ما يقدر عليه
الخالق **قل الله خالق كل شيء** لا خالق غير الله ولا يستقيم ان يكون له شريك
في الخلق ولا يكون له شريك في العبادة **وهو الواحد** المتوحد بالربوبية **القهار** لا يغالب
وما عداه مربوب ومقهور هذا مثل ضربه الله للحق واهله والباطل وحزبه كما ضرب
الاعمى والبصير والظلمات والنور مثلا لهما فمثل الحق واهله بالماء الذي ينزله من السماء
فتسيل به اودية الناس فيحيون به وينفعهم انواع المنافع وبالفلز الذي ينتفعون
به في صوغ الحلي منه واتخاذ الاواني والالات المختلفة ولو لم يكن الا الحديد الذي فيه
الباس الشديد لكفى به وان ذلك ماكث باق بقاء ظاهرا يثبت الماء في منافعه ويبقى
(اى الماء والفلز)

اثاره في العيون والبيار والحبوب والثمار التي تنبت به مما يدخر ويكتنز وكذلك الجواهر تبقى ازمنة
متطاولة وشبه الباطل في سرعة اضمحلاله ووشك زواله وانسلاخه عن المنفعة بزبد السيل
الذي يرمي به وبزبد الفلز الذي يطفو فوقه اذا اذيب فان قلت لم نكرت الاودية قلت
لان المطر لا ياتي الا على طريق المناوبة بين البقاع فيسيل بعض اودية الارض دون بعض
فان قلت فما معنى قوله قلت بمقدارها الذي عرف الله انه نافع للمطور عليهم غير ضار
الى ترى الى قوله واما ما ينفع الناس لانه ضرب المطر مثلا للحق فوجب ان يكون مطرا
خالصا للنفع خاليا من المضرة ولا يكون كبعض الامطار والسيول الجواجف فان قلت فما فايدة
قوله ابتغاء حيلة او متاع قلت الفايدة فيه كالفايدة في قوله بقدرها لانه جمع الماء والفلز في
النفع في قوله واما ما ينفع الناس لان المعنى واما ينفعهم من الماء والفلز فذكر وجه الانتفاع بما
يوقد عليه منه ويذاب وهو الحيلة والمتاع وقوله ومما توقدون عليه في النار ابتغاء حلية
او متاع عبارة جامعة لانواع الفلز مع اظهار الكبرياء في ذكره على وجه التهاون كما هو في هجيري
الملوك نحو ما جاء في ذكر الاجر او قد لي يا هامان على الطين ومن لابتداء الغاية اي ومنه
ينشأ زبد مثل زبد الماء او للتبعيض بمعنى وبعضه زبد رابيا منتفخا مرتفعا على وجه
السيل جفاء يجفأ السيل اي يرمي به وجفأت القدر بزبدها واجفأ السيل واجفل
وفي قراءة رؤبة بن العجاج جفالا وعن ابي حاتم لا يقرأ بقراءة رؤبة لانه كان ياكل الفار
وقرئ يوقدون بالياء اي يوقد الناس للذين استجابوا اللام متعلقة بيضرب اي كذلك يضرب
الله الامثال للمؤمنين الذين استجابوا وللكافرين الذين لم يستجيبوا اي هما مثلا الفريقين
والحسنى صفة لمصدر استجابوا اي استجابوا الاستجابة الحسنى وقوله لو ان لهم كلام مبتدا في ذكر
ما اعد لغير المستجيبين وقيل قد تم الكلام عند قوله كذلك يضرب الله الامثال وما بعده كلام
مستانف والحسنى مبتدا خبره للذين استجابوا والمعنى لهم المثوبة الحسنى وهي الجنة والذين
لم يستجيبوا مبتدا خبره لو مع ما في حيزه وسوء الحساب المناقشة فيه وعن النخعي ان يحاسب
الرجل بذنبه كله لا يغفر منه شيء دخلت همزة الانكار على الفاء في قوله افمن يعلم لانكار
ان تقع شبهة بعد ما ضرب من المثل في ان حال من علم ان ما انزل اليك من ربك الحق فاستجاب
بمعزل من حال الجاهل الذي لم يستبصر فيستجيب كبعد ما بين الزبد والماء والخبث والابريز
انما يتذكر اولوا الالباب اي الذين عملوا على قضيات عقولهم فنظروا واستبصروا

الذين

الذين يوفون بعهد الله مبتدا اولئك لهم عقبى الدار خبره كقوله والذين ينقضون عهد الله اولئك
لهم اللعنة ويجوز ان يكون صفة لاولي الالباب والاول اوجه وعهد الله ما عقدوه على انفسهم
من الشهادة بربوبيته واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى ولا ينقضون الميثاق
ولا ينقضون كلها وثقوه على انفسهم وقبلوه من الايمان بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين
الله وبين العباد تعميم بعد تخصيص ما امر الله به ان يوصل من الارحام والقرابات ويدخل فيه
وصل قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرابة المؤمنين الثابتة بسبب الايمان انما المؤمنون
اخوة بالاحسان اليهم على حسب الطاقة ونصرتهم والذب عنهم والشفقة عليهم والنصيحة لهم وطرح
التفرقة بين انفسهم وبينهم وافشاء السلام عليهم وعيادة مرضاهم وشهود جنايزهم ومنه
مراعاة حق الاصحاب والخدم والجيران والرفقاء في السفر وكل ما تعلق منهم بسبب حتى الهرة
والدجاجة وعن الفضيل بن عياض ان جماعة دخلوا عليه بمكة فقال من اين انتم قالوا من
خراسان قال اتقوا الله وكونوا من حيث شئتم واعلموا ان العبد لو احسن الاحسان
كله وكانت له دجاجة فاساء اليها لم يكن من المحسنين ويخشون ربهم اي يخشون وعيده
وعيده كله ويخافون خصوصا سوء الحساب فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا صبروا
مطلق فيما يصبر عليه من المصايب في النفوس والاموال ومشاق التكليف ابتغاء وجه الله
لا ليقال ما اصبره واجمله للنوازل واوقره عند الزلازل ولا لئلا يعاب بالجزع ولئلا يشمت
به الاعداء كقوله وتجلدي للشامتين ولا لانه لا طايل تحت الهلع ولا مرد فيه للفائت
كقوله ما ان جزعت ولا هلعت ولا يرد بكاي زندا وكل عمل له وجوه يعمل عليها فعلى المؤمن
ان ينوي منها ما به كان حسنا عند الله والا لم يستحق به ثوابا وكان فعلا كلا فعل مما
رزقناهم من الحلال لان الحرام لا يكون رزقا ولا يسند الى الله سرا وعلانية يتناول النوافل
لانها في السر افضل والفرايض لوجوب المجاهرة بها نفيا للتهمة ويدرؤن بالحسنة السيئة
ويدفعونها عن ابن عباس يدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سيء غيرهم
وعن الحسن اذا حرموا اعطوا واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا وعن ابن كيسان
اذا اذنبوا تابوا وقيل اذا راوا منكرا امروا بتغييره عقبى الدار عاقبة الدنيا
وهي الجنة لانها التي اراد الله ان تكون عاقبة الدنيا ومرجع اهلها وجنات عدن
بدل من عقبى الدار وقرئ فنعم بفتح النون والاصل نعم فمن كسر النون فلنقل كسرة العين
اليها

مطلب

ومن فتح فقد سكن العين ولم ينقل وقرئ يدخلونها على البناء للمفعول وقرأ ابن عبلة صلح
بضم اللام والفتح افصح اعلم ان الانساب لا تنفع اذا تجردت من الاعمال الصالحة واباؤهم جمع ابوي
كل واحد منهم فكانه قيل من ابائهم وامهاتهم سلام عليكم في موضع الحال لان المعنى قائلين سلام
عليكم او مسلمين فان قلت بم تعلق قوله بما صبرتم قلت بمحذوف تقديره هذا بما صبرتم يعنون
هذا الثواب بسبب صبركم او بدل ما احتملتم من مشاق الصبر ومتاعبه هذه الملاذ والنعم والمعنى
لئن تعبتم في الدنيا لقد استرحتم الساعة كقوله بما قد ارى فيها اوانس بدنا وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انه كان يأتي قبور الشهداء على راس كل حول فيقول السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار
ويجوز ان يتعلق بسلام اي نسلم عليكم ونكرمكم بصبركم من بعد ميثاقه من بعد ما اوثقوه
به من الاعتراف والقبول سوء الدار يحتمل ان يراد سوء عاقبة الدنيا لانه في مقابلة عقبى
الدار ويجوز ان يراد بالدار جهنم وبسوئها عذابها الله يبسط الرزق اي الله وحده يبسط
الرزق ويقدره دون غيره وهو الذي بسط رزق اهل مكة ووسعه عليهم وفرحوا بما
بسط لهم من الدنيا فرح بطر واشر لا فرح سرور بفضل الله وانعامه عليهم ولم يقابلوه
بالشكر حتى يستوجبوا نعيم الآخرة وخفي عليهم ان نعيم الدنيا في جنب نعيم الآخرة ليس الا شيئا
نزرا يتمتع به كعجالة الراكب وهي ما يتعجله من تمرات او شربة سويق او نحو ذلك فان قلت
كيف طابق قولهم لولا انزل عليه آية من ربه قوله قل ان الله يضل من يشاء قلت هو كلام
يجري مجرى التعجب من قولهم وذلك ان الآيات الباهرة المتكاثرة التي اوتيها رسول الله
لم يؤتها نبي قبله وكفى بالقرآن وحده آية وراء كل آية واذا جحدوها ولم يعتدوا بها وجعلوه
كان آية لم تنزل عليه قط كان موضعا للتعجب والاستنكار فكانه قيل لهم ما اعظم عنادكم
وما اشد تصميمكم على كفركم ان الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم من التصميم
وشدة الشكيمة في الكفر فلا سبيل الى اهتدائكم وان انزلت كل آية ويهدي اليه
من كان على خلاف صفتكم اناب اقبل الى الحق وحقيقته دخل في نوبة الخير
والذين آمنوا بدل ممن اناب وتطمئن قلوبهم بذكر الله بذكر رحمته ومغفرته بعد القلق
والاضطراب من خشيته كقوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله او تطمئن بالقرآن
لانه معجزة بينة تسكن القلوب وتثبت اليقين فيها الذين آمنوا مبتدأ وطوبى لهم
خبره ويجوز ان يكون بدلا من القلوب على تقدير حذف المضاف اي تطمئن القلوب

قلوب الذين

آمنوا وطوبى مصدر من طاب كبشرى وزلفى ومعنى طوبى لك اصبت خيرا وطيبا ومحلها
النصب او الرفع كقولك طيبا لك وطيب لك وسلاما لك وسلام لك والقراءة في قوله
وحسن مآب بالرفع والنصب تدلك على محلها واللام في لهم للبيان مثلها في سقيا لك والواو
في طوبى منقلبة عن ياء لضمة ما قبلها كموقن وموسر وقرأ مكوزة الاعرابي طيبى لهم فكسر
الطاء لتسلم الياء كما قيل بيض ومعيشة كذلك ارسلناك مثل ذلك الارسال ارسلناك
يعني ارسلناك ارسالا له شان وفضل على سائر الارسالات ثم فسر كيف ارسله فقال
في امة قد خلت من قبلها امم اي ارسلناك في امة قد تقدمتها امم كثيرة فهي آخر الامم وانت
خاتم الانبياء لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك لتقرأ عليهم الكتاب العظيم الذي اوحينا اليك
وهم يكفرون وحال هؤلاء انهم يكفرون بالرحمن بالبليغ الرحمة الذي وسعت رحمته
كل شيء وما بهم من نعمة فمنه وكفروا بنعمته في ارسال مثلك اليهم وانزال هذا القرآن
المعجز المصدق لسائر الكتب عليهم قل هو ربي الواحد المتعالي عن الشركاء عليه توكلت
في نصرتي عليكم واليه مآب فيصيبني على مصابرتكم مجاهدتكم ولو ان قرآنا جوابه محذوف
كما تقول لغلامك لو اني قمت اليك وتترك الجواب والمعنى ولو ان قرآنا سيرت به الجبال
عن مقارها وزعزعت عن مضاجعها او قطعت به الارض حتى تتصدع وتتزايل قطعا او كلم
به الموتى فتسمع وتجيب لكان هذا القرآن لكونه غاية في التذكير ونهاية في الانذار
والتخويف كما قال لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله
وهذا يعضد ما فسرت به قوله لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك من ارادة تعظيم ما اوحي
الى رسول الله من القرآن وقيل معناه ولو ان قرآنا وقع به تسير الجبال وتقطيع الارض
وتكليم الموتى وتنبيههم لما آمنوا به ولما تنبهوا عليه كقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة
الآية وقيل ان ابا جهل بن هشام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم سير بقرآنك الجبال
عن مكة حتى تتسع لنا فنتخذ فيها البساتين والقطائع كما سخرت لداود ان كنت نبيا
كما تزعم فلست باهون على الله من داود او سخر لنا به الريح لنركبها ونتجر الى الشام
ثم نرجع في يومنا فقد شق علينا قطع المسافر البعيد كما سخرت لسليمن او ابعث لنا به
رجلين او ثلاثة ممن مات من ابائنا منهم قصي بن كلاب فنزلت ومعنى تقطيع الارض على هذا
قطعها بالسير ومجاوزتها وعن الفراء هو متعلق بما قبله والمعنى وهم يكفرون بالرحمن ولو ان

قرآنا سيرت به الجبال وما بينهما اعتراض وليس ببعيد من السداد وقيل قطعت به الارض شققت
فجعلت انهارا وعيونا بل لله الامر جميعا على معنيين احدهما بل لله القدرة على كل شيء وهو قادر
على الآيات التي اقترحوها الا ان علمه بان اظهارها مفسدة يصرفه والثاني بل لله ان يلجئهم الى الايمان
وهو قادر على الالجاء لولا انه بنى امر التكليف على الاختيار ويعضده قوله افلم ييأس الذين آمنوا
ان لو يشاء الله يعني مشية الالجاء والقسر لهدى الناس جميعا ومعنى افلم ييأس الذين افلم يعلم
قيل هي لغة قوم من النخع وقيل انما استعمل اليأس بمعنى العلم لتضمنه معناه لان اليأس عن الشيء
عالم بانه لا يكون كما استعمل الرجاء في معنى الخوف والنسيان في معنى الترك لتضمن ذلك قال
سحيم بن وثيل الرياحي اقول قولهم بالشعب اذ ييسرونني الم ييأسوا اني ابن فارس
زهدم ويدل عليه ان عليا وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين قرؤا افلم يتبين
وهو تفسير افلم ييأس وقيل انما كتبه الكاتب وهو ناعس مستوي السينات وهذا ونحوه
مما لا يصدق كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه وكيف يخفى مثل
هذا حتى يبقى ثابتا بين دفتي الامام وكان متقلبا في ايدي اوليك الاعلام المحتاطين
في دين الله المهيمنين عليه لا يغفلون عن جلائله ودقائقه خصوصا عن القانون الذي
اليه المرجع والقاعدة التي عليها البناء هذه والله فرية ما فيها مرية ويجوز ان يتعلق ان
ان لو يشاء الله بآمنوا على اولم يقنط على ايمان هؤلاء الكفرة الذين آمنوا بان لو يشاء الله
لهدى الناس جميعا ولهداهم تصيبهم بما صنعوا من كفرهم وسوء اعمالهم قارعة داهية تقرعهم بما يحل الله
بهم في كل وقت من صنوف البلايا والمصايب في نفوسهم واولادهم واموالهم او تحل
القارعة قريبا منهم فيفزعون ويضطربون ويتطاير اليهم شرارها ويتعدى اليهم شرورها
حتى يأتي وعد الله وهو موتهم او القيمة وقيل ولا يزال كفار مكة يصيبهم بما صنعوا برسول الله
من العداوة والتكذيب قارعة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يزال يبعث السرايا
فتغير حول مكة وتختطف منهم وتصيب من مواشيهم او تحل انت يا محمد قريبا من دارهم
بجيشك كما حل بالحديبية حتى يأتي وعد الله وهو فتح مكة وكان الله قد وعده ذلك الاملاء
الامهال وان تترك ملاوة من الزمان في خفض وامن كالبهيمة يملى لها في المرعى وهذا وعيد لهم
وجواب عن اقتراحهم الآيات على رسول الله استهزاء به وتسلية له افمن هو قائم احتجاج عليهم
في اشراكهم بالله يعني افالله الذي هو قائم رقيب على كل نفس صالحة او طالحة بما كسبت يعلم

خيره

خيره وشره ويعد لكل جزاءه كمن ليس كذلك ويجوز ان يقدر ما يقع خبرا للمبتدا ويعطف عليه
عليه وجعلوا وتمثيله افمن هو بهذه الصفة لم يوحدوه وجعلوا له وهو الذي يستحق العبادة
وحده وتمثيله افمن بهذه الصفة شركاء قل سموهم اي جعلتم له شركاء فسموهم له من هم و
نبئوه باسمائهم ثم قال ام تنبئونه على ام المنقطعة كقولك للرجل قل لي من زيد ام هو اقل
من ان يعرف ومعناه بل اتنبئونه بشركاء لا يعلمهم في الارض وهو العالم بما في السموات والارض
فاذا لم يعلمهم علم انهم ليسوا بشيء يتعلق به العلم والمراد نفي ان يكون له شركاء ونحوه قل
اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض ام بظاهر من القول بل اتسمونهم شركاء
بظاهر من القول من غير ان يكون لذلك حقيقة كقوله ذلك قولهم بافواههم ما تعبدون
من دونه الا اسماء سميتموها وهذا الاحتجاج واساليبه العجيبة التي ورد عليها مناد
على نفسه بلسان طلق ذلق انه ليس من كلام البشر لمن عرف وانصف من نفسه فتبارك
الله احسن الخالقين وقرئ اتنبئونه بالتخفيف مكرهم كيدهم للاسلام بشركهم وصدوا
قرئ بالحركات الثلث وقرأ ابن ابي اسحق وصد بالتنوين ومن يضلل الله ومن
يخذله لعلمه انه لا يهتدي فما له من هاد فما له من احد يقدر على هدايته لهم عذاب في الحيوة الدنيا
وهو ما ينالهم من القتل والاسر وساير المحن ولا يلحقهم الا عقوبة لهم على الكفر ولذلك سماه
عذابا وما لهم من الله من واق وما لهم من حافظ من عذابه او ما لهم من جهته واق من
رحمته مثل الجنة صفتها التي في غرابة المثل وارتفاعه بالابتداء والخبر محذوف على مذهب
سيبويه اي فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقال غيره الخبر تجري من تحتها الانهار
كما تقول صفة زيد اسمر وقال الزجاج معناه مثل الجنة جنة تجري من تحتها الانهار
على حذف الموصوف تمثيلا لما غاب عنا نشاهد وقرأ علي رضي الله عنه امثال الجنة على الجمع اي
صفاتها اكلها دائم كقوله لا مقطوعة ولا ممنوعة وظلها دائم لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا
بالشمس والذين آتيناهم الكتاب يريد من اسلم من اليهود كعبد الله بن سلام وكعب واصحابهما
ومن اسلم من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران واثنان وثلثون بارض
الحبشة هؤلاء يفرحون بما انزل اليك ومن الاحزاب يعني ومن احزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا
على رسول الله بالعداوة نحو كعب بن الاشرف والسيد والعاقب اسقفي نجران واشياعهما
من ينكر بعضه لانهم كانوا لا ينكرون الاقاصيص وبعض الاحكام والمعاني مما هو ثابت

في كتبهم غير محرف وكانوا ينكرون ما هو نعت الاسلام ونعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وغير ذلك مما
حرفوه وبدلوه من الشرايع فان قلت كيف اتصل قوله قل انما امرت ان اعبد الله بما قبله قلت
هو جواب للمنكرين معناه قل انما امرت فيما انزل الي بان اعبد الله ولا اشرك به فانكاركم له انكار العبادة
الله وتعجيز فانظروا اما ذا تنكرون مع ادعائكم وجوب عبادة وان لا يشرك به قل يا اهل الكتاب
تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا وقرا نافع في رواية ابي خليد
ولا اشرك به بالرفع على الاستيناف كانه قال وانا لا اشرك به ويجوز ان يكون في موضع الحال
على معنى امرت ان اعبد الله غير مشرك به اليه ادعو خصوصا لا ادعو الى غيره واليه لا الى
غيره مدعوا وانتم تقولون مثل ذلك فلا معنى لانكاركم وكذلك ومثل ذلك الانزال انزلناه
مأمورا فيه بعبادة الله وتوحيده والدعوة اليه والى دينه والانذار بدار الجزاء حكما
عربيا حكمة عربية متيرجمة ببيان العرب وانتصابه على الحال كانوا يدعون رسول الله
الى العود ويوافقهم عليها منها ان يصلي الى قبلتهم بعد ما حوله الله عنها فقيل له لئن
تابعتهم على دين ما هو الا اهواء وشبه بعد ثبوت العلم عندك بالبراهين والحجج القاطعة
حذرك الله فلا ينصرف ناظرك واملكك فلا يقيك منه واق وهذا اصل باب الالهاب والتهييج
والبعث للتامعين على الثبات في الدين والتصلب فيه وان لا يذل زال تحت الشبهة بعد تماسكه
بالحجة والا فكان رسول الله من شدة التكيمة بمكان كانوا يعيبون بالنساء والولد كما كانوا
يقولون ما لهذا الرسول يأكل الطعام وكانوا يقترحون عليه الآيات وينكدون النسخ وقيل
كان الرسل قبله بشرا مثله ذوي ازواج وذرية وما كان لهم ان يأتوا بآيات بدا بهم ولا يأتون
بما يقترح عليهم والشرايع مصالح تختلف باختلاف الاحوال والاوقات فلكل وقت يحكم يكتب
على العباد ان يفرض عليهم ما يقتضيه استصلاحهم يمحو الله ما يشاء ينسخ ما يستوصب
نسخه ويثبت بدله ما يرى المصلحة في اثباته وتركه غير منسوخ وقيل يمحو من ديوان الحفظة
ما ليس بحسنة ولا سيئة لانهم مأمورون بكتبة كل قول وفعل ويثبت غيره وقيل يمحو كفر
التائبين ومعاصيهم بالتوبة ويثبت ايمانهم وطاعاتهم وقيل يمحو بعض الخلايق ويثبت
بعضا من الانعاش وسايد الحيوان والنبات والاشجار وصفاتها واحوالها والكلام في نحو هذا
واسع المجال وعنده ام الكتاب اصل كل كتاب وهو اللوح المحفوظ لان كل كاين مكتوب
فيه وقرئ ويثبت وان ما نرينك وكيف ما دارت الحال اريناك مصارعهم وما وعدناهم من انزال

العذاب عليهم او توفيناك قبل ذلك فما يجب عليك الا التبليغ وقد فعلت وعلينا لا عليك حسابهم
وجزاؤهم على اعمالهم ولا يهمنك اعراضهم فلا تستعجل بعذابهم اولم يروا انا نأتي الارض ارض
الكفرة ننقصها من اطرافها بما نفتح على المسلمين من بلادهم فتنقص دار الحرب وتزيد في دار
الاسلام وذلك من آيات النصرة والغلبة ونحوه افلا يرون انا نأتي الارض ننقصها
من اطرافها انهم الغالبون سنريهم آياتنا في الآفاق والمعنى عليك بالبلاغ الذي حملته
ولا تهتم بما وراء ذلك فنحن نكفيكه ونتمم ما وعدناك من الظفر ولا يضجرك تأخره فان
ذلك لما نعلم من المصالح التي لا تعلمها ثم طيب نفسه ونفس عنها بما ذكر من طلوع تباشير
الظفر وقرئ ننقصها بالتشديد لا معقب لحكمه لا راد لحكمه والمعقب الذي يكر على
فيبطله وحقيقته الذي يعقبه اي يقفيه بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب
لانه يقفى غريمه بالاقتضاء والطلب قال لبيد طلب المعقب حقه المظلوم
والمعنى انه حكم للاسلام بالغلبة والاقبال وعلى الكفر بالادبار والانتكاس وهو سريع
الحساب فعما قليل يحاسبهم في الآخرة بعد عذاب الدنيا فان قلت ما محل قوله لا معقب
لحكمه قلت هو جملة محلها النصب على الحال كانه قيل الله يحكم نافذا حكمه كما يقول
جاءني زيد لا عمامة له راسه ولا قلنسوة تريد حاسرا او قد مكر الذين من قبلهم
وصفهم بالمكر ثم جعل مكرهم كلا مكر به بالاضافة الى مكره فقال فلله المكر جميعا ثم
قرر ذلك بقوله يعلم ما تكسب كل نفس واعد لها جزاءها فهو المكر كله لانه يأتيهم من
حيث لا يعلمون وهم في غفلة تمادي بهم وقرئ الكفار والكافرون والذين كفروا
والكفر اي اهله والمراد بالكافر الجنس وقرأ حناح بن حبيش وسيعلم الكافر من
العاقبة اي سيجنبه كفى بالله شهيدا لما ظهر من الآيات على رسالتي ومن عنده علم
الكتاب والذي عنده علم القرآن وما الف عليه من النظم المعجز الغايت لقوى البشر وقيل
ومن هو من علماء اهل الكتاب الذين اسلموا لانهم يشهدون بنعته في كتبهم وقيل هو الله
عز وعلا والكتاب اللوح المحفوظ وعن الحسن لو اراد الله ما يعني الا الله والمعنى كفى بالذي
يستحق العبادة وبالذي لا يعلم علم ما في اللوح المحفوظ الا هو شهيدا بيني وبينكم
وتعضده قراءة من قرأ ومن عنده علم الكتاب على من الجارة اي ومن لدنه علم
الكتاب لان علم من علمه من فضله ولطفه وقرئ ومن عنده علم الكتاب على من الجارة

وعلم على البناء للمفعول وقرئ وبمن عنده علم الكتاب فان قلت بم ارتفع علم الكتاب قلت
قلت في القراءة التي وقع فيها عنده صلة يرتفع العلم بالمقدر في الظرف فيكون فاعلا لان الظرف
اذا وقع صلة او عمل في شبه الفعل لاعتماده على الموصول فعمل عمل الفعل كقولك مررت بالذي
في الدار اخوه فاخوه فاعل كما تقول بالذي استقر في الدار اخوه وفي القراءة التي لم يقع فيها
صلة يرتفع العلم بالابتداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرعد
اعطي من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيامة وبعث
يوم القيامة من الموفين بعهد الله سورة ابرهيم مكية وهي احدى وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب هو كتاب يعني السورة وقرئ ليخرج الناس والظلمات والنور استعارتان للضلال
والهدى باذن ربهم بتسهيله وتيسيره مستعار من الاذن الذي هو تسهيل للحجاب
وذلك ما يمنحهم من اللطف والتوفيق الى صراط العزيز الحميد بدل من قوله الى النور بتكرير
العامل كقوله الذين استضعفوا لمن آمن منهم ويجوز ان يكون على وجه الاستيناف كانه
الى اي نور فقيل الى صراط العزيز الحميد الله عطف بيان للعزيز الحميد لانه جرى مجرى
الاسماء الاعلام لغلبته واختصاصه بالمعبود الذي تحق له العبادة كما غلب النجم في الثريا
وقرئ بالرفع على هو الله الويل نقيض الوال وهو النجاة اسم معنى كالهلاك الا انه لا يشتق
منه فعل انما يقال ويلا له فينصب نصب المصادر ثم يرفع رفعها لافادة معنى الثبات فيقال
ويل له كقولك سلام عليك ولما ذكر الخارجين من ظلمات الكفر الى نور الايمان توعد
الكافرين بالويل فان قلت ما وجه اتصال قوله من عذاب شديد بالويل قلت لان المعنى
انهم يولولون من عذاب شديد ويضجون منه ويقولون يا ويلاه كقوله دعوا هناك ثبورا
الذين يستحبون مبتدأ خبره اولئك في ضلال بعيد ويجوز ان يكون مجرورا صفة للكافرين
ومنصوبا على الذم او مرفوعا على اعني الذين يستحبون او هم الذين يستحبون والاستحباب
الايثار والاختيار وهو استفعال من المحبة لان المؤثر للشيء على غيره كانه يطلب من نفسه
ان يكون احب اليها وافضل عندها من الآخر وقرأ الحسن ويصدون بضم الياء وكسر
الصاد يقال صده عن كذا واصده قال اناس اصدوا الناس بالسيف عنهم والهمزة
فيه داخلة على صد صدودا لتنقله من غير التعدي الى التعدي واما صده فموضوع على

التعدية

التعدية كمنعه وليست بفصيحة كاوقفه لان الفصحاء استغنوا بصده ووقفه عن تكلف التعدية
بالهمزة ويبغونها عوجا اي اصده ويطلبون لسبيل الله زيغا واعوجاجا وان يدلوا الناس على
انها سبيل ناكبة عن الحق مستوية والاصل ويبغون لها فحذف الجار واوصل الفعل
في ضلال بعيد اي ضلوا عن طريق الحق ووقعوا دونه بمراحل فان قلت فما معنى وصف
الضلال بالبعد قلت هو من الاسناد المجازي والبعد في الحقيقة للضال لانه هو الذي يتباعد
من الطريق فوصف به فعله كما تقول جد جده ويجوز ان يراد في ضلال ذي بعد او فيه بعد لان
الضال قد يضل عن الطريق مكانا قريبا وبعيدا الا بلسان قومه ليبين لهم اي ليفقهوا عنه ما يدعوهم
اليه فلا يكون لهم حجة على الله ولا يقولوا لم نفهم ما خوطبنا به كما قال ولو جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا
لولا فصلت آياته فان قلت لم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى العرب وحدهم وانما بعث
الى الناس جميعا قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا بل الى الثقلين وهم على السنة
مختلفة فان لم تكن للعرب حجة فلغيرهم الحجة وان لم تكن لغيرهم حجة فلو نزل بالعجمية لم يكن للعرب
حجة ايضا قلت لا يخلو اما ان ينزل بجميع الالسنة او بواحد منها فلا حاجة الى نزوله
بجميع الالسنة لان الترجمة تنوب عن ذلك وتكفي التطويل فبقي ان ينزل بلسان واحد وكان
اولى الالسنة لسان قوم الرسول لانهم اقرب اليه فاذا فهموا عنه وتبينوه وتنوقل عنهم وانتشر
قامت التراجم ببيانه وتفهيمه كما ترى الحال وتشاهد من نيابة التراجم في كل امة من امم
العجم مع ما في ذلك من اتفاق اهل البلاد المتباعدة والاقطار المتنازحة والامم المختلفة
والاجيال المتفاوتة على كتاب واحد واجتهادهم في تعلم لفظه وتعلم معانيه وما يتشعب
من ذلك من جلائل الفوائد وما يتكاثر في اتعاب النفوس وكد القرائح فيه من القرب والطاعات
المفضية الى الثواب ولانه ابعد من التحريف والتبديل واسلم من التنازع والاختلاف ولانه لو نزل
بالسنة الثقلين كلها مع اختلافها وكثرتها وكان مستقلا بصفة الاعجاز في كل واحد منها
وكلم الرسول العربي بكل امة بلسانها كما كلم امته التي هو منها يتلوه عليهم معجزا لكان
ذلك امرا قريبا من الالجاء ومعنى بلسان قومه بلغة قومه وقرئ بلسن قومه واللسن و
اللسان كالريش والرياش بمعنى اللغة وقرئ بلسن قومه بضم اللام والسين مضمومة
او ساكنة وهو جمع لسان كعماد وعمد وعمد على التخفيف وقيل الضمير في قومه لمحمد صلى الله عليه وسلم
ورووه عن الضحاك وان الكتب كلها نزلت بالعربية ثم اداها كل نبي بلغة قومه وليس بصحيح

لان قوله ليبين لهم ضمير القوم وهم العرب فيؤدي الى ان الله انزل التوراة من السماء بالعربية
ليبين للعرب وهذا معنى فاسد يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء كقوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن
لان الله لا يضل الا من يعلم انه لن يؤمن ولا يهدي الا من يعلم انه يؤمن والمراد بالاضلال
التخلية ومنع الالطاف وبالهداية التوفيق واللطف فكان ذلك كناية عن الكفر والايمان
وهو العزيز فلا يغلب عاشيته الحكيم فلا يخذل الا اهل الخذلان ولا يلطف الا باهل
اللطف ان اخرج يعني اي اخرج لان الارسال فيه معنى القول كانه قيل ارسلنا وقلنا له اخرج
ويجوز ان تكون الناصبة للفعل وانما تصلح ان توصل بفعل الامر لان الغرض وصلها
بما تكون معه تاويل المصدر وهو الفعل والامر وغيره سواء في الفعلية والدليل على
جواز ان تكون الناصبة للفعل قولهم اوعز اليه بان افعل فادخلوا عليها حرف الجر وكذلك
التقدير بان اخرج قومك واذكرهم بايام الله وانذرهم بوقايعه التي وقعت على الامم قبلهم
قوم نوح وعاد وثمود ومنه ايام العرب بحروبها وملاحمها كيوم ذي قار ويوم الفجار
ويوم قضة وغيرها وهو الظاهر وعن ابن عباس نعماؤه وبلاؤه فاما نعماؤه فانه
ظلل عليهم الغمام وانزل عليهم المن والسلوى وفلق لهم البحر واما بلاؤه فاهلاك الاولين
لكل صبار شكور يصبر على بلاء الله ويشكر نعماؤه فاذا سمع بما انزل الله من البلاء على الامم
او افاض عليهم من النعم تنبه على ما يجب عليه من الصبر والشكر واعتبر وقيل اراد لكل مؤمن
لان الشكر والصبر من سجايا هم تنبهها عليهم اذ انجاكم ظرف للنعمة بمعنى الانعام اي انعامه
عليكم ذلك الوقت فان قلت هل يجوز ان ينتصب بعليكم قلت لا تخلو اما ان يكون صلة
للنعمة بمعنى الانعام او غير صلة اذا اردت بالنعمة العطية فاذا كان صلة لم يعمل فيه واذا كان
غير صلة بمعنى اذكروا نعمة الله مستقرة عليكم فيه وتبين الفرق بين الوجهين انك
اذا قلت نعمة الله عليكم فان جعلته صلة لم يكن كلاما حتى تقول فايضة او نحوها والا كان
كلاما ويجوز ان يكون اذ بدلا من نعمة الله اي اذكروا وقت انجائكم وهو من بدل الاشتمال
فان قلت سورة البقرة يذبحون وفي الاعراف يقتلون وها هنا ويذبحون مع الواو
فما الفرق قلت الفرق ان التذبيح حيث طرح الواو وجعل تفسيرا للعذاب وبيانا له
وحيث اثبت جعل التذبيح لانه اوفى على جنس العذاب وزاد عليه زيادة ظاهرة كانه جنس
جنس آخر فان قلت كيف كان فعل آل فرعون بلاء من ربكم قلت تمكينهم وامهالهم حتى

فعلوا

فعلوا ما فعلوا ابتلاء من الله ووجه آخر وهو ان ذبح ابنائهم الى الانجاء وهو بلاء عظيم
والبلاء يكون ابتلاء بالنعمة والمحنة جميعا قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقال زهير
فابلاهما خير البلاء الذي يبلو واذ تأذن ربكم من جملة ما قال موسى لقومه وانتصابه بالعطف
على قوله نعمة الله عليكم كانه قيل واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين
تأذن ربكم ومعنى تأذن ربكم آذن ربكم وتطير تأذن وآذن توعد واوعد وتفعل وافعل
ولا بدع تفعل من زيادة معنى ليس في افعل كما انه قيل واذ آذن ربكم ايذانا بليغا تنتفي عنه
الشكوك وتتراءى الشبه والمعنى واذ تأذن ربكم فقال لئن شكرتم او اجرى تأذن مجرى قال
لانه ضرب من القول وفي قراءة ابن مسعود واذ قال ربك لئن شكرتم الى لئن شكرتم يا بني
اسرائيل ما خولتكم من نعمة الانجاء وغيرها من النعم بالايمان الخالص والعمل الصالح لازيدنكم
نعمة الى نعمة ولاضاعفن لكم ما اتيتكم اعطيتكم ولئن كفرتم غمطتم ما انعمت به عليكم ان عذابي
لشديد لمن كفر نعمتي وقال موسى ان تكفروا انتم يا بني اسرائيل والناس كلهم فانما
ضر بهم الكفر وحرمتموها الخير الذي لا بد لكم منه وانتم اليه محاويج والله غني عن شكركم
حميد مستوجب للحمد بكثرة انعمه وآياديه وان لم يحمده الحامدون والذين من بعدهم
لا يعلمهم الا الله جملة من مبتدا وخبر وقعت اعتراضا او عطف الذين من بعدهم على قوم
نوح ولا يعلمهم الا الله اعتراض والمعنى انهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم الا الله وعن
ابن عباس بين عدنان واسمعيل ثلثمائة اباء لا يعرفون وكان ابن مسعود اذا قرأ
هذه الآية قال كذب النسابون يعني انهم يدعون علم الانساب وقد نفى الله علمها عن العباد
فردوا ايديهم في افواههم فعضوا عليها غيظا وضجرا مما جاءت به الرسل كقوله عضوا عليكم الانامل
من الغيظ او ضحكا واستهزاء كمن غلبه الضحك فوضع يده على فيه واشار بها يديهم الى
السفهاء وما نطقت به من قولهم انا كفرنا بما ارسلتم به اي هذا جوابنا لكم ليس عندنا غيره
افنانا طالبهم من التصديق الا تدى الى قوله فردوا ايديهم في افواههم وقالوا انا كفرنا
بما ارسلتم به وهذا قول قوي او وضعوها على افواههم يقولون للانبياء اطبقوا افواهكم
واسكتوا او ردوها في افواه الانبياء يشيرون لهم الى السكوت او وضعوها على افواههم
يكتفونهم ولا يدعونهم يتكلمون وقيل الايدي جمع يد وهي النعمة بمعنى الايادي اي
ردوا نعم الانبياء التي هي اجل النعم من مواعظهم ونصايحهم وما اوحي اليهم من الشرايع

والآيات في افواههم لانهم اذا كذبوها لم يقبلوها فكانهم ردوها في افواههم ورجعوها الى حيث جاءت
منه على طريق المثل عما تدعونني اليه من الآيات بالتوحيد تدعونا بادغام النون مريب
موقع في الريبة او ذي ريبة من اراب الرجل وهي فلق الفهد ان لا نطمئن الى
الامر او في الله شك ادخلت همزة الانكار على الظرف لان الكلام ليس في الشك انما هو في
المشكوك فيه وانه لا يحتمل الشك لظهور الادلة وشهادة العقل عليه يدعوكم ليغفر لكم من
ذنوبكم اي يدعوكم الى الايمان ليغفر لكم او يدعوكم لاجل المغفرة كقوله دعوته لينصرني ودعوته
لما كل مني وقال دعوت لما نابني مسورا فلبى فلبى يدي مسور وان قلت ما معنى التبعيض
في قوله من ذنوبكم قلت ما علمته جاء هكذا الا في خطاب الكافرين كقوله واتقوه واطيعون
يغفر لكم من ذنوبكم يا قومنا اجيبوا داعي الله وامنوا به يغفر لكم من ذنوبكم وقال في خطاب
اهل ادكم على تجارة تنجيكم الى ان قال يغفر لكم ذنوبكم وغير ذلك مما يقف عليه المستقرئ
وكان ذلك للتفرقة بين الخطابين ولان لا يسوي بين الفريقين في الميعاد وقيل اريد انه يغفر لهم
ما بينهم وبين الله بخلاف ما بينهم وبين العباد من المظالم ونحوها
ويؤخركم الى اجل مسمى الى وقت قدرته وبين مقدار ما يبلغكموه ان آمنتم والا عاجلكم بالهلاك
قبل ذلك الوقت ان انتم ما انتم الا بشر مثلنا لا فضل بيننا وبينكم ولا فضل لكم علينا فلم تخصونا
بالنبوة دوننا ولو ارسل الله الى البشر رسلا لجعلهم من جنس افضل منهم وهم الملائكة بسلطان
مبين بحجة بينة وقد جاءتهم رسلهم بالبينات والجوا انما اراد وا بالسلطان المبين آية
فدافعوها تعنتا ولجاجا ان نحن الا بشر مثلكم تسليم لقولهم وانهم بشر مثلهم يعنون انهم
مثلهم في البشرية وحدها فاما ما وراء ذلك فما كانوا مثلهم ولكنهم لم يذكروا افضلهم تواضعا منهم وافتنانا
على قولهم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده بالنبوة لانه قد علم انه لا يختصهم بتلك الكرامة الا وهم
اهل لاختصاصهم بها لخصائص فيهم قد استأثر وبها على ابنا جنسهم الا بان الله
اراد وا ان الاتيان بالآية التي اقترحتموها ليس لينا ولا في استطاعتنا وما هو الا امر ينعلق بمشية
الله فعلى الله فليتوكل المتوكلون امر منهم للمؤمنين كافة بالتوكل وقصدوا به انفسهم قصدا
اوليا وامروا بانه كانهم قالوا ومن حقنا ان نتوكل على الله في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم
وما يجري علينا منكم الا ندري الى قوله وما لنا الا نتوكل على الله ومعناه واي عذر لنا
في ان لا نتوكل عليه وقد هدانا وقد فعل بنا ما يوجب توكلنا عليه وهو التوفيق لهذا البد

كل واحد سبيلك الذي يجب عليه سلوكه في الدين فان قلت كيف كرر الامر بالتوكل قلت
الاول لاستحداث التوكل وقوله فليتوكل المتوكلون معناه فليثبت المتوكلون على ما استحدثوا
من توكلهم وقصدهم الى انفسهم علما تقدم لنخرجنكم او لتعودن ليكونن احد الامرين لا محالة
اما اخراجكم واما عودكم حالعين على ذلك فان قلت كانهم كانوا على ملتهم حتى يعودوا فيها
قلت معاذ الله ولكن العود بمعنى التصيير وهو كثير في كلام العرب كثرة فاشية
لانكادتسمعهم يستعملون صار ولكن عاد وما عدت اراه عاد لا يكلمني ما عاد لفلان مال او
خاطبوا به كل رسول آمن به فغلبوا في الخطاب الجماعة على الواحد لنهلكن الظالمين
حكاية تقتضي اضمار القول اوحاء مجرى القول لانه ضرب منه وفداء ابو حيوة ليهلكن
وليسكننكم بالياء اعتبارا للاوحي وان لفظ لفظ الغيبة ونحوه قولك اقسم زيد ليخرجن والاخراج
والمداد بالارض ارض الظالمين وديارهم ونحوه واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
مشارق الارض ومغاربها واورثكم ارضهم وديارهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من آذى
جارا ورثه الله داره ولقد عاينت هذا في مدينة قريبة كان لي جار يظلم عظم القرية التي
انا فيها ويؤذيني فيها فمات ذلك العظيم وملكني الله ضيعته فنظرت يوما الى ابناء خالي يتسورون
فيها ويدخلون في دورها ويأمرون وينهون فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فوحدت ربهم
به وسجدت شكرا لله ذلك اشارة الى ما قضى الله من اهلاك الظالمين وانكان المؤمنين
ديارهم اي ذلك الامر حق لمن خاف مقامي موقفي وهو موقف الحساب لانه موقف
الله الذي يقف فيه عباده يوم القيامة او على اقحام المقام وقيل خاف قيامي عليه وحفظي
لاعماله والمعنى ان ذلك حق للمتقين كقوله والعاقبة للمتقين واستفتحوا والتمسوا الفتح
على اعدائهم ان يستفتحوا فقد جاءكم الفتح او استحكموا الله وسألوه القضاء بينهم من الفتاحة
وهي الحكومة كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وهو معطوف على اوحى اليهم ووفى
استفتحوا بلفظ الامر وعطفه على لنهلكن اي اوحى اليهم ربهم وقال لهم لنهلكن وقال لهم
استفتحوا او خاب كل جبار عنيد معناه انتصروا وافلحوا او خاب كل جبار عنيد
وهم قومهم وقبل واستفتح الكفار على الرسل ظنا منهم بانهم على الحق والرسل على الباطل
وخاب كل جبار عنيد منهم ولم يفلح باستفتاحه من وراءه من بين يديه قال عيسى الكذب
الذي امسيت فيه يكون وراءه فتح قريب وهذا وصف حالهم وهم في الدنيا لانه مرصد

تقول اتاح الله الفتح الذي كنت ان يكون فتح وفتح
اي كان وكون الفتاري فتحوا ان
فتاري فتحوا ان

بجهنم فكانه بين يديه وهو على شفيرها او وصف حاله في الآخرة حين يبعث ويوقف فان قلت
علام عطف قلت على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى من ماء صديد
كانه اشد عذابها فخصص بالذكر مع قوله ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت فان قلت
ما وجه قوله من ماء صديد قلت صديد عطف بيان لماء قال ويسقى من ماء فابهمه ابهاما
ابهاما ثم بينه بقوله صديد وهو ما يسيل من جلود اهل النار يتجرعه يتكلف جرعه
ولا يكاد يسيغه دخل كاد للمبالغة يعني ولا يقارب ان يسيغه فكيف تكون الاساغة كقوله
لم يكد يراها اي لم يقرب من رؤيتها فكيف يراها ويأتيه الموت من كل مكان كان اسباب
الموت واصنافه كلها قد تألبت عليه والحاطت به من جميع الجهات تفضيعا لما يصيبه من الآلام
وقيل من كل مكان من جسده حتى من ابهام رجله وقيل من اصل كل شعرة ومن ورائه
ومن بين يديه عذاب غليظ اي في كل وقت يستقبله يتلقى عذابا اشد مما قبله واغلظ
وعن الفضيل هو قطع الانفاس وحبسها في الاجساد ويحتمل ان يكون اهل مكة قد استفتحوا
اي استمطروا والفتح المطر في سني القحط التي ارسلت عليهم بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يسقوا
فذكر سبحانه ذلك وانه خيب رجاء كل جبار عنيد وانه يسقى في جهنم بدل سقياه ماء آخر وهو
صديد اهل النار واستفتحوا على هذا التفسير كلام مستأنف منقطع عن حديث الرسل واممهم
هو مبتدأ محذوف الخبر عند سيبويه تقديره وفيما يقص عليكم مثل الذين كفروا بربهم
والمثل مستعار للصفة التي فيها غرابة وقوله اعمالهم كرماد جملة مستأنفة على تقدير سؤال سائل يقول
كيف مثلهم فقيل اعمالهم كرماد ويجوز ان يكون المعنى مثل اعمال الذين كفروا بربهم او هذه
الجملة خبر للمبتدأ اي صفة الذين كفروا اعمالهم كرماد كقولك صفة زيد عرضه مصون وماله
مبذول او يكون اعمالهم بدلا من مثل الذين كفروا على تقدير مثل اعمالهم وكرماد الخبر وقرئ
الرياح في يوم عاصف جعل العصف لليوم وهو لما فيه وهو الريح او الرياح كقولك يوم ماطر
وليلة ساكرة وانما السكور لريحها وقرئ في يوم عاصف بالاضافة واعمال الكفرة المكارم
التي كانت لهم من صلة الارحام وعتق الرقاب وفداء الاسارى وعقر الابل للاضياف و
اغاثة الملهوفين والاجارة وغير ذلك من صنايعهم شبهها في حبوطها وذهابها هباء
منثورا لبنائها على غير اساس من معرفة الله والايمان به وكونها لوجهه برماد طيرته الريح
العاصف لا يقدرون يوم القيامة مما كسبوا من اعمالهم على شيء اي لا يرون له اثرا

من الثواب

من ثواب كما لا يقدر من الرماد المطير في الريح على شيء ذلك هو الضلال البعيد اشارة
الى بعد ضلالهم عن طريق الحق او عن الثواب بالحق بالحكمة والغرض الصحيح والامر العظيم
ولم يخلقها عبثا ولا شهوة وقرئ خالق السموات والارض ان يشأ يذهبكم اي هو قادر
على ان يعدم الناس ويخلق مكانهم خلقا آخر على شكلهم او على خلاف شكلهم اعلاما منه
بافتداره على اعدام الموجود وايجاد المعدوم يقدر على الشيء وجنس ضده وما ذلك على الله بعزيز
بمتعذر بل هو هين عليه ويسير لانه قادر الذات لا اختصاص له بمقدور دون مقدور فاذا
خلص له الداعي الى شيء وانتفى الصارف تكون من غير توقف كتحريك اصبعك اذا دعاك اليه
داع ولم يعترض دونه صارف وهذه الآية بيان لابعادهم في الضلال وعظيم خطائهم في الكفر بالله
لوضوح آياته الشاهدة له الدالة على قدرته الباهرة وحكمته البالغة وانه هو الحقيق بان يعبد
ويخاف عقابه ويرجى ثوابه في دار الجزاء وبرزوا لله ويبرزون يوم القيامة وانما جيء به بلفظ
الماضي لان ما اخبر به عز وعلا كانه قد كان ووجد ونحوه ونادى اصحاب النار ونظائر له
ومعنى برزوهم لله والله تعالى لا يتوارى عنه شيء حتى يبرز له انهم كانوا يشترون من العيون
عند ارتكاب الفواحش ويظنون ان ذلك خاف على الله فاذا كان يوم القيامة انكشفوا لله
عند انفسهم وعلموا ان الله لا تخفى عليه خافية او خرجوا من قبورهم فبرزوا لحساب الله
وحكمه فان قلت لم كتب الضعفاء بواو قبل الهمزة قلت كتب على لفظ من يفخم الالف
قبل الهمزة فيميلها الى الواو ونظيره علماء بني اسرائيل والضعفاء الاتباع والعوام والذين
استكبروا سادتهم وكبراؤهم الذين استتبعوهم واستغووهم وصدوهم عن الاستماع
واتباعهم تبعا تابعين جمع تابع على تبع كقولهم خادم وخدم وغائب وغيب او ذوي
تبع والتبع الاتباع يقال تبعه تبعا فان قلت اي فرق بين من في عذاب الله وبينه في من
شيء قلت الاولى للتبيين والثانية للتبعيض كانه قيل هل انتم مغنون عنا بعض الشيء
هو عذاب الله ويجوز ان تكونا للتبعيض معا بمعنى هل انتم مغنون عنا بعض شيء هو بعض
عذاب الله اي بعض بعض عذاب الله فان قلت فما معنى قوله لو هدانا الله لهديناكم
الذي قال لهم الضعفاء كان توبيخا لهم وعتابا على استتباعهم واستغوائهم وقولهم فهل انتم
مغنون عنا من باب التبكيت لانهم قد علموا انهم لا يقدرون على الاغناء عنهم فاجابوهم معتذرين
عما كان منهم اليهم بان الله لو هداهم الى الايمان لهدوهم ولم يضلوهم اما موركين الذنب

وركه اذا نسبه اليه

في ضلالهم واضلالهم على الله كما حكى الله عنهم وقالوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا لو شاء الله
ما عبدنا من دونه من شيء يقولون ذلك في الآخرة كما كانوا يقولونه في الدنيا ويدل عليه قوله
حكاية عن المنافقين يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شيء
ويجوز ان يكون المعنى لو كنا من اهل اللطف فلطف بنا ربنا واهتدينا لهديناكم الى الايمان
وقيل معناه لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم اي لاغنينا عنكم وسلكنا
بكم طريق النجاة كما سلكنا بكم سبيل الهلكة سواء علينا اجزعنا مستويان علينا الجزع
والصبر والهمزة وام للتسوية ونحوه اصبروا او لا تصبروا سواء عليكم وروي انهم يقولون تعالوا
نجزع فيجزعون خمس مائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون
سواء علينا فان قلت كيف اتصل قوله سواء علينا بما قبله قلت اتصاله به من حيث ان عتابهم
لهم كان جزعا مما هم فيه فقالوا لهم سواء علينا اجزعنا ام صبرنا يريدون انفسهم واياهم لاجتماعهم
في عقاب الضلالة التي كانوا مجتمعين فيها يقولون ما هذا الجزع والتوبيخ ولا فائدة في الجزع
كما لا فائدة في الصبر والامر من ذلك لطم او لما قالوا لو هدانا الله طريق النجاة لاغنينا عنكم
وانجيناكم ابتغوه الاقناط من النجاة فقالوا ما لنا من محيص اي منجى ومهرب جزعنا ام صبرنا
ويجوز ان يكون من كلام الضعفاء المستكبرين جميعا كانه قيل قالوا جميعا سواء علينا
كقوله ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب والمحيص يكون مصدرا كالمغيب والمشيب ومكانا كالمبيت
والمصيف ويقال حاص عنه وحاص بمعنى واحد لما قضي الامر لما قطع الامر وفرغ منه وهو
الحساب وتصادر الفريقين ودخول احدهما الجنة ودخول الآخر النار روي ان
الشيطان يقوم عند ذلك خطيبا في الاشقياء من الجن والانس فيقول ذلك ان الله وعدكم
وعد الحق وهو البعث والجزاء على الاعمال فوفى لكم بما وعدكم ووعدتكم خلاف ذلك فاخلفتكم
وما كان لي عليكم من سلطان من تسلط وقهر فاقسركم على الكفر والمعاصي والجئكم اليها
الا ان دعوتكم الا دعائي اياكم الى الضلالة بوسوستي وتزييني وليس الدعاء من جنس السلطان
ولكنه كقولك ما نجيتهم الا الضرب فلا تلوموني ولوموا انفسكم حيث اغتررتم بي واطعتموني
مع اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم ادعاكم وهذا دليل على ان الانسان هو الذي يختار الشقاوة او
السعادة ويحصلها لنفسه وليس من الله الا التمكين ولا من الشيطان الا التزيين ولو كان الامر
كما تزعم المجبرة لقال فلا تلوموني ولا انفسكم فان الله قضى عليكم الكفر واجبركم عليه فان قلت

ام صبرنا

قول الشيطان باطل لا يصح التعلق به قلت لو كان هذا القول منه باطلا لبين الله بطلانه
واظهر انكاره على انه لا طائل له في النطق بالباطل في ذلك المقام الا ترى الى قوله ان الله وعدكم
وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم كيف اتى فيه بالحق والصدق وفي قوله وما كان لي عليكم
من سلطان وهو مثل قول الله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك
من الغاوين ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخي لا ينجي بعضنا بعضا من عذاب الله ولا يغيثه
والاصراخ الاغاثة وقرئ بمصرخي بكسر الياء وهي ضعيفة واستشهدوا واستشهدوا
ببيت مجهول قال لها هل لك يا تا فيّ قالت له ما انت بالمرضي وكانه قدر ياء
الاضافة ساكنة وقبلها ياء ساكنة فحركها بالكسر لما عليه اصل التقاء الساكنين ولكنه
غير صحيح لان ياء الاضافة لا تكون الا مفتوحة حيث قبلها الف في نحو عصاي فما لها وقبلها
ياء فان قلت جرت الياء الاولى مجرى الحرف الصحيح لاجل الادغام فكانه ياء وقعت ساكنة
بعد حرف صحيح ساكن فحركت بالكسر على الاصل قلت هذا قياس حسن ولكن الاستعمال
المستفيض الذي هو بمنزلة الخبر المتواتر تتضاءل اليه القياسات ما في اشركتموني
مصدرية ومن قبل متعلق باشركتموني يعني كفرت اليوم باشراككم اياي من قبل هذا اليوم
اي في الدنيا كقوله ويوم القيامة يكفرون بشرككم ومعنى كفره باشراكهم اياه تبرؤه منه
واستنكاره له كقوله انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وقيل من قبل
يتعلق بكفرت وما موصولة اي كفرت من قبل حين ابيت السجود لآدم بالذي اشركتموه
وهو الله عز وجل تقول شركت زيدا فاذا نقلت بالهمزة قلت اشركنيه فلان اي جعلني له شريكا
ونحو ما هذه ما في قولهم سبحان ما سخركن لنا ومعنى اشراكهم الشيطان بالله طاعتهم له
فيما كان يزينه لهم من عبادة الاوثان وغيرها وهذا قول آخر قول ابليس وقوله ان الظالمين
قول الله عز وعلا ويحتمل ان يكون من جملة قول ابليس وانما حكى الله عز وعلا ما سيقوله في ذلك
الوقت ليكون لطفا للسامعين في النظر لعاقبتهم والاستعداد لما لا بد لهم من الوصول اليه
وان يتصوروا في انفسهم ذلك المقام الذي يقول فيه الشيطان ما يقول فيخافوا ويعملوا
ما يخلصهم منه وينجيهم وقرئ فلا يلوموني بالياء على طريقة الالتفات كقوله حتى اذا كنتم
وجرين بهم وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد رحمهما الله وادخل الذين آمنوا على فعل المتكلم بمعنى
وادخل انا وهذا دليل على انه من قول الله لا من قول ابليس باذن ربهم متعلق بادخل

تا اشارة الى المرأة اي هل لك رغبة في

اى ادخلتم الملائكة الجنة باذن الله وامره فان قلت فبم يتعلق فى القراءة الاخرى وقولك
وادخلهم انا باذن ربهم كلام غير ملتئم قلت الوجه فى هذه القراءة ان يتعلق قوله
باذن ربهم بما بعده اى تحيتهم فيها سلام باذن ربهم يعنى ان الملائكة يحيونهم باذن ربهم قرئ
الم تر ساكنة الراء كما قرئ من يتق وفيه ضعف ضرب الله مثلا اعتمد مثلا ووضعه
وكلمة طيبة نصب بمضمر اى جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب
الله مثلا وكلمة بضرب اى ضرب كلمة طيبة مثلا بمعنى جعلها مثلا ثم قال كشجرة طيبة
على انها خبر مبتدا محذوف بمعنى هى كشجرة طيبة اصلها ثابت يعنى فى الارض ضارب بعروقه
فيها وفرعها واعلاها وراسها فى السماء ويجوز ان يريد وفروعها على الاكتفاء بلفظ الجنس
وقرا انس بن مالك كشجرة طيبة ثابت اصلها فان قلت اى فرق بين القراءتين قلت
قراءة الجماعة اقوى معنى لان فى قراءة انس اجريت الصفة على الشجرة واذا قلت مررت برجل
ابوه قائم فهو اقوى من معنى من مررت برجل قائم ابوه لان المخبر عنه انما هو الاب لا رجل
والكلمة الطيبة كلمة التوحيد وقيل كل كلمة حسنة كالتحميد والتسبيح والاستغفار والتوبة
والدعوة وعن ابن عباس شهادة ان لا اله الا الله واما الشجرة فكل شجرة مثمرة طيبة
الثمار كالنخلة وشجرة التين والعنب والرمان وغير ذلك وعن ابن عمر رضى الله عنهما ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم ان الله ضرب مثل المؤمن شجرة فاخبرونى ما هى فوقع
الناس فى شجرة البوادى وكنت صبيا فوقع فى قلبى انها النخلة فهبت رسول الله ان اقولها
وانا اصغر القوم وروى فمنعنى مكان عمر واستحييت فقال لى عمر يا بنى لو كنت قلتها لكانت
احب الى من حمر النعم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انها النخلة وعن ابن عباس شجرة فى الجنة
وقوله فى السماء معناه فى جهة العلو والصعود ولم يرد المظلة كقولك فى الجبل طويل فى
السماء تريد ارتفاعه وشموخه تؤتى اكلها كل حين تعطى ثمرها كل وقت وقته الله لاثمارها
باذن ربها بتيسير خالقها وتكوينه لعلهم يتذكرون لان فى ضرب الامثال زيادة افهام
وتذكر وتصوير للمعانى كشجرة خبيثة كمثل شجرة خبيثة اى صفتها كصفتها وقرئ
ومثل كلمة بالنصب عطفا على كلمة طيبة والكلمة الخبيثة كلمة الشرك وقيل كل كلمة قبيحة
واما الشجرة الخبيثة فكل شجرة لا يطيب ثمرها كشجرة الحنظل والكشوث ونحو ذلك وقوله
اجتثت من فوق الارض فى مقابلة قوله اصلها ثابت ومعنى اجتثت استوصلت وحقيقة

كقولك شرف الامير زيدا كساه حلة وحمله على فرس ويجوز ان ينتصب مثلا صح

الاجتثاث

الاجتثاث اخذ الجثة كلها ما لها من قرار اى استقرار يقال قر الشئ قرارا كقولك ثبت
ثباتا شبه بها القول الذى لم يعضد بحجة فهو داحض غير ثابت والذى لا يبقى انما يضمحل
عن قريب لبطلانه من قولهم الباطل لجلج وعن قتادة انه قيل لبعض العلماء ما تقول فى كلمة
فقال لا اعلم لها مستقرا فى الارض ولا فى السماء مصعدا الا ان تلزم عنق صاحبها حتى يوافى
بها القيامة القول الثابت الذى ثبت بالحجة والبرهان فى قلب صاحبه وتمكن فيه
فاعتقده واطمانت اليه نفسه وتثبيتهم به فى الدنيا انهم اذا فتنوا فى دينهم لم يزلوا كما ثبت
الذين فتنهم اصحاب الاخدود والذين نشروا بالمناشير ومشطت لحومهم بامشاط الحديد
وكما ثبت جرجيس وشمسون وغيرهما وتثبيتهم فى الآخرة انهم اذا سئلوا عند توافق الاشهاد
عن معتقدهم ودينهم لم يتلعثموا ولم يبهتوا ولم يحيرهم احوال الحشر وقيل معناه
الثبات عند سؤال القبر وعن البراء بن عازب رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم يعاد روحه فى جسده فياتيه ملكان فيجلسانه فى قبره
ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربى الله ودينى الاسلام ونبيى محمد
فينادى مناد من السماء ان صدق عبدى فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول
الثابت ويضل الله الظالمين الذين لم يتمسكوا بحجة فى دينهم وانما اقتصروا على تقليد
كبارهم وشيوخهم كما قلد المشركون آباءهم فقالوا انا وجدنا آباءنا على امة واضلالهم
فى الدنيا انهم لا يثبتون فى مواقف الفتن وتزل اقدامهم اول شئ وهم فى الآخرة اضل
وازل ويفعل ما يشاء اى ما توجبه الحكمة لان مشية الله تابعة للحكمة من تثبيت المؤمنين
وتاييدهم وعصمتهم عند ثباتهم وعزمهم ومن اضلال الظالمين وخذلانهم والتخلية بينهم وبين
شانهم عند زللهم بدلوا نعمة الله اى شكر نعمة الله كفرا لان شكرها الذى وجب عليهم
وضعوا مكانه كفرا فكانهم غيروا الشكر الى الكفر وبدلوه تبديلا ونحوه وتجعلون
رزقكم انكم تكذبون اى شكر رزقكم حيث وضعتم التكذيب موضعه ووجه آخر
وهو انهم بدلوا نفس النعمة كفرا على انهم لما كفروها سلبوها فبقوا مسلوبى النعمة موصوفين
بالكفر حاصلا لهم الكفر بدل النعمة وهم اهل مكة اسكنهم الله حرمه وجعلهم قوام بيته
واكرمهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا نعمة الله بدل ما لزمهم من الشرك العظيم او اصابهم
الله بالنعمة فى الرخاء والسعة لايلافهم الرحلتين فكفروا نعمته فضربهم بالقحط سبع سنين

فحصل لهم الكفر بدل النعمة وكذلك حين اسروا وقتلوا يوم بدر قد ذهبت عنهم النعمة وبقي
الكفر طوقا في اعناقهم وعن عمر رضي الله عنه هم الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو امية اما
بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية فمتعوا حتى حين وقيل هم متنصرة العرب جبلة بن
الايهم واصحابه واحلوا قومهم ممن تابعهم على الكفر دار البوار دار الهلاك وعطف جهنم على دار البوار
عطف بيان وقرئ ليضلوا بفتح الياء وضمها فان قلت الضلال او الاضلال لم يكن غرضهم
في اتخاذ الانداد فما معنى اللام قلت لما كان الضلال او الاضلال نتيجة اتخاذ الانداد كما كان
الاكرام جئتك لتكرمني نتيجة المجيء دخلته اللام وان لم يكن غرضا على طريق التشبيه والتقريب
تمتعوا ايذان بانهم لانغماسهم في التمتع بالحاضر وانهم لا يعرفون غيره ولا يريدونه مامورون
به قد امرهم امر مطاع لا يسعهم ان يخالفوه ولا يملكون لانفسهم امرا دونه وهو امر الشهوة
والمعنى ان دمتم على ما انتم عليه من الامتثال لامر الشهوة فان مصيركم الى النار ويجوز
ان يراد الخذلان والتخلية ونحوه قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار المقول
محذوف لان جواب قل يدل عليه وتقديره قل لعبادي الذين آمنوا اقيموا الصلوة وانفقوا
يقيموا الصلوة وينفقوا وجوزوا ان يكون يقيموا وينفقوا بمعنى ليقيموا ولينفقوا ويكون
هذا هو المقول قالوا وانما جاز حذف اللام لان الامر الذي هو قل عوض منه ولو قيل
يقيموا الصلوة وينفقوا ابتداء بحذف اللام لم يجز فان قلت علام انتصب سرا وعلانية
قلت على الحال اي ذوي سر وعلانية بمعنى مسرين ومعلنين او على الظرف اي وقتي سر
وعلانية او على المصدر اي انفاق سر وعلانية والمعنى اخفاء المتطوع به من الصدقات والاعلان
بالواجب والخلال المخالة فان قلت كيف طابق الامر بالانفاق وصف اليوم بانه لا بيع فيه
ولا خلال قلت من قبل ان الناس يخرجون اموالهم في عقود المعاوضات فيعطون بدلا
ليأخذوا مثله وفي المكارمات ومهاداة الاصدقاء ليستجروا بهداياهم امثالها وخيرا منها
واما الانفاق لوجه الله خالصا كقوله وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه
الاعلى فلا يفعله الا المؤمنون الخلص فبعثوا عليه ليأخذوا بدله في يوم لا بيع فيه ولا خلال
اي لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة ولا بما ينفقون فيه اموالهم من المعاوضات والمكارمات
وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله وقرئ لا بيع فيه ولا خلال الله مبتدأ والذي خلق
خبره من الثمرات بيان للرزق اي اخرج به رزقا هو ثمرات ويجوز ان يكون من الثمرات

وانفاق صح

مفعول

مفعول اخرج ورزقا حالا من المفعول او نصبا على المصدر من اخرج لانه في معنى رزق
بقوله كن دائبين يدأبان في سيرهما وافادتهما ودرئهما الظلمات واصلاحهما ما يصلحان
من الارض والابدان والنبات وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان خلفة لمعاشكم
وسباتكم واتاكم من كل ما سألتموه من للتبعيض اي اتاكم بعض جميع ما سألتموه نظرا
في مصالحكم وقرئ من كل بالتنوين وما سألتموه نفي ومحله النصب على الحال اي اتاكم
من جميع ذلك غير سائليه ويجوز ان يكون ما موصولة على واتاكم من جميع ذلك ما احتجتم
اليه ولم تصلح احوالكم ومعايشكم الا به فكانكم سألتموه او طلبتموه بلسان الحال لا تحصوها
لا تحصروها ولا تطيقوا عدها وبلوغ آخرها هذا اذا ارادوا ان يعدوها على الاجمال
واما التفصيل فلا يقدر عليه ولا يعلمه الا الله تعالى لظلوم كفار يظلم النعمة باغفال
شكرها كفار شديد الكفران لها وقيل ظلوم في الشدة يشكو او يجزع كفار في النعمة
يجمع ويمنع والانسان للجنس فيتناول الاخبار بالظلم والكفران من يوجدان منه
هذا البلد يعني البلد الحرام زاده الله امنا وكفاه كل باغ وظالم واجاب فيه
دعوة خليله ابرهيم آمنا ذا امن فان قلت اي فرق بين قوله اجعل هذا بلدا
آمنا وبين قوله اجعل هذا البلد آمنا قلت قد سأل في الاول ان يجعله من جملة
البلاد التي يأمن اهلها ولا يخافون وفي الثاني ان يخرجه من صفة كان عليها من الخوف الى ضدها
من الامن كانه قال هو بلد مخوف فاجعله آمنا واجنبني وقرئ واجنبني وفيه ثلث لغات
جنبه الشر وجنبه واجنبه فاهل الحجاز يقولون جنبني شره بالتشديد واهل نجد جنبني
شره واجنبني والمعنى ثبتنا وادمنا على اجتناب عبادتها وبني اراد بنيه من صلبه
وسئل ابن عيينة كيف عبدت العرب الاصنام فقال ما عبد احد من ولد اسمعيل صنما
واحتج بقوله واجنبني وبني ان نعبد الاصنام انما كانت انصاب حجارة لكل قوم قالوا
البيت حجر فحيثما نصبنا حجرا فهو بمنزلة البيت وكانوا يدورون بذلك الحجر ويسمونه
الدوار فاستحب ان يقال طاف بالبيت ولا يقال دار بالبيت انهن اضللن كثيرا
من الناس فاعوذ بك ان تعصمني وبني من ذلك وانما جعلن مضلات لان الناس
ضلوا بسببهن فكانهن اضللنهم كما تقول فتنتهم الدنيا وغرتهم اي افتتنوا بها
واغتروا بسببها فمن تبعني على ملتي وكان حنيفا مسلما مثلي فانه مني اي هو بعضي

لفرط اختصاصه بي وملابسته لي وكذلك قوله من غشنا فليس منا اي ليس بعض المؤمنين
على ان الغش ليس من افعالهم واوصافهم ومن عصاني فانك غفور رحيم تغفر له ما سلف
منه من عصياني فيما دون الشرك من ذريتي بعض اولادي وهم اسمعيل
ومن ولد منه بواد هو وادي مكة غير ذي زرع لا يكون فيه شيء من زرع قط
كقوله قرآنا عربيا غير ذي عوج بمعنى لا يوجد فيه اعوجاج ما فيه الاستقامة لا غير
وقيل للبيت المحرم لان الله حرم التعرض له والتهاون به وجعل ما حوله حرما لمكانه
او لانه لم يزل ممنعا عزيزا يهابه كل جبار كالشيء المحرم الذي حقه ان يجتنب او لانه
محترم عظيم الحرمة لا يحل انتهاكها او لانه حرم على الطوفان اي منع منه كما سمي عتيقا
لانه اعتق منه فلم يستول ليقيموا الصلوة اللام متعلقة باسكنت اي ما اسكنتهم بهذا
بهذا الوادي الخلاء البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا ليقيموا الصلوة عند بيتك
المحرم ويعمروه بذكرك وعبادتك وما تعمر به مساجدك ومتعبداتك متبركين بالبقعة
التي شرفتها على البقاع مستسعدين بجوارك الكريم متقربين اليك بالعكوف عند
بيتك والطواف به والركوع والسجود حوله مستنزلين الرحمة التي آثرت بها سكان حرمك
افئدة من الناس افئدة من افئدة الناس ومن للتبعيض ويدل عليه ما روي عن مجاهد
لو قال افئدة الناس لزحمتكم عليه فارس والروم وقيل لو لم يقل من لازدحموا عليها
حتى الروم والترك والهند ويجوز ان تكون من للابتداء كقولك القلب مني سقيم
تريد قلبي فكانه قيل افئدة ناس وانما نكرت المضاف اليه في هذا التمثيل لتنكير افئدة
لانها في الآية نكرة ليتناول بعض الافئدة وقرئ آفدة بوزن عافدة وفيه وجهان
احدهما ان يكون من القلب كقولهم آدر في ادؤر والثاني ان يكون اسم فاعلة من آفدة
الرحلة اذا عجلت اي جماعة او جماعات يرحلون اليهم ويعجلون نحوهم وقرئ افدة
وفيه وجهان ان تطرح الهمزة للتخفيف وان كان الوجه ان تخفف باخر لها بين بين وان
يكون من افد تهوي اليهم تسرع اليهم وتطير نحوهم شوقا ونزاعا من قوله يهوي مخارمها
هوي الاجدل وقرئ تهوى اليهم على البناء للمفعول من هوى اليه واهواه غيره
وتهوى اليهم من هوي يهوي اذا احب ضمن معنى تنزع فعدي تعديته وارزقهم
من الثمرات مع سكناهم واديا ليس فيه شيء منها بان تجلب اليهم من البلاد لعلهم

يشكرون النعمة في ان يرزقوا انواع الثمرات حاضرة في واد يباب ليس فيه نجم ولا شجر
ولا ماء لا جرم ان الله عز وعلا اجاب دعوته فجعله حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء
رزقا من لدنه ثم فضله في وجود اصناف الثمار فيه على كل ريف وعلى اخصب البلاد واكثرها
ثمارا وفي اي بلد من بلاد الشرق والغرب ترى الاعجوبة التي يريكها الله بواد غير ذي زرع
وهي اجتماع البواكير والفواكه المختلفة الازمان من الربيعية والصيفية والخريفية في يوم
واحد وليس ذلك من آياته بعجيب متعنا الله بسكنى حرمه ووفقنا لشكر نعمه وادام لنا
التشرف بالدخول تحت دعوة ابرهيم عليه السلام ورزقنا طرفا من سلامة قلب السليم
النداء المكرر دليل التضرع واللجاء الى الله انك تعلم ما نخفي وما نعلن تعلم السر كما تعلم
العلن علما لا تفاوت فيه لان غيبا من الغيوب لا يحتجب عنك والمعنى انك اعلم باحوالنا
وما يصلحنا ويفسدنا منا وانت ارحم بنا وانصح لنا منا بانفسنا ولها فلا حاجة الى الدعاء
والطلب وانما ندعوك اظهارا للعبودية لك وتخشعا لعظمتك وتذللا لعزتك وافتقارا
الى ما عندك واستعجالا لنيل اياديك وولها الى رحمتك وكما يتملق العبد بين يدي سيده
رغبة في اصابة معروفه مع توفر السيد على حسن الملكة وعن بعضهم انه رفع حاجته
الى كريم فابطأ عليه النجح فاراد ان يذكره فقال مثلك لا يذكر استقصارا ولا توهما
للغفلة عن حوائج السائلين ولكن ذي الحاجة لا تدعه حاجته ان لا يتكلم فيها وقيل
ما نخفي من الوجد لما وقع بيننا من الفرقة وما نعلن من البكاء والدعاء وقيل
ما نخفي من كآبة الافتراق وما نعلن يريد ما جرى بينه وبين هاجر حين قالت
له عند الوداع الى من تكلنا قال الى الله اكلكم قالت الله امرك بهذا قال
نعم قالت اذن لا نخشى تركتنا الى كاف وما يخفى على الله من شيء من كلام الله عز وجل
تصديقا لابرهيم عليه السلام كقوله وكذلك يفعلون او من كلام ابرهيم يعني وما يخفى
على الله الذي هو عالم الغيب من شيء في كل مكان ومن للاستغراق كانه قيل وما يخفى عليه
شيء ما على قوله على الكبر بمعنى مع كقوله : اني على ما ترين من كبري : اعلم من حيث توكل
الكتف : وهو في موضع الحال معناه وهب لي وانا كبير وفي حال الكبر روي ان اسمعيل
ولد له وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحق وهو ابن مائتي وثنتي عشرة سنة
وقد روي انه ولد له اسمعيل لاربع وستين واسحق لتسعين وعن سعيد بن جبير

هو من التابعين قتله الحجاج

لم يولد لابن يبيع الا بعد مائة وسبع عشرة سنة واما ذكر حال الكبر لان المنة بهبة الولد فيها اعظم من حيث انها حال وقوع اليأس من الولادة والتفرد بالحاجة على عقب اليأس من اجل النتج واجلا ما في نقص الظافر ولان الولادة في تلك السن العالية كانت آية لابن يبيع ان ربي لسميع الدعاء كان قد دعا ربه وسأله الولد فقال رب هب لي من الصالحين فشكر لله تعالى ما اكرمه به من اجابته فان قلت الله تعالى يسمع كل دعاء اجابه اولم يجبه قلت هو من قولك سمع الملك دعاء فلان اذا اعتد به وقبله ومنه سمع الله لمن حمده وفي الحديث ما اذن الله لشيء كاذنه لنبي يتغنى بالقرآن فان قلت ما من الاضافة (الى صلة الله من تكملة اضافة السميع الى الدعاء) قلت اضافة الصفة الى مفعولها واصله لسميع الدعاء وقد ذكر سيبويه فعيلا في جملة ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل كقولك هذا ضروب زيدا وضراب اخاه ومنحار ابله وحذر امورا ورحيم اباه ويجوز ان يكون من اضافة فعيل الى فاعله وبجعل دعاء الله سميعا على الاسناد المجازي والمراد سماع الله تعالى ومن ذريتي وبعض ذريتي عطفا على المنصوب في اجعلني واما بعض لانه علم باعلام الله انه يكون في ذريته كفار وذلك قوله لا ينال عهدي الظالمين ويقبل دعائي اي عبادتي واعني لكم وما تدعون من دون الله فداة ابي ولابوي وفداء سعيد بن جبير ولوالدي على الافراد يعني ابويه وفداء الحسن بن علي ولولدي يعني اسمعيل واسحق وقرئ ولولدي بضم الواو والولد بمعنى الولد كالعدم بمعنى العدم وقيل جمع ولد كاسد في اسد وفي بعض المصاحف ولذريتي فان قلت كيف جاز له ان يستغفر لابويه وكانا كافرين قلت هو من مجوزات العقل لا يعلم امتناع جوازه الا السمع التوقيف وقبل ان ذلك كان قبل ان يعلم ان الله تعالى لا يغفر للكافر (يعني ان ابراهيم لم يعلم ان ابويه ماتا على الكفر) آدم وحواء وقيل شرط الاسلام وباباه قوله الآقول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك لانه لو شرط الاسلام لكان استغفارا صحيحا لا معنى فيه فكيف يستثنى الاستغفار الصحيح من جملة ما يؤتسى فيه بابراهيم صلوات الله عليه يوم يقوم الحساب اي يثبت وهو مستعار من قيام القائم على الرجل والدليل عليه قولهم قامت الحرب على ساقها ونحوه قولهم تزجلت الشمس اذا اشرقت وثبت ضوءها كانها قامت على رجل ويجوز ان يسند الى الحساب تقام اهله اسنادا مجازيا او يكون مثل واسئل القرية وعن مجاهد فاستجاب الله له فيما سأل فلم يعبد احد من ولده صنما بعد دعوته وجعل البلد آمنا ورزق اهله وجعلهم ائمة

اجعل

وجعلهم ذريته من يقيم الصلوة واراه مناسكه وتاب عليه وعن ابن عباس انه قال كانت الطايف من ارض فلسطين فلما قال ابراهيم ربنا اني اسكنت الآية رفعها الله فوضعها حيث وضعها رزقا للحرم فان قلت تعالى الله عن السهو والغفلة فكيف يجبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو اعلم الناس به غافلا حتى قيل ولا تحسبن الله غافلا قلت ان كان خطابا لرسول الله ففيه وجهان احدهما التثبيت على ما كان عليه من انه لا يحسب الله تعالى غافلا كقوله ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر كما جاء في الامر بايمان الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والثاني ان المراد بالنهي عن حسبانه غافلا الايذان بانه عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه منه شيء وانه معاقبهم على قليله وكثيره على سبيل الوعيد والتهديد كقوله والله بما تعملون عليم بريد الوعيد ويجوز ان يراد ولا تحسبنه يجازيهم معاملة الغافل عما يعملون ولكن معاملة الرقيب عليهم المحاسب على النقير والقطمير وان كان خطابا لغيره من يجوز ان يحسبه غافلا لجهله بصفاته فلا سؤال فيه وعن ابي عيينة تسلية للمظلوم وتهديد للظالم فقيل له من قال هذا فغضب وقال انما قاله من علمه وقرئ نؤخرهم بالنون والياء تشخص فيه الابصار اي ابصار هم لا تقر في اماكنها من هول ما تدري مهطعين مسرعين الى الداعي وقيل الاهطاع ان تقبل ببصرك على الذي تديم النظر اليه لا تطرف عنه مقنعي رؤسهم رافعيها لا يرتد اليهم طرفهم لا يرجع اليهم ان يطرفوا بعيونهم اي لا يطرفون ولكن عيونهم مفتوحة ممدودة من غير تحريك للاجفان او لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى الفهم هواء الخلاء الذي لم تشغله الاجرام فوصف به نقيل قلب فلان هواء اذا كان جبانا لا فؤاد في قلبه ولا جرأة وبقال للاحمق ايضا قلبه هواء قال لبيد من الظلمان جؤجؤه هواء لان النعام مثل في الجبن والحمق وقال حسان فانت مجوف نخب هواء وعن ابن عباس هواء صفر من الخير خاوية منه وقال ابو عبيدة جوف لا عقول لهم يوم يأتيهم العذاب منصوب بانذر ان لا نذر وهو يوم القيامة ومعنى اخرنا الى اجل قريب ردنا الى الدنيا وامهلنا الى امد وحد من الزمان قريب نتدارك ما فرطنا فيه من اجابة دعوتك واتباع رسلك او اريد باليوم يوم هلاكهم بالعذاب العاجل او يوم موتهم معذبين بشدة الكرب ولقاء الملائكة بالبشرى وانهم يسئلون يومئذ ان يؤخرهم ربهم الى اجل قريب كقوله لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق اولم

تكونوا اقسمتم على ارادة القول وفيه وجهان ان يقولوا ذلك بطرا واشرا ولما استولى عليهم
من عادة الجهل والسفه وان يقولوه بلسان الحال حيث بنوا شديدا وامّلوا بعيدا وما
لكم جواب القسم وانما جاء بلفظ الخطاب لقوله اقسمتم ولو حكى لفظ المقسمين لقيل ما لنا من زوال
والمعنى اقسمتم انكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت والفناء وقيل لا تنتقلون الى دار اخرى
يعني كفرهم بالبعث كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت يقال سكن
الدار وسكن فيها ومنه قوله تعالى وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم لان السكنى
من السكون الذي هو اللبث والاصل تعديته بفي كقولك قر في الدار وغنى فيها واقام ولكنه
لما نقل الى سكون خاص تصرف فيه فقيل سكن الدار كما قيل تبوأها واوطنها ويجوز ان يكونوا
سكنوا من السكون اي قروا فيها واطمأنوا طيبي النفوس سايرين سيرة من قبلهم في الظلم
والفساد لا يحدثونها بما لقي الاولون من ايام الله وكيف كان عاقبة ظلمهم فيعتبروا ويرتدعوا
وتبين لكم بالاخبار والمشاهدة كيف اهلكناهم وانتقمنا منهم وقرئ نبين لكم بالنون
وضربنا لكم الامثال اي صفات ما فعلوا وما فعل بهم وهي في الغرابة كالامثال المضروبة لكل
ظالم وقد مكروا مكرهم اي مكرهم العظيم الذي استفرغوا فيه جهدهم وعند الله مكرهم
لا يخلو اما ان يكون مضافا الى الفاعل كالاول على ان المعنى ومكتوب عند الله مكرهم فهو مجازيهم
عليه بمكر هو اعظم منه او يكون مضافا الى المفعول على معنى وعند الله مكرهم الذي يمكرهم به وهو
عذابه الذي يستحقونه يأتيهم به من حيث لا يشعرون ولا يحتسبون وان كان مكرهم
لتزول منه الجبال وان عظم مكرهم وتبالغ في الشدة فضرب زوال الجبال منه مثلا لتفاقمه وشدته
اي وان كان مكرهم مسوى لازالة الجبال معدا لذلك وقد جعلت ان نافية واللام مؤكدة
لها كقوله وما كان الله مهيئا ليضيع ايمانكم والمعنى ومحال ان تزول الجبال بمكرهم على ان الجبال
مثل لآيات الله وشرايعه لانها بمنزلة الجبال الراسية ثباتا وتمكنا وتنصره قراءة ابن مسعود
وما كان مكرهم وقرئ لتزول بلام الابتداء على وان كان مكرهم من الشدة بحيث تزول منه
الجبال وتنقلع عن اماكنها وقرأ علي وعمر رضي الله عنهما وان كاد مكرهم مخلف وعده رسله
يعني قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلي فان قلت هلا قيل مخلف رسله
وعده ولم قدم المفعول الثاني على الاول قلت قدم الوعد ليعلم انه لا يخلف الوعد اصلا
كقوله ان الله لا يخلف الميعاد ثم قال رسله ليؤذن انه اذا لم يخلف وعده احدا وليس من

شانه

شانه اخلاف المواعيد كيف يخلفه رسله الذين هم خيرته وصفوته وقرئ مخلف وعده
رسله بجر الرسل ونصب الوعد وهذه في الضعف كمن قرأ قتل اولادهم شركائهم
غالب لا يماكر ذو انتقام لاوليائه من اعدائه يوم تبدل الارض انتصابه على البدل من يوم يأتيهم
او على الظرف للانتقام والمعنى يوم تبدل هذه الارض التي تعرفونها ارضا اخرى غير هذه
المعروفة وكذلك السموات والتبديل التغيير وقد يكون في الذوات كقولك بدلت الدراهم دنانير
ومنه بدلناهم جلودا غيرها وبدلناهم بجنتيهم جنتين وفي الاوصاف كقولك بدلت الحلقة خاتما
اذا اذبتها وسويتها خاتما فنقلتها من شكل الى شكل ومنه قوله فاولئك يبدل الله سيئاتهم
حسنات واختلف في تبديل الارض والسموات فقيل تبدل اوصافها فتسير عن الارض جبالها
وتفجر بحارها وتسوى فلا يرى فيها عوج ولا امت وعن ابن عباس هي تلك الارض وانما
تغير وانشد ٭ وما الناس بالناس الذين عهدتهم ٭ ولا الدار بالدار التي كنت تعلم
وتبدل السماء بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها
وقيل يخلق بدلها ارض وسموات اخر وعن ابن مسعود وانس يحشر الناس على ارض
بيضاء لم يخطئ عليها احد خطيئة وعن علي رض تبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب
وعن الضحاك ارضا من فضة بيضاء كالصحايف وقرئ يوم تبدل الارض بالنون فان قلت
كيف قال الواحد القهار قلت هو كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لان الملك اذا كان
لواحد غلاب لا يغالب ولا يغاز ولا مستغاث لاحد الى غيره ولا مستجار كان الامر في غاية
الصعوبة والشدة مقرنين قرن بعضهم مع بعض ومع الشياطين او قرنت ايديهم
الى ارجلهم مغللين وقوله في الاصفاد اما ان يتعلق بمقرنين مصدقين والاصفاد
القيود وقيل الاغلال ٭ وانشد لسلامة بن جندل ٭ وزيد الخيل قد لاقى صفادا
يعض بساعد وبعظم ساق ٭ القطران فيه ثلث لغات قطران وقطران وقطران
بفتح القاف وكسرها مع سكون الطاء وهو ما يتحلب من شجر يسمى الابهل فيطبخ فتهنأ
به الابل الجربى فيحرق الجرب بحره وحدته والجلد وقد تبلغ حرارته الجوف ومن شانه
ان يسرع فيه اشتعال النار وقد يستسرج به وهو اسود اللون منتن الريح فتطلى
به جلود اهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل وهي القمص لتجتمع عليهم الاربع لذع
القطران وحرقته واسراع النار في جلودهم واللون الوحش ونتن الريح على ان التفاوت

بين القطرانين وكل ما وعده او اوعد به في الآخرة فبينه وبين ما نشاهد من جنسه ما لا يقادر
قدره وكأنه ما عندنا منه الا الاسامي والمسميات ثمة فبكرمه الواسع نعوذ من سخطه ونسئله التوفيق
كيما ينجينا من عذابه وقرئ من قطران والقطر النحاس او الصفر المذاب والآني المتناهي حره
وتغشى وجوههم النار افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم يسحبون في النار على وجوههم
لان الوجه اعز موضع في ظاهر البدن واشرفه كالقلب في باطنه ولذلك قال تطلع على
الافئدة وقرئ وتغشى وجوههم بمعنى تغشى اي يفعل بالمجرمين ما يفعل ليجزي الله كل نفس
مجرمة ما كسبت او كل نفس من مجرمة ومطيعة لانه اذا عاقب المجرمين لاجرامهم على انه يثيب
المطيعين لطاعتهم هذا بلاغ للناس كفاية في التذكير والموعظة يعني بهذا ما وصفه
من قوله ولا تحسبن الى قوله سريع الحساب ولينذروا معطوف على محذوف اي لينصحوا
ولينذروا به بفتح الياء من نذر به اذا علمه واستعد له وليعلموا انما هو اله واحد لانهم اذا خافوا
ما انذروا به دعتهم المخافة الى النظر حتى يتوصلوا الى التوحيد لان الخشية ام الخير كله
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ابرهيم اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل من
عبد الاصنام وعدد من لم يعبد سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

تلك اشارة الى ما تضمنه السورة من الآيات والكتاب والقرآن المبين السورة وتنكير القرآن
للتفخيم والمعنى تلك آيات الكتاب الكامل في كونه كتابا واي قرآن مبين كأنه قيل الكتاب
الجامع للكمال والقرابة في البيان قرئ ربما وربتما بالتشديد وربما وربما بالضم والفتح
فان قلت لم دخلت على المضارع وقد ابوا دخولها الا على الماضي قلت لان المترقب في
اخبار الله عز وجل بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققه فكأنه قيل ربما ود فان قلت متى تكون
ودادتهم قلت عند الموت او يوم القيامة اذا عاينوا حالهم وحال المسلمين وقيل اذا
راوا المسلمين يخرجون من النار وهذا ايضا باب من الودادة فان قلت فما معنى التقليل
قلت هو وارد على مذهب العرب لعلك ستندم على فعلك وربما ندم الانسان على ما
فعلت ولا يشكون في تندمه ولا يقصدون تقليله ولكنهم ارادوا لو كان الندم مشكوكا
فيه او كان قليلا لحق عليك ان لا تفعل هذا الفعل لان العقلاء يتحرزون من التعرض
للغم المظنون كما يتحرزون من المتيقن ومن القليل منه كما من الكثير وكذلك المعنى في الآية

لو كانوا

لو كانوا يودون الاسلام مرة واحدة فبالحري ان يسارعوا اليه فكيف وهم يودونه في كل
ساعة لو كانوا مسلمين حكاية ودادتهم وانما جيء بها على لفظ الغيبة لانهم مخبر عنهم كقولك
حلف بالله ليفعلن ولو قيل حلف بالله لافعلن ولو كنا مسلمين لكان حسنا سديدا
وقيل تدهشهم اهوال ذلك اليوم فيبقون مبهوتين فان حانت منهم افاقة في بعض الاوقات
من سكرتهم تمنوا فلذلك قلل ذرهم يعني اقطع طمعك من ارعوائهم ودعهم عن النهي عما هم
عليه والصد بالتذكرة والنصيحة وخلهم ياكلوا ويتمتعوا بدنياهم وتنفيذ شهواتهم و
يشغلهم املهم وتوقعهم لطول الاعمار واستقامة الاحوال وان لا يلقوا في العاقبة الا خيرا
فسوف يعلمون سوء صنيعهم والغرض الايذان بانهم من اهل الخذلان وانهم لا يجيء منهم
الا ما هم فيه وانه لا زاجر لهم ولا واعظ الا معاينة ما ينذرون به حين لا ينفعهم الوعظ
ولا سبيل الى اتعاظهم قبل ذلك فامر رسوله بان يخليهم وشأنهم ولا يشتغل بما لا طائل
تحته وان يبالغ في تخليتهم حتى يأمرهم بما لا يزيدهم الا ندما في العاقبة وفيه الزام للحجة ومبالغة
في الانذار واعذار فيه وفيه تنبيه على ان ايثار التلذذ والتنعم وما يؤدي اليه طول الامل وهذه
عذر فلان الى فلان فعل به ما هو معذور
هجيري اكثر اهل الناس ليس من اخلاق المؤمنين وعن بعضهم التمرغ في الدنيا من اخلاق
الهالكين ولها كتاب جملة واقعة صفة لقرية والقياس ان لا يتوسط الواو بينهما كما في قوله تعالى
وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون وانما توسطت لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف
كما يقال في الحال جاءني زيد عليه ثوب وجاءني وعليه ثوب كتاب معلوم مكتوب معلوم
وهو اجلها الذي كتب في اللوح وبين الا ترى الى قوله ما تسبق من امة اجلها في موضع كتابها
وانث الامة اولا ثم ذكرها آخرا حملا على اللفظ والمعنى وقال يستأخرون بحذف عنه لانه معلوم
حيث قال وما يستأخرون
قرأ الاعمش يا ايها الذي القي عليه الذكر وكان هذا النداء منهم على وجه الاستهزاء وكيف
يقرون بنزول الذكر عليه وينسبونه الى الجنون والتعكيس في كلامهم للاستهزاء والتهكم
مذهب واسع وقد جاء في كتاب الله تعالى في مواضع فبشرهم بعذاب اليم انك لانت الحليم
الرشيد وقد يوجد كثيرا في كلام العجم والمعنى انك لتقول قول المجانين حين تدعي
ان الله نزل عليك الذكر لو ركبت مع ما ولا لمعنيين مع امتناع الشيء لوجود غيره ومعنى
التخصيص واما هل فلا تركب الا مع لا وحدها للتخصيص قال ابن مقبل لو ما الحياء
ولو ما الدين عبتكما ببعض ما فيكما اذ عبتما عوري والمعنى هلا تأتينا بالملائكة يشهدون

يريد معنى قوله ويلههم

بصدقك ويعضدونك على انذارك كقوله لولا انزل عليه ملك فيكون معه نذيرا او هلا
تأتينا بالملائكة للعقاب على تكذيبنا لك ان كنت صادقا كما كانت تأتي الامم المكذبة برسلها
قرئ تنزل بمعنى تتنزل وتنزل على البناء للمفعول من نزل وننزل الملائكة بالنون
ونصب الملائكة الا بالحق الا تنزلا ملتبسا بالحق بالحكمة والمصلحة ولا حكمة في ان تأتيكم عيانا
تشاهدونهم ويشهدون بصدق النبي صلى الله عليه وسلم لانكم يصدقون عن اضطرار ومثله
قوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وقيل الحق الوحي او العذاب
اذا جواب وجزاء لانه جواب لهم وجزاء لشرط مقدر تقديره ولو نزلنا الملائكة ما كانوا
منظرين وما اخر عذابهم انا نحن نزلنا الذكر رد لانكارهم واستهزائهم في قوله يا ايها
الذي نزل عليه الذكر ولذلك قال انا نحن فاكد عليهم انه هو المنزل على القطع والثبات
وانه هو الذي بعث به جبريل الى محمد عليهما السلام وبين يديه ومن خلفه رصد حتى نزل
وبلغ محفوظا من الشياطين وهو حافظه في كل وقت من كل زيادة ونقصان وتحريف
وتبديل بخلاف الكتب المتقدمة فانه لم يتول حفظها وانما استحفظها الربانيين والاحبار
فاختلفوا فيما بينهم بغيا فكان التحريف ولم يكل القرآن الى غير حفظه الله تعالى فان قلت فحين كان قوله
انا نحن نزلنا الذكر ردا لانكارهم واستهزائهم فكيف اتصل به قوله وانا لحافظون قلت
قد جعل ذلك دليلا على انه منزل من عنده آية لانه لو كان من قول البشر او غير آية لتطرق
عليه الزيادة والنقصان كما يتطرق على كل كلام سواه وقيل الضمير في له لرسول الله صلى الله عليه وسلم
كقوله والله يعصمك في شيع الاولين في فرقهم وطوائفهم والشيعة الفرقة اذا اتفقوا على مذهب
وطريقة ومعنى ارسلناه فيهم بناه فيهم وجعلناه رسولا فيما بينهم وما يأتيهم حكاية حال ماضية
لان ما لا يدخل على مضارع الا وهو في معنى الحال ولا على ماض الا وهو قريب من الحال يقال
سلكت الخيط في الابرة واسلكته اذا ادخلته فيها ونظمته وقرئ نسلكه والضمير للذكر
اي مثل ذلك السلك ونحوه نسلك الذكر في قلوب المجرمين على معنى انه يلقيه في قلوبهم
مكذبا مستهزئا به غير مقبول كما لو انزلت بلئيم حاجة فلم يجبك اليها فقلت كذلك انزلها باللئام
تعني مثل هذا الانزال انزلها بهم مردودة غير مقضية ومحل قوله لا يؤمنون به النصب على
الحال اي غير مؤمن به او هو بيان لقوله كذلك نسلكه سنة الاولين طريقتهم التي سنها الله
في اهلاكهم حين كذبوا برسلهم وبالذكر المنزل عليهم وهو وعيد لاهل مكة على تكذيبهم قرئ

بالضم والكسر وسكرت حيرت او حبست من الابصار من السكر او السكر وقرئ سكرت
بالتخفيف اي حبست كما يحبس النهر من الجري وقرئ سكرت من السكر اي حارت كما يحار السكران
والمعنى ان هؤلاء المشركين بلغ من غلوهم في العناد ان لو فتح لهم باب من ابواب السماء ويسر لهم
معراج يصعدون فيه اليها ورأوا من العيان ما رأوا لقالوا هو شيء نتخايله لا حقيقة
له ولقالوا قد سحرنا محمد بذلك وقيل الضمير للملائكة اي لو اريناهم الملائكة يصعدون
في السماء عيانا لقالوا ذلك وذكر الظلول ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مستوضحين لما
يرون وقال انما ليدل على انهم يبتون القول بان ذلك ليس الا تسكيرا للابصار من استرق
في محل النصب على الاستثناء وعن ابن عباس رض كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى عم
منعوا من ثلث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها شهاب مبين
ظاهر للمبصرين موزون وزن بميزان الحكمة وقدر بمقدار تقتضيه لا يصلح فيه زيادة ولا نقصان
او له قدر ووزن في ابواب النعمة والمنفعة وقيل ما يوزن من نحو الذهب والفضة والنحاس
والحديد معايش بياء صريحة بخلاف الشمائل والخبائث ونحوها فان تصريح الياء فيها خطأ و
الصواب الهمزة او اخراج الياء بين بين وقد قرئ معائش بالهمز على التشبيه ومن لستم له
برازقين عطف على معايش او على محل لكم كانه قيل وجعلنا لكم فيها معايش وجعلنا لكم من لستم
له برازقين او جعلنا لكم معايش ولمن لستم له برازقين واراد بهم العيال والمماليك والخدم
الذين يحسبون انهم يرزقونهم ويخطئون فان الله هو الرزاق يرزقهم واياهم ويدخل
فيه الانعام والدواب وكل ما بتلك المثابة مما الله رازقه وقد سبق الى ظنهم انهم الرازقون
ولا يجوز ان يكون مجرورا عطفا على الضمير المجرور في لكم لانه لا يعطف على الضمير المجرور ذكر الخزائن
تمثيل والمعنى وما من شيء ينتفع به العباد الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه والانعام
به وما نعطيه الا بمقدار معلوم نعلم انه مصلحة له فضرب الخزائن مثلا لاقتداره على كل
مقدور لواقح فيه قولان احدهما ان الريح لاقح اذا جاءت بخير من انشاء سحاب ماطر كما قيل
للتي لا تأتي بخير عقيم والثاني ان اللواقح بمعنى الملاقح كما قال ها ومختبط مما تطيح الطوائح
يريد المطاوح جمع مطيحة وقرئ وارسلنا الريح على تأويل الجنس فاسقيناكموه فجعلنا لكم سقيا
وما انتم له بخازنين نفى عنهم ما اثبته لنفسه في قوله وان من شيء عندنا خزائنه كانه قال نحن الخازنون
للماء على معنى نحن القادرون على خلقه في السماء وانزاله منها وما انتم عليه بقادرين دلالة على عظيم

قدرته واظهارا لعجزهم ونحن الوارثون اى الباقون بعد هلاك الخلق كله وقيل للباقى وارث
استعارة من وارث الميت لانه يبقى بعد وفاته ومنه قوله عم فى دعائه واجعله الوارث منا
ولقد علمنا من استقدم ولادة وموتا ومن تاخر من الاولين والاخرين او من خرج من اصلاب الرجال
ومن لم يخرج بعد او من تقدم فى الاسلام وسبق الى الطاعة ومن تاخر وقيل المستقدمين فى صفوف
الجماعة والمستاخرين وروى ان امراة حسناء كان فى المصليات خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم
فكان بعض القوم يستقدم لئلا ينظر اليها وبعض يستاخر ليبصرها فنزلت هو يحشرهم
اى هو وحده القادر على حشرهم والعالم بحصرهم مع افراط كثرتهم وتباعد اطراف عددهم انه
حكيم عليم باهر الحكمة واسع العلم يفعل كل ما يفعل على مقتضى الحكمة والصواب وقد احاط
علما بكل شئ الصلصال الطين اليابس الذى يصلصل وهو غير مطبوخ واذا طبخ فهو فخار قالوا
اذا توهمت فى صوته مدا فهو صليل وان توهمت فيه ترجيعا فهو صلصلة وقيل هو تضعيف
صل اذا انتن والحمأ الطين الاسود المتغير والمسنون المصور من سنة الوجه وقيل
المصبوب المفرغ اى افرغ صورة انسان كما تفرغ الصور من الجواهر المذوبة فى امثلتها
وقيل المنتن من سننت الحجر على الحجر اذا حككته به فالذى يسيل بينهما سنين ولا يكون
الا منتنا من حمأ صفة لصلصال اى خلقه من صلصال كائن من حمأ وحق مسنون بمعنى مصور
ان يكون صفة لصلصال كانه افرغ الحمأ فصور منها تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر
صلصل ثم غيره بعد ذلك الى جوهر آخر والجان للجن كآدم للناس وقيل هو ابليس وقرأ
الحسن وعمرو بن عبيد والجأن بالهمز من نار السموم من نار الحر الشديد النافذ
فى المسام قيل هذه السموم جزء من سبعين جزءا من سموم النار التى خلق الله منها الجان
واذ قال ربك واذكر وقت قوله سويته عدلت خلقته واكملتها وهيأتها لنفخ الروح فيها
ومعنى ونفخت فيه من روحى واحييته وليس ثمة نفخ ولا منفوخ وانما تمثيل لتحصيل ما يحيى به
واستثنى ابليس من الملائكة لانه كان بينهم مامورا معهم بالسجود فغلب اسم الملائكة ثم استثنى بعد
التغليب كقولك رايتهم الا هندا وابى استيناف على تقدير قول قائل يقول هلا سجد
فقيل ابى ذلك واستكبر عنه وقيل معناه ولكن ابليس ابى حرف الجر مع ان محذوف تقديره
ما لك فى ان لا تكون مع الساجدين بمعنى اى غرض لك فى ابائك السجود واى داع لك اليه اللام فى
لاسجد لتاكيد النفى ومعناه لا يصح منى وينافى حالى ويستحيل ان اسجد لبشر رجيم شيطان

من

من الذين يرجمون بالشهب او مطرود من رحمة الله لان من يطرد يرجم بالحجارة ومعناه ملعون
لان اللعن هو الطرد والابعاد من الرحمة والضمير فى منها راجع الى الجنة او السماء او الى جملة الملائكة
وضرب الى يوم الدين حدا للعنة اما لانه ابعد غاية يضربها الناس فى كلامهم كقوله ما دامت السموات
والارض للتابيد واما ان يراد انك مذموم مدعو عليك باللعن فى السموات والارض
الى يوم الدين من غير ان تعذب فاذا جاء ذلك اليوم عذبت بما ينسى اللعن معه ويوم الدين
ويوم يبعثون ويوم الوقت المعلوم فى معنى واحد ولكن خولف بين العبارات سلوكا
بالكلام طريقة البلاغة وقيل انما سال الانظار الى اليوم الذى فيه يبعثون لئلا يموت لانه
لا يموت يوم البعث احد فلم يجب الى ذلك وانظر الى آخر ايام التكليف بما اغويتنى الباء للقسم
وما مصدرية وجواب القسم لازينن والمعنى اقسم باغوائك اياى لازينن لهم ومعنى اغوائه
اياه تسبيبه لغيه بان امره بالسجود لآدم عليه السلام فافضى ذلك الى غيه وما الامر
الا حسن وتعريض للثواب بالتواضع والخضوع لامر الله ولكن ابليس اختار الاباء
والاستكبار والله تعالى برئ من غيه ومن ارادته والرضا به ونحو قوله بما اغويتنى لازينن
قوله فبعزتك لاغوينهم فى انه اقسام الا ان احدهما اقسام بصفته والثانى اقسام بفعله
وقد فرق الفقهاء بينهما ويجوز ان لا يكون قسما ويقدر قسم محذوف ويكون المعنى بسبب
تسبيبك لاغوائى اى اقسم لافعلن بهم نحو ما فعلت بى من التسبيب لاغوائهم بان ازين
لهم المعاصى واوسوس ما يكون سبب هلاكهم فى الارض فى الدنيا التى هى دار الغدر كقوله
تعالى اخلد الى الارض واتبع هواه او اراد انى اقدر على الاحتيال لآدم والتزيين له الاكل
من الشجرة وهو فى السماء فانا على التزيين لاولاده فى الارض اقدر او اراد لاجعلن مكان
عندهم الارض ولاوقعن تزيينى فيها اى لازينها فى اعينهم ولاحدثنهم بان الزينة فى الدنيا
وحدها حتى يستحبونها على الآخرة ويطمئنوا اليها دونها ونحوه يجرح فى عراقيبها نصلى
استثنى المخلصين لانه علم ان كيده لا يعمل فيهم ولا يقبلون منه اى هذا طريق على ان
اراعيه وهو ان لا يكون لك سلطان على عبادى الا من اختار اتباعك منهم لغوايته وقرئ
وهو من علو الشرف والفضل لموعدهم الضمير للغاوين وقيل ابواب النار اطباقها وادراكها
فاعلاها للموحدين والثانى لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس
للمشركين والسابع للمنافقين وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان جهنم لمن ادعى الربوبية ولظى لعبده النار

والحطمة لعبدة الاصنام وسقر لليهود والسعير للنصارى والجحيم للصابئين والهاوية
للموحدين وقرئ جزء بالتخفيف والتثقيل وقرأ الزهري جز بالتشديد كأنه حذف الهمزة
والقى حركتها على الزاي كقولك خب في خبء ثم وقف عليه بالتشديد كقولهم الرجل ثم اجرى
الوقف مجرى الوصل المتقي على الاطلاق من يتقي ما يجب اتقاؤه مما نهى عنه وعن ابن عباس
اتقوا الكفر والفواحش ولهم ذنوب تكفرها الصلوات وغيرها ادخلوها على ارادة القول
وقرأ الحسن ادخلوها بسلام سالمين او مسلما عليكم تسلم عليكم الملائكة الغل الحقد
الكامن في القلب من انغل في جوفه وتغلغل اي ان كان لاحدهم في الدنيا غل على آخر نزع الله ذلك
من قلوبهم وطيب نفوسهم وعن علي رض ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم وعن الحارث
الاعور كنت جالسا عنده اذ جاء ابن طلحة فقال له علي مرحبا بك يا ابن اخي اما والله اني لارجو
ان اكون انا وابوك ممن قال الله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل فقال له قائل كلا الله
اعدل من ان يجمعك وطلحة في مكان واحد فقال فلمن هذه الآية لا ام لك وقيل معناه طهر الله
قلوبهم من ان يتحاسدوا على الدرجات في الجنة ونزع منها كل غل والقى فيها التواد والتحاب
اخوانا نصب على الحال وعلى سرر متقابلين كذلك وعن مجاهد تدور بهم الاسرة حيثما داروا
فيكونون في جميع احوالهم متقابلين لما اتم ذكر الوعد والوعيد اتبعه نبئ عبادي
تقريرا لما ذكر وتمكينا في النفوس وعن ابن عباس غفور لمن تاب وعذابه لمن لم يتب وعطف
ونبئهم على نبئ عبادي ليتخذوا ما احل من العذاب بقوم لوط عبرة تعتبرون بها سخط الله
وانتقامه من المجرمين ويتحققوا عنده ان عذابه هو العذاب الاليم سلاما اي نسلم عليك
سلاما او سلمت سلاما وجلون خائفون وكان خوفه لامتناعه من الاكل وقيل لانهم دخلوا
بغير اذن وبغير وقت وقرأ الحسن لا توجل بضم التاء من اوجله يوجله اذا اخافه وقرئ لا تأجل
ولا تواجل من واجله بمعنى اوجله وقرئ نبشرك بفتح النون والتخفيف انا نبشرك استئناف
في معنى التعليل للنهي عن الوجل ارادوا انك بمثابة الامن المبشر فلا توجل يعني ابشرتموني مع مس
الكبر بان يولد لي اي ان الولادة امر عجيب مستنكر في العادة مع الكبر فبم تبشروني هي ما الاستفهامية
دخلها معنى التعجب كأنه قال فباي اعجوبة تبشروني يعني لا تبشروني في الحقيقة بشيء لان البشارة
بمثل هذا بشارة بغير شيء ويجوز ان لا يكون صلة لبشر ويكون سؤالا عن الوجه والطريقة
يعني باي طريقة تبشروني بالولد والبشارة به لا طريقة لها في العادة وقوله بشرناك بالحق يحتمل ان تكون الباء

فيه صلة

فيه صلة اي بشرناك باليقين الذي لا لبس فيه او بشرناك بطريقة هي حق وهي قول الله ووعده
وانه قادر على ان يوجد ولدا من غير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وقرئ تبشرون بفتح النون
وكسرها على حذف نون الجمع والاصل تبشرونن وتبشرون بادغام نون الجمع في نون العماد
وقرئ من القنطين من قنط يقنط وقرئ ومن يقنط بالحركات الثلاث في النون اراد ومن
يقنط من رحمة ربه الا المخطئون طريق الصواب او الا الكافرون كقوله لا تيأس من روح الله
الا القوم الكافرون يعني لم استنكر ذلك قنوطا من رحمته ولكن استبعادا له في العادة التي اجراها
الله تعالى فان قلت قوله تعالى الا آل لوط استثناء متصل ام منقطع قلت لا يخلو من ان يكون استثناء
من قوم فيكون منقطعا لان القوم موصوفون بالاجرام فاختلف لذلك الجنسان وان يكون
استثناء من الضمير في مجرمين فيكون متصلا كأنه قيل الى قوم قد اجرموا كلهم الا آل لوط
وحدهم كما قال فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين فان قلت فهل يختلف المعنى لاختلاف الاستثناءين
قلت نعم وذلك ان آل لوط مخرجون في المنقطع من حكم الارسال وعلى انهم ارسلوا الى القوم
المجرمين خاصة ولم يرسلوا الى آل لوط اصلا ومعنى ارسالهم الى القوم المجرمين كارسال الحجر
او السهم الى المرمي في انه في معنى التعذيب لا الانذار والاهلاك كأنه قيل انا اهلكنا قوما مجرمين ولكن
آل لوط انجيناهم واما في المتصل فهم داخلون في حكم الارسال وعلى ان الملائكة ارسلوا اليهم
جميعا ليهلكوا هؤلاء وينجوا هؤلاء فلا يكون الارسال مخلصا لمعنى الاهلاك والتعذيب كما في
الوجه الاول فان قلت فقوله انا لمنجوهم بم يتعلق على الوجهين قلت اذا انقطع الاستثناء جرى
مجرى خبر لكن في الاتصال بآل لوط لان المعنى لكن آل لوط منجون واذا اتصل كان كلاما
مستأنفا كأن ابراهيم عليه السلام قال لهم فما حال آل لوط فقالوا انا لمنجوهم فان قلت فقوله الا امرأته
بم استثني وهل هو استثناء من الاستثناء قلت استثني من الضمير المجرور في قوله لمنجوهم
وليس من الاستثناء من الاستثناء في شيء لان الاستثناء من الاستثناء انما يكون فيما اتحد الحكم
في قول المطلق انت طالق ثلاثا الا اثنتين الا واحدة وفي قول المقر لفلان علي عشرة دراهم الا ثلاثة
الا درهما فاما في الآية فقد اختلف الحكمان لان آل لوط متعلق بارسلنا او بمجرمين والا امرأته
قد تعلق بمنجوهم فانى يكون استثناء من استثناء وقرئ لمنجوهم بالتخفيف والتثقيل فان قلت
لم جاز تعليق فعل التقدير في قوله قدرنا انها لمن الغابرين والتعليق من خصائص افعال القلوب
قلت لتضمن فعل التقدير معنى العلم ولذلك فسر العلماء تقدير الله اعمال العباد بالعلم فان قلت

الاستفهام للانكار لقوله ومن اوفى بعهده من الله

فيه وان يقال اهلكناهم الا آل لوط الا امرأته كما اتحد الحكم

لتضمن فعل التقدير معنى العلم التقدير وهو لله وحده الى انفسهم ولم يقولوا قدر الله قلت لما لهم
من القرب والاختصاص بالله الذي ليس لاحد غيرهم كما يقول خاصة الملك دبرنا كذا وامرنا بكذا
والمدبر والآمر هو الملك لا هم وانما يظهرون بذلك اختصاصهم وانهم لا يتميزون عنه وقرئ قدرنا
بالتخفيف منكرون اى تنكركم نفسي وتنفر منكم فاخاف ان تطرقوني بشر بدليل قوله بل جئناك
بما كانوا فيه يمترون اى ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك بما فيه فرحك وسرورك وتشفيك
من عدوك وهو العذاب الذي كنت تتوعدهم بنزوله فيمترون فيه ويكذبونك بالحق باليقين
من عذابهم وانا لصادقون في الاخبار بنزوله بهم وقرئ فاسر بقطع الهمزة ووصلها من اسرى
وسرى وروى صاحب الاقليد فسر من السير والقطع في آخر الليل قال
افتحي الباب وانظري في النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم وقيل هو بعد ما يمضي
شيء صالح من الليل فان قلت ما معنى امره باتباع ادبارهم ونهيهم عن الالتفات قلت قد بعث
الله الهلاك على قومه ونجاه واهله اجابة لدعوته عليهم وخرج مهاجرا فلم يكن له بد من الاجتهاد
في شكر الله وادامة ذكره وتفريغ باله لذلك فامر بان يقدمهم لئلا يشتغل بمن خلفه قلبه
وليكون مطلعا عليهم وعلى احوالهم فلا تفرط التفاتة احتشاما منه ولا غيرها من الهفوات
في تلك الحال الهولة المحذورة ولئلا يتخلف منهم احد لغرض له فيصيبه العذاب وليكون مسيره مسير
الهارب الذي يقدم سربه ويفوت به ونهوا عن الالتفات لئلا يروا ما ينزل على قومهم من العذاب
فيرقوا لهم وليوطنوا نفوسهم على المهاجرة ويطيبوها عن مساكنهم ويمضوا قدما غير متلفتين الى
كالذي يتحسر على مفارقة وطنه فلا يزال يلوي اليه اخادعه كما قال تلفت بخواطي حتى وجدتني
وجعت من الاصغاء ليتا واخدعها او جعل النهي عن الالتفات كناية عن مواصلة السير
وترك التواني والتوقف لان من يتلفت لا بد له في ذلك من ادنى وقفة حيث تؤمرون قيل
هو مصر وعدي وامضوا الى حيث تعديته الى الظرف المبهم لان حيث مبهم في الامكنة وكذلك
الضمير في تؤمرونه وعدي قضينا بالى لانه ضمن معنى اوحينا كانه قيل واوحيناه اليه مقضيا
مبتوتا وفسر ذلك الامر بقوله ان دابر هؤلاء مقطوع وفي ابهامه وتفسيره تفخيم للامر
وتعظيم له وقرأ الاعمش ان بالكسر على الاستئناف كان قائلا قال اخبرنا عن ذلك الامر فقال
ان دابر هؤلاء وفي قراءة ابن مسعود قلنا ان دابر هؤلاء ودابرهم آخرهم يعني يستأصلون عن
آخرهم حتى لا يبقى منهم احد اهل المدينة اهل سدوم التي ضرب بقاضيها المثل في الجور

بالدال وبالذال اظهر

مستبشرين بالملائكة لا تفضحون بفضيحة ضيفي لان من اسيء الى ضيفه او جاره فقد اسيء اليه كما ان
اكرم من يتصل به فقد اكرم ولا تخزون ولا تذلون باذلال ضيفي من الخزي وهو الهوان ولا
تشوروا بي من الخزاية وهو الحياء عن العالمين على ان تجير منهم احدا او تدفع عنهم او تمنع
بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل احد وكان يقوم صلى الله عليه وسلم بالنهي عن المنكر والحجز
بينهم وبين المتعرض له فاوعدوه وقالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين وقيل
عن ضيافة الناس وانزالهم وكانوا نهوه ان يضيف احد قط هؤلاء بناتي اشارة الى
الى النساء لان كل امة اولاد نبيها رجالهم بنوه ونساؤهم بناته فكانهم قال لهم هؤلاء بناتي
فانكحوهن وخلوا بني فلا تتعرضوا لهم ان كنتم فاعلين شك في قبولهم لقوله كانه قال
ان فعلتم ما اقول لكم وما اظنكم تفعلون وقيل ان كنتم قضاء الشهوة فيما احل الله دون
ما حرم لعمرك على ارادة القول اى قالت الملائكة للوط عليه السلام لعمرك انهم لفي سكرتهم
اى في غوايتهم التي اذهبت عقولهم وتمييزهم بين الخطاء الذي هم عليه وبين الصواب الذي
تشير به عليهم من ترك البنين الى البنات يعمهون يتحيرون فكيف يقبلون قولك يصغون
الى نصيحتك وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وانه اقسم بحيوته وما اقسم بحيوة احد قط كرامة
له والعمر والعمر واحد الا انهم خصوا القسم بالمفتوح لايثار الاخف فيه وذلك لان الحلف
كثير الدور على السنتهم ولذلك حذفوا الخبر وتقديره لعمرك مما اقسم به كما حذفوا الفعل
في قولك بالله وقرئ في سكرهم وفي سكراتهم الصيحة صيحة جبريل عليه السلام مشرقين
داخلين في الشروق وهو بزوغ الشمس من سجيل قيل من طين عليه كتاب من السجل ودليله
قوله حجارة من طين مسومة عند ربك اى معلمة بكتاب للمتوسمين للمتفرسين المتأملين
وحقيقة المتوسمين النظار المتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة سمة الشيء يقال توسمت
في فلان كذا اى عرفت وسمه فيه والضمير في عاليها سافلها لقرى قوم لوط وانها وان هذه
القرى يعني آثارها لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس لم يندرس بعد وهم يبصرون تلك
الآثار وهو تنبيه لقريش كقوله وانكم لتمرون عليهم مصبحين اصحاب الايكة قوم شعيب
وانهما يعني قرى قوم لوط والايكة وقيل الضمير للايكة ومدين لان شعيبا كان مبعوثا اليهما
فلما ذكر الايكة دل بذكرها على مدين فجاء بضميرهما لبامام مبين لبطريق واضح والامام اسم
ما يؤتم به فسمي به الطريق ومطمر البناء واللوح الذي يكتب فيه لانها مما يؤتم به اصحاب الحجر

المطمر حبل البناء الذي يقدر به البناء

ثمود قوم صالح والحجر واديهم وهو بين المدينة والشام المرسلين يعني بتكذيبهم صالحا عليه السلام لان من كذب
واحدا فكانما كذبهم جميعا او اراد صالحا ومن معه من المؤمنين كما قيل الخبيبون في ابن الزبير واصحابه
وعن جابر قال مررنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر فقال لنا لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا
انفسهم الا ان تكونوا باكين حذرا ان يصيبكم مثل ما اصاب هؤلاء ثم زجر رسول الله صلى الله عليه وسلم
راحلته فاسرع حتى خلفها آمنين لوثاقة البيوت واستحكامها من ان يتهدم ويتداعى بنيانها
ومن نقب اللصوص ومن الاعداء وحوادث الدهر او آمنين من عذاب الله يحسبون ان الجبال
تحميهم منه ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة والاموال والعدد الا بالحق الا خلقا ملتبسا
بالحق والحكمة لا باطلا وعبثا او بسبب العدل والانصاف يوم الجزاء على الاعمال وان الساعة لآتية
وان الله تعالى ينتقم لك من اعدائك ويجازيك واياهم على حسناتك وسيئاتهم فانه ما خلق السموات
والارض وما بينهما الا لذلك فاصفح فاعرض عنهم واحتمل ما تلقى منهم اعراضا جميلا بحلم واغضاء
وقيل هو منسوخ باية السيف ويجوز ان يراد به المخالقة فلا يكون منسوخا ان ربك هو الخلاق
المخالقة الموافقة في الخلق تعالى في ذكر النساء خالقوهن وخالفوهن
الذي خلقك وخلقهم وهو العليم بحالك وحالهم فلا يخفى عليه ما يجري بينكم وهو يحكم بينكم او ان ربك
هو خلقكم وعلم ما هو الاصلح لكم وقد علم ان الصفح اليوم اصلح الى ان يكون السيف اصلح
وفي مصحف ابي وعثمان ان ربك هو الخالق وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق للكثير لا غير كقولك
قطع الثياب وقطع الثوب والثياب سبعا سبع آيات وهي الفاتحة او سبع سور وهي الطول
واختلف في السابعة فقيل الانفال وبراءة لانهما في حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما باية التسمية
وقيل سورة يونس وقيل آل حم او سبع صحائف وهي الاسباع والمثاني من التثنية وهي
للتكرير لان الفاتحة مما يتكرر قراءتها في الصلوة وغيرها او من الثناء لاشتمالها على ما هو ثناء على الله تعالى
الواحدة مثناة او مثنية صفة للآية واما السور او الاسباع فلما يقع فيها من تكرير القصص و
المواعظ والوعد والوعيد وغير ذلك ولما فيها من الثناء كانها تثني على الله بافعاله العظمى وصفاته
ومن اما للبيان او التبعيض اذا اردت بالسبع الفاتحة او الطول وللبيان اذا اردت الاسباع
ويجوز ان تكون كتب الله عز وجل كلها مثاني لانها تثنى عليه ولما فيه من المواعظ المكررة ويكون
القرآن بعضها فان قلت كيف صح عطف القرآن العظيم على السبع وهل هو الا عطف الشيء على نفسه قلت
اذا عني بالسبع الفاتحة او الطول فما وراءهن ينطلق عليه اسم القرآن لانه اسم يقع على البعض كما يقع
على الكل الا ترى الى قوله بما اوحينا اليك هذا القرآن يعني سورة يوسف واذا عنيت الاسباع فالمعنى

ولقد

ولقد آتيناك ما يقال له السبع المثاني والقرآن العظيم اي الجامع لهذين النعتين وهو الثناء او
التثنية والعظم اي لا يطمع ببصرك طموح راغب فيه متمن له الى ما متعنا به ازواجا منهم اصنافا
من الكفار فان قلت كيف وصل هذا بما قبله قلت يقول لرسوله عم قد اوتيت النعمة العظمى التي
كل نعمة وان عظمت فهي اليها حقيرة ضئيلة وهي القرآن العظيم فعليك ان لا تستغني به ولا تمد
عينيك الى متاع الدنيا ومنه الحديث ليس منا من لم يتغن بالقرآن وحديث ابي بكر رضي الله عنه
اي لم يستغن
من اوتي القرآن فرأى ان احدا اوتي من الدنيا افضل مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا
وقيل وافت من بصرى واذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها انواع البز
والطيب والجوهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها
ولانفقناها في سبيل الله فقال لهم الله عز وجل لقد اعطيتكم سبع آيات هي خير من هذه القوافل
السبع ولا تحزن عليهم يعني لا تتمن اموالهم ولا تحزن عليهم انهم لم يؤمنوا فيتقوى بمكانهم
الاسلام وينتعش بهم المؤمنون وتواضع لمن معك من فقراء المؤمنين وضعفائهم
وطب نفسا عن ايمان الاغنياء والاقوياء وقل لهم اني انا النذير المبين انذركم ببيان وبرهان
ان عذاب الله نازل بكم فان قلت بم تعلق قوله كما انزلنا قلت فيه وجهان
احدهما ان يتعلق بقوله ولقد آتيناك اي انزلنا عليك مثل ما انزلنا على اهل الكتاب وهم
المقتسمون الذين جعلوا القرآن عضين حيث قالوا بعنادهم وعدوانهم بعضه حق موافق
للتورية والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما فاقتسموه الى حق وباطل وعضوه وقيل كانوا
يستهزؤن به فيقول بعضهم سورة البقرة لي ويقول الآخر سورة آل عمران لي ويجوز
ان يراد بالقرآن ما يقرؤنه من كتبهم وقد اقتسموه بتحريفهم وبان اليهود اقرت ببعض التورية
وكذبت ببعض والنصارى اقرت ببعض الانجيل وكذبت ببعض وهذه تسلية لرسول الله عم
عن صنيع قومه بالقرآن وتكذيبهم وقولهم سحر وشعر واساطير بان غيرهم من الكفرة
فعلوا بغيره من الكتب نحو فعلهم والثاني ان يتعلق بقوله وقل اني انا النذير اي وانذر قريشا
مثل ما انزلنا من العذاب على المقتسمين يعني اليهود وهو ما جرى على قريظة والنضير جعل المتوقع
بمنزلة الواقع وهو من الاعجاز لانه اخبار بما سيكون وقد كان ويجوز ان يكون الذين جعلوا
القرآن عضين منصوبا بالنذير اي انذر المعضين الذين يجزئون القرآن الى سحر وشعر
واساطير مثل ما انزلنا على المقتسمين وهم الاثنى عشر الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم

فقعدوا في كل مدخل متفرقين لينفروا الناس عن الايمان برسول الله صلعم يقول بعضهم لا تغتروا
بالخارج منا فانه ساحر ويقول الآخر كاذب والآخر شاعر فاهلكهم الله يوم بدر وقيل بآفات
كالوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن المطلب وغيرهم او مثل ما انزلنا على الرهط
الذين تقاسموا على ان يبيتوا صالحا عليه السلام والاقتسام بمعنى التقاسم فان قلت اذا علقت
قوله كما انزلنا بقوله ولقد آتيناك فما معنى توسط لا تمدن الى آخره بينهما قلت لما كان ذلك
تسلية لرسول الله عن تكذيبهم وعداوتهم اعترض بما هو مدد لمعنى التسلية من النهي عن الالتفات
الى دنياهم والتأسف على كفرهم ومن الامر بان يقبل بمجامعه على المؤمنين عضين اجزاء جمع
عضة واصلها عضوة فعلة من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء قال رؤبة
وليس دين الله بالمعضي وقيل هي فعلة من عضهته اذا بهته وعن عكرمة العضة
السحر بلسان قريش يقولون للساحرة عاضهة ولعن رسول الله صلى الله عليه وسلم العاضهة
والمستعضهة نقصانها على الاول واو وعلى الثاني هاء لنسألنهم عبارة عن الوعيد وقيل
يسألهم سؤال تقريع وعن ابي العالية يسأل العباد عن خلتين عما كانوا يعبدون وما
ذا اجابوا المرسلين فاصدع بما تؤمر فاجهر به واظهره يقال صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا
كقولك صرح بها من الصديع وهو الفجر والصدع في الزجاجة الابانة وقيل فاصدع فافرق
بين الحق والباطل بما تؤمر والمعنى بما تؤمر به من الشرائع فحذف الجار كقوله
امرتك الخير فافعل ما امرت به ويجوز ان يكون ما مصدرية اي بامرك مصدر من المبني
للمفعول وعن عروة ابن الزبير في المستهزئين هم خمسة نفر ذوو اسنان وشرف الوليد
بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب والحرث بن
الطلاطلة وعن ابن عباس رض ماتوا كلهم قبل يوم بدر قال جبريل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
امرت ان اكفيهم فاومى الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما
لاخذه فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات واومى الى اخمص العاص بن وائل فدخلت فيها
شوكة فقال لدغت لدغت وانتفخت رجله حتى صار كالرحى ومات واشار الى انف الحرث
بن قيس فامتخط قيحا فمات ولكز الاسود بن يغوث وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح
رأسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات بما يقولون من اقاويل الطاعنين فيك وفي
القرآن فسبح فافزع فيما نابك الى الله والفزع الى الله الذكر الدائم وكثرة السجود يكفك

نمل فقد تركتك ذا مال وسبب

ويكشف

ويكشف عنك الغم ودم على عبادة ربك حتى يأتيك اليقين اي الموت اي ما دمت حيا فلا تخل با
العبادة وعنه صلى الله عليه وسلم انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد صلى الله عليه وسلم

سورة النحل مكية غير ثلث آيات في آخرها وهي مائة وثمان وعشرون وتسمى سورة النعم

بسم الله الرحمن الرحيم

كانوا يستعجلون ما وعدوا من قيام الساعة او نزول العذاب بهم يوم بدر استهزاء وتكذيبا بالوعد
فقيل لهم اتى امر الله اي هو بمنزلة الآتي الواقع وان كان منتظرا لقرب وقوعه فلا تستعجلوه
روي انه لما نزلت اقتربت الساعة قال الكفار فيما بينهم ان هذا يزعم ان القيامة قد قربت
فامسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر ما هو كائن فلما تأخرت قالوا ما نرى شيئا فنزلت
اقترب للناس حسابهم فاشفقوا وانتظروا قربها فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى
شيئا مما تخوفنا به فنزلت اتى امر الله فوثب رسول الله ورفع الناس رؤوسهم فنزلت
فلا تستعجلوه فاطمأنوا وقرئ تستعجلوه بالياء والتاء سبحانه وتعالى عما يشركون تبرأ
وجل عن ان يكون له شريك وان تكون آلهتهم له شركاء او عن اشراكهم على ان ما موصولة
او مصدرية فان قلت كيف اتصل هذا باستعجالهم قلت لان استعجالهم استهزاء وتكذيب
وذلك من الشرك وقرئ يشركون بالياء والتاء ينزل قرئ بالتخفيف والتشديد وقرئ
تنزل الملائكة اي تتنزل بالروح من امره بما يحيي القلوب الميتة بالجهل من وحيه او بما يقوم
في الدين مقام الروح في الجسد وان انذروا بدل من الروح اي ينزلهم بان انذروا وتقديره
بانه انذروا اي بان الشأن اقول لكم انذروا او تكون ان مفسرة لان تنزيل الملائكة بالوحي
فيه معنى القول ومعنى انذروا انه لا اله الا انا اعلموا بان الامر ذلك من نذرت بكذا اذا
علمته والمعنى يقول لهم اعلموا الناس قولي لا اله الا انا فاتقون ثم دل على وحدانيته
وانه لا اله الا هو بما ذكر مما لا يقدر عليه غيره من خلق السموات والارض وخلق الانسان
وما يصلحه ولا بد من خلق البهائم لاكله وركوبه وجر اثقاله وسائر حاجاته وخلق ما لا يعلمون
من سائر اصناف خلائقه ومثله متعال عن ان يشرك به غيره وقرئ يشركون بالياء والتاء
فاذا هو خصيم مبين فيه معنيان احدهما فاذا هو منطيق مجادل عن نفسه مكافح للخصوم
مبين للحجة بعد ما كان نطفة من مني جماد لا حس به ولا حركة دلالة على قدرته والثاني

فاذا هو خصيم لربه منكر على خالقه قايل من يحيي العظام وهي رميم وصفا للانسان بالافراط في الوقاحة والجهل
والتمادي في كفران النعمة وقيل نزلت في ابي بن خلف الجمحي حين جاء بالعظم الرميم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا محمد اترى الله يحيي هذا بعد ما قد رم الانعام الازواج الثمانية واكثر ما تقع على الابل وانتصابها
بمضمر يفسره الظاهر كقوله والقمر قدرناه ويجوز ان يعطف على الانسان اي خلق الانسان
والانعام ثم قال خلقها لكم اي ما خلقها الا لكم ولمصالحكم باجنس الانسان والدفء اسم ما يدفأ به
كما ان الملء اسم ما يملأ به وهو الدفاء من لباس معمول من صوف او وبر او شعر وقرئ دفء
بطرح الهمزة والقاء حركتها على الفاء ومنافع هي نسلها ودرها وغير ذلك فان قلت تقديم الظرف
في قوله ومنها تاكلون مؤذن بالاختصاص وقد يوكل من غيرها قلت الاكل منها هو الاصل الذي يعتمده
الناس في معايشهم واما الاكل من غيرها والبط وصيد البر والبحر فلغير المعتد به وكالجاري
مجرى التفكه ويحتمل ان طعمتكم منها لانكم تحرثون بالبقر فالحب والثمار التي تاكلونها وتكتسبون
باكراء الابل وتبيعون نتاجها والبانها وجلودها من الله تعالى بالتجمل بها كما من بالانتفاع بها لانه
اصحاب المواشي بل هو من معاظمها لان الرعيان اذا روحوها بالعشي وسرحوها بالغداة فزينت
باراحتها وتسريحها الافنية وتجاوب فيها الثغاء والرغاء آنست اهلها وفرحت اربابها
واحلتهم في عيون الناظرين اليها وكسبتهم الجاه والحرمة عند الناس ونحوه لتركبوها وزينة
يواري سوآتكم وريشا فان قلت لم قدمت الاراحة على التسريح قلت لان الجمال في الارادة
اظهر اذا اقبلت ملء البطون حافلة الضروع ثم ادت الى الحظاير حاضرة لاهلها وقرا عكرمة
حين تريحون وحينا تسرحون على ان تريحون وتسرحون وصف للحين والمعنى تريحون
فيه وتسرحون فيه كقوله تعالى يوما لا تجزي قرئ بشق الانفس بكسر الشين وفتحها
وقيل هما لغتان في معنى المشقة وبينهما فرق وهو ان المفتوح مصدر شق الامر عليه شقا
وحقيقته راجعة الى الشق الذي هو الصدع واما الشق بالكسر والنصف كانه يذهب نصف
قوته لما يناله من الجهد فان قلت ما معنى قوله لم تكونوا بالغيه كانهم كانوا زمانا يتحملون المشاق في
بلوغه حتى حملت الابل اثقالهم قلت معناه وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه في التقدير
لو لم تخلق الابل الا بجهد انفسكم لا انهم لم تكونوا بالغيه في الحقيقة فان قلت فكيف طابق
قوله لم تكونوا بالغيه قوله وتحمل اثقالكم وهلا قيل لم تكونوا حاملها اليه قلت
طباقه من حيث ان معناه وتحمل اثقالكم الى بلد بعيد قد علمتم انكم لا تبلغونه بانفسكم الا بجهد

ومشقة

ومشقة فضلا ان تحملوا على ظهوركم اثقالكم ويجوز ان يكون المعنى لم تكونوا بالغيه بها الا بشق
الانفس وقيل اثقالكم اجرامكم وعن عكرمة البلد مكة لرؤف رحيم حيث رحمكم بخلق هذه
الحوامل وتيسير هذه المصالح والخيل والبغال والحمير عطف على الانعام اي وخلق هؤلاء
للركوب والزينة وقد احتج على حرمة اكل لحومهن بان علل خلقها للركوب والزينة
ولم يذكر الاكل بعد ما ذكره في الانعام فان قلت لم انتصب وزينة قلت لانه مفعول
له وهو معطوف على محل لتركبوها فان قلت فهلا ورد المعطوف والمعطوف عليه على سنن
واحد قلت لان الركوب فعل المخاطبين واما الزينة ففعل الزاين وهو الخالق وقرئ
لتركبوها زينة بغير واو اي وخلقها زينة لتركبوها او يجعل زينة حالا من ها اي وخلقها
لتركبوها وهي زينة وجمال ويخلق ما لا تعلمون يجوز ان يريد به ما يخلق فينا ولنا مما لا نعلم
كنهه وتفاصيله ويمن علينا بذكره كما من بالاشياء المعلومة مع الدلالة على قدرته ويجوز
ان يخبرنا بان له من الخلايق ما لا علم لنا به ليزدنا دلالة على اقتداره بالاخبار بذلك
وان طوى عنا علمه لحكمة له في طيه وقد حمل على ما خلق في الجنة والنار مما لم يبلغه
وهم احد ولا خطر على قلبه المراد بالسبيل الجنس ولذلك اضاف اليها القصد وقال
ومنها جائر والقصد مصدر بمعنى الفاعل وهو القاصد يقال سبيل قصد وقاصد اي
مستقيم كانه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه ومعنى قوله وعلى الله قصد السبيل اي هداية
الطريق الموصل الى الحق واجبة عليه كقوله ان علينا للهدى فان قلت لم غير اسلوب
في قوله ومنها جائر قلت ليعلم بما يجوز اضافته اليه من السبيلين وما لا يجوز ولو
كان الامر كما تزعم المجبرة لقيل وعلى الله قصد السبيل وعليه جائرها او وعليه الجائر وقرا
عبد الله ومنكم جائر يعني ومنكم جائر جار عن القصد بسوء اختياره والله بريء منه
ولو شاء لهداكم اجمعين قسرا والجاء لكم متعلق بانزل او بشراب خبر له والشراب ما يشرب شجر
يعني الشجر الذي ترعاه المواشي وفي حديث عكرمة لا تاكلوا ثمن الشجر فانه سحت يعني الكلاء تسيمون
من سامت الماشية اذا رعت فهي سائمة واسامها صاحبها وهو من السومة وهي العلامة
لانها تؤثر بالرعي علامات في الارض قرئ ينبت بالياء والنون فان قلت لم قيل ومن كل
الثمرات لا تكون الا في الجنة وانما انبت في الارض بعض من كلها للتذكرة قلت لقوم يتفكرون ينظرون
فيستدلون بها عليه وعلى قدرته وحكمته والآية الدلالة الواضحة وعن بعضهم ينبت بالتشديد

قلت لان كل الثمرات صح

لقوم يتفكرون صح

الزرع وصح

وقرأ ابي بن كعب ينبت لكم به الزيتون والنخيل والاعناب بالرفع قرئت كلها بالنصب على وجعل
النجوم مسخرات او على ان معنى تسخيرها للناس تصييرها نافعة لهم حيث يسكنون بالليل ويبتغون
من فضله بالنهار ويعلمون عدد السنين والحساب بسير الشمس والقمر ويهتدون بالنجوم فكانه
قيل ونفعكم بها في حال كونها مسخرات لما خلقن له بامره ويجوز ان يكون المعنى انه سخرها
انواعا من التسخير جمع مسخر بمعنى تسخير من قولك سخره الله مسخرا كقولك سرحه مسرحا كانه
قيل وسخرها لكم تسخيرات بامره وقرئ بنصب الليل والنهار وحدهما ورفع ما بعدهما على الابتداء
والخبر وقرئ والنجوم مسخرات بالرفع وما قبله بالنصب وقال ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون
فجمع الآية وذكر العقل لان الآثار العلوية اظهر دلالة على القدرة الباهرة وابين شهادة
للكبرياء والعظمة وما ذرأ لكم معطوف على الليل والنهار يعني ما خلق فيها من حيوان وشجر
وثمر وغير ذلك مختلف الهيئات والمناظر لحما طريا هو السمك ووصفه بالطراوة لان
الفساد يسرع اليه فيسارع الى اكله خيفة الفساد عليه فان قلت ما بال الفقهاء قالوا اذا حلف
الرجل لا ياكل لحما فاكل سمكا لم يحنث والله تعالى سماه لحما كما ترى قلت مبنى الايمان
على العادة وعادة الناس اذا ذكر اللحم على الاطلاق ان لا يفهم منه السمك واذا قال الرجل
لغلامه اشتر بهذه الدراهم لحما فجاء بالسمك كان حقيقا بالانكار ومثاله ان الله سمى الكافر
دابة في قوله ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فلو حلف حالف لا يركب دابة فركب كافرا
لا يحنث حلية هي اللؤلؤ والمرجان والمراد بلبسهم لبس نسائهم لانهن من جملتهم ولانهن
انما يتزين بها من اجلهم فكانها زينتهم ولباسهم المخر شق الماء بحلزومها وعن الفراء هو صوت
جري الفلك بالرياح وابتغاء الفضل التجارة ان تميد بكم كراهة ان تميل وتضطرب والمائد
الذي يدار به اذا ركب البحر قيل خلق الله تعالى الارض فجعلت تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر
احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال لم تدر الملائكة مم خلقت وانهارا وجعل فيها
انهارا لان القى فيه معنى جعل اي خلق الا ترى قوله الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا وعلامات هي معالم
الطرق وكل ما يستدل به السابلة من جبل ومنهل وغير ذلك والمراد بالنجم الجنس كقولك كثر
الدرهم في ايدي الناس وعن السدي هو الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدي وقرأ
الحسن وبالنجم بضمتين وبضمة وسكون وهو جمع نجم كرهن ورهن والسكون تخفيف وقيل
حذف الواو من النجوم تخفيفا فان قلت قوله وبالنجم هم يهتدون مخرج عن سنن الخطاب مقدم

وسهل

فيه

فيه النجم مقحم فيه هم كانه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء يهتدون فمن المراد بهم قلت كانه اراد
قريشا كان لهم اهتداء بالنجوم في مسايرهم وكان لهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم فكان
الشكر اوجب عليهم والاعتبار الزم لهم فخصصوا فان قلت من لا يخلق اريد به الاصنام فلم
جيء بمن الذي هو لاولي العلم قلت فيه اوجه احدها انهم سموها آلهة وعبدوها فاجروها
مجرى اولي العلم الا ترى الى قوله على اثره والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم
وهم يخلقون والثاني المشاكلة بينه وبين من يخلق والثالث ان يكون المعنى ان من يخلق ليس
كمن لا يخلق من اولي العلم فكيف بما لا علم عنده كقوله تعالى الهم ارجل يمشون بها يعني ان الآلهة
حالهم منحطة عن حال من لهم ارجل وايد واذان وقلوب لان هؤلاء احياؤهم اموات فكيف
تصح لهم العبادة لا انها لو صحت لهم هذه الاعضاء لصح ان يعبدوا فان قلت هو الزام للذين
عبدوا الاوثان وسموها آلهة تشبيها بالله عز وجل فقد جعلوا غير الخالق مثل الخالق فكان حق
الالزام ان يقال لهم افمن لا يخلق كمن يخلق قلت حين جعلوا غير الله مثل الله تعالى في تسميته
باسمه والعبادة له وسووا بينه وبينه فقد جعلوا الله من جنس المخلوقات وشبيها
بها فانكر عليهم ذلك بقوله افمن يخلق كمن لا يخلق لا تحصوها لا تضبطوا عددها ولا تبلغه
طاقتكم فضلا ان تطيقوا القيام بحقها من اداء الشكر اتبع ذلك ما عدد من نعمه تنبيها
على ان وراءها ما لا ينحصر ولا ينعد ان الله رؤف رحيم حيث يتجاوز عن تقصيركم في اداء شكر النعمة
ولا يقطعها عنكم لتفريطكم ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها والله يعلم ما تسرون وما تعلنون
من اعمالكم وهو وعيد والذين تدعون والآلهة الذين تدعوهم الكفار من دون الله
وقرئ بالتاء وقرئ يدعون على البناء للمفعول نفى عنهم خصايص الالهية بنفي كونهم
خالقين واحياء لا يموتون وعالمين بوقت البعث واثبت لهم صفات الخلق بانهم مخلوقون
وانهم اموات وانهم جاهلون بالغيب ومعنى اموات غير احياء انهم لو كانوا آلهة على الحقيقة
لكان احياء غير اموات اي غير جائز عليها الموت كالحي الذي لا يموت وامرهم على العكس
من ذلك والضمير في يبعثون للداعين اي لا يشعرون متى تبعث عبدتهم وفيه تهكم بالمشركين
وان آلهتهم لا يعلمون وقت بعثهم فكيف يكون لهم وقت جزاء منهم على عبادتهم وفيه دلالة
على انه لا بد من البعث وانه من لوازم التكليف ووجه آخر وهو ان يكون المعنى ان الناس
يخلقونهم بالنحت والتصوير وهم لا يقدرون على نحو ذلك فهم اعجز من عبدتهم اموات

جمادات لا حيوة فيها غير احياء يعني ان من الاموات ما يعقب موته حيوة كالنطف التي ينشئها الله
تعالى حيوانا واجساد الحيوان التي تبعث بعد موتها واما الحجارة فاموات لا يعقب موتها حيوة
وذلك اعرق في موتها وما يشعرون ايان يبعثون اي وما يعلم هولاء الالهة متى تبعث
هولاء الاحياء تهكما بحالها لان شعور الجماد محال فكيف بشعور ما لا يعلمه حي الا الحي القيوم
سبحانه وتعالى ووجه ثالث وهو ان يراد بالذين يدعون الملائكة وكان ناس منهم يعبدونهم
وانهم اموات اي لا بد لهم من الموت غير احياء غير باقية حياتهم وما يشعرون ولا علم لهم بوقت
بعثهم وقرئ ايان بكسر الهمزة الهكم اله واحد يعني انه قد ثبت بما تقدم من ابطال ان تكون الالهية
لغيره وانها له وحده لا شريك له فيها فكان من نتيجة ثبات الوحدانية ووضوح دليلها
استمرارهم على شركهم وان قلوبهم منكرة للوحدانية وهم مستكبرون عنها وعن الاقرار بها لا جرم
حقا ان الله يعلم سرهم وعلانيتهم فيجازيهم وعيد انه لا يحب المستكبرين يجوز ان يريد المستكبرين
عن التوحيد يعني المشركين ويجوز ان يعم كل مستكبر ويدخل تحت عمومه ماذا منصوب
بانزل بمعنى اي شيء انزل ربكم او مرفوع بالابتداء بمعنى اي شيء انزل ربكم فاذا نصبت فمعنى
اساطير الاولين ما يدعون نزوله اساطير الاولين واذا رفعته فالمعنى المنزل اساطير الاولين
كقوله ماذا ينفقون قل العفو فيمن رفع فان قلت هو كلام متناقض لانه لا يكون منزل
ربهم واساطير قلت هو على السخرية كقوله ان رسولكم وهو كلام بعضهم لبعض او قول المسلمين
لهم وقيل هو كلام المقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
سألهم وفود الحاج عما انزل عليه قالوا احاديث الاولين واباطيلهم ليحملوا اوزارهم اي قالوا ذلك
اضلالا للناس وصدا عن رسول الله فحملوا اوزارهم ضلالهم كاملة وبعض اوزار من ضل
بضلالهم وهو وزر الاضلال لان المضل والضال شريكان هذا يضله وهذا يطاوعه على
اضلاله فيتحاملان الوزر ومعنى اللام التعليل من غير ان يكون غرضا نحو قولك خرجت من البلد
مخافة الشر بغير علم حال من المفعول اي يضلون من لا يعلم انهم ضلال وانما وصف بالضلال
واحتمال الوزر من اضلوه وان لم يعلم لانه كان عليه ان يبحث وينظر بعقله حتى يميز بين المحق
والمبطل القواعد اساطين البناء التي تعمده وقيل الاساس وهذا تمثيل يعني انهم سووا منصوبات
ليمكروا بها الله ورسله فجعل الله هلاكهم في تلك المنصوبات كحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالاساطين
فاتى البنيان من الاساطين بان ضعضعت فسقط عليهم السقف وهلكوا ونحوه من حفر لاخيه

اي هدمت

اي دمر وخرب

جبا

جبا وقع فيه منكبا وقيل هو نمرود بن كنعان حين بنى الصرح ببابل طوله خمسة الاف ذراع
وقيل فرسخان فاهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا ومعنى اتيان الله اتيان امره
من القواعد من جهة القواعد من حيث لا يشعرون من حيث لا يحتسبون ولا يتوقعون وقرئ
ويأتي الله بيتهم فخر عليهم السقف بضمتين يخزيهم يذلهم بعذاب الخزي ربنا انك من تدخل النار
فقد اخزيته يعني هذا لهم في الدنيا ثم العذاب في الآخرة شركائي على الاضافة الى نفسه حكاية لاضافتهم
ليوبخهم بها على طريق الاستهزاء بهم تشاقون فيهم تعادون وتخاصمون المؤمنين في شأنهم
ومعناهم قرئ تشاقون بكسر النون بمعنى تشاقونني لان مشاقة المؤمنين كانها مشاقة الله عز وجل
قال الذين اوتوا العلم هم الانبياء والعلماء من اممهم الذين كانوا يدعونهم الى الايمان
ويعظونهم فلا يلتفتون اليهم ويتكبرون عليهم ويشاقونهم يقولون ذلك شماتة لهم وحكى الله
ذلك من قولهم ليكون لطفا لمن سمعه وقيل هم الملائكة قرئ تتوفاهم بالتاء والياء وقرئ
الذين توفاهم بادغام التاء في التاء فالقوا السلم فسالموا واخبتوا وجاؤا بخلاف ما كانوا
عليه في الدنيا من الشقاق والكبر وقالوا ما كنا نعمل من سوء وجحدوا ما وجد منهم من الكفر
والعدوان فرد عليهم اولوا العلم ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه وهذا ايضا من الشماتة
وكذلك فادخلوا ابواب جهنم خيرا انزل خيرا فان قلت لم نصب هذا ورفع الاول قلت
فصلا بين جواب المقر وجواب الجاحد يعني ان هولاء لما سئلوا لم يتلعثموا واطبقوا الجواب
على السؤال بينا مكشوفا مفعولا للانزال فقالوا خيرا اي انزل خيرا واولئك عدلوا بالجواب عن السؤال
فقالوا هو اساطير الاولين وليس من الانزال في شيء وروي ان احياء العرب كانوا يبعثون
ايام الموسم من يأتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جاء الوافد كفه المقتسمون وامروه بالانصراف
وقالوا ان لم تلقه كان خيرا لك فيقول انا شر وافد ان رجعت الى قومي دون ان استطلع
امر محمد واراه فيلقى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبرونه بصدقه وانه نبي مبعوث فهم
الذين قالوا خيرا وقوله للذين احسنوا وما بعده بدل من خيرا حكاية لقول الذين اتقوا
اي قالوا هذا القول فقدم عليه تسميته خيرا ثم حكاه ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ عدة
للقائلين ويجعل قولهم من جملة احسانهم ويحمدوا عليه حسنة مكافاة في الدنيا باحسانهم
ولهم في الآخرة ما هو خير منها كقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة ولنعم دار
المتقين دار الآخرة فحذف المخصوص بالمدح لتقدم ذكره وجنات عدن خبر مبتدأ محذوف

ويجوز ان يكون المخصوص بالمدح طيبين طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصي لانه في مقابلة
ظالمي انفسهم يقولون سلام عليكم قيل اذا اشرف العبد المؤمن جاءه ملك فقال السلام عليك يا ولي
الله الله يقرأ عليك السلام وبشره بالجنة (اي على الموت) تأتيهم الملائكة قرئ بالتاء والياء يعني ان تأتيهم
لقبض الارواح وامر ربك العذاب المستأصل او القيامة كذلك اي مثل ذلك الفعل من الشرك
والتكذيب فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله وما ظلمهم الله بتدميرهم ولكن كانوا انفسهم
يظلمون لانهم فعلوا ما استوجبوا به التدمير سيئات ما عملوا جزاء سيئات اعمالهم او هو كقوله
وجزاء سيئة سيئة مثلها هذا من جملة ما عدد من اصناف كفرهم وعنادهم من شركهم بالله
وانكار وحدانيته بعد قيام الحجج وانكار البعث واستعجاله استهزاء به وتكذيبهم الرسول وشقاقهم
واستكبارهم عن قبول الحق يعني انهم اشركوا بالله وحرموا ما احل الله من البحيرة والسائبة
وغيرهما ثم نسبوا فعلهم الى الله وقالوا لو شاء الله لم نفعل وهذا مذهب المجبرة بعينه كذلك
فعل الذين من قبلهم اي اشركوا وحرموا حلال الله فلما نبهوا على قبح فعلهم وركوه على ربهم فهل
على الرسل الا ان يبلغوا الحق وان الله تعالى لا يشاء الشرك والمعاصي بالبيان والبرهان و
يطلعوا على بطلان الشرك وقبحه وبراءة الله من افعال العباد وانهم فاعلوها بقصدهم وارادتهم
واختيارهم والله تعالى باعثهم على جميلها وموفقهم له وزاجرهم عن قبيحها وموعدهم عليه ولقد
امد ابطال قدر السوء ومشية الشر بانه ما من امة الا وقد بعث فيهم رسولا يأمرهم بالخير الذي
هو الايمان وعبادة الله وباجتناب الشر الذي هو طاعة الطاغوت فمنهم من هدى الله
اي لطف به لانه عرفه من اهل اللطف ومنهم حقت عليه الضلالة اي ثبت عليه الخذلان والترك
من اللطف لانه عرفه مصمما على الكفر لا يأتي منه خير فسيروا فانظروا ما فعلت بالمكذبين حتى
لكم شبهة في اني لا اقدر الشر ولا اشاؤه حيث افعل ما افعل بالاشرار ثم ذكر عناد قريش
وحرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على ايمانهم وعرفه انه من قسم من حقت عليه الضلالة وانه لا يهدي
من يضل اي لا يلطف بمن يخذل لانه عبث والله تعالى متعال عن العبث لانه من قبيل القبائح التي
لا تجوز عليه وقرئ لا يهدي اي لا تقدر انت ولا احد على هدايته وقد خذله الله وقوله وما لهم
من ناصرين من دليل على ان المراد بالاضلال الخذلان الذي هو نقيض النصرة ويجوز ان يكون لا يهدي
بمعنى لا يهتدي يقال هداه الله فهدى وفي قراءة ابي فان الله لا هادي لمن يضل ولمن اضل
وهي معاضدة لمن قرأ لا يهدي على البناء للمفعول وفي قراءة عبد الله لا يهتدي على ادغام تاء يهتدي

اي احالوا كبائرهم على ربهم واعتمدوا

وهي

وهي معاضدة للاولى وقرئ يضل بالفتح وقرأ النخعي ان تحرص بفتح الراء وهي لغية واقسموا بالله
معطوف على وقال الذين اشركوا ايذانا بانهما كفرتان عظيمتان موصوفتان حقيقتان بان تحكيا
وتدونا توريك ذنوبهم على مشية الله وانكارهم البعث مقسمين عليه وبلى اثبات لما بعد النفي
اي بلى يبعثهم ووعدا مصدر مؤكد لما دل عليه بلى لان يبعث موعد من الله وبين ان الوفاء بهذا
الموعد حق واجب عليه في الحكمة ولكن اكثر الناس لا يعلمون انهم يبعثون او انه وعد واجب على الله لانهم
لا يقولون لا يجب على الله شيء لا ثواب عامل ولا غيره من مواجب الحكمة لنبين لهم متعلق بما دل عليه
بلى اي يبعثهم لنبين لهم والضمير لمن يموت وهو عام للمؤمنين والكافرين والذي اختلفوا فيه هو الحق
وليعلم الذين كفروا انهم كذبوا في قولهم لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء وفي قولهم لا يبعث الله
من يموت وقيل يجوز ان يتعلق بقوله ولقد بعثنا في كل امة رسولا اي بعثناه ليبين لهم ما اختلفوا فيه
وانهم كانوا على الضلالة قبله مفترين على الله الكذب قولنا مبتدأ وان نقول خبره وكن ويكون
من كان التامة التي بمعنى الحدوث والوجود اي اذا اردنا وجود شيء فليس الا ان نقول له احدث
فهو يحدث عقيب ذلك لا يتوقف لان مرادا لا يمتنع عليه وان وجوده عند ارادته غير متوقف
كوجود المأمور به عند الامر الآمر المطيع اذا ورد على المأمور المطيع الممتثل ولا قول ثم والمعنى ان ايجاد
كل مقدور على الله عز وجل بهذه السهولة فكيف يمتنع عليه البعث الذي هو من شق المقدورات
وقرئ فيكون عطفا على نقول والذين هاجروا هم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ظلمهم
اهل مكة ففروا بدينهم الى الله تعالى منهم من هاجر الى الحبشة ثم الى المدينة فجمع بين الهجرتين ومنهم
من هاجر الى المدينة وقيل هم الذين كانوا محبوسين معذبين بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكلما خرجوا تبعوهم فردوهم منهم بلال وصهيب وخباب وعمار وعن صهيب انه قال لهم انا
رجل كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فافتدى منهم بماله وهاجر فلما رآه
ابو بكر قال له ربح البيع يا صهيب وقال له عمر نعم الرجل صهيب لو لم يخف الله لم يعصه
وهذا ثناء عظيم اي لو لم يخلق الله نارا لاطاعه فكيف في الله في حقه ولوجهه حسنة صفة
للمصدر اي لنبوئنهم تبوئة حسنة وفي قراءة علي رض لنثوينهم ومعناه انواء حسنة وهي الغلبة
على اهل مكة الذين ظلموا وعلى العرب قاطبة وعلى اهل المشرق والمغرب وعن عمر رض انه كان اذا
اعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك في الدنيا وما ذخر
لك في الآخرة اكثر وقيل لنبوئنهم مباءة حسنة وهي المدينة حيث آواهم اهلها ونصروهم لو كانوا

اي فكيف وقد خلق الله نارا لخوف العباد بها لقوله واتقوا النار التي الآية وهذا من احاسن الحذوف

يعلمون الضمير للكفار اى كانوا علموا ان الله يجمع لها ولا المستضعفين فى ايديهم الدنيا والآخرة
لرغبوا فى دينهم ويجوز ان يرجع الضمير الى المهاجرين اى لو كانوا يعلمون ذلك لزادوا فى اجتهادهم
وصبرهم الذين صبروا على هم الذين صبروا او اعنى الذين صبروا وكلاهما مدح اى صبروا على العذاب
ومفارقة الوطن الذى هو حرم الله المحبوب فى كل قلب فكيف بقلوب قوم هو مسقط راسهم وعلى
المجاهدة وبذل الارواح فى سبيل الله قالت قريش الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا فقيل
وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم على السنة الملائكة فسئلوا اهل الذكر وهم اهل الكتاب
ليعلموكم ان الله لم يبعث الى الامم السالفة الا بشرا فان قلت بم تعلق قوله بالبينات قلت
له متعلقات شتى فاما ان تتعلق بما ارسلنا داخلا تحت حكم الاستثناء مع رجالا اى وما ارسلنا
الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط لان اصله ضربت زيدا بالسوط واما برجالا صفة له
اى رجالا ملتبسين بالبينات واما بارسلنا مضمرا كانما قيل بم ارسلوا فقلت بالبينات فهو على
كلامين والاول على كلام واحد واما بنوحى اليهم بالبينات واما بلا تعلمون على ان الشرط فى معنى
التبكيت والالزام كقول الاجير ان كنت عملت لك فاعطنى حقى وقوله فسئلوا اهل الذكر
على الوجوه المتقدمة واهل الذكر اهل الكتاب وقيل للكتاب الذكر لانه موعظة وتنبيه
للغافلين ما نزل اليهم يعنى ما نزل الله اليهم فى الذكر مما امروا به ونهوا عنه ووعدوا واوعدوا
ولعلهم يتفكرون وارادة ان يصغوا الى تنبيهاته فينتبهوا ويتأملوا مكروا السيئات اى المكرات
السيئات وهم اهل مكة وما مكروا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تقلبهم اى متقلبين فى مسايرهم
ومتاجرهم واسباب دنياهم على تخوف متخوفين وهو ان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فياخذهم
العذاب وهم متخوفون متوقعون وهم خلاف قوله من حيث لا يشعرون وقيل هو من قولك
تخوفته وتخونته اذا تنقصته قال زهير تخوف الرحل منها تامكا قردا كما تخوف عود
النبعة السفن اى ياخذهم على ان تنقصهم شيئا بعد شيء فى انفسهم واموالهم حتى يهلكوا وعن عمر رض
انه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف
التنقص قال فهل تعرف العرب ذلك فى اشعارها قال نعم شاعرنا وانشد البيت فقال عمر ايها
الناس عليكم بديوانكم لا يضل قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ومعانى بيانكم
فان ربكم لرؤف رحيم حيث يحلم عنكم ولا يعاجلكم مع استحقاقكم قرئ اولم تروا يتفيأ بالياء والتاء وما
موصولة بخلق الله وهو مبهم بيانه من شيء يتفيأ واليمين بمعنى الايمان وسجدا حال من الضلال

وهم

وهم داخرون حال من الضمير فى ضلاله لانه فى معنى الجمع وهو ما خلق الله من كل شيء له ضل وجمع بالواو
لان الدخور من اوصاف العقلاء او لان فى جملة ذلك من يعقل فغلب والمعنى اولم يروا ما خلق الله من
الاجرام التى لها ضلال متفيئة عن ايمانها وشمائلها اى عن جانبى كل واحد منها وشقيه استعارة
من يمين الانسان وشماله لجانبى الشيء اى ترجع الضلال من جانب الى جانب منقادة لله تعالى غير ممتنعة
عليه فيما سخرها له من التفيؤ والاجرام فى انفسها داخرة ايضا صاغرة منقادة لافعال الله فيها لا تمتنع
من دابة يجوز ان يكون بيانا لما فى السموات وما فى الارض جميعا على ان فى السموات خلقا لله يدبون
كما يدب الاناسى فى الارض وان يكون بيانا لما فى الارض وحده ويراد بما فى السموات الخلق الذى
يقال له الروح وان يكون بيانا لما فى الارض ويراد بما فى السموات الملائكة وكرر ذكرهم على معنى والملائكة
خصوصا من بين الساجدين لانهم اطوع الخلق واعبدهم ويجوز ان يراد بما فى السموات ملائكتهن
وبقوله والملائكة ملائكة الارض من الحفظة وغيرهم فان قلت سجود المكلفين مما انتظمه هذا
الكلام خلاف سجود غيرهم فكيف عبر عن النوعين بلفظ واحد قلت المراد بسجود المكلفين طاعتهم
وعبادتهم وبسجود غيرهم انقياده لارادة الله وانها غير ممتنعة عليها وكلا السجودين مجمعهما
معنى الانقياد فلم يختلفا فلذلك جاز ان يعبر عنهما بمعبر واحد فان قلت فهلا جيء بمن
دون ما تغليبا للعقلاء على غيرهم قلت لانه لو جيء بمن لم يكن فيه دليل على التغليب فكان
متناولا للعقلاء خاصة فجيء بما هو صالح للعقلاء وغيرهم ارادة العموم يخافون يجوز ان
يكون حالا من الضمير فى لا يستكبرون اى لا يستكبرون خائفين وان يكون بيانا لنفى الاستكبار
وتاكيدا له لان من خاف الله تعالى لم يستكبر عن عبادته من فوقهم ان علقته بيخافون فمعناه
يخافونه ان يرسل عليهم عذابا من فوقهم وان علقته بربهم حالا منه فمعناه يخافون ربهم
عاليا لهم قاهرا كقوله وهو القاهر فوق عباده وانا فوقهم قاهرون وفيه دليل على ان
الملائكة مكلفون مدارون على الامر والنهى والوعد والوعيد كسائر المكلفين وانهم بين
الخوف والرجاء فان قلت انما جمعوا بين العدد والمعدود فيما وراء الواحد والاثنين فقالوا
عندى رجال ثلاثة وافراس اربعة لان المعدود عار عن الدلالة على العدد الخاص فاما
رجل ورجلان وفرس وفرسان فمعدودان فيهما دلالة على العدد فلا حاجة الى ان يقال
رجل واحد ورجلان اثنان فما وجه قوله الهين اثنين قلت الاسم الحامل لمعنى الافراد والتثنية
دال على شيئين على الجنسية والعدد المخصوص فاذا اريدت الدلالة على ان المعنى به منهما والذى

يُساق اليه الحديث هو العدد شفع بما يوكد فدل به على القصد اليه والعناية به الا ترى انك
لو قلت انما هو اله ولم توكد بواحد لم يحسن وخيل انك تثبت الالهية لا الوحدانية فاياي
فارهبون نقل الكلام الى الغيبة الى التكلم وحان لان الغائب هو المتكلم وهو من طريقة الالتفات
وهو ابلغ في التهديد من قوله واياه فارهبوه ومن ان يجئ ما قبله على لفظ المتكلم الدين الطاعة
واصبا حال عمل فيه الظرف والواصب الواجب الثابت لان كل نعمة منه فالطاعة واجبة على كل
منعم عليه ويجوز ان يكون من الواصب اى وله الدين ذا كلفة ومشقة ولذلك سمي تكليفا
او وله الجزاء دائما ثابتا سرمدا لا يزول يعني الثواب والعقاب وما بكم من نعمة واي شيء حل بكم
او اتصل بكم من نعمة فهو من الله فاليه تجارون فما يتضرعون الآ اليه والجوار رفع الصوت
بالدعاء والاستغاثة قال الاعشى يراوح من صلوات المليك طورا سجودا وطورا جوارا وقرئ تجرون بطرح الهمزة والقاء حركتها على الجيم وقرأ قتادة كاشف الضر
على فاعل بمعنى فعل وهو اقوى من كشف لان بناء المفاعلة يدل على المبالغة فان قلت فما معنى قوله
اذا فريق منكم بربهم يشركون قلت يجوز ان يكون الخطاب في قوله فما بكم من نعمة فمن الله عاما ويريد
بالفريق فريق الكفرة وان يكون للمشركين ومنكم للبيان لا للتبعيض كانه قال اذا فريق كافر
وهم انتم ويجوز ان يكون فيهم من اعتبر كقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد ليكفروا بما اتيناهم
من نعمة الكشف عنهم كانهم جعلوا غرضهم في الشرك كفران النعمة فتمتعوا فسوف تعلمون تخلية
ووعيد وقرئ فيتمتعوا بالياء بنيا للمفعول عطفا على ليكفروا ويجوز ان يكون لهم كفروا فيتمتعوا امنا من الامر
الوارد في معنى الخذلان والتخلية واللام لام الامر لما لا يعلمون اى للآلهة ومعنى لا يعلمونها انهم يسمونها
آلهة ويعتقدون فيها انها تضر وتنفع وتشفع عند الله وليس كذلك وحقيقتها انها جماد لا تضر ولا تنفع
فهم لجهلهم بها وقيل الضمير في لا يعلمون اى للآلهة اى لاشياء غير موصوفة بالعلم ولا تشعر
اجعلوا لها نصيبا في انعامهم وزروعهم اما لو كانوا يجعلون لهم ذلك تقربا اليهم لتسالن وعيد
عما كنتم تفترون من الافك في زعمكم انها آلهة وانها اهل للتقرب كانت خزاعة وكنانة تقول الملائكة
بنات الله سبحانه هو تنزيه لذاته من نسبة الولد اليه او تعجب من قولهم ولهم ما يشتهون
يعني البنين ويجوز في ما يشتهون الرفع على الابتداء والنصب على ان يكون معطوفا على البنات
اى وجعلوا لانفسهم ما يشتهون من الذكور ظل بمعنى صار كما يستعمل بات واصبح وامسى
بمعنى الصيرورة ويجوز ان يكون ظل لان اكثر الوضع يتفق بالليل ويظل مسودا مربدا الوجه

بحنى ... من الكاهنة

من الكآبة والحياء من الناس وهو كظيم مملوء غيظا وحنقا على المرأة يتوارى من القوم يستخفي منهم
من اجل سوء البشرى به ومن اجل تعييرهم ويحدث نفسه وينظر امسك ما يبشر به على هوان
وذل ام يدسه في التراب ام يئدها وفي ايكها هو ون ام يدسها على التانيث وقرئ على هوان
الا ساء ما يحكمون حيث يجعلون الولد الذي هو محل عندهم لله ويجعلون لانفسهم من هو
على عكس هذا الوصف مثل السوء صفة السوء وهي الحاجة الى الاولاد الذكور وكراهة الاناث وواد من
خشية الاملاق وافدارهم على انفسهم بالتشيع البالغ ولله المثل الاعلى وهو الغنى عن العالمين والقدرة
على كل المقدورات وهو الجواد الكريم بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم ما ترك عليها على الارض
من دابة قط ولا اهلكها كلها بسنوم ظلم الظالمين وعن ابي هريرة رض انه سمع رجلا يقول ان الظالم
لا يقف الا نفه فقال بلى والله حتى ان الحبارى ليموت في وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود رض ان
الجعل يهلك في جحره بذنب ابن آدم او من دابة ظالمة وعن ابن عجلان من دابة من مشرك يترتب عليها
وقيل لو اهلك الاباء بكفرهم لم يكن الابناء ويجعلون لله ما يكرهون لانفسهم من البنات وشركاء
في رياستهم ومن الاستخفاف برسلهم والتهاون ببرسالتهم ويجعلون له ارذل اموالهم ولاصنامهم
اكرمها وتصف السنتهم مع ذلك ان لهم الحسنى كقوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وعن
بعضهم انه قال لرجل من ذوي اليسار كيف تكون يوم القيامة اذا قال الله لها تواما دفع الى الساقطين
واعوانهم فيؤتى بالدواة والقنابر والفاجرة وانواع الاموال واذا قالوا لها تواما دفع الى فيؤتى
بالكبد والحرق وما لا يوبه له اما تستحي من ذلك الموقف وقرأ هذه الآية وعن مجاهد ان لهم الحسنى
هو قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى تلك امانيهم وقرئ الكذب جمع كذوب صفة للالسنة
مفرطون قرئ بفتح الراء وكسرها مخففا ومشددا فالمفتوح بمعنى مقدمون الى النار معجلون اليها
من افرطت فلانا وفرطته في طلب الماء اذا قدمته وقيل منسيون متروكون من افرطت فلانا خلفي
اذا خلفته ونسيته والمكسور المخفف من الافراط في العاصي والمشدد من التفريط في الطاعات وما
يلزمهم فهو وليهم اليوم حكاية حال الماضية التي كان يزين لهم الشيطان اعمالهم فيها او فهو وليهم في
الدنيا فجعل اليوم عبارة عن زمان الدنيا ومعنى وليهم قرينهم وبئس القرين او يجعل هو وليهم اليوم
حكاية للحال الآتية وهي حال كونهم معذبين في النار اى فهو ناصرهم اليوم لا ناصر لهم غيره نفيا للناصر
لهم على ابلغ الوجوه ويجوز ان يرجع الضمير الى مشركي قريش وانه زين للكفار قبلهم اعمالهم فهو ولي هؤلاء
لانهم مثلهم ويجوز ان يكون على حذف المضاف اى فهو ولي امثالهم اليوم وهدى ورحمة معطوفان

على محل لتبين الا انهما انتصبا على انهما مفعول لهما لانهما فعلا الذي انزل الكتاب ودخل اللام على
التبيين لانه فعل المخاطب لا فعل المنزل وانما ينتصب مفعولا له ما كان فعل فاعل الفعل المعلل والذي
اختلفوا فيه البعث لانه كان فيهم من يؤمن به ومنهم عبد المطلب واشياء من التحريم والتحليل والانكار
والاقرار لقوم يسمعون سماع انصاف وتدبر لان من لم يسمع بقلبه فكانه اصم لا يسمع ذكر سيبويه
الانعام في باب لا ينصرف في الاسماء المفردة الواردة على افعال كقولهم ثوب اكياش وكذلك رجع الضمير اليه
مفردا واما في بطونها في سورة المؤمنين فلان معناه الجمع ويجوز ان يقال في الانعام وجهان احدهما
ان يكون تكسير نعم كاجبال في جبل وان يكون اسما مفردا مقتضيا لمعنى الجمع كنعم فاذا ذكر فكانما يذكر
نعم في قوله في كل عام نعم تحوونه يلحقه قوم وتنتجونه واذا انث ففيه وجهان انه تكسير نعم وانه في
معنى الجمع وقرئ نسقيكم بالفتح والضم وهو استيناف كانه قيل كيف العبرة فقيل نسقيكم من بين
فرث ودم اي يخلق الله اللبن وسيطا بين الفرث والدم يكتنفانه وبينه وبينهما برزخ من قدرة
الله لا يبغي احدهما عليه بلون ولا طعم ولا رائحة بل هو خالص من ذلك كله قيل اذا اكلت البهيمة
العلف فاستقر في كرشها طبخته فكان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما والكبد مسلطة
على هذه الاصناف الثلاثة تقسمها فتجري الدم في العروق واللبن في الضروع وتبقى الفرث في الكرش
فسبحان الله ما اعظم قدرته والطف حكمته لمن تفكر وتامل وسئل شقيق عن الاخلاص فقال تمييز
العمل من العيوب كتمييز اللبن من بين فرث ودم سائغا سهل المرور في الحلق وقيل لم يغص
احد باللبن قط وقرئ سيغا بالتشديد وسيغا بالتخفيف كهين ولين فان قلت اي فرق بين من
الاولى والثانية قلت الاولى للتبعيض لان اللبن بعض ما في بطونها كقولك اخذت من مال زيد
ثوبا والثانية لابتداء الغاية لان بين الفرث والدم مكان الاسقاء الذي منه يبتدى فهو صلة لنسقيكم
كقولك سقيته من الحوض ويجوز ان يكون حالا من قوله لبنا مقدما عليه فيتعلق بمحذوف اي كائنا
من بين فرث ودم الا ترى انه لو تاخر فقيل لبنا من بين فرث ودم كان صفة له وانما قدم لانه
موضع العبرة فهو قمن بالتقديم وقد احتج بعض من يرى ان المني طاهر على من جعله نجسا لجريه
في مسلك البول بهذه الاية وانه ليس بمستنكر ان يسلك مسلك البول وهو طاهر كما خرج اللبن
من بين فرث ودم طاهرا فان قلت بم تعلق قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب قلت بمحذوف تقديره ونسقيكم
من ثمرات النخيل والاعناب اي من عصيرها وحذف لدلالة نسقيكم عليه وقوله تتخذون منه سكرا
بيان وكشف عن كنه الاسقاء او تعلق بتتخذون ومنه من تكرير الظرف للتاكيد في قولك زيد

التامل احضار الغائب والتفكر تغيير الحاضر اي حبس الحواس لينفتح مسام الارواح فينكشف المطلوب

في الدار

في الدار فيها ويجوز ان يكون تتخذون صفة موصوف محذوف كقوله بكفي كان من ارمى البشر
تقديره ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا لانهم ياكلون بعضها و
يتخذون من بعضها السكر فان قلت فالام يرجع الضمير في منه اذا جعلته ظرفا مكررا قلت
الى المضاف المحذوف الذي هو العصير كما رجع في قوله تعالى او هم قائلون الى الاهل المحذوف والسكر
الخمر سميت بالمصدر من سكر سكرا وسكرا نحو رشد رشدا ورشدا قال وجاؤنا بهم
سكر علينا فاجلى اليوم والسكران صاحي وفيه وجهان احدهما ان يكون منسوخة وممن قال
بنسخها الشعبي والنخعي والثاني ان تجمع بين العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ وهو عصير
العنب والزبيب والتمر اذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد وهو حلال عند ابي حنيفة رح
الى حد السكر ويحتج بهذه الاية وبقوله عليه السلام الخمر حرام لعينها والسكر من كل شراب وباخبار
جمة ولقد صنف شيخنا ابو علي الجبائي قدس الله روحه غير كتاب في تحليل النبيذ فلما شيخ واخذت
منه السن العالية قيل له لو شربت منه ما تتقوى به فابى فقيل له فقد صنفت في تحليله فقال
تناولته الدعارة فسمح في المروة وقيل السكر الطعم وانشد جعلت اعراض الكرام سكرا
اي تنقلت باعراضهم وقيل هو من الخمر وانه اذا اتبرك في اعراض الناس فكانه تخمر بها والرزق
الحسن الخل والدب والتمر والزبيب وغير ذلك ويجوز ان يجعل السكر رزقا حسنا
كانه قيل تتخذون منه ما هو سكر ورزق حسن الايحاء الى النحل الهامها والقذف في قلوبها
وتعليمها على وجه هو اعلم به ولا سبيل لاحد الى الوقوف عليه والا فنيقتها ولطفها في تدبير
امرها واصابتها فيما يصلحها دلائل بينة شاهدة على ان الله اودعها علما بذلك وفطنها
كما اولى اولي العقول عقولهم وقرا يحيى بن وثاب الى النحل بفتحتين وهو مذكر كالنخل وتانيثه
على المعنى ان اتخذي هي ان المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول وقرئ بيوتا بكسر الباء لاجل الياء
ويعرشون بكسر الراء وضمها اي يرفعون من سقوف البيوت وقيل ما يبنون للنحل في الشجر
والجبال والبيوت من الاماكن التي تتعسل فيها والضمير في يعرشون للناس فان قلت ما معنى من
في قوله ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون وهلا قيل في الجبال وفي الشجر قلت
اريد معنى البعضية وان لا تبني في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش ولا في كل مكان منها من كل
الثمرات احاطة بالثمرات التي تحرسها النحل وتعتاد اكلها اي ابني البيوت ثم كلي كل ثمرة تشتهينها
فاذا اكلتها فاسلكي سبل ربك الى الطرق التي افهمك والهمك في عمل العسل او فاسلكي ما اكلت

اي اذا لم يقصد به التلهي

اي صار شيخا

الدعارة الخبث والداعر الخبيث

بيوتها

في سبل ربك اي في مسالكه التي تحيل فيها بقدرته النور المر عسلا من اجوافك ومنافذ ما اكلك
او اذا اكلت الثمار في المواضع البعيدة من بيوتك فاسلكي الى بيوتك راجعة سبل ربك
لا تتوعر عليك ولا تضلين فيها فقد بلغني انها ربما اجدب عليها ما حولها فتسافر الى البلد
البعيد في طلب النجعة او اراد بقوله ثم كلي ثم اقصدي اكل الثمرات فاسلكي في طلبها في مظانها
سبل ربك ذللا جمع ذلول وهي حال من السبل لان الله ذللها لها ووطاها وسهلها كقوله
هو الذي جعل لكم الارض ذلولا او من الضمير في فاسلكي اي وانت ذلل منقادة لما امرت به غير ممتنعة
شراب يريد العسل لانه مما يشرب مختلف الوانه منه ابيض واصفر واحمر واسود فيه شفاء
للناس لانه من جملة الاشفية والادوية المشهورة النافعة وقل معجون من المعاجين لم يذكر
الاطباء فيه العسل وليس الغرض انه شفاء لكل مريض كما ان كل دواء كذلك وتنكيره اما
اما لتعظيم الشفاء الذي هو فيه او لان فيه بعض الشفاء وكلاهما محتمل وعن النبي صلى الله عليه وسلم
ان رجلا جاء اليه فقال ان اخي يشتكي بطنه فقال اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد
سقيته فما نفع فقال اذهب واسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه الله
فبرا كانما انشط من عقال وعن ابن مسعود العسل شفاء من كل داء والقران شفاء لما
في الصدور فعليكم بالشفائين القران والعسل ومن تاويلات الرافضة ان المراد بالنحل
علي رض وقومه وعن بعضهم انه قال عند المهدي انما النحل بنو هاشم يخرج من بطونهم العلم
فقال له رجل جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطونهم فضحك المهدي وحدث به اباه المنصور
فاتخذوه بينهم اضحوكة من اضاحيكهم الى ارذل العمر الى احسه واحقره وهو خمس وسبعون
سنة عن علي رض وتسعون سنة عن قتادة لانه اسوا حالا من عمر الهرم لكيلا يعلم بعد علم شيئا
ليصير الى حالة شبيهة بحال الطفولة في النسيان وان يعلم شيئا ثم يسرع في نسيانه فلا يعلمه
ان سئل عنه وقيل لئلا يعقل من بعد عقله الاول شيئا وقيل لئلا يعلم زيادة علم على علمه اي
جعلكم متفاوتين في الرزق فرزقكم اكثر مما رزق مماليككم وهو بشر مثلكم واخوانكم فكان ان تردوا
فضل ما رزقتموه عليهم حتى يتساووا في الملبس والمطعم كما يحكى عن ابي ذر رض انه سمع رسول الله صلعم
يقول انما هم اخوانكم فاكسوهم مما تلبسون واطعموهم مما تطعمون فما روي عبده بعد ذلك الا
ورداه رداؤه وازاره ازاره من غير تفاوت افبنعمة الله يجحدون جعل ذلك من جملة جحود النعمة وقيل
هو مثل ضربه الله تعالى للذين جعلوا له شركاء فقال لهم انتم لا تسوون بينكم وبين عبيدكم

اراد مهدي بن هارون الخليفة الذي اقعد له الكسائي مؤدبا

فيما انعمت

فيما انعمت به عليكم ولا تجعلونهم فيه شركاء ولا ترضون ذلك لانفسكم فكيف رضيتم ان تجعلوا
عبيدي لي شركاء وقيل المعنى ان الموالي والمماليك انا رازقهم جميعا فهم في رزقي سواء فلا تحسبن
الموالي انهم يردون على مماليكهم من عندهم شيئا من الرزق وانما ذلك رزقي اجريه اليهم على ايديهم
وقرئ يجحدون بالياء والتاء من انفسكم من جنسكم وقيل هو خلق حوا من ضلع آدم عليهما السلام
الحفدة جمع حافد وهو الذي يحفد اي يسرع في الطاعة والخدمة ومنه قول القانت واليك نسعى
ونحفد قال الشاعر حفد الولائد بينهن واسلمت باكفهن ازمة الاجمال واختلف
فيهم فقيل هم الاختان على البنات وقيل اولاد الاولاد وقيل اولاد المراة من الزوج الاول وقيل
المعنى وجعل لكم حفدة اي خدما يحفدون في مصالحكم ويعينونكم ويجوز ان يراد بالحفدة البنون
انفسهم كقوله سكرا ورزقا حسنا كانه قيل وجعل لكم منهن اولادا هم بنون وهم حافدون
اي جامعون بين الامرين من الطيبات يريد بعضها لان كل الطيبات في الجنة وما طيبات
الدنيا الا انموذج منها افبالباطل يؤمنون وهو ما يعتقدون من منفعة الاصنام وبركتها
وشفاعتها وما هو الا وهم باطل لم يتوصلوا اليه بدليل ولا امارة فليس لهم ايمان الا به كانه
شيء معلوم مستيقن ونعمة الله المشاهدة المعاينة التي لا شبهة فيها لذي عقل وتمييزهم كافرون
بها منكرون لها كما ينكر المحال الذي لا يتصوره العقول وقيل الباطل ما يسول لهم الشيطان
من تحريم البحيرة والسائبة وغيرهما ونعمة الله ما احل لهم الرزق يكون بمعنى المصدر وبمعنى ما يرزق
فان اردت المصدر نصبت به شيئا كقوله او اطعام يتيما او مسكينا على لا يملك على ان يرزق
شيئا وان اردت المرزوق كان شيئا بدلا منه بمعنى قليلا ويجوز ان يكون تاكيدا للا يملك
اي لا يملك شيئا من الملك ومن السموات والارض صلة للرزق ان كان مصدرا بمعنى لا يرزق من
السموات مطرا ولا من الارض نباتا او صفة ان كان اسما لما يرزق والضمير في ولا يستطيعون
لما لانه في معنى الالهة بعد ما قيل لا يملك على اللفظ ويجوز ان يكون للكفار يعني ولا يستطيع
هؤلاء مع انهم احياء متصرفون اولوا الباب من ذلك شيئا فكيف بالجماد الذي لا حس به
فان قلت ما معنى قوله ولا يستطيعون بعد قوله لا يملك وهل هما الا شيء واحد قلت ليس في لا يستطيعون
تقدير راجع وانما المعنى لا يملكون ان يرزقوا والاستطاعة منفية عنهم اصلا لانهم موات الا ان تقدر الراجع
ويراد بالجمع بين نفي الملك والاستطاعة التوكيد او يراد انهم لا يملكون الرزق ولا يمكنهم ان يملكوه ولا
يتاتى ذلك فيهم فلا يستقيم فلا تضربوا لله الامثال تمثيل للاشراك بالله والتشبيه به لانه من يضرب

الامثال مشبهة حالا من بحال وقصة بقصة ان الله يعلم كنه ما تفعلون وعظمه وهو معاقبكم
عليه بما يوازيه في العظم لان العقاب على مقدار الاثم وانتم لا تعلمون كنهه وكنه عقابه فذاك هو
الذي جركم اليه وجراكم عليه فهو تعليل للنهي عن الشرك ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله الامثال
ان الله يعلم كيف تضرب الامثال وانتم لا تعلمون ثم علمهم كيف تضرب فقال مثلكم في اشراككم
بالله الاوثان مثل من سوى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف وبين حر مالك قد رزقه الله
مالا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف شاء فان قلت لم قال مملوكا لا يقدر على شيء وكل عبد مملوك
غير قادر على التصرف قلت اما ذكر المملوك فليميز من الحر لان اسم العبد يقع عليهما جميعا لانهما
من عباد الله واما لا يقدر على شيء فيجعل غير مكاتب ولا ماذون له لانهما يقدران على التصرف واختلفوا
في العبد هل يصح له ملك والظاهر انه لا يصح له فان قلت من في قوله ومن رزقناه ما هي قلت
الظاهر انما هو موصوفه كانه قيل وحرا رزقناه ليطابق عبدا ولا يمتنع ان يكون موصولة فان قلت
لم قيل يستوون على الجمع قلت معناه هل يستوي الاحرار والعبيد الا بكم الذي ولد اخرس
لا يفهم ولا يفهم وهو كل على مولاه اي ثقل وعيال على من يلي امره ويعوله اينما يوجهه حيثما يصرفه
ويرسله في مطلب الحاجة او كفاية مهم لم ينفع ولم يات بنجح هل يستوي هو ومن هو سليم الحواس
نفاع ذو كفايات مع رشد وديانة فهو يامر الناس بالعدل والخير وهو في نفسه على صراط مستقيم
على سيرة صالحة ودين قويم وهذا مثل ثان ضربه لنفسه ولما يفيض على عباده ويشملهم من اثار
رحمته والطافه ونعمه الدينية والدنيوية وللاصنام التي هي اموات لا تضر ولا تنفع وقرئ اينما
يوجه بمعنى اينما يتوجه من قولهم اينما اوجه الق سعدا وقرا ابن مسعود اينما يوجه على البناء
للمفعول ولله غيب السموات والارض اي يختص به علم ما غاب فيهما عن العباد وخفي عليهم علمه
او اراد بغيب السموات والارض يوم القيامة على ان علمه غائب عن اهل السموات والارض لم يطلع
عليه احد من علمه الا كلمح البصر او هو اقرب اي هو عند الله وان تراخى كما تقولون انتم في الشيء
الذي يستقربونه هو كلمح البصر او هو اقرب اذا بالغتم في استقرابه ونحوه قوله ويستعجلونك
بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون اي هو عنده دان
وهو عندكم بعيد وقيل المعنى ان اقامة الساعة واماتة الاحياء واحياء الاموات من الاولين والاخرين
يكون في اقرب وقت واوحاه ان الله على كل شيء قدير فهو يقدر على ان يقيم الساعة ويبعث
الخلق لانه بعض المقدورات ثم دل على قدرته بما بعده قرئ امهاتكم بضم الهمزة وكسرها والهاء

مزيدة في امات

مزيدة في امات كما زيدت في اراق فقيل اهراق وشذت زيادتها في الواحدة قال
امهتي خندف والياس ابي لا تعلمون شيئا في موضع الحال ومعناه غير عالمين شيئا من حق المنعم الذي
خلقكم في البطون وسواكم وصوركم ثم اخرجكم من الضيق الى السعة وقوله وجعل لكم معناه وما
ركب فيكم هذه الاشياء الا الات لازالة الجهل الذي ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به من
شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه والترقي الى ما يسعدكم والافئدة في فؤاد كالاغربة في غراب
وهو من جموع القلة التي جرت مجرى جموع الكثرة والقلة اذ لم يرد في السماع غيرها كما جاء شسوع
في جمع شسع لا غير فجرت ذلك المجرى قرئ الم يروا بالياء والتاء مسخرات مذللات للطيران
بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المواتية لذلك والجو الهواء المتباعد من الارض في سمت العلو
والسكاك ابعد منه واللوح مثله ما يمسكهن في قبضهن وبسطهن ووقوفهن الا الله بقدرته
من بيوتكم التي تسكنونها من الحجر والمدر والاخبية وغيرها والسكن فعل بمعنى مفعول وهو
ما يسكن اليه وينقطع اليه من بيت او الف بيوتا هي القباب والابنية من الادم والانطاع
تستخفونها ترونها خفيفة المحمل في الضرب والنقض والنقل يوم ظعنكم ويوم اقامتكم اي يوم ترحلون
خف عليكم حملها ونقلها ويوم تنزلون وتقيمون في مكان لم يثقل عليكم ضربها او هي خفيفة
عليكم في اوقات السفر والحضر جميعا على ان اليوم بمعنى الوقت ومتاعا الى حين وشيئا ينتفع
به الى ان تقضوا منه اوطاركم او الى ان يبلى ويفنى او الى تموتوا وقرئ يوم ظعنكم بالسكون
مما خلق من الشجر وسائر المستظلات اكنانا جمع كن وهو يستكن به من البيوت المنحوتة
في الجبال والغيران والكهوف سرابيل هي القمصان والثياب من الصوف والكتان والقطن
وغيرها تقيكم الحر لم يذكر البرد لان الوقاية من الحر اهم عندهم وقلما يهمهم البرد لكونه
يسيرا محتملا وقيل ما يقي من الحر يقي من البرد فدل ذكر الحر على البرد وسرابيل تقيكم باسكم
يريد الدروع والجواشن والسربال عام يقع على ما كان من حديد وغيره لعلكم تسلمون
اي تنظرون في نعمته الفائضة فتؤمنون به وتنقادون له وقرئ تسلمون من السلامة اي
تشكرون فتسلمون من العذاب او تسلم قلوبكم من الشرك وقيل تسلمون من الجراح بلبس
الدروع فان تولوا فلم يقبلوا منك فقد تمهد عذرك بعد ما اديت ما وجب عليك من التبليغ
فذكر سبب العذر وهو البلاغ ليدل على المسبب يعرفون نعمة الله التي عددناها حيث يعترفون
بها وانها من الله ثم ينكرونها بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم هي من الله ولكنها بشفاعة الهنا وقيل انكارهم

قولهم ورثناهم من ابائنا وقيل قولهم لولا فلان ما اصبت كذا لبعض نعم الله وانا لا يجوز التكلم بنحو هذا اذا لم يعتقد انها من الله وانه اجرا على يد فلان وجعله في نيلها واكثرهم الكافرون اي الجاحدون عين المعترفين وقيل نعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يعرفونها ثم ينكرونها عنادا واكثرهم الجاحدون النكرون بقلوبهم فان قلت ما معنى ثم قلت الدلالة على انكارهم امر مستبعد بعد حصول المعرفة لان من عرف النعمة ان يعترف لا ان ينكر شهيدا نبيها يشهد لهم وعليهم بالايمان والتصديق والكفر والتكذيب ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار والمعنى لا حجة لهم فقد استنفد الاذن على ان لا حجة لهم وللعذر وكذلك الجن ح لا ولا هم يستعتبون ولا هم يرضون اذ لا يقال لهم ارضوا ربكم لان الآخرة ليست بدار عمل فان قلت فما معنى ثم هنا انهم يمنون بعد شهادة الانبياء عليهم السلام بما هو اعظم منها وهو انهم يمنعون الكلام فلا يؤذن لهم في القاء معذرة ولا اذلا بحجة وانتصاب اليوم بمحذوف تقديره واذكر يوم نبعث او يوم نبعث وقعوا فيما وقعوا فيه وكذلك اذا دوا الغراب بغتهم وثقل عليهم فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون كقوله بل تاتيهم بغتة فتبهتهم الآية ان ارادوا بالشركاء آلهتهم فعنى شركاؤنا آلهتنا دعونا هم شركاء وان ارادوا الشياطين فلانهم شركاؤهم في الكفر وقد ناؤهم في الغي وقوعا بعني بغيهم فان قلت ثم قالوا انكم لكاذبون وكانوا يعبدونهم على الصحة قلت لما كانوا غير راضين بعبادتهم وكانت عبادتهم لم تكن عبادة والدليل عليه قول الملائكة كانوا يعبدون الجن يعنون ان الجن كانوا راضين بعبادتهم لا نحن فهم المعبودون دونا او كذبوهم في تسميتهم شركاء والهة تنزيها لله تعالى من الشريك وان اريد بالشركاء الشياطين جاز ان يكونوا كاذبين كما يقول الشيطان اني كفرت بما اشركتموني من قبل والقوا بعني الذين طغوا والقاء السلم الاستسلام لامر الله تعالى وحكمه بعد الاباء والاستكبار في الدنيا وضل عنهم وبطل عنهم ما كانوا يفترون من ان لله شركاء وانهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وبترءوا منهم الذين كفروا في انفسهم وحملوا غيرهم على الكفر يضاعف الله عقابهم كما ضاعف كفرهم وقيل في زيادة عذابهم حيات امثال البخت وعقارب امثال البغال تلسع احداهن اللسعة فيجد صاحبها حمتها اربعين خريفا وقيل تخرج من النار الى الذين هم يقتبادرون من شدة بدده الى النار بما كانوا يفسدون بكونهم مفسدين الناس بصدهم عن سبيل الله نشهد لعليهم ضد الفهم يعني بيناتهم لانه كان يبعث نبيا الا منهم منهم وجئناك يا محمد على هؤلاء على امتك شهيدا بيانا بليغا ونظيره تبيان تلقاء في كل اول وقد جوز الزجاج فتحه في غير القرآن فان قلت كيف كان القرآن تبيانا لكل شيء

قلت المعنى انه بين كل شيء من امور الدين حيث كان نصا على بعضها واحالة على السنة حيث امر فيه باتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاعته وقبل وما ينطق عن الهوى وحثا على الاجماع في قوله ويتبع غير سبيل المؤمنين وقد رضي رسول الله صلى الله عليه وسلم لامته اتباع اصحابه والاقتداء بهم وبانارهم في قوله اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا وقاسوا ووطاوا وطرق القياس والاجتهاد فكانت السنة والاجماع والقياس والاجتهاد مستندة الى بيان الكتاب من ثم كان بتبيانا لكل شيء العدل هو الواجب لان الله عدل فيه على عباده فجعل ما فرضه عليهم واقعا تحت طاقتهم والاحسان الندب وانما علق امره بهما جميعا لان الفرض لا بد من ان يقع فيه تفريط فيجبره الندب وكذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتوا منه ما استطعتم والله لازيد فيها ولا انقصت افلح الرجل ان صدق فعقد الفعل بشرط الصدق والسلامة من التفريط وقال عليه السلام استقيموا ولن تحصوا فما ينبغي ان يترك ما يمكن كما ترك التفريط من النوافل والفحشاء ما جاوز حدود الله والمنكر ما تنكره العقول والبغي طلب التطاول بالظلم وحسبن اسقطت من الحظب لعنة اللاعنين على امير المؤمنين رضي الله عنه اقيمت من الآية مقامها ولعمري انها كانت فاحشة ومنكرا وبغيا ضاعف الله على من سنها غضبا ونكالا وخزيا اجابة لدعوة نبيه وعاد من عاداه وكانت سبب اسلام عثمان بن مظعون عهد الله هو البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ولا تنقضوا ايمان البيعة بعد توكيدها اي بعد توثيقها باسم الله والكد والتوكيد لغتان فصيحتان والاصل الواو والهمزة بدل كفيلا شاهدا ورقيبا لان الكفيل مراع لحال المكفول به مهيمن عليه ولا تكونوا في نقض الايمان كالمراة التي اخذت على غزلها بعد ان احكمته وابرمته فحللته انكاثا جمع نكث وهو ما ينكث فتله قيل هي ريطة بنت سعد بن تيم وكانت خرقاء اتخذت معدلا قدر ذراع وصنارة مثل اصبع وفلكة عظيمة على قدرها وكانت تغزل هي وجواريها من الغداة الى الظهر ثم تامرهن فينقضن ما غزلن تتخذون حال ودخلا احد مفعولي اتخذ يعني ولا تفضوا ايمانكم متخذين بها دخلا بينكم اي مفسدة ودغلا ان يكون امة بسبب ان تكون امة يعني جماعة قويت هي ازيد من امة هي ازيد عددا او قوما لا من امة من جماعة المسلمين انما يبلوكم الله الضمير لفعله ان تكون امة لانه في معنى المصدر اي انما يختبركم بكونهم اربى ليتظر اتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وما عقدتم على انفسكم وكدتم من ايمان البيعة لرسول الله ام تغترون بكثرة قريش وثروتهم وقوتهم وقلة المؤمنين وفقرهم وضعفهم وليبين

لكم انذار وتحذير من مخالفة ملة الاسلام ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة حنيفة ملة على طريق الالجاء والاضطرار وهو قادر على ذلك ولكن الحكمة اقتضت ان يضل من يشاء وهو ان يخذل من علم انه يختار الكفر ويصح عليه ويهدي من يشاء وهو ان يلطف عن علم انه يختار الايمان يعني انه نبي الامر على الاختيار وعلما يستحق به اللطف والخذلان والثواب والعقاب ولم ينبه على الاجبار الذي لا يستحق به شيء من ذلك وحققه بقوله ولتسألن يوم القيامة عما كنتم تعملون ولو كان هو المضطر الى الضلال والاهتداء لما اثبت لهم عملا يسألون عنه ثم كرر النهي عن اتخاذ الايمان دخلا بينهم تاكيدا عليهم واظهارا لفظيع ما يركب منه فتزل قدم بعد ثبوتها فتزل اقدامكم عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها وتذوقوا السوء في الدنيا بصدودكم عن سبيل الله وخروجكم من الدين او بصدكم غيركم لانهم لو نقضوا ايمان البيعة وارتدوا لاتخذوا نقضها سنة لغيرهم يستنون بها ولكم عذاب عظيم في الآخرة كان قوم من اسلم بمكة زين لهم الشيطان لجزعهم مما رأوا من غلبة قريش واستضعافهم المسلمين وايذائهم لهم ولما كانوا يعدونهم ان رجعوا من الموعد ان تنقضوا ما بايعوا عليه رسول الله فنبههم الله ولا تشتروا ولا تستبدلوا بعهد الله وبيعة رسوله ثمنا قليلا عرضا من الدنيا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدونهم ويمنونهم ان رجعوا ان ما عند الله من اظهاركم وتمكينكم من ثواب الآخرة خير لكم مما عندكم من اعراض الدنيا ينفد وما عند الله من خزائن رحمته باق لا ينفد ومنع بالنون والياء الذين صبروا على اذى المشركين ومشاق الاسلام فان قلت لم وحدت القدم ونكرت قلت لاستعظام ان تزل قدم واحدة عن طريق الحق بعد ان ثبتت عليه فكيف باقدام كثيرة فان قلت من متناول النفي للتذكير والانثى فما معنى تبيينه بها قلت هو مبهم صالح على الاطلاق للنوعين الا انه اذا ذكر كان اظهر تناولا للتذكير فقيل من ذكر او انثى على التبيين ليعم الموعد للنوعين جميعا حياة طيبة يعني في الدنيا وهو الظاهر لقوله ولنجزينهم وعده الله ثواب الدنيا والآخرة كقوله فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة وذلك ان المؤمن مع العمل الصالح موسرا كان او معسرا يعيش عيشا طيبا ان كان موسرا فلا مقال فيه وان كان معسرا قنع بما يطيب عيشه وهو القناعة والرضى بقسمة الله واما الفاجر فامده على العكس ان كان معسرا فلا اشكال وان كان موسرا فالحرص لا يدعه ان يتهنا بعيشه وعن ابن عباس الحياة الطيبة الرزق الحلال وعن الحسن القناعة وعن قتادة يعني في الجنة وقيل هي حلاوة الطاعة والتوفيق في قلبه لما ذكر العمل الصالح ووعد عليه

وصل به

وصل به قوله فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله ايذانا بان الاستعاذة من جملة الاعمال الصالحة التي يحمد الله عليها الثواب والمعنى فاذا اردت قراءة القرآن فاستعذ بالله كقوله اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم كقولك اذا اكلت فسم الله تعالى فان قلت لم عبر عن ارادة الفعل بلفظ الفعل قلت لان الفعل يوجد عند القصد والارادة بغير فاصل وعلى حسبه فكان منه بسبب قوي وملابسة ظاهرة وعن عبد الله مسعود قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم فقال يا ابن ام عبد قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرانيه جبريل عليه السلام عن القلم عن اللوح المحفوظ ليس له سلطان اي تسلط وولاية على اولياء الله يعني انهم لا يقبلون ولا يطيعونه فيما يريد منهم من اتباع خطواته انما سلطانه على من يطيعه به مشركون الضمير راجع الى ربهم ويجوز ان يرجع الى الشيطان على معنى بسببه تبديل الآية مكان الآية هو النسخ والله تعالى ينسخ الشرايع بالشرايع لانها مصالح وما كان مصلحة امس يجوز ان يكون مفسدة اليوم وخلافه والله تعالى عالم بالمصالح كلها والمفاسد فيثبت ما يشاء وينسخ ما يشاء بحكمته وهذا معنى قوله والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر وجدوا مدخلا للطعن فطعنوا ولذلك جهلهم وبعدهم عن العلم بالناسخ والمنسوخ وكانوا يقولون ان محمدا يسخر من اصحابه يأمرهم اليوم بامر وينهاهم عنه غدا فيأتيهم بما هو اهون منه ولغدافترا فقد نسخ الاشق بالاهون والاهون بالاشق والاهون بالاهون والاشق بالاشق لان الغرض المصلحة لا الهوان والمشقة فان قلت هل في ذكر تبديل الآية بالآية دليل على ان القرآن انما ينسخ بمثله ولا يصح بغيره من السنة والاجماع والقياس قلت فيه ان قد ينسخ بمثله وليس فيه نفي نسخه بغيره على ان السنة المكشوفة التواندة مثل القرآن في ايجاب العلم فنسخه بها كنسخه بمثله واما الاجماع والقياس والسنة الغير القطعية بها فلا يصح نسخ القرآن بها في ينزل ونزله وما فيهما من التنزيل شيئا فشيئا على حسب الحوادث والمصالح اشارة الى ان التبديل من باب المصالح كالتنزيل وان ترك النسخ بمنزلة انزاله دفعة واحدة في خروجه عن الحكمة وروح القدس جبريل عليه السلام اضيف الى القدس وهو الطهر كما يقال حاتم الجود وزيد الخير والمراد الروح المقدس وحاتم الجواد وزيد الخير والقدس المطهر من الاثم وقرئ بضم الدال وسكونها بالحق في موضع الحال اي نزله ملتبسا بالحكمة يعني ان النسخ من جملة الحق ليثبت الذين آمنوا ليبلوهم بالنسخ حتى اذا قالوا فيه هو الحق والحكمة

من ربنا حكم لهم بثبات القدم وصحة اليقين وطمأنينة القلوب على ان الله تعالى حكيم فلا يفعل الا
ما هو حكمة وصواب وهدى وبشرى مفعول لهما معطوفان على محل ليثبت والتقدير تثبيتا لهم وارشادا
وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد هذه الخصال لغيرهم وقرئ ليثبت بالتخفيف ارادوا
بالبشر غلاما كان لحويطب بن عبد العزى وحسن اسلامه اسمه عايش او يعيش وكان صاحب
كتب وقيل هو حبر غلام رومي كان لعامر بن الحضرمي وقيل عبدان حبر ويسار كانا يصنعان
السيوف بمكة ويقرآن التورية والانجيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مر وقف عليهما يسمع
ما يقرآن فقالوا يعلمانه فقيل لاحدهما فقال بل هو يعلمني وقيل هو سلمان الفارسي واللسان
اللغة ويقال الحد القبر ولحده وهو ملحد وملحود اذا مال حفره عن الاستقامة فحفر في شق
منه ثم استعير لكل امالة عن استقامة فقالوا الحد فلان في قوله والحد في دينه ومنه الملحد لانه امال
مذهبه عن الاديان كلها لم يمله عن دين الى دين والمعنى لسان الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة
اليه لسان اعجمي غير بين وهذا القرآن عربي مبين ذو بيان وفصاحة ردا لقولهم وابطالا لطعنهم
وقرئ يلحدون بفتح الياء والحاء في قراءة الحسن الذي يلحدون اليه بتعريف اللسان فان قلت
الجملة التي هي قوله لسان الذي يلحدون اليه اعجمي ما محله قلت لا محل لها لانه مستأنفة جواب لقولهم ومثله
قوله الله اعلم حيث يجعل رسالته بعد قوله واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي
رسل الله ان الذين لا يؤمنون بآيات الله اي يعلم الله منهم انهم لا يؤمنون لا يهديهم الله لا يلطف بهم
لانهم من اهل الخذلان في الدنيا والعذاب في الآخرة لا من اهل اللطف والثواب انما يفتري الكذب
رد لقولهم انما انت مفتر يعني انما يليق افتراء الكذب بمن لا يؤمن لانه لا يترقب عقابا عليه
واولئك اشارة الى قريش هم الكاذبون اي هم الذين لا يؤمنون فهم الكاذبون على الحقيقة
الكاملون في الكذب لان تكذيب آيات الله اعظم الكذب او اولئك هم الذين عادتهم الكذب
لا يبالون به في كل شيء لا تحجبهم عنه مروة ولا دين او اولئك هم الكاذبون في قولهم انما انت مفتر
من كفر بدل من الذين لا يؤمنون بآيات الله على ان تجعل واولئك هم الكاذبون اعتراضا بين
البدل والمبدل منه والمعنى انما يفتري الكذب من كفر بالله من بعد ايمانه واستثنى منهم المكره فلم
يدخل تحت حكم الافتراء ثم قال ولكن من شرح بالكفر صدرا اي طاب به نفسا واعتقده فعليهم غضب
من الله ويجوز ان يكون بدلا من المبتدأ الذي هو اولئك على ومن كفر بالله بعد ايمانه هم الكاذبون
او من الخبر الذي هو الكاذبون على واولئك هم من كفر بالله من بعد ايمانه ويجوز ان ينتصب على

الذم

الذم وقد جوزوا ان يكون من كفر بالله شرطا مبتدأ ويحذف جوابه لان جواب من شرح دال عليه
قبل من كفر بالله فعليه غضب الا من اكره ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب روي
ان ناسا من اهل مكة فتنوا فارتدوا عن الاسلام بعد دخولهم فيه وكان فيهم من اكره فاجرى
كلمة الكفر على لسانه وهو معتقد للايمان منهم عمار وابواه ياسر وسمية وصهيب وبلال وخباب
وسالم عذبوا فاما سمية فقد ربطت بين بعيرين ووجئ في قبلها بحربة وقالوا انك اسلمت
من اجل الرجال فقتلت وقتل ياسر وهما اول قتيلين في الاسلام اما عمار فقد اعطاهم ما ارادوا
بلسانه مكرها فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط
الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
يمسح عينيه وقال ما لك ان عادوا لك فعد بما قلت لك ومنهم حبر مولى الحضرمي اكره سيده
فكفر ثم اسلم مولاه واسلم وحسن اسلامهما وهاجرا فان قلت اي الامرين افضل افعل عمار
ام فعل ابويه قلت بل فعل ابويه لان في ترك التقية والصبر على القتل اعزازا للاسلام وقد روي
ان مسيلمة اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في قال
انت ايضا فخلاه فقال للآخر ما تقول في محمد قال رسول الله قال ما تقول في قال انا اصم فاعاد
عليه ثلاثا فاعاد جوابه فقتله فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما الاول فقد اخذ برخصة
الله واما الثاني فقد صدع بالحق فهنيئا له ذلك اشارة الى الوعيد وان العذاب والغضب
تلحقانهم بسبب استحبابهم الدنيا على الآخرة واستحقاقهم خذلان الله بكفرهم اولئك هم الغافلون
الكاملون في الغفلة الذين لا احد اغفل منه لان الغفلة عن تدبير العواقب هي غاية الغفلة ومنتهاها
ثم ان ربك دلالة على تباعد حال هؤلاء من حال اولئك وهم عمار واصحابه ومعنى ان ربك
لهم انه لهم لا عليهم بمعنى انه وليهم وناصرهم لا عدوهم وخاذلهم كما يكون الملك للرجل لا عليه فيكون
محميا منفوعا غير مضرور من بعد ما فتنوا بالعذاب بالاكراه على الكفر وقرئ فتنوا على البناء
للفاعل اي بعد ما عذبوا المؤمنين كالحضرمي واشباهه من بعدها من بعد هذه الافعال وهي
الهجرة والجهاد والصبر يوم تأتي منصوب برحيم او باضمار اذكر فان قلت ما معنى النفس المضافة
الى النفس قلت يقال لعين الشيء وذاته نفسه وفي نقيضه غيره والنفس الجملة كما هي
فالنفس الاولى هي الجملة والثانية عينها وذاتها فكانه قيل يوم تأتي كل انسان يجادل عن ذاته
لا يهمه شأن غيره كل يقول نفسي نفسي ومعنى المجادلة عنها الاعتذار عنها كقوله هؤلاء اضلونا ما كنا
مشركين

اي نفسي هي المعني بها لا غيرها

قال عمار ما خلوني حتى نلت منك فقال عليه السلام كيف وجدت قلبك قال مطمئن بالايمان فقالوا ان عادوا لك الى آخره

قال عم ان الله تعالى يحب ان يؤتى برخصه كما يؤتى بعزائمه

ونحو ذلك **وضرب الله مثلا قرية** اى جعل القرية التى من حالها مثلا لكل قوم انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا ولم يقوموا فانزل الله بهم نقمته فجوزان تراد قرية معينة على معنى الصفة وان تكون فى قدمى الاولين قرية كانت من حالها فضربها الله مثلا لاهل مكة انذارا من مثل عاقبتها **مطمئنة** لا يبغيها خوف لان الاطمئنينة مع الامن والانزعاج والقلق مع الخوف **رغدا** واسعا والانعم جمع نعيم على ندب الاعتداد بالتاء كذرع واذرع او جمع نعم كبؤس وابؤس وفى الحديث نادى منادى النبى صلع بالموسم يعنى انها ايام طعم ونعم فلا تصوموا **فان قلت** الاذاقة واللباس استعارتان فما وجه صحتهما والاذاقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار فما وجه صحة ايقاعها عليه **قلت** اما الاذاقة فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها فى الشدايد والبلايا وما عم الناس منها فيقولون ذاق فلان البؤس والضر واذاقه العذاب لشبه ما يدرك من اثر القر والالم بما يدرك من طعم المر والبشع واما اللباس فقد شبه به لاشتماله على الاشياء ما غشى الانسان والتبس به من بعض الحوادث واما ايقاع الاذاقة على لباس الجوع والخوف فلانه لما وقع عبارة عما يغشى منهما ويلابس بحكانه قيل فاذاقهم ما غشيهم من الجوع والخوف ولهم فى نحو هذا طريقان لابد من الاحاطة بهما فان الاستعارة لا يقع الا بين فقدهما احدهما ان ينظر وا فيه الى المستعار له كما ينظر اليه ههنا ونحوه قول كثير

غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا ... غلقت لضحكته رقاب المال

استعار الرداء للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء ما يلقى عليه ووصفه بالغمر الذى هو وصف المعروف والنوال لاصقة الرداء نظرا الى المستعار له والثانى ان ينظروا فيه الى المستعار كقوله

يمازحنى عبد عمرو رويدك ... اراد بردائه سيفه ثم قال فاعجل منه بشطه ... فلكت بينى ودونك فاعجل منه بشطه

فنظر الى المستعار فى لفظ الاعجال ولو نظر اليه فيما نحن فيه لقيل فكساهم لباس الجوع والخوف وقال كثير ضاحكا فى الرداء اذا تبسم ضاحكا **وهم ظالمون** فى حال الالتباس بالظلم كقوله الذين توفاهم الملائكة ظالمى انفسهم نعوذ بالله من مفاجاة النقمة والموت على الغفلة وقرئ والخوف عطفا على اللباس على تقدير حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ولباس الخوف وقرئ لباس الخوف والجوع لما وعظهم بما ذكر من حال القرية وما اتيت به من كفرها وسوء صنيعها وصل بذلك بالفاء فقوله **فكلوا** صدهم عن افعال الجاهلية ومذاهبهم الفاسدة التى كانوا عليها بان امرهم بما رزقهم الله من الحلال الطيب وشكر انعامه بذلك **ان كنتم اياه تعبدون** يعنى تطيعون او ان صحت زعمكم انكم تعبدون الله بعبادة الآلهة لانها شفعاؤكم عنده ثم عدد عليهم محرمات الله ونهاهم عن تحريمهم وتحليلهم باهوائهم

وجها لانهم

وجهالاتهم دون اتباع ما شرع الله على لسان انبيائه وانتصاب الكذب بلا تقولوا اعلم ولا تقولوا الكذب لما تصفه السنتكم من البهايم بالحل والحرمة فى قولكم ما فى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا من غير استناد ذلك الوصف الى وحى من الله او الى قياس مستند اليه والام متعلقة بقولكم ولا تقولوا لما احل الله هو حرام وقوله هذا حلال وهذا حرام بدل من الكذب ولكن انتصب الكذب بتصفه وجعل ما مصدرية وتعلق هذا حلال وهذا حرام بلا تقولوا اعلم ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام بوصف السنتكم الكذب اى لا تحرموا ولا تحللوا لاجل قول تنطق به السنتكم وبحول فى افواهكم لاجل حجة بينة ولكن قول ساذج ودعوى فارغة **فان قلت** ما معنى وصف السنتهم الكذب **قلت** هو من فصيح الكلام وبليغه جعل قولهم كانه عين الكذب ومحضه فاذا نطقت به السنتهم فقد حلت الكذب بحليته وصورته بصورته كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر وقرئ الكذب بالجر صفة لما المصدرية كانه قيل لوصفها الكذب يعنى الكاذب كقوله تعالى بدم كذب والمراد بالوصف وصفها البهايم بالحل والحرمة وقرئ الكذب بالرفع جمع كذوب صفة للالسنة وبالنصب على الشتم او بمعنى الكلم الكواذب من قولهم كذب كذابا ذكره ابن جنى والام فى لتفتروا من التعليل الذى لا يتضمن معنى الغرض **متاع قليل** خبر مبتدا محذوف اى منفعتهم فيما هم عليه من افعال الجاهلية منفعة قليلة وعقابها عظيم **ما قصصنا عليك** يعنى فى سورة الانعام **بهائم** فى موضع الحال اى علموا السوء جاهلين غير عارفين بالله وبعقابه او غير مميزين للعاقبة لغلبة الشهوة عليهم **من بعدها** من بعد التوبة **كان امة** فيه وجهان احدهما انه كان وحده امة من الامم لكماله فى جميع صفات الخير كقوله **ولم نك نستكبر ان يجمع العالم** وعن مجاهد كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار والثانى ان يكون امة بمعنى مأموما اى يؤتم الناس به واحد من الناس لانه كان يعلم الخير ويعمل به ويدعو اليه من قولهم فلان لا يستنكف ان يجمع العلم او بمعنى موضع به كالدخلة والنخبة وما اشبه ذلك مما جاء من فعلة بمعنى مفعول فيكون مثل قوله انى جاعلك للناس اماما **وروى** الشعبى عن مسروق بن نوفل الاشجعى عن رجل من اصحاب عبد الله انه قال ان معاذا كان امة قانتا لله فقلت غلطت انما هو ابراهيم عليه السلام فقال الامة الذى يعلم الخير والقانت المطيع لله ورسوله وكان معاذ كذلك وعن عمرو انه قال الا استخلف لو كان ابو عبيدة حيا لاستخلفته ولو كان معاذ حيا لاستخلفته ولو كان سالم حيا لاستخلفته فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ابو عبيدة امين هذه الامة ومعاذ امة لله قانت لله ليس بينه وبين الله يوم القيامة الا الذى يسلمون وسالم شديد الحب لله لو كان لا يخاف الله لم يعصه وهو ذلك المعنى اى كان اماما فى الدين لان الائمة معلمو الخير **والقانت** القايم بامر الله تعالى **والحنيف**

اى عبادا عن كونه امة

ويجوز ان تعلق بتصفه على ارادة القول اى ولا تقولوا لاجل ما تصفه السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام فتقولوا لاجل قولهم هذا حلال وهذا حرام

والذين من غير فظاظة ولا تعنيف إن ربك اعلم بهم فمن كان فيه خير كفاه الوعظ القليل والنصيحة اليسيرة ومن لا خير فيه عجزت عنه الحيل كما تك تضرب منه في حديد بارد يشتي الفعل الاول بالسيف الماضي والمعنى ان صنع بكم صنيع من قتل او نحوه فعاملوه بمثله ولا تزيدوا عليه وقرئ وان عوقبتم فعقبوا اى وان قفيتم بالانتصار فقفوا بمثل ما فعل بكم روي ان المشركين قتلوا بالمسلمين يوم احد بقروا بطونهم وقطعوا مذاكيرهم ما تركوا احدا غير متولة الا حنظلة ابن الراهب فوقف رسول الله عليه فقد مثل به وروي فراه مبقور البطن فقال اما والذي احلف به لمن اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكف عن يمينه وكف عما اراده ولا خلاف في تحريم المثلة وقد ورد بالنهي عنها حتى بالكلب العقور وامتان يرجع الضمير في له الى صبر وهو مصدر صبر ثم ويراد بالصابرين المخاطبون اى ولئن صبرتم لصبركم خير لكم فوضع الصابرون موضع الضمير ثناء من الله عليهم بانهم صابرون على الشدايد ووصفهم بالصفة التي تحصل لهم اذا صبروا عن المعاقبة وامتان الى جنس الصبر وقد دل عليه صبر ثم ويراد بالصابرين جنسهم كانه قيل وللصبر خير للصابرين ونحوه قوله تعالى فمن عفا واصلح فاجره على الله وان يعفوا اقرب للتقوى ثم قال لرسوله واصبر انت فعزم عليه بالصبر وما صبرك الا بالله اى بتوفيقه وتثبيته وربط على قلبك ولا تحزن اى على الكافرين كقوله فلا تاس على القوم الكافرين او على المؤمنين وما فعل بهم الكافرون ولا تك في ضيق وقرئ ولا تكن في ضيق اى ولا يضيق صدرك من مكرهم والضيق تخفيف الضيق اى في امر ضيق ويجوز ان يكون الضيق والضيق مصدرين كالقيل والقول ان الله مع الذين اتقوا اى هو ولي الذين اجتنبوا المعاصي وولي الذين يحسنون في اعمالهم، وعن ابن حيان انه قيل له حين احتضر اوص فقال انما الوصية من المال ولا مال لي واوصيكم بخواتيم سورة النحل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله بما انعم عليه في دار الدنيا وان مات في يومه ذلك او ليلته كان له من الاجر كالذي مات واحسن الوصية

سورة بني اسرائيل مكية وهي مائة واثنتا عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان علم للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه بفعل مضمر متروك اظهاره تقديره اسبح الله سبحان ثم نزل سبحان منزلة الفعل فسده مسده ودل على التنزيه البليغ من جميع القبايح التي يضيفها اليه اعداء الله واسرى وسري لغتان ليلا نصب على الظرف فان قلت الاسراء

للخليف الى ملة الاسلام غير الزايل عنه ونفى عنه الشرك تكذيبا لكفار قريش في زعمهم انهم على ملة ابراهيم عليه السلام شاكرا لانعمه روي انه كان لا يتغدى الا مع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفا فاخر غداه فاذا هو بفوج من الملايكة في صورة البشر فدعاهم الى الطعام فحسبوا ان بهم جذاما فقال الآن وجبت مواكلتكم شكرا لله على انه عافاني وابتلاكم اجتباه اختصه واصطفاه لنبوته وهداه الى صراط مستقيم الى ملة الاسلام حسنة عن قتادة هي تثنية الله بذكره حتى ليس من اهل دين الا وهم يتولونه وقيل الاموال والاولاد وقيل قول المصلي اللهم صل على ابراهيم وآله لسان الصدق للناس في الجنة ثم اوحينا اليك

(قال عمر بن الخطاب في اركن من الاسد والحذام من الغربان عند الاعراب)

ثم من ما وفيها من تعظيم منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكرامة واجل ما اولى من النعمة اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ملته من قبل انها تاولت على اتباعه هذا النعت في المرتبة من بين سايد النعوت التي اثنى الله عليها السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها والمعنى انما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه واختلافهم فيه انهم احلوا الصيد فيه تارة وحرموا تارة وكان الواجب عليهم ان يتفقوا في تحريمه على كلمة واحدة بعد ما حتم الله عليهم الصبر عن الصيد فيه وتعظيمه والمعنى في ذكر ذلك نحو المعنى في ضرب القرية التي كفرت بانع الله مثلا وغير ما وكدوا وهو الانذار من سخط الله على العصاة والمخالفين لاوامره والحاثين على طاعته فان قلت فما معنى الحكم بينهم اذا كانوا مجمعا محقين او مبطلين قلت معناه انه يجازيهم جزاء اختلاف فعلهم في كونهم محقين تارة ومبطلين اخرى ووجه اخذ وهو ان موسى عليه السلام امرهم اى بجعل واحد الاسبوع يوما للعبادة وان يكون يوم الجمعة فابوا عليه وقالوا نريد اليوم الذي فرغ الله تعالى فيه من خلق السموات والارض وهو السبت الآتي فذمة منهم قد رضوا بالجمعة فهذا اختلافهم في السبت لان بعضهم اختار وبعضهم اختار عليه يوم الجمعة فاذن الله لهم في السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فيه فاطلع امره الداضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون فيه واعفاهم لم يصبروا على القيد فمسخهم الله دون ذلك وهو يحكم بينهم يوم القيامة فيجازي كلا واحدا من الفريقين بما يستوجبه ومعنى جعل السبت فرض عليهم تعظيمه وترك الاصطياد فيه وقرئ انما جعل السبت على البناء للفاعل وقد اجمعوا الله انا انزلنا السبت الى بسيل ربك الى الاسلام بالحكمة بالمقالة المحكمة الصحيحة وهو الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة والموعظة الحسنة وهي التي لا تكتفي عليهم انك تناصحهم بها وتقصد ما ينفعهم فيها ويجوز ان يريد القرآن اى ادعهم بالكتاب الذي هو حكمة وموعظة حسنة وجادلهم بالتي هي احسن اى بالطريقة التي هي احسن طرق المجادلة من الرفق

والتين

لا يكون الا بالليل فما معنى ذكر الليل قلت اراد بقوله ليلا بلفظ التنكير تقليل مدة الاسراء وانه
اسري به في بعض الليل من مكة الى الشام مسيرة اربعين ليلة وذلك ان التنكير فيه دل على معنى
البعضية ويشهد لذلك قراءة عبد الله وحذيفة من الليل اي بعض الليل كقوله ومن الليل فتهجد
يعني الامر بالقيام في بعض الليل واختلف في المكان الذي اسري منه فقيل هو المسجد الحرام بعينه
وهو الظاهر وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم بينا انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم
واليقظان اذ اتاني جبرئيل بالبراق وقيل اسري به من دار ام هاني بنت ابي طالب والمراد بالمسجد
الحرام الحرم لاحاطته بالمسجد والتباسه به وعن ابن عباس الحرم كله مسجد وروي انه كان نائما في بيت
ام هاني وقال مثل لي النبيون فصليت بهم وقام ليخرج الى المسجد فتشبثت ام هاني بثوبه فقال مالك قالت
اخشى ان يكذبك قومك ان اخبرتهم قال وان كذبوني ثم خرج فجلس اليه ابو جهل فاخبره رسول الله
بحديث الاسراء فقال ابو جهل يا معشر بني كعب بن لؤي هلم فحدثهم فمن بين مصفق وواضع يده على راسه
تعجبا وانكارا وارتد ناس ممن كان آمن به وسعى رجال الى ابي بكر رض فقال ان كان قال ذلك
فلقد صدق قالوا تصدقه على ذلك فقال اني لاصدقه على ابعد من ذلك فسمي الصديق وفيهم
من سافر الى ما ثم فاستنعتوه المسجد فجلى له بيت المقدس فطفق ينظر اليه وينعته فقالوا اما
النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا
مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية فقال قائل منهم هذه
والله الشمس قد شرقت وقال آخر وهذه والله العير قد اقبلت يقدمها جمل اورق كما قال محمد
ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا الا سحر مبين وقد عرج به الى السماء في تلك الليلة وكان العروج به من
بيت المقدس واخبر قريشا ايضا بما راى في السماء من العجايب وانه لقي الانبياء وبلغ البيت المعمور
وسدرة المنتهى واختلفوا في وقت الاسراء فقيل كان قبل الهجرة بسنة وعن انس والحسن انه كان
قبل البعث واختلف في انه كان في اليقظة ام في المنام فعن عائشة رضي الله عنها انها قالت والله
ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن عرج بروحه وعن معاوية انما عرج بروحه
وعن الحسن كان في المنام رؤيا راها واكثر الاقاويل بخلاف ذلك والمسجد الاقصى بيت
المقدس لانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد باركنا حوله يريد بركات الدين والدنيا لانه متعبد
الانبياء من وقت موسى عليه السلام ومهبط الوحي وهو محفوف بالانهار الجارية والاشجار المثمرة
وقرا الحسن ليريه بالياء ولقد تصرف الكلام على لفظ الغايب والمتكلم فقيل ثم باركنا ثم ليريه

على قراءة

على قراءة الحسن ثم من آياتنا ثم انه وهي على طريقة الالتفات التي هي من طرق البلاغة انه هو السميع
لاقوال محمد البصير بافعاله العالم بتهذيبها وخلوصها فليكرمه ويقربه على حسب ذلك ان لا تتخذوا
قرئ بالياء على ليلا تتخذوا بالتاء على اي لا تتخذوا كقولك كتبت اليه ان افعل كذا وكيلا ربا
تكلون اليه اموركم ذرية من حملنا نصب على الاختصاص وقيل على النداء فيمن قرا لا تتخذوا
بالتاء على النهي يعني قلنا لهم لا تتخذوا من دوني وكيلا يا ذرية من حملنا مع نوح وقد يجعل وكيلا
وكيلا ذرية من حملنا مفعولي تتخذوا اي لا تجعلوهم اربابا كقوله ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة
والنبيين اربابا من ذرية المحمولين مع نوح عيسى وعزير وقرئ ذرية من حملنا بالرفع بدلا من
واو تتخذوا وقرا زيد بن ثابت ذرية بكسر الدال وروي عنه انه قد فسرها بالولد الذكر وروي عنه
انه فسرها بولد الولد ذكرهم الله النعمة في انجاء ابائهم من الغرق انه ان نوحا كان عبدا شكورا
قيل كان اذا اكل قال الحمد لله الذي اطعمني ولو شاء اجاعني واذا شرب قال الحمد لله الذي سقاني
ولو شاء اظمأني واذا اكتسى قال الحمد لله الذي كساني ولو شاء اعراني واذا احتذى قال الحمد لله
الذي حذاني ولو شاء احفاني واذا قضى حاجته قال الحمد لله الذي اخرج عني اذاه في عافية
ولو شاء حبسه وروي انه كان اذا اراد الافطار عرض طعامه على من آمن به فان وجده
محتاجا آثره به فان قلت قوله انه كان عبدا شكورا ما وجه ملائمته لما قبله قلت كانه قيل لا تتخذوا
من دوني وكيلا ولا تشركوا بي لان نوحا عليه السلام كان عبدا شكورا وانتم ذرية من آمن
به وحمل معه فاجعلوه اسوتكم كما جعله آباؤكم اسوتهم ويجوز ان يكون تعليلا لاختصاصهم
والثناء عليهم بانهم اولاد المحمولين مع نوح فهم متصلون به فاستاهلوا لذلك الاختصاص
ويجوز ان يقال ذلك عند ذكره على سبيل الاستطراد وقضينا الى بني اسرائيل واوحينا
اليهم وحيا مقضيا اي مقطوعا مبتوتا بانهم يفسدون في الارض لا محالة ويعلون اي
يتعظمون ويبغون في الكتاب في التورية ولتفسدن جواب قسم محذوف ويجوز ان يجري
القضاء المبتوت مجرى القسم فيكون لتفسدن جوابا له كانه قال واقسمنا لتفسدن
وقرئ لتفسدن على البناء للمفعول ولتفسدن بفتح التاء من فسد مرتين اولاهما
قتل زكريا عليه السلام وحبس ارميا حين انذرهم سخط الله والآخرة قتل يحيى بن زكريا
وقتل عيسى بن مريم عبادا لنا وقرئ عبيدا لنا واكثر ما يقال عباد الله وعبيد الناس
سنحاريب وجنوده وقيل بخت نصر وعن ابن عباس جالوت قتلوا علماءهم واحرقوه التورية

وخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين الفا فان قلت كيف جاز ان يبعث الله الكفرة على ذلك ويسلطهم
عليه قلت معناه خلينا بينهم وبين ما فعلوا ولم نمنعهم على ان الله اسند بعث الكفرة على ذلك عليهم مع
الى نفسه وهو كقوله وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون وكقول الداعي وخالف بين
كلمهم واسند الجوس وهو التردد خلال الديار بالفساد اليهم فتخريب المسجد واحراق التورية من
جملة الجوس المسند اليهم وقرا طلحة فحاسوا بالحاء وقرئ فجوسوا وخلل الديار فان قلت ما معنى
وعد اولاهما قلت معناه وعد عقاب اولاهما وكان وعدا مفعولا يعني وكان وعد العقاب وعدا لا بد
ان يفعل ثم رددنا لكم الكرة عليهم اي الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليكم حين تبتم ورجعتم
عن الفساد والعلو وقيل هي قتل بخت نصر واستنقاذ بني اسرائيل واموالهم ورجوع الملك اليهم
وقيل هي قتل داود جالوت اكثر نفيرا مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر
كالعبيد والمعيز اي الاحسان والاساءة كلاهما مختص بانفسكم لا يتعدى النفع والضرر الى غيركم
وعن علي رضي الله عنه ما احسنت الى احد ولا اسات اليه وتلاها فاذا جاء وعد المرة الآخرة بعثناهم ليسوء
وجوهكم حذف لدلالة ذكره اولا عليه ومعنى ليسوء وجوهكم ليجعلوها بادية آثار المساءة والكلابة
فيها كقوله بئست وجوه الذين كفروا وقرئ ليسوء والضمير لله عز وجل او للوعد او للبعث ولنسوء
بالنون وفي قراءة علي رض لنسوءن وليسوءن وقرئ لنسوءن واللام في ليدخلوا على هذا متعلق بمحذوف
وهو بعثناهم ليدخلوا ولنسوءن جواب اذا جاء ما علوا مفعول ليتبروا اي ليهلكوا كل شيء غلبوه
واستولوا عليه وبمعنى مدة علوهم عسى ربكم ان يرحمكم بعد المرة الثانية ان تبتم توبة اخرى
وانزجرتم عن المعاصي وان عدتم مرة ثالثة عدنا الى عقوبتكم وقد عادوا فاعاد الله عليهم
النقمة بتسليط الاكاسرة وضرب الاتاوة عليهم وعن الحسن عادوا فبعث الله عليهم محمدا صلى الله عليه وسلم
فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون وعن قتادة ثم كان آخر ذلك ان بعث عليهم هذا
الحي من العرب فهم منهم في عذاب الى يوم القيامة حصيرا محبسا يقال للسجن محصر وحصير وعن الحسن
بساطا كما يبسط الحصير المرمول للتي هي اقوم للحالة التي هي اقوم الحالات واشدها او للملة او للطريقة
وانما قدرت لم تجد مع الاثبات ذوق البلاغة الذي تجده مع الحذف لما في ابهام الموصوف بحذفه
من فخامة تفقد مع ايضاحه وقرئ ويبشر بالتخفيف فان قلت كيف ذكر المؤمنين الابرار والكفار
ولم يذكر الفسقة قلت كان الناس اما مؤمن تقي واما مشرك وانما حدث اصحاب المنزلة
بين المنزلتين بعد ذلك فان قلت علام عطف وان الذين لا يؤمنون قلت على ان لهم اجرا كبيرا

على معنى

على معنى انه بشر المؤمنين بشارتين اثنتين بثوابهم وعقاب اعدائهم ويجوز ان يراد ويخبر بان الذين
لا يؤمنون معذبون اي ويدعوا الله عند غضبه بالشر على نفسه واهله وماله كما يدعوا لهم بالخير
كقوله ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم اجلهم وكان الانسان عجولا يتسرع
الى طلب ما يقع في قلبه ويخطر بباله لا يتأنى فيه تأني المتبصر وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه دفع
الى سودة بنت زمعة اسيرا فاقبل يئن بالليل فقالت له ما لك تئن فشكا الم القد فارخت من كتافه
فلما قامت اخرج يده وهرب فلما اصبح النبي صلى الله عليه وسلم دعا به فاعلم بشانه فقال عليه السلام اللهم
اقطع يديها فرفعت سودة يديها تتوقع الاجابة وان يقطع الله يديها فقال عليه السلام اني سالت
الله تعالى ان يجعل لعنتي ودعائي على من لا يستحق من اهلي رحمة لاني بشر اغضب كما يغضب البشر
فلترد سودة يديها ويريد بالانسان الكافر وانه يدعو بالعذاب استهزاء ويستعجله كما يدعو بالخير
اذا مسته الشدة وكان الانسان عجولا يعني ان العذاب آتيه لا محالة فما هذا الاستعجال وعن ابن عباس
هو النضر بن الحرث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا الآية فاجيب له فضربت
عنقه صبرا فيه وجهان احدهما ان يراد ان الليل والنهار آيتان في انفسهما فيكون الاضافة
في آية الليل وآية النهار للتبيين كاضافة العدد الى المعدود اي فمحونا الآية التي هي الليل وجعلنا
الآية التي هي النهار مبصرة والثاني ان يراد وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين يريد الشمس
والقمر فمحونا آية الليل اي جعلنا الليل ممحو الضوء مطموسه مظلما لا يستبان فيه شيء
كما لا يستبان ما في اللوح الممحو وجعلنا النهار مبصرا اي تبصر فيه الاشياء وتستبان اي فمحونا آية الليل
التي هي القمر حيث لم تخلق له شعاعا كشعاع الشمس فترى به الاشياء رؤية بينة وجعلنا
الشمس ذات شعاع يبصر في ضوئها كل شيء لتبتغوا فضلا من ربكم ليتوصلوا ببياض النهار
الى استبانة اعمالكم والتصرف في معايشكم ولتعلموا باختلاف الجديدين عدد السنين وجنس
الحساب وما تحتاجون اليه منه ولولا ذلك لما علم احد حسبان الاوقات ولتعطلت الامور
وكل شيء مما تفتقرون اليه في دينكم ودنياكم فصلناه بيناه بيانا غير ملتبس فازحنا
عللكم وما تركنا لكم حجة علينا طائره عمله وقد حققنا القول فيه في سورة النمل وعن ابن عيينة هو
من قولك طار له سهم اذا خرج يعني الزمناه مما طار من عمله والمعنى ان عمله لازم له لزوم القلادة
او الغل لا ينفك عنه ومنه مثل العرب يقلدها طوق الحمامة وقولهم الموت في الرقاب وهذا ربقة
في رقبته وعن الحسن رح يا ابن بسطت اليك صحيفة اذا بعثت قلدتها في عنقك وقرئ في عنقه

الحبل الذي يشد به كتف الانسان

قال الحكماء الغضب غليان دم القلب عند نائرة الانتقام وفي حق الله تعالى ارادة الغضب لمن غضب عليه

بسكون النون وقرئ ويخرج بالنون ويخرج بالياء والضمير لله عز وجل ويخرج على البناء للمفعول ويخرج
من خرج والضمير للطائر اي يخرج الطائر كتابا وانتصاب كتابا على الحال وقرئ يلقاه بالتشديد
مبنيا للمفعول ويلقاه منشورا صفتان لكتاب او يلقاه صفة ومنشورا حال من يلقاه اقرأ على
ارادة القول وعن قتادة يقرأ ذلك اليوم من لم يكن في الدنيا قاريا وبنفسك فاعل كفى وحسيبا
تمييز وهو بمعنى حاسب كضريب القداح بمعنى ضاربها وصريم بمعنى صارم ذكرهما سيبويه وعلى متعلق به من
قولك حسب عليه كذا ويجوز ان يكون بمعنى الكافي وضع موضع الشهيد فعدي بعلى لان الشاهد
يكفي المدعي ما اهمه فان قلت لم ذكر حسيبا قلت لانه بمنزلة الشهيد والقاضي والامير لان الغالب
ان هذه الامور يتولاها الرجال فكانه قيل كفى بنفسك رجلا حسيبا ويجوز ان يتأول النفس بالشخص
كما يقال ثلاثة انفس وكان الحسن اذا قرأها قال يا ابن آدم انصفك والله من جعلك حسيب
نفسك اي كل نفس حاملة وزرا فانما تحمل وزرها لا وزر نفس اخرى وما كنا معذبين وما صح منا
صحة تدعوا اليها الحكمة ان نعذب قوما الا بعد ان نبعث اليهم رسولا فيلزمهم الحجة فان قلت
الحجة لازمة لهم قبل بعثة الرسول لان معهم ادلة العقل التي بها يعرف الله وقد اغفلوا النظر
وهم متمكنون منه واستجابهم العذاب لاغفالهم النظر فيما معهم وكفرهم لذلك لا لاغفال الشرائع
التي لا سبيل اليها الا بالتوقيف والعمل بها لا يصح الا بعد الايمان قلت بعثة الرسول من جملة
التنبيه على النظر والايقاظ من رقدة الغفلة لئلا يقولوا كنا غافلين فلولا بعثت الينا رسولا
ينبهنا على النظر في ادلة العقل واذا اردنا واذا اردنا وقت اهلاك قوم ولم يبق من زمان اهلاكهم
الا قليل امرناهم ففسقوا اي امرناهم بالفسق ففعلوا والامر مجاز لان حقيقة امرهم ان يقول
لهم افسقوا وهذا لا يكون فبقي ان يكون مجازا ووجه المجاز انه صب عليهم النعمة صبا فجعلوها ذريعة
اي لا يقع لقوله تعالى ان الله لا يأمر بالفحشاء
الى المعاصي واتباع الشهوات فكانهم مأمورون بذلك لتسبب ايلاء النعمة فيه وانما خولهم اياها ليشكروا
ويعملوا فيها الخير ويتمكنوا من الاحسان والبر كما خلقهم اصحاء اقوياء واقدرهم على الخير والشر
وطلب منهم ايثار الطاعة على المعصية فآثروا الفسوق فلما فسقوا حق عليهم العذاب وهو كلمة
العذاب فدمرهم فان قلت هلا زعمت ان معناه امرناهم بالطاعة ففسقوا قلت لان حذف
ما لا دليل عليه غير جائز فكيف يحذف ما الدليل قائم على نقيضه وذلك ان المأمور به انما حذف لان فسقوا
اي الفسق
يدل عليه وهو كلام مستفيض يقال امرته فقام وامرته فقرأ لا يفهم منه الا ان المأمور به قيام
او قراءة ولو ذهبت تقدر غيره فقد رمت من مخاطبك علم الغيب ولا يلزم هذا قولهم امرته فعصاني

او فلم

او فلم يمتثل امري لان ذلك مناف للامر مناقض له ولا يكون ما يناقض الامر مأمورا به فكان محالا
ان يقصد اصلا حتى يجعل دالا على المأمور به فكان المأمور به في هذا الكلام غير مدلول عليه ولا منوي
لان من يتكلم بهذا الكلام فانه لا ينوي لامر مأمورا به وكانه يقول كان مني امر فلم تكن منه طاعة
كما ان من يقول فلان يعطي ويمنع ويأمر وينهى غير قاصد الى مفعول فان قلت هلا كان ثبوت
العلم بان الله تعالى لا يأمر بالفحشاء وانما يأمر بالقسط والخير دليلا على ان المراد امرناهم بالخير
ففسقوا قلت لا يصح ذلك لان قوله ففسقوا يدافعه فكانك اظهرت شيئا وانت تدعي اضمار
خلافه فكان صرف الامر الى المجاز هو الوجه ونظير امرنا في ان مفعوله استفاض فيه الحذف
لدلالة ما بعده عليه تقول لو شاء لاحسن اليك ولو شاء لاساء اليك تريد لو شاء الاحسان
ولو شاء الاساءة فلو ذهبت تضمر خلاف ما اظهرت وقلت قد دلت حال من اسندت اليه المشيئة
انه من اهل الاحسان او من اهل الاساءة فاترك الظاهر المنطوق به واضمر ما دلت عليه
حال صاحب المشيئة لم تكن على سداد وقد فسر بعضهم امرنا بكثرنا وجعل امرته فامر من باب
فعلته ففعل كثرته فثبر وفي الحديث خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة اي كثيرة النتاج وروي
اي امتثل
ان رجلا من المشركين قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني امرك هذا حقير فقال عليه السلام انه
سيأمر اي سيكثر وسيكثر وقرئ آمرنا من آمر وآمره غيره وآمرنا بمعنى آمرنا او من آمر امارة
اي كثرنا
وامره الله اي جعلناهم امراء كم مفعول اهلكنا ومن القرون بيان لكم وتمييز له كما يميز العدد بالجنس
في قولهم عشرون درهما
يعني عادا وثمودا وقرونا بين ذلك كثيرا ونبه بقوله ولفي بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا
على ان الذنوب هي اسباب الهلكة لا غير وانه عالم بها فمعاقب عليها من كانت العاجلة همه ولم يرد
غيرها كالكفرة والفسقة تفضلنا عليه من منافعها بما نشاء لمن نريد فقيد الامر تقييدين احدهما
تقييد المعجل بمشيئته والثاني تقييد المعجل له بارادته وهكذا الحال ترى كثيرا من هؤلاء يتمنون ما يتمنون
ولا يعطون الا بعضا منه وكثيرا منهم يتمنون ذلك البعض وقد حرموه فاجتمع عليهم فقر الدنيا
وفقر الآخرة واما المؤمن التقي فقد احتاز مراده وهو غنى الآخرة فما يبالي اوتي حظا من
الدنيا او لم يؤت فان اوتي فبها والا فربما كان الفقر خيرا له واعون على مراده وقوله لمن نريد
بدل من له وهو بدل البعض من الكل لان الضمير يرجع الى من وهو بمعنى الكثرة وقرئ يشاء
والضمير لله عز وجل فلا فرق اذن بين القراءتين في المعنى ويجوز ان يكون للعبد على ان للعبد
ما يشاء من الدنيا وان ذلك لواحد من الدهماء يريد به الله ذلك وقيل هو من يريد الدنيا بعمل الآخرة

يعني قوله ففسقوا تفسير لقوله امرناهم وتفسير الشيء لا يكون مدافعا له

رب هب لي ملكا لا ينبغي لاحد

كالمنافق والمرائي والمهاجر لدنيا والمجاهد للغنيمة والذكر كقال صلى الله عليه وسلم فمن كانت هجرته الى الله
ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها او امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه
مذحورا مطرودا من رحمة الله سيئها حقها من السعي وكفاك من الاعمال الصالحة اشتراط ثلاث
شرائط في كون السعي مشكورا ارادة الآخرة بان يعقد بها همته ويتجافى عن دار الغرور والسعي فيما
كلف من الفعل والترك والايمان الصحيح الثابت وعن بعض المتقدمين من لم يكن معه ثلاث لم ينفعه
علم ايمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلاهن الآية وشكر الله الثواب على الطاعة كلا كل
ولعل من الفريقين والتنوين عوض من المضاف اليه نمد هؤلاء نديدهم من عطائنا ونجعل الآخر بدله
مدوا السالف لانقطاعه منزق المطيع والعاصي جميعا على وجه التفضل وما كان عطاء ربك وفضله محظورا
اى ممنوعا لاينعه من عاصر لعصيانه انظر بعين الاعتبار كيف جعلنا هم متفاوتين في التفضل والآخرة
التفاوت اكثر لانها ثواب واعلى وتفضل وكلها متفاوتة وروي ان قوما من الاشراف فقراء المسلمين
اجتمعوا بباب عمر رضي الله عنه فخرج الاذن لبلال وصهيب فشق على ابي سفيان وقال سهيل بن عمرو
انما اتينا من قبلهم انهم دعوا ودعينا يعني الى الاسلام فاسرعوا وابطانا وهذا باب عمر فكيف
التفاوت في الآخرة ولئن حسدتموهم على باب عمر لما اعد الله لهم في الجنة اكثر وفي واكثر تفضيلا
بالتاء وعن بعضهم ايها الباهي بالدفع منك في مجالس الدنيا اما ترغب في المباهاة بالدفع في مجالس الآخرة
وهي اكبر وافضل فتقعد من قولهم شخذ الشقرة حتى قعدت كانها حدية بمعنى صارت بعين فتقعد جامعا
على نفسك الذم وما يتبعه من الهلاك من الهلك والخذلان والعجز عن النهوة ممن جعلته شيئا كلا رد
وقضى ربك وامر امرا مقطوعا ان لا تعبدوا ان نفسرة ولا تعبدوا اما نهي او بان لا تعبدوا
وبالوالدين احسانا واحسنوا بالوالدين احسانا او بان تحسنوا بالوالدين احسانا ووصى واوصى
وعن ابن عباس رضي الله عنه ووصى وعن بعض ولد معاذ بن جبل وقضاء ربك ولا يجوز ان تتعلق
الباء في بالوالدين بالاحسان لان المصدر لا يتقدم عليه صلته اما اما هي ان الشرطية زيدت عليها
ما تاكيدا لها ولذلك دخلت النون المؤكدة في الفعل ولو افردت ان لم يصح دخولها لا تقول ان
تكرمن زيدا يكرمك ولكن اما تكرمنه واحدهما فاعل يبلغن وهو فيمن قرأ يبلغان بدل من الف
الضمير الراجع الى الوالدين وكلاهما عطف على احدهما فاعلا وبدلا فان قلت لو قيل اما يبلغان كلاهما
كان كلاهما توكيدا لا بدلا فما لك زعمت انه بدل قلت لانه معطوف على ما لا يصح ان يكون توكيدا
للاثنين فانتظم في حكمه فوجب ان يكون مثله فان قلت هلا جعلته توكيدا مع كون المعطوف عليه

بدلا وعطف التوكيد على البدل قلت لو اريد توكيد التثنية لقيل كلاهما فحسب فلما قيل احدهما او
كلاهما علم ان التوكيد عن مداد فكان بدلا مثل الاول اف صوت بدل على التضجر وقرئ اف بالكسر
الثلاث منونا وغير منون الكسر على اصل البناء والفتح تخفيف للفتحة والتشديد كثم والضم اتباع
كمنذ فان قلت ما معنى عندك قلت هو ان يكبر او يعجز او كانا كلا على احد دلالة الكافل لهما
عجزه فيها عنده في بيته وكنفه وذلك اشق عليه واشد احتمالا لاوصابها وهرمها تقلى منهما ما كانا يتولانه
منه في حال الطفولية وهو مامور بان يستعمل معهما وظاة الخلق ولين الجانب والاحتمال حتى لا يدوا
لهما اذا ضجرا مما يستقذر منهما او يستثقل من مؤنهما اف فضلا عما يزيد على التضجر والضجر بالغ سبحانه وتعالى
في التوصية بهما حيث افتتحها بان شفع الاحسان اليهما بتوحيده ونظمهما في سلك القضاء بهما معا
ثم ضيق الامر في مراعاتهما حتى لم يرخص في ادنى كلمة تتغلث من المتضجر مع موجبات الضجر متقتضياته
مع احوال لا يكاد يدخل صبر الانسان معها في الاستطاعة ولا تنهرهما ولا يجد منهما عما يتعاطيانه
مما لا يعجبك والنهر والنهي والنهم اخوات وقل لهما بدل التأفيف والنهر قولا كريما جميلا
كما يقتضيه حسن الادب والنزول على المروة وقبل هو ان تقول يا ابتاه يا اماه كما قال ابراهيم
لابيه يا ابت مع كفره ولا يدعوهما باسمائهما فانه من الجفاء وسوء الادب وعادة الدعار قالوا ولا
بأس به من غير وجهه كما قالت عائشة رضي الله عنها لابي بكر يا ابتاه وقرئ جناح الذل والذل بالضم والكسر
فان قلت ما معنى قولك جناح الذل قلت فيه وجهان احدهما ان يكون المعنى واخفض لهما جناحك
كما قال واخفض جناحك للمؤمنين فاضافه الى الذل او الى الذل كما اضيف حاتم الى الجود على
معنى واخفض جناحك الذليل او الذلول والثاني ان يجعل لذله او لذله جناحا خفيضا كما
جعل لبيد للشمال يدا وللقرة زماما مبالغة في التذلل والتواضع لهما من الرحمة من فرط
رحمتك لهما وعطفك عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم الى من كان افقر خلق الله اليهما بالامس
ولا تكتف برحمتك عليهما التي لا بقاء لها وادع الله بان يرحمهما رحمته الباقية واجعل ذلك
جزاء لرحمتهما عليك في صغرك وتربيتهما لك فان قلت الاسترحام لهما انما يصح اذا كانا مسلمين
قلت واذا كانا كافرين فله ان يترحم لهما بشرط الايمان وان يدعو الله تعالى لهما بالهداية و
الارشاد ومن الناس من قال كان الدعاء للكافر جائزا ثم نسخ هو سئل البرزخية عن الصدقة عن
الميت فقال كل ذلك واصل اليه ولا شيء انفع من الاستغفار ولو كان شيء افضل منه لامركم به
في الابوين ولقد كرر الله سبحانه في كتابه الوصية بالوالدين وعن النبي صلى الله عليه وسلم رضا الله

حكم

جعل الاستغفار للكافر كالدعاء

سها على ما هم عليه اهل قوى

قوله ثم نسخ وهذا غير جائز لان النسخ في الاخبار لا يجوز الا اذا كان الاخبار بمعنى النهي

تعالى في رضاء الوالدين وسخطه في سخطهما وروي يفعل البار ما يشاء ان يفعل فلن يدخل النار
ويفعل العاق ما يشاء ان يفعل فلن يدخل الجنة وروى سعيد بن المسيب ان البار لا يموت
ميتة سوء وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابوي بلغا من الكبر اني آلي منهما ما وليا مني
في الصغر فهل قضيتهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك وانت
تريد موتهما وشكا رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اباه وانه يأخذ ماله فدعا به فاذا هو شيخ يتوكأ على
عصا فسأله فقال انه كان ضعيفا وانا قوي وفقيرا وانا غني فكنت لا امنعه شيئا من مالي واليوم انا
ضعيف وهو قوي وانا فقير وهو غني ويبخل علي بماله فبكى عليه السلام وقال ما من حجر ولا مدر يسمع
هذا الا بكى ثم قال للولد انت ومالك لابيك انت ومالك لابيك وشكا اليه آخر سوء خلق امه
فقال لم تكن سيئة الخلق حين حملتك تسعة اشهر قال انها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين ارضعتك
حولين قال انها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين اسهرت لك ليلها فاظمأت نهارها قال لقد جازيتها
قال ما فعلت قال حججت بها على عاتقي قال ما جازيتها ولو طلقة وعن ابن عمر انه رأى رجلا في الطواف
يحمل امه ويقول اني لها مطية لا تذعر اذا الركاب نفرت لا تنفر ما حملت وارضعتني اكثر
الله ربي ذو الجلال الاكبر تظنني جزيتها يا ابن عمر قال لا ولو زفرة واحدة وعن النبي صلى الله عليه وسلم
اياكم وعقوق الوالدين فان الجنة توجد ريحها من مسيرة الف عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع
رحم ولا شيخ زان ولا جار ازاره خيلاء ان الكبرياء لله رب العالمين وقال الفقهاء لا يذبا بيه
الى البيعة واذا بعث اليه منها ليحمله فعل ولا يناوله الخمر ويأخذ الاناء منه اذا شربها وعن ابي يوسف
اذا امره ان يوقد تحت قدره وفيها لحم الخنزير اوقد وعن حذيفة انه استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم
في قتل ابيه وهو في صف المشركين فقال دعه يله غيرك وسئل الفضيل بن عياض عن بر الوالدين
ان لا تقوم الى خدمتهما عن كسل وسئل بعضهم عنه فقال ان لا ترفع صوتك اليهما ولا تنظر شزرا
ولا يريا منك مخالفة في ظاهر ولا باطن وان تترحم عليهما ما عاشا وتدعو لهما اذا ماتا وتقوم بخدمة
اودائهما من بعدهما فعن النبي صلى الله عليه وسلم ان من ابر البر ان يصل الرجل اهل ود ابيه
بما في نفوسكم بما في ضمائركم من قصد البر الى الوالدين واعتقاد ما يجب لهما من التوقير ان تكونوا
صالحين قاصدين الصلاح والبر ثم فرطت منكم في حال الغضب وعند حرج الصدر وما لا يخلو منه
البشر او لحمية الاسلام هنة تؤدي الى اذاهما ثم انتم الى الله واستغفرتم منها فان الله غفور للاوابين
اي التوابين وعن سعيد بن جبير هي في البادرة تكون من الرجل الى ابيه لا يريد بذلك الا الخير

وعن سعيد بن المسيب الاواب الرجل كلما اذنب بادر بالتوبة ويجوز ان يكون هذا عاما لكل من فرطت
منه جناية ثم تاب منها ويندرج تحته الجاني على ابويه التائب من جنايته لوروده على اثره وآت ذي
القربى حقه وهي بغير الوالدين من الاقارب بعد التوصية بهما وان يؤتوا حقهم وحقهم اذا كانوا
محارم كالوالدين والولد وفقراء عاجزين عن الكسب وكان الرجل موسرا ان ينفق عليهم عند ابي حنيفة و
الشافعي لا يرى النفقة الا على الولد والوالدين فحسب وان كانوا مياسير ولم يكونوا محارم كابناء العم
فحقهم صلتهم بالموادة والزيارة وحسن المعاشرة والموالفة على السراء والضراء والمعاضدة ونحو ذلك
والمسكين وابن السبيل يعني وآت هؤلاء حقهم من الزكاة وهذا دليل على ان المراد بما يؤتى ذوي القرابة
من الحق هو تعهدهم بالمال وقيل اراد بذوي القربى اقرباء رسول الله صلى الله عليه وسلم التبذير تفريق
المال فيما لا ينبغي وانفاقه على وجه السرف وكانت الجاهلية تنحر ابلها وتتياسر عليها وتبذر اموالها في الفخر
والسمعة وتذكر ذلك في اشعارها فامر الله بالنفقة في وجوهها مما يقرب منه ويزلف وعن عبد الله
هو انفاق المال في غير حقه وعن مجاهد لو انفق مدا في باطل كان تبذيرا وقد انفق بعضهم نفقة في خير
فاكثر فقال له صاحبه لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير وعن عبد الله بن عمر مر رسول الله
على سعد وهو يتوضأ فقال ما هذا السرف يا سعد قال اوفي الوضوء سرف قال نعم وان كنت
على نهر جار اخوان الشياطين امثالهم في الشرارة وهي غاية المذمة لانه لا شر من الشياطين او هم
اخوانهم واصدقاؤهم لانهم يطيعونهم فيما يأمرونهم به من الاسراف او هم قرناؤهم في النار على سبيل
الوعيد وكان الشيطان لربه كفورا فيما ينبغي ان يطاع فانه لا يدعو الا الى مثل فعله وقرأ الحسن اخوان
الشيطان وان اعرضت عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد فقل لهم قولا ميسورا
ولا تتركهم غير مجابين اذا سألوك وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا سئل شيئا وليس عنده
اعرض عن السائل وسكت حياء وقوله ابتغاء رحمة من ربك اما ان يتعلق بجواب الشرط مقدما
عليه اي فقل لهم قولا سهلا وعدهم وعدا جميلا رحمة لهم وتطييبا لقلوبهم ابتغاء رحمة من ربك
اي ابتغ رحمة الله التي ترجوها برحمتك عليهم واما ان يتعلق بالشرط اي وان اعرضت عنهم لفقد
رزق من ربك ترجو ان يفتح لك فسمى الرزق رحمة فردهم ردا جميلا فوضع الابتغاء موضع
الفقد لان فاقد الرزق مبتغ له فكان الفقد سبب الابتغاء والابتغاء مسببا عنه فوضع
المسبب موضع السبب ويجوز ان يكون معنى واما تعرضن عنهم وان لم تنفعهم ولم ترفع
خصاصتهم لعدم الاستطاعة ولا يريد الاعراض بالوجه كناية بالاعراض عن ذلك لان من ابى

ان يعطي اعرض بوجهه يقال يسر الامر وعسر مثل سعد الرجل ونحس فهو مفعول وقيل
معناه فقل لهم رزقنا الله واياكم من فضله على انه دعاء لهم ييسر عليهم فقرهم كان معناه قولا ذا
ميسور وهو اليسر اي دعاء فيه يسر هذا تمثيل لمنع الشحيح واعطاء المسرف امر بالاقتصاد
الذي هو بين الاسراف والتقتير **فتقعد ملوما** فتصير ملوما عند الله غير مرضي عنده وعند
الناس يقول المحتاج اعطى فلانا وحرمني ويقول المستغني ما يحسن تدبير امر المعيشة
وعند نفسك اذا احتجت فندمت على ما فعلت **محسورا** منقطعا بك لا شيء عندك من حسره
السفر اذا بلغ منه وحسره بالمسئلة وعن جابر بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه صبي فقال
ان امي تستكسيك درعا فقال من ساعة الى ساعة يظهر فعد الينا فذهب الى امه فقالت له
قل له ان امي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا
واذن بلال وانتظروا فلم يخرج الى الصلوة وقيل اعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل
وعيينة بن حصن فجاء عباس بن مرداس وانشا يقول اتجعل نهبي ونهب العبيد بين عيينة
والاقرع وما كان حصن ولا حابس يفوقان جدي في مجمع وما كنت دون امرئ منهما ومن تضع
اليوم لا يرفع فقال يا ابا بكر اقطع لسانه عني اعطه مائة من الابل فنزلت ثم سلى رسول الله صلعم
عما كان يرهقه من الاضافة بان ذلك ليس بهوان منك عليه ولا لبخل به عليك ولكن لان مشيته في بسط الارزاق
وقدرها تابعة للحكمة والمصلحة ويجوز ان يريد ان البسط والقبض انما هما من امر الله الذي الخزائن في يده
فاما العبيد فعليهم ان يقتصدوا ويحتمل انه عز وعلا بسط لعباده او قبض فانه يراعي اوسط الحالين
لا يبلغ بالمبسوط له غاية مراده ولا بالمقبوض عليه اقصى مكروهه فاستنوا بسنته قتلهم اولادهم
هو وادهم بناتهم كانوا يبدونهن خشية انفاقه وهي الاملاق فنهاهم الله تعالى وضمن لهم ارزاقهم وقرئ
خشية بكسر الخاء وقرئ خطأ وهو الاثم يقال خطئ خطأ كاثم اثما وخطأ وهو ضد الصواب اسم
من اخطأ وقيل هو والخطأ مثل الحذر والحذر وخطاء بالكسر والمد وخطاء بالفتح والمد وخطأ
بالفتح والسكون وعن الحسن خطا بالفتح وحذف الهمزة كالخب وعن ابي رجاء بكسر الخاء غير مهموز
فاحشة قبيحة زائدة على حد القبح **وساء سبيلا** وبئس طريقا طريقه وهو ان تغضب على غيرك
امرأته او اخته او بنته من غير سبب والسبب ممكن وهو الضمير الذي شرعه الله **الا بالحق**
الا باحدى ثلث بان تكفر او تقتل مؤمنا عمدا او تزني بعد احصان **مظلوما** غير راكب واحدة منهن
لوليه للذي بينه وبينه قرابة توجب المطالبة بدمه فان لم يكن له ولي فالسلطان وليه **سلطانا**

تسلطا

تسلطا على القاتل في الاقتصاص منه او حجة يثبت بها عليه فلا يسرف الضمير للولي اي فلا يقتل غير القاتل
ولا اثنين والقاتل واحد كعادة الجاهلية كان اذا قتل منهم واحد قتلوا به جماعة قال مهلهل حين
قتل بجير بن الحارث بن عباد بوء بشسع نعل كليب وقال كل قتيل في كليب غرة حتى ينال القتل
آل مرة وكانوا يقتلون غير القاتل اذا لم يكن بواء وقيل الاسراف المثلة وقرأ ابو مسلم صاحب
الدولة فلا يسرف بالرفع على انه خبر في معنى الامر وفيه مبالغة ليست في الامر وعن مجاهد ان الضمير
للقاتل الاول وقرئ فلا تسرف على خطاب الولي او قاتل المظلوم اما للولي يعني حسبه ان الله قد نصره
بان اوجب له القصاص فلا يسترد على ذلك وبان الله نصره بمعونة السلطان وباظهار المؤمنين
على استيفاء الحق فلا يبغ ما وراء حقه واما للمظلوم لان الله تعالى ناصره حيث اوجب القصاص بقتله
وينصره في الآخرة بالثواب واما للذي يقتله الولي بغير حق ويسرف في قتله فانه منصور بايجاب
القصاص على المسرف **بالتي هي احسن** بالخصلة او الطريقة التي هي احسن وهي حفظه وتثميره **ان العهد**
كان مسئولا اي مطلوبا يطلب من العاهد ان لا يضيعه ويفي به ويجوز ان يكون تخييلا كانه يقال للعهد
لم نكثت وهلا وفى بك تبكيتا للناكث كما يقال للمودة باي ذنب قتلت ويجوز ان يراد به ان صاحب
العهد كان مسئولا قرئ بالقسطاس بالضم والكسر وهو القرسطون وقيل كل ميزان صغر او كبر
من موازين الدراهم وغيرها **واحسن تاويلا** واحسن عاقبة وهو تفعيل من آل يؤول اذا رجع
وهو ما يؤول اليه **ولا تقف** ولا تتبع وقرئ ولا تقف يقال قفا اثره وقافه ومنه القافة يعني ولا تكن
في اتباعك ما لا علم لك به من قول او فعل كمن يتبع مسلكا لا يدري انه يوصله الى مقصده فهو ضال
والمراد النهي عن ان يقول الرجل ما لا يعلم وان يعمل بما لا يعلم ويدخل فيه النهي عن التقليد
دخولا ظاهرا لانه اتباع لما لا تعلم صحته من فساده وعن محمد بن الحنفية شهادة الزور
وعن الحسن لا تقف اخاك المسلم اذا مر بك فتقول هذا يفعل كذا ورايته كذا وسمعته كذا
ولم تروا ولم تسمع وقيل العفو شبيه بالعضيهة ومنه الحديث من قفا مؤمنا بما ليس فيه فقد حبسه
الله في ردغة الخبال حتى ياتي بالمخرج وانشد ومثل الدمى شم العرانين ساكن
بهن الحياء لا يشعن التقافيا اي التقاذف وقال الكميت ولا ارمي البريء بغير ذنب
ولا اقفو الحواصن ان قفينا وقد استدل به مبطل الاجتهاد ولم يصح لان ذلك نوع من العلم
فقد اقام الشرع غالب الظن مقام العلم وامر بالعمل به **اولئك** اشارة الى السمع والبصر والفؤاد
كقوله والعيش بعد اولئك الايام وعنه في موضع الرفع بالفاعلية اي كل واحد منها مسئولا

كان صح
اي يستوي في اولئك اولوا العقل وغيرهم

عنه فسؤل مسند الى الجار والمجرور كالمغضوب في قوله غير المغضوب عليهم يقال للانسان لم سمعت
ما لا يحل لك سماعه ولم نظرت ما لا يحل لك النظر اليه ولم عزمت على ما يحل العزم عليه وقرئ
والفواد بفتح الفاء والواو قلبت الهمزة واوا بعد الضمة في الفواد ثم استصحب القلب مع الفتح مرحا
حال اي ذا مرح وقرئ مرحا وفضل الاخفش المصدر على اسم الفاعل لما فيه من التاكيد لن تخرق
الارض لن تجعل فيها خرقا بدوسك لها وشدة وطاتك وقرئ لن تخرق بضم الراء ولن تبلغ
الجبال بتطاولك وهو تهكم بالمختال قرئ سيئة وسيئة على اضافة سيئ الى ضمير كل وسيئا
في بعض المصاحف وسيئات وفي قراءة ابي بكر الصديق رضي الله عنه كان شانه فان قلت كيف قيل
سيئة مع قوله مكروها قلت السيئة في حكم الاسماء بمنزلة الذنب والاثم دال عنه حكم الصفات فلا اعتبار
بتانيثه ولا فرق بين من قرا سيئة ومن قرا سيئا الا تراك تقول الزنى سيئة كما تقول السرقة
سيئة فلا تفرق بين اسنادها الى مذكر ومؤنث فان قلت فما ذكر من الخصال بعضها سيئ وبعضها
حسن ولذلك قرا من قرا سيئة بالاضافة فما وجه من قرا سيئة قلت كل ذلك احاطة بما نهي عنه
خاصة لا بجميع الخصال المعدودة ذلك اشارة الى ما تقدم من قوله لا تجعل مع الله الها آخر
الى هذه الغاية وسماه حكمة لانه كلام محكم لا مدخل فيه للفساد بوجه وعن ابن عباس رضي الله عنه
هذه الثماني عشرة آية كانت في الواح موسى عليه السلام اولها ولا تجعل مع الله الها آخر قال الله تعالى
وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وهي عشر آيات في التورية ولقد جعل الله تعالى فاتحتها
وخاتمتها النهي عن الشرك لان التوحيد راس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم ينفعه حكمته
وعلومه وان ند فيها العلماء وحك بيافوخه السماء وما اغنت عن الفلاسفة اسفار الحكم
وهم عن دين الله اضل من النعم افاصفاكم خطاب للذين قالوا الملائكة بنات الله والهمزة للانكار
يعني افحصكم ربكم على وجه الخلوص والصفاء بافضل الاولاد وهم البنون لم يجعل فيهم نصيبا لنفسه
واتخذ ادونهم وهي البنات وهذا خلاف الحكمة وما عليه معقولكم وعادتكم فان العبيد لا يؤثرون
باجود الاشياء واصفاها من الشوب ويكون ارداؤها وادونها للسادات انكم لتقولون قولا عظيما
باضافتكم اليه الاولاد وهي خاصة بالاجسام ثم بانكم تفضلون عليه انفسكم حيث تجعلون له ما تكرهون
ثم بان تجعلون الملائكة وهم اعلى خلق الله واشرفهم ادون خلق الله وهم الاناث ولقد صرفنا في هذا
القرآن يجوز ان يريد بهذا القرآن ابطال اضافتهم الى الله تعالى البنات لانه مما صرفه وكرر ذكره والمعنى
ولقد صرفنا القول في هذا القرآن اي اوقعنا التصريف فيه وجعلناه مكانا للتكرير ويجوز ان يشير

بهذا

بهذا القرآن الى التنزيل ويريد ولقد صرفناه يعني هذا المعنى في مواضع من التنزيل فترك الضمير لانه معلوم
وقرئ صرفنا بالتخفيف وكذلك ليذكروا وقرئ مشددا ومخففا اي كررنا ليتعظوا ويعتبروا ويطمئنوا الى
ما تحتج به عليهم فما يزيدهم الا نفورا عن الحق وقلة طمانينة اليه وعن سفيان رض كان اذا قراها قال زادني
لك خضوعا ما زاد اعداءك نفورا قرئ كما يقولون بالتاء والياء واذن دالة على ما بعدها وهو
جواب عن مقالة المشركين وجزاء للو ومعنى لابتغوا الى ذي العرش سبيلا لطلبوا الى من له
الملك والربوبية سبيلا بالمغالبة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض كقوله لو كان فيهما آلهة الا الله
لفسدتا وقيل لتقربوا اليه كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة علوا في معنى
تعاليا والمراد البراءة من ذلك والنزاهة ومعنى وصف العلو بالكبر المبالغة في معنى البراءة والبعد
مما وصفوه به المراد انها تسبح له بلسان الحال حيث تدل على الصانع وعلى قدرته وحكمته فكانها
تنطق بذلك وكانها تنزه الله مما لا يجوز عليه من الشركاء وغيرها فان قلت فما تصنع بقوله ولكن
لا تفقهون تسبيحهم وهذا التسبيح مفقوه معلوم قلت الخطاب للمشركين وهم وان كانوا اذا سئلوا
عن خالق السموات والارض قالوا الله الا انهم لما جعلوا معه آلهة مع اقرارهم فكانهم لم ينظروا ولم
يقروا لان نتيجة النظر الصحيح والاقرار الثابت خلاف ما كانوا عليه فاذا لم يفقهوا التسبيح ولم يستوضحوا
الدلالة على الخالق فان قلت من فيهن يسبحون على الحقيقة وهو الثقلان والملائكة وقد عطفوا
على السموات والارض فما وجهه قلت التسبيح المجازي حاصل في الجميع فوجب الحمل عليه
والا كانت الكلمة الواحدة في حالة واحدة محمولة على الحقيقة والمجاز انه كان حليما غفورا
حين لا يعاطيكم بالعقوبة على غفلتكم وسوء نظركم وجهلكم بالتسبيح وشرككم حجابا مستورا
ذا ستر كقولهم سيل مفعم ذو افعام وقيل هو حجاب لا يرى فهو مستور ويجوز ان يراد
انه حجاب من دونه حجاب او حجب فهو مستور بغيره او حجاب يستر ان يبصر فكيف يبصر المحتجب
به وهذه حكاية لما كانوا يقولون وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقرا ومن
بيننا وبينك حجاب كانه قال واذا قرات القرآن جعلنا على زعمهم ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه
ولان قوله وجعلنا على قلوبهم اكنة فيه معنى المنع من الفقه فكانه قيل ومنعناهم ان يفقهوه
يقال وحد يحد وحدا وحدة نحو وعد يعد وعدا وعدة ووحده من باب رجع عوده
على يديه وافعله جهدك وطاقتك في انه مصدر ساد مسد الحال اصله يحد وحده بمعنى واحدا
وحده والنفور مصدر بمعنى التولية او جمع نافر كقاعد وقعود اي يجنون ان تذكر معه آلهتهم

واذا ذكر الله وحده اشمأزت

لانهم سكارى فاذا سمعوا بالتوحيد نفروا بما يسمعون من الهزء بك وبالقرآن ومن التغوطان يقوم عن يمينه اذا قرأ رجلان من عبد الدار ورجلان من بنى زهرة فيصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالاشعار وبه فى موضع الحال كما يقول يستمعون بالهزء اى ما زيين واذ يستمعون نصب باعلم اى اعلم وقت استماعهم بما به يستمعون واذهم نجوى وبما يتناجون به اذ هم ذوو نجوى او نجوى بدل من اذ هم سحورا سحر مجنون وقيل هو من السحر وهو الرئة اى هو بشر مثلكم ضربوا لك الامثال فشلوك بالشاعر والساحر والمجنون فضلوا فى جميع ذلك ضلالا من يطلب فى التيه طريقا يسلكه فلا يقدر عليه فهو متحير فى امره لا يدرى ما يصنع لما قالوا ائذا كنا عظاما قيل لهم كونوا حجارة او حديدا او لا تكونوا عظاما فانه يقدر على احيائكم والمعنى انكم تستبعدون ان نجدد الله تعالى خلقكم ويردده الى حال الحيوة والى رطوبة الحى وغضاضة بعد ما كنتم عظاما يابسة مع ان العظام بعض اجزاء الحى بل هى عمود خلقه الذى بنى عليه سائره فليس ببدع ان يردها الله بعد رمتها الى حالتها الاولى ولكن لو كنتم ابعد شئ من الحيوة ورطوبة الحى ومن جنس ما ركب منه البشر وهو ان تكون حجارة يابسة او حديدا مع ان طباعها الجساوة والصلابة لكان قادرا على ان يردكم الى حال الحيوة او خلقا مما يكبر فى صدوركم او خلقا مما يكبر عندكم عن قبول الحيوة ويعظم فى رأيكم على الخالق سبحانه احياؤه فانه يحييه وقيل ما يكبر فى صدوركم الموت وقيل السموات والارض فسيحركونكم تعجبا واستهزاء والدعاء والاستجابة كلاهما مجاز والمعنى يوم يبعثكم فتبعثون مطاوعين منقادين لا تمتنعون وقوله بحمده حال منهم اى حامدين وهى مبالغة فى انقيادهم للبعث كقولك لمن تأمره بذكوب ما يشق عليه فيتأبى ويمتنع ستركبه وانت حامد شاكر يعنى انك تحمل عليه وتقهره حتى انك تلين لين المسيح الداعب الحامد عليه وعن سعيد بن جبير ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك وتظنون وتدرون الهول فعن يستقصرون مدة لبثكم فى الدنيا وحبونها يوما او بعض يوم وعن قتادة تحاقرت الدنيا فى اعينهم حين عاينوا الآخرة وقل لعبادى وقل للمؤمنين يقولوا الكلمة التى هى احسن والين ولا يخاشنوهم كقوله وجادلهم بالتى هى احسن وقرئ التى هى احسن بقوله ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم وان يشأ يعذبكم يعنى يقولوا لهم من الكلمة ونحوها ولا يقولوا لهم انكم اصحاب النار وانكم معذبون وما اشبه ذلك مما يغيظهم ويهيجهم على الشر ان الشيطان ينزغ بينهم

والجان اشد والصلب اصلب فالجان بين الجان والانس كالجان بين الجان والجان لا يتعرق والجان يتعرق والجان لا يتعرق

ساقط فى الاصل وسائر النسخ

اعتراض

اعتراض بعض يلقى بينهم العناد ويغرى بعضهم على بعض ليقع بينهم المشاتمة والمشاقة وما ارسلناك عليهم وكيلا اى ربا موكولا اليك امرهم تقسرهم على الاسلام وتجبرهم عليه وانما ارسلناك بشيرا ونذيرا فحذارهم ومد اصحابك بالمداراة والاحتمال وترك المخافة والمكاشفة وذلك قبل نزول آية السيف وقيل نزلت فى عمر شتمه رجل فاراد الله بالعفو عنه وقيل افرط ايذاء المشركين للمسلمين فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل الكلمة التى هى احسن ان يقولوا يهديكم الله يرحمكم الله وقرأ طلحة ينزغ بالكسر وهما لغتان نحو يعرشون ويعكفون هو رد على اهل مكة فى انكارهم واستبعادهم ان يكون يتيم ابى طالب نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه كبلال وصهيب وخباب وعنيهم دون ان يكون ذلك فى بعض اكابرهم وصناديدهم يعنى وربك اعلم عن فى السموات والارض وباحوالهم ومقاديرهم وعايستأهل كل واحد منهم فوله ولقد فضلنا بعض النبيين اشارة الى تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وآتينا داود زبورا دلالة على وجه تفضيله وهو انه خاتم الانبياء وان امته افضل الامم لان ذلك مكتوب فى زبور داود عليه السلام قال تعالى ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادى الصالحون وهم محمد وامته فان قلت هلا عرف الزبور كما عرف قوله ولقد كتبنا فى الزبور قلت يجوز ان يكون الزبور وزبور كالعتق وعتاب والفضل وفضل وان يريد وآتينا داود بعض الزبر وهى الكتب وان يريد ما ذكر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الزبور فسمى ذلك زبورا لانه بعض الزبور كما سمى بعض القرآن قرآنا هم الملائكة وقيل عيسى بن مريم وعزير وقيل نفر من الجن عبدهم ناس من العرب ثم اسلم الجن ولم يشعروا اى ادعوهم فهم لا يستطيعون ان يكشفوا عنكم الضر من مرض او فقر او عذاب ولا ان يحولوه من واحد الى احد او يبدلوه واولئك مبتدأ والذين يدعون صفته ويبتغون خبره يعنى ان آلهتهم اولئك يبتغون الوسيلة وهى القربة الى الله عز وجل وايهم بدل من واو يبتغون واى موصولة اى يبتغى من هو اقرب منهم والف الوسيلة الى الله فكيف بغير الاقرب او ضمن يبتغون معنى يحرصون فكانه قيل يحرصون ايهم يكون اقرب الى الله وذلك بالطاعة وازدياد الخير والصلاح ويرجون ويخافون كما غيرهم من عباد الله فكيف بهم يزعمون انهم آلهة ان عذاب ربك حقيقا بان يحذر كل احد من ملك مقرب ونبى مرسل فضلا عن غيرهم نحن نهلكوها بالموت والاستيصال او نعذبها بالقتل وانواع العذاب وقيل الهلاك للصالحة والعذاب للطالحة وعن مقاتل وجدت فى كتب الضحاك

الاخبار يقولون على العرش موت عافية

بن مزاحم في تفسيرها اما مكة فيخربها الحبشة وتهلك المدينة بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة بالترك
والجبال بالصواعق والرواجف واما خراسان فعذابها ضروب ثم ذكرها بلدا بلدا في الكتاب
في اللوح المحفوظ استعير المنع لترك ارسال الآيات من اجل صارف الحكمة وان الاولى منصوبة
والثاني مرفوعة تقديره وما منعنا ارسال الآيات الا تكذيب الاولين والمراد الآيات التي اقترحتها
قريش من قلب الصفا ذهبا ومن احياء الموتى وغير ذلك وعادة الله في الامم ان من اقترح
منهم آية فاجيب اليها ثم لم يؤمن ان يعاجل بعذاب الاستيصال والمعنى ما صرفنا عن ارسال ما يقترحونه
من الآيات الا ان كذب بها الذين هم امثالهم من المطبوع على قلوبهم كعاد وثمود وانها لو ارسلت لكذبوا
بها تكذيب اولئك وقالوا هذا سحر مبين كما يقولون في غيرها واستوجبوا العذاب المستأصل وقد
عزمنا ان نؤخر امر من بعثت اليهم الى يوم القيامة ثم ذكر من تلك الآيات التي اقترحها الاولون ثم
كذبوا بها لما ارسلت فاهلكوا واحدة وهي ناقة صالح لان آثار هلاكهم في بلاد العرب قريبة من حدودهم
يبصرها صادرهم وواردهم مبصرة بينة وقرئ مبصرة بفتح الميم وظلموا بها وكفروا بها وما نرسل بالآيات
ان اراد بها الآيات المقترحة فالمعنى ما نرسلها الا تخويفا من نزول العذاب العاجل كالطليعة والمقدمة
له فان لم يخافوا وقع عليهم وان اراد غيرها فالمعنى وما نرسل ما نرسل من الآيات كآيات القرآن
وغيرها الا تخويفا وانذارا بعذاب الآخرة واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس واذكر اذ اوحينا
اليك ان ربك احاط بقريش يعني بشرناك بوقعة بدر وبالنصرة عليهم وذلك قوله سيهزم الجمع
ويولون الدبر قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون وغير ذلك فجعله كان قد كان ووجد فقد
احاط بالناس على عادته في اخباره وحين تراءى الفريقان ورسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش
مع ابي بكر كان يدعو ويقول اللهم اني اسألك عهدك ووعدك ثم خرج وعليه الدرع يحرض الناس
ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر ولعل الله اراه مصارعهم في منامه فقد كان يقول حين
ورد ماء بدر والله لكأني انظر الى مصارع القوم وهو يومي الى الارض ويقول هذا مصرع فلان
هذا مصرع فلان فتسامعت قريش بما اوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من امر بدر وما ارى
في منامه من مصارعهم فكانوا يضحكون ويستسخرون ويستعجلون به استهزاء حين سمعوا
بقوله ان شجرة الزقوم طعام الاثيم جعلوها سخرية وقالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة
ثم يقول ينبت فيها الشجر وما قدر الله حق قدره من قال ذلك وما انكروا ان يجعل الله تعالى الشجر
من جنس لا تأكله النار فهذا وبر السمندل وهو دويبة ببلاد الترك تتخذ منها مناديل اذا اتسخت

السمندر بالراء لغة

طرحت

عادة الله اي سنته جاء في الحديث ان لله عادة جميلة في تكذيب المنجمين

قوله تعالى وما كان الله معذبهم وانت فيهم

الطليعة قوم يبعثون ليطلعوا طلع العدو اي حقيقة امرهم

المقدمة بالكسر صحت بمعنى المتقدم ومنه مقدمة الجيش وهذا مما تعلق به الخاصة

اراد وفاء عهدك وهو قوله ان ربك احاط بالناس

من تمام كلامهم قالوا النبات لا ثبات له في النار والجواب ان تلك الشجرة نارية

اي وما عرف الله حق معرفته وما عظمه حق عظمته

١٠٦

طرحت في النار فذهب الوسخ وبقي المنديل سالما لا تعمل فيه النار وترى النعامة تبتلع الجمر وقطع
الحديد الحمر كالجمر باحماء النار فلا تضرها ثم اقرب من ذلك انه خلق في كل شجرة نارا فلا تحرقوها فما انكروا
ان يخلق في النار شجرة لا تحرقها والمعنى ان الآيات انما يرسل بها تخويفا للعباد وهؤلاء قد خوفوا
بعذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر فما كان ما اريناك بعد الوحي الا فتنة لهم حيث اتخذوه سخريا
وخوفوا بعذاب الآخرة وشجرة الزقوم فما اثر فيهم ثم قال ونخوفهم بمخاوف الدنيا والآخرة فما
يزيدهم التخويف الا طغيانا كبيرا فكيف يخاف قوم هذه حالهم بارسال يقترحون
من الآيات وقيل الرؤيا الاسراء وبه تعلق من يقول كان الاسراء في المنام ومن قال
كان في اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية وقيل انما سماها رؤيا على قول المكذبين حيث قالوا لعلها
رؤيا رأيتها وخيال خيل اليك استبعادا منهم كما سمى اشياء باساميها عند الكفرة
نحو قوله فراغ الى آلهتهم اين شركائي ذق انك انت العزيز الكريم وقيل هي رؤيا
انه سيدخل مكة وقيل رأى في المنام ان ولد الحكم يتداولون منبره كما يتداول الصبيان
الكرة فان قلت اين لعنت شجرة الزقوم في القرآن قلت لعنت حيث لعن طاعموها
من الكفرة والظلمة لان الشجرة لا ذنب لها حتى تلعن على الحقيقة وانما وصفت بلعن اصحابها
على المجاز وقيل وصفها الله تعالى باللعن لان اللعن الابعاد من الرحمة وهي في اصل
الجحيم في ابعد مكان من الرحمة وقيل تقول العرب لكل طعام مكروه ضار ملعون
وسألت بعضهم نعم الطعام الملعون القشب الممحوق وعن ابن عباس هي الكشوث الذي يتلوى
بالشجر يجعل في الشراب وقيل هي الشيطان وقيل ابو جهل وفرعه والشجرة الملعونة بالرفع
على انها مبتدأ محذوف الخبر كانه قيل والشجرة الملعونة في القرآن كذلك طينا حال اما من
الموصول والعامل فيه اسجد على اسجد له وهو طين اي اصله طين او من الراجع اليه
من الصلة على اسجد لمن كان في وقت خلقه طينا ارأيتك الكاف للخطاب وهذا مفعول
به والمعنى اخبرني عن هذا الذي كرمته علي اي فضلته لم كرمته علي وانا خير منه فاختصر
الكلام بحذف ذلك ثم ابتدأ فقال لئن اخرتني واللام موطئة للقسم المحذوف
لاحتنكن ذريته لاستأصلنهم بالاغواء من احتنك الجراد اذا جرد ما عليها
اكلا وهو من الحنك ومنه ما ذكر سيبويه من قولهم احنك الشاتين اي اكلهما
فان قلت من اين علم ان ذلك يستهل له وهو من الغيب قلت اما ان يسمعه

من الملائكة عليهم السلام وقد اخبرهم الله تعالى او خدجه من قولهم اجعل فيها من يفسد فيها او نظر اليه فتوسم في مخايله انه خلق شهواني وقيل قال ذلك لما علمت وسوسته في آدم عليه السلام والظاهر انه قال ذلك قبل اكل آدم من الشجرة **اذهب** ليس من الذهاب الذي هو نقيض المجيء وانما معناه امض لما انك الذي اخترته خذلانا وتخلية وعقبه بذكر ما جره سوء اختياره في قوله **فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم** كما قال موسى عليه السلام لسامري **اذهب** فان لك في الحياة ان تقول ان لامساس **فان قلت** انما كان من حق الضمير في الجزاء ان يكون على لفظ الغيبة ليرجع الى من تبعك **قلت** بلى ولكن التقدير فان جهنم جزاؤهم وجزاؤك فغلب المخاطب على الغايب فقيل جزاؤكم ويجوز ان يكون للتابعين على طريقة الالتفات وانتصب جزاء موفورا بما في فان جهنم جزاؤكم من معنى تجازون او باضمار تجازون او على الحال لان الجزاء موصوف بالموفور والموفور الوافر يقال فر لصاحبك عرضه فرة استغفه واستخف والفز الخفيف واجلب من الجلبة وهي الصياح والخيل الجيالة ومنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي والرجل اسم جمع للراجل ونظيره الركب والصحب وفرغ ورجلك على ان فعلا بمعنى فاعل نحو تعب وتاعب ومعناه وجهك الرجل وتضم جيمه ايضا فيكون مثل حدث وحدث وندس وندس واخوات لها يقال رجل ورجل ويقال ورجالك ورجالك فان قلت ما معنى استفزاز ابليس بصوته واجلابه بخيله ورجله **قلت** هو كلام ورد مورد التمثيل مثلت حاله في تسلطه على من يغويه بغواية اوقع على قوم فصوت بهم صوتا يستفزهم من اماكنهم ويقلقهم عن مراكزهم واجلب عليهم بجنده من خيالته ورجالته حتى استأصلهم وقيل بصوتك بدعائك الى الشر وخيله ورجله كل راكب وماش من اهل الغي وقيل يجوز ان يكون لابليس خيل ورجال واما المشاركة في الاموال والاولاد فكل معصية تحملهم عليها في بابها كالربا والمكاسب المحرمة والبحيرة والسايبة والانفاق في الفسوق والاسراف ومنع الذكوة والتوصل الى الاولاد بالسبب الحرام ودعوي ولد بغير سبب والتسمية بعبد العزي وعبد الحرث والتهويد والتنصير والحمل على الحرف الذميمة والاعمال المحظورة ونحو ذلك **وعدهم** المواعيد الكاذبة من شفاعة الآلهة والكرامة

على الله بالاسباب الخبيثة وتسويف ومغفرة الذنوب بدونها والاتكال على الدرجة وشفاعة الرسول في الكبايد والخروج من النار بعد ان يصيروا حمما وانتظار العاجل على الآجل **ان عبادي** يريد الصالحين **ليس لك عليهم سلطان** اي لا يقدر ان يغويهم **وكفى بربك وكيلا** لهم يتوكلون عليه في الاستعاذة منك ونحوه قوله الا عبادك منهم المخلصين **فان قلت** كيف جاز ان يأمر الله تعالى ابليس بان يتسلط على عباده مغويا مضلا داعيا الى الشر صادا عن الخير **قلت** هو من الاوامر الواردة على سبيل الخذلان والتخلية كما قال للعصاة اعملوا ما شئتم **ربكم** يجري ويثير والفرق **ضل من تدعون الا اياه** ذهب عن اوهامكم وخواطركم كل من تدعونه في حوادثكم **الا اياه** وحده فانكم لا تذكرون سواه ولا تدعونه في ذلك الوقت ولا تعتدون برحمته رجاءكم ولا تخطرون ببالكم ان غيره يقدر على اغاثتكم او لم يهتد لانقاذكم احد غيره من سايد الدعوين ويجوز ان يراد ضل من تدعون من الآلهة عن اغاثتكم ولكن الله وحده هو الذي ترجونه على الاستثناء المنقطع **افامنتم** الهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره انجوتم فامنتم فحملكم ذلك على الاعراض **فان قلت** بم انتصب **جانب البر قلت** بخسف منعولا به كالارض في قوله فخسفنا به وبدار الارض **وبكم** حال المعنى ان يخسف بكم جانب البر اي يغلبه وانتم عليه **فان قلت** فما معنى ذكر الجانب **قلت** معناه ان الجوانب والجهات كلها في قدرته سواء وله في كل جانب برا كان او بحرا سبب مد صد من اسباب الهلكة ليس جانب البحر وصفه مختصا بذلك بل ان كان الغرق في جانب البحر ففي جانب البر ما هو مثله وهو الخسف لانه تغيب تحت التراب كما ان الغرق تغيب تحت الماء فالبر والبحر عند الله سيان يقدر في البر على نحو ما يقدر عليه في البحر فعلى العاقل ان يستوي خوفه من الله في جميع الجوانب وحيث كان **او يرسل عليكم حاصبا** وهي الريح التي تحصب اي ترمي بالحصباء يعني او ان لم يصبكم بالهلاك من تحتكم بالخسف اصابكم به من فوقكم بمنع يرسلها عليكم فيها الحصباء يزجركم بها فيكون اشد عليكم من الغرق في البحر من يتوكل لصرف ذلك عنكم **ام امنتم** ان يعيدكم فيها تارة اخرى **قاصفا** ريحا تقصف كل شيء تمر به من الفلك وغيرها **فيغرقكم** بكفركم **ثم لا تجدوا** احدا **لكم به** بالاغراق **علينا** بالانتصار منا **تبيعا** يطالبنا بما فعلنا بكم **ولقد كرمنا** بالعقل والنطق والتمييز بين الحق والباطل والتهدي الى الصناعات العجيبة واستخراج المعايش الغريبة والتسلط على ما في البر والبحر بالتسخير والتذليل وتسوية الخلقة وتعديل الصورة وحسن الشكل والرونق وبان جعلهم خلفاء في الارض وقبلة للصلاة ومخاطبين بالشرايع المؤدية الى الثواب المخلد وبان اعطاهم الكتب والصحف وارسل اليهم الرسل وانزل عليهم الوحي وبان عصمهم من الخبائث وطهرهم من الادناس وبان اكرم موتاهم بالدفن وبان اعطى كل عضو منهم ما يليق به من الكمال والتزيين وبان خصهم بالنطق والخط والكتابة وبان اعطاهم الاقدار على الصنايع الغريبة والحرف العجيبة وبان ذللهم لراكبيهم وحملهم الاثقال وبان جعلهم قوائم لدوابهم وآلات لمراكبهم وبان اعطاهم الاقدار على الاعمال الشاقة والاسفار البعيدة وبان ذللهم لاكل الطيبات وبان اعطاهم الاقدار على الاستمتاع بالنساء وبان ذللهم لاكل الطيبات وبان اعطاهم الاقدار على الاستمتاع بالنساء وبان ذللهم لاكل الطيبات وبان اعطاهم الاقدار على الاستمتاع بالنساء

وهي الريح التي لها قصيف وهو الصوت الشديد كانها تتقصف اي تتكسر وقيل
التي لا تمر الا قصفته فيغير فكم وقرئ بالتاء اي الريح وبالنون وكذلك تخنيف
ويرسل ونعيدكم قرئت بالياء والنون التبيع المطالب من قوله تعالى فاتباع بالمعروف
اي فمطالبته فال الشماخ كما لاذ الغريم من التبيع يقال فلان عاف فلان تبيع
اي مسيطر عليه مطالبه بحقه والمعنى انا نفعل ما نفعل بهم ثم لا نجد احدا يطالبنا بما
فعلنا انتصارا منا ودركا للثار من جهتنا وهذا نحو قوله ولا يخاف عقباها
بما كفتم بكفانكم النعمة يدا عاضهم حين نجاتهم فيل في تكرمة آدم كرمهم الله بالعقل ابن ص
والنطق والتمييز والخط والصور الحسنة والقامة المعتدلة وتدبير امر المعاش
والمعاد وقيل بتسليطهم على ما في الارض وتسخيره لهم وقيل كل شئ ياكل بفيه الا ابن الصدف يكتفي
آدم وعن الرشيد انه احضر طعاما فدعا بالملاعق وعند ابو يوسف فقال له جاء في تفسير
جدك عبد الله بن عباس قوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم جعلنا لهم اصابع ياكلون بها فاحضرت
الملاعق فدقها واكل باصابعه على كثير ممن خلقنا هو ما سوى الملائكة عليهم السلام
وحب بني آدم تفضيلا ان تدفع عليهم الملائكة وهم هم ومنه لتهم عند الله تعالى منزلتهم
والعجب من الجبرية كيف عكسوا في كل شئ وكابروا حتى جحدتهم عادة المكابرة على العظيمة
التي هي تفضيل الانسان على الملك وذلك بعد ما سمعوا التنجيم الله امدهم وتكثيره مع التقطيع
ذكرهم وعلموا ابن اكنههم واتى قدرتهم وكيف تذلهم منزلة ابنائه من امهاتهم ثم
حجتهم فرط التعصب عليهم الى ان لفقوا اقوالا واخبارا منها قالت الملائكة
ربنا انك اعطيت بني آدم الدنيا ياكلون منها ويتمتعون ولم تعطنا ذلك
فاعطناه في الآخرة فقال وعزتي وجلالي لا اجعل ذرية من خلقت
بيدي كمن قلت له كن فكان وروا عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال
لمؤمن اكرم على الله من الملائكة الذين عنده ومن ادلتهم انهم قد وا كثيرا بعض
جميع في من الآية وخذلوا حتى سلبوا الذوق ولم يحسوا ببشاعة قولهم على جميع
من خلقنا على ان معنى قولهم على جميع من خلقنا اشجى لحلوقهم واقذى لعيونهم
ولكنهم لا يشعرون فانظر الى تحيلهم وتشبثهم بالتاويلات البعيدة في عداوة
الملاء الاعلى كان جبريل عليه السلام غاظهم حين اهلك مدائن قوم لوط فتلك

ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الخير انا ابو الخير وسعدي سعدي ان سعدي الفصيح وقد يحتج بالذيل لقوله فعلت وانكحت الوجوه بهم اي بهم الاعداء اظله رفوني وقالوا يا خويلد لم تقع

قال معتدل القامة والقد مورد والوجنة والخد

الحكاية المجاراة لحكاية الكبرياء

السخنة لا تخل عن قلوبهم قرئ يدعوا بالياء والتنوين ويدع كل انسان على البناء للمفعول وقرئ
للحسنى يدعو كل انسان على قلب الالف واوا في لغة من يقول افعوا والظرف نصب
باضمار اذكر ويجوز ان يقال انها علامة الجمع كما في قوله واسروا النجوى الذين ظلموا والدفع
مقدر كما في يدع ولم يوت بالتنون فلة مبالاة بها لانها عنبر صغير ليست الاعلامة بانها من
ايتموا به من بنت او معدم في الدين او كتاب او دين فيقال يا اتباع فلان يا اهل
دين كذا وكتاب كذا وقيل بكتاب اعمالهم فيقال يا اصحاب كتاب الخير ويا اصحاب
كتاب الشر وفي قراءة الحسن بكتابهم ومن بدع التفاسير ان الامام جمع امة وان
الناس يدعون يوم القيامة بامهاتهم وان الحكمة بالامهات دون الآباء دعاية
حتى عيسى عليه السلام واظهار شرف الحسن والحسين رضي الله عنهما وان لا يفتضح
اولاد الزنا ولين شعري ايتهما ابدع اصحة لفظ ام بها حكمته فمن اوتي من اولئك
المدعوين كتابه بيمينه فاولئك يقرءون كتابهم قيل اولئك لان من اوتي في معنى الجمع فان قلت
لم خص اصحاب اليمين بقراءة كتابهم كان اصحاب الشمال لا يقرءون كتابهم ثم بدل هو
قلت بلى ولكن اذا طالعوا علما في كتابهم اخذتهم ما يأخذ المطالب
بالثار عاجلا باتيانه والاعتراف عاريه امام التنكيل به والانتقام منه من
الحياء والانخذال وحبسة اللسان والتلعثم والعجز عن اقامة حروف الكلام
والذهاب عن تسوية القول فكان قراءتهم كلا قراءة واما اصحاب اليمين فانهم على
على عكس ذلك لاجرم انهم يقرءون كتابهم احسن قراءة وابينها ولا يقتعون بقراءتهم
وحدهم حتى يقول القارئ لاهل المحشر هاؤم اقرءوا كتابيه ولا
يظلمون فتيلا ولا ينقصون من ثوابهم ادنى شئ كفوله ولا يظلمون
شيئا فلا يخاف ظلما ولا هضما معناه ومن كان في الدنيا اعمى فهو في الآخرة
اعمى كذلك واضل سبيلا من الاعمى والاعمى مستعار ممن لا يدرك المبصرات
لفساد حاسته لمن لا يهتدي الى طريق التجارة اما في الدنيا فلفقد النظر واما
في الآخرة فلانه لا ينفعه الاهتداء اليه وقد جوزوا ان يكون الثاني بمعنى التفضيل
ومن ثم قرأ ابو عمرو والاوقف تاما لا والثاني بمعنى الاعمى لان افعل التفضيل تمامه
عن فكانت الفاء في حكم الواقعة في وسط الكلام كقولك اعمالكم واما الاوقف

الاعمالة ان تفعل بالالف كخوف الكسرة والتفخيم ضده

الى البطء

الا عالة مختصة بآخر الكلمة لانها علامة واما عاد فتلك اعالة لاحق الالف فلا بنوجه الاشكال

السجدة

وانبت الصفة مقامه وهو الضعف ثم اضيف الصفة اضافة الموصوف فقيل
ضعف الحيوة وضعف الممات كما لو قيل لاذقناك الم الحيوة والم الممات
ويجوز ان يراد بضعف الحياة عذاب الحيوة الدنيا وبضعف الممات ما يعقب
الموت من عذاب القبر وعذاب النار والمعنى اذن لضاعفنا لك العذاب
المعجل للعصاة في الحيوة الدنيا وما نؤخره لما بعد الموت وفي ذكر الكيد ودفعه وتقليلها
مع اتباعها الوعيد الشديد بالعذاب المضاعف في الدارين دليل بين على ان
القبيح يعظم قبحه بمقدار عظم شأن فاعله وارتفاع منزلته ومن ثم استعظم
مشايخ العدل والتوحيد نسبة الجبرة الى الله سبحانه القبائح تعالى عن ذلك علوا
كبيرا وفيه دليل على ان ادنى مداهنة للغواة مضادة وخروج عن ولايته
وسبب موجب لغضبه ونكاله فعلى المؤمن اذا تلا هذه الاية ان يحتشم عند ما
ويتدبرها فهي جديدة بالتدبير وبان يستشعر الناظر فيها الخشية وازدياد
التصلب في دين الله وعن النبي صلى الله عليه وسلم انها لما نزلت كان يقول
اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين وان كادوا وان كاد اهل مكة ليستفزونك
ليزعجونك بعداوتهم ومكرهم من الارض من ارض مكة واذن لا يلبثون لا يبقون
بعد اخراجك الا زمانا قليلا فان الله مهلكهم وكان كما قال فقد اهلكوا
ببدر اخراجه بقليل وقيل معناه ولو اخرجوك لاستوصلوا عن بكرة
ابيهم ولم يخرجوه بل ما اجد بامر ربه وقيل من ارض العرب وقيل من ارض
المدينة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اجد حسدته اليهود
وكادوا قد به منهم فاجتمعوا اليه وقالوا يا ابا القسم ان الانبياء انما بعثوا بالشام
وهي بلاد مقدسة وكانت مهاجر ابرهيم فلو خرجت الى الشام آمنا بك واتبعناك
وقد علمنا انه لا يمنعك من الخروج الا خوف الروم فان كنت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فالله مانعك منهم فعزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الخروج الى الشام
بذي الحليفة حتى يجتمع اليه اصحابه ويراه الناس عازما على الخروج الى الشام
فيصير على دخول الناس في دين الله فنزلت فدجع وقرئ لا يلبثون وفي قراءة ابي لا يلبثوا على
اعمال اذن فان قلت ما وجه القراءتين قلت اما الثانية فقد عطف فيها الفعل على الفعل وهو

(Stamp: Bibliothèque Nationale)

مرفوع لوقوعه خبر كاد والفعل في خبر كاد واقع موقع الاسم واما قراءة ابي فقيها الجملة بداسها التي هي اذن لا يلبثوا عطف على جملة قوله وان كادوا ليستفزونك وقرئ جلافك قال عفت الديار خلافهم فكانما بسيط التواطب بينهن حصيرا

اي بعد هم سنة من قد ارسلنا يعني ان كل قوم اخرجوا رسولهم من بين ظهرانيهم فتنة الدنيا ان يهلكهم ونصبت نصب المصدر المؤكد اي سن الله ذلك سنة وكتب الشمس غربت وقيل زالت وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم اتاني جبريل لدلوك الشمس الى حين زالت فصلى بي الظهر واشتقاقه من الدلك لان الانسان يدلك عينه عند النظر اليها فان كان الدلوك الزوال فالآية جامعة للصلوات الخمس وان كان الغروب فقد خرجت منها الظهر والعصر والغسق الظلمة وهو وقت صلوة العشاء وقرآن الفجر صلوة الفجر سميت قرآنا وهو القراءة لانها ركن كما سميت ركوعا وسجودا وتلاوة وهي حجة على ابن علية والاصم تشهده ملائكة الليل والنهار ينزل هؤلاء ويصعد هؤلاء فهو في آخر ديوان الليل واخر ديوان النهار او يشهده الكثير من المصلين في العادة او من حقه ان يكون مشهودا بالجماعة الكثيرة ويجوز ان يكون وقرآن الفجر حثا على طول القراءة في صلوة الفجر بكونها مكتوبا عليها ليسمع الناس القرآن فيكثر الثواب ولذلك كانت الفجر اطول الصلوات قراءة

ومن الليل وعليك بعض الليل فتهجد به والتهجد ترك الهجود للصلوة ونحوه التأثم والتحوب يقال تهجد الرجل اذا سهر وهجد اذا نام وقد هجدته او الوسنة قلت هجدنا فقد طال السرى ويقال ايضا في النوم تهجد نافلة لك عبادة زائدة لك على الصلوات الخمس وضع نافلة موضع الجمع لانها لوكانت حصول المحمود وهو النوم والنافلة بجمعها معنى واحد والمعنى ان التهجد زيد لك على الصلوات المفروضة فريضة عليك خاصة دون غيرك لانه تطوع لهم مقاما محمودا نصب على الظرف اي عسى ان يبعثك معنى يقيمك ويجوز ان يكون حالا بمعنى ان يبعثك ذا مقام محمود ومعنى المقام المحمود المقام الذي يحمد القائم فيه وكل من رآه وعرفه وهو مطلق في كل ما يجلب الحمد من انواع الكرامات وقيل الداد الشفاعة وهي نوع واحد مما يتناوله وعن ابن عباس رضي الله عنه مقاما يحمدك فيه الاولون والآخرون وتشرف فيه على جميع الخلايق تأل فتعطى وتشفع فتشفع ليس

في زعمها ان القراءة ليست بركن

احد

ليس احد الا تحت لوائك وعن ابي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم هو المقام الذي اشفع فيه لامتي وعن حذيفة يجمع الناس في صعيد واحد فلا يتكلم نفس فاول مدعو محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك والشر ليس اليك والمهدي من هديت وعبدك بين يديك وبك اليك لا ملجأ ولا منجا منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت قال فهذا قوله عسى ان يبعثك مقاما محمودا فرفع مدخل ومخرج بالضم والفتح بمعنى المصدر ومعنى الفتح ادخلني فادخل مدخل صدق اي ادخلني القبر مدخل صدق ادخالا مرضيا على الهيئة وطيب من السيئات واخرجني منه عند البعث اخراجا مرضيا تلقى بالكرامة آمنا من التخبط بدل عليه ذكر الله ذلك البعث وقيل نزلت حين امر بالهجرة يريد ادخال المدينة والاخراج من مكة وقيل ادخالها مكة ظاهرا عليها بالفتح واخراجه منها آمنا من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله فيما حمله من عظيم الامر وهو النبوة واخراجه منه موديا لما كلفه من غير تفريط وقيل الطاعة وقيل هو عام في كل ما يدخل فيه ويلابسه من امر ومكان سلطانا حجة تنصرني على من خالفني او ملكا وعزا قويا ناصرا للاسلام على الكفر منظرا له عليه فاجيبت دعوته بقوله والله يعصمك من الناس الآية ان حزب الله هم الغالبون لينظره على الدين كله ليستخلفنهم في الارض ووعده لينزعن ملك فارس والروم فيجعله له وعنه عليه السلام انه استعمل عتاب بن اسيد على مكة وقال ان طلق فقد استعملتك على اهل الله فكان شديدا على المريب لينا على المؤمن وقال لا والله لا اعلم متخلفا يتخلف عن الصلوة في جماعة الا ضربت عنقه فانه لا يتخلف عن الصلوة الا منافق فقال اهل مكة يا رسول الله لقد استعملت على اهل الله عتاب بن اسيد اعرابيا جافيا فقال صلى الله عليه وسلم اني رأيت فيما يرى النايم كان عتاب بن اسيد اتى باب الجنة فاخذ بحلقة الباب فقلقلها قلقلا شديدا حتى فتح له فدخل فاعز الله به الاسلام لنصرة المسلمين على من يريد ظلمهم فذلك السلطان النصير كان حول البيت ثلثمايه وستون صنما صنم كل قوم بحيالهم وعن ابن عباس رضي الله عنه كانت لقبايل العرب بحجون اليها ويعتمرون لها فشكا البيت الى الله عز وجل فقال اي رب الى متى تعبد من الاصنام حولي دونك فاوحى الله الى البيت اني ساحدث لك نوبة جديدة فاملاك خدودا سجدا يدفون اليك وفيك النور ويحنون اليك حنين الطير الى بيضها لهم عجيج حولك بالتلبية فلما زلت من الآية يوم الفتح قال جبريل لرسول الله صلوات الله عليهما خذ مخصرتك ثم اقبلها فجعل يأتي صنما صنما وهو ينكت بالمخصرة في عينه ويقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب الصنم على وجهه حتى اتاها جميعا

اي ولاه للقضاء والحكومة وكان ابن ست عشرة سنة

وبقي صخرة فوق الكعبة وكان من قوارير صغر فقال لابن عمه ما على ارم به فحمله رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد فرمى به فكسره فجعل اهل مكة يتعجبون ويقولون ما رأينا رجلا اسحر من محمد وشكاية ابيات والوحي اليه عثيل ومخيل **وزهق الباطل** ذهب وهلك من قولهم زهقت نفسه اذا خرجت وللحق الاسلام والباطل الشرك **كان زهوقا** كان مضمحلا غير ثابت في كل وقت **وننزل** وفي بالتخفيف والتشديد **من القرآن** من للتبيين كقوله من الاوثان او للتبعيض اى كل شيء ننزل من القرآن فهو شفاء للمؤمنين بذهاب الجهل والشك عن قلوبهم بالقرآن فلا شفاء اشد ولا ازيد منه موقع الشفاء من المرض وعن النبي صلى الله عليه وسلم من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله ولا يزيد به الكافرون **الا خسارا** اى نقصانا لتكذيبهم به وكفرهم كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم **واذا انعمنا على الانسان** بالصحة والسعة اعرض عن ذكر الله كانه مستغن عنه مستبد بنعمه **ونأى بجانبه** تأكيد للاعراض لان الاعراض عن الشيء ان يوليه عرض وجهه والنأي بالجانب ان يلوي عنه عطفه ويوليه ظهره او اراد الاستكبار لان ذلك من عادة المتكبرين **واذا مسه الشر** من فقر او مرض او نازلة من النوازل **كان يؤسا** شديد اليأس من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وفرع ونأى بجانبه بتقديم الالم على العين كقولهم راء في رأي ويجوز ان يكون من ناء بمعنى نهض **قل كل احد يعمل على شاكلته** اى على مذهبه وطريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة من قولهم طريق وشاكل وهي الطرق التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة تشعب منه والدليل عليه قوله **فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا** اى استدمنا وطريقة الاكثر على ان الروح الذي في الحيوان سألوه عن حقيقته فاخبر انه من امر الله اى مما استأثر بعلمه وعن ابن بريدة لقد مضى النبي صلى الله عليه وسلم وما يعلم الروح وقيل هو خلق عظيم روحاني اعظم من الملك وقيل جبريل عليه السلام وقيل القرآن **ومن امر ربي** اى من وحيه وكلامه ليس من كلام البشر بحيث يهتدى الى كنهه ان سألوه عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان اجاب عنها او سكت فليس بنبي وان اجاب عن البعض وسكت عن البعض فهو نبي فبين لهم القصتين والهم امر الروح وهو مبهم في التوراة فنزلوا عما سألوا عنه **وما اوتيتم** الخطاب عام وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال لهم ذلك قالوا نحن مختصون بهذا الخطاب ام انت معنا فيه فقال بل نحن وانتم لم نؤت من العلم الا قليلا فقالوا ما اعجب شانك

آيات الشفاء
وشفاء صدور قوم مؤمنين يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور فيه شفاء للناس وننزل من القرآن ما هو شفاء واذا مرضت فهو يشفين قل هو للذين امنوا هدى وشفاء

قوله اعلم من الملك يقوم يوم القيامة صفا والملائكة صفا وهو الذي قال الله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا مذهب الحكماء ان الروح والطبيعة عالمة مدركة وباقية تارة يعبر عنها بالروح وتارة بالقلب وتارة بالنفس وعندنا بل السنة الروح غير والنفس غير والقلب غير مع اتفاقهم انها جواهر اجسام عندنا جسم وعند الحكماء جوهر

ساعة تعقل ومن بيوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وساعة تعقل هذا فنزلت ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام وليس ما قالوه بلازم لان القلة والكثرة تدوران مع الاضافة فيوصف الشيء بالقلة مضافا الى ما فوقه وبالكثرة مضافا الى ما تحته فالحكمة التي اوتيها العبد خير كثير في نفسها الا انها اذا اضيفت على علم الله فهي قليلة وقيل الخطاب لليهود خاصة لانهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم قد اوتينا التوراة وفيها الحكمة وقد تلوت ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا فقيل لهم ان علم التوراة قليل في جنب الله عز وجل **لئن شئنا لنذهبن** جواب قسم محذوف مع نيابته عن جزاء الشرط واللام الداخلة على ان موطئة للقسم والمعنى ان شئنا اذهبنا بالقرآن ومحوناه عن القلوب والمصاحف فلم نترك له اثرا وبقيت كما كنت لا تدري ما الكتاب ولا الايمان **ثم لا تجد لك** بعد الذهاب به من يتوكل علينا باسترداده واعادته محفوظا مسطورا **الا رحمة من ربك** الا ان يرحمك ربك فيرده عليك كان رحمته تتوكل عليه بالرد او يكون على الاستثناء المنقطع بمعنى ولكن رحمة من ربك تتركه غير مذهوب به وهذا امتنان من الله تعالى بابقاء القرآن محفوظا بعد المنة العظيمة في تنزيله وتحفيظه فعلى كل ذي علم ان لا يغفل عن هاتين المنتين والقيام بشكرهما وهما منة الله تعالى عليه بحفظ العلم ورسوخه في صدره ومنته عليه بابقاء المحفوظ وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان اول ما تفقدون من دينكم الامانة واخرما تفقدون الصلوة وليصلين قوم ولا دين لهم وان هذا القرآن تعصرون يوما وما فيكم منه شيء فقال رجل كيف بذلك وقد اثبتناه في قلوبنا واثبتناه في مصاحفنا فعلمنا ابناءنا وابناؤنا ابناءهم فقال يسري عليه ليلا فيصبح الناس منه فقراء فيدفع المصاحف وينزع ما في القلوب **لا يأتون** جواب قسم محذوف ولولا اللام الموطئة لجاز ان تكون جوابا للشرط كقوله لئن لم ينته لاغيبن ماليه ولاحرمن لان الشرط يقع ماضيا اى لو تظاهروا على ان يأتوا بمثل القرآن في بلاغته وحسن نظمه وتاليفه وفيهم العرب العاربة ارباب البيان لعجزوا عن الاتيان بمثله والعجب من الغواة ومن زعمهم ان القرآن قديم مع اعترافهم بانه معجز وانما يكون العجز حيث تكون القدرة فيقال الله قادر على خلق الاجسام والعباد عاجزون عنه واما المحال الذي لا مجال فيه للقدرة ولا مدخل لها كاتيان القديم فلا يقال للفاعل قد عجز عنه ولا هو معجز ولو قيل ذلك لجاز وصف الله تعالى بالعجز لانه لا يوصف بالقدرة على المحال الا ان يكابروا فيقولون هو قادر على المحال فان راس اموالهم المكابرة وقلب الحقايق **ولقد صرفنا** وردنا وكررنا من

نحو قوله توكلت على الله وتوكل فلان على فلان اذا اعتمد وكفى به وكيلا عليه اى متوكلا او مرهبا على التوكل والمتوكل عليه بعض واحد

اى تكذيبه

العرب العاربة والعرب العربا، هي الاولى من العرب سميت بذلك لفصاحتهم كقولهم الجاهلية الجهلاء كانوا في الجاهلية الجهلاء اي الاولى منها

الحق

وان آزاه خليل يوم بالله

لا يخرجون

كل مثل من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه والكفور الجحود فان قلت كيف جاز فابى
اكثر الناس ولم يجز ضربت الا زيدا قلت لان ابى متاول بالنفي كانه قيل فلم يرضوا
الا كفورا لما تبين اعجاز القرآن وانضمت اليه المعجزات الاخر والبينات ولزمتهم الحجة وغلبوا
اخذوا يتعللون باقتراح الآيات فعل المبهوت المحجوج المتعثر في اذيال الحيرة فقالوا لن
نؤمن لك حتى وحتى تفجر تفتح وقرئ تفجر بالتخفيف ارض مكة ينبوعا عينا غزيرة من شانها
ان ينبع بالماء لا تقطع يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء كما زعمت يعنون
قول الله ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء قرئ كسفا بسكون السين جمع كسفة
كسدر وسدرة وبفتحه قبيلا كفيلا بما تقول شاهدا بصحته والمعنى او تاتي بالله
قبيلا وبالملائكة قبلا كقوله كنت منه ووالدي بريا فابى وقيار بها لغريب
او مقابلا كالعشر بمعنى المعاشر ونحوه لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا او جماعة حالا
من الملائكة من زخرف من ذهب في السماء في معارج السماء فحذف المضاف يقال رقي في السلم وفي الدرجة
ولن نؤمن لرقيك ولن نؤمن لاجل رقيك حتى تنزل علينا كتابا من السماء فيه تصديقك
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال عبد الله بن ابي امية لن نؤمن لك حتى تتخذ الى السماء سلما
ثم ترقى فيه وانا انظر حتى تاتيها ثم تاتي معك بصك منشور معه اربعة من الملائكة يشهدون
لك انك كما تقول وما كانوا يقصدون بهذه الاقتراحات الا العناد واللجاج ولو جاءتهم
كل آية لقالوا هذا سحر كما قال عز وعلا ولو نزلنا عليك قرطاسا فلمسوه بايديهم
ولو فتحنا عليهم من السماء فظلوا فيه يعرجون وحين انكروا الآية الباقية التي هي القرآن
وساير الآيات وليست بدون ما اقترحوه بل هي اعظم لم يكن الى تبصرتهم سبيل قل سبحان
ربي وقرئ قال سبحان ربي اي قال الرسول وسبحان ربي تعجب من اقتراحاتهم هل
كنت الا رسولا كساير الرسل بشرا مثلهم وكان الرسل لا ياتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم من الآيات
فليس امر الآيات الي انما هو الى الله فما بالكم تتخيرونها علي ان الاولى نصب مفعول ثان
لمنع والثانية رفع فاعل له والهدى الوحي اي وما منعهم الايمان بالقرآن ونبوة
محمد صلى الله عليه وسلم الا شبهة تلجلجت تحركت في صدورهم وهي انكارهم ان يرسل الله
البشر والهمزة في ابعث الله للانكار وما انكروه فخلافه هو المنكر عند الله لان قضية
حكمته ان لا يرسل ملك الوحي الا الى امثاله او الى الانبياء ثم قرر ذلك بانه لو كان في

الاستثناء من اعم العام في النفي ممكن وفي الاثبات غير ممكن

تخير اذا اقترح عليه في اختيار الخير فمعناه ما بالكم تتحكمون علي

الارض

الارض ملائكة يمشون على اقدامهم كما يمشي الانس ولا يطيرون باجنحتهم الى السماء فيسمعوا من اهلها
ويعلموا ما يجب علمه مطمئنين ساكنين في الارض قارين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا يعلمهم
الخير ويهديهم المراشد فاما الانس فما هم بهذه المثابة انما يرسل الملك الى مختار منهم للنبوة
فيقوم ذلك المختار بدعوتهم وارشادهم فان قلت هل يجوز ان يكون بشرا وملكا منصوبين
على الحال من رسولا قلت وجه حسن والمعنى له اجوب شهيدا بيني وبينكم على اني بلغت
ما ارسلت به اليكم وانكم كذبتم وعاندتم انه كان بعباده المنذرين والمنذرين خبيرا عالما باحوالهم
فهو مجازيهم وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد للكفرة وشهيدا تمييز او حال
ومن يهد الله ومن يوفقه ويلطف به فهو المهتد لانه لا يلطف الا بمن عرف ان اللطف ينفع فيه
ومن يضلل ومن يخذل فلن تجد لهم اولياء انصارا على وجوههم كقوله يوم يسحبون في النار
على وجوههم وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم قال ان الذي امشاهم على
اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم عميا وبكما وصما كما كانوا في الدنيا لا يستبصرون ولا
ينطقون بالحق ويتصامون عن استماعهم فهم في الآخرة كذلك لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا يسمعون
ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى ويجوز
ان يحشروا مورو في الحواس من الموقف الى النار بعد الحساب فقد اخبر عنهم في موضع
آخر انهم يقرؤون ويتكلمون كلما خبت كلما اكلت جلودهم ولحومهم وافنتها فسكن لهبها
بدلوا غيرها فرجعت ملتهبة مستعرة كانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء جعل الله
جزاءهم ان سلط النار على اجزائهم تاكلها وتفنيها ثم يعيدها لا يزالون على الافناء
والاعادة ليزيد ذلك في تحسيرهم على تكذيبهم البعث ولانه ادخل في الانتقام من الجاحد
وقد دل على ذلك بقوله ذلك جزاؤهم الى قوله ائنا لمبعوثون خلقا جديدا فان قلت
علام عطف قوله وجعل لهم اجلا قلت على قوله اولم يروا لان المعنى قد علموا بدليل العقل
ان من قدر على خلق السموات والارض فهو قادر على خلق امثالهم من الانس لانهم ليسوا باشد
خلقا منهن كما قال ءانتم اشد خلقا ام السماء وجعل لهم اجلا لا ريب فيه وهو الموت
او القيامة فابوا مع وضوح الدليل الا جحودا لو حقها ان تدخل على الافعال دون الاسماء
فلا بد من فعل بعدها في انتم تملكون تقديره لو انتم تملكون فاضمر تملك اضمارا على شريطة

التفسير وابدل من الضمير المتصل الذي هو الواو ضمير منفصل وهو انتم لسقوط ما يتصل به من اللفظ
فانتم فاعل الفعل المضمر ويملكون تفسيره وهذا هو الوجه الذي يقتضيه علم الاعراب فاما ما
يقتضيه علم البيان فهو ان انتم تملكون فيه دلالة على الاختصاص وان الناس هم المختصون
بالشح المتبالغ ونحوه قول حاتم لو ذات سوار لطمتني وقول المتلمس
ولو غير اخوالي ارادوا نقيصتي وذلك لان الفعل الاول لما سقط لاجل المفسر برز الكلام في
صورة المبتدا والخبر ورحمة الله رزقه وسائر نعمه على خلقه ولقد بلغ هذا الوصف بالشح
الغاية التي لا يبلغها الوهم وقيل هو لاهل مكة الذين اقترحوا ما اقترحوا من الينبوع والانهار
وغيرها وانهم لو ملكوا خزاين الارزاق لبخلوا بها قتورا ضيقا بخيلا فان قلت هل يقدر
لامسكتم مفعول قلت لا لان معناه لبخلتم من قولك للبخيل ممسك عن ابن عباس رضي الله عنهما
هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والحجر والبحر والطور الذي نتقه على بني
اسرائيل وعن الحسن الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الحجر والطور والبحر وعن
عمر بن عبد العزيز انه سال محمد بن كعب فذكر اللسان والطمس فقال له عمر كيف يكون الفقيه
الا هكذا اخرج يا غلام ذلك الجراب فاخرجه فنفضه فاذا بيض مكسور بنصفين وجوز مكسور
بنصفين وفوم وحمص وعدس كلها حجارة وعن صفوان بن عسال ان بعض اليهود
سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال اوحى الله الى موسى ان قل لبني اسرائيل لا
تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق
ولا تسحروا ولا تاكلوا الربا ولا تمشوا ببريء الى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا
محصنة ولا تفروا من الزحف وانتم يا يهود خاصة لا تعدوا في السبت فسل
بني اسرائيل فقلنا له سل بني اسرائيل اي سلهم من فرعون وقل له ارسل معي بني اسرائيل او سلهم
عن ايمانهم وعن حال دينهم او سلهم ان يعاضدوك وتكون قلوبهم وايديهم معك ويدل عليه
قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسال بني اسرائيل على لفظ الماضي بغير همز وهي لغة قريش وقيل
فسل يا رسول الله المؤمنين من بني اسرائيل وهم عبد الله بن سلام واصحابه عن الآيات ليزداد يقينا
وطمانينة قلب لان الادلة اذا تظاهرت كان ذلك اقوى واثبت كقول ابرهيم عليه السلام
ولكن ليطمئن قلبي فان قلت بم تعلق اذ جاءهم قلت اما على الوجه الاول فبالقول

المحذوف

المحذوف اي فقلنا لهم سلهم حين جاءهم او يسال في القراءة الثانية واما على الاخير فبآتينا او باضمار
اذكر او يخبروك ومعنى اذ جاءهم اذ جاء آباءهم مسحورا سحرت فخولط عقلك لقد علمت
يا فرعون ما انزل هؤلاء الآيات الا الله عز وجل بصائر بينات مكشوفات ولكنك معاند مكابر
ونحوه وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وقرئ علمت بالضم على معنى اني لست بمسحور
كما وصفتني بل انا عالم بصحة الامر وان هذه الآيات منزلها رب السموات والارض ثم قارع
ظنه بظنه كما قال ان ظننتني مسحورا فانا اظنك مثبورا هالكا وظني اصح من ظنك
لان له امارة ظاهرة وهي انكارك ما عرفت صحته ومكابرتك لآيات الله بعد وضوحها واما
ظنك فكذب بحت لان قولك مع علمك بصحة امري اني لاظنك مسحورا وقال الفراء مثبورا
مصروفا عن الخير مطبوعا على قلبك من قولهم ما ثبرك عن هذا اي ما منعك وصرفك وقراءة
ابي بن كعب وان اخالك يا فرعون لمثبورا على ان المخففة واللام الفارقة فاراد فرعون
ان يستخف موسى وقومه من ارض مصر ومخرجهم منها او ينفيهم عن ظهر الارض بالقتل والاستيصال
فحاق به مكره بان استفزه الله باغراقه مع قبطه اسكنوا الارض التي اراد فرعون ان يستفزكم
منها فاذا جاء وعد الآخرة يعني قيام الساعة جئنا بكم لفيفا جميعا مخلطين اياكم واياهم ثم
يحكم بينكم ويميز بين سعدائكم واشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى وبالحق انزلناه
وبالحق نزل وما انزلنا القرآن الا بالحكمة المقتضية لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق والحكمة
لاشتماله على الهداية الى كل خير وما انزلناه من السماء الا بالحق محفوظا بالرصد من الملائكة
وما نزل على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين وما ارسلناك الا لتبشرهم بالجنة
وتنذرهم من النار ليس اليك وراء ذلك من اكراه على الدين او نحو ذلك وقرآنا منصوب
بفعل يفسره فرقناه وقرأ ابي فرقناه بالتشديد اي جعلنا نزوله مفرقا منجما وعن ابن عباس
انه قرأه مشددا وقال لم ينزل في يومين او ثلاثة بل كان بين اوله وآخره عشرون سنة
يعني ان فرق بالتخفيف يدل على فصل مقارب على مكث بالفتح والضم على مهل وتؤدة وتثبت
ونزلناه تنزيلا على حسب الحوادث قل آمنوا به او لا تؤمنوا امر بالاعراض عنهم واحتقارهم و
الازدراء بشانهم وان لا يكترث بهم وبايمانهم وبامتناعهم عنه وانهم لم يدخلوا في الايمان ولم
يصدقوا بالقرآن وهم اهل جاهلية وشرك فان خيرا منهم وافضل وهم العلماء الذين قرأوا
الكتب وعلموا ما الوحي والشرائع قد آمنوا به وصدقوه وثبت عندهم انه النبي العربي الموعود به
في كتبهم

فاذا تلي عليهم خروا سجدا وسبحوا الله تعظيما لامره ولانجاز ما وعد في الكتب المنزلة وبعد
به من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وانزال القرآن عليه وهو المراد بالوعد في قوله ان كان وعد
ربنا لمفعولا ويزيدهم خشوعا اى يزيدهم القرآن لين قلب ورطوبة عين فان قلت ان الذين اوتوا
العلم من قبله تعليل لما ذا قلت يجوز ان يكون تعليلا لقوله آمنوا به اولا تؤمنوا او ان
يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتطييب نفسه كانه قال
تسل عن ايمان الجهلة بايمان العلماء وعلى الاقل ان لم تؤمنوا به لقد آمن به من هو خير
منكم فان قلت ما معنى الخرور للذقن قلت السقوط على الوجه وانما ذكر الذقن وهو مجتمع
اللحيين لان الساجد اول ما يلقى به الارض من وجهه الذقن فان قلت حرف الاستعلاء
لما هذا المعنى اذا قلت خر على وجهه وعلى ذقنه فما معنى اللام في خر لذقنه ولوجهه
قال خر صريعا لليدين وللفم قلت معناه جعل ذقنه ووجهه للخرور واختصه
به لان اللام للاختصاص فان قلت لم كرر يخرون للاذقان قلت لاختلاف الحالين وانما
خروا في حال كونهم ساجدين وخروا في حال كونهم باكين عن ابن عباس سمعة ابو جهل يقول
يا لات ويا عزى فقال انه ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو آلهة اخر وقيل ان اهل الكتاب اى سمع النبي يقول
قالوا انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثر الله في التوراة هذا الاسم فنزلت والدعاء بمعنى التسمية
لا بمعنى النداء وهو يتعدى الى مفعولين تقول دعوته زيدا ثم تترك احدهما استغناء
عنه فتقول دعوت زيدا والله والرحمن المراد بهما الاسم لا المسمى واو للتخيير فمعنى ادعوا
الله او ادعوا الرحمن سموا بهذا الاسم او بهذا واذكروا ايا ما هذا وايا ما هذا والتنوين في اى عوض عن المضاف اليه وما صلة للابهام المؤكد لما في اى من هذين الاسمين تشيع وتؤكد ثم قلة
وله الاسماء الحسنى والضمير في فله ليس براجع الى احد هذين الاسمين المذكورين ولكن الى مسماهما
وهو ذاته عز وعلا لان التسمية للذات لا للاسم والمعنى ايا ما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه والمسمى عنده بناء على ان الاسم
قول فله الاسماء الحسنى لانه اذا حسنت اسماؤه كلها حسن هذان الاسمان لانهما منها
ومعنى كونها احسن الاسماء انها مستقلة بمعاني التمجيد والتعظيم والتقديس بصلوتك
بقراءة صلاتك على حذف المضاف لانه لا يلبس لا يلبس من قبل ان الجهد والمخافة صفتان
تعتقبان على الصوت لا غير والصلوة افعال واذكان وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يرفع صوته بقراءة فاذا سمعها المشركون لغوا وسبوا فامر بان يخفض من صوته والمعنى

ولا تجهر

ولا تجهر حتى تسمع المشركين ولا تخافت حتى لا تسمع من خلفك وابتغ بين الجهر والمخافتة
سبيلا وسطا وروي ان ابا بكر كان يخفي صوته بالقراءة في صلوته ويقول اناجي ربي
وقد علم حاجتي وكان عمر يدفع صوته ويقول ازجر الشيطان واوقظ الوسنان
فامر ابا بكر ان يدفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل معناه ولا تجهر بصلوتك كلها
ولا تخافت بها كلها وابتغ بين ذلك سبيلا بان تجهر بصلوة الليل وتخافت بصلوة
النهار وقيل بصلوتك بدعائك وذهب قوم الى ان الآية منسوخة بقوله ادعوا ربكم تضرعا
وخفية وابتغاء السبيل مثل لانتحاء الوجه الوسط في القراءة وقيل نزل ناصر وطاعن
له منه لاعتزازه به ولم يوال احدا من اجل مذلة به ليدفعها بموالاته فان قلت كيف لاق
وصفه بنفي الولد والشريك والذل بكلمة التحميد قلت لان من هذا وصفه هو الذي
يقدر على ايلاء كل نعمة فهو الذي يستحق جنس الحمد ❊ وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا افصح
الغلام من بني عبد المطلب علمه من الآية ❊ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ الاسراء وكهف
سئل عن اصحاب الكهف فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار
الف اوقية ومائتا اوقية سورة الكهف مكية وهي مائة واحدى عشرة آية اثنتان من كثرة الثواب

لله الحمد الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا

لقن الله عباده وفقهم كيف يثنون عليه ويحمدونه على اجزل نعمائه عليهم وهي نعمة الاسلام
وما انزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب الذي هو سبب نجاتهم وفوزهم
ولم يجعل له عوجا لبنا من العوج قط والعوج في المعاني كالعوج في الاعيان والمراد
نفي الاختلاف والتناقض عن معانيه وخروج شئ منه من الحكمة والاصابة فيه
فان قلت بم انتصب قيما قلت الاحسن ان ينتصب بمضمر ولا يجعل حالا من الكتاب
لان قوله ولم يجعل معطوف على انزل فهو داخل في حيز الصلة فيجاعله حالا من الكتاب
فاصل بين الحال وذي الحال ببعض الصلة وتقديره ولم يجعل له عوجا جعله قيما لانه اذا
نفي عنه العوج فقد اثبت له الاستقامة فان قلت فما فائدة الجمع بين نفي العوج واثبات
الاستقامة وفي احدهما غنى عن الآخر قلت فائدته التأكيد فرب مستقيم يشهد
له الاستقامة ولا يخلوا من ادنى عوج عند البر والتصفح وقيل قيما على سائر الكتب
مصدقا لها شاهدا بصحتها وقيل قيما بمصالح العباد وما لا بد لهم منه من الشرائع

ليندروا بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا ماكثين فيه ابدا وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا اذ اوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا ثم بعثناهم لنعلم اى الحزبين احصى لما لبثوا امدا نحن نقص عليك نبأهم بالحق انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فاووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من امركم مرفقا وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا وتحسبهم ايقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر ايها ازكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم احدا انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم او يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا اذا ابدا وكذلك اعثرنا عليهم ليعلموا ان وعد الله حق وان الساعة لا ريب فيها اذ يتنازعون بينهم امرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم احدا ولا تقولن لشاي انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت وقل عسى ان يهدين ربي لاقرب من هذا رشدا ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا قل الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض ابصر به واسمع ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه احدا واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر انا اعتدنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا اولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الانهار يحلون فيها من اساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق متكئين فيها على الارائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا كلتا الجنتين آتت اكلها ولم تظلم منه شيئا وفجرنا خلالهما نهرا وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره انا اكثر منك مالا واعز نفرا ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا لكنا هو الله ربي ولا اشرك بربي احدا ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله ان ترن انا اقل منك مالا وولدا فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا او يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا واحيط بثمره فاصبح يقلب كفيه على ما انفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول يا ليتني لم اشرك بربي احدا ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم اول مرة بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه افتتخذونه وذريته اولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا ورأى المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الانسان اكثر شيء جدلا وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم الا ان تأتيهم سنة الاولين او يأتيهم العذاب قبلا وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا آياتي وما انذروا هزوا ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه فاعرض عنها ونسي ما قدمت يداه انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا وتلك القرى اهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا واذ قال موسى لفتاه لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين او امضي حقبا فلما بلغا مجمعهم نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سربا فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال ارأيت اذ اوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا قال ستجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصي لك امرا قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة خرقها قال اخرقتها لتغرق اهلها لقد جئت شيئا امرا قال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من امري عسرا فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله قال اقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض فاقامه قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فاردت ان اعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا واما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة واقرب رحما واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان ابوهما صالحا فاراد ربك ان يبلغا اشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن امري ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا انا مكنا له في الارض وآتيناه من كل شيء سببا فاتبع سببا حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوما قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا واما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من امرنا يسرا ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا كذلك وقد احطنا بما لديه خبرا ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا قالوا يا ذا القرنين ان يأجوج ومأجوج مفسدون في الارض فهل نجعل لك خرجا على ان تجعل بيننا وبينهم سدا قال ما مكني فيه ربي خير فاعينوني بقوة اجعل بينكم وبينهم ردما آتوني زبر الحديد حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى اذا جعله نارا قال آتوني افرغ عليه قطرا فما اسطاعوا ان يظهروه وما استطاعوا له نقبا قال هذا رحمة من ربي فاذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعا افحسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادي من دوني اولياء انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا اولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت اعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا اذ نادى ربه نداء خفيا قال رب اني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم اكن بدعائك رب شقيا وانى خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا قال رب اني يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من العتي عتيا قال كذلك قال ربك هو علي هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا فخرج على قومه من المحراب فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا فاتخذت من دونهم حجابا فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا قالت اني يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان امرا مقضيا فحملته فانتبذت به مكانا قصيا فاجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكلي واشربي وقري عينا فاما ترين من البشر احدا فقولي اني نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم انسيا فاتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا يا اخت هارون ما كان ابوك امرأ سوء وما كانت امك بغيا فاشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا قال اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا اين ما كنت واوصاني بالصلوة والزكاة ما دمت حيا وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم اسمع بهم وابصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون انا نحن نرث الارض ومن عليها واليه يرجعون واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا اذ قال لابيه يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا يا ابت اني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني اهدك صراطا سويا يا ابت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا قال اراغب انت عن آلهتي يا ابراهيم لئن لم تنته لارجمنك واهجرني مليا قال سلام عليك سأستغفر لك ربي انه كان بي حفيا واعتزلكم وما تدعون من دون الله وادعو ربي عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا وناديناه من جانب الطور الايمن وقربناه نجيا ووهبنا له من رحمتنا اخاه هارون نبيا واذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا وكان يأمر اهله بالصلوة والزكاة وكان عند ربه مرضيا واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية ابراهيم واسرائيل وممن هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا الا من تاب وآمن وعمل صالحا فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب انه كان وعده مأتيا لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا وما نتنزل الا بامر ربك له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا رب السموات والارض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا ويقول الانسان ءاذا ما مت لسوف اخرج حيا اولا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ثم لننزعن من كل شيعة ايهم اشد على الرحمن عتيا ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا اى الفريقين خير مقاما واحسن نديا وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورءيا قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا حتى اذا رأوا ما يوعدون اما العذاب واما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا واضعف جندا ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا افرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لاوتين مالا وولدا اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا ونرثه ما يقول ويأتينا فردا واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ألم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا فلا تعجل عليهم انما نعد لهم عدا يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا لقد احصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا وكم اهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى وهل اتاك حديث موسى اذ رأى نارا فقال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس او اجد على النار هدى فلما اتاها نودي يا موسى اني انا ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى وانا اخترتك فاستمع لما يوحى انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني واقم الصلوة لذكري ان الساعة آتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي اتوكؤا عليها واهش بها على غنمي ولي فيها مآرب اخرى قال القها يا موسى فالقاها فاذا هي حية تسعى قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية اخرى لنريك من آياتنا الكبرى اذهب الى فرعون انه طغى قال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيرا من اهلي هارون اخي اشدد به ازري واشركه في امري كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا انك كنت بنا بصيرا قال قد اوتيت سؤلك يا موسى ولقد مننا عليك مرة اخرى اذ اوحينا الى امك ما يوحى ان اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لي وعدو له وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني اذ تمشي اختك فتقول هل ادلكم على من يكفله فرجعناك الى امك كي تقر عينها ولا تحزن وقتلت نفسا فنجيناك من الغم وفتناك فتونا فلبثت سنين في اهل مدين ثم جئت على قدر يا موسى واصطنعتك لنفسي اذهب انت واخوك بآياتي ولا تنيا في ذكري اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى قالا ربنا انا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى قال لا تخافا اني معكما اسمع وارى فاتياه فقولا انا رسولا ربك فارسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى انا قد اوحي الينا ان العذاب على من كذب وتولى قال فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى قال فما بال القرون الاولى قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى الذي جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وانزل من السماء ماء فاخرجنا به ازواجا من نبات شتى كلوا وارعوا انعامكم ان في ذلك لآيات لاولي النهى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى ولقد اريناه آياتنا كلها فكذب وابى قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا انت مكانا سوى قال موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى فتولى فرعون فجمع كيده ثم اتى قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى فتنازعوا امرهم بينهم واسروا النجوى قالوا ان هذان لساحران يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى فاجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا وقد افلح اليوم من استعلى قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون اول من القى قال بل القوا فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى فاوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف انك انت الاعلى والقي ما في يمينك تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث اتى فالقي السحرة سجدا قالوا آمنا برب هارون وموسى قال آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن ايينا اشد عذابا وابقى قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما انت قاض انما تقضي هذه الحياة الدنيا انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما اكرهتنا عليه من السحر والله خير وابقى انه من يأت ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلى جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى فاتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم وما هدى فرعون قومه وما هدى يا بني اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم ووعدناكم جانب الطور الايمن ونزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى وما اعجلك عن قومك يا موسى قال هم اولاء على اثري وعجلت اليك رب لترضى قال فانا قد فتنا قومك من بعدك واضلهم السامري فرجع موسى الى قومه غضبان اسفا قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا افطال عليكم العهد ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم فاخلفتم موعدي قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك القى السامري فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا الهكم واله موسى فنسي افلا يرون ان لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعوني واطيعوا امري قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى قال يا هارون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا الا تتبعن افعصيت امري قال يا ابن ام لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي اني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي قال فما خطبك يا سامري قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من اثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي قال فاذهب فان لك في الحياة ان تقول لا مساس وان لك موعدا لن تخلفه وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا انما الهكم الله الذي لا اله الا هو وسع كل شيء علما كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا من اعرض عنه فانه يحمل يوم القيامة وزرا خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملا يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا يتخافتون بينهم ان لبثتم الا عشرا نحن اعلم بما يقولون اذ يقول امثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما وكذلك انزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون او يحدث لهم ذكرا فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه وقل رب زدني علما ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ابى فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ان لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمؤا فيها ولا تضحى فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى فاكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فاما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وكذلك نجزي من اسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة اشد وابقى افلم يهد لهم كم اهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لآيات لاولي النهى ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما واجل مسمى فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى وأمر اهلك بالصلوة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه أولم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل ان نذل ونخزى قل كل متربص فتربص

وقرئ قيما انذر متعد الى مفعولين كقوله انا انذرناكم عذابا قريبا فاقتصر على احدهما واصله لينذر
الذين كفروا بأسا شديدا والبأس من قوله بعذاب بئيس وقد بؤس العذاب وبؤس الرجل
بأسا وبأسة من لدنه صادرا من عنده وقرئ من لدنه بسكون الدال مع اشمام الضمة وكسر النون
ويبشر بالتخفيف والتثقيل فان قلت لم اقتصر على احد مفعولي انذر قلت قد جعل المنذر به هو
الغرض المسوق اليه فوجب الاقتصار عليه والدليل عليه تكرير الانذار في قوله ان لهم اجرا
حسنا متعلقا بالمنذرين من غير ذكر المنذر به كما ذكر المبشر به في قوله
استغناء بتقدم ذكره والاجر الحسن الجنة ما لهم به من علم اي بالولد باتخاذه يعني ان قولهم
هذا لم يصدر عن علم ولكن عن جهل مفرط وتقليد للآباء وقد اشتملت آباؤهم من الشيطان
وتسويله فان قلت اتخاذ الله تعالى ولدا محال في نفسه فكيف قيل ما لهم به من علم قلت
معناه ما لهم من علم لانه ليس مما يعلم لاستحالته وانتفاء العلم بالشيء اما للجهل بالطريق الموصل
اليه واما لانه في نفسه محال لا يستقيم تعلق العلم به فرع كبرت كلمة وكلمة بالنصب على التمييز و
وبالرفع على الفاعلية والنصب اقوى وابلغ وفيه معنى التعجب كانه قيل ما اكبرها كلمة وتخرج من
افواههم صفة للكلمة تفيد استعظاما لاجترائهم على النطق بها واخراجها من افواههم فان كثيرا
مما يوسوسه الشيطان في قلوب الناس ويحدثون به انفسهم من المنكرات لا يتمالكون ان
يتوفوهوا به ويطلقوا السنتهم به بل يكظمون عليه تشورا من اظهاره فكيف بمثل هذا
المنكر وقرئ كبرت بسكون الباء مع اشمام الضمة فان قلت اللام يرجع الضمير في كبرت قلت
الى قوله اتخذ الله ولدا وسميت كلمة كما يسمون القصيدة بها شبهه واياهم حين تولوا
عنه لم يؤمنوا به وما تداخله من الوجد والاسف على توليهم برجل فارقه احبته واغرته
فهو يتساقط حسرات على آثارهم وينخع نفسه وجدا عليهم وتلهفا على فراقهم وقرئ وباخع
نفسك على الاصل وباخع نفسك على الاضافة اي قاتلها ومهلكها وهو للاستقبال فيمن
قرأ ان لم يؤمنوا وللمضي فيمن قرأ ان لم يؤمنوا بمعنى لان لم يؤمنوا بهذا الحديث
بهذا القرآن اسفا مفعول له اي لفرط الحزن ويجوز ان يكون حالا والاسف المبالغة
في الحزن والغضب يقال رجل اسف واسيف ما على الارض يعني ما يصلح ان يكون
زينة لها ولاهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها لنبلوهم ايهم احسن عملا
وحسن العمل الزهد فيها وترك الاغترار بها ثم زهد في الميل اليها بقوله وانا لجاعلون

وفيه يتضح الفرق بين قول الرجل لامرأته ان دخلت الدار فانت طالق وان دخلت الدار فانت طالق فافهمه فعلى الفتح اخبار عن وقوع الطلاق في الزمان الماضي اي انت طالق لاجل ان دخلت الدار وعلى الكسر تعليق طلاقها بالدخول في الثاني من الزمان وهو الاستقبال

ما عليها

ما عليها صعيدا جرزا يعني مثل ارض بيضاء لا نبات فيها بعد ان كانت خضراء معشبة في ازالة
بهجته واماطة حسنه وابطال ما به كان زينة من اماتة الحيوان وتخفيف النبات والاشجار
ونحو ذلك ذكر من الآيات الكلية تزيين الارض بما خلق فوقها من الاجناس التي لا حصر لها
وازالة ذلك كله كان لم يكن ثم قال ام حسبت يعني ان ذلك اعظم من قصة اصحاب الكهف
وابقاء حياتهم مدة طويلة والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم اسم كلبهم قال
امية بن ابي الصلت وليس بها الا الرقيم مجاورا وصيدهم والقوم في الكهف همد
وقيل هو لوح من رصاص رقمت فيه اسماؤهم جعل على باب الكهف وقيل ان الناس
رقموا حديثهم نقرا في الجبل وقيل هو الوادي الذي فيه الكهف وقيل الجبل وقيل قريتهم
وقيل مكانهم بين غضبان وايلة دون فلسطين كانوا آية عجبا من آياتنا وصفا
بالمصدر او على ذات عجب من لدنك رحمة اي رحمة من خزائن رحمتك وهي المغفرة والرزق
والامن من الاعداء وهيئ لنا من امرنا رشدا الذي نحن عليه من مفارقة الكفار رشدا حتى نكون
بسببه راشدين مهتدين او اجعل امرنا رشدا كله كقولك رايت منك اسدا فضربنا
على آذانهم اي ضربنا عليها حجابا من ان تسمع يعني انمناهم انامة ثقيلة لا تنبههم فيها
الاصوات كما ترى المستثقل في نومه يصاح به ولا يستنبه فحذف المفعول الذي هو الحجاب كما
يقال بنى على امرأته بنى عليها القبة سنين عددا ذوات عدد فيحتمل ان يريد الكثرة وان
يريد القلة لان الكثير قليل عنده كقوله لم يلبثوا الا ساعة من نهار وقال الزجاج
اذا قل فهم مقدار عدده فلم يحتج الى ان يعد واذا كثر احتاج الى ان يعد اي يتضمن معنى
الاستفهام فعلق عنه لنعلم فلم يعمل فيه وقرئ ليعلم وهو معلق عنه ايضا لان
ارتفاعه بالابتداء لا باسناد يعلم اليه وفاعل يعلم مضمون الجملة كما انه مفعول نعلم
اي الحزبين المختلفين منهم في مدة لبثهم لانهم لما انتبهوا اختلفوا في ذلك وذلك قوله قال
قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم وكان الذين قالوا ربكم
اعلم بما لبثتم هم الذين علموا ان لبثهم قد تطاول او اي الحزبين المختلفين من غيرهم واحصى
فعل ماض اي ايهم ضبط امدا لاوقات لبثهم فان قلت فما تقول فيمن جعله من افعل التفضيل
قلت ليس بالوجه السديد وذلك ان بناءه من غير الثلاثي المجرد ليس بقياس ونحو اعدى
من الجرب وافلس من ابن المذلق شاذ والقياس على الشاذ في غير القرآن ممتنع فكيف به ولان
امدا

اي انت اسد وهو ابلغ لانه اذا كان بعضه اسد فهو نهاية في المبالغة

لا يخلو اما ان ينصب بافعل فافعل لا يعمل واما ان ينصب بلبثوا فلا يسد عليه المعنى فان زعمت
اني انصبه باضمار يدل عليه احصى كما اضمر في قوله واضرب منا بالسيوف القوانسا
على نضرب القوانس وقد ابعدت المتناول وهو قريب حيث ابيت ان يكون احصى فعلا ثم رجعت
مضطرا الى تقديره واضماره فان قلت كيف جعل الله تعالى العلم باحصائهم المدة غرضا في الضرب
على اذانهم قلت الله عز وجل لم يزل عالما بذلك وانما اراد ما تعلق به العلم من ظهور الامر
لهم ليزدادوا ايمانا واعتبارا ويكون لطفا لمؤمني زمانهم واية بينة لكفاره وزدناهم هدى
بالتوفيق والتثبيت وربطنا على قلوبهم وقويناها بالصبر على هجر الاوطان والنعيم والفرار بالدين
الى بعض الغيران وجسرناهم على القيام بكلمة الحق والتظاهر بالاسلام اذ قاموا بين يدي
الجبار وهو دقيانوس من غير مبالاة به حين عاتبهم على عبادة الصنم فقالوا ربنا رب
السموات والارض شططا قولا ذا شطط وهو الافراط في الظلم والابعاد فيه من شط اذا بعد
ومنه اشط في السوم وفي غيره هؤلاء مبتدا وقومنا عطف بيان واتخذوا خبر وهو اخبار
في معنى انكار لولا ياتون عليهم هلا ياتون على عبادتهم فحذف المضاف بسلطان بين وهو تبكيت
لان الاتيان بالسلطان على عبادة الاوثان محال وهو دليل على فساد التقليد وانه لا بد
في الدين من الحجة حتى يصح ويثبت افترى على الله كذبا بنسبة الشريك اليه واذ اعتزلتموهم
خطاب من بعضهم لبعض حين صممت عزيمتهم على الفرار بدينهم وما يعبدون نصب عطف على الضمير
يعني واذ اعتزلتموهم معبوديهم الا الله يجوز ان يكون استثناء متصلا على ما روي انهم كانوا
يقرون بالخالق ويشركون معه كما اهل مكة وان يكون منقطعا وقيل هو كلام معترض اخبار
من الله تعالى عن الفتية انهم لم يعبدوا غير الله تعالى مرفقا قرئ بفتح الميم وكسرها وهو ما يرتفق
به اي ينتفع اما ان يقولوا ذلك ثقة بفضل الله وقوة في رجائهم لتوكلهم عليه ونصوع
يقينهم واما ان يخبرهم به نبي في عصرهم واما ان يكون بعضهم نبيا اصله تتزاور فخفف
بادغام التاء في الزاي او حذفها وقد قرئ بهما وقرئ تزور وتزوار بوزن تحمر وتحمار
وكلها من الزور وهو الميل ومنه زاره اذا مال اليه والزور الميل عن الصدق ذات
اليمين جهة اليمين وحقيقتها الجهة المسماة باليمين تقرضهم تقطعهم لا تقربهم من معنى القطيعة
والصرم قال ذو الرمة الى ظعن يقرضن اقواز مشرف شمالا وعن ايمانهن الفوارس
وهم في فجوة منه وهم في متسع من الكهف والمعنى انهم في ظل نهارهم كله لا تصيبهم الشمس في

طلوعها

طلوعها ولا غروبها مع انهم في مكان واسع منفتح معرض لاصابة الشمس لولا ان الله تعالى يحجبها عنهم
وقيل في متفسح من غارهم ينالهم فيه روح الهواء وبرد النسيم ولا يحسون كرب الغار ذلك من ايات الله
اي ما صنعه الله بهم من ازدراء الشمس وقرضها طالعة وغاربة اية من اياته يعني ان ما كان في ذلك
السمت تصيبهم الشمس ولا تصيبهم اختصاصا لهم بالكرامة وقيل باب الكهف شمالي مستقبل لبنات
النعش فهم في مقناة ابدا ومعنى ذلك من ايات الله ان شانهم وحديثهم من ايات الله من يهد الله فهو
المهتد ثناء عليهم بانهم جاهدوا في الله واسلموا له وجوههم فلطف بهم واعانهم وارشدهم الى نيل تلك
الكرامة السنية والاختصاص بالاية العظيمة وان كل ما سلك طريقة المهديين الراشدين فهو الذي
اصاب الصلاح واهتدى الى السعادة ومن تعرض للخذلان فلن تجد من يليه ويرشده
بعد خذلان الله تعالى وتحسبهم ايقاظا وبكسر السين وفتحها خطاب لكل احد والايقاظ جمع يقظ
كانكاد في مكد قيل عيونهم مفتحة وهم نيام فيحسبهم الناظر لذلك ايقاظا وقيل لكثرة تقلبهم
وقيل لهم تقلبتان في السنة وقيل تقلبة واحدة في يوم عاشوراء وقرئ ويقلبهم بالياء والضمير
لله عز وجل وقرئ وتقلبهم منصوبا على المصدر وانتصابه بفعل مضمر يدل عليه وتحسبهم ايقاظا
كانه قيل وترى وتشاهد تقلبهم وقرا جعفر الصادق رضي الله عنه وكالبهم اي وصاحب كلبهم
باسط ذراعيه بالوصيد حكاية حال ماضية لان اسم الفاعل لا يعمل اذا كان في معنى المضي واضافته اذا
اضيف حقيقية معرفة كغلام زيد الا اذا نويت حكاية الحال الماضية والوصيد الفناء
وقيل العتبة وقيل الباب وانشد بارض فضاء لا يشد وصيدها علي ومعروفي بها
غير منكر وقرئ فلمليت بتشديد اللام للمبالغة وقرئ بتخفيف الهمزة وقلبها ياء ورعبا بالتخفيف
والتثقيل وهو الخوف الذي يرعب الصدر اي يملاؤه وذلك لما البسهم الله تعالى من الهيبة
وقيل لطول اظفارهم وشعورهم وعظم اجرامهم وقيل لوحشة مكانهم وعن معاوية انه غزا
الروم فمر بالكهف فقال لو كشف لنا عن هؤلاء لنظرنا اليهم فقال ابن عباس ليس لك
قد منع الله تعالى من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فقال معوية
لا انتهي حتى اعلم علمهم فبعث ناسا وقال لهم اذهبوا فانظروا ففعلوا فلما دخلوا الكهف
بعث الله تعالى عليهم ريحا فاحرقتهم وقرئ لو اطلعت بضم الواو وكذلك بعثناهم ليسالوا وكما انمناهم
تلك النومة كذلك بعثناهم اذكارا بقدرته على الانامة والبعث جميعا ليسال بعضهم بعضا
ويتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم ليعتبروا ويستدلوا على عظم قدرة الله ويزدادوا بعثنا ويشكروا

ما انبئ به عليهم وكذبوا به قالوا البناء ما او جواب مبني على غالب الظن وفيه دليل على جواز الاجتهاد
والعمل بالظن وانه لا يكون كذبا وان جاز ان يكون خطأ نحن اعلم بالتسعة الذين اختلفوا في عددهم
بعضهم وان الله اعلم بعدتهم لتنبيههم كأنها قد علموا بالادلة او بالهام من الله ان المدة متطاولة
وان مقدار لبثهم لا يعلمه الا الله وروي انهم دخلوا الكهف عند زوال الشمس فظنوا انهم في يومهم فلما نظروا الى طول اظفارهم وشعورهم قالوا اذ ذاك فاحسوا احدكم كيف وصلوا
قولهم فابعثوا ابتداء كر حديث المدة قلت كلامهم قالوا اربكم اعلم بذلك لا طريق لكم الى علم
فخذوا في شيء آخر مما يهمكم بورقكم الورق الفضة مضروبة كانت او غير مضروبة ومنه الحديث
ان عمرو اصيب افقه يوم الكلاب فاتخذ انفا من ورق فامره رسول الله ان يتخذ انفا من ذهب
وقرئ بورقكم بسكون الراء والواو مفتوحة او مكسورة وقرأ ابن كثير بورقكم بكسر الراء
وادغام القاف في الكاف وعن ابن محيصن انه كره الواو واسكن الراء وادغمه وهذا جايز
لالتقاء الساكنين لاعلى حده وقيل المدينة طرسوس قالوا وتدوهم ما كان معهم من الورق
عند فراره هم دليل على ان حمل النفقة وما يصلح الزاد هو رأي المتوكلين على الله دون
المتكلين على الاتفاقات وعلى ما في اوعية القوم من النفقات ومنه قولعايشة لمن سألها
عن مجرم يشد عليه همیانه او نطق عليك نفقتك وما حكي عن بعض صعاليك العلماء
انه كان شديد الحنين الى ان يدرك الحج بيت الله وتعوم منه ذيك فكانت مياسير
اهل بلده كلما عزم منهم فوج عاج اتوه فبذلوا له ان يحج بهم واحتوا عليه فيعتذر اليهم و
يحمد اليهم بذلهم فاذا انفضوا عنه قال لمن عنده ما لهذا السفر الا اشد الهميان والتوكل
على الرحمن فليتطرأ اهلها فحذف الاهل كما قيل واسأل القرية ازكى طعاما احل وطيب او اكثر وارخص
فلما تكم برزقه وليتكلف التلطف والتبعة فيما يباشره من امر البايعة حتى لا يغبن او في امر التخفي حتى لا يعرف
ولا يشعرن بكم احدا يعني ولا يفعلن ما يؤدي من غير قصد منه الى الشعور بنا فنبه ذكرا شعارا
منه لانه سبب فيه الصيحة انهم راجع الى الاهل المقدر في اياكم يرجموكم يقتلوكم اخبث القتلة
وهي الرجم وكانت عادتهم او يعيدوكم او يدخلوكم في ملتهم بالاكراه العنيف ويصيروكم ايها
والعود في معنى الصيرورة اكثر شيء في كلامهم يقولون ما عدت افعل كذا يريدون ابتداء الفعل
ولن تفلحوا اذا ابدا ان دخلتم في دينهم وكذلك اعثرنا عليهم وكما انمنا هم وبعثناهم لما في ذلك
من الحكمة اطلعنا عليهم ليعلم الذين اطلعنا هم على حالهم ان وعد الله حق وهو البعث

بعض يوم
بدر حكمه حكم اي المدينة
قال الشيخ الاولى ضم الفاء في قوله ولا يشعرن بصيغة حذف حروف القرآن عدد (١)
النسخة الاولى في طلب الاسم اي طلب الابقى وهو الجيد
حمل النفقة وما يصلح الزاد رأي المتوكلين
اتبنا منه وليتلطف
للاعراب فيها ازيتان عدن
على امر مصر
يبعث عبد الرحمن بن علي بن عيسى عليه اللعنة

لان حالهم في نومهم وانتباههم بعد ما كان من بدو شأنهم يبعث فان الساعة متعلق باعثارنا اي اعثرنا
عليهم حين يتنازعون بينهم امر دينهم ويختلفون في حقيقة البعث فكان بعضهم تقول تبعث
الارواح دون الاجساد وبعضهم تبعث الاجساد مع الارواح ليرتفع الخلاف ويتبين ان البعث
تبعث حية جاسة فيها اروحها كما كانت قبل الموت فقالوا حين توفى الله اصحاب الكهف
قالوا ابنوا عليهم بنيانا اي على باب كهفهم ليلا يتطرق اليهم الناس ضنا بتربتهم ومحافظة عليها كما خفيت
تربة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحظيرة ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا من المسلمين وملكهم وكان اولى
بهم وبالبناء عليهم نتخذن عليهم مسجدا اي على باب الكهف يصلي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم
وقيل الذين نازعوا في امرهم اي نبذا كد الناس امر اصحاب الكهف ويتكلمون في قصتهم وما
اظهر الله من الآية فيهم او يتنازعون بينهم ندبر امرهم حين نتوفى كيف نخفي مكانهم وكيف نسد عليهم
الطريق اليهم فقالوا ابنوا على باب كهفهم بنيانا وروي ان اهل الانجيل عظمت فيهم الخطايا و
طغت ملوكهم حتى عبدوا الاصنام واكرهوا على عبادتها وممن شدد في ذلك دقيانوس فاراد
فتية منهم اشراف قومه على الشرك وتوعدهم بالقتل فابوا الا الثبات على الايمان والتصلب
فيه ثم هربوا الى الكهف ومدوا الجلب فتبعهم فطردوه فاطبقه الله ما تريدون مني انا احب
احبا الله فناموا احرسكم وقيل مد وا بارجلهم معه كلب فتبعهم على دينهم ودخلوا الكهف
فكانوا يعبدون فيه ثم ضرب الله على اذانهم وقبل ان يبعثهم الله ملك مدينتهم رجل صالح
مؤمن وقد اختلف اهل مملكته في البعث معترفين وجاحدين فدخل الملك بيته واغلق الباب
ولبس مسحا وجلس على رماد وسأل ربهم ان يبين لهم الحق فالقى الله في نفس رجل من غنمهم
فهدم ما يسد به فم الكهف ليتخذ حظيرة لغنمه ولما دخل المدينة من بعثوه لابتياع الطعام
واخرج الورق وكان من ضرب دقيانوس استعوه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك فقص
عليه القصة فانطلق الملك واهل المدينة معه وابصروهم وحمدوا الله تعالى على الآية الدالة
على البعث ثم قالت الفتية نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا
الى مضاجعهم وتوفى الله انفسهم فالقى الملك عليهم ثيابه وامر فجعل لكل واحد تابوت من ذهب
فواراهم في المنام كارهين للذهب فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف مسجدا ارتبهم اعلم
بتهم من كلام المتنازعين كانهم تذاكروا امرهم وتناقلوا الكلام في احوالهم واثارهم ومدة
لبثهم فلما لم يهتدوا الى حقيقة ذلك قالوا ربهم اعلم بهم او هو من كلام الله عز وجل رد القول الخائضين

في حديثهم من اولئك المنازعين او من الذين تنازعوا فيهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب
سيقولون ثلثة رابعهم الضمير لمن خاض في قصتهم في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب والمؤمنين
سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فاخذ في الجواب الى ان يوحى اليه فيهم فنزلت اخبارا بما سيجري
بينهم من اختلافهم في عددهم وان المصيب منهم يقول سبعة وثامنهم كلبهم قال ابن عباس
انا من اولئك القليل وروى ان السيد والعاقب واصحابهما من اهل نجران كانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم
فجرى ذكر اصحاب الكهف فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلثة رابعهم كلبهم وقال العاقب
وكان نسطوريا كانوا خمسة سادسهم كلبهم وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم فحقق الله تعالى
قول المسلمين وانما عرف ذلك باخبار رسول الله عن جبريل عليه السلام وعن علي رضي الله عنه
هم سبعة تفرسماؤهم يمليخا ومكشلينا ومشلينا هؤلاء اصحاب يمين الملك
وكان على يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش وكان يستشير هؤلاء الستة
في امره والسابع الراعي الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس واسم مدينتهم افسوس
واسم كلبهم قطمير وعند قطمر فان قلت لم جاء بين الستة في الاوقف دون الاخيرين قلت فيه وجهان
ان بدل الاخيرين في حكم التبين كما تقول قد اكرمت رائع تريد معنى التوقع في الفعلين جميعا او ان يريد
بيفعل معنى الاستقبال الذي هو صالح له رجما بالغيب رميا بالخبر الخفي واتيانا به كقوله ويقذفون
بالغيب اي يأتون به او وضع الترجم موضع الظن لكانه قيل ظنا بالغيب لانهم اكثروا ان يقولوا رجما
بالظن مكان قولهم ظن حتى لم يبق عندهم فرق بين العبارتين الا ترى الى قول زهير وما وما هو عنها
بالحديث المرجم اي المظنون وقذي ثلاث رابعهم بادغام التاء في تاء التانيث وثلاثة خبر مبتدا محذوف
اي هم ثلاثة وكذلك خمسة وسبعة ورابعهم كلبهم جملة من مبتدإ وخبره واقعة صفة لثلاثة وكذلك
سادسهم كلبهم وثامنهم كلبهم فان قلت هي الواو الداخلة على الجملة الثالثة ولم دخلت عليها دون
الاولين دخلت هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة كما تدخل على الواقعة حالا عن المعرفة
في نحو قولك جاءني رجل ومعه آخر ومررت بزيد وفي يده سيف ومنه قوله تعالى وما اهلكنا
من قرية الا ولها كتاب معلوم وفائدتها تاكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه
بها امر ثابت مستقر ومن الواو هي التي آذنت بان الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم قالوه عن ثبات
علم وطمانينة نفس ولم يدخلوا بالظن كما عن غيرهم والدليل عليه ان الله سبحانه وتعالى اتبع القولين الاولين
قوله رجما بالغيب واتبع القول الثالث قوله ما يعلمهم الا قليل وقال ابن عباس حين وقعت الواو انقطعت

العدة اي ما بقي بعد ما عدة عاد يلتفت اليها وثبت انهم سبعة وثامنهم كلبهم على القطع والثبات
وقبل الا قليل من اهل الكتاب والضمير في سيقولون على هذا لاهل الكتاب خاصة اي سيقول
اهل الكتاب فيهم كذا وكذا والاعلم بذلك الا في قليل منهم واكثرهم على ظن وتخمين فلا تماروهم فلا
تجادل اهل الكتاب في شان اصحاب الكهف الا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو ان تقص عليهم ما اوحى
الله اليك فحسب ولا تزيد من غير تجهيل ولا تعنيف بهم في الرد عليهم كما قال تعالى وجادلهم بالتي هي احسن
ولا تستفت ولا تسال احدا منهم عن قصتهم سؤال متعنت له حتى يقول شيئا فتؤذيه وتنزيف
ما عندك لان ذلك خلاف ما وصيت به من المداراة والمحاملة ولا تسالهم سؤال مسترشد لان الله قد ارشدك
بان اوحى اليك قصتهم ولا تقولن لشيء اي ولا تقولن لاجل شيء تعزم عليه الى فاعل ذلك الشيء
اي فيما يستقبل من الزمان ولم يرد الغد خاصة الا ان يشاء الله كان معناه الا ان يعترض مشيئة الله
دون فعله وذلك مالا مدخل فيه للنهي وتعلقه بالنهي على وجهين احدهما ولا تقولن ذلك القول الا ان
يشاء الله ان تقوله بان ياذن لك فيه والثاني ولا تقولنه الا بان يشاء الله اي الا بمشيئة وهو في
موضع الحال بغي ملتبسا بمشيئة الله قائلا ان شاء الله وفيه وجه ثالث وهو ان يكون انشاء الله
في معنى كلمة التاييد كانه ولا تقولنه ابدا ونحوه قوله وما كان لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا
عودهم في ملتهم مما لم يشا قط ولكن هذا تاديب من الله لنبيه حين قالت اليهود لقريش سلوه
عن الروح وعن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين فسالوه فقال ائتوني غدا اخبركم ولم يستثن فابطا
عليه الوحي حتى شق عليه وكذبته قريش واذكر ربك اذا نسيت اي مشيئة ربك وقيل لما قال الله اذا
فرط منك نسيان لذكر والمعنى اذا نسيت كلمة الاستثناء ثم تنبهت عليها فتداركها بالذكر وعن ابن
عباس ولو بعد سنة مالم تحنث وعن سعيد بن جبير ولو بعد يوم او اسبوع او شهر او سنة
وعن طاوس هو على بنياه ما دام في مجلسه وعن الحسن نحوه وعن عطاء يستثنى على مقدار حلب ناقة
غزيرة وعند عامة الفقهاء انه لا اناة له في الاحكام مالم يكن موصولا وبحكى انه بلغ المنصور ان ابا حنيفة
خالف ابن عباس فاستحمقه ليشنع عليه فقال له ابو حنيفة رحمه الله هذا يدعو عليك انك تاخذ
البيعة بالايمان افترضى ان يخرجوا من عندك فيستفتوا فيخرجوا عليك فاستحسن كلامه ورضي عنه
ويجوز ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت كلمة الاستثناء تشديدا في البعث على الاهتمام
بها وقيل واذكر ربك اذا تركت بعض ما امرك به وقيل واذكر اذا اعتراك النسيان لتذكرك
المنسي وقد حمل على اداء الصلوة المنسية عند ذكرها وهذا اثناء الى بناء اصحاب الكهف ومعناه

تخمينا
بما لا
يعلم

فيهم منهم احدا

الاستثناء منه
هو العام الوقت

مع

مع

طاوس وداود
يكتفيان بواو من
واحدة واحدة

متعلق بالنهي لا بقوله اني فاعل لانه
لو قيل اني فاعل كذا الا ان يشاء الله

قيل كان ابو حنيفة رح لغاغة اي حاضر الجواب
ثقال لقمع اذا رايت من الشيخ وهذا الذي
وكان هذا اللقب بعقيل بن ابي طالب

اي قبه
وما للرهب الا ما علمتم وذقتم

واو الثمانية
وسمي واو الثمانية كقوله ثيبات وابكارا
وقوله وفتحت ابوابها
وفي الغايتين واما الجمع بهذه الواو لتاكيد لصوق
الصفة بالموصوف كما في الحديث حتى ماتت انه
عبد الرجيم واجب الناس للاول الصفة
تدخل الاتجاه والعطف تدخل آخر الصفات في فصار
الصفات بالواو كلها مقصودة

الواو الداخلة بين الصفة والموصوف

ويقول
مكسلينا

اسم الراعي
لنيشبطونس
(ذكره الواحدي في الوسيط)

لعلى الله يؤتيني من البينات والجمع على أني بنيت صادق ما هو اعظم في الدلالة واقرب رشدا من نبأ
اصحاب الكهف وقد فعل فكنت اتاه من قصص الأنبياء والاخبار بالغيوب ما هو اعظم ذلك اولا
والظاهر ان يكون المعنى اذا نسيت شيئا فاذكر ربك وذكر ربك عند نسيانه ان تقول عسى ربي
ان يهدين لشيء آخر بدل هذا النسي اقرب منه رشدا او في خير او منفعة ولعل النسيان كان
جنة كقوله او ننسها نات بخير منها وليشوا في كهفهم ثلثمائة سنين يريد لبثهم فيه احياء منضربا
على آذانهم من المدة وهو بيان لما اجمل في قوله فضربنا على اذانهم في الكهف سنين عددا ومعنى قوله
قل الله اعلم بما لبثوا انه اعلم من الذين اختلفوا فيه بمدة لبثهم والحق ما اخبرك به وعن قتادة انه حكاية
لكلام اهل الكتاب وقل الله اعلم رد عليهم وقال ابن عباد وقف عبد الله وقالوا ليثوا استئناف
عطف بيان لثلثمائة وقرئ ثلاث مائة سنين بالاضافة على وضع الجمع موضع الواحد او النعت كقوله
بالاخسرين اعمالا او في قراءة ابي ثلثمائة سنة وازدادوا تسع سنين لان ما قبله يدل عليه ثم ذكر
اختصاصه بما غاب في السموات والارض وخفي فيهما من احوال اهلها ومن غيرها وانه وحده العالم
به وجاء عادل على التعجب من ادراكه للمسموعات والمبصرات للدلالة على ان امره في الادراك خارج عن
حد ما عليه ادراك السامعين والمبصرين لانه يدرك اللطف الاشياء واصغرها كما يدرك اكبرها
جليا واكثفها جرما ويدرك البواطن كما يدرك الظواهر ما لهم الضمير لاهل السموات والارض
من ولي من متولي لامورهم ولا يشرك في حكمه في قضائه احدا نهي وقرئ الحق بالتاء
والجزم على النهي كانوا يقولون له ايت بقرآن غير هذا او بدله فقيل له ما الما اوحي اليك من القرآن
ولا تستمع لما يهذون به طلب التبديل لا بد لكلماته فلا ربك اي لا يقدر احد على تبديلها وتغييرها اياما
يقدر على ذلك هو وحده واذا لم تجد ايه مكان آية ولن تجد من دونه ملتحدا تعدل اليه ان همت
قال القوم من رؤسائهم اكفر لرسول الله صلى الله عليه وسلم نخل هو لاء الموالي الذين كان يجلسهم
الضعفاء وهم صهيب وعمار وخباب وغيرهم من فقراء المسلمين رضي الله عنهم حتى نجالسك كما قال
قوم نوح عليه السلام انؤمن لك واتبعك الارذلون فنزلت واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم واجبها معهم
وبتها قال ابو ذويب فصبر شعارفة لذيك حزة ندسوا وانفس الجبان تطلع بالغداة
والعشي يريدون وابتغين في الدعاء في كل وقت وقيل المراد صلوة الفجر والعصر وقرئ بالغدوة و
بالغداة اجود لان غدوة علم في اكثر الاستعمال وادخال اللام عليها وتأويل النكرة كما قال والله زيد
المعارب ونحوه قليل في كلامهم يقال غداة اذا جاوزه ومنه قولهم غداطوق وجاء في القوم
اي جاوزهن

واصبر

من شتاب ربك

وهم بالافتراس عنك فاصبر

نبذ الطوق الزنا بالغداة و العشي ج

عارفة اي لنا صابرة من الوفي بكسر العين واصله فصبر شعارفة صابرة لذيك الحزة فحذف الموصوف واقيم الصفة مقامه وعرف كقوله والصلت

عدا زيدا واما عدي بعن لتضمين عدا معنى نبا وعلا فقولك نبت عنه عينه وعلت عنه عينه اذا
اقتحمته ولم تعلق به فان قلت اي غرض في هذا التضمين وهلا قيل ولا تعدهم عيناك او ولا
تعدعيناك عنهم قلت الغرض فيه اعطاء مجموع معنيين وذلك اقوى من اعطاء معنى فذ
الاتري كيف رجع المعنى الى قولك ولا يقتحمهم عيناك محاورتين الى غيرهم ونحوه قوله تعالى ولا تأكلوا
اموالهم الى اموالكم اي ولا تضموها اليها آكلين وقرئ ولا تعد عينك ولا تعد عينيك من اعداه
وعداه نقلا بالهمزة والتثقيل الحسن ومنه قوله آه مما عداه وعد عاديا اذا لازم شجاعا له لان معناه
فعد همك عاديا نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدري بغفلة المؤمنين وان تنبو عيناه
عن رثاثة زيهم طموحا الى زي الاغنياء وحسن شارتهم تريده بهذه الحيوة الدنيا في موضع
الحال ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا للخذلان او وجدناه غافلا عنه كقولك
اجبنته واحمقته واكذبته اذا وجدته كذلك او من اغفل ابله اذا اندكها بغير سمة اي لم سمه بالذكر
ولم نجعلهم من الذين كتبنا في قلوبهم الايمان وقد ابطل الله تعالى المجبرة بقوله واتبع هواه وقرئ اغفلنا
قلبه باسناد الفعل الى الله على معنى حسبنا قلبه غافلين من اغفلته اذا وجدته غافلا فرطا متقدما
للحق نابذا له وراء ظهره من قولهم فرس فرط متقدم للخيل وقل الحق من ربكم الحق خبر مبتدا محذوف و
المعنى جاء الحق وزلت العلل فلم يبق الا اختياركم لانفسكم ما شئتم من الاخذ في طريق النجاة او في
طريق الهلاك وجيء بلفظ الامر والتخيير لانه تمكين من اختيار احدهما كما انه مخير مأمور بان
يخير ما شاء من التجديين شبه ما احيط بهم من النار بالسادق وهو الحجرة التي تكون حول الفسطاط
وبيت مسرادق وسرادق وقيل هو دخان يحيط بالكفار قبل دخولهم النار وقيل حائط
من نار يطيف بهم يغيثوا بماء كالمهل للقوله كفوله فاعتبوا بالصليم وفيه تهكم والمهل ما اذيب
من جواهر الارض وقيل دردي الزيت يشوي الوجوه اذا قدم ليشرب اشوى الوجه من حرارته
وعن النبي صلى الله عليه وسلم هو كعكر الزيت فاذا قرب اليه سقطت فروة وجهه في الشراب
ذلك وساءت النار مرتفقا ان متكأ من المرفق وهذا كما مر في قوله حسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق
لاهل النار ولا اتكاء الا ان يكون كقوله الى ارقت فبت الليل مرتفقا كان عيني فيها
الصاب مذبوح او لبك حبة ان رانا لا نضيع اعتراض وذلك ان جعل انا لا نضيع واو لبك خبر ان
معا او تجعل او لبك كلاما مستأنفا بيانا للاجر المبهم فان قلت اذا جعلت انا لا نضيع خبرا فاين
الضمير الراجع الى المبتدا قلت من احسن عملا والذين آمنوا وعملوا الصالحات ينتظمهما معنى واحد

مستأنف بيان للاجر المبهم

مستأنف

بذلك هم

رثاثة هم

حسنت مرتفقا

بئس الشراب وساءت مرتفقا

يعني الكهان في الجاهلية كانوا يدعون معرفة الغائب بالهام من الجن او بوحي من الشياطين ومن شاء ان يلحق بهم ألحق

اعتدنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها فليروا عاقبة امرهم

قل الحق من ربكم الحق خبر مبتدا محذوف اي هذا الحق من ربكم

فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر

ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا اولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الانهار يحلون فيها

فقام من احسن مقام الضمير اذا اردت من احسن عملا منهم فكان كقولك السمن منوان بدرهم
من الاولى للابتداء والثانية للتبيين وتنكير اساور لابهام امرها في الحسن وجمع بين السندس
وهو ما رق من الديباج وبين الاستبرق وهو الغليظ منه جمعا بين النوعين وخص الاتكاء
لانه هيئة المنعمين والملوك على اسرتهم واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما اي ومثل حال الكافرين
والمؤمنين بحال رجلين وكانا اخوين في بني اسرائيل احدهما كافر اسمه قطروس والآخر مؤمن
اسمه يهوذا وقيل هما المذكوران في سورة الصافات في قوله قال قائل منهم اني كان لي قرين ورثا
من ابيهما ثمانية آلاف دينار فتشاطراها فاشترى الكافر بالف فقال المؤمن اللهم ان اخي اشترى
ارضا بالف دينار وانا اشتري منك ارضا في الجنة بالف فتصدق به ثم بنى اخوه دارا بالف
فقال اللهم اني اشتري منك دارا في الجنة بالف فتصدق به ثم تزوج اخوه امرأة بالف فقال
اللهم اني جعلت الفا صداقا للحور ثم اشترى اخوه خدما ومتاعا بالف فقال اللهم اني
اشتريت منك الولدان المخلدين بالف فتصدق به ثم اصابته حاجة فجلس لاخيه على طريقه
فمر به في حشمه فتعرض له فطرده ووبخه على التصدق بماله وقيل هما مثل لاخوين من بني
مخزوم مؤمن وهو ابو سلمة عبد الله ابن عبد الاسد وكان زوج ام سلمة قبل النبي صلى الله عليه وسلم
وكافر وهو الاسود بن عبد الاسد جنتين من اعناب بستانين من كروم وحففناهما بنخل
وجعلنا النخل محيطا بالجنتين وهذا مما يؤثره الدهاقين في كرومهم ان يجعلوها مؤززة بالاشجار
المثمرة يقال حفوه اذا اطافوا به وحففته بهم اي جعلتهم حافين حوله وهو متعد الى مفعول
واحد فتزيده الباب مفعولا ثانيا كقولك غشيته وغشيته به وجعلنا بينهما زرعا كلتا جعلها
ارضا جامعة للاقوات والفواكه ووصف العمارة بانها متواصلة متشابكة لم يتوسطها ما يقطعها
ويفصل بينها مع الشكل الحسن والترتيب الانيق ونعتهما بوفاء الثمار وتمام الاكل من غير نقص
ثم بما هو اصل الخير ومادته من امر الشرب فجعله افضل ما يسقى به وهو السيح بالنهر الجاري
فيها والاكل الثمر وقرئ بضم الكاف ولم تظلم ولم تنقص اتت حمل على اللفظ لان كلتا لفظه لفظ
مفرد ولو قيل اتتا على المعنى لجاز وقرئ وفجرنا على التخفيف وقرأ عبد الله كل الجنتين
اتى اكله برد الضمير على كل وكان له ثمر اي انواع من المال من ثمر ماله اذا كثره وعن مجاهد
الذهب والفضة اي كانت له الى الجنتين الموصوفتين الاموال الدثرة من الذهب والفضة
وغيرهما فكان وافر اليسار من كل وجه متمكنا من عمارة الارض كيف شاء واعز نفرا يعني

حسنين من اعناب

الجنتين اتت كلها ولم تظلم منه شيئا صح

يعني انصارا

يعني انصارا وحشما وقيل اولادا ذكورا لانهم ينفرون معه دون الاناث محاورة يراجعه الكلام
من حار يحور اذا رجع وسألته فما احار كلمة يعني قرطوس اخذ بيد المسلم يطوف به في الجنتين
ويريه ما فيهما ويعجبه منهما ويفاخره بما ملك من المال دونه جنة فان قلت لم افرد الجنة بعد التثنية
قلت معناه ودخل ما هو جنته ماله جنة غيرها يعني انه لا نصيب له في الجنة التي وعد المؤمنون
فما ملكه في الدنيا هو جنته لا غير ولم يقصد الجنتين ولا واحدة منهما وهو ظالم لنفسه وهو معجب
بما اوتي مفتخر به كافر لنعمة ربه معرض بذلك نفسه لسخط الله وهو افحش الظلم اخباره
عن نفسه في بيدودة جنته لطول امله واستيلاء الحرص عليه وتمادي غفلته واغتراره
بالمهلة واطراحه النظر في عواقب امثاله وترى اكثر الاغنياء من المسلمين وان لم يطلقوا
بنحو هذا في السنتهم فان السنة احوالهم ناطقة به منادية عليه ولئن رددت الى ربي اقسام
منه على انه ان رد الى ربه على سبيل الفرض والتقدير وكما يزعم صاحبه ليجدن في الآخرة
خيرا من جنته في الدنيا تطمعا وتمنيا على الله وادعاء لكرامته عليه ومكانته عنده وانه ما اولاه
الجنتين الا لاستحقاقه واستيهاله وان معه هذا الاستحقاق اين توجه كقوله ان لي عنده للحسنى
لاوتين مالا وولدا وقرئ خيرا منهما ردا على الجنتين منقلبا مرجعا وعاقبة وانتصابه على التمييز
اي منقلب تلك خير من منقلب هذه لانها فانية وتلك باقية قال له صاحبه وهو اي خلق اصلك
لان خلق اصله سبب في خلقه فكان خلقه خلقا له سواك عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا
مبلغ الرجال جعله كافرا بالله جاحدا لانعمه لشكه في البعث كما يكون المكذب بالرسول كافرا
لكنا هو الله ربي ولا اشرك اصله لكن انا فحذفت الهمزة والقيت حركتها على نون لكن فتلاقت النونان
فكان الادغام ونحوه قول القائل وترميني بالطرف اي انت مذنب وتقلينني لكن اياك لا اقلي
اي لكن انا لا اقليك وهو ضمير الشان والشان الله ربي والجملة خبر انا والراجع منها
اليه ياء الضمير وقرأ ابن عامر باثبات الف انا في الوصل والوقف جميعا وحسن ذلك وقوع
الالف عوضا من حذف الهمزة وغيره لا يثبتها الا في الوقف وعن ابي عمرو انه وقف بالهاء لكنه
وقرئ لكن هو الله ربي بسكون النون وطرح انا وقرأ ابي بن كعب لكن انا على الاصل وفي قراءة
عبد الله لكني انا لا اله الا هو ربي فان قلت هو استدراك لماذا قلت كقوله اكفرت قال
لاخيه انت كافر بالله لكني مؤمن موحد كما تقول زيد غائب لكن عمرا حاضر ولولا اذا دخلت
يجوز ان تكون ما موصولة مرفوعة المحل على انها خبر مبتدأ محذوف تقديره الامر ما شاء الله

لاجدن خيرا منها منقلبا

بمحاورة اكفرت بالذي خلقك من تراب ثم نطفة ثم سواك رجلا صح

بربي احدا صح

جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله اريدك انا اقل منك مالا وولدا فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا او يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا واحيط بثمره فاصبح يقلب كفيه صح

او شرطية منصوبة الموضع والجزاء محذوف بمعنى اي شيء شاء الله كان ونظيرها في حذف الجواب او في قوله
ولو ان قرآنا سيرت به الجبال والمعنى هلا قلت عند دخولها والنظر الى ما رزقك الله منها الامر ما شاء
الله اعترافا بانها وكل خير فيها انما حصل بمشية الله وفضله وان امرها بيده ان شاء تركها عاصرة
وان شاء خربها وقلت لا قوة الا بالله اقرارا بان ما قويت به على عمارتها وتدبير امرها هو بمعونته و
وتاييده اذ لا يقوى احد في بدنه ولا في ملك يده الا بالله وعن عروة بن الزبير انه كان يثلم حائطه
ايام الرطب فيدخل من شاء وكان اذا دخله رده هذه الآية حتى يخرج من قرأ اقل بالنصب
فقد جعل انا فصلا ومن رفع جعله مبتدأ واقل خبره والجملة مفعولا ثانيا وفي قوله وولدا
نصرة لمن فسر الاولاد في قوله واعز نفرا والمعنى ان ترني افقر منك فانا اتوقع من صنع الله
ان يقلب ما بي وما بك من الفقر والغنى فيرزقني لايماني جنة خيرا من جنتك ويسلبك
لكفرك نعمته ويخرب بستانك والحسبان مصدر كالغفران والبطلان بمعنى الحساب
اي مقدارا قدره الله وحسبه وهو الحكم بتخريبها وقال الزجاج عذاب حسبان وذلك الحسبان
حساب ما كسبت يداك وقيل حسبانا مرامي الواحدة حسبانة وهي الصواعق صعيدا زلقا
ارضا بيضاء يزلق عليها لملاستها زلقا وغورا كلاهما وصف بالمصدر واحيط به عبارة عن اهلاكه
واصله من احاط به العدو لانه اذا احاط به فقد ملكه واستولى عليه ثم استعمل في كل هلاك ومنه
قوله تعالى الا ان يحاط بكم ومنه قولهم اتى عليه اذا اهلكه من اتى عليهم العدو اذا جاءهم مستعليا
لهم وتقليب الكفين كناية عن الندم والتحسر لان النادم تقلب كفيه ظهرا لبطن كما كنى عن
ذلك بعض الكف والسقوط في اليد لانه في معنى الندم عدي تعديته بعلى كانه قيل فاصبح
يندم على ما انفقوا اي في عمارتها وهي خاوية على على الارض يعني ان كرومها المعرشة سقطت
عروشها على الارض فسقطت فوقها الكروم قيل ارسل الله عليها نارا فاكلتها ويقول يا ليتني
تذكر موعظة اخيه فعلم انه اتي من جهة شركه وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركا حتى لا يهلك
الله بستانه ويجوز ان يكون توبة من الشرك وندما على ما كان منه ودخولا في الايمان قرئ
لم يكن بالياء والتاء وحمل ينصرونه على المعنى دون اللفظ كقوله فئة تقاتل في سبيل الله واخرى
كافرة يرونهم فان قلت ما معنى قوله ينصرونه من دون الله قلت معناه يقدرون على
نصرته من دون الله اي هو وحده القادر على نصرته لا يقدر احد غيره ان ينصره الا انه لم ينصره
لصارف وهو استيجابه ان يخذل وما كان منتصرا وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله عز وجل

النفر باصح

فيها

لم اشرك بربي

الولاية

هنالك الولاية بالفتح النصرة والتولي وبالكسر السلطان والملك وقد قرئ بهما والمعنى هنالك اي في ذلك
المقام وتلك الحالة النصرة لله وحده لا يملكها غيره ولا يستطيعها سواه تقريرا لقوله ولم تكن له مثل
فئة ينصرونه من دون الله او هنالك السلطان والملك لله لا يغلب ولا يمتنع منه او في مثل تلك
الحال الشديدة يتولى الله ويؤمن به كل مضطر يعني ان قوله يا ليتني لم اشرك بربه احدا كلمة الجئ
اليها فقالها جزعا مما دهاه من شؤم كفره ولولا ذلك لم يقلها ويجوز ان يكون المعنى هنالك
الولاية لله ينصر فيها اولياءه المؤمنين على الكفرة وينتقم لهم ويشفي صدورهم من اعدائهم يعني انه
نصر فيما فعل بالكافر اخاه المؤمن وصدق قوله عسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا
من السماء بعضده قوله هو خير ثوابا وخير عقبا اي لاوليائه وقيل هنالك اشارة
الى الآخرة اي في تلك الدار الولاية لله كقوله لمن الملك اليوم وقرئ الحق بالرفع والجر صفة
للولاية ولله وقرأ عمرو بن عبيد رحمه الله بالنصب على التاكيد كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل
وهي قراءة حسنة فصيحة وكان عمرو بن عبيد من افصح الناس وانصحهم وقرئ عقبا بضم القاف
وسكونها وعقبى على فعلى وكلها بمعنى العاقبة واضرب لهم مثلا الحيوة الدنيا كماء فالتف بسببه وتكاثف
حتى خالط بعضه بعضا وقيل نجع في النبات الماء فاختلط به حتى روي ورف رفيفا وكان حق
اللفظ على هذا التفسير فاختلط بنبات الارض ووجه صحته ان كل مختلطين موصوف كل واحد
منهما بصفة صاحبه والهشيم ما تهشم وتحطم الواحدة هشيمة وقرئ تذروه الريح وعن ابن عباس
تذريه الرياح من اذرى شبه حال الدنيا في نضرتها وبهجتها وما يتعقبها من الهلاك والفناء
بحال النبات يكون اخضر وارفا ثم يصفح فتطيره الرياح كان لم يكن وكان الله على كل شيء مقتدرا
من الانشاء والافناء والباقيات الصالحات اعمال الخير التي تبقى ثمرتها للانسان ويغني عنه
كل ما تطمح اليه نفسه من حظوظ الدنيا وقيل هي الصلوات الخمس وقيل هي سبحان الله والحمد لله ولا
اله الا الله والله اكبر وعن قتادة كل ما اريد به وجه الله عز وجل خير عند ربك ثوابا اي ما يتعلق
بها من الثواب وما يتعلق بها من الامل لان صاحبها يامل في الدنيا ثواب الله ويصيبه في الآخرة
قرئ تسير من سيرت وتسير من سيرنا وتسير من سارت اي تسير في الجو او يذهب بها
بان تجعل هباء منثورا وقرئ وترى الارض على البناء للمفعول بارزة ليس عليها ما يسترها
مما كان عليها وحشرناهم وجمعناهم الى الموقف وقرئ ولم نغادر بالنون والياء يقال غادره واغدره
اذا تركه ومنه الغدر ترك الوفاء والغدير ما غادره السيل وشبهت حالهم بحال الجند المعروضين

احد م

والله

قال عليه السلام لفاطمة رضي الله عنها عليك بالجوامع الاربع الجوامع الكوامل ارادة كلمة التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير

ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا
وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم اول مرة بل زعمتم الن نجعل لكم موعدا

على السلطان صفا مصطفين ظاهرين ترى جماعتهم كما يرى كل واحد لا يحجب احد احدا لقد جئتمونا
اى قلنا لهم لقد جئتمونا وهذا المضمر هو عامل النصب في يوم نسير ويجوز ان ينتصب باضمار اذكر
والمعنى لقد بعثناكم كما انشأناكم اول مرة وقيل جئتمونا عراة لا شيء معكم كما خلقناكم اولا كقوله
ولقد جئتمونا فرادى قلت لم جيء بحشرناهم ماضيا بعد نسير وترى قلت للدلالة على
ان حشرناهم قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك الاهوال والعظائم كانه قيل وحشرناهم
قبل ذلك موعدا وقتا لانجاز ما وعدتم على السنة الانبياء عليهم السلام من البعث والنشور
ووضع الكتاب للجنس وهو صحف الاعمال يا ويلتنا ينادون هلكتهم التي هلكوها خاصة من بين
الهلكة صغيرة ولا كبيرة هنة صغيرة ولا كبيرة وهي عبارة عن الاحاطة يعني لا يترك شيئا
من المعاصي الا احصاها اى احصاها كلها كما تقول ما اعطاني لا قليلا ولا كثيرا لان الاشياء
اما صغار واما كبار ويجوز ان يريدوا ما كان عندهم صغاير وكباير وقيل لم يجتنبوا الكباير
فكتبت عليهم الصغاير وهي المناقشة وعن ابن عباس رضي الله عنهما الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة
وعن سعيد بن جبير الصغيرة المسيس والكبيرة الزنا وعن الفضيل كان اذا قرأها ضجوا والله
من الصغاير قبل الكباير الا احصاها الا ضبطها وحصرها ووجدوا ما عملوا حاضرا في الصحف عتيدا
او جزاء ما عملوا ولا يظلم ربك احدا فكتب عليه ما لم يعمل او يزيد في عقابه المستحق او يعذبه بغير جرم كما
يزعم من ظلم الله تعالى في تعذيب اطفال المشركين بذنوب ابائهم واذ قلنا للملائكة اسجدوا لمستأنف جار
مجرى التعليل بعد استثناء ابليس من الساجدين كان قائلا قال ما له لم يسجد فقيل كان من الجن
والفاء للتسبيب ايضا جعل كونه من الجن سببا لفسقه يعني انه لو كان ملكا كسائر من سجد لادم
لم يفسق عن امر الله لان الملائكة معصومون البتة لا يجوز عليهم ما يجوز على الجن والانس كما قال
لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وهذا الكلام المعترض تعمد من الله تعالى لصيانة الملائكة
عن وقوع شبهة في عصمتهم فما ابعد البون بين ما تعمده الله وبين قول من ضاده فزعم انه كان
ملكا رئيسا على الملائكة فعصى فلعن ومسخ شيطانا ثم وركه على ابن عباس رضي الله عنهما ومعنى فسق
عن امر ربه خرج عما امره به ربه من السجود قال فواسقا عن قصدها جوائر او صار فاسقا كافرا
بسبب امر ربه الذي هو قوله اسجدوا لادم افتتخذونه الهمزة للانكار والتعجيب كانه قيل اعقب
ما وجد منه تتخذونه وذريته اولياء وتستبدلونهم بي بئس البدل من الله تعالى ابليس
لمن استبدله فاطاعه بدل طاعته ما اشهدتهم خلق السموات وقرئ ما اشهدناهم يعني انكم اتخذتموهم

شركاء لي

شركاء لي في العبادة وانما كانوا يكونون شركاء فيها لو كان شركاء في الالهية فنفى مشاركتهم
في الالهية بقوله ما اشهدتهم خلق السموات والارض لاعتضد بهم في خلقها ولا خلق انفسهم اى ولا
اشهدت بعضهم خلق بعض كقوله ولا تقتلوا انفسكم وما كنت متخذ المضلين بمعنى وما كنت متخذهم
عضدا اى اعوانا فوضع المضلين موضع الضمير ذما لهم بالاضلال فاذا لم يكونوا عضدا
لي في الخلق فما لكم تتخذونهم شركاء في العبادة وقرئ وما كنت بالفتح والخطاب لرسول الله صلعم
والمعنى وما صح لك الاعتضاد بهم وما ينبغي لك ان تعتز بهم وقرأ علي رضي الله عنه وما كنت متخذا
المضلين بالتنوين على الاصل وقرأ الحسن عضدا بسكون الضاد وعضدا بضمتين وعضدا
بفتحتين جمع عاضد كخادم وخدم وراصد ورصد من عضده اذا قواه واعانه يقول بالياء
والنون واضافة الشركاء اليه على زعمهم توبيخا لهم واراد الجن والموبق المهلك من وبق يبق
وبوقا ووبق يوبق وبقا اذا هلك واوبقه غيره ويجوز ان يكون مصدرا كالمورد والموعد
يعني وجعلنا بينهم واديا من اودية جهنم هو مكان الهلاك والعذاب الشديد مشتركا يهلكون
فيه جميعا وعن الحسن موبقا عداوة والمعنى عداوة هي في شدتها هلاك كقوله لا يكن حبك
كلفا ولا بغضك تلفا وقال الفراء البين الوصل اى جعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا يوم
القيامة ويجوز ان يريد الملائكة وعيسى ومريم وعزيرا وبالموبق البرزخ البعيد اى جعلنا
بينهم امدا بعيدا يهلك فيه الاشواط بعده لانهم في قعر جهنم وهم في اعلى الجنان فظنوا فايقنوا
انهم مواقعوها مخالطوها واقعون فيها مصرفا معدلا قال ازهير هل عن شيبة
من مصرف اكثر شيء جدلا اكثر الاشياء التي تتأتى منها الجدل ان فصلتها واحدا بعد واحد
خصومة ومماراة بالباطل وانتصاب جدلا على التمييز يعني ان جدل الانسان اكثر من جدل
كل شيء ونحوه فاذا هو خطأ مبين ان الاولى نصب والثانية رفع وقبلها مضاف محذوف
تقديره وما منع الناس الايمان والاستغفار الا انتظار الا ان تأتيهم سنة الاولين او تأتيهم وهي الاهلاك
او انتظار ان يأتيهم العذاب يعني عذاب الاخرة قبلا عيانا وقرئ قبلا انواعا جمع قبيل و
وقبلا بفتحتين مستقبلا وما نرسل لينزلوا ويبطلوا من ادحاض القدم وهو ازلاقها وازالتها
عن موطنها واتخذوا يجوز ان تكون ما موصولة ويكون الراجع من الصلة محذوفا اي
وما انذروا من العقاب او مصدرية بمعنى وانذارهم وقرئ هزوا بالسكون اى اتخذوها موضع
استهزاء وجدالهم قولهم للرسل ما انتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل ملائكة وما اشبه ذلك

ذكر آياته به

ومن أظلم ممن بالقرآن ولذلك رجع اليها الضمير مذكرا في قوله ان يفقهوه فاعرض عنها فلم يتذكر حين ذكر ولم يتدبر وسيئي عاقبة ما قدمت يداه من الكفر والمعاصي غير مفكر فيها ولا ناظر في ان السيئ والحسن لابد لهما من جزاء ثم علل اعراضهم ونسيانهم بانه مطبوع على قلوبهم وجمع بعد الافراد حملا على لفظ من ومعناه ولن يهتدوا اذا لا يكون منهم اهتداء البتة كأنه محال منهم لشدة تصميمهم ابدا من حيث التكليف كلها واذن جزاء وجواب فدل على انتفاء اهتدائهم لدعوة الرسول بمعنى انهم جعلوا ما يجب ان يكون سبب وجود الاهتداء سببا في انتفائه وعلى انه جواب للرسول قوله مالي لا ادعوهم حرصا على اسلامهم فقيل وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا وربك الغفور البليغ المغفرة ذو الرحمة الموصوف بالرحمة ثم استشهد على ذلك بترك مؤاخذة اهل مكة تعجيلا لهم العذاب مع اقترافهم عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم بل لهم موعد وهو يوم بدر لن يجدوا من دونه موئلا ملجأ ولا منجا يقال وأل اذا نجا ووأل اذا لجأ اليه وتلك القرى يريد قرى الاولين من ثمود وقوم لوط وغيرهم اشار لهم اليها لعبرة وتلك مبتدأ والقرى صفة لان اسماء الاشارة توصف باسماء الاجناس واهلكناهم خبره ويجوز ان يكون تلك القرى بدلا او بيانا باضمار اهلكنا على شريطة التفسير على معنى وتلك اصحاب القرى اهلكناهم مثل ظلم اهل مكة وجعلنا لمهلكهم من عاد وضربنا لاهلاكهم وقتا معلوما لا يتأخرون عنه كما ضربنا لاهل مكة يوم بدر والمهلك الاهلاك ووقته وقرئ لمهلكهم بفتح الميم واللام مفتوحة او مكسورة اي لهلاكهم او وقت هلاكهم والموعد وقت او مصدر واذ قال موسى لعبده وفي الحديث ليقل احدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وامتي وقيل هو يوشع بن نون وانما قيل فتاه لانه كان يخدمه ويتبعه وقيل كان يأخذ منه العلم

اهلكناهم

فتاه لا يوشع ج

ان كان بمعنى لا ازول من برح المكان فقد دل على الاقامة لا على السفر وان كان بمعنى لا ازال فلا بد له من الخبر قلت هو بمعنى لا ازال وقد حذف الخبر لان الحال والكلام معا يدلان عليه اما الحال فلانها كانت حال سعي واما الكلام فلان قوله حتى ابلغ مجمع البحرين او امضي غاية مضروبة لتسديدي ما هي غاية له فلا بد ان يكون المعنى لا ابرح اسير حتى ابلغ مجمع البحرين ووجه آخر وهو ان يكون المعنى لا ابرح مريدي حتى ابلغ على ان حتى ابلغ هو الخبر فلما حذف المضاف اقيم المضاف اليه مقامه وهو ضمير المتكلم فانقلب الفعل عن لفظ الغائب الى لفظ التكلم وهو وجه لطيف ويجوز ان يكون المعنى لا ابرح ما انا عليه يعني الذم السير

والطلب

والطلب والا تذكره ولا افارقه حتى ابلغ كما تفعل لا ابرح المكان ومجمع البحرين المكان الذي وعد فيه موسى لقاء الخضر عليهما السلام وهو ملتقى بحر فارس والروم مما يلي المشرق وقيل طنجة وقيل افريقية وفرضة التفاسير ان البحرين موسى والخضر لانهما كانا بحرين في العلم

موسى والخضر عليهما السلام

وفرع مجمع بكسر الميم وفتحها في الشذوذ ومن يفعل كالمشرق والمطلع من يفعل او مفعل حقبا دهرا طويلا او ثمانين سنة روي انه لما ظهر موسى عليه السلام على مصر مع بني اسرائيل واستقروا بها بعد هلاك القبط امره الله ان يذكر قومه النعمة فقام فيهم خطيبا فذكر نعمة الله وقال انه اصطفى نبيكم وكلمه فقالوا له قد علمنا هذا فأي الناس اعلم قال انا فعتب الله عليه حيث لم يرد العلم الى الله فأوحى الله اليه بل اعلم منك عبدي عند مجمع البحرين وهو الخضر وكان الخضر في ايام افريدون قبل موسى وكان على مقدمة ذي القرنين وبقي الى ايام موسى وقيل ان موسى سئل مرة اي عبادك احب اليك قال يذكرني ولا ينساني قال فاي عبادك اقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فاي عبادك اعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى او ترده عن ردى فقال يا رب ان كان في عبادك من هو اعلم مني فدلني عليه قال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة فقال يا رب كيف لي به قال تأخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرني فذهبا يمشيان فرقد موسى عليه السلام فاضطرب الحوت ووقع في البحر فلما جاء وقت الغداء طلب موسى الحوت فاخبره فتاه بوقوعه في البحر واتيا الصخرة فاذا رجل مسجى بثوبه فسلم عليه موسى فقال وانى بارضنا السلم فعرفه نفسه فقال يا موسى انا على علم علمنيه الله لا تعلمه انت وانت على علم علمكه الله لا اعلمه انا فلما ركبا السفينة جاء عصفور فوقع على حرفها فنقر في الماء فقال الخضر ما ينقص علمي وعلمك من علم الله مقدار ما اخذ هذا العصفور من البحر بسنبله اي منقاره فقد امدنا وما يكون منه مما جعل امارة على الظفر بالطلبة وقيل نسي يوشع ان يقدمه ونسي موسى ان يأمره فيه بشيء وقيل كان الحوت سمكة مملوحة وقيل ان يوشع حمل الحوت والحنة في المكتل فنزلا ليلة على شاطئ عين تسمى عين الحيوة ونام موسى فلما اصاب السمكة روح الماء وبرده عاشت وروي انها اكلا منها وقيل توضأ يوشع من تلك العين فانتضح الماء على الحوت فعاش فوقع في الماء فاتخذ امسك الله جرية الماء على

نسيا حوتهما

وكيف تبعا اثر الخضر وكيف تبعا اثر الخضر

مطلب

يسلك في البحر سربا

الحيث السكة

على الحوت فصار عليه مثل الطاق وحصل له منه في مثل السرب معجزة لموسى او للخضر فلما جاوزا فلما
جاوز الموعد وهو الصخرة لنسيان موسى تفقد امر الحوت وما كان منه ونسيان يوشع ان
يذكر لموسى ما راى من حيوته ووقوعه في البحر وقيل سارا بعد مجاوزة الصخرة الليلة والغد
الى الظهر والقي على موسى النصب والجوع حين جاوز الموعد ولم ينصب ولا جاع قبل ذلك فتذكر
الحوت وطلبه وقوله من سفرنا هذا اشارة الى مسيرهما وراء الصخرة فان قلت كيف نسي يوشع
ذلك ومثله لا ينسى لكونه امارة لهما على الطلبة التي تناهضا من اجلها ولكونه معجزتين تنتين وهما
حيوة السمكة المملوحة الماكول منها وقيل ما كانت الا شق سمكة وقيام الماء وانتصابه مثل الطاق
ونفوذها في مثل ذلك السرب منه ثم كيف استمر به النسيان حتى خلفا الموعد وسارا مسيرة ليلة
الى ظهر الغد وحتى طلب موسى الحوت قلت قد شغله بوساوسه فذهب بفكره كل مذهب
حتى اعتراه النسيان وانضم الى ذلك انه حري بمشاهدة امثاله عند موسى من العجايب واستانس
باخواته فاعانه الالف على قلة الاهتمام قال ارايت اذ اوينا بمعنى اخبرني فان قلت ما وجه التيام هذا
الكلام فان كل واحد من ارايت واذ اوينا وفاني نسيت الحوت لا متعلق له قلت لما طلب
موسى الحوت ذكر يوشع ما راى منه وما اعتراه من نسيانه الى تلك الغاية فدهش فطفق يسال
موسى عن سبب ذلك كانه قال ارايت ما دهاني اذ اوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت فحذف
ذلك وقيل هي الصخرة التي دون نهر الزيت واما انسانيه بدل من الهاء في انسانيه اي وما انساني
ذكره الا الشيطان وفي قراءة عبد الله ان اذكركه وعجبا ثاني مفعولي اتخذ مثل سربا يعني
واتخذ سبيله سبيلا عجبا وهو كونه شبيه السرب او قال عجبا في آخر كلامه تعجبا من حاله
في رؤية تلك الحال العجيبة ونسيانه لها او مما راى من المعجزتين وقوله وانسانيه الا الشيطان
ان اذكره اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وقيل ان عجبا حكاية لتعجب موسى وليس
بذاك قال ذلك اشارة الى اتخاذه سبيلا اي ذلك الذي كنا نطلب لانه امارة الظفر بالطلبة
من لقاء الخضر قرئ نبغ بغير ياء في الوصل واثباتها احسن وهي قراءة ابي عمرو واما الوقف
فالاكثر فيه طرح الياء اتباعا لخط المصحف فارتدا على فرجعا في ادراجهما قصصا يقصان
قصصا اي يتبعان آثارهما اتباعا او فارتدا مقتصين فوجدا عبدا من هي الوحي والنبوة
يختص بنا من العلم وهو الاخبار بالغيوب رشدا قرئ بفتحتين وبضمة وسكون اي علما ذا
رشد ارشد به ديني قلت اما دلت حاجته الى التعلم من آخر في عهده انه كما قيل موسى بن

ميشا

ميشا لا موسى بن عمران لان النبي يجب ان يكون اعلم اهل زمانه وامامهم المرجوع اليه في ابواب
الدين قلت لا غضاضة بالنبي في العلم من مثله وانما يغض منه ان ياخذ ممن دونه وعن سعيد
بن جبير انه قال لابن عباس ان نوفا ابن امراة كعب يزعم ان الخضر ليس بصاحب موسى وان موسى
هذا هو موسى بن ميشا فقال كذب عدو الله نفي استطاعة الصبر معه على وجه التاكيد كانها
مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك بانه يتولى امورا هي في ظاهرها مناكير والرجل الصالح فكيف
اذا كان نبيا لا يتمالك ان يشمئز ويمتعض اذا راى ذلك ويأخذ في الانكار وتمييز اي لم
يحط به خبرك او لان لم تحط به بمعنى لم تخبره فنصبه نصب المصدر ولا اعصي في محل النصب
عطف على صابرا اي ستجدني صابرا وغير عاص او لا في محل عطفا على ستجدني رجا موسى
عليه السلام لحرصه على العلم وازدياده ان يستطيع معه صبرا بعد افصاح الخضر عليه السلام عن حقيقة
الامر فوعده الصبر معلقا بمشية الله علما منه بشدة الامر وصعوبته وان الحمية التي
تاخذ المصلح عند مشاهدة الفساد شيء لا يطاق هذا مع علمه ان النبي المعصوم الذي امره الله
تعالى بالمسافرة اليه واتباعه واقتباسه العلم منه بريء من ان يباشر ما فيه غميزة في الدين
وانه لا بد لما يستسمج ظاهره من باطن حسن جميل فكيف اذا لم يعلم قرئ قال فان اتبعتني بالنون
الثقيلة يعني فمن شرط اتباعك لي انك اذا رايت مني شيئا وقد علمت انه صحيح الا انه خفي عليك
وجه صحته فحميت وانكرت في نفسك ان لا تفاتحني في السؤال ولا تراجعني فيه حتى اكون
انا الفاتح عليك وهذا من ادب المتعلم مع العالم والمتبوع مع التابع فانطلقا حتى على ساحل
البحر يطلبان السفينة فلما ركبا قال اهلها هما من اللصوص وامروهما بالخروج فقال
السفينة ارى وجوه الانبياء وقيل عرفوا الخضر فحملوهما بغير نول فلما لججوا اخذ الخضر
الفاس فخرق السفينة بان قلع لوحين من الواحها مما يلي الماء فجعل موسى يسد الخرق بثيابه
ويقول اخرقتها اخرقتها لتغرق وقرئ لتغرق اهلها بالتشديد وليغرق من غرق واهلها
مرفوع لقد جئت شيئا اتيت شيئا عظيما من امر الامر اذا عظم قال داهية دهياء
ادا امرا قال الم اقل انك الذي نسيته او بشيء نسيته او بنسياني اراد انه نسي وصيته ولا مؤاخذة
على الناسي او اخرج الكلام في معرض النهي عن المؤاخذة بالنسيان يوهمه انه قد نسي ليبسط عذره
في الانكار وهو من معاريض الكلام التي يتقى بها الكذب مع التوصل الى الغرض كقول ابراهيم
عليه السلام هذه اختي واني سقيم او اراد بالنسيان الترك اي لا تؤاخذني بما تركت من
وصيتك

اول مرة يقال رهقه اذا غشيه وارهقه اياه اي ولا تغشني عسرا من امري وهو اتباعه اياه
يعني ولا تعسر علي متابعتك ويسرها علي بالاغضاء وترك المناقشة وقرئ عسرا بضمتين
فقتله قيل كان قتله فتل عنقه وقيل ضرب براسه الحائط وعن سعيد بن جبير اضجعه ثم ذبحه
بالسكين فان قلت لم قيل حتى اذا ركبا في السفينة خرقها بغير فاء وحتى اذا لقيا غلاما فقتله
بالفاء قلت جعل خرقها جزاء للشرط وجعل قتله من جملة الشرط معطوفا عليه والجزاء
قال اقتلت فان قلت فلم خالف بينهما قلت لان خرق السفينة لم يتعقب الركوب وقد
تعقب القتل لقاء الغلام وقرئ زاكية وزكية وهي الطاهرة من الذنوب لانها طاهرة عنده
لانه لم يرها قد اذنبت واما لانها صغيرة لم تبلغ الحنث بغير نفس يعني لم تقتل نفسا فيقتص
منها وعن ابن عباس ان نجدة الحروري كتب اليه كيف جاز قتله وقد نهى رسول الله عن قتل الولدان
فكتب اليه ان علمت من حال الولدان ما علمه عالم خضر موسى فلك ان تقتل لقد جئت وقرئ بضمتين
وهو المنكر وقيل النكر اقل من الامر لان قتل نفس واحدة اهون من اغراق السفينة وقيل
معناه جئت شيئا انكر من الاول لان ذلك خرقا يمكن تداركه بالسد وهذا لا سبيل الى تداركه
قلت ما معنى زيادة لك قلت زيادة المكافحة بالعتاب على رفض الوصية والوسم بقلة الصبر
عند الكرة الثانية قال ان بعد هذه الكرة او المسئلة فلا تصاحبني فلا تقارني وان طلبت صحبتك
فلا تتابعني على ذلك وقرئ فلا تصحبني فلا تكن صاحبي وقرئ فلا تصحبني اي فلا تصحبني اياك
ولا تجعلني صاحبك قد بلغت من لدني قد اعذرت وقرئ من لدني بتخفيف النون وقرئ لدني
بسكون الدال وكسر النون كقولهم في عضد عضد وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله
اخي موسى استحيى فقال ذلك وقال رحمة الله علينا وعلى اخي موسى لو لبث مع صاحبه لابصر اعجب
الاعاجيب اهل قرية انطاكية وقيل الابلة وهي ابعد ارض الله من السماء استطعما اهلها
وقرئ يضيفوهما يقال ضافه اذا كان له ضيفا وحقيقته مال اليه من ضاف السهم عن الغرض
ونظيره زاره من الازوراد اضافه وضيفه انزله وجعله ضيفه وعن النبي صلى الله عليه وسلم
كانوا اهل قرية لئاما ويقال شر القرى التي لا يضاف الضيف فيها ولا يعرف لابن السبيل
حقه فوجدا فيها جرا استعيرت الارادة للمداناة والمشارفة كما استعير الهم والعزم لذلك
قال الراعي في مهمه قلقت به هاماتها قلق الفؤوس اذا اردن نصولا وقال آخر
يريد الرمح صدر ابي براء ويعدل عن دماء بني عقيل وقال حسان ان دهرا يلف شملي

كان عشرة من الغلمان وفيهم الغلام احسنهم واجملهم يسمى حيسور وقيل خشبوذ

نجدة كان خارجيا وحرورا اسم موضع

شيئا نكرا

سالتك عن شيء بعدها

عذرا

قال عارض ان محنة فراق موسى عم كان من سبب ترك الاستثناء في قوله ولا اعصي لك امرا ولم يقل في آخره ان شاء الله

فابوا ان يضيفوهما

شر القرى

يريد ان ينقض

بجمل

بجمل لزمان يهم بالاحسان وسمعت من يقول عزم السراج ان يطفأ واذا كان النطق
والقول والشكاية والصدق والكذب والسكوت والتمرد والعزة والطواعية وغير ذلك
مستعارة للجماد وما لا يعقل فما بال الارادة قال اذ قالت الانساع للبطن الحق يقول
سني للنواة ظني اي صوتي لا ينطق اللهو حتى ينطق العود وشكا الي بعبرة وتحمحم ان يك ظني صادقا
وهو صادقي تمرد مارد وعز الابلق ولبعضهم يابى على اجفانه اغفاءة هم اذا انقاد
الهموم تمردا وللآخر ابت الروادف والثدي لقمصها مس البطون وان تمس هودا
وقال عز وعلا قالتا اتينا طائعين ولما سكت عن موسى الغضب ولقد بلغني ان
بعض المحرفين لكلام الله ممن لا يعلم كان يجعل الضمير للخضر لان ما كان فيه من آفة الجهل وسقم النهم
اراه اعلى الكلام طبقة ادناه منزلة فتمحل ليرده الى ما هو عنده اصح وافصح وعنده ان ما كان ابعد
من المجاز كان ادخل في الاعجاز وانقض اذا اسرع سقوطه من انقضاض الطائر وهو انفعل
مطاوع قضضته وقيل افعل من النقض كاحمر من الحمرة وقرئ ان ينقض من النقض
وان ينقاض من انقاضت السن اذا انشقت حلولا قال ذو الرمة شعر
منقاض ومنكثب بالصاد غير معجمة فاقامه قيل اقامه بيده وقيل مسحه بيده فقام
واستوى وقيل اقامه بعمود عمده به اقامه وقيل نقضه ونباه وقيل كان طول الجدار
في السماء مائة ذراع كانت الحال حال اضطرار وافتقار الى المطعم وقد لزتهما الحاجة
الى آخر كسب المرء وهو المسألة فلم يجدا مواسيا فلما اقام الجدار لم يتمالك موسى لما
راى من الحرمان ومساس الحاجة ان قال لو اتخذت عليه اجرا وكلبت على عملك
جعلا حتى نستعيش به ونستدفع به الضرورة وقرئ لاتخذت والتاء في تخذ اصل كما في
تبع واتخذ افتعل منه كاتبع من تبع وليس من الاخذ في شيء فان قلت هذا اشارة
الى ماذا قلت قد تصور فراق بينهما عند حلول ميعاده على ما قال موسى عليه السلام
ان سالتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني فاشار اليه وجعله مبتدأ واخبر عنه كما تقول
هذا اخوك فلا يكون هذا اشارة الى غير الاخ ويجوز ان يكون اشارة الى السؤال الثالث
اي هذا الاعتراض سبب الفراق والاصل هذا فراق بيني وبينك وقد قرأ به ابن ابي
عبلة فاضيف المصدر الى الظرف كما يضاف الى المفعول به لمساكين قيل كانت لعشرة
اخوة خمسة منهم زمنى وخمسة يعملون في البحر وراءهم امامهم كقوله ومن ورائهم برزخ

تنتعش

وقبل خلقهم وكان طريقهم في رجوعهم عليه وما كان عندهم خبره فاعلم الله الخضر وهو جليسه الملك
فان قلت قوله فاردت ان اعيبها مسبب عن خوف الغصب عليها فكان حقه
ان يتاخر عن السبب فلم قدم عليه قلت النية به التاخير وانما قدم للعناية
ولان خوف الغصب ليس هو السبب وحده ولكن مع كونها لمساكين فكان بمنزلة
قولك زيد ظني مقيم وقيل في قراءة اني وعند الله كل سفينة صالحة قراء الجحدري
فكان ابواه مؤمنان على ان كان فيه ضمير الشان فخشينا ان يرهقهما طغيانا
وكفرا فخفنا ان يغشى الوالدين المؤمنين طغيانا عليهما وكفرا لنعمتهما بعقوقه
وسوء صنيعه ويلحق بهما شرا وبلاء او يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيحتم في بيت
واحد مؤمنان وطاغ كافر او يعديهما بداية ويضلهما بضلاله فيرتد بسببه ويطغيا
ويكفرا بعد الايمان وانما خشي الخضر لصغر سنه ذلك لان الله تعالى اعلمه بحاله واطلعه على بدته
امره وامره اياه بقتله كاخباره لملك السفينة عن عرفها في حياته وفي قراءة اني تخاف ربك والمعنى فكره ربك
كراهة من خاف سوء عاقبة الامر فعبر وبحوز ان يكون قوله فخشينا حكاية لقول الله عز وجل
بمعنى فكرهنا كقوله لا هب كلب وفري ليبدلهما ربهما بالتشديد والذكوة الطهارة والنقاء
من الذنوب والرحم الرحمة والعطف فيروي انه ولدت لهما جارية تزوجها نبي فولدت نبيا
هدى الله تعالى على يديه امة من الامم وقيل ولدت سبعين نبيا وقيل ابدلهما ابنا
مؤمنا مثلهما قيل اسماء الغلامين اصرم وصريم والغلام المقتول اسمه الحسين
واختلف في الكنز فقيل مال مدفون من ذهب وفضة وقيل لوح مكتوب عجبت لمن يؤمن
بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن
بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف
الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل
صحف فيها علم والظاهر للاطلاق انه مال وعن قتادة اجل الكنز لمن قبلنا وحرم
علينا وحرمت الغنيمة عليهم واحلت لنا اراد قوله تعالى والذين يكنزون الآية وكان
ابوهما صالحا اعتداد بصلاح ابيهما وحفظ لحقه فيهما وعن جعفر بن محمد الصادق
كان بين الغلامين وبين الاب الذي حفظا فيه سبعة آباء وعن الحسن بن علي رض
انه قال لبعض الخوارج في كلام جرى بينهما ان حفظ الله تعالى الغلامين قال بصلاح ابيهما قال

فابي وجدي خيرا منهما فقال قد انبأك الله انكم قوم خصمون رحمة رحمة مفعول له او
مصدر منصوب باراد ربك لانه في معنى رحمهما وما فعلته وما فعلت ما رايت عن امري
اي عن اجتهادي ورايي وانما فعلته بامر الله عز وعلا ذو القرنين هو الاسكندر الذي ملك الدنيا
قيل ملكها مؤمنان ذو القرنين وسليمان وكافران نمرود وبخت نصر وكان بعد نمرود وذو اختلف
فيه فقيل كان عبدا صالحا ملكه الله الارض واعطاه العلم والحكمة والهيبة وسخر له النور
والظلمة فاذا سري يهديه النور من امامه وتحوطه الظلمة من ورائه وقيل نبيا وقيل ملكا
من الملائكة وعن عمر رض انه سمع رجلا يقول يا ذا القرنين فقال اللهم غفرا اما رضيتم ان تسموا
باسماء الانبياء حتى تسميتم باسماء الملائكة وعن علي رض سخر له السحاب ومدت له الاسباب
وبسط له النور وسئل عنه فقال احب الله واحبه وسأله ابن الكواء ما ذو القرنين املك
ام نبي فقال ليس بملك ولا نبي ولكن كان عبدا صالحا ضرب على قرنه الايمن في طاعة الله
فمات ثم بعثه الله فضرب على قرنه الايسر فمات فبعثه الله تعالى فسمي ذو القرنين وفيكم
مثله كان يدعوكم الى التوحيد فيقتلونه فيحييه الله وعن النبي صلى الله عليه وسلم سمي ذو القرنين
لانه طاف قرني الدنيا يعني جانبيها شرقها وغربها وقيل كان له قرنان اي ضفيرتان وقيل لانقرض
في وقته قرنان من الناس وعن وهب لانه ملك الروم وفارس وروي الروم والترك
وعنه كانت صفحتا رأسه من نحاس وقيل كان لتاجه قرنان وقيل كان على رأسه عمامة لتغطي القرنين
ويجوز ان يلقب بذلك لشجاعته كما سمي الشجاع كبشا كانه ينطح اقرانه وكان من الروم ولد يحوز
ليس لها ولد غيره والمايلون هم اليهود سألوه على جهة الامتحان وقيل سأله ابو جهل وتبعه
والخطاب في علمكم لاحد الفريقين او لكليهما من كل شيء الا ما لا الارض وما تتوصل به
ومقاصده في مملكته سببا طريقا موصلا اليه والسبب ما يتوصل به الى المقصود من علم او قدرة
او آلة فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه حتى بلغ وكذلك اراد المشرق فاتبع سببا
واراد بلوغ السدين فاتبع سببا وقد فاتبع قرى حمير من حيث البئر اذا صارت فيها الحمأة
وحامية بعين حارة وعن ابي ذر كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار فراى الشمس حين
غابت فقال اتدري يا اباذر اين تغرب قلت الله ورسوله اعلم فقال انها تغرب
في عين حامية وهي قراءة ابن مسعود وطلحة وابن عمر وابن عبد والحسن وقرا ابن عباس حمئة وكان
ابن عباس عند معاوية فقرا معوية حامية فقال ابن عباس حمئة فقال معوية لعبد الله بن عمرو كيف

تقرأ قال كما يقرأ امير المؤمنين ثم وجه الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال في ماء وطين
كذلك نجده في التورية وروي في ثاط فوافق قول ابن عباس وكان ثم رجل فانشد قول
تبع فرأى مغيب الشمس عند مآبها في عين ذي خلب وثاط حرمد اي في عين ماء ذي
طين وحماء اسود لا تنافي بين الحمئة والحامية فجائز ان تكون العين جامعة للوصفين
جميعا كانوا كفرة فخيره الله تعالى بين ان يعذبهم بالقتل وان يدعوهم الى الاسلام فاختاروا
الدعوة والاجتهاد في استمالتهم فقال اما من دعوته فابى الا البقاء على الظلم العظيم الذي هو الشرك
فذاك هو المعذب في الدارين واما من آمن وعمل ما يقتضيه الايمان فله الجزاء الحسنى وقيل خيره
بين القتل والاسر وسماه احسانا في مقابلة القتل فله الجزاء الحسنى فله ان يجازي المثوبة
الحسنى او فله جزاء الفعلة الحسنى التي هي كلمة الشهادة وقرئ فله جزاء الحسنى اي فله الفعلة
الحسنى جزاء وعن قتادة كان يطبخ من اكفر في القدور وهو العذاب النكر ومن آمن اعطاه
وكساه وسيأتي مفعول له امر تاسعا ثم اتبع اي لا نأمره بالصعب الشاق ولكن بالسهل المتيسر من الزكوة
والخراج وغير ذلك تقديره ذا يسر كقوله قولا ميسورا وقرئ يسرا بضمتين وقرئ مطلع
بفتح اللام وهو مصدر والمعنى بلغ مكان مطلع الشمس كقوله كأن مجر الرامسات ذيولها
قيل هم الزنج والستر الابنية وعن كعب ارضهم لا تمسك الابنية وبها اسراب فاذا طلعت
الشمس دخلوها فاذا ارتفع النهار خرجوا الى معايشهم وعن بعضهم خرجت حتى جاوزت الصين
فسألت عن هؤلاء فقيل بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فاذا احدهم يفرش اذنه
ويلبس الاخرى ومعي صاحب يعرف لسانهم فقالوا له جئتنا تنظر كيف تطلع الشمس قال فبينا
نحن كذلك اذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشي علي ثم افقت وهم يمسحونني بالدهن فلما طلعت
الشمس على الماء اذا هي فوق الكعبة كهيئة الزيت فادخلونا سربا لهم فلما ارتفع النهار
خرجوا الى البحر فجعلوا يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس فينضج لهم وقيل الستر اللباس
وعن مجاهد من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس اكثر من جميع اهل الارض كذلك
اي امر ذي القرنين كذلك اي كما وصفناه تعظيما لامره وقد احطنا بالرب من الجنود والآلات
واسباب الملك خبرا تكثيرا لذلك وقيل لم نجعل لهم من دونها سترا مثل ذلك الستر الذي
جعلنا لكم من الجبال والحصون والابنية والاكنان من كل جنس والثياب من كل صنف
وقيل بلغ مطلع مثل ذلك اي كما بلغ مغربها وقيل تطلع على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب

عليهم

عليهم يعني انهم كفرة مثلهم وحكمهم مثل حكمهم في تعذيبه لمن بقي منهم على الكفر واحسانه الى من آمن
منهم ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين بين الجبلين وهما جبلان سد ذو القرنين ما بينهما قرئ بالضم
والفتح وقيل ما كان من خلق الله فهو مضموم وما كان من عمل العباد فهو مفتوح لان السد بالضم فعل بمعنى
مفعول اي هو مما فعله الله وخلقه والسد بالفتح مصدر وحدث يحدثه الناس وانتصب بين انه
مفعول به مبلوغ كما انجر على الاضافة في قوله هذا فراق بيني وبينك وكما انتفع في قوله لقد تقطع بينكم
لانه من الظروف التي تستعمل اسماء وظرفا وهذا المكان في منقطع ارض الترك مما يلي المشرق وجد
من دونهما قوما لا يكادون هم الترك لا يكادون يفقهون قولا قالوا يا ذا القرنين لا يكادون يفهمونه
الا بجهد ومشقة من اشارة ونحوها كما يفهم البكم وقرئ يفقهون اي لا يفقهون السامع كلامهم ولا يبينونه
لان لغتهم غريبة مجهولة قالوا يا ذا القرنين ان يأجوج ومأجوج اسمان اعجميان بدليل منع الصرف وقرئا
مهموزين وقرأ رؤبة آجوج ومأجوج وهما من ولد يافث وقيل يأجوج من الترك ومأجوج من الجيل
والديلم مفسدون في الارض قيل كانوا يأكلون الناس وقيل كانوا يخرجون ايام الربيع فلا يتركون
شيئا اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وكانوا يلقون منهم قتلا واذى شديدا عن رسول الله صلعم في
في صفتهم لا يموت احد منهم حتى ينظر الى الف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح وقيل هم على صنفين طوال
مفرطوا الطوال وقصار مفرطوا القصر فهل نجعل لك خرجا على ان تجعل بيننا وبينهم سدا وقرئ
سدا وسدا بالضم والفتح قال ما مكني فيه ربي خير اقرئ خرجا وخراجا اي جعلا نخرجه من اموالنا فننظر مما
النول والنوال مردم فاعينوني ما جعلني فيه مكينا من كثرة المال واليسار خير مما تبذلون لي من الخراج
فلا حاجة بي اليه كما قال سليمان صلوات الله عليه فما آتاني الله خير مما آتيكم وقرئ بالادغام ويفكه
فاعينوني بقوة بقلة وصناع يحسنون البناء فالعمل بالآلات اجعل بينكم وبينهم ردما حاجزا حصينا
موثقا والردم اكبر من السد من قولهم ثوب مردوم وقاع فوق رقاع آتوني زبر الحديد حتى اذا
ساوى قيل حفر للاساس حتى بلغ الماء وجعل الاساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من
زبر الحديد بينهما الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين الى اعلاهما ثم وضع المنافخ حتى اذا صارت
كالنار صب النحاس المذاب والبنيان على الحديد المحمى فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا
وقيل بعد ما بين السدين مائة فرسخ وقرئ سوى وسووى وعن رسول الله صلعم ان رجلا اخبره به
فقال كيف رأيته قال كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء قال قد رأيته والصدفان بفتحتين
جانبا الجبلين لانهما متصادفان اي يتقابلان بالضم والسكون وقرئ الصدوفين بضمتين فالصدفين
حتى اذا ساوى بين الصدفين قال النحو حتى اذا جعله نارا قال آتوني افرغ عليه قطرا فالصدفين بفتحه

وضمة فالقطر النحاس المذاب لانه يقطر وقطرا منصوب بافرغ وتقدير اتوني قطرا افرغ عليه قطرا فحذف
الاول لدلالة الثاني عليه وقرئ قال ايتوني اي جيئوني فما اسطاعوا بحذف التاء للخفة لان التاء قريبة
المخرج من الطاء وقرئ فما اصطاعوا بقلب السين صادا فاما من قرا بادغام التاء في الطاء فملاق بين ساكنين
على غير الحد ان يظهروا وما استطاعوا له نقبا اي يعلوه لا حيلة لهم فيه من صعود لارتفاعه وا
انملاسه ولا يقبل صلابته وثخانته قال هذا رحمة من ربي هذا اشارة الى السد اي هذا السد نعمة من الله
ورحمة على عباده او هذا الاقدار والتمكين من تسويته فاذا جاء وعد ربي جعله دكاء يعني فاذا دنا مجيء
يوم القيمة وتشارف ان ياتي جعل السد دكا اي مدكوكا مبسوطا مستوى بالارض وكل ما انبسط بعد الارتفاع
فقد اندك ومنه الجمل الادك المنبسط السنام وقرئ دكا بالمد اي ارضا مستوية قرا امام المقام بمكة
دكا وتوتها فتكت قرات دكا قنوتها ما بالعقلا بكم ينصرف مرة ما للعقالي طفقت يختلف وكان وعد
ربي حقا اخر حكاية قول ذي القرنين وتركنا وجعلنا بعضهم بعض الخلق يومئذ يوح في بعض اي
يضطربون ويختلطون انسهم وجنهم حيارى ويجوز ان يكون الضمير ليأجوج ومأجوج وانهم يموجون
حين يخرجون مما وراء السد مزدحمين في البلاد وروي يأتون البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابه
ثم يأكلون الشجر ومن ظفروا به ممن لم يتحصن منهم من الناس ولا يعتدون ان يأتوا مكة والمدينة وبيت
المقدس ثم يبعث الله نغفا في اقفائهم فيدخلون اذانهم فيموتون ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا وعرضنا
جهنم يومئذ للكافرين عرضا الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري ويرزناها لهم فراوها و
شاهدوها عن ذكري عن اياتي التي ينظر اليها فاذكر بالتعظيم او عن القران وتامل معانيه و
تبصرها ونحوه صم بكم عمي وكانوا لا يستطيعون سمعا افحسب الذين كفروا ان يتخذوا يعني وكانوا صما عنه
الا انه ابلغ لان الاصم قد يستطيع السمع اذا صيح به وهؤلاء كانهم اصمت اسماعهم فلا استطاعة بهم للسمع
افحسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادي من دوني اولياء هم الملائكة يعني انهم لا يكونون لهم اولياء
كما حكي عنهم سبحانك انت ولينا من دونهم وقرا ابن مسعود افظن الذين كفروا وقراه علي رضي الله
عنه افحسب الذين كفروا اي اوكافيهم ومحسبهم ان يتخذوهم اولياء على الامداد والخبر او على الفعل والفاعل
لان اسم الفاعل اذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل في العمل كقولك اقائم الزيدان والمعنى اذن لك
لا يكفيهم ولا ينفعهم عند الله كما حسبوا وهي قراءة محكمة جيدة انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا النزل
ما يقام للنزيل وهو الضيف ونحوه فبشرهم بعذاب اليم قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم
في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا اولئك الذين كفروا بايات ربهم ولقائه فحبطت
اعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا ضل سعيهم ضاع وبطل وهم الرهبان عن علي رضي الله عنه

كقوله

كقوله عاملة ناصبة وعن مجاهد اهل الكتاب وعن علي رضي الله عنه اذا نزلوا سأله عنهم فقال منهم
اهل حروراء وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه يأتي تاسر باعمال يوم القيمة هي عندهم في العظم كجبال
تهامة فاذا وزنوها لم تزن شيئا فلا يقيم لهم وزنا فتزدري بهم ولا يكون لهم عندنا وزن ومقدار
وقيل لا يقام لهم ميزان لان الميزان انما يوضع لاهل الحسنات السيئات من الموحدين وقرئ فلا يقيم
بالياء فان قلت الذين ضل سعيهم في اي محل هو قلت الاوجه ان يكون في محل الرفع على هم الذين ضل
سعيهم لانه جواب عن السؤال ويجوز ان يكون نصبا على الذم او جرا على البدل ذلك جزاؤهم جهنم بما
كفروا واتخذوا اياتي الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا الحول التحول يقال مال من مكانه
حولا كقولك عادني حبها عودا يعني لا مزيد عليها حتى تنازعهم انفسهم الى اجمع لاغراضهم وامانيهم وهذه
غاية الوصف لان الانسان في الدنيا في اي نعيم كان فهو طامح الطرف الى ارفع منه ويجوز ان يراد نفي
التحول وتاكيد الخلود قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله
مددا قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انا الهكم اله واحد المداد ما تمد به الدواة من الحبر وما يمتد به السراج
من السليط ويقال السماد مداد الارض والمعنى لو كتبت كلمات علم الله وحكمته وكان البحر مدادا لها والمراد
بالبحر الجنس لنفد قبل ان تنفد الكلمات ولو جئنا بمثل البحر مددا لنفد ايضا والكلمات غير نافدة ومدد
التمييز كقولك لي مثله رجلا والمدد مثل المداد وهو ما يمد به وعن ابن عباس بمثله مددا وقرا الاعرج مددا
بكسر الميم جمع مدة وهو ما يستمده الكاتب فيكتب به وقرئ ينفد بالياء وقيل قال حيي بن اخطب في كتابكم
ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ثم تقرؤون وما اتيتم من العلم الا قليلا فنزلت يعني ان ذلك خير
كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله فمن كان يرجو لقاء ربه فمن كل كان يامل حسن لقاء ربه فليعمل عملا
صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا وان يلقاه لقاء رضا وقبول وقد فسرنا اللقاء او فمن كان يخاف
سوء لقاء ربه والمراد بالنهي عن الاشراك بالعبادة ان لا يرائي بعمله وان لا يبتغي بها الا وجه ربه خالصا
لا يخلط به غيره وقيل نزلت في جندب بن زهير قال لرسول الله صلعم اني اعمل العمل لله فاذا اطلع عليه
سرني فقال ان الله لا يقبل ما شورك فيه وروي انه قال له لك اجران اجر السر واجر العلانية وذلك
اذا قصد ان يقتدى به وعنه عليه السلام اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء
عن رسول الله صلعم من قرا سورة الكهف من اخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قراها كلما
كانت له نورا من الارض الى السماء وعنه عليه السلام من قرا عند مضجعه قل انما انا بشر مثلكم كان له في مضجعه
نورا يتلالا الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم وان كان مضجعه بمكة كان له نورا
يتلالا من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ والله اعلم

سورة مريم مكية

وهي سبعون وثمان ايات وقيل مكية الآية بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص بفتح الهاء وكسر الياء
حمزة وبكسرهما عاصم وبضمهما الحسن ذكر رحمة عبد زكرياء وقرا الحسن ذكر رحمة ربك اي هذا المتلو من
القران ذكر رحمة ربك وقرئ ذكر على الامر راعى سنة الله في اخفاء دعوته لا بالجهر والاخفاء عند الله
سيان وكان الاخفاء اولى لانه ابعد من الرياء وادخل في الاخلاص اذ نادى ربه نداء خفيا وعن
الحسن نداء لا رياء فيه او اخفاه ليلا يلام على طلب الولد في ابان الكبرة والشيخوخة او اسده من مواليه
الذين خافهم او خفيت صوته لضعفه وهرمه كما جاء في صفة الشيخ صوته خفات وسمعه تارات و
اختلف في سن زكريا عليه السلام وقيل ستون وخمس وستون وسبعون وخمس وسبعون وخمس وثمانون
قال رب اني وهن العظم مني قرئ وهن بالحركات الثلث وانما ذكر العظم لانه عمود البدن وبه قوامه
وهو اصل نباته فاذا وهن بداعي وتساقطت قوته ولانه اشد ما فيه واصلبه فاذا وهن كان ما وراء
اوهن ووحده لان الواحد هو الدال على معنى الجنسية وقصده الى ان هذا الجنس الذي هو العمود والقوام
واشد ما تركب منه الجسد قد اصابه الوهن ولو جمع لكان قصدا الى معنى اخر وهو انه لم يهن منه بعض عظامه
ولكن كلها واشتعل الراس شيبا اذ عام السين والسين عن ابي عمرو شبه الشيب بشواظ النار في بياضه
وانارته وانتشاره في الشعر وفشوه فيه واخذه منه كل ماخذ باشتعال النار ثم اخرجه مخرج الاستعارة ثم
اسند الاشتعال الى مكان الشعر ومنبته وهو الراس واخرج الشيب مميزا ولم يضف الراس اكتفاء بعلم
المخاطب انه راس زكريا فمن ثم فصحت هذه الجملة وشهد لها بالبلاغة توسل اليه باسلف له معه من
الاستجابة ولم اكن بدعائك رب شقيا وعن بعضهم ان محتاجا ساله وقال انا الذي احسنت الى وقت
كذا فقال مرحبا بمن توسل بنا الينا وقضى حاجته كان مواليه وهم عصبة اخوته وبنو عمه شرار بني اسرائيل
فخافهم على الدين ان يغيروه ويبدلوه وان لا يحسنوا الخلافة على امته فطلب عقبا من صلبه صالحا يعتد به
في احياء الدين ويرشم من اسمه فيه من ورائي بعد موتي وقرا ابن كثير من ورائي بالقصر وهذا الظرف
لا يتعلق بخفت لفساد المعنى ولكن بمحذوف او بمعنى الولاية في الموالي اي خفت فعل الموالي
وهو تبديلهم وسوء خلافتهم من ورائي او خفت الذين يلون الامر من ورائي قرا عثمان
ومحمد بن علي وعلي بن الحسين رضي الله عنهم خفت الموالي من ورائي وهذا على معنيين احدهما ان
ان يكون ورائي يعني خلفي وبعدي فيتعلق الظرف بالموالي اي قلوا وعجزوا عن اقامة امر الدين
فسال ربه تقويتهم ومظاهرتهم بولي يرزقه والثاني ان يكون بمعنى قدامي فيتعلق بخفت
ويريد انهم خفوا قدامه ودرجوا ولم ينو منهم من به معوق اعتضاد وكانت امراتي عاقرا

فهب

فهب لي من لدنك تاكيدا لكونه وليا مرضيا بكونه مضافا الى الله وصادرا من عنده والا فهب
لي وليا يرثني كان او اراد اخترا عامتك بلا سبب لاني وامراتي لا تصلح للولادة يرثني و
يرث من ال يعقوب واجعله رب رضيا الجزم جواب الدعاء والرفع صفة ونحوه ردا
يصدقني وعن ابن عباس والجحدري يرثني وارث ال يعقوب وعن الجحدري او يرث على تصغير
وارث وقال عليهم صغير وعن علي رضي الله عنه وجماعة وارث من ال يعقوب اي يرثني به وارث
وسمي التجريد في علم البيان والمراد بالارث ارث الشرع والعلم لان الانبياء لا تورث المال وقيل
يرثني الحبورة وكان حبرا ويرث من ال يعقوب الملك يقال ورثته وورثت منه لغتان و
وقيل من للتبعيض لا للتعدية لان ال يعقوب لم يكونوا كلهم انبياء ولا علماء وكان زكريا عليه السلام
من نسل سليمان بن داود يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعله من قبل سميا لم يسم
احد بيحيى قبله وهذا شاهد على ان الاسامي الشنع جدير بالاثرة واياها كانت العرب تنتحي
في التسمية لكونها انبه واتوه واثره عن النبز حتى قال القائل في مدح قوم شنع الاسامي مسبلي
ان رحيم تنبس الارض بالهدب وقال روبة للنسابة البحري وقد ساله عن نسبه انا ابن العجاج فقال
قصرت وعرفت وقيل مثلا وشبها عن مجاهد كقوله هل تعلم له سميا وانما قيل للمثل سمي لان كل متشا
كلين يسمى كل واحد منهما باسم المثل والشبيه والشكل والنظير وكل واحد منهما سمي لصاحبه ونحو يحيى في
اسمائهم يعمر ويعيش ان كانت التسمية عربية دون سموا بيموت ايضا وهو لموت بن المزرع قالوا
لم تكن له مثل في انه لم يعص ولم يهم بمعصية قط وانه ولد بين شيخ فان دعجون عاقر وانه كان حصورا
اي كانت على صفة العقر حين انا شاب وكهل فما رزقت الولد لاختلال احد السببين افخيرا
خشل السببان جميعا ان رزقه فان قلت لم طلب اولا وهو وامراته على صفة العتي والعقر فلما
اسقف بطلبه استبعد واستعجب قلت ليجاب بما اجيب به فيزداد المؤمنون ايقانا ويرتدع
المبطلون والا فمعتقد زكريا اولا واخرا كان على منهاج واحد في اذ الله غني عن الاسباب
قد بلغت من الكبر عتيا اي بلغت عتيا وهو يبس والجساوة في المفاصل والعظام كالعود
القاحل يقال عتا العود وعسا من اجل الكبر والطعن في السن العالية اه بلغت من مدارج الكبر
ومراتبه ما سمي عتيا وقرا ابن وثاب وحمزة والكسائي بكسر العين وكذلك صليا وابن مسعود بفتحهما
فيهما وقرا ابي ومجاهد عسيا قال كذلك الكاف رفع اي الامر كذلك تصديق له ثم ابتداء
قال ربك او نصب بقال وذلك اشارة الى مبهم يفسره هو علي هين ونحوه وقضينا
اليه ذلك الامر ان دابر هولاء مقطوع مصبحين وقرا الحسن هو علي هين ولا يخرج هذا

الحبورة
حبر

بيحيى

الا على الوجه الاول اى الامر كما قلت وهو على ذلك يهون على وجه اخر وهو ان يشار بذلك الى
ما يقدم من وعد الله لا الى قول زكريا وقال محذوف فى كلتا القرائتين اى قال هو على هين قال وهو
على هين وان شئت لم تنوه لان الله تع هو المخاطب والمعنى انه قال ذلك وعده وقوله الحق
وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا لان المعدوم ليس بشئ او شيئا يعتد بها كقولهم عجبت من
لا شئ وقوله اذا راى غير شئ ظنه رجلا وقرا الاعمش والكسائى وابن وثاب خلقناك قال رب اجعل
لى اية قال ايتك ان لا تكلم الناس ثلث ليال سويا اى اجعل لى علامة اعلم بها وقوع ما بشرت به قال علا
متك ان لمنع الكلام فلا تطيقه وانت سليم الجوارح سوى الخلق ما بك خرس ولا بكم دل ذكر الليالى
هنا والايام فى ال عمران على ان المنع من الكلام استمر به ثلثة ايام ولياليهن فخرج على قومه من المحراب
فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة واعشيا اوحى اشار عن مجاهد ويشهد الا رمزا وعن ابن عباس كتب لهم
على الارض سبحوا صلوا او على الظاهر وازمى المفسرة يا يحيى خذ الكتاب بقوة فاتيناه الحكم صبيا
اى خذ التورية بجد واستظهار بالتوفيق والتاييد الحكم الحكمة ومنه واحكم كحكم فتاة الحى يقال
حكم حكما كحلم وهو الفهم للتورية والفقه فى الدين عن ابن عباس وقيل دعاه الصبيان الى اللعب
وهو صبى فقال ما اللعب خلقنا عن الضحاك وعن معمر العقل وقيل النبوة لا ان الله احكم عقله فى صباه
واوحى اليه وحنانا من لدنا وزكوة وكان تقيا وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا وسلام حنانا
ما رحمة لابويه وغيرهما وتعطفا وشفقة وانشد سيبويه وقال حنانا ما اتى بك ههنا اذو نسب
ام انت بالحى عارف وقيل حنانا من الله عليه وحن فى معنى ارتاح واشتاق ثم استعمل فى العطف
والرافة وقيل لله حنان كما قيل رحيم على سبيل الاستعارة والزكوة الطهارة وقيل الصدقة اى
تعطف على الناس وتصدق عليهم وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا سلم الله
عليه فى هذه الاحوال قال ابن عيينة انها اوحش المواطن واذكر فى الكتاب مريم اذ انتبذت
من اهلها مكانا شرقيا فاتخذت من دونهم حجابا فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا قالت
انى اعوذ بالرحمن منك ركت تقيا اذ بدل من مريم بدل الاشتمال لان الاحيان مشتملة على ما فيها
وفيه اذ المقصود بذكر مريم ذكر وفيها هذا الوقوع هذه القصة العجيبة فيه والانتباذ الاعتزال
والانفراد تخلت للعبادة فى مكان مما يلى شرقى بيت المقدس او من دارها معتزلة عن الناس و
قيل قعدت فى مشرقة للاغتسال من الحيض محتجبة بحائط او شئ يسترها وكان موضعها ا
المسجد فاذا حاضت تحولت الى بيت خالتها فاذا طهرت عادت الى المسجد فبينا هى فى
مصلاها اتاها الملك فى صورة ادمى شابا مرد وضئ الوجه جعد الشعر سوى الخلق لم ينفض

من

من صورة الادمية شيئا او حسن الصورة مستوى الخلق وانما مثل لها فى صورة الانسان
لتستانس بكلامه ولا تنفر عنه ولو بدا لها فى الصورة الملكية لنفرت ولم تقدر على استماع
كلامه ودل على عفافها وقدعها انها تعوذت بالله من تلك الصورة الجميلة الفائقة الحسن
وكان يمثله على تلك الصفة ابتلالها وسبر العفتها وقيل كانت فى منزل زوج اختها زكريا
ولها محراب على حدة تسكنه وكان زكريا اذا خرج اغلق عليها الباب فمنعت اذ تجد خلوة
فى الجبل التقى راسها فانفجر السقف لها فخرجت فجلست فى المشرقة والجبل فاتاها الملك
وقيل قام بين يديها فى صورة ترب لها اسمه يوسف من خدم بيت المقدس وقيل ان النصارى
اتخذت المشرق قبلة لانتباذ مريم مكانا شرقيا الروح جبريل لان الدين يحيى به ويوحيه
او سماه الله روحه على المجاز محبة له وتقريبا كما يقول لحبيبك انت روحى وقرا ابو حيوة رو
حنا بالفتح لانه سبب لما فيه روح العباد فاضافة الروح عند الله الذى هو عدة المقربين
فى قوله فاما ان كان من المقربين فروح وريحان او لانه من المقربين وهم الموعودون بالروح
اى مقربنا وذا روحنا ارادت ان كان يرجى منك ان تتقى الله وتخشى وتحفل بالاستعاذة به
افانى عائذة به منك كقوله بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين قال انما انا رسول ربك لاهب
لك غلاما زكيا انى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم اك بغيا اى انما انا رسول رب العالمين
لانه لاهب لك لاكون سببا فى هيبة الغلام بالنفخ فى الدرع وفى بعض المصاحف انما انا رسول
ربك امرنى ان اهب لك او هى حكاية لقوله عز وجل جعل المس عبارة عن النكاح الحلال لانه
كناية عنه كقوله من قبل ان تمسوهن او لامستم النساء والزنا ليس كذلك انما يقال فيه فجر بها و
وخبث بها وما اشبه ذلك وليس بقمن ان تراعى فيه الكنايات والاداب والبغى الفاجرة
التى تبغى الرجال وهى فعول عند المبرد بقوى ما ادغمت الواو فى الياء وقال ابن جنى فى كتاب
التمام هى فعيل ولو كانت فعولا لقيل بغو كما قيل فلان نهو عنه المنكر قال كذلك قال ربك
هو على هين ولنجعله اية للناس ورحمة منا وكان ولنجعله تعليل معللة محذوف اى و
ولنجعله اية للناس فعلنا ذلك وهو معطوف على تعليل مضمر اى لنبين به قدرتنا
ولنجعله اية ونحوه وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وقوله وكذلك
مكنا ليوسف فى الارض ولنعلمه وكان امرا مقضيا مقدرا مسطورا فى اللوح لا بد لك من جريه
عليك او كان امرا حقيقا بان يكون ويقضى لكونه اية ورحمة فالمراد بالاية العبرة والبرهان
على قدرة الله تع وبالرحمة الشرائع والالطاف وما كان مسببا فى قوة الاعتقاد والتوصل الى

الطاعة والعمل الصالح فهو جدير بالتكوين فحملته فانتبذت به مكانا قصيا عن ابن عباس فاطمأنت
الى قوله فدنا منها فنفخ في جيب درعها فوصلت النفخة الى بطنها فحملت وقيل كانت مدة الحمل
ستة اشهر وعن اعطاء وابي العالية والضحاك سبعة اشهر وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع
لثمانية الا عيسى وقيل ثلث ساعات وقيل حملته في ساعة وصور في ساعة ووضعته في ساعة
حين زالت الشمس من يومها وعن ابن عباس كانت مدة الحمل ساعة واحدة كما حملته بنذته
وقيل حملته وهي بنت ثلث عشرة سنة وقيل بنت عشر وقد كانت حاضت حيضتين قبل ان
تحمل وقالوا ما من مولود الا يستهل غيره فانتبذت به اي اعتزلت وهو في بطنها كقوله
تدوس بنا الجماجم والتريبا اي تدوس الجماجم ونحن على ظهورها ونحو قوله تع تنبت
بالدهن اي تنبت ودهنها فيها الجار والمجرور في موضع الحال قصيا بعيدا من اهلها وراء الجبل
وقيل اقصى الدار وقيل كانت سميت لابن عم لها اسمه يوسف فلما قيل حملت من الزنا خاف عليها
قتل الملك فهرب بها فلما كانت ببعض الطريق حدثته نفسه بان يقتلها فاتاه جبريل فقال
انه من روح القدس فلا تقتلها فتركها فاجاها فاجا منقول من جا الا ان استعماله قد تغير
بعد النقل الى معنى الالجا الا تراك لا تقول جئت المكان واجانيه زيد كما تقول بلغته و
ابلغنيه ونظيره اتى حيث لم يستعمل الا في الاعطا ولم يقل اتيت المكان واتانيه المخاض الى جذع
النخلة قرا ابن كثير في رواية المخاض بكسر الميم يقال مخضت الحامل مخاضا ومخاضا وهو تمخض
الولد في بطنها طلبت الجذع لتستر به وتعتمد عليه عند الولادة وكان جذع نخلة يابسة
في الصحرا ليس لها راس ولا ثمرة ولا خضرة وكان الوقت شتاء والتعريف لا يخلو اما ان يكون
من تعريف الاسماء الغالبة كتعريف النجم وابن فلانة وابن الصعق كان تلك الصحرا كان فيها
جذع نخلة متعالم عند الناس فاذا قيل جذع النخلة فهم منه ذلك دون غيره من جذوع
النخل واما ان يكون تعريف الجنس اي جذع هذه الشجرة خاصة كان الله تع انما ارسلها الى النخلة
لتطعمها منها الرطب الذي هو خرسة النفسا الموافقة لها ولان النخلة اقل شي صبرا على البرد
وثمارها انما هو من ثمارها فلموافقتها لها مع جميع الايات فيها اختارها لها والجاها اليها
قالت يا ليتني مت قبل هذا قرئ مت بالضم والكسر يقال مات يموت ومات يمات وكنت نسيا
منسيا النسي ما من حقه ان يطرح وينسى كخرقة الطامث ونحوها كالذبح تسليم ما من شانه
ان يذبح في قوله تع وفديناه بذبح عظيم وعن يونس حيض العرب اذا ارتحلوا عن الدار قال انظروا
انساكم اي الشي اليسير نحو العصا والقدح والشظاظ تمنت لو كانت شيئا تافها لا يؤبه له من شانه

وحقه

وحقه ان ينسى في العادة وقد نسي واطرح فوجد فيه النسيان الذي هو حقه وذلك لما لحقها من
فرط الحياء والشور من الناس على حكم العادة الشرية لا كراهة لحكم الله تع او لشدة التكليف
عليها اذ بهتوها وهي عارفة ببراءة الساحة ويفيد ما فرقت به من اختصاص الله اياها بغاية
الاجلال والاكرام لانه مقام دحض قلما تثبت عليه الاقدام ان تعرف اغتباطك بامر عظيم وفضل باهر
تستحق به المدح وتستوجب التعظيم ثم تراه عند الناس لجهلهم به عيبا تعاب به وتعنف بسببه او
لخوفها على الناس ان يعصوا الله بسببها وقرا ابن وثاب والاعمش وحمزة نسيا بالفتح قال الفرا هما لغتان
كالوتر والوتر والجسر والجسر ويجوز ان يكون مسمى بالمصدر كالحمل وقرا محمد بن كعب القرظي
نسا بالهمزة والحليب المخلوط بالماء ينساه اهله لقلته ونزارته وقراءة الاعمش منسيا بالكسر على
الاتباع كالمغيرة والمنخر فناديها من تحتها الا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا من تحتها هو
جبريل قيل كان يقبل الولد كالقابلة وقيل هو عيسى وهي قراءة عاصم وابي عمرو وقيل تحتها اسفل من مكانها
كقوله تجري من تحتها الانهار وقيل كان اسفل منها تحت الاكمة فصاح بها لا تحزني وقرا نافع و
حمزة والكسائي وحفص من تحتها وفي ناداها ضمير الملك او عيسى وعن قتادة الضمير في تحتها للنخلة وقراءة
زر وعلقمة فخاطبها من تحتها سئل النبي صلعم عن السري فقال هو الجدول قال لبيد نتوسطا عرض السري
فصدعا مسجورة متجاورا قلامها وقيل هو من السرو والمراد عيسى وعن الحسن كان والله عبدا سريا فان
قلت ما كان حزنها لفقد الطعام والشراب حتى تسلى بالسري والرطب قلت لم تقع التسلية بهما من حيث
انهما طعام وشراب ولكن من حيث انهما معجزتان تريان الناس انها من اهل العصمة والبعد من الريبة
وان مثلها مما قرفوها به بمعزل وان لها امورا الهية خارجة من العادات خارقة لما الفوا واعتادوا حتى
يتبين لهم ان ولادها من غير فحل ليس ببدع من شانها وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك
رطبا جنيا تساقط فيه تسع قراءات تساقط بادغام التاء وتتساقط باظهار التائين وتساقط بطرح
الثانية ويساقط بالياء وادغام التاء وتساقط وتسقط وتسقط ويسقط ويسقط التاء للنخلة والياء
للجذع ورطبا تمييز او مفعول على حسب القراءة وعن المبرد جواز انتصابه بهزي وليس بذلك والباء في
بجذع النخلة صلة للتاكيد كقوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة او على معنى افعلي الهزية كقوله يجرح في
عراقيبها نصلي قالوا التمر للنفسا عادة من ذلك الوقت وكذلك التحنيك وقالوا كان من العجوة و
قيل ما للنفساء خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل وقيل اذا عسر ولادها لم يكن خير من الرطب عن
عن طلحة بن سليمان جنيا بكسر الجيم الاتباع اي جمعنا لك في السري والرطب فائدتين احديهما
الاكل والشرب والثانية سلوة الصدر لكونهما معجزتين وهو معنى قوله وكلي واشربي وكلي واشربي

وفرى عيا اى وطيبى نفسا ولا تغتمى وارخصى عنك ما اخزنك واهمك وقرئ بالكسر لغة تحدد
فاما ترين من البشر احدا فقولى انى نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم انسيا فاتت به قومها
حملة قالوا يا مريم لقد جئت شيا فريا اخت هرون نزلت بالهمزة ابن الرومى عن ابى عمرو
وهذا من لغة من يقول لبأت بالحج وحلأت السويق وذلك لتفاوت بين الطبقة وحروف اللين فى
الابدال صوما صمتا وفى مصحف عبد الله صمتا وعن انس بن مالك مثله وقيل صياما الا انهم كانوا لا يتكلمون
فى صيامهم وقد نهى رسول الله صلعم عن صوم الصمت لانه نسخ فى ملتنا امرها الله بان تنذر الصوم ثلاثة ايام
مع البشر المنتهين لها فى كلام المعنيين احد لما ان عيسى صلوات الله عليه يكفيها الكلام بما يبرئ به
ساحتها والثانى كراهة مجادلة النفساء ومناقلتهم وفيه دخيه ان السكوت عن السفيه واجب
ومن اذل الناس سفيها لم يجد مساغا فيقبل اخبرتهم بانها نذرت الصوم بالاشارة وقيل سوغ لها ذلك
بالنطق انسيا اى اكلم الملائكة دون الانس تفرى البديع وهو من فرى الجلد هرون كان فاجرا من
ابيها من اشل بنى اسرائيل وقيل هو اخو موسى صلوات الله عليهما وعن النبى صلعم انا عنوا هرون
النبى وكانت من اعقابه فى طبقة الاخوة وبينهما وبينه الف سنة واكثر منهم وقيل رجل صالح او طالح
فى ذوى مانها شبهوها به اى كنت عندنا مثله فى الصلاح او شمتوها به ولم ترد اخوة الف ولد
ان هرون الصالح شيخ جبارته اربعون الفا كلهم يبكى هرون شركايه وبكيهم فقالوا كنا نشبهك
بهرون هذا فكان يوما مر سوء وكانت الك بقيا فاشارت اليه قالوا كيف يكلم من كان
فى المهد صبيا وقرا عمرو بن التمى فكان ايا كام مرتو وقيل اصمل يوسف النجار مريم وابنها الى
غار فلبثوا فيه اربعين يوما حتى فنيت من معاشها ثم جاءت تحمله فكلمها عيسى فى الطريق فقال
يا اماه ابشرى فانى عبد الله وسبحه فلما ولدت به على قومها ومعها اهل بيت صالحون تبكوا وقالوا
ذلك وقيل سموا بن جمها حتى تكلم عيسى فسترکوها فاشارت اليه اى هو الذى يجيبكم اذا فاطفقوا
وقيل كان المنتطق بعيسى زكريا صلوات الله عليه وعن السدى لما اشارت اليه غضبوا وقالوا
السخر بها بنا اشد عليها من زناها وروى انه كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاع واقبل
عليهم بوجهه والكا على يساره واشار بسبابته وكلمهم بذلك ثم لم يكلم حتى بلغ مبلغا يتكلم فيه
الصبيان فكان لا يقاع معنون الجملة فى زمان ما فى مبهم يصلح لتقريبه ويفيده وهو هنا
لقرينة خاصة والدال عليه معنى الكلام وانه مسوق للتعجب ووجه آخر وهو ان يكون بكلم
حكاية حال ماضية اى كيف نعهد قبل عيسى ان يكلم الناس حيثا فى المهد فيما سلف من الدهان
حتى يكلم هذا قال انى عبد الله اياتى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا اينما كنت واوصانى

بالصلوة والزكوة ما دمت حيا اطلقه الله او لا بانه عبد الله رد القول النصارى والكتاب هو
الانجيل واختلفوا فى نبوته فقيل اعطيها فى طفولية اكمل الله عقله واستنبأه طفلا نظرا الى ظاهر
الآية وقيل معناه ان ذلك سبق فى قضائه او جعل الآتى لا محالة كانه قد وجد مباركا اينما كنت
عن رسول الله صلعم تفاءحيث كنت وقيل معلما للخير وترا بو الدينى ولم يجعلنى جبارا شقيا وبرا
وبرا عن ابى نهيك جعل ذاته برا للفرط بره او نصبه بفعل فى معنى اوصانى وهو كلفنى لان اوصانى
بالصلوة وكلفنيها واحد والسلام على يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا والسلم على قيل
ادخل لام التعريف لتعرفه بالذكر قبله كقولك جاءنى رجل فاكرمت الرجل كذا فالمعنى وذلك
السلام الموجه الحى وفى المواطن اللتنه موجه الى والصحيح ان يكون بهذا التعريف تعريضا باللعنة
على متهمى مريم عليها السلم واعدائها من اليهود وتحقيقه ان اللام للجنس فاذا قال وجنس السلم
على خاصة فقد عرض بان ضده عليكم وبنظيره قوله تع والسلام على من اتبع الهدى فعنى ان الغداء
على من كذب وتولى وكان المقام مقام مناكرة وعناد فهو مبنى لنحو هذا من التعريض ذلك عيسى
ابن مريم قول الحق الذى فيه يمترون قراعاصم وابن عامر قول الحق بالنصب وعن ابن مسعود وقال
الحق وقال الله وعن الحسن قول الحق بفتح القاف وكذلك فى الانعام قوله الحق والقول والقال فى معنى
واحد كالرهب والرهب والرغب والرغبة وارتفاعه على انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة ان اريد قول الكتاب
والصدق كقولك هو عبد الله الحق لا الباطل وانما قيل لعيسى كلمة الله وقول الحق لانه لم يولد الا بكلمة
الله وحدها وفى قوله كن من غير واسطة اب تسمية للمتبب بالسبب كما تسمى العشب بالتحاء والشجر
بالندى ويحمل اذا اريد بقول الحق عيسى ان يكون الحق اسم الله عز وجل وان يكون بمعنى الثابت
والصدق ويعضده قوله الذى فيه يمترون اى امره حق ثابت ومما فيه شاكون يمترون يشكون
والمرية الشك او يتمارون يتلاحون قالت اليهود ساحر كذاب وقالت النصارى ابن الله وثالث
ثلاثة وقرا على بن ابى طالب رضى الله عنه عمترون على الخطاب وعن ابى بن كعب قول الحق الذى كان
الناس فيه يمترون ما كان الله ان يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون وان
الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم كذب النصارى وبكتهم بالدلالة على انتفاء الولد
عنه وانه مما لا يتأتى ولا يتصور فى المعقول وليس بمقدور عليه اذ من المحال غير المستقيم
ان يكون ذاته كذات من ينشأ منه الولد ثم بين احالة ذلك بان من اذا اراد شيا من الاجناس
كلها او جده بكن كان متعاليا من شبه الحيوان الوالد القول ههنا مجاز ومعناه ان ارادته
للشى تتبعها كونه لا محالة من غير توقف شبه ذلك بامر الآمر المطاع اذا ورد على المامور

الممثل قرأ المدنيون وابو عمرو بفتح ان ومعناه ولانه ربي وربكم فاعبدوه كقوله وان المساجد لله
فلا تدعوا مع الله احدا والاسناد وابو عبيد بالكسر على الابتدا وفي حرف ابي ان الله بالكسر بغير واو
وبان الله اي بسبب ذلك فاعبدوه فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من مشهد يوم
الاحزاب اليهود والنصارى عن الكلبي وقيل النصارى لتحزبهم ثلث فرق نسطورية ويعقوبية
وملكانية وعن الحسن الذين تحزبوا على الانبياء لما قص عليهم قصة عيسى اختلفوا فيه من بين الناس
من مشهد يوم عظيم اي من شهودهم هول الحساب والجزاء في يوم القيمة او من مكان الشهود فيه
وهو الموقف او من وقت الشهود او من شهادة ذلك اليوم العظيم عليهم وان يشهد عليهم الملائكة
والانبياء والسنتهم وايديهم وارجلهم بالكفر وسوء الاعمال او من مكان الشهادة او وقتها وقيل
هو ما قالوا وشهدوا به في عيسى وامه اسمع بهم وابصر يوم ياتوننا لا يوصف الله تع بالتعجب انما المراد
ان استماعهم وابصارهم يومئذ جدير بان يتعجب منهما بعد ما كانوا صما عميا في الدنيا وقيل معناه
اشهد وبما يسمعون ويبصرون بما عتوهم ويصدع قلوبهم لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين
اوقع الظاهر اعني الظالمين موقع الضمير اشعارا بان لا ظلم اشد من ظلمهم حيث اغفلوا الاستماع والنظر
حين يجدي عليهم ويسعدهم والمراد من الضلال المبين اغفال النظر والاستماع وانذرهم يوم الحسرة
اذ قضي الامر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون انا نحن نرث الارض ومن عليها والينا يرجعون قضي
قضي الامر فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة والنار وعن النبي صلعم انه سئل عنه فقال
حين تذبح الكبش والفريقان ينظرون واذ بدل من يوم الحسرة او منصوب بالحسرة وهم في غفلة
متعلق بقوله في ضلال مبين عن الحسن وانذرهم اعتراض او هو متعلق بانذرهم اي وانذرهم على
على هذه الحال غافلين غير مؤمنين يحتمل انه بينهم ويخرب ديارهم وانه يفني اجسادهم ويفني الارض
ويذهب بها واذكر في الكتاب ابرهيم انه كان صديقا نبيا الصديق من اسنة المبالغة وتعظيم الضحك
والتطيب والمراد فرط صدقه وكثرة ما صدق به من غيوب الله واياته وكتبه ورسله وكان
الرجحان والغلبة في هذا التصديق للكتب والرسل اي كان مصدقا جميع الانبياء وكتبهم
وكان نبيا في نفسه كقوله بل جاء بالحق وصدق المرسلين او كان بليغا في الصدق لان ملاك
امر النبوة الصدق مصدق الله باياته ومعجزاته ان يكون كذلك وهذه الجملة وقعت اعتراضا
بين المبدل منه وبدله اعني ابرهيم اذ قال لابيه يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني
عنك شيئا واذ قال بحر قولك رايت زيدا ونعم الرجل اخاك ويجوز ان يتعلق اذ بكان
وبصديقا نبيا اي كان جامعا لخصائص الصديقين والانبياء حين خاطب اباه تلك

المخاطبات

المخاطبات والمراد بذكر الرسول اياه وقصته في الكتاب ان يتلو ذلك على الناس ويبلغه اياهم لقوله
واتل عليهم نبأ ابرهيم والا فالله عز وعلا هو ذاكره ومورده في تنزيله يا ابت اني من العلم
ما لم ياتك فاتبعني اهدك صراطا سويا الثاني يا ابت عوض من ياء الاضافة ولا يقال
يا ابتي لئلا يجمع بين العوض والمعوض منه ولا يا ابتا لكون الالف بدلا من الياء وشبه ذلك
سنويه بابنو وتعويض الياء فيه بدلا عن الواو الساقطة انظر حيث اراد ان ينصح اباه و
ويعظه فيما كان متون طاقيه من الخطأ العظيم والارتكاب الشنيع الذي عصى امر العقل وا
انسلخ عن قضية التمييز ومن الغباوة التي ليس بعدها كيف رتب الكلام معه في احسن اشاق وساقه
ارشق مساوه مع استعمال المجاملة واللطف والرفق واللين والادب الجميل والخلق الحسن متصحا
في ذلك بنصيحة ربه جل وعلا حدث ابو هريرة قال قال رسول الله صلعم اوحى الله الى ابرهيم عليكم انك
خليلي حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مداخل الابرار فان كلمتي سبقت لمن حسن خلقه اظله تحت
عرشي واسكنه حظيرة القدس وادنيه من جواري وذلك انه طلب منه اول العلة في خطابه
منبها على تماديه موقظا لافراطه وشاهيه لان المعبود لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا
على الثواب والعقاب نافعا ضارا الا انه بعد الخلق لاستخف عقل من اهله للعبادة و
صفه بالربوبية وتسجل عليه بالغي المبين والظلم العظيم وان كان اشرف الخلق واعلاهم
منزلة كالملائكة والنبيين قال الله تع ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ايامركم بالكفر
بعد اذ انتم مسلمون وذلك ان العبادة هي غاية التعظيم فلا تحقق الا لمن له غاية التعظيم الانعام
وهو الخالق الرازق المحيي المميت المثيب المعاقب الذي منه اصول النعم وفرق عنها فاذا و
وجهت الى غيره ونع علوا كبيرا ان يكون هذه الصفة لغيره لم يكن الا ظلما وعتوا وغيا و
كفرا وجحودا او خروجا عن الصحيح النير الى الفاسد المظلم فما ظنك بمن وجه عبادته الى جماد
ليس به حس وشعور ولا يسمع يا عابده ذكرك له وثناؤك عليه ولا يرى هيئات خضوعك
وخشوعك له فضلا ان يغني عنك بان تستدفعه بلا فيه فعه او تستنجح لك حاجة فيكفيها ثم ثنى
بدعوته الى الحق مترفقا به متلطفا فلم يسم اباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق ولكنه قال
ان معي طائفة من العلم وشيئا منه ليس معك وذلك علم الدلالة على الطريق السوي فلا تستنكف
وهب اني واياك في مسير وعندي معرفة بالهداية دونك فاتبعني انجك من ان تضل
وميته يا ابت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا ثم ثلث بتثبيطه وتنهيه عما
كان عليه بان الشيطان الذي استعصى على ربك الرحمن الذي جميع ما عندك من النعم

من عنده وهو عدوك الذي لا يريد بك الا كل هلاك وخزي ونكال وعدو ابيك آدم وابناء جنسك كلهم
هو الذي ورطك في هذه الضلالة وامرك بها وزينها لك فانك ان حققت النظر عابد الشيطان الا ان
ابرهيم عليه السلام لامعانه في الاخلاص والارتقاء همته في الزبانية لم يذكر من جنايتي الشيطان الا التي تختص
منها برب العزة من عصيانه واستكباره ولم يلتفت الى ذكر معاداته لادم وذريته كان النظر في عظم ما ارتكب
من ذلك غمر فكره واطبق على ذهنه يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فيكون للشيطان وليا ثم ربع
بتخويفه سوء العاقبة وما يجره ما هو فيه من التبعة والوبال ولم يخل ذلك من حسن الادب حيث لم يصرح
بان العقاب لاحق له وان العذاب لاصق به ولكنه قال اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فذكر الخوف
والمس ونكر العذاب وجعل ولاية الشيطان ودخوله في جملة اشياعه واوليائه اكبر من العذاب وذلك
ان رضوان الله اكبر من الثواب نفسه وسماه الله المشهود له بالفوز العظيم حيث قال ورضوان من الله
اكبر ذلك هو الفوز العظيم وكذلك ولاية الشيطان التي هي معارضة رضوان الله اكبر من العذاب نفسه
واعظم وصدر كل نصيحة من النصائح الاربع بقوله يا ابت توسلا اليه واستعطافا فاما في ما لا يسمع
وما لم يأتك يجوز ان يكون موصولة وموصوفة والمفعول في ما لا يسمع ولا يبصر منسي غير منوي كقولك
ليس به استماع ولا ابصار وشيئا يحتمل وجهين احدهما ان يكون في موضع المصدر اي شيئا من الغناء
ويجوز ان يقدر نحوه مع الفعلين السابقين والثاني ان يكون مفعولا به من قولهم اغن عني وجهك
قد جاءني فيه تجدد العلم عنده قال اراغب انت عن الهتي يا ابرهيم لئن لم تنته لما اطلعه على سماجة
سوء امره وهدم مذهبه بالحجج القاطعة وناصحه المناصحة العجيبة مع تلك الملاطفات اقبل عليه
الشيخ بغلاظة الكفر وغلظة العناد فناداه باسمه ولم يقابل يا ابت بيا بني وقدم الخبر على المبتدي
قوله اراغب انت عن الهتي لانه كان اهم عنده وهو عنده اعني وفيه ضرب من التعجب والانكار لرغبته لصدوره
عن الآلهة وان آلهته ما ينبغي ان يرغب عنها احد وفي هذا سلوان وثلج رسول الله صلعم عما كان
يلقى من مثل ذلك من كفار قومه لارجمنك لارمينك بلساني يريد الشتم والذم ومنه الرجيم المرمي
باللعن او لاقتلنك من رجم الزاني او لاطردنك رميا بالحجارة واصل الرجم الرمي بالرجام واهجرني مليا
زمانا طويلا من الملاوة او مليا بالذهاب عني والهجران قبل ان اثخنك بالضرب حتى لا تقدر ان
تبرح فلان ملي بكذا اذا كان مطيقا له مضطلعا به فان قلت علام عطف واهجرني مليا قلت
على معطوف عليه محذوف يدل عليه لارجمنك اي فاحذرني واهجرني لان لارجمنك تهديد
وتقريع قال سلام عليك توديع ومتاركة لقوله تع لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا
نبتغي الجاهلين وقوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وهذا دليل على جواز مشاركة

المنصوح

المنصوح له والحال هذه ويجوز ان يكون قد دعا له بالسلامة استمالة له الا ترى انه وعده الاستغفار
سأستغفر لك كيف جاز له ان يستغفر لك كافر وان بعده ذلك قلت قالوا اراد اشتراط التوبة
على الكفر كما ترد الاوامر والنواهي الشرعية على الكفار والمراد اشتراط الايمان وكما يوم المحدث والفقير
بالصلوة والزكوة ويراد اشتراط الوضوء والنصاب قالوا انما استغفر له بقوله فاغفر لابي انه كان من
الضالين لانه وعده ان يؤمن واستشهدوا بقوله تع وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة و
وعدها اياه ولقائل ان يقول الذي منع من الاستغفار للكافر انما هو السمع فاما القضية العقلية فلا ما يأباه
فيجوز ان يكون الوعد بالاستغفار والوفاء به قبل ورود السمع بناء على قضية العقل والذي يدل على
صحته قوله تع الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك فلو كان شارطا الايمان لم يكن مشكرا او مستثنى عما
وجب فيه الاسوة واما عن موعدة وعدها اياه قالوا عد هو ابرهيم لا رد اي ما قال واغفر لابي الا عن قوله
لاستغفرن لك ويشهد له قراءة حماد الراوية وعدها اياه والله اعلم انه كان بي حفيا الحفي البليغ
في البر والالطاف حفي بر وتحفى يراد بالاعتزال المهاجرة الى الشام واعتزلكم وما تدعون من دون الله
المراد بالدعاء العبادة لانه منها ومن سائطها ومنه قوله عليه السلام الدعاء هو العبادة ويدل عليه
قوله تع فلما اعتزلهم وما يعبدون ويجوز ان يراد الدعاء الذي حكاه الله في سورة الشعراء وادعوا
ربي عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا عرض بشقاوتهم بدعائهم في قوله عسى ان لا اكون بدعاء ربي
شقيا مع التواضع في كلمة عسى وما فيه من هضم النفس فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله
وهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا هي النبعة عن الحسن وعن الكلي المال والولد وتكون
عامة في كل خير ديني او دنياوي او تؤتي لسان الصدق الثناء الحسن وعبر باللسان عما يوجد
باللسان كما عبر باليد عما يطلق باليد وهي العطية قال اني اثني لسان لا اسر بها وجعلنا لهم
مريد الرسالة ولسان العرب لغتهم وكلامهم استجاب الله دعوته واجعل لي لسان صدق عليا في
الآخرين فصيره قدوة حتى ادعاه اهل الاديان كلهم وقال عز وجل ملة ابيكم ابرهيم وملة ابي ابرهيم حنيفا
ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا واعطي ذلك ذريته فاعلى ذكرهم واثنى عليهم كما اعلى
ذكره واثنى عليه واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان المخلص بالكسر الذي اخلص العبادة
عن الشرك والريات او اخلص نفسه واسلم وجهه لله وبالفتح الذي اخلصه الله الرسول الذي معه
كتاب من الانبياء وكان رسولا نبيا والنبي الذي ينبئ عن الله عز وجل وان لم يكن معه كتاب كيوشع
وناديناه من جانب الطور الايمن وقربناه نجيا الايمن من اليمين اي من ناحية اليمنى او من اليمن
صفة للطور او للجانب شبه يمن قربه بعض العظماء للمناجاة حيث كلمه بغير واسطة ملك

وعن ابي العالية قرئ حتى سمع صرير القلم الذي كتب به التوراة وهبنا لهم من رحمتنا اخاه هرون نبيا من اجل رحمتنا له وهرونا عليه وهبنا لهرون او لبعض رحمتنا كما قوله وهبنا لهم من رحمتنا واخاه على هذا الوجه يدل وهرون عطف بيان كقولك رايت رجلا اخاك زيدا وكان هرون اكبر من موسى فوقعت الهبة على معاضدته وموازرته كذا عن ابن عباس رضي الله عنه واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا ذكر اسمعيل عليه السلام بصدق الوعد وان كان موجودا في غيره من الانبياء تشريفا له واكراما كما تلقب بخو الطليم والاماء والصديق وثلاثة للمشهور المتواصف من حصاله عن ابن عباس انه وعد صاحبا له ان ينتظره في مكان فانتظره سنة وناهيك انه وعد نفسه الصبر على الذبح فوفى حيث قال ستجدني ان شاء الله من الصابرين وكان يامر اهله بالصلوة والزكوة وكان عند ربه مرضيا كان يبدا باهله في الامرين واعز اهلك بالصلوة قوا انفسكم واهليكم نارا الاترى انهم احق بالتصديق عليهم وللاحسان الديني اديل وقبل انه اتته كلهم من القرابة وغيرهم لان امم النبيين في عداد اهاليهم وفيه ان من حق الصلاح ان لا يالو نفسي الا اجانب فضلا عن الاقارب والمتصلين به وان يتظلهم بالفوائد الدنيه ولا يفرط في ذلك واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا قيل سمي ادريس لكثرة ما كان يدرس من كتب الله وكان اسمه اخنوخ وهو عجمي صحيح لانه لو كان افعيلا من الدرس لم ينصرف فما شاهه من العجم دليل التعجمة وكزكة تلك البلس العجمي وليس من الالماس كما يزعمون ولا يشتقون من العقد او الاسراسيل ما سرائل كان عم ابن التيك ومن لم يحقق ولم يتدرب بالصناعة كثر شانه من امثال هذه الطامات ويجوز ان يكون معنى ادريس في تلك اللغة قريبا من ذلك لحسبة الراوي مشتقا من الدرس ورفعناه مكانا عليا المكان العلي شرفا بالنبوة والزلفى عند الله وقد انزل الله عليه ثلثين صحيفة وهو اول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب واول من خاط الثياب ولبسها وكان يلبسون الجلود وعن انس بن مالك رفعه انه رفع الى السماء ازا بغة وعن ابن عباس رفع الى السماء السادسة وعن الحسن الى الجنة لانها اعلى من الجنة وعن التابعة بالجعد بن انه لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم السفر الذي آخره بلغنا السماء حدثنا وحدثنا واتانا قرحا فوق ذلك فظهر اقال له رسول الله الى اين تريد يا ابا القاسم قال الجنة قال وما لك الدريه انتم امة من الفتيين ومن ذريته ادم واوليكما شارة الى المذكورين في السورة من لدن زكريا الى ادريس ومن النبيين للبيان مثلها في قوله تع فاخر سورة الفتح وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة لان جميع الامة ليسوا منهم عليهم ومن الثانية للتبعيض وكان ادريس من ذرية آدم لقبرته منه لانه جد ابي نوح وابن جعيم من ذرية من حمل مع نوح لانه من ولد سام ابن نوح وابراهيم من ذرية ابراهيم وموسى وهرون وزكريا ويحيى من ذرية اسرائيل لان مريم من ذريته ومن حملنا واجتبينا اذا تتلى بدينا يحتمل العطف على من الاولى والثانية اذا تتلى عليهم ان جعلت الذرية خبر الاولى كان اذا كلاما مستانفا وان جعلته صفة له كان خبر قراءتي بن عباد والكلبي تتلى بالتذكير لان التانيث غير حقيقي مع وجود الفاصل ايات الرحمن خروا سجدا وبكيا البكي جمع باك كالسجود والعقود في جمع ساجد وقاعد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتلوا القران وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا في رواية تغنوا بالقران فمن لم يتغن به ليس منا وفي رواية تحزنوا به فان القران نزل بحزن فاذا قرأتموه فابكوا فان لم تبكوا فتحزنوا وليتغن احدكم بالقران فمن لم يتغن به فليس منا

السجع قال اللهم اجعلني من التاجدين لوجهك الساجدين بسجدك واعوذ بك ان اكون من المستكبرين وان قرا سجدة سبحان قال اللهم اجعلني من الباكين اليك الخاشعين لك وان قرا هذه قال اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم المهديين التاجدين لك الباكين عند تلاوة ايآتك خلفه اذا عقبه ثم قيل في عقب الخير خلف وفي عقب الشر خلف بالكون كما قالوا وعد في ضمان الخير وعيد في ضمان الشر عن ابن عباس ثم اليهود تركوا الصلوة المفروضة وشربوا الخمر واستحلوا الاخت من الاب وعن ابي الضحى ومجاهد ضاعوها بالتخنيث وبنصب الاول قوله الا من تاب وامن يعني الكفار وعن علي رضي الله عنه واتبعوا الشهوات من بني الشديد وركب المنظور وليس المشهور وعن قتادة هو في هذه الامة وقراءة ابن مسعود والضحاك ولحن التصلوات بالجمع كل شئ عند العرب غي وكل خير رشاد قال

فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما

وعن النجاج جزاء غي كقوله يلق اثاما اي مجازاة اثام او غيا عن طريق الجنة وقيل غي في واد في جهنم تستعيذ منه اودية وروي الاخفش يلقون ويقرئ يدخلون ويدخلون اي لا ينقصون شيئا من جزاء اعمالهم ولا يمنعونه بل يضاعف لهم بيانا لان تقدم الكفر لا يضرهم اذا تابوا من قولك ما ظلمك ان تفعل كذا اعني ما منعك او لا يظلمون البتة اي شيئا من الظلم لما كانت الجنة مشتملة على جنات عدن ابدلت منها كقولك ابصرت دارك القاعة والعلالي دعدن معرفة علم لمعنى العدن وهو الاقامة كما جعلوا امينة وسحر وامس فيمن لم يصرفه اعلاما لمعاني الفيئة والسحر والامس فجرى مجرى العدن لذلك او هو علم لارض الجنة لكونها مكان اقامة ولولا ذلك لما ساغ الابدال لان النكرة لا تبدل من المعرفة الا موصوفة ولما ساغ وصفها بالتي وقرئ جنات عدن وجنة عدن على الابدال اي وعدها وهي غائبة عنهم غير حاضرة او هم غايبون عنها لا يشاهدونها او بتصديق الغيب والايمان به قيل في ما ثيا مفعول بمعنى فاعل والوجه ان الوعد هو الجنة وهم ياتونها او هو من قولك اتيته اتيا وايانا اي كان وعده مفعولا منجزا اللغو فضول الكلام وما لا طائل تحته وفيه تنبيه ظاهر على وجوب تجنب اللغو واتقائه حيث نزه الله عنه الدار التي لا تكليف فيها وما احسن قوله واذا مروا باللغو مروا كراما واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين نعوذ بالله من اللغو والجهل والخوض فيما لا يعنينا اي ان كان تسليم بعضهم على بعض او تسليم الملائكة عليهم لغوا فلا يسمعون لغوا الا ذلك فهو من واد اخر قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتايب او لا يسمعون فيها الا قولا

تجده

يسلمون فيه من العيب والنقيصة على النقيصة على الاستثناء المنقطع او لان معنى السلام هو الدعاء بالسلامة
ودار السلم هي دار السلام واهلها عن الدعاء بالسلامة اغنياء وكان ظاهره من باب اللغو وفضول
الحديث لولا ما فيه الاكرام من الناس من ياكل الوجبة ومنهم من ياكل متى وجد وهي عادة المنهومين
ومنهم من يتغدى ويتعشى وهي العادة الوسطى المحمودة ولا يكون ثم ليل ولا نهار ولكن على التقدير
ولان المتنعم عند العرب من وجد غداء وعشاء وقيل اراد دوام الرزق ودروره كما تقول انا عند
فلان صباحا ومساء وبكرة وعشيا تريد الدعوة ولا تقصد الوقتين المعلومين نورث وقرئ
نورث استعارة اي نبقي عليه الجنة كما نبقي على الوارث مال المورث ولان الاتقياء يلقون ربهم
يوم القيامة قد انقضت اعمالهم وثمرتها باقية وهي الجنة واذا ادخلهم الجنة فقد اورثهم من
تقواهم كما يورث الوارث المال من المتوفى وقيل اورثوا من الجنة المساكن التي كانت لاهل
النار لو اطاعوا وما نتنزل حكاية قول جبريل عليه السلام حين استبطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم
روي انه احتبس اربعين يوما وقيل خمسة عشر وذلك حين سئل عن قصة اهل الكهف وذي القرنين
والروح فلم يدر كيف يجيب ورجا ان يوحى اليه فشق ذلك عليه مشقة شديدة وقال المشركون
ودعه ربه وقلاه فلما نزل جبريل قال له النبي ابطات حتى ساء ظني واشتقت اليك قال اني كنت
اشوق ولكني عبد مامور اذا بعثت نزلت واذا حبست نزلت وانزل الله هذه الاية وسورة والضحى
والتنزل على معنيين معنى النزول على مهل اي انفذت ومعنى النزول على الاطلاق كقوله فلست لانسي و
ولكن لملاك تنزل من جو السماء يصوب لانه مطاوع نزل ونزل يكون بمعنى انزل وبمعنى
التدريج واللايق بهذا الموضع هو النزول على مهل والمراد ان نزولنا في الاحايين وقتا عنت
وقت ليس الا بامر الله وعلى ما يراه صوابا وحكمة وله ما قدامنا وما خلفنا من الجهات والاماكن
وما نحن فيها فلا نتمالك ان ننتقل من جهة الى جهة ومكان الى مكان الا بامر المليك ومشيته
وهو الحافظ العالم بكل حركة وسكون وما يحدث ويتجدد من الاحوال لا يجوز عليه الغفلة
والنسيان فابى لنا ان نتقلب في ملكوته الا اذا راى ذلك مصلحة وحكمة واطلق لنا الاذن فيه
وقيل ما سلف من امر الدنيا وما يستقبل من امر الاخرة وما بين ذلك وما بين النفختين
وهو اربعون سنة وقيل ما مضى من اعمارنا وما غبر منها والحال التي نحن فيها وقيل ما
قبل وجودنا وما بعد فنائنا وقيل الارض التي بين ايدينا اذا نزلنا والسماء التي وراءنا وما بين
السماء والارض والمعنى انه المحيط بكل شيء لا يخفى عليه خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة فكيف نقدم

على فعل

على فعل نحدثه الا صادرا عما توجبه حكمته ويامرنا به ويأذن لنا فيه وقيل ومعنى وما كان ربك نسيا
وما كان تاركا لك كقوله ما ودعك ربك وما قلى اي ما كان امتناع النزول الا لامتناع الامر
به واما احتباس الوحي فلم يكن عن ترك الله تعالى ذلك وتوديعه اياك ولكن لتوقفه على
المصلحة وقيل هي حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة وما ننزل الجنة الا بان من الله
علينا بثواب اعمالنا وامرنا بدخولها وهو الملك الرقاب الامور كلها السالفة والمترقبة
والحاضرة واللاطف في اعمال الخير والموفق لها والمجازي عليها ثم قال تعالى تقريرا لقولهم وما
كان ناسيا لاعمال العاملين غافلا عما يجب ان يثابوا به وكيف يجوز النسيان والغفلة على ملكوت
السماء والارض وما بينهما ثم قال لرسوله صلى الله عليه وسلم فحين عرفته على هذه الصفة
فاقبل على العمل واعبده شك كما اثاب غيرك من المتقين وقرا الاعرج وما يتنزل بالياء على الحكاية
عن جبريل والضمير للوحي وعن ابن مسعود الا بقول ربك يجب ان يكون الخلاف في النسي مثله
في البغي رب السموات والارض بدل من ربك ويجوز ان يكون خبر مبتدا محذوف اي هو رب
السموات والارض فاعبده كقوله وقايلة خولان فانكح فتاتهم وعلى هذا الوجه يجوز ان
يكون وما كان ربك نسيا من كلام المتقين وما بعده من كلام رب العزة فان قلت هلا عدي اصطبر
بعلى التي هي صلته كقوله واصطبر عليها قلت لان العبادة جعلت بمنزلة القرن في قولك للمحارب
اصطبر لعزتك اي اثبت له فيما يورد عليك من شدائده اريد ان العبادة تورد عليك شدايد ومشاق
فاثبت لها ولا تهن ولا يضيق صدرك عن القاء عداتك من اهل الكتاب اليك الاغاليط وعن
احتباس الوحي عليك مرة وشماتة المشركين بك اي لم يسم شيء بالله قط وكانوا يقولون لاصنامهم
الهة والعزى اله واما الذي عوض فيه الالف واللام من الهمزة فمخصوص به المعبود الحق غير
مشارك فيه وعن ابن عباس لا يسمى احد الرحمن غيره سبحانه ووجه اخر هل تعلم من سمي باسمه على الحق دون
الباطل لان التسمية على الباطل في كونها غير معتد بها كلا تسمية وقيل مثلا وتشبيها اي اذا صح ان
ان لا معبود يوجه اليه العباد العبادة الا هو وحده لم يكن بد من عبادته والاصطبار على
مشاقها وتكاليفها يحتمل ان يراد بالانسان الجنس باسره وان يراد بعض الجنس وهم الكفرة فان قلت
فان لم جازت ارادة الاناسي كلهم وكلهم غير قايلين ذلك قلت لما كانت هذه المقالة موجودة
في من هو من جنسهم صح الاسناد الى جميعهم كما يقولون بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل رجل منهم
قال الفرزدق فسيف بني عبس وقد ضربوا به نبا بيدي ورقاء عن راس خالد

مطلب

فقد اسند الضرب الى بني عبس مع قوله نبا بيدي ورقاء وهو ورقاء بن زهير ابن جذيمة
العبسي فان قلت بم انتصب اذا وانتصابه باخرج ممتنع لاجل اللام لا تقول اليوم لزيد قائم
قلت بفعل مضمر يدل عليه المذكور فان قلت لام الابتداء الداخلة على المضارع تعطي معنى
معنى الحال فكيف جامعت حرف الاستقبال قلت لم يجامعها الا مخلصة للتوكيد كما اخلصت
الهمزة في يا الله للتعويض واضمحل عنها معنى التعريف وما في اذا ما للتوكيد ايضا فكانهم قالوا حقا
انا سنخرج احياء حين يتمكن فينا الموت والهلاك على وجه الاستنكار والاستبعاد والمراد للخروج من
الارض او من حال الفناء او هو من قولهم خرج فلان عالما وخرج شجاعا اذا كان نادرا في ذلك يريد
ساخرج حيا نادرا على سبيل الهزؤ وقرا الحسن وابو حيوة لسوف اخرج وعن طلحة بن مصرف لساخرج
كقراءة ابن مسعود ولسيعطيك وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار من قبل ان ما بعد الموت
هو وقت كون الحيوة منكرة ومنه جاء انكارهم فهو كقولك للمسيء الى المحسن احين تمت عليك
نعمة فلان اساءت اليه الواو عطفت لا يذكر على يقول ووسطت همزة الانكار بين المعطوف عليه
وحرف العطف يعني ايقول ذاك ولا يتذكر حال النشاة الاولى حتى لا ينكر الاخرى فان تلك اعجب
واغرب وادل على قدرة الخالق حيث اخرج الجواهر والاعراض من العدم الى الوجود ثم اوقع التاليف
مشحونا بضروب الحكم التي تحار الفطن فيها من غير حذو وعلى مثال واقتداء بمؤلف ولكن اختراعا
وابداعا من عند قادر جلت قدرته ودقت حكمته واما الثانية فقد تقدمت نظيرتها وعادت
لها كالمثال المتحذى عليه وليس فيها الا تاليف الاجزاء الموجودة الباقية وتركيبها وردها الى ما كانت
عليه مجموعة بعد التفكيك والتفريق وقوله ولم يك شيئا دليل على هذا المعنى وكذلك قوله وهو اهون عليه
على ان رب العزة سواء عليه النشاتان لا يتفاوت في قدرته الصعب والسهل ولا يحتاج الى احتذاء
على مثال ولا استعانة بحكيم ولا نظير في مقياس ولكن يواجه جاحد البعث بذلك دفعا في نحر معاندته
وكشفا عن صفحة جهله القراءة كلهم على لا يذكر بالتشديد الا نافعا وابن عامر وعاصما فقد خففوا وفي حرف
ابي يتذكر من قبل من قبل الحالة التي هو فيها وهي حالة بقائه في اقسام الله تعالى باسمه تقدست اسماؤه
مضافا الى رسوله عليه السلام تفخيم لشان رسول الله ورفع منه كما رفع من شان السماء والارض في
فورب السماء والارض انه لحق الواو في والشياطين يجوز ان تكون للعطف وبمعنى مع وهي بمعنى مع اوقع
والمعنى انهم يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين اغووهم يقرن كل كافر مع شيطان في سلسلة
فان قلت هذا اذا اريد بالانسان الكفرة خاصة فان اريد الاناسي على العموم فكيف يستقيم حشرهم مع

الشياطين

الشياطين قلت اذا حشر جميع الناس حشرا واحدا وفيهم الكفرة مقرونين فقد حشروا مع الشياطين
كما حشروا مع الكفرة فان قلت هلا عزل السعداء عن الاشقياء في الحشر كما عزلوا عنهم في الجزاء
لم يفرق بينهم وبينهم في المحشر واحضروا حيث تجاثوا حول جهنم واوردوا معهم النار ليشاهد السعداء
الاحوال التي نجاهم الله منها وخلصهم فيزدادوا لذلك غبطة الى غبطة وسرورا الى سرور ويشمتوا
باعداء الله واعدائهم فتزداد مساءتهم وحسرتهم وما يغيظهم من سعادة اولياء الله وشماتتهم
بهم فان قلنا ما معنى احضارهم جثيا قلت اما اذا فسر الانسان بالخصوص فالمعنى
انهم يعتلون من المحشر الى شاطئ جهنم عتلا على حالهم التي كانوا عليها في الموقف جثاة على ركبهم
غير مشاة على اقدامهم وذلك ان اهل الموقف وصفوا بالجثو قال تعالى وترى كل امة جاثية على
العادة المعهودة في مواقف المقاولات والمناقلات من تجاثي اهلها على الركب لما في ذلك من
الاستيفاز والقلق واطلاق الحبى وخلاف الطمانينة او لما يدهمهم من شدة الامر التي لا يطيقون
معها القيام على ارجلهم فيحبون على ركبهم حبوا وان فسر بالعموم فالمعنى انهم يتجاثون عند
يتجاثون عند موافاة شاطئ جهنم على ان جثيا حال مقدرة كما كانوا في الموقف متجاثين
لانه من توابع التواقف للحساب قبل التواصل الى الثواب والعقاب المراد بالشيعة وهي فعلة
كفرقة وفئة الطائفة التي شاعت اي تبعت غاويا من الغواة قال تعالى ان الذين فرقوا دينهم
وكانوا شيعا يريد نمتاز من كل طائفة من طوائف الغي والفساد اعصاهم فاعصاهم واعتاهم
فاعتاهم فاذا اجتمعوا طرحناهم في النار على الترتيب نقدم اولاهم بالعذاب فاولاهم او اراد بالذين
هم اولى بها صليا المنتزعين كما هم كانه قال ثم لنحن اعلم بتصلية هؤلاء وهم اولى بالصلي
من بين سائر الصالين ودركاتهم اسفل وعذابهم اشد ويجوز ان يريد اشدهم عتيا
رؤساء الشيع وائمتهم لتضاعف جرمهم بكونهم ضلالا ومضلين قال تعالى الذين كفروا
وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون وليحملن اثقالهم و
اثقالا مع اثقالهم واختلف في اعراب ايهم اشد فعن الخليل انه مرتفع على الحكاية تقديره لننزعن
الذين يقال فيهم ايهم اشد وسيبويه على انه مبني على الضم لسقوط صدر الجملة التي هي صلته حتى لو
جيء به لاعرب وقيل ايهم هو اشد ويجوز ان يكون النزع واقعا على من كل شيعة فكان قائلا
فكان قائلا قال من هم فقيل ايهم اشد عتيا وايهم اشد بالنصب عن طلحة بن مصرف وعن معاذ بن
مسلم الهراء استاذ الفراء ماه قلت بم يتعلق على والباء فان تعلقهما بالمصدرين لا سبيل اليه

قلت هما للبيان لا للصلة او تتعلقان بافعل اي عتوهم اشد على الرحمن وصليهم اولى
بالنار كقولك هو اشد على خصمه وهو اولى بكذا وان منكم التفات الى الانسان تعضده قراءة
ابن عباس وعكرمة وان منهم او خطاب للناس من غير التفات الى المذكور فان اريد الجنس كله
فمعنى الورود دخولهم فيها وهي جامدة فيعبرها المؤمنون وتنهار بغيرهم عن ابن عباس يردونها
كانها اهالة وروي دواية وعن جابر بن عبد الله انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
ذلك فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض اليس وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال
لهم قد وردتموها وهي جامدة وعنه رض انه سئل عن هذه الآية فقال سمعت رسول الله صلعم
يقول الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما
كما كانت على ابرهيم حتى ان للنار ضجيجا من بردها واما قوله اولئك عنها مبعدون فالمراد
عذابها وعن ابن مسعود والحسن وقتادة هو الجواز على الصراط لان الصراط ممدود عليها وعن ابن
قد يرد الشيء الشيء ولم يدخله كقوله ولما ماء مدين ووردت القافلة البلد وان لم تدخله
ولكن قربت منه وعن مجاهد ورود المؤمن النار هو مس الحمى جسده في الدنيا لقوله
عليه السلام الحمى من فيح جهنم وفي الحديث الحمى حظ كل مؤمن من النار ويجوز ان يراد بالورود
جثوهم حولها وان اريد الكفار خاصة فالمعنى بين الحتم مصدر حتم الامر اذا اوجبه فسمي به
الموجب كقولهم خلق الله وضرب الامير اي كان ورودهم واجبا على الله عز وجل اوجبه على نفسه
وقضى به وعزم على ان لا يكون غيره قرئ ننجي وننجي على ما لم يسم فاعله ان اريد الجنس باسره
فهو ظاهر وان اريد الكفرة وحدهم فمعنى ثم ننجي الذين اتقوا ان المتقين يساقون
الى الجنة عقيب ورود الكفار لا انهم يواردونهم ثم يتخلصون وفي قراءة ابن مسعود وابن عباس
والجحدري وابن ابي ليلى ثم ننجي بفتح الثاء اي هنالك وقوله ونذر الظالمين فيها جثيا دليل
دليل على ان المراد بالورود الجثو حواليها وان المؤمنين يفارقون الكفرة الى الجنة بعد تجاثيهم و
يبقى الكفرة في مكانهم جاثين بينات مرتلات الالفاظ ملخصات المعاني مبينات المقاصد اما
اما محكمات واما متشابهات قد تبعها البيان بالمحكمات او تبيين الرسول قولا وفعلا او ظاهرات
الاعجاز تحدى بها فلم يقدر على معارضتها او حججا وبراهين والوجه ان تكون حالا مؤكدة كقوله
وهو الحق مصدقا لان آيات الله لا تكون الا واضحة وحججا للذين آمنوا يحتمل انهم يناطقون
المؤمنين بذلك ويواجهونهم وانهم يفوهون به لاجلهم وفي معناهم لقوله تعالى وقال الذين كفروا

للذين

للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه قرأ ابن كثير مقاما بالضم وهو موضع الاقامة والمنزل و
والباقون بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان والموضع والندي المجلس ومجتمع القوم
وحيث ينتدون والمعنى انهم اذا سمعوا الآيات وهم جهلة لا يعلمون الا ظاهرا من الحيوة الدنيا
وذلك مبلغهم من العلم قالوا اي الفريقين من المؤمنين بالآيات والجاحدين لها اوفر حظا
من الدنيا حتى يجعل ذلك عيارا على الفضل والنقص والرفعة والضعة ويروى انهم كانوا
يرحلون شعورهم ويدهنون ويتطيبون ويتزينون بالزين الفاخرة ثم يدعون مفتخرين
على فقراء المسلمين انهم اكرم على الله منهم كم مفعول اهلكنا ومن تبيين لابهامها اي كثيرا من القرون
اهلكنا وكل اهل عصر قرن لمن بعدهم لانهم يتقدمونهم وهم احسن في محل النصب صفة لكم الا
ترى انك لو تركت هم لم يكن لك بد من نصب احسن على الوصفية الاثاث متاع البيت
وقيل هو ما جد من الفرش والخرثي ما لبس منها وانشد الحسن على الطوسي
تقادم العهد من ام الوليد بنا دهرا وصار اثاث البيت خرثيا قرئ على خمسة اوجه رئيا
وهو المنظر والهيئة فعل بمعنى مفعول من رايت ورئيا على القلب كقولهم راءى رائي وريا
على قلب الهمزة ياء والادغام او من الري الذي هو النعمة والترفه من قولهم ريان من النعيم
وريا على حذف الهمزة رائيا ووجهه ان يخفف المقلوب وهو ريئا بحذف همزته والقاء حركتها
على الياء الساكنة قبلها وزيا واشتقاقه من الزي وهو الجمع لان الزي محاسن مجموعة والمعنى احسن
من هؤلاء اي مد له الرحمن يعني امهله واملى له في العمر فاخرج على لفظ الامر ايذانا بوجوب
ذلك وانه مفعول لا محالة كالمامور به الممتثل لتقطع معاذير الضال ويقال له يوم القيمة اولم نعمركم
ما يتذكر فيه من تذكر او لقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما او من كان في الضلالة فمد له الرحمن
مدا في معنى الدعاء بان يمهله الله وينفس في مدة حيوته في هذه الآية وجهان احدهما ان تكون
متصلة بالآية التي هي رابعتها اعتراض بينهما اي قالوا اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا
حتى اذا راوا ما يوعدون اي لا يرجون يقولون هذا القول ويتولعون به لا يتكافون عنه
الى ان يشاهدوا الموعود راي العين اما العذاب في الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم
اياهم قتلا واسرا واظهار الله دينه على الدين كله على ايديهم واما يوم القيامة ما ينالهم
من الخزي والنكال فحينئذ يعلمون عند المعاينة ان الامر على عكس ما قدروه وانهم شر مكانا
واضعف جندا لا خير مقاما واحسن نديا وان المؤمنين على خلاف صفتهم والثاني ان تتصل بما يليها

والمعنى ان الذين في الضلالة ممدود لهم في ضلالتهم والخذلان لاصق بهم وبان الالطاف لا تنفع فيهم وليسوا
من اهلها والمراد بالضلالة ما دعاهم من جهلهم وغلوهم في دينهم وكفرهم الى القول الذي قالوه لا ينفكون
عن ضلالتهم الى ان يعاينوا نصرة الله المؤمنين او يشاهدوا الساعة ومقدماتها فان قلت
حتى هذه ما هي قلت هي التي يحكى بعدها الجمل الا ترى الجملة الشرطية واقعة بعدها وهي قوله اذا راوا
ما يوعدون فسيعلمون شر مكانا واضعف جندا في مقابلة خير مقاما واحسن نديا لان مقامهم
هو مكانهم ومسكنهم والندي المجلس الجامع لوجوه القوم واعوانهم وانصارهم والجند هم الانصار
والاعوان ويزيد معطوف على موضع فليمدد لانه واقع موقع الخبر تقديره من كان في الضلالة
مد او يمد له الرحمن ويزيد اي يزيد في ضلال الضلال بخذلانه ويزيد المهتدين هداية بتوفيقه
الباقيات الصالحات اعمال الآخرة كلها وقيل الصلوات وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله
الا الله والله اكبر اي هي خير ثوابا من مفاخرات الكفار وخير مردا اي مرجعا وعاقبة او منفعة
من قولهم ليس لهذا الامر مرد وهل يرد بكاي زندا ماه قلت كيف قيل خير ثوابا كان
لمفاخراتهم ثوابا حتى يجعل ثواب الصالحات خيرا منه قلت كانه ثوابهم النار على طريقة
قوله فاعتبوا بالصلم وقوله شجعاء حرتها الزميل تلوكه
اصلا اذا راح المطي غراثا وقوله تحية بينهم ضرب وجيع ثم بني عليه خير
ثوابا وفيه ضرب من التهكم الذي هو اغيظ للمتهدد من ان يقال عقابك النار فان قلت
فما وجه التفضيل في الخير كان لمفاخرهم شركا فيه قلت هذا من وجيز كلامهم يقولون
الصيف احر من الشتاء اي ابلغ في حره من الشتاء في برده افرايت لما كانت مشاهدة الاشياء
ورؤيتها طريقا الى الاحاطة بها علما وصحة الخبر عنها استعملوا ارايت في معنى اخبر والفاء
جاءت لافادة معناها الذي هو التعقيب كانه قال اخبر ايضا بقصة هذا الكافر واذكر حديثه
عقيب حديث اولئك اطلع الغيب من قولهم اطلع الجبل اذا ارتقى الى اعلاه واطلع الثنية
قال جرير قلت لاقيت مطلع الجبال وعورا ويقولون مر مطلعا لذلك الامر اي عاليا
له مالكا له ولاختيار هذه الكلمة شان يقول او قد بلغ من عظمة شانه ان ارتقى الى علم
الغيب الذي توحد به الواحد القهار والمعنى ان ما ادعى ان يؤتاه وتالى عليه لا يتوصل
اليه الا باحد هذين الطريقين اما علم الغيب واما عهد من عالم الغيب فبايهما توصل
الى ذلك قرا حمزة والكسائي ولدا وهو جمع ولد كاسد في اسد او بمعنى الولد كالعرب في

الذي كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا صح

العرب

في العرب وعن يحيى بن يعمر وولدا بالكسر وقيل في العهد كلمة الشهادة وعن قتادة هل له عمل صالح
قدمه فهو يرجو بذلك ما يقول وعن الكلبي هل عهد الله تعالى اليه انه يؤتيه ذلك عن الحسن
نزلت في الوليد بن المغيرة والمشهور انها نزلت في العاص بن وايل قال خباب بن الارت كان
لي عليه دين فاقتضيته فقال لا والله حتى تكفر بمحمد قلت لا والله لا اكفر بمحمد حيا ولا ميتا ولا
حين تبعث قال فاني اذا مت بعثت قلت نعم قال اذا بعثت جئتني وسيكون لي ثم مال
وولد فاعطيك وقيل صاغ له خباب حليا فاقتضاه الاجر فقال انكم تزعمون انكم تبعثون
وان في الجنة ذهبا وفضة وحريرا فانا اقضيك ثم فابى اوفى مالا وولدا حينئذ كلا
ردع وتنبيه على الخطاء اي هو مخطئ فيما يصون لنفسه ويتمناه فليرتدع عنه قال قلت
كيف قيل سنكتب بسين التسويف وهو كما قال الكافر كتب من غير تاخير قال تعالى ما يلفظ من
قول الا لديه رقيب عتيد قلت فيه وجهان احدهما سنظهر له ونعلمه انا كتبنا قوله
على طريقة قوله قلت اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة اي تبين وعلم بالانتساب اني
لست بابن لئيمة والثاني ان المتوعد تقول للجاني سوف انتقم منك يعني انه لا يخل بالانتصار
وان تطاول به الزمان واستاخر فجردها هنا لمعنى الوعيد ونمد له من العذاب اي نطول له
من العذاب ما يستاهله ونعذبه بالنوع الذي يعذب بها الكفار المستهزئون او نزيده
من العذاب ونضاعف له من المدد يقال مده وامده بمعنى وتدل عليه قراءة علي رضي الله عنه
ونمداه بالضم واكد ذلك بالمصدر وذلك من فرط غضب الله نعوذ بالله من التعرض لما يستوجبه
غضبه ونرثه ما يقول اي نزوي عنه ما زعم انه يناله في الآخرة ونعطيه من يستحقه والمعنى
مسمى ما يقول ومعنى ما يقول وهو المال والولد يقول الرجل انا املك كذا فتقول
له ولي فوق ما تقول ويحتمل انه قد تمنى وطمع ان يؤتيه الله في الدنيا مالا وولدا وبلغت
به اشعبيته الى ان تالى على ذلك في قوله لاوتين لانه جواب قسم مضمر ومن يتال على الله يكذبه
فيقول الله عز وعلا اي اقسم انا اعطيناه ما اشتهاه اما نرثه منه في العاقبة ويأتينا فردا
غدا بلا مال ولا ولد كقوله ولقد جئتمونا فرادى الآية فما يجدي عليه تمنيه وتاليه
ويحتمل ان هذا القول انما يقوله ما دام حيا فاذا قبضناه حلنا بينه وبين ان يقول
ويأتينا رافضا له منفردا عنه غير قايل له او لا نفسي قوله هذا ولا نلغيه بل نثبته في صحيفته
لنضرب به وجهه في الموقف ونعيره به ويأتينا على فقره ومسكنته فردا من المال والولد

لم تؤله سوء له ولم تؤته مُتمناه فيجتمع عليه الخطابان تبعة قوله وَوبالهُ وفقد المطمع فيه
فدُعي الوجه الاقبح حال مقدر نحو فادخلوها خالدين لانه وغيره سواء في انها نفرد احين
يأتي ثم يتفاوتون بعد ذلك اي ليعذروا بانهم حيث يكونون لهم عند الله شفعاء وانصارا ينقذونهم
من العذاب كلا ردع لهم وانكار لتعذرهم بالآلهة وقرأ ابن نهيك كلا سيكفرون بعبادتهم
اي يجحدون كلا سيكفرون بعبادتهم كقولك زيدا مررت بغلامه وفي محتسب ابن جني كلا
بفتح الكاف والتنوين وزعم ان معناها كل هذا الرأي والاعتقاد كلا ولقائل ان يقول ان ثبوت (هو كما في جمع الشواذ من الزاة)
ان صحت من الرواية فهي كلا التي هي للردع قلب الواقف عليها الفها نونا كما في قوارير والضمير
في سيكفرون للآلهة اي سيجحدون عبادتهم وينكرونها ويقولون والله ما عبدتمونا وانما كانوا يعبدون
قال تعالى واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو
من دونك فالقوا اليهم القول انهم لكاذبون او للمشركين اي ينكرون لسوء العاقبة
ان يكونوا قد عبدوا وما قال الله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين عليهم
ضدا في مقابلة لهم عزا والمراد ضد العز وهو الذل والهوان اي يكونون عليهم ضدا لما قصدوه
واراده كما نه قيل ويكونون عليهم ذلا لا لهم عزا او يكون عليهم عونا والضد العون يقال
من اضدادكم اي من اعوانكم وكان العون سمي ضدا لانه يضاد عدوك ويناويه باعانته لك
عليه فان قلت لم وحدت قلت وحد توحيد قوله عليه السلام وهم يد على من سواهم لاتفاق
كلمتهم وانهم كشيء واحد لفرط تضامهم وتوافقهم ومعنى كون الآلهة عونا عليهم انهم وقود النار
وحصب جهنم ولانهم عذبوا بسببهم اياها وان رجعت الواو في سيكفرون ويكونون الى المشركين
فان المعنى ويكونون عليهم اي اعدائهم ضدا اي كفرة بهم بعد ان كانوا يعبدونها الا ان الهمز
والاستفزاز اخوات ومعناها التهييج وشتى الازعاج اي تغريهم على المعاصي وتهيجهم لها بالوساوس
والتسويلات والمعنى خليتنا بينهم وبينهم ولم نمنعهم ولو شاء لمنعهم قسرا والمراد تعجيب رسول الله
عليه بعد الآيات التي ذكر فيها العتاة المردة من الكفار واقاويلهم وملاجئهم ومعاذيرهم للرسل
واستهزاءهم بالدين من تمادهم في الغي والضلال وتصميمهم على الكفر واجتماعهم على دفع الحق بعد وضوحه
وانتفاء الشك عنه وانهماكهم لذلك في اتباع الشياطين وما تسول لهم عجلت عليه بكذا اذا
استعجلته منه اي لا تعجل عليهم بان تهلكهم وبيد واحتى نستريح انت والمسلمون من شرورهم
وتطهر الارض بقطع دابرهم فليس بينك وبين ما تطلب من هلاكهم الا ايام محصورة وانفاس معدودة

كأنها

كأنها في سرعة تقضيها الساعة التي تعد فيها لو عدت ونحوه قوله تعالى ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون
لم يلبثوا الا ساعة من نهار وعن ابن عباس انه كان اذا قرأها بكى وقال آخر العدد وخروج نفسك
آخر العدد فداق اهلك آخر العدد ادخول قبرك وعن ابن السماك انه كان عند المأمون
فقرأها فقال اذا كانت الانفاس هي العدد ولم يكن لها مدد فما اسرع ما تنقد نصب يوم يضمر
اي يوم يحشرون ويسوقون لفعل اليوم تين ما لا يحيط به الوصف او اذكر يوم نحشر ويجوز ان ينتصب
بلا يملكون ذكر المتقون بلفظ التبجيل وهو انهم يجمعون الى ربهم الذي غمرهم برحمته وخصهم
برضوانه وكرامته كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين لكرامته عندهم وعن علي رضي الله عنه
ما يحشرون والله على ارجلهم ولكنهم على نوق رحالها ذهب وعلى نجائب سرورها ياقوت وذكر
الكافرون بانهم يساقون الى النار باهانة والتخفاف كانهم نعم عطاش تساق الى الماء الورد والعطاش
لان من يرد الماء لا يرده الا العطاش وحقيقة الورد السير الى الماء فان ردي ردي ورد
قطاة صما كدرية اعجبها بردالماء فسمي به الواردون وقراءة الحسن يحشر المتقون
ويساق المجرمون الواو في لا يملكون ان جعل ضميرا فهو للعباد ودل عليه ذكر المتقين والمجرمين لانهم
على هذه القسمة ويجوز ان تكون علامة للجمع كالتي في اكلوني البراغيث والفاعل من اتخذ لانه
في معنى الجمع ومحل من اتخذ رفع على البدل او على الفاعلية ويجوز ان ينتصب على تقدير حذف
المضاف الا شفاعة من اتخذ والمراد لا يملكون ان يشفع لهم واتخاذ العهد الاستظهار بالايمان
والعمل وعن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه ذات يوم أيعجز احدكم ان يتخذ كل
صباح ومساء عند الله عهدا قالوا وكيف ذلك قال يقول كل صباح ومساء اللهم فاطر
السموات والارض عالم الغيب والشهادة اني اعهد اليك بالتي اشهد ان لا اله الا انت
وحدك لا شريك لك وان محمدا عبدك ورسولك وانك ان تكلني الى نفسي تقربني من الشر
وتباعدني عن الخير واني لا اثق الا برحمتك فاجعل لي عهدا توفينيه يوم القيامة انك لا تخلف
الميعاد فاذا قال ذلك طبع بطابع وضع تحت العرش فاذا كان يوم القيامة نادى مناد
اين الذين لهم عند الرحمن عهد فيدخلون الجنة وقيل كلمة الشهادة ويكون من عهد الامير
الى فلان بكذا اذا امره به اي لا يشفع الا المأمور بالشفاعة المأذون له فيها وتعضده مواضع التنزيل
وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى ولا
ولا ينفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له يومئذ لا ينفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له

قولا قرئ إدّا بالكسر والفتح قال ابن خالويه الإدّ والأدّ وقيل العظيم المنكر والإدّة الشدة وأدّني
الأمر وآدني أثقلني وعظم علي إدّا يكاد قراءة الكسائي ونافع بالياء وقرئ يتفطرن الانفطار
من فطره إذا شقه والتفطر من فطره إذا شققه وكرر الفعل فيه وقرأ ابن مسعود ينصدعن
أي تهدّ هدّا أو مهدودة أو مفعول له أي لأنها تهدّ فإن قلت ما معنى انفطار السموات وانشقاق
الأرض وخرور الجبال ومن أين تؤثر هذه الكلمة في الجمادات قلت فيه وجهان أحدهما أن
الله سبحانه يقول كدت أفعل هذا بالسموات والأرض والجبال عند وجود هذه الكلمة غضبا
مني على من تفوه بها لولا حلمي ووقاري وأني لا أعجل بالعقوبة كما قال إن الله يمسك السموات
والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليما غفورا والثاني أن
يكون استعظاما للكلمة وتهويلا من فظاعتها وتصويرا لأثرها في الدين وهدمها لأركانه وقواعده
وأن مثال ذلك الأثر في المحسوسات أن يصيب هذه الأجرام العظيمة التي هي قوام العالم
ما تنفطر منه وتنشق وتخر وفي قوله لقد جئتم وما فيه من المخاطبة بعد الغيبة وهو الذي يسمى
الالتفات في علم البلاغة زيادة تسجيل عليهم بالجرأة على الله والتعرض لسخطه وتنبيه على عظم
ما قالوا في أن دعوا ثلاثة أوجه أن يكون مجرورا بدلا من الهاء في منه كقوله على حالة لو أن
في القوم حاتما على جوده لضن بالماء حاتم ومنصوبا بتقدير سقوط اللام وإفضاء الفعل
هدّا لأن دعوا علل الخرور بالهدّ والهدّ بدعاء الولد للرحمن ومرفوعا بأنه فاعل هدّا أي
هدّها دعاء الولد للرحمن وفي اختصاص الرحمن وتكريره مرات من الفائدة أنه هو الرحمن
وحده لا تستحق هذا الاسم غيره من قبل أن أصول النعم وفروعها منه خلق العالمين
وخلق لهم جميع ما معهم كما قال بعضهم فلينكشف عن بصرك غطاؤه فأنت وجميع ما عندك
عطاؤه فمن أضاف إليه ولدا فقد جعله كبعض خلقه وأخرجه بذلك عن استحقاق اسم الرحمن
هو من دعا بمعنى سمى المتعدي إلى مفعولين فاقتصر على أحدهما الذي هو الثاني طلبا للعموم
والإحاطة بكل ما دعي له ولدا أو من دعا بمعنى نسب الذي مطاوعه ما في قوله عليه السلام من ادعى
إلى غير مواليه أنا بني نهشل لا ندعي لأب أي لا ننتسب إليه ابتغى مطاوع بغى إذا طلب أي ما
يتأتى له اتخاذ الولد وما ينطلب لو طلب مثلا لأنه محال غير داخل تحت الصحة أما الولادة المعروفة
فلا فقال في استحالتها وأما التبني فلا يكون إلا فيما هو من جنس المتبني وليس للقديم سبحانه جنس تعالى
عما يقول الظالمون علوا كبيرا من موصوفة لأنها وقعت بعد كل نكرة وقوعها بعد رب

في قوله

في قوله رب من أنضجت غيظا صدره وقرأ ابن مسعود وأبو حيوة آت الرحمن على أصله قبل الإضافة
الإحصاء الحصر والضبط يعني حصرهم بعلمه وأحاط بهم وعدهم عدا الذين اعتقدوا في الملائكة وعيسى
وعزير أنهم أولاد الله كانوا بين كفرين أحدهما القول بأن الرحمن يصح أن يكون والدا والثاني إشراك
الذين زعموهم لله أولادا في عبادته كما يخدم الناس أبناء الملوك خدمتهم لآبائهم فهدم الله الكفر
الأول فيما تقدم من الآيات ثم عقبه بهدم الكفر الآخر والمعنى ما من معبود لهم في السموات والأرض
من الملائكة ومن الناس إلا وهو يأتي الرحمن أي يأوي إليه ويلتجئ إلى ربوبيته عبدا منقادا مطيعا
خاشعا خاشيا راجيا كما يفعل العبيد وكما يجب عليهم لا يدعي لنفسه ما يدعيه له هؤلاء الضلال
ونحوه قوله تعالى أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون
عذابه وكلهم منقلبون في ملكوته مقهورون بقهره وهو مهيمن عليهم محيط بهم ويحمل أمورهم وتفاصيلها
وكيفيتهم وكميتهم لا يفوته شيء من أحوالهم وكل واحد منهم يأتيه يوم القيامة منفردا ليس معه من هاد و
(أصله مؤيمن مفيعل من الأمان أي حافظ رقيب)
ولا المشركين أحد وهم براء منهم قرأ جناح بن حبيش ودا بالكسر والمعنى سيحدث لهم في القلوب
مودة ويزرعها لهم فيها من غير تودد منهم ولا تعرض للأسباب التي يكتسب بها الناس مودات
القلوب من قرابة أو صداقة أو اصطناع بمبرة أو غير ذلك وإنما هو اختراع منه ابتداء اختصاصا
منه لأوليائه بكرامة خاصة كما قذف في قلوب أعدائهم الرعب والهيبة إعظاما لهم وإجلالا
لمكانهم والسين إما لأن السورة مكية وكان المؤمنون حينئذ ممقوتين بين الكفرة فوعدهم
الله ذلك إذا دجا الإسلام وإما أن يكون ذلك يوم القيامة يحببهم إلى خلقه بما يعرض من
حسناتهم وينشر من ديوان أعمالهم وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي ضر يا علي
قل اللهم اجعل لي عندك عهدا واجعل لي في صدور المؤمنين مودة فأنزل الله هذه الآية
وعن ابن عباس يحبهم الله ويحببهم إلى خلقه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل
يا جبريل قد أحببت فلانا فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في أهل السماء إن الله قد أحب فلانا فأحبوه
فيحبه أهل السماء ثم يضع له المحبة في الأرض وعن قتادة ما أقبل العبد إلى الله إلا أقبل الله بقلوب
العباد إليه هذه خاتمة السورة ومقطعها فكأنه قال بلغ هذا المنزل أو بشر به وأنذر
فإنما أنزلناه بلسانك أي بلغتك وهي اللسان العربي المبين وسهلناه وفصلناه لتبشر
به وتنذر واللد الشداد الخصومة بالباطل الآخذون في كل لديد أي في كل شق من المراء
والجدال لفرط لجاجهم يريد أهل مكة وقوله وكم أهلكنا تخويف لهم وإنذار وقرئ تحس

وفي الحديث إذا بلغ العبد سبعين سنة أحبه أهل السماء

من حسه اذا شعر به ومنه الحواس والمحسوسات وقرأ حنظلة تسمع مضارع اسمعت والركز
الصوت الخفي ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه في الارض والركاز المال المدفون
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة مريم اعطي عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق به ويحيى
ومريم وعيسى وابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب وموسى وهرون وادريس وعشر حسنات بعدد من
دعا الله في الدنيا وبعدد من لم يدع الله **سورة طه مكية وهي مائة واربع آيات**

بسم الله الرحمن الرحيم

ابو عمرو فخم الطاء لاستعلائها وامال الهاء وفخمهما ابن كثير وابن عامر على الاصل
والباقون امالوهما وعن الحسن طه وفسر بانه امر بالوطء وان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم في
تهجده على احدى رجليه فامر بان يطأ الارض بقدميه معا وان الاصل طأ فقلبت همزته
هاء او قلبت في يطأ فيمن قال لاهناك المرتع ثم بني عليه الامر والهاء للسكت
ويجوز ان يكتفي بشطري الاسمين وهما الدالان بلفظهما على المسميين والله اعلم بصحة ما
يقال ان طاها في لغة عك في معنى يا رجل ولعل عكا تصرفوا في يا هذا كانهم في لغتهم
قالبون الياء طاء فقالوا في يا طا واختصروا هذا فاقتصروا على ها واثر الصنعة طاهر لا يخفى
اي كلمة هذا
في البيت المستشهد ان السفاهة طاها في خلايقكم لا قدس الله اخلاق الملاعين
والاقوال الثلثة في الفواتح اعني التي قدمتها في اول الكاشف عن حقايق التنزيل هي التي يعول
الالباء المتقنون **ما انزلنا** ان جعلت طه تعديدا لاسماء الحروف على الوجه السابق
ذكره فهو ابتداء كلام وان جعلتها اسما للسورة احتملت ان تكون خبرا وهي في موضع
المبتداء والقرآن ظاهر اوقع موقع الضمير لانها قرآن وان تكون جوابا لها وهي قسم
وقرئ ما نزل عليك القرآن **لتشقى** لتتعب بفرط تأسفك عليهم وعلى كفرهم وتحرك
على ان يؤمنوا كقوله لعلك باخع نفسك والشقاء يجيء في معنى التعب ومنه المثل
اتعب من رايض مهر واشقى من رايض مهر اي ما عليك الا ان تبلغ وتذكر ولم
يكتب عليك ان يؤمنوا لا محالة بعد ان لم تفرط في اداء الرسالة والموعظة الحسنة
وقيل ان باجهل والنضر بن الحارث قالا له انك شقي لانك تركت دين ابائك فاريد
رد ذلك بان دين الاسلام وهذا القرآن هو السلم الى نيل كل فوز والسبب في درك
كل سعادة وما فيه الكفرة هو الشقاوة بعينها وروي انه عليه السلام صلى بالليل حتى اسمغدت
انتفخت وتورمت

قدماه

قدماه فقال له جبريل ابق على نفسك فان لها عليك حقا اي ما انزلناه لتنهك نفسك بالعبادة
وتذيقها المشقة الفادحة وما بعثت الا بالحنيفية السمحة وكل واحد من لتشقى وتذكرة علة
للفعل الا ان الاول وجب مجيئه مع اللام لانه ليس بفاعل الفعل المعلل ففاتته شريطة
الانتصاب على المفعولية والثاني جاز قطع اللام عنه وانتصابه لاستجماع الشرايط
فان قلت اما يجوز ان يقول ما انزلنا عليك القرآن ان تشقى كقوله ان تحبط اعمالكم
قلت بلى ولكنها نصبة طارية كالنصبة في واختار موسى قومه واما النصبة في تذكرة
فهي كالنصبة التي في ضربت زيدا لانه احد المفاعيل الخمسة التي هي اصول وقوانين لغيرها
فان قلت هل يجوز ان تكون تذكرة بدلا من محل لتشقى قلت لا لاختلاف الجنسين
ولكنها نصب على الاستثناء المنقطع الذي الا فيه بمعنى لكن ويحتمل ان يكون المعنى انا انزلنا
اليك القرآن لتحتمل متاعب التبليغ ومقاولة العتاة من اعداء الاسلام ومقاتلتهم وغير ذلك
من انواع المشاق وتكاليف النبوة وما انزلنا عليك هذا المتعب الشاق الا ليكون تذكرة
حالا ومفعولا له لمن يخشى لمن يؤول امره الى الخشية ولمن يعلم الله منه انه يبدل
بالكفر ايمانا وبالقسوة خشية في نصب تنزيلا وجوه ان يكون بدلا من تذكرة
اذا جعل حالا لا اذا كان مفعولا له لان الشيء لا يعلل بنفسه وان ينصب بنزل مضمرا
وان ينصب بانزلنا لان معنى ما انزلناه الا تذكرة انزلناه تذكرة وان ينصب على
المدح والاختصاص وان ينصب بيخشى مفعولا به اي انزله الله تذكرة لمن يخشى تنزيل
الله وهو معنى حسن واعراب بين وقرئ تنزيل بالرفع على خبر مبتداء محذوف ما
بعد تنزيلا الى قوله له الاسماء الحسنى تعظيم وتفخيم شان المنزل لنسبته الى من هذه افعاله
وصفاته ولا يخلو من ان يكون متعلقه اما تنزيلا نفسه فيقع صلة له واما محذوفا فيقع صفة
له **فان قلت** ما فايدة النقلة من لفظ المتكلم الى لفظ الغايب **قلت** غيره واحدة منها
عادة الافتنان في الكلام وما تعطيه من الحسن والروعة ومنها ان هذه الصفات انما تسردت
مع لفظ الغيبة ومنها انه قال اولا انزلنا ففخم بالاسناد الى ضمير الواحد المطاع ثم ثنى
بالنسبة الى المختص بصفات العظمة والتمجيد فضوعفت الفخامة من طريقين ويجوز ان يكون
انزلنا حكاية لكلام جبريل والملائكة النازلين معه وصف السموات بالعلى دلالة على عظم قدرة
من يخلق مثلها في علوها وبعد مرتقاها قرئ **الرحمن** مجرورا صفة لمن خلق والرفع احسن

وعلى هذا الوجه يجوز ان يكون تذكرة

لانه اما ان يكون رفعا على المدح على تقدير هو الرحمن واما ان يكون مبتدأ مشارا بلامه الى من
خلق فان قلت الجملة التي هي قوله على العرش استوى ما محلها اذا جررت الرحمن او رفعته (يعني لام الرحمن)
على المدح قلت اذا جررت فهي خبر مبتدأ محذوف لا غير وان رفعته جاز ان تكون مع
الرحمن خبرين للمبتدأ لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك مما يردف الملك جعلوه
كناية عن الملك فقالوا استوى فلان على العرش يريدون ملك وان لم يعقد على السرير
البتة قالوه ايضا لشهرته في ذلك المعنى ومساواته ملك في مؤداه وان كان اشرح وابسط
وادل على صورة الامر ونحوه قولك يد فلان مبسوطة ويد فلان مغلولة بمعنى انه جواد و
بخيل لا فرق بين العبارتين الا فيما قلت حتى ان من لم يبسط يده قط بالنوال او من لم
تكن له يد راسا قيل له يده مبسوطة لمساواته عندهم قولهم جواد ومنه قول الله عز وجل
وقالت اليهود يد الله مغلولة اي هو بخيل بل يداه مبسوطتان اي هو جواد من غير تصور
يد ولا غل ولا بسط والتفسير بالنعمة والتمحل للتثنية من ضيق العطن والمسافرة
عن علم البيان مسيرة اعوام ما تحت الثرى ما تحت سبع الارضين عن محمد بن
كعب وعن السدي هو الصخرة التي تحت الارض السابعة اي يعلم ما اسررته الى غيرك
واخفى من ذلك وهو ما اخطرته ببالك او ما اسررته في نفسك واخفى منه وهو ما ستسره
فيها وعن بعضهم ان اخفى فعل اي يعلم اسرار العباد واخفى عنهم ما يعلمه هو كقوله يعلم
ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما وليس بذاك فان قلت كيف طابق الجزاء
الشرط قلت معناه ان تجهر بذكر الله من دعاء او غيره انه غني عن جهرك فاما ان يكون نهيا
عن الجهر كقوله واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول واما تعليما للعباد
ان الجهر ليس لاسماع الله تعالى وانما هو لغرض آخر الحسنى تانيث الاحسن وصفت بها
الاسماء لان حكمها حكم المؤنث كقولك الجماعة الحسنى ومثلها مآرب اخرى ومن آياتنا
الكبرى والذي فضلت به اسماؤه في الحسن ساير الاسماء دلالتها على معاني التقديس
والتمجيد والتعظيم والربوبية والافعال التي هي النهاية في الحسن قفاه بقصة موسى
عليه السلام ليأتسي به في تحمل اعباء النبوة وتكاليف الرسالة والصبر على مقاساة الشدايد
حتى ينال عند الله الفوز والمقام المحمود يجوز ان ينتصب اذ ظرفا للحديث لانه حدث
او لمضمر اي حين راى نارا كان كيت وكيت او مفعولا لاذكر استاذن موسى شعيبا

عليهما السلام

عليهما السلام في الخروج الى امه وخرج باهله فولد له في الطريق ابن في ليلة شاتية مظلمة مثلجة وضل
الطريق وتفرقت ماشيته ولا ماء عنده وقدح فصلد زنده فراى النار عند ذلك قيل
كانت ليلة جمعة امكثوا اقيموا في مكانكم الايناس الابصار البين الذي لا شبهة فيه ومنه انسان
العين لانه يتبين به الشيء والانس لظهورهم كما قيل الجن لاستتارهم وقيل هو ابصار ما
يونس به لما وجد منه الايناس وكان مقطوعا متيقنا حققه لهم بكلمة ان ليوطن انفسهم ولما
كان الاتيان بالقبس ووجود الهدى مترقبين متوقعين بنى الامر فيهما على الرجاء والطمع
وقال لعلي ولم يقطع فيقول اني آتيكم لئلا يعد ما ليس يستيقن الوفاء القبس النار
المقتبسة لما يقتبس فيه من شقفة او نحوها هدى اي قوما يهدونني الطريق او ينفعونني
بهداهم في ابواب الدين عن مجاهد وقتادة وذلك لان افكار الابرار مغمورة بالهمة الدينية
في جميع احوالهم لا يشغلهم عنها شاغل والمعنى ذوي هدى او اذا اذا وجد الهداة فقد وجد
الهدى ومعنى الاستعلاء في على النار ان اهل النار يستعلون المكان القريب منها كما قال
سيبويه في مررت بزيد انه لصوق بمكان يقرب من زيد او لان المصطلين والمستمتعين
اذا تكنفوها قياما وقعودا كانوا مشرفين عليها ومنه قول الاعشى قلت
وبات على النار الندى والمحلق قرا ابو عمرو وابن كثير اني بالفتح اي نودي باني
انا ربك وكسر الباقون اي نودي فقيل يا موسى او لان النداء ضرب من القول فعومل
معاملته تكرير الضمير في اني انا ربك لتوكيد وتحقيق المعرفة واماطة الشبهة روي
انه لما نودي يا موسى قال من المتكلم فقال الله عز وجل انا ربك وان ابليس وسوس
اليه لعلك تسمع كلام شيطان فقال انا عرفت انه كلام الله باني اسمعه من جميع جهاتي
الست واسمعه بجميع اعضائي وروي انه حين انتهى راى شجرة خضراء من اسفلها
الى اعلاها كانها نار بيضاء تتقد ويسمع تسبيح الملائكة ورأى نورا عظيما فخاف وبهت
فالقيت عليه السكينة ثم نودي وكانت الشجرة عوسجة وروي كلما دنا او بعد لم يختلف
ما كان يسمع من الصوت وعن ابن اسحق لما دنا استاخرت عنه فلما راى ذلك رجع واوجس
في نفسه خيفة فلما اراد الرجعة دنت منه ثم كلم قيل امر بخلع النعلين لانهما كانتا من جلد
حمار ميت غير مدبوغ عن السدي وقتادة وقيل ليباشر الوادي بقدميه متبركا به
وقيل لان الخفوة تواضع لله ومن ثمة طاف السلف بالكعبة حافين ومنهم من استعظم دخول
المسجد

بنعليه وكان اذا اندرس منه الدخول منتعلا لتصدق والقرآن يدل على ان ذلك اخرام
للبقعة وتعظيم لها وتشريف لقدسها والكثر منصرف وغير منصرف بتاويل المكان
والبقعة وقيل مرتين نحو ثنى اى نودي ندائين اوقدست الوادي كرة بعد كرة
اخترتك اصطفتك للنبوة وقراء حمزة وانا اخترتك لما يوحى للذي
يوحى او للوحي تعلق اللام باستمع او باخترتك لذكرى لتذكرني فان ذكري
ان اعبد ويصلى لي اولتذكرني فيها لاشتمال الصلوة على الاذكار عن مجاهد
او لاني ذكرتها في الكتب وامرت بها اولان اذكرك بالمدح والثناء واجعلك
لسان صدق او لذكرى خاصة لا يشوبه بذكر غيري اولاخلاص ذكري وطلب
وجهي لا تراءي بها ولا تقصد بها غرضا آخر او لتكون ذاكرا لي غير ناس فعل
المخلصين في جعلهم ذكر ربهم على بال منهم وتوكيل همهم وافكارهم به كما قال
لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله او لاوقات ذكري وهي مواقيت الصلاة كقوله
ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا والام مثلها في قولك جئتك
لوقت كذا وكان ذلك ليست لبال خلون وقوله يا ليتني قدمت لحيوتي وقد
حمل على ذكر الصلوة لعدنيا انها من قوله عليه السلام من نام عن صلوة اونسيها
فليصلها اذا ذكرها وكان حق العبارة ان يقال لذكرها كما قال رسول الله
اذا ذكرها ومن يتحمل له يقول اذا ذكر الصلوة فقد ذكر الله او بقدير حذف
المضاف اى لذكر صلوتي اولان الذكر والنسيان من الله في الحقيقة وقراء
رسول الله صلى الله عليه وسلم للذكرى اى اكاد اخفيها فلا اقول هي آتية
لفرط ارادتي اخفاءها ولولا ما في الاخبار باتيانها مع تعميته وقتها من اللطف
لما اخبرت به وقيل معناه اكاد اخفيها من نفسي ولا دليل في الكلام على هذا المحذوف
ومحذوف لا دليل عليه مطرح والذي غرهم منه ان مصحف ابي اكاد اخفيها من نفسي
وفي بعض المصاحف اكاد اخفيها من نفسي فكيف اظهركم عليها وعن ابي الدرداء وسعيد بن
جبير اخفيها بالفتح من خفاه اذا اظهره اى قرب اظهارها كقوله اقتربت الساعة
وقد جاء في بعض اللغات اخفاه بمعنى خفاه وبه فسرت امرئ القيس

فان تدفنوا الداء لا نخفه ... وان تبعثوا الحرب لا نقعد

فاكاد اخفيها

اى نظهره

يا ليتني قدمت عملا صالحا لايامي حيوتي الآخرة

اراد بالعبارة النطق

محتمل

محتمل للمعنيين لتجزى متعلق بآتية بما تسعى بسعيها اى لا يصدنك عن تصديقها
والضمير للقيامة ويجوز ان يكون للصلوة فان قلت العبارة النهي من لا يؤمن
عن صد موسى والمقصود نهي موسى عن التكذيب بالبعث او امره بالتصديق فكيف
صلحت هذه العبارة لاداء هذين المقصودين قلت فيه وجهان احدهما ان تصد
الكافر عن التصديق بها سبب للتكذيب فذكر السبب ليدل على المسبب والثاني
ان صد الكافر مسبب عن رخاوة الرجل في الدين ولين شكيمته فذكر المسبب
ليدل على السبب كقولهم لا اريتك ها هنا المراد نهيه عن مشاهدته والكون بحضرته
وذلك سبب رؤيته اياه فكان ذكر المسبب دليلا على السبب كانه قيل فكن شديد
الشكيمة صليب المعجم حتى لا يتلوم منك لمن يكفر بالبعث انه يطمع في صدك
عما انت عليه يعني ان من لا يؤمن بالآخرة هم الجم الغفير اذ لا شيء الجم على الكفرة
ولانهم اشد له نكيرا من البعث فلا يهولنك وفور دهمائهم وعظم سوادهم ولا
تجعل الكثرة مذلة قدمك واعلم انهم وان كثروا وتلك الكثرة فقدوتهم فيما هم
فيه هو الهوى واتباعه لا البرهان وتدبره وفي هذا حث عظيم على العمل بالدليل
وزجر بليغ عن التقليد وانذار بان الهلاك والردى مع التقليد واهله تلك
بيمينك كقوله تعالى وهذا بعلي شيخا في انتصاب الحال بمعنى الاشارة ويجوز ان تكون
تلك اسما موصولا اصلت بيمينك ما سألته ليريه عظم ما يتحرعه عزة وعلا في الخشبة
اليابسة من قلبها حية تنضاضة وليقرر في نفسه المباينة البعيدة بين
المقلوب عنه والمقلوب اليه وينبهه على قدرته الباهرة ونظيره ان يريك الذراع
زبرقا من حديد ويقول لك هي تلك الزبرقة جيئتها الى ما ترى من عجيب
الصنعة وانيق السرد قراء ابن ابي اسحق عصى على لغة هذيل ومثله ابت يدي
اراد واكرما قبل ياء المتكلم فلم يقدروا عليه فقلبوا الالف الى اخت الكسرة
وقراء الحسن عصاي بكسر الياء لالتقاء الساكنين وهو مثل قراءة حمزة
بمصرخي وعن ابن ابي اسحق سكون الياء اتوكاء عليها اعتمد عليها اذا اعييت
او وقفت على راس القطيع وعند الطوفة هش الورق خبطه اى اخبطه على رؤس
غنمي ماكله وعن لقمان بن عاد اكلت حقا وابن لبون وجذع ومشت نجب وسيلا

من علم العود اذا غصته بسنه

عن الجوان تسع الغدير والبحار والقصة الكثيرة والجماعة

ان تكذبه الحدب

كان سعدي يكفيك وفحا بن ذكر بعضهم

والحمد لله من غير شبع سمعته من غير واحد من العرب ونجب واد كثير السدر قريب
من الطايف وفي قراة النخعي اهش وكلاهما من هش الخبز يهش اذا كان يتكسر لهشاشته
وعن عكرمة اهس بالسين اي انخي عليها ازجرها والهس زجر الغنم ذكر على التفصيل
والاجمال المنافع المتعلقة بالعصا كانه احسنها يعقب هذا السؤال من امير
عظيم يحدثه الله تعالى فقال ما هي الا عصاي لا تنفع الا منافع بنات جنسها وكما تنفع العبد ان
ليكون جوابه مطابقا للغرض الذي فهمه من نحوى كلام ربه ويجوز ان يريد عز وجل
ان يعدد المرافق الكثيرة التي علقها بالعصا ويستكثرها ويعظمها ثم يريه على
عقب ذلك الاية العظيمة كانه يقول له ان انت على من المنفعة العظيم والمأربة
الكثيرة المتية عبدها كل منفعة ومأربة كنت تعتد بها وتحتفل بانها وقالوا
انما سأله ليبسط منه ويقلل هيبته وقالوا انما اجمل موسى ليسأله عن تلك المآرب
فيزيد في اكرامه وقالوا انقطع لسانه بالهيبة فاجمل وقالوا اسم العصا ينعت
وقيل في المآرب كانت ذات شعبتين ومحجن فاذا طال الغصن حناه
بالمحجن فاذا طلب كره لواه بالشعبتين واذا اراد القاها على عاتقه فعلق بها
ادواته من القوس والكنانة والجلاب وغيرها واذا كان في البرية ركزها وعرض
الزندين عاشعبتيها والقى عليها الكساء واستظل واذا قصر رشاء وصله بها
وكان يقاتل بها السباع عن غنمه وقيل كان فيها من المعجزات انه كان يستقي بها
فتطول بطول البير وتصير شعبتاها دلوا وتكونان شمعتين بالليل واذا ظهر
عدو حاربت عنه واذا اشتهى ثمرة ركزها فاورقت واثمرت وكان يحمل
عليها زاده وسقاءه فجعلت تماشيه ويركزها فينبع الماء فاذا رفع نضب
وكانت تقيه الهوام السعي المشي برعة وخفة خركة فان قلت كيف
ذكرت بالفاظ مختلفة بالحية والجان والثعبان قلت اما الحية فاسم جنس
يقع على الذكر والانثى والصغير والكبير واما الثعبان والجان فبينهما تناف لان الثعبان
العظيم من الحيات والجان الدقيق وفي ذلك وجهان احدهما انها كانت وقت
انقلابها حية تنقلب حية صفراء دقيقة ثم تتورم وتنتابد جدا حتى تصير
ثعبانا فاريد بالجان اول حالها وفي الثعبان مآلها والثاني انها كانت في شخص

الثعبان وسرعة حركة الجان والدليل عليه قوله فلما رآها تهتز كانها جان وقيل كان لها عرف
كعرف الفرس وقيل كان بين لحييها اربعون ذراعا لما راى ذلك الامر العجيب الهائل ملكه
من الفزع والنفار ما يملك البشر عند الاهوال والمخاوف وعن ابن عباس انقلب ثعبانا
ذكرا يبتلع الصخر والشجر فلما راه يبتلع كل شيء خاف وفر وعن بعضهم انما خافها لانه
علم ما لقي آدم منها وقيل لما قال له ربه لا تخف بلغ من ذهاب خوفه وطمانينته
ان ادخل يده في فمها واخذ بلحييها البيرة من البير كالركبة من الركوب
يقال سار فلان سيرة حسنة ثم اتسع فيها فنقلت الى معنى المذهب والطريقة وقيل
سيرة الاولين فيجوز ان ينتصب على الظرف اي سنعيدها في طريقتها الاولى اي في حال
ما كانت عصا وان يكون اعادة منقولا من عاده بمعنى عاد اليه ومنه بيت زهير
وعاد كان تلاقيها عداؤه فيتعدى الى مفعولين ووجه ثالث حسن وهو ان يكون
سنعيدها منتقلا بنفسه غير متعلق بسيرتها بمعنى انها انشئت اول ما انشئت
عصا ثم ذهبت وبطلت بالقلب حية فسنعيدها بعد الذهاب كما كانت اولا ونصب سيرتها بفعل مضمر اي تسير سيرتها الاولى يعني سنعيدها سايرة
سيرتها الاولى حيث كنت تتوكاء عليها وتكف فيها المآرب التي عرفتها
قيل لكل ناحيتين جناحان كجناحي العسكر والجنبتين وجناحا الانسان لجنباه
والاصل المستعار منه جناحا الطير سميا جناحين لانه يجنحها عند الطيران
والمراد الى جنبك تحت العضد دل على ذلك قوله تخرج السوء الداهة والقبح وكل
شيء فكني به عن البرص كما كني عن العورة بالسوءة وكان خذية صاحب الزبا ابرص
فكنوا عنه بالابرش والبرص ابغض شيء الى العرب وبهم عنه نفرة عظيمة واسماعهم
لاسمه مجاجة وكان جديرا بان يكنى عنه ولا تري احسن ولا الطف ولا احذر
للمفاصل من كنايات القرآن وآدابه يدوي انه كان آدم فاخرج يده من مدرعته
بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس تغشى البصر بيضاء اي اسمع وآية حالا ان معا
ومن غير سوء من صلة البياض كما تقول ابيضت من غير سوء وفي نصب آية وجه
آخر وهو ان يكون باضمار نحو خذ ودونك وما اشبه ذلك حذف لدلالة الكلام
وقد تعلق بهذا المحذوف لنريك اي خذ من الآية ايضا بعد قلب العصا حية

لنريك بهاتين الآيتين بعض آياتنا الكبرى او لنريك بهما الكبرى من آياتنا او لنريك
من آياتنا الكبرى فعلنا ذلك لما امره بالذهاب الى فرعون الطاغي لعنه الله عرف
انه كلف امرا عظيما وخطبا جسيما يحتاج معه الى احتمال ما لا يحتمله الا ذو جاش رابط وصدر
فسيح فاستوهب ربه ان يشرح صدره ويفسح قلبه ويجعله حليما حمولا يستقبل
ما عسى يرد عليه من الشدايد التي يذهب معها صبر الصابر بجميل الصبر وحسن
الثبات وان يسهل عليه في الجملة امره الذي هو خلافة الله تعالى في ارضه وما
يصحبها من مزاولة معاظم الشؤون ومقاساة جلايل الخطوب **فان قلت** لي
في قوله اشرح لي صدري ويسر لي امري ما جدواه والكلام بدونه مستتب **قلت** قد
ابهم الكلام اولا فقيل اشرح لي ويسر لي فعلم ان ثم مشروحا وميسرا ثم بين ورفع الابهام
بذكرهما فكان اكد لطلب الشرح والتيسير لصدره وامره من ان يقول اشرح صدري
ويسر امري على الايضاح الساذج لانه تكرير للمعنى الواحد من طريقي الاجمال والتفصيل
عن ابن عباس كان في لسانه رتة لما روي من حديث الجمرة ويروى ان يده
وان فرعون اجتهد في علاجها فلم تبرأ ولما دعاه قال الى اي رب تدعوني قال
الى الذي ابرأ يدي وقد عجزت عنها وعن بعضهم انما لم تبرأ يده لئلا يدخلها
مع فرعون في قصعة واحدة فتنعقد بينهما حرمة المواكلة واختلف في زوال
العقدة بكمالها فقيل بقي بعضها لقوله واخي هارون هو افصح مني لسانا وقوله ولا يكاد
يبين وكان في لسان الحسين بن علي رضي الله عنهما رتة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ورثها من عمه موسى وقيل زالت لقوله قد اوتيت سؤلك وفي تنكير العقدة وان لم يقل
واحلل عقدة لساني انه طلب حل بعضها ارادة ان يفهم عنه فهما جيدا ولم يطلب
الفصاحة الكاملة ومن لساني صفة للعقدة كانه قيل عقدة من عقدة لساني
الوزير من الوزر لانه يتحمل عن الملك اوزاره ومؤنه او من الوزر لان الملك يعتصم
برايه ويلجئ اليه اموره او من المؤازرة وهي المعاونة عن الاصمعي قال وكان القياس
ازير فقلبت الهمزة الى الواو ووجه قلبها ان فعيلا جاء في معنى مفاعل مجيئا صالحا
كقولهم عشير وجليس وقعيد وخليل وصديق ونديم فلما قلبت في اخيه قلبت
فيه وحمل الشيء على نظيره ليس بعزيز ونظرا الى يوازر واخواته والى الموازرة وزيرا وهارون

اي في الازير

مفعولا اجعل قدم ثانيهما على اولهما عناية بامر الوزارة او لي وزيرا مفعولاه
وهارون عطف بيان للوزير واخي في الوجهين بدل من هارون وان جعل عطف
بيان آخر جاز وحسن قرأوا جميعا اشدد واشركه على الدعاء وابن عامر
وحده اشدد واشركه على الجواب وفي مصحف ابن مسعود اخي واشدد وعن ابي
بن كعب اشركه في امري واشدد به ازري ويجوز فيمن قرأ على لفظ الامر ان
يجعل اخي مرفوعا على الابتداء واشدد به خبره ويوقف على هارون الازر القوة
وآزر قواه اي اجعله شريكي في الرسالة حتى نتعاون على عبادتك وذكرك
فان التعاون لانه مهيج الرغبات يتزايد به الخير ويتكاثر انك كنت بنا بصيرا
اي عالما باحوالنا وبان التعاضد مما يصلحنا وان هارون نعم المعين و
والشاد لعضدي بانه اكبر مني سنا وافصح مني لسانا السؤال الطلبة فعل
بمعنى مفعول كقولك خبز بمعنى مخبوز واكل بمعنى ماكول الوحي الى ام موسى
اما ان يكون على لسان نبي في وقتها كقوله كقوله واذ اوحيت الى الحواريين او يبعث
اليها ملكا لا على وجه النبوة كما الى مريم او يريها ذلك في المنام فتشتبه عليه
او يلهمها كقوله واوحى ربك الى النحل اي اوحينا اليها امرا لا سبيل الى التوصل
اليه ولا الى العلم به الا بالوحي وفيه مصلحة دينية فوجب ان يوحى ولا يخل
به اي هو مما يوحى لا محالة وهو امر عظيم مثله يحق بان يوحى ان هي المفسرة
لان الوحي بمعنى القول القذف مستعمل في معنى الالقاء والوضع ومنه قوله
تعالى وقذف في قلوبهم الرعب وكذلك الرمي وقال غلام رماه الله بالحسن
يافعا اي حصل فيه الحسن ووضعه فيه والضماير كلها راجعة الى موسى
ورجوع بعضها اليه وبعضها الى التابوت فيه هجنة لما يؤدي اليه
من تنافر النظم **فان قلت** المقذوف في البحر هو التابوت وكذلك الملقى الى
الساحل **قلت** ما ضرك لو قلت المقذوف والملقى هو موسى في جوف
التابوت حتى لا تفرق الضماير فيتنافر عليك النظم الذي هو ام اعجاز القرآن
والقانون الذي وقع عليه التحدي ومراعاته اهم ما يجب على المفسر لما كانت
مشية الله وارادته ان لا تخطي جرية ماء اليم الوصول به الى الساحل و

والقاءه اليه سلك في ذلك سبيل المجاز وجعل اليم كانه ذو تمييز امر بذلك
ليطيع الامر ويمتثل رسمه فقيل فليلقه اليم بالساحل روي انها
جعلت في التابوت قطنا محلوجا فوضعته فيه وجصصته وقيرته ثم القته
في اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر كبير فبينا هو جالس على راس بركة
مع آسية اذا بالتابوت فامر به فاخرج ففتح فاذا صبي اصبح الناس وجها فاحبه
عدو الله حبا شديدا لا يتمالك ان يصبر عنه وظاهر اللفظ على ان البحر القاه بساحله
وهو شاطئه لان الماء يسلحله اي يقشره وقذف به ثم فالتقط من الساحل الا ان يكون
قد القاه اليم بموضع من الساحل فيه فوهة نهر فرعون ثم اداه النهر الى حيث البركة
مني لا يخلو اما ان يتعلق بالقيت فيكون المعنى على اني احببتك ومن احبه الله احبته
القلوب او يتعلق بمحذوف هو صفة لمحبة اي محبة حاصلة او واقعة مني قد ركزتها
انا في القلوب وزرعتها فيها فلذلك احبك فرعون وكل من ابصرك يروي انه
انه كانت على وجهه مسحة جمال وفي عينيه ملاحة لا يكاد يصبر عنه من رآه على عيني
لتربى ويحسن اليك وانا مراعيك وراقبك كما يراعي الرجل الشيء بعينيه اذا اعتنى
به وتقول للصانع اصنع هذا على عيني انظر اليك لئلا تخالف عن مرادي وبغيتي
ولتصنع معطوف على علة مضمرة مثل ليتعطف عليك وتراءم ونحوه او حذف معلله
اي ولتصنع فعلت ذلك وقرئ ولتصنع ولتصنع بكسر اللام وسكونها والجزم على انه
امر وقرئ ولتصنع بفتح التاء والنصب اي وليكون عملك وتصرفك على عين مني
العامل في اذ تمشي القيت او تصنع ويجوز ان يكون بدلا من اذ اوحينا فان قلت
كيف يصح البدل والوقتان مختلفان متباعدان قلت كما يصح وان اتسع
الوقت وتباعد طرفاه ان يقول لك الرجل لقيت فلانا سنة كذا فتقول وانا لقيته
اذ ذاك وربما لقيته في اولها وانت في آخرها يروى ان اخته واسمها مريم متعرفة
خبره فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها وذلك انه كان لا يقبل ثدي امراة
فقالت هل ادلكم فجاءت باللام فقبل ثديها ويروى ان آسية استوهبته من فرعون
وتبنته وهي التي اشفقت عليه وطلبت له المراضع هي نفس القبطي الذي استغاثه
عليه الاسرائيلي قتله وهو ابن ثنتي عشرة سنة اغتم بسبب القتل خوفا من عقاب الله

ومن

ومن اقتصاص فرعون فغفر له الله باستغفاره حين قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي ونجاه
من فرعون ان ينشب فيه اظفاره حين هاجر به الى مدين فتونا يجوز ان يكون مصدرا
على فعول في المتعدي كالثبور والشكور والكفور وجمع فتن او فتنة على ترك الاعتداد
بتاء التانيث كحجور وبدور في حجزة وبدرة اي فتناك ضروبا من الفتن سال
سعيد بن جبير ابن عباس رض فقال من محنة خلصناك بعد محنة ولد في عام
كان يقتل فيه الولدان يا ابن جبير فهذه فتنة والقته امه في البحر وهم فرعون
بقتله وقتل قبطيا وآجر نفسه عشر سنين وضل الطريق وتفرقت غنمه في ليلة
مظلمة وكان يقول عند كل واحدة فهذه فتنة يا ابن جبير والفتنة المحنة وكل
ما يشق على الانسان وكل ما يبتلي الله به عباده فتنة قال ونبلوكم بالشر والخير فتنة
مدين على ثمان مراحل من مصر وعن وهب انه لبث عند شعيب ثمانيا وعشرين
سنة منها مهر ابنته وقضى اوفى الاجلين اي سبق في قضائي وقدري ان اكلمك
واستنبئك في وقت بعينه قد وقته لذلك فما جئت الا على ذلك القدر غير مستقدم
ولا مستاخر وقيل على مقدار من الزمان يوحى فيه الى الانبياء وهو راس اربعين سنة
هذا تمثيل لما خوله من منزلة التقريب والتكريم والتكليم مثل حاله بحال من يراه بعض
الملوك لجوامع خصال فيه وخصايص اهلا ليكون اقرب منزلة منه اليه ولا الطف محلا
فيصطنعه بالكرامة والاثرة ويستخلصه لنفسه ولا يبصر ولا يسمع الا بعينيه واذنه
ولا يأتمن على مكنون سره الا سواء ضميره الوفي الفتور والتقصير وقرئ تنسيا
بكسر حرف المضارعة للاتباع اي لا تنسياني ولا ازل منكما على ذكر حيثما تقلبتما واتخذا
ذكري جناحا تطيران به مستمدين بذلك العون والتاييد مني معتقدين ان امرا من
الامور لا يتمشى لاحد الا بذكري ويجوز ان يريد بالذكر تبليغ الرسالة فان الذكر يقع على
ساير العبادات وتبليغ الرسالة من اجلها واعظمها فكان جديرا بان يطلق عليه اسم الذكر
روي ان الله تعالى اوحى الى هارون وهو بمصر ان يتلقى بموسى وقيل سمع بمقبله وقيل
الهم ذلك قرئ لينا بالتخفيف والقول اللين نحو قوله تعالى هل لك الى ان تزكى واهديك
الى ربك فتخشى لان ظاهره الاستفهام والمشورة وعرض ما فيه الفوز العظيم عداه شبابا
لا يهرم بعده وملكا لا ينزع منه الا بالموت وان تبقى له لذة المطعم والمشرب والمنكح الى حين
موته

وقيل لا تجهاه بما يكره والطفا له في القول لما له من حق تربية موسى ولما ثبت له من حق
الابوة وقيل كنياه وهو من ذوي الكنى الثلث ابو العباس وابو الوليد وابو مرة
والترجي لهما اي اذهبا على رجائكما وطمعكما وباشرا الامر مباشرة من يرجو ويطمع
ان يثمر عمله ولا يخيب سعيه فهو يجتهد بطوقه ويحتشد باقصى وسعه وجدوى
ارسالهما اليه مع العلم بانه لن يؤمن الزام الحجة وقطع المعذرة ولو انا اهلكناهم بعذاب
من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك اي نتذكر ونتأمل فيبذل
النصفة من نفسه والاذعان للحق او يخشى ان يكون الامر كما تصفان فيحرزه اتكالاه
الى الهلكة فرط سبق وتقدم ومنه الفارط الذي يتقدم الواردة وفرس فرط يسبق الخيل
اي نخاف ان يعجل علينا بالعقوبة ويبادرنا بها وقرئ يفرط من افرطه غيره اذا حمله
على العجلة خافا ان يحمله حامل على المعاجلة بالعقاب من شيطان او من جبروته واستكباره
وادعائه الربوبية او من حبه الرياسة او من قومه القبط المتمردين الذي حكى عنهم رب
العزة قال الملأ من قومه وقرئ يفرط من الافراط في الاذية اي نخاف ان يحول بيننا وبين
تبليغ الرسالة بالمعاجلة او يجاوز الحد في معاقبتنا ان لم يعاجل بنا على ما عرفا وجريا من شرارته
وعتوه او ان يطغى بالتخطي الى ان يقول فيك ما لا ينبغي لجرأته عليك وقسوة قلبه
وفي المجيء به هكذا على الاطلاق وعلى سبيل الرمز باب من حسن الادب وتحاش عن
التفوه بالعظيمة معكما اي حافظكما وناصركما اسمع وارى ما يجري بينكما وبينه من قول
وفعل فافعل ما يوجبه حفظي ونصرتي لكما فجائز ان يقدر اقوالكم وافعالكم وجائز
ان لا يقدر شيء وكأنه قيل انا حافظ لكما وناصر سامع مبصر واذا كان الحافظ والناصر
كذلك تم الحفظ وصحت النصرة وذهبت المبالاة بالعدو كانت بنو اسرائيل في ملكة
فرعون والقبط يعذبونهم بتكليف الاعمال الصعبة من الحفر والبناء ونقل الحجارة
والسخرة في كل شيء مع قتل الولدان واستخدام النساء **قد جئناك بآية من ربك** جملة
جارية من الجملة الاولى وهي انا رسولا ربك مجرى البيان والتفسير لان دعوى الرسالة
لا تثبت الا ببينتها التي هي المجيء بالآية انما وحد قوله بآية ولم يثن ومعه آيتان لان المراد في هذا
الموضع تثبيت الدعوى ببرهانها فكأنه قال قد جئناك بمعجزة وبرهان وحجة على ما
ادعيناه من الرسالة وكذلك قد جئتكم ببينة من ربكم فأت بآية اي كنت من الصادقين

اولو

اولو جئتك بشيء مبين يريد وسلام الملائكة الذين هم خزنة الجنة على المهتدين وتوبيخ
خزنة النار والعذاب على المكذبين خاطب الاثنين ووجه النداء الى احدهما وهو موسى
لانه الاصل في النبوة وهرون وزيره وتابعه ويحتمل ان يحمله خبثه ودعاء ربه على استدعاء
كلام موسى دون كلام اخيه لما عرف من فصاحة هارون والرتة التي في لسان موسى ويدل
عليه قوله ام انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين خلقه اول مفعولي اعطى
اي اعطى خليقته كل شيء يحتاجون اليه ويرتفقون به او ثانيهما اي اعطى كل شيء صورته
وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به كما اعطى العين الهيئة التي تطابق الابصار
والاذن الشكل الذي يوافق الاستماع وكذلك الانف واليد والرجل واللسان كل واحد
منها مطابق لما علق به من المنفعة غير ناب عنه او اعطى كل حيوان نظيره في الخلق
والصورة حيث جعل الحصان والحجر زوجين والبعير والناقة والرجل والمرأة فلم
يزاوج منهما شيء غير جنسه وما هو على خلاف خلقه وقرئ خلقه صفة للمضاف
او للمضاف اليه اي كل شيء خلقه الله لم يخله من عطائه وانعامه ثم هدى اي عرف
كيف يرتفق بما اعطى وكيف يتوصل اليه ولله در هذا الجواب ما احضره وما اجمعه
وما ابينه لما القى الذهن ونظر بعين الانصاف وكان طالبا للحق سأله عن
حال من تقدم وخلا من القرون وعن شقاء من شقي منهم وسعادة من سعد فاجابه
بان هذا سؤال عن الغيب وقد استأثر الله لا يعلمه الا هو وما انا الا عبد مثلك لا
اعلم منه الا ما اخبرني به علام الغيوب وعلم احوال القرون مكتوب عند الله
في اللوح المحفوظ لا يجوز ان يخطئ شيئا او ينساه يقال ضللت الشيء اذا اخطأته
في مكانه فلم تهتد له كقولك ضللت الطريق والمنزل وقرئ يضل من اضله اذا
ضيعه وعن ابن عباس رض لا يترك من كفر به حتى ينتقم منه ولا يترك من وحده حتى يجازيه
ويجوز ان يكون فرعون قد نازعه في احاطة الله بكل شيء وتبينه لكل معلوم فتعنت وقال
ما تقول في سوالف القرون وتمادي كثرتهم وتباعد اطراف عددهم كيف احاط بهم وباخر
وباجزائهم وجواهرهم فاجاب بان كل كائن محيط به علمه وهو مثبت عنده في كتاب
ولا يجوز عليه الخطاء والنسيان كما يجوز ان عليك ايها العبد الذليل والبشر
الضئيل اي لا يضل كما تضل انت ولا ينسى كما تنسى انت يا مدعي الربوبية بالجهل
والوقاحة

الذي جعل مرفوع صفة لربي او خبر مبتداء محذوف او منصوب على المدح وهذا من مظانه
ومجازه مهدا قراءة او يتمهدونها فهي لهم كالمهد وهو ما يمهد للصبي سلك
من قوله تعالى ما سلككم في سقر كذلك سلكناه نسلكه في قلوب المجرمين اي
حصل لكم فيها سبلا ووسطها بين الجبال والاودية والبراري فاخرجنا
انتقل من لفظ الغيبة الى لفظ المتكلم المطاع لما ذكرت من الافتتان والايذان بانه مطاع
تنقاد الاشياء المختلفة لامره وتذعن الاجناس المتفاوتة لمشيته لا يمتنع شي على ارادته
ومثله قوله تعالى وهو الذي انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شي الم تر ان الله انزل
من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها ام من خلق السموات والارض وانزل
لكم من السماء ماء فانبتنا به حدايق وفيه تخصيص ايضا بانا نحن نقدر على مثل هذا ولا يدخل
تحت قدرة احد ازواجا اصنافا سميت بذلك لانها مزدوجة مقترنة بعضها مع بعض
شتى صفة للازواج جمع شتيت كمريض ومرضى ويجوز ان يكون صفة للنبات والنبات
مصدر سمي به النابت كما سمي بالنبت فاستوى فيه الواحد والجمع يعني انها شتى مختلفة النفع
والطعم واللون والرايحة والشكل بعضها يصلح للناس وبعضها للبهايم قالوا من نعمته
عز وعلا ان ارزاق العباد انما تحصل بعمل الانعام وقد جعل الله علفها مما يفضل عن حاجتهم
ولا يقدرون على اكله اي قايلين كلوا وارعوا حال من الضمير في فاخرجنا المعنى اخرجنا
اصناف النبات آذنين في الانتفاع بها مبيحين ان ياكلوا بعضها ويعلفوا بعضها
اراد بخلقهم من الارض خلق اصلهم وهو آدم عليه السلام منها وقيل ان الملك لينطلق
فياخذ من تربة المكان الذي يدفن فيه فيبددها على النطفة فيخلق من التراب والنطفة
معا واراد باخراجهم منها انه يولف اجزاءهم المتفرقة المختلطة بالتراب ويردهم كما كانوا
احياء ويخرجهم الى المحشر يوم يخرجون من الاجداث سراعا عدد الله عليهم ما علق بالارض
من مرافقهم حيث جعلها لهم فراشا ومهادا يتقلبون عليها وسوى لهم فيها مسالك
يترددون فيها كيف شاؤا وانبت فيها اصناف النبات التي منها اقواتهم وعلوفات
بهايمهم وهي اصلهم الذي منه تفرعوا وامهم التي منها ولدوا ثم هي كفاتهم اذا ماتوا ومن ثم
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تمسحوا بالارض فانها بكم برة ارينا ضمامهم بصرناه او عرفناه
صحتها ويقناه بها وانما كذب لظلمه كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا

وقوله لقد علمت ما انزل هولاء الا رب السموات والارض بصاير وفي قوله آياتنا كلها وجهان
احدهما ان يحذى بهذا التعريف الاضافي حذو التعريف باللام لو قيل الآيات كلها اعني انها
كانت لا تعطي الا تعريف العهد والاشارة الى الآيات المعلومة التي هي تسع الآيات المختصة
بموسى عليه الصلاة والسلام العصا واليد وفلق البحر والحجر والجراد والقمل والضفادع
والدم ونتق الجبل والثاني ان يكون موسى قد اراه آياته وعدد عليه ما اوتيه غيره من الانبياء
من آياتهم ومعجزاتهم وهي نبي صادق لا فرق بين ما يخبر عنه وبين ما يشاهد به فكذبها
بها جميعا وابى ان يقبل شيئا منها وقيل فكذب الآيات وابى قبول الحق يلوح من حسب قوله
قوله اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك ان فرايصه كانت ترعد خوفا مما جاء به
موسى عليه السلام لعلمه وايقانه انه على الحق وان المحق لو اراد قود الجبال لانقادت له وان
مثله لا يخذل ولا يقل ناصره وانه غالبه على ملكه لا محالة وقوله بسحرك تعلل وتحير
والا فكيف يخفى عليه ان ساحرا لا يقدر ان يخرج ملكا مثله من ارضه ويغلبه على ملكه
بالسحر لا يخلو الموعد في قوله اجعل بيننا وبينك موعدا من ان يجعل زمانا او مكانا او
مصدرا فان جعلته زمانا نظرا في ان قوله موعدكم يوم الزينة مطابق له لزمك شيئان
ان تجعل الزمان مخلفا وان يفضل عليك ناصب مكانا وان جعلته مكانا لقوله
مكانا سوى لزمك ايضا ان توقع الاخلاف على المكان وان لا يطابق قوله موعدكم يوم
الزينة وقراءة الحسن غير مطابقة له مكانا وزمانا جميعا لانه قرا يوم الزينة
بالنصب فبقي ان يجعل مصدرا بمعنى الوعد ويقدر مضاف محذوف اي مكان موعد
ويجعل الضمير في يخلفه للموعد ومكانا بدل من المكان المحذوف فان قلت
فكيف طابقه قوله موعدكم يوم الزينة ولا بد من ان تجعله زمانا والسؤال واقع
عن المكان لا عن الزمان قلت هو مطابق معنى وان لم يطابق لفظا لانه لا بد لهم من ان
يجتمعوا يوم الزينة في مكان بعينه مشتهر باجتماعهم فيه في ذلك اليوم فبذكر الزمان علم
المكان واما قراءة الحسن فالموعد فيها مصدر لا غير والمعنى انجاز وعدكم يوم الزينة
وطباق هذا ايضا من طريق المعنى ويجوز ان يقدر مضاف محذوف ويكون المعنى اجعل
بيننا وبينك وعدا لا يخلفه فان قلت فبم ينتصب مكانا قلت بالمصدر او بفعل يدل
عليه المصدر فان قلت فكيف يطابقه الجواب قلت اما على قراءة الحسن فظاهر

واما على قراة العامة فعلى تقدير وعدكم وعد يوم الزينة ويجوز على قراة الحسن ان يكون موعدكم
مبتدا بمعنى الوقت وضحى خبره على نية التعريف فيه لانه ضحى ذلك اليوم بعينه وقيل في يوم
الزينة يوم عاشورا ويوم النيروز ويوم عيد كان لهم في كل عام ويوم كانوا يتخذون فيه
سوقا ويتزينون ذلك اليوم قرئ نخلفه بالرفع على الوصف للموعد وبالجزم على جواب الامر
وقرئ سوى وسوى بالكسر والضم ومنونا وغير منون ومعناه منصفا بيننا وبينك عن مجاهد
وهو من الاستواء لان المسافة من الوسط الى الطرفين مستوية لا تفاوت فيها ومن لم ينون
فوجهه ان يجري الوصل مجرى الوقف قرئ وان تحشر الناس بالتاء والياء يريد
وان تحشر يا فرعون وان يحشر اليوم ويجوز ان يكون فيه ضمير فرعون ذكره بلفظ الغيبة
اما على العادة التي يخاطب بها الملوك او خاطب القوم بقوله موعدكم وجعل يحشر لفرعون
ومحل ان يحشر الرفع او الجر عطفا على اليوم او الزينة وانما واعدهم ذلك اليوم ليكون
علو كلمة الله وظهور دينه وكبت الكافر وزهوق الباطل على رؤس الاشهاد وفي المجمع
كبت فلان اي صرعه على وجهه
الغاص لتقوى رغبة من رغب في اتباع الحق ويكل حد المبطلين واشياعهم ويكثر المحدث
بذلك العلم في كل بدو وحضر ويشيع في جميع اهل الوبر والمدر لا تفتروا على الله كذبا
اي لا تدعوا آياته ومعجزاته سحرا قرئ فيسحتكم والسحت لغة اهل الحجاز والاسحات لغة
اهل نجد وبني تميم ومنه قول الفرزدق الا مسحتا او مجلف في بيت لا تزال الركب تصطك
في تسوية اعرابه عن ابن عباس رض ان نجواهم بان غلبنا موسى اتبعناه وعن قتادة ان كان
ساحرا فسنغلبه وان كان من السماء فله امر وعن وهب لما قال ويلكم الآية قالوا ما هذا
بقول ساحر والظاهر انهم تشاوروا في السر وتجاذبوا اهداب القول ثم قالوا ان هذان يريدان
لساحران فكانت نجواهم في تلفيق هذا الكلام وترويزه خوفا من غلبتهما وتثبيطا للناس
عن اتباعهما قرا ابو عمرو ان هذين لساحران على الجهة الظاهرة المكشوفة وابن كثير وحفص
ان هذان لساحران على قولك ان زيد لمنطلق واللام هي الفارقة بين ان النافية والمخففة من
الثقيلة وقرا ابي ان ذان الا ساحران وابن مسعود ان هذان ساحران بفتح ان وبغير لام
بدل من النجوى وقيل في القراة المشهورة ان هذان لساحران هي لغة بلحرث بن كعب
جعلوا الاسم المثنى نحو الاسماء التي آخرها الف كعصا وسعدى فلم يقلبوها ياء في الجر والنصب
وقال بعضهم ان بمعنى نعم وساحران خبر مبتدا محذوف واللام داخلة على الجملة تقديره

لهما ساحران وقد اعجب به ابو اسحق سموا مذهبهم طريقة المثلى والسنة الفضلى وكل حزب
بما لديهم فرحون وقيل ارادوا اهل طريقتهم المثلى وهم بنو اسرئيل لقول موسى ارسل معنا
بني اسرئيل وقيل الطريقة اسم لوجوه الناس واشرافهم الذين هم قدوة لغيرهم يقال هم طريقة
قومهم ويقال للواحد ايضا هو طريقة قومه فاجمعوا كيدكم اي ازمعوه واجعلوه مجمعا عليه
اي قدوتكم
الازماع الاجماع بالقلب
حتى لا تختلفوه ولا يتخلف عنه واحد منكم كالمسئلة المجمع عليها امروا بان ياتوا صفا لانه اهيب
في صدور الرائين وروي انهم كانوا سبعين الفا مع كل واحد منهم حبل وعصا وقد اقبلوا
اقبالة واحدة وعن ابي عبيدة انه فسر الصف بالمصلى لان الناس يجتمعون فيه لعيدهم و
صلوتهم مصطفين ووجه صحته ان يقع علما لمصلى بعينه فامروا بان ياتوه او يراد
ايتوا مصلى من المصليات وقد افلح اليوم من استعلى اعتراض يعني وقد فاز من غلب
ان مع ما بعده اما منصوب بفعل مضمر او مرفوع بانه خبر مبتدا محذوف معناه اختر
احد الامرين او الامر القاؤك او القاؤنا وهذا التخيير منهم استعمال ادب حسن معه و
تواضع له وخفض جناح وتنبيه على اعطائهم النصفة من انفسهم وكان الله عز وعلا
ذلك وعلم موسى عليه السلام اختيار القائهم اولا مع ما فيه من مقابلة ادب بادب
حتى يبرزوا ما معهم من مكايد السحر ويستنفدوا اقصى طوقهم ومجهودهم فاذا فعلوا
اظهر الله سلطانه وقذف بالحق على الباطل فدمغه وسلط المعجزة على السحر فمحقته و
كانت آية نيرة للناظرين وعبرة بينة للمعتبرين يقال في اذا هذه اذا المفاجاة
والتحقيق فيها انها اذا الكائنة بمعنى الوقت الطالبة ناصبا لها وجملة تضاف اليها
خصت في بعض المواضع بان يكون ناصبها فعلا مخصوصا وهو فعل المفاجاة والجملة
ابتدائية لا غير فتقدير قوله تعالى فاذا حبالهم وعصيهم ففاجا موسى وقت تخييل
سعي حبالهم وعصيهم وهذا تمثيل والمعنى على مفاجاته حبالهم وعصيهم مخيلة اليه
السعي وقرئ عصيهم بالضم وهو الاصل والكسر اتباع ونحوه دلي ودلي وقسي وقسي
وقرئ تخيل على اسناده الى ضمير الحبال والعصي وابدال قوله انها تسعى من الضمير بدل
الاشتمال كقولك اعجبني زيد كرمه وتخيل على كون الحبال والعصي مخيلة سعيها وتخيل
بمعنى تتخيل وطريقه طريق تخيل وتخيل على ان الله تعالى هو المخيل للمحنة والابتلاء يروى
يروى انهم لطخوها بالزيبق فلما ضربت عليه الشمس اضطربت واهتزت فخيلت

ذلك إيحاش الخوف إضمار شيء منه وكذلك توحش الصوت شبح بنبلة برية منه
وكان ذلك لطبع الجبلة البشرية وأنه لا يكاد يمكن الخلو من مثله وقيل خاف أن يخالج
الناس شك فلا يتبعوه أنك أنت الأعلى فيه تقرير لغلبته وقهره وتوكيد بالاستئناف
وبكلمة التشديد وبتكرير الضمير وبلام التعريف وبلفظ العلو وهو الغلبة الظاهرة وبالتفضيل
وقوله فإني عنك وما يقل عصاك جاءني أن يكون تصغيرا لها أي لأنها بكثرة جبالهم
وعصيهم واعلق العويد الغض الصغير الجرم الذي في عينك فإنه بقدر الله يتلقفها على
وحدته وكثرتها وصغره وعظمها وجاءني أن يكون تعظيما لها أي لا تحتفل بهذه الأجرام
الكثيرة الكثيفة فإن في عينك شيئا أعظم منها كلها وهذه على كثرتها أقل شيء وأنزر عندها فالقه
يتلقفها بإذن الله ويحقها وقرئ تلقف بالرفع على الاستئناف أو على الحال أي فإنها
متلقفة وقرئ تلقف بالتخفيف صنعوا أي ما هنا بمعنى قدموا أو افتعلوا أي قوله تلقف
ما يأفكون قرئ كيد ساحر بالرفع والنصب فمن رفع فعلى أن ما موصولة ومن نصب
فعلى أنها كافة وقرئ كيد سحر بمعنى ذي سحر أو ذوي سحر أو هم لتوغلهم في سحرهم كأنهم
السحر بعينه وبذاته وبين الكيد لأنه يكون سحرا وغير سحر كما تبين المائدة بدر بهم
ونحوه علم فقه وعلم نحو فإن قلت لم وحد ساحرا ولم يجمع قلت لأن القصد في
هذا الكلام إلى معنى الجنسية لا إلى معنى العدد فلو جيء بالجنس ليدل على أن المقصود هو العدد لأدى
إلى قوله فلا يفلح الساحر أي هذا الجنس فإن قلت فلم نكر أولا وعرف ثانيا قلت
إنما نكر من أجل تنكير المضاف لأن من أجل تنكيره في نفي كقول العجاج

في سبي دنيا طالما قد مدت وفي حديث عمر رضي الله عنه لا في إمرة دنيا ولا في
إمرة آخرة المداد تنكير الإمرة كأنه قيل إن ما صنعوا كيد سحري وفي سعي دنيوي
وإمرة دنيوية وآخري حيث أتى كقولهم حيث سير وآية سلك وإنما كان سبحان الله
ما أعجب أمرهم قد القوا جبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم القوا سربهم بعد ساعة
للشكر والسجود فما أعظم الفرق بين الالقاءين وروي أنهم لم يرفعوا رؤوسهم حتى رأوا الجنة
والنار ورأوا ثواب أهلها وعن عكرمة لما خروا واستجدوا أراهم الله في سجودهم منازلهم التي
يصيرون إليها في الجنة لكبيركم لعظيمكم يريد أنه أسحرهم وأعلاهم درجة في صناعتهم أو
لمعلمكم من قول أهل مكة للمعلم أمرني كبيري وقال لي كبيري كذا يريدون معلمهم و

واستاذهم في القرآن وفي كل شيء قرئ لأقطعن ولأصلبن بالتخفيف والقطع
من خلاف أن تقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى لأن كل واحد من العضوين خالف الآخر يمين هذا
يد وذاك رجل وهذا يمين وذاك شمال ومن لابتداء الغاية لأن القطع مبتدئ وناشئ من
مخالفة العضو العضو لا من وقائع إياه ومحل الجار والمجرور النصب على الحال أي لأقطعنها
مختلفات لأنها إذا خالف بعضها بعضا فقد اتصفت بالاختلافات شبيهة بتمكن المصلوب
في الجذع بتمكن الشيء المدعى في وعائه فلذلك قيل في جذوع النخل أيتنا يدوم عذابا وأبقى لعنه الله
ومعنى صلى الله عليه وسلم بدليل قوله آمنتم له واللام مع الإيمان في كتاب الله لغير الله لقوله تعالى
يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين وفيه نفاجة باقتداره وقهره وما ألفوه وخبروا به من تعذيب
الناس بأنواع العذاب وتوضيح لموسى عليه السلام واستضعاف له مع الهزء به لأن موسى
لم يكن من التعذيب في شيء والذي فطرنا عطف على ما جاءنا أو قسم قرئ تقضي هذه الحياة
الدنيا ووجهها أن الحياة في الغالب مشهورة منتهية على الظرف فاتسع في الظرف بإجرائه
مجرى المفعول به كقولك في صمت يوم الجمعة صيم يوم الجمعة روي أن السحرة بعين
رؤوسهم كانوا اثنين وسبعين الاثنان من القبط والباقون من بني إسرائيل وكان
فرعون أكرههم على تعلم السحر وروي أنهم قالوا لفرعون أرنا موسى نائما ففعل فوجدوه
تحرسه عصاه فقالوا ما هذا بسحر إذ ما نام بطل سحره فما لها لا تعارضه
تذكى تظهر من أوناس تذهب وعن ابن عباس قال لا إله إلا الله قبل في هذه الآيات
الثلث هي كلمة قولهم وقيل خبر من الله لا وجه للكلمة فاضرب لهم فاجعل لهم من قولهم
ضرب له في ماله سهما وضرب اللبن عمله اليبس مصدر وصف به يقال يبس
يبسا ويبسا ونحوها العدم والعدم ومن ثم وصف به المؤنث فقيل ناقة يبس
يبس وناقتان يبس إذا جف لبنها وقرئ يبسا ويبسا ولا يخلوا اليبس
من أن يكون مخففا عن يبس أو صفة على فعل أو جمع يابس كصاحب وصحب
وصف به الواحد تأكيدا كقوله ومعاجيا عاجلة لفرط جوعه كما عة جياع لا تخاف
حال من الضمير في فاضرب وقرئ لا تخف على الجواب وقراءة أبو حيوة دركا بالتنوين
والدرك والدرك إدراكان من الإدراك أي لا يدركك فرعون وجنوده ولا
يلحقونك في ولا تخشى إذا قدرت لا تخف ثلثة أوجه أن تستأنف كأنه قيل وأنت لا تخشى

اي ومن شانك انك آمن لا تخشى وان لا تكون الالف المنقلبة عن الياء التي هي لام الفعل ولكن
زايدة للاطلاق من اجل الفاصلة كقوله فاضلونا السبيلا وقوله وتظنون بالله الظنونا وان
تكون كقوله كان لم ترى قبلي اسيرا يمانيا ما غشيهم من باب الاختصار ومن جوامع
الكلم التي تستقل مع قلتها بالمعاني الكثيرة اي غشيهم ما لا يعلم كنهه الا الله وقرئ فغشاهم
من اليم ما غشاهم والتغشية التغطية وفاعل غشاهم اما الله سبحانه او ما غشاهم او فرعون
لانه الذي ورط جنوده وتسبب لهلاكهم وقوله وما هدى تهكم به في قوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد
يا بني اسرائيل خطاب لهم بعد انجائهم من البحر واهلاك آل فرعون وقيل هو الذين كانوا
منهم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الله عليهم بما فعل مع ابائهم والوجه هو الاول اي
قلنا يا بني اسرائيل وحذف القول كثير في القرآن وقرئ انجيتكم الى رزقتكم وعلى لفظ
الوعد والمواعدة وقرئ الايمن بالجر على الجوار نحو جحر ضب خرب ذكرهم النعمة في نجاتهم
وهلاك عدوهم وفيما واعد موسى صلوات الله عليه من المناجات بجانب الطور وكتب التوراة
في الالواح وانما عدي المواعدة اليهم لانها لابستهم واتصلت بهم حيث كانت لنبيهم ونقبائهم
واليهم رجعت منافعها التي قام بها دينهم وشرعهم وفيما افاض عليهم من سائر نعمه وارزاقه
طغيانهم في النعمة ان يتعدوا حدود الله فيها بان يكفروها ويشغلهم اللهو والتنعم عن القيام
بشكرها وان ينفقوها في المعاصي وان يزووا حقوق الفقراء فيها وان يسرفوا في انفاقها
وان يبطروا ويأشروا ويتكبروا قرئ فيحل اي صرف ومنع وعن عبد الله لا يحلن ومن يحلل المكسور
في معنى الوجوب من حل الدين يحل اذا وجب اداؤه ومنه قوله تعالى حتى يبلغ الهدي
محله والمضموم في معنى النزول وغضب الله عقوباته ولذلك وصف بالنزول هوى هلك
واصله ان يسقط من جبل فيهلك قالت قالت هوى من راس مرقبة ففتت تحتها كبدا ويقولون هويت
امه او سقط سقوطا لا نهوض بعده الاهتداء هو الاستقامة والثبات على الهدى المذكور وهو التوبة
والايمان والعمل الصالح ونحوه قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وكلمة التراخي دلت
على تباين المنزلتين دلالتها على تباين الوقتين في جاءني زيد ثم عمرو اعني ان منزلة الاستقامة
على الخير مباينة لمنزلة الخير نفسه لانها اعلى منها وافضل وما اعجلك اي شيء عجل بك
عنهم على سبيل الانكار وكان قد مضى مع النقباء الى الطور على الموعد المضروب ثم تقدمهم شوقا
الى كلام ربه وتنجز ما وعد به بناء على اجتهاده وظنه ان ذلك اقرب الى رضى الله وزل عنه

انه عز وجل ما وقت افعاله الا نظرا الى دواعي الحكمة وعلما بالمصالح المتعلقة بكل وقت فالمراد
بالقوم النقباء وليس لقول من جوز ان يراد جميع قومه وان يكون قد فارقهم قبل الميعاد
وجه صحيح يأباه قوله هم اولاء على اثري وعن ابي عمرو ويعقوب اثري بالكسر وعن عيسى بن
عمر اثرى بالضم وعنه ايضا اولا بالقصر والاثر افصح من الاثر واما الاثر فمسموع في
في فريد السيف مدون في الاصول يقال اثر السيف واثره وهو بمعنى الاثر غريب
فان قلت ما اعجلك سؤال عن سبب العجلة وكان الذي ينطبق عليه من الجواب ان
يقال طلب زيادة رضاك او الشوق الى كلامك وتنجز موعدك وقوله هم اولاء على
اثري غير منطبق عليه قلت قد تضمن ما واجهه به رب العزة شيئين احدهما
انكار العجلة في نفسها والثاني السؤال عن سبب المستنكر والحامل عليه فكان اهم الامرين
الى موسى بسط العذر وتمهيد العلة في نفس ما انكر عليه فاعتل بانه لم يوجد مني الا تقدم يسير
مثله لا يعتد به في العادة ولا يحتفل به وليس بيني وبين من سبقته الا مسافة قريبة
يتقدم بمثلها الوفد راسهم ومقدمهم ثم عقبه بجواب السؤال عن السبب فقال وعجلت اليك
رب لترضى ولقائل ان يقول جار لما ورد عليه من التهيب لعتاب الله فادهله ذلك عن الجواب
المنطبق المرتب على حدود الكلام اراد بالقوم المفتونين الذين خلفهم مع هرون وكانوا ستمائة
الف ما نجا من عبادة العجل منهم الا اثنا عشر الفا فان قلت في القصة انهم اقاموا بعد مفارقته
عشرين ليلة وحسبوها اربعين مع ايامها وقالوا قد اكملنا العدة ثم كان امر العجل بعد ذلك
فكيف التوفيق بين هذا وبين قوله تعالى لموسى عند مقدمه انا قد فتنا قومك قلت
قد اخبر الله تعالى عن الفتنة المترقبة بلفظ الموجودة الكائنة على عادته او افترض السامري
غيبته فعزم على اضلالهم عقب انطلاقه واخذ في تدبير ذلك وكان بدء الفتنة موجودا قرئ
واضلهم السامري اي وهو اشدهم ضلالا لانه ضال مضل وهو منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل
يقال لها السامرة وقيل السامرة قوم من اليهود يخالفونهم في بعض دينهم وقيل كان
من اهل ماجرما وقيل كان علجا من كرمان واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا قد اظهر
الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر الاسف الشديد الغضب ومنه قوله
عليه السلام في موت الفجاءة رحمة للمؤمن واخذة اسف للكافر وقيل الحزين
فان قلت متى رجع الى قومه قلت بعد ما استوفى الاربعين ذا القعدة

وعشر ذي الحجة وعدهم الله سبحانه ان يعطيهم التوراة التي فيها هدى ونور ولا
احسن من ذلك واجمل حكي لنا انها كانت الف سورة كل سورة الف آية
تحمل اسفارها سبعين جملا العهد الزمان يريد مدة مفارقته لهم يقال طال عهدي
بك اي طال زماني بسبب مفارقتك وعدوه ان يقيموا على امره وما تركهم عليه
من الايمان فاخلفوا موعده بعبادتهم العجل بملكنا قرئ بالحركات الثلث اي ما
اخلفنا موعدك بان ملكنا امرنا اي لو ملكنا امرنا وخلينا وراينا لما اخلفناه
ولكن غلبنا من جهة السامري وكيده اي احملنا احمالا من حلي القبط التي استعرناها
منهم او ارادوا بالاوزار انها آثام وتبعات لانهم كانوا معهم في حكم المستامنين في
دار الحرب وليس للمستامن ان ياخذ مال الحربي على ان الغنائم لم تكن تحل حينئذ
فقذفناها في نار السامري التي اوقدها في الحفرة وامرنا ان نطرح فيها الحلي وقرئ حملنا
فكذلك القى السامري اراهم انه يلقي حليا في يده مثل ما القوا وانما القى التربة التي اخذها
من موطئ حيزوم فرس جبرئيل اوحى اليه وليه الشيطان انها اذا خالطت مواتا
صار حيوانا فاخرج لهم السامري من الحفرة عجلا خلقه الله من الحلي التي سبكتها
النار يخور كما تخور العجاجيل **فان قلت** كيف اثرت تلك التربة في احياء الموات
قلت اما يصح ان يؤثر الله سبحانه وتعالى روح القدس بهذه الكرامة الخاصة كما اثره بغيرها
من الكرامات وهي ان يباشر فرسه بحافره تربة اذا لاقت تلك التربة جمادا ان شاء الله
ان شاء عند مباشرته حيوانا الا ترى كيف انشاء المسيح من غير اب عند نفخه في الدرع
فان قلت فلم خلق العجل من الحلي حتى صار فتنة لبني اسرائيل وضلالا **قلت**
ليس باول محنة محن الله بها عباده ليثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا
وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ومن عجب من خلق العجل فليكن من خلق ابليس اعجب
والمراد انا فتنا قومك هو خلق العجل للامتحان اي امتحناهم بخلق العجل وحملهم السامري
على الضلال واوقعهم فيه حين قال لهم هذا الهكم واله موسى **فنسي** اي فنسي موسى
ان يطلبه هاهنا وذهب يطلبه عند الطور او فنسي السامري ان ترك ما كان
عليه من الايمان الظاهر **يرجع** من رفعه فعلى ان ان مخففة من الثقيلة ومن نصب فعلى
انها الناصبة للافعال من قبل من ان يقول لهم السامري ما قال كانهم اول ما وقعت

عليه ابصارهم حين طلع من الحفرة افتتنوا به واستحسنوه فقبل ان ينطلق السامري
بادرهم هرون عليه السلام بقوله انما فتنتم وان ربكم الرحمن لا مزيدة والمعنى ما منعك ان تتبعني
في الغضب لله وشدة الزجر على الكفر والمعاصي وهلا قابلت من كفر بمن آمن و
وما لك لم تباشر الامر كما كنت اباشره انا لو كنت شاهدا او ما لك لم تلحقني
قرئ بلحيتي بفتح اللام وهي لغة اهل الحجاز كان موسى عليه السلام رجلا حديدا مجبولا على
الحدة والخشونة والتصلب في كل شيء شديد الغضب لله ولدينه فلم يتمالك حين
ترى قومه يعبدون عجلا من دون الله بعد ما راوا العظام ان القى الالواح التوراة
لما غلب ذهنه من الدهشة العظيمة غضبا لله واستنكافا وحمية وعنف باخيه
وخليفته على قومه فاقبل عليه اقبال العدو المكاشف قابضا على شعر راسه
وكان افرع وعلى شعر وجهه يجره اليه اي لو قابلت بعضهم ببعض لتفرقوا
وتفانوا فاستاسك ان تكون انت المتدارك بنفسك المتلافي برايك وخشيت
عتابك على اطراح ما وصيتني به من ضم النشر وحفظ الدهماء ولم يكن لي بد من رقبة
وصيتك والعمل على موجبها الخطب مصدر خطب الامر اذا طلبه فاذا قيل لمن يفعل شيئا
ما خطبك فمعناه ما طلبك له قرئ بصرت بما لم تبصروا به بالكسر والمعنى علمت ما لم
تعلموه وفطنت لما لم تفطنوا له واما القبضة فالمرة من القبض واطلاقها على المقبوض
من تسمية المفعول بالمصدر لضرب الامير وقرا ايضا فقبصت قبصة بالصاد الضاد
بجميع الكف والصاد باطراف الاصابع ونحوهما الخضم والقضم الخاء بجميع الفم والقاف
بمقدمه قرا ابن مسعود من اثر فرس الرسول **فان قلت** لم سماه الرسول دون
جبريل وروح القدس **قلت** حين حل ميعاد الذهاب الى الطور ارسل الله الى موسى
جبريل راكب حيزوم فرس الحيوة ليذهب به فابصره السامري فقال ان لهذا لشانا
فقبض القبضة من تربة موطئه فلما ساله موسى عن قصته قال قبضت من اثر فرس المرسل
اليك يوم حلول الميعاد ولعله لم يعرف انه جبريل عوقب في الدنيا بعقوبة لا شيء اطم
منها واوحش وذلك انه منع من مخالطة الناس منعا كليا وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته
ومبايعته ومواجهته وكل ما يعايش به الناس بعضهم بعضا واذا اتفق ان يماس احدا
رجلا او امراة حم الماس والممسوس فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح لا مساس

وعاد في الناس اوحش من القاتل اللاجئ الى الحرم ومن الوحشي النافر في البرية ويقال ان قومه
باق فهم ذلك الى اليوم وقرئ لامساس بوزن فجار ونحوه قولهم في الظباء ان وردت
الماء فلاعباب وان فقدته فلا اباب وهي لاعلام للمة والعجة والاباة وهي المة من
الاب وهو الطلب لن تخلفه اى لن يخلفك الله موعده الذي وعدك على الشرك والفساد
في الارض ينجزه لك في الآخرة بعد ما عاقبك بذلك في الدنيا فالآخرة ممن خر الدنيا والآخرة
ذلك هو الخسران المبين وقرئ لن تخلفه وهذا من اخلفت الموعد اذا وجدته خلفا
قال الاعشى اثوى وقصر ليله ليزودا فمضى واخلف من قتيلة موعدا
وعن ابن مسعود نخلفه بالنون اى لن يخلفه الله كانه حكى قوله عز وجل كما مر في لاهب
كبد ظلت وظلت والاصل ظللت فحذفوا اللام الاولى ونقلوا حركتها الى
الظاء ومنهم من لم ينقل لنحرقنه ولنحرقنه وفي حرف ابن مسعود لنذبحنه
ولنحرقنه القراآتان من الاحراق وكذا ابو علي الفارسي في لنحرقنه انه يجوز ان يكون
حرق مبالغة في حرق اذا بدد بالمبرد وعليه القراة الثالثة وهي قراة علي ابن طالب
لننسفنه بكسر السين وضمها ومن خفوقه ثالثة وهي ابطال ما افتتن به وفتن و
واهدا ارسعيه وهدم صكره ومكر واومكر الله والله خير الماكرين قراة طلحة الله الذي
لا اله الا هو الرحمن رب العرش وسع كل شيء علما وعن مجاهد وقتادة وسع وجهه
ان وسع متعد الى مفعول واحد وهو كل شيء وامتلاء فانتصابه على التمييز وهو
في المعنى فاعل فلما نقل الى التعدية الى مفعولين نصبهما معا على المفعولية لان المميز فاعل
في المعنى كما تقول في خاف زيد عمرا خوفت زيدا عمرا فترد بالنقل ما كان فاعلا مفعولا
الكاف في كذلك منصوب المحل على انه مفعول من الله عز وجل لرسوله اى مثل ذلك الاقتصاص
ونحو ما اقتصصنا عليك قصة موسى وفرعون نقص عليك من سايد اخبار الامم و
قصصهم واحوالهم تكثيرا لبيناتك وزيادة في معجزاتك وليعتبر السامع ويزداد المستبصر
في دينه بصيرة وتاكيدا لحجة على من عاند وكابر وان هذا الذكر الذي آتيناك بعض
القرآن مشتمل على من القاصيص والاخبار الحقيقة بالتفكر والاعتبار لذكر عظيم وقرآن
كريم فيه النجاة والسعادة لمن اقبل عليه ومن اعرض عنه فقد هلك وشقي يريد بالوزر
العقوبة الثقيلة الباهظة سميت وزرا لتثبيطها في تقلها على المعاقب في صعوبة احتمالها بالحمل

الذي يفدح الحامل ويظهر نقصه ويلحق عليه بهم اولانه خزآه الوزر وهو الاثم وقرئ يحمل حملا خالدين
المعنى لان من مطلق متناول لغير معوض واحد وتوحيد الضمير في اعرض وما بعده للحمل على اللفظ ونحوه
قوله تع ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها وساء لهم يوم القيمة حملا اى في ذلك الوزر
وفي اضماله وساء حكم بيس والضمير الذي فيه يجب ان يكون مبهما نفسر حملا والمخصوص بالذم محذوف
لدلالة الوزر السابق عليه تقديره ساء حملا وزرهم كما حذف في قوله تع نعم العبد انه اواب ايوب
الذي هو مخصوص بالمدح ومنه قوله تع وسات مصيرا اى وسات مصيرا جهنم فان قلت الام في ليهم ما هي
وبم تتعلق قلت هي التي للبيان كالتي في هيت لك فان قلت ما يكون في ساء ضمير الوزر قلت لا يصح
ان يكون في ساء حكمه ضمير شيء يعني غير بهم فان قلت فلا يكون ساء الذين حكمه حكم بيس ولكن ساء الذين
منه قوله تع بيت وجوه الذين كفروا بمعنى اسم واخوه قلت كفاك صادا عنه ان يوول كلام الله عز وجل
الى قولك واخر الوزر لهم يوم القيمة حملا وذلك بعد ان يخرج من عهدة هذه الآثام وعهدة ذلك المنصوب
يوم ينفخ في الصور ومحشر المجرمين يومئذ زرقا اعرس يوم يسيد ذرو انما قيل منهم ان يشم الاعراس النفخ الى الابرار فمن قرا
النفخ بالنون ولان الملائكة المقربين واسرافيل منهم بالمنزلة التي هم بها من رب العزة فخص بكرامتهم عليه
وقرئ منه ان سند ما يتولونه الى ذاته وقرئ ينفخ ملفظ ما لم يسم فاعله وينفخ ويكثر بالياء للمفعولة
على الغيبة وضمير الله عز وجل او لاسرافيل عليه السلام او ما يحزر المجرمون فلم يقرأ به الا الحسن وقرا الحاي في
الصور بفتح الواو جمع صورة وفي الصور قولان احدهما انها جمع الصور وبهذه القراة تدل عليه والثاني
انه القرن قيل في الزرق قولان احدهما ان الزرقة البغض شبه من الوان العيوب الجالبة للعيب لان الروم
اعداؤهم وصم زرق العيون ولذلك قالوا في صفة العدو اسود الكبد اصهب السبال ازرق العين
والثاني ان لان حدقة من يذهب نور بصره شراق خافتهم لما يملا صدورهم من الرعب والطول يستقصرونه
هذه لبثهم اما بقايا من الشدايد التي تذكرهم ايام النعمة والسرور فيتاسفون عليها ويصفونها لان
ايام السرور قصار واما لانها ذهبت عنهم ونقصت والذاهب وان طالت مدته بالاضافة ومنه توقيع
عبد الله بن المعتز رحمه الله اطال الله بقاك كفى بالاضافة قصرا واما لاستطالهم الاخرة وانها ابد سرمد مستقصر لها
عمر الدنيا ويقال بث اهلها فيما بالقياس الى لبثهم في الآخرة ثم اعلم بما يقولون اذ يتقاولون امثلهم طريقة ان
لبثتم الا يوما وقد اشرح الله قول من يكون اشد قولا منهم في قوله اذ يقول امثلهم طريقة ان لبثتم
الا يوما ونحو قوله تع قال كم لبثتم في الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم فسئل العادين وقيل
المراد لبثهم في القبور غير ساعة كذلك كانوا يوفكون وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب
الله الى يوم البعث ويسلونك عن الجبال فسل يسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا يومئذ

عليها الرياح فتعرقها كما يذرى الطعام فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيه عوجا ولا امتا اي فيذر مقا
رها او مراكزها او يجعل الضمير للارض وان لم يجر لها ذكر كقوله ما ترك على ظهرها من دابة قلت
اختيار هذا اللفظ له موقع حسن بديع في وصف الارض بالاستواء والملاسة ونفي الاعوجاج
عنها على ابلغ ما يكون وذلك انك لو عمدت الى قطعة ارض فسويتها وبالغت في التسوية على
عينك وعيون البصل من الفلاحة وايقنتم على ان لم يبق فيها اعوجاج قط ثم استطلعت را
راي المهندس فيها وامرته بان يعرض استواها على المقاييس الهندسية لعثر فيها على عوج في غير موضع
لا يدرك ذلك بحاسة البصر ولكن بالقياس الهندسي فنفى الله عز وعلا ذلك العوج الذي دق
ولطف على الادراك اللهم الا بالقياس الذي يعرفه صاحب التقدير والهندسة وذلك
الاعوجاج الا بالقياس دون الاحساس لحق بالمعاني فعيل فيه عوج بالكسر الامت النسوا اليسير
يقال مد حبله الى ما فيه امت يومئذ يتبعون الداعي اضاف اليوم الى وقت نسف الجبال في قوله
يوم اذ نسفت ويجوز ان يكون بدلا بعد بدل من يوم القيمة والمراد الداعي الى المحشر قالوا هو اسرافيل
قايما على صخرة بيت المقدس يدعوا الناس فيقبلون من كل اوب الى صوته لا يعدلون لا عوج له اي
لا يعوج له مدعو بل يسوون اليه من غير انحراف متبعين لصوته وخفضت الاصوات للرحمن اي
خفضت الاصوات من شدة الفزع وخفت فلا تسمع الا همسا وهو الركز الخفي ومنه الحروف المهموسة
وقيل همس الابل وهو صوت اخفافها اذا مشت اي لا تسمع الا خفق الاقدام ونقلها الى
المحشر يومئذ لا تنفع الشفاعة الا لمن اذن له الرحمن ورضي له قولا من يصلح ان يكون مرفوعا
ومنصوبا فالرفع على البدل من الشفاعة بتقدير حذف المضاف اي لا تنفع الشفاعة الا شفاعة
من اذن له الرحمن ورضي له والنصب على المفعولية والمعنى اذن له ورضي له لاجله اي اذن للشافع
ورضي لاجله لقوله ونحو هذه اللام في قوله وقال الذين كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه
يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما اي يعلم ما تقدمهم من الاحوال وما يستقبلونه
ولا يحيطون بمعلوماته علما وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب المراد بالوجوه العصاة وانهم
اذا غابوا يوم القيمة الخيبة والشقوة وسوء الحساب صارت وجوههم عانية اي ذليلة خاشعة
مثل وجوه العناة وهم الاسارى ونحو قوله فلما راوا زلفة من حمل ظلما الظلم ان ياخذ من صاحبه
فوق حقه والهضم ان يكسر من حق اخيه فلا يوفيه له كصفة المطففين الذين اذا اكتالوا على الناس
يستوفون ويستربحون واذا كالوا يخسرون ومن يعمل من الصالحات وهو مومن فلا يخاف
ظلما ولا هضما وكذلك انزلناه قرانا عربيا وصرفا فيه من الوعيد لعلهم يتقون او يحدث

لهم ذكرا اي فلا يخاف جزاء ظلم ولا هضم لانه لا يظلم ولا يهضم وقرا ولا تخف على النهي وكذلك
عطف على كذلك نقص اي ومثل ذلك الانزال وكما انزلنا عليك هولا الايات المضمنة
للوعيد انزلنا القران كله على هذه الوتيرة مكررين فيه ايات الوعيد ليكونوا بحيث يراد منهم
ترك المعاصي او فعل الخير والطاعة والذكر كما ذكرنا يطلق على العبادة والطاعة وقرى تحدث
وتحدث بالنون والتاء اي تحدث انت وسكن بعضهم التاء بالتخفيف كما في اليوم اشرب غير مستحقب
فتعالى الله الملك الحق استعظام له ولما يصرف عليه عباده من اوامره ونواهيه ووعده ووعيده
والارادة بين ثوابه وعقابه على حسب اعمالهم وغير ذلك مما يجري عليه امر ملكه ولا تعجل بالقران
من قبل يقضى اليك وحيه وقل رب زدني علما ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسي ولم نجد له عزما
واذ قلنا للملايكة اسجدوا لادم فسجدوا الا الى ليت ولما ذكر القران وانزاله قال على سبيل الا
ستطراد واذا لقنك جبريل ما يوحى اليك من القران فتان عليك ريثما يسمعك ويفهمك
ثم اقبل عليه بالتحفظ بعد ذلك ولا قراتك مسابقة القراءة ونحو قوله تعالى لا تحرك به
لسانك لتعجل به وقيل معناه ما تبلغ ما كان مجملا حتى ياتيك البيان وقرى حتى يقضى اليك
وحيه وقوله وقل رب زدني علما متضمن للتواضع لله والشكر له عند ما علم من ترتيب
التعلم اي علمتني يا رب لطيفة في باب التعلم واديا جميلا ما كان عندي فزدني علما الى علم
فان لك في كل شيء حكمة وقيل ما امر الله رسوله بطلب الشيء الا في العلم يقال في اوامر الملوك
ووصاياهم تقدم الملك الى فلان واوعز اليه عزم اليه وعهد اليه عطف الله سبحانه قصة ادم على
قوله ولعلهم يتقون والمعنى وقسم قسما كما امرنا اباهم ادم ووصيناه ان لا يقرب الشجرة وتوعدناه
بالدخول في جملة الظالمين ان قربها وذلك من قبل وجودهم ومن قبل ان يتوعدهم فخالف ما نهي
عنه وتوعد في ارتكابه مخالفتهم ولم يلتفت الى الوعيد كما لا يلتفتون كانه يقول ان اساس امر بني
ادم على ذلك وعرقهم راسخ فيه فان قلت ما المراد بالنسيان قلت يجوز ان يراد النسيان
الذي هو نقيض الذكر وانه لم يعن بالوصية العناية الصادقة ولم يشوق منها بعقد القلب
اليها وضبط البصر حتى تولد من ذكر النسيان وان مراد الترك وانه ترك ما وصي من الاحتراس
عن الشجرة واكل ثمرها نحوا وقرا فنسي من اي نساء الشيطان والعزم الصميم والمضي على ترك الاكل
وان يتصلب في ذلك تصلبا يونس والشيطان من التسويل له ويجوز ان يكون بمعنى العلم ومفعولا
له عزما وان يكون نقيض العدم كانه قال وعدمنا له عزما واذ منصوب بمضمر اي واذكر وقت
ما جرى عليه من معاداة ابليس ووسوسته اليه وتزيينه له الاكل من الشجرة وطاعته له

بعد ما تقدمت معه النصيحة والموعظة البليغة والتحذير من كيده حتى تبين لك انه لم يكن من اولي
العزم والثبات فان قلت ابليس كان جنيا بدليل قوله تع كان من الجن ففسق عن امره فمن
اين تناوله الامر وهو للملايكة خاصة قلت كان في صحبتهم وكان يعبد الله تع عبادتهم فلما امروا بالسجود
لادم والتواضع له كرامة له كان الجني الذي احد ربان يتواضع كما لو قام لمقبل على المجلس عليه اهله
وسراتهم كان القيام على واحد بينهم هو دونهم في المنزلة اوجب حتى ان لم يقم عنف به وقيل له
قد قام فلان وفلان فلم انت حتى شرفع عن القيام فان قلت فكيف صح استثناؤه وهو جني عن
الملايكة قلت عمل على حكم التغليب في اطلاق اسم الملايكة وعليه فاخرج الاستثنا على ذلك
كقولك خرجوا الا فلانة لامراة بين الرجال وابى جملة مستانفة كانه جواب قال لم يسجد الوجه
ان لا يقدر له مفعول وهو السجود المدلول عليه بقوله فسجدوا وان يكون اظهر الابا وتوقف
وتنشط فقلنا يا ادم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ان لك ان
لا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظما فيها ولا تعرى فوسوس اليه الشيطان قال يا ادم هل ادلك على فلا يكونن
سببا لاخراجكما وانما اسند الى ادم فعل الشقا دون حوا بعد اشراكهما في الخروج لان في ضمن الرجل وهو
قيم اهله وامرهم شقاقهم كما ان في ضمن سعادته سعادتهم فاختصر الكلام باسناده اليه دونها
من المحافظة على الفاضلة او اريد الشقا التعب في طلب القوت وذلك معصوب براس الرجل وهو
راجع اليه وروي انه اهبط الى ادم ثور احمر فكان يحرث عليه ويمسح العرق من جبهته فرى وانك
بالكسر والفتح ووجه العطف على ان لا تجوع فان قلت ان لا يدخل على ان فلا يقال ان زيدا منطلق
والوا ناسبة عن ان وقائمة مقامها فلم ادخلت عليها قلت الواو لم توضع ليكون ابدا ناسبة عن
ان انما هي ناسبة عن كل عامل فلم لم تكن حرفا موضوعا للتحقيق خاصة كان لم يمتنع لاجتماعهما
كما امتنع اجتماع ان وان الشبع والري والكسوة والكن هي الاقطاب التي يدور عليها كفاف
الانسان فذكره استجماعها له في الجنة وانه مكفي لا يحتاج الى كفاية كاف ولا الى كسب كاسب كما يحتاج
الى ذلك الدنيا وذكرها بلفظ النفي لتقابضها التي هي الجوع والعري والظما والضحو ليطرق سمعه
باسامي اصناف الشقاوة التي حذره منها حتى يتحامى السبب الموقع فيها كراهة لها فان قلت
كيف عدي وسوس تارة باللام في قوله فوسوس اليه الشيطان لهما اخرى بالى قلت وسوسة الشيطان
كولولة الثكلى ووعوعة الذيب ووقوعة الدجاجة في انها حكايات للاصوات وحكمها حكم صوت
واجوس ومنه وسوس المبرسم وهو موسوس بالكسر والفتح واشد ابن الاعرابي وسوس يدعوا مخلصا
رب الفلق فاذا قلت وسوس له فمعناه لاجله كقوله اجوس لها يا ابن ابي كباش ومعنى وسوس

اليه انهى اليه الوسوسة كقولك حدث اليه واسر اليه اضاف الشجرة الى الخلد وهو الخلود لان من
اكل منها خلد زعمه كما قيل لخير دم فرس الحيوة لان من باشر اثره حيي وملك لا يبلى فاكلا منها فبدت
هما سواتهما دليل على قراة ابن الحسن وعلي وابن عباس رضي الله عنهم الا ان تكونا ملكين بالكسر
وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى ادم ربه فغوى ثم اجتبيه ربه فتاب عليك وهدى طفق
يفعل كذا مثل جعل ياخذ كذا واخذ وانشا وحكم كاد لوقوع الخبر فعلا مضارعا وبينهما وبينه
مسافة قصيرة هي للشروع في اول الامر وكاد لمشارفة والدنو منه قرئ يخصفان بالتكثير والتكرير
من خصف النعل وهو ان يخرز عليها الخصاف اي يلزقان الورق بسواتهما للتستر وهو ورق التين
وقيل كان مدورا فصار على هذا الشكل من حيث اصابهما وقيل كان لباسهما الظفر فلما اصاب الخطيئة
نزع عنهما وتركت هذه البقايا في اطراف الاصابع عن ابن عباس لا شبهة في ان ادم لم يمتثل ما رسم
الله له وتخطى فيه ساحة الطاعة وذلك هو العصيان ولما عصى خرج فعله من ان يكون رشدا وخيرا
فكان غيا لا محالة لان الغي خلاف الرشد ولكن قوله وعصى ادم ربه فغوى بهذا الاطلاق وبهذا
التصريح حيث لم يقل وزل ادم واخطا وما اشبه ذلك مما يعبر به عن الزلات والفرطات
لطف بالمكلفين ومن جرة بليغة وموعظة كاملة وكانه قيل لهم انظروا واعتبروا كيف نعيث
على النبي المعصوم حيث الله الذي لا يجوز عليه الا افتراق الصغيرة غير على المنفرة زلته بهذه
الغلظة وبهذا اللفظ الشنيع فلا تهاونوا بما يفرط منكم من السيئات والصغاير فضلا ان تجترؤا
على التوريط في الكباير وعن بعضهم فغوى فيشم من كثرة الاكل وهذا وان صح على لغة من
يقلب اليا المكسور ما قبلها الفا فيقول في فني وفني بقي وهم بنو طي تفسير خبيث فان قلت
ما معنى ثم اجتباه ربه قلت ثم قبله بعد التوبة وقربه الى من حتى اليه كذا فاجتبيته ونظيره
وجلست على العروس فاجتليتها ومنه قوله عز وعلا واذا لم تاتهم باية قالوا لولا اجتبيتها اي
هلا جئت اليك فاجتبيتها واصل الكلمة الجمع يقولون اجتبت العرس نفسها اذا اجتمعت
نفسها راجعة بعد النفار وهدى اي وفقه لحفظ التوبة وغيره من اسباب العصمة والتقوى
قال اهبطا بعضكم لبعض عدو لكم فاما ياتينكم مني فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن اعرض
عن ذكر ربي فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا
لما كان ادم وحوا عليهما السلام اصلي البشر والسبين اللذين منهما نشاوا وتفرعوا وتفرعوا
جعلا كانهما البشر في انفسهما فخوطبا مخاطبتهم فقيل فاما ياتينكم على لفظ الجماعة ونظيره
اسنادهم الفعل الى السبب وهو في الحقيقة للمسبب هدى كتاب وشريعة وعن ابن عباس

حمن الله لمن اتبع القران ان لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الاخرة وثم ملا قوله فمن اتبع هداي فلا
يضل ولا يشقى والمعنى ان الشقا في الآخرة هو عقاب من ضل في الدنيا عن طريق الدين فمن
اتبع كتاب الله وامتثل امره وانتهى نواهيه نجا من الضلال ومن عقابه الضنك مصدر يستوي
في الوصف به المذكور والمونث وقراضيكي على فعلى ومعنى ذلك ان مع الذين التسليم وا
والقناعة والتوكل على الله وعلى قسمته فصاحبه ينفق مما رزقه بسماح وسهولة فيعيش
عيشا رافعا كما قال عز وجل فلنحيينه حيوة طيبة والمعرض على المنتول الذي عليه الحرص الذي
لا يزال يطيح به الى الارذل ومن الدنيا مسلط عليه الشح الذي تقبض يده على الانفاق فعيشه
ضنك وحالة مظلمة كما قال بعض المتصوفة لا يعرض احد عن ذكر ربه الا اظلم عليه وقته
وتشوش عليه رزقه ومن الكفرة من ضرب الله عليه الذلة والمسكنة لكفره قال الله تع
وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤوا بغضب من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات
الله وقال لو انهم اقاموا التورية والا والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم
ومن تحت ارجلهم وقال ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السما والا
رض وقال استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السما عليكم مدرارا وان لو استقاموا على
الطريقة لاسقيناكم ماء غدقا وعن الحسن هو الصريع والزقوم وعن ابي سعيد الخدري عذاب
القرقرى ونحشره عطفا على محل فان له معيشة ضنكا لان جواب الشرط وقرا نحشره بسكون
الها على لفظ الوقف وهذا مثل قوله ونحشره يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما
وكما فسر الرزق بالعمى قال كذلك اتتك اياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وكذلك نجزي من
اسرف ولم يومن بايات ربه ولعذاب الآخرة اشد وابقى اي مثل ذلك فعلت اتتك
فريان اياتنا اتتك واضحة منيرة فلم تنظر اليها بعين المعتبر ولم تنتصر ولم تركتها وعميت
عنها فلذلك اليوم نتركك على عماك ولا نزل غطاه عن عينك لما توعد من اعرض بذكره
عقوبتين المعيشة الضنك في الدنيا وحشره في الاخرة ختم ايات الوعيد بقوله ولعذاب
الآخرة اشد وابقى كانه قال وللحشر على العمى الذي لا يزول ابدا اشد من ضيق العيش
المنقضي او اراد ولئن كنا اياه في العمى اشد وابقى من تركه لاياتنا افلم يهد لهم كم اهلكنا قبلهم
من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لايات لاولي النهى فاعل لم يهد الجملة بعده
يريد الم يهد لهم هذا بمعناه ومضمونه ونظيره وقوله تع وتركناه على في الآخرة سلام
على نوح في العالمين اي تركنا عليه هذا الكلام ويجوز ان يكون فيه ضمير الله او الرسول ويدل

عليه القراة بالنون وقرا يمشون مريدان قريشا يتقلبون في بلاد عاد وثمود ويمشون في مساكنهم
ويعاينون اثار هلاكهم ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما الكلمة السابقة هي العدة
بتاخير جزائهم الى الآخرة يقول لولا هذه العدة لكان مثل اهلاكنا عادا وثمود الازما لهولا
الكفرة واللازم اما مصدر لازم وصف به والما فعال بمعنى مفعل اي ملزم كانه الة اللزوم لفرط
لزومه كما قالوا لزار خصم واجل مسمى فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل
غروبها ومن انا الليل واطراف النهار لعلك ترضى لا يخلو من ان يكون معطوفا على كلمة
او على الضمير في كان اي لكان الاخذ العاجل واجل مسمى لازمين له كما كانا لازمين لعاد و
ثمود ولا ينفرد الاجل العاجل المسمى دون الاخذ العاجل بحمد ربك في موضع الحال اي وانت
حامد لربك على ان وفقك للتسبيح واعانك عليه والمراد بالتسبيح الصلوة او على ظاهره
قدم الفعل على الاوقات اولا والاوقات على الفعل اخر فكانه قال صلى الله قبل طلوع الشمس
يعني الفجر وقبل غروبها يعني الظهر والعصر لانهما واقعتان في النصف الاخير من النهار بين
زوال الشمس وغروبها وتعهد انا الليل واطراف النهار مختصا لهما بصلاتك وذلك ان
افضل الذكر ما كان بالليل باجتماع القلب وهدو الرجل والخلو بالرب وقال الله عز وجل
ان ناشئة الليل هي اشد وطاء واقوم قيلا وقال امن هو قانت انا الليل ساجدا وقائما ولان
الليل وقت السكون والراحة فاذا صرف الى العبادة كانت على النفس اشد واشق و
وللبدن اتعب وانصب فكانت ادخل في معنى التكليف وافضل عند الله وقد شاول التسبيح
في انا الليل صلوة العتمة وفي اطراف النهار صلوة المغرب وصلوة الفجر على التكرار اعادة
الاختصاص وكما اختصت في قوله حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى عند بعض عند
بعض المفسرين فان قلت ما وجه قوله واطراف النار على الجمع وانما هما طرفان كما قال وا
اقم الصلوة طرفي النهار قلت الوجه امن الالباس وفي التثنية زيادة بيان ونظير مجي
الامرين في الاثنين مجيهما في قوله ظهراهما مثل ظهور الترسين وقرئ واطراف النهار عطفا
على انا ذة الليل ولعل للمخاطب اي اذكر الله في هذه الاوقات طمعا ورجاء ان تنال عند الله
ما به ترضى نفسك ويسر قلبك وقرئ يرضى اي يرضيك ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازوا
جا منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى اي نظر عينيك ومد النظر
تطويله وان لا يكاد يرده استحسانا للمنظور اليه واعجابا به وتمنيا ان يكون له كما فعل نظارة
قارون حين قالوا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ عظيم حتى واجههم اوجههم

اولوا العلم والايمان ويلكم ثواب الله خير لمن امن وعمل صالحا وفيه ان النظر الغر الممدود
مقعو عنه وذلك مثل نظر من باده بالنظر ثم غض الطرف ولما كان النظر الى الزخارف
كالمركوز في الطباع وان من ابصر منها شيا سدد احب ان يمد اليه نظره ويملا منه عينه قيل
ولا تمدن عينك اي لا تفعل ما انت معتاد له وحقاد به وقد العلما من اهل التقوى في وجوب
غض البصر عن ابنية الظلمة وعدد الفسقة في اللباس والمراكب وغير ذلك لانهم انما اتخذوا هذه
الاشيا لعيون النظارة فالناظر اليها محصل لغرضهم وكالمعز لهم على اتخاذها ازواجا منهم
اصنافا من الكفرة ويجوز ان ينتصب حالا من ها الضمير والفعل واقع على منهم كانهم قال الى
الذي متعنا به وهو اصناف بعضهم وناسا منهم فان قلت علام انتصب زهرة قلت على احد
اربعة اوجه على الذم وهو النصب على الاختصاص وعلى تضمين متعنا معنى اعطينا مع
حولنا وكونه مفعولا ثانيا له وعلى ابداله من محل الجار والمجرور وعلى ابداله ازواجا على تقدير
ذوي زهرة فان قلت ما معنى الزهرة فيمن حوك قلت معنى الزهرة نفسه وهو الزينة
والبهجة كما جا في الجهرة الجهرة قرا ارنا الله جهرة وان يكون جمع زاهر وصفا لهم بانهم زاهروا هذه الدنيا
لصفا الوانهم ويلمعون ويتمتعون وتهلل وجوههم وبهاؤهم وشارتهم بخلاف ما عليه المؤمنون
والصلحا من شحوب الالوان والتشعث في الثياب لتبلوهم حتى يستوجبوا العذاب لوجود الكفران منهم
او لتعذبهم في الاخرة بسببه ورزق ربك هو ما ادخر له من ثواب الاحسن الذي هو خير منهم
في نفسه وادوم او ما رزقه من نعمة الاسلام والنبوة او لان اموالهم الغالب عليها الغصب والسرقة
والحرمة من بعض الوجوه والحلال خير وابقى لان الله لا يثيب الى نفسه الا ما حل وطاب دون ما حرم و
خبث والحرام لا يسمى رزقا وعن عبد الله بن قسيط عن رافع قال بعثني رسول الله صلعم الى يهودي وقال
قل له يقول لك رسول الله اقرضني الى جب فقال والله لا اقرضه الا برهن فقال رسول الله اني لامين
في السما واني لامين في الارض احمل اليه درعي الحديد فنزلت ولا تمدن عينك وامر اهلك الصلوة
واصطبر عليها لا نسئلك رزقا يجز ترزقك والعاقبة للتقوى وقالوا لولا تاتينا باية من ربك اولم
ياتهم بينة بما في الصحف الاولى ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لولا ان سلت الينا رسولا فنتبع
اياتك من قبل ان نذل ونخزى قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من اصحاب الصراط السوي ومن اهتدى
اي واقبل انت مع اهلك على عبادة والصلوة الله واستعينوا بها على خصاصتكم ولا تهتم بامر الرزق
المعيشة فان رزقك يكفي من عندنا ونحن نرزقك ولا نسالك ان ترزق نفسك
ولا اهلك ففرغ بالك الامر الاخرة وفي معنى معيشة قول الناس من كان في عمل الله كان الله في

عمله

عمله وعن عروة ابن الزبير انه اذا كان راى ما عند السلاطين قرا ولا تمدن عينيه الاية ثم ينادي الصلوة
الصلوة رحمكم الله وعن بكر بن عبد الله المزني كان اذا اصابت اهله خصاصة قال قوموا فصلوا بهذا امر الله
رسوله ثم يتلوا هذه الاية اقترحوا على عادتهم في التعنت اية على النبوة فقيل لهم اولم ياتكم باية
هي ام الاية واعظمها في باب الاعجاز يعني القران من قبل ان القران برهان ما في ساير الكتب المنزلة
ودليل صحته لانه معجزة وتلك ليست بمعجزات فهي مفتقرة الى شهادته على صحة ما فيها افتقار المحتج عليه
الى شهادة وقرى الصحف بالتخفيف ذكر الضمير الراجع الى البينة لانها في معنى البرهان والدليل وقرى
تذل وتخزى على الفظ ما لم يسم فاعله كل اي كل واحد منا ومنكم متربص للعاقبة ولما يؤول اليه امرنا
وامركم وقرى السوا بمعنى الوسط والجيد او المسوي والسوا والسوي والسوي تصغير للسوي وقرا فسمعوا
فسوف تعلمون قال ابو رافع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من
قرا سورة طه اعطي يوم القيمة ثواب المهاجرين والانصار وقال لا يقرا اهل الجنة الا القران لا طه
ويس

سورة الانبيا مكية وهي مائة واحدى وقيل مائة واثنا عشر اية

بسم الله الرحمن الرحيم اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون هذا اللام لا تخلو من ان تكون
صفة لاقترب او تاكيدا لاضافة الحساب اليهم كقولك ازف للحي رحيلهم الاصل ازف رحيل
الحي ثم ازف للحي الرحيل ثم ازف للحي رحيلهم ونحوه ما اورده سيبويه في باب ما يبنى فيه المستقر
لتوكيدا عليك زيد حريص عليك وزيد راغب فيك ومنه قوله لا ابا لك لان اللام موكدة لمعنى الا
ضافة وهذا الوجه اقرب من الاول والمراد اقتراب الساعة اذا واقتربت فقد اقترب ما يكون
فيها من الحساب والثواب والعقاب وغير ذلك ونحوه واقترب الوعد الحق فان قلت
كيف وصف بالاقتراب وقد ثبت دون هذا القول اكثر من خمسماية عام قلت هو مقترب
عند الله والدليل عليه قوله عز وعلا ويستعجلونك يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون و
لان كل اث وان طالت او مات استقباله وترقبه قريب وانما البعيد هو الذي وجد وامضى
ولان ما بقي من الدنيا اقصر واقل مما سلف منها بدليل ابتعاث خاتم النبيين الموعود مبعثه
في اخر الزمان وقال علي عليه السلام بعثت في نسم الساعة وفي خطبة بعض المتقدمين والث الدنيا
حذا ولم تبق الا صبابة كصبابة الانا واذا كانت بعثة النبي وان كانت في نفسها قليلة بالاضافة
الى معظمه كانت خليقة بان توصف بالقلة وقصر الذرع وعن ابن عباس ان المراد بالناس
المشركون وهذا من اطلاق اسم الجنس على بعضه للدليل القايم وهو يتلوه من صفات
المشركين ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وصفهم بالغفلة مع الاعراض على معنى انهم

غافلون عن جنابهم ساهون لا يتفكرون في عاقبتهم ولا متفطنون لما يرجع اليه خاتمة امرهم مع
اقتضاء عقولهم انه لا بد من اجزاء المحسن والمسيء واذا قرعت لهم القضاء ونبهوا سنة الغفلة وفطنوا
لذلك بما يتلى عليهم من الايات والنذر اعرضوا وسدوا اسماعهم ونفروا اعراضهم عن شبه المنبه
وايقاظ الموقظ بان الله يجدد لهم الذكر وقتا فوقتا ويحدث لهم الاية بعد الاية والسورة بعده
ليكرر على اسماعهم الشبه والموعظة لعلهم يتعظون فما يريدهم استماع الاي والسور وما فيها من
فنون البصائر والمواعظ التي هي احق الحق واجد الجد الا لعبا ولهيا واستسخارا والذكر هو الظاهر
النازل من القران وقرا ابن عبلة محدث بالرفع صفة المحل على قوله وهم يلعبون لاهية قلوبهم
واسروا النجوى ظلموا الذين حالان مترادفتان او متداخلتان ومن قرا لاهية بالرفع فالحال واحد
لان لاهية قلوبهم خبر لقوله وهم والاهية من لهي عنه اذا ذهل بغي وغفل وانهم وان فطنوا فهم
في قلة جدوى فطنتهم كانهم لم يفطنوا اصلا بعد خبر شوا على راس غفلتهم وذهولهم عن التامل
والتبصر بقلوبهم فان قلت النجوى وهي اسم من الناجي لا تكون الا خفية فما معنى قوله واسروا
قلت معناه وبالغوا في اخفائها وجعلوها بحيث لا يفطن احد لتناجيهم ولا يعلم انهم متنا
جون ابدل الذين ظلموا من واسروا اشعارا بانهم الموسومون بالظلم الفاحش فيما اسروا به او جاء على
لغة من قال اكلوني البراغيث او هو منصوب المحل على الذم او مبتدا خبره اسروا النجوى قدم عليه
والمعنى وهؤلاء اسروا النجوى فوضع المضمر تسجيلا على فعلهم بانه ظلم قل هذا الا بشر مثلكم افتاتون السحر وا
هم تبصرون قال ربي يعلم القول في السماء والارض انه هو السميع العليم بل قالوا اضغاث احلام بل هو شاعر
فليأتنا باية كما ارسل الاولون هذا الكلام كله في محل النصب بدلا من النجوى اي واسروا هذا الحديث
ويجوز ان يتعلق بقالوا مضمر اعتقدوا ان رسول الله لا يكون الا ملكا وان كل من ادعى الرسالة
من البشر وجاء بالمعجزة فهو ساحر ومعجزته سحر فلذلك قالوا على سبيل الانكار افتحضرون السحر وا
لشاهدون وتعاينون انه سحر فان قلت لم اسروا في هذا الحديث وبالغوا في اخفائه قلت
كان ذلك شبه التشاور فيما بينهم والتحاور في طلب الطريق الى هدم امره وعمل المنصوبة في
في البسط عنه وعادة المتشاورين في خطب ان لا يشركوا اعداءهم في شوارهم ويجاهدوا في
طي سرهم ايكن كالمتطلع ومنه قول الناس استعينوا على حوائجكم بالكتمان ويرفع الى رسول الله صلعم
ويجوز ان يسروا نجواهم بذلك ثم يقول الرسول الله والمؤمنين وان كان ما تدعونه حقا فاخبرونا
بما اسررناه فان قلت هلا قيل يعلم السر لقوله واسروا النجوى قلت القول عام يشمل ما السن
والجهر فكان بالعلم به العلم بالسر زيادة فكان اكد في الاطلاع على نجواهم من ان يقول يعلم السر كما

ان قوله يعلم السر اكد من ان يقول يعلم سرهم ثم بين ذلك بانه السميع العليم لذاته فكيف يخفى عليه خافية
فان قلت فلم ترك هذا لاكد في سورة الفرقان في قوله قل انزله الذي يعلم السر في السموات
والارض قلت ليس بواجب ان يجيء بالاكد في كل موضع ولكن يجيء بالتوكيد تارة بالاكد الا
خرى كما تاتي في موضع وبالاحسن عن ليفتن الكلام افتنانا ويجمع الغاية وما دونها على
ان اسلوب تلك الاية خلاف اسلوب هذه من قبل انه قدم هيهنا انهم اسروا النجوى فكانه اراد ان
ان يقول ان ربي يعلم ما اسروه فوضع ذلك القول موضع ذاك للمبالغة وثم قصد وصف ذاته بان
نزله الذي يعلم السموات والارض فهو كقوله السر في عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة وقرا
قال ربي حكاية لقول رسول الله صلعم عليه لهم اضربوا عن قولهم هو سحر الى انه تخاليط احلام ثم الى
انه كلام مفترى عنده ثم الى انه قول شاعر وهكذا الجلح والمبطل متحير رجاع غير ثابت على قول واحد
ويجوز ان يكون شرطا من الله تع لاقوالهم في درج الفساد وان قولهم الثاني افسد من الاول والثالث
افسد من الثاني وكذلك الثالث من الرابع صحة التشبيه في قوله كما ارسل الاولون من حيث انه في معنى
كما اتى الاولون بالايات لان ارسال الرسل متضمن للاتيان بالايات الا ترى انه لا فرق بين ارسل
محمد وبين قولك اتى محمد بالمعجزة ما انت قبلهم من قرية اهلكناها افهم يؤمنون وما ارسلنا قبلك الا رجالا
نوحي اليهم فسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وجعلناهم جسدا لا ياكلون الطعام وما كانوا خالدين
فيه انهم اعتى من الذين اقترحوا على انبيائهم الايات وعهدوا انهم يؤمنون عندها فلما جاءتهم
نكثوا وخالفوا فاهلكهم الله فلو اعطيناهم ما يقترحون لكانوا انكث وانكث امرهم ان يستعملوا
اهل الذكر وهم اهل الكتاب لا يعلمون ان رسل الله الموحى اليهم كانوا بشرا ولم يكونوا ملائكة كما
اعتقدوا وانما احالهم اولئك على انهم كانوا يتبايعون في معاداة رسول الله صلعم قال الله تع
ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا فلا يكاذبونهم
فيما هم فيه رد لرسول الله صلعم ولا ياكلون الطعام صفة لجسدا والمعنى وما جعلنا الانبياء قبله
ذوي جسد غير طاعمين ووحد الجسد لارادة الجنس كانه قال ذوي ضرب من الاجساد و
وهذا رد لقولهم ما لهذا الرسول ويأكل الطعام فان قلت نعم قد رد انكارهم ان يكون الرسول
بشرا ياكل ويشرب بما ذكرت فما ذا رد من قولهم بقوله وما كانوا خالدين قلت يحتمل ان يقولوا
انما بشر مثلنا يعيش كما نعيش ويموت كما نموت او يقولوا هلا كان ملكا لا يطعم ويخلد اما كانوا
معتقدين ان الملائكة لا يموتون او يسمين حياتهم المتطاولة وبقاءهم الممتد خلودا ثم صدقناهم
الوعد فانجيناهم ومن نشاء واهلكنا المسرفين فلله انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم افلا تعقلون مثل واختار موسى

قومه والاصل في الوعد ومن قومه ومنه صدق قومي المقال صدقتني سن بكره ومن شاتهم المومنون ومن
في مغايهم مصلحة وكركم شركم وحيتكم كما قال وانه لذكرك ولقومك او موعظتك او فيه مكارم
الاخلاق التي كنتم تطلبون به الثناء وحسن الذكر كحسن الجوار والوفا بالعهد وصدق الحديث
واداء الامانة والسخاء وما اشبه ذلك وكم قصمنا وقيه كانت ظالمة وانشانا بعدها قوما اخرين واردة
عن عضب شديد ومنادية على سخط عظيم الان العضم اقطع الكسر وهو الكسر الذي سين تلاوم الاجزا
بخلاف العصم واراد بالقرية اهلها ولذلك وصف بالظلم وقال قوما اخرين لان المعنى اهلكنا قوما
وانشانا قوما آخرين وعن ابن عباس انها حضور وصي وسحول قريتان باليمن اليها ينسب الثياب
وفي الحديث كفن رسول الله صلعم في ثوبين سحوليين وروي حضوريين وعن ابن عباس انه اليمن نبشا فقتلوه
فسلط الله عليهم بخت نصر كما سلطه الله على اهل بيت المقدس فاشا صلهم وروي انهم لما اخذتهم
السيوف وناداهم مناد من السماء لثارات الانبياء ندموا واعترفوا بالخطا وذلك لم ينفعهم الندم
وظاهر الاية كما ولعل ابن عباس رضي الله عنه ذكر حضور بانها احدى القرى التي احدها الله بهذه
الاية فلما احسوا باسنا اذا هم منها يركضون لا تركضوا وارجعوا الى ما اترفتم فلما علموا شدة عذابنا
وبطشنا علم حس ومشاهدة لم يشكوفيها ركضوا من ديارهم والركض ضرب الدابة بالرجل ومنه قوله
تع اركض برجلك فجوران يركبوا دوابهم يركضونها هاربين منه بين قريتهم لما ادركتهم مقدمة
العذاب وجوزان يشهوا في سرعة عدوهم على اركضهم بالراكبين الراكضين لدوابهم فقيل لهم
لا تركضوا والقول محذوف فما قلت من القايل قلت يخيل اويكون بعض الملايكة اومن ثم من
المومنين او يجعلون خلقا بان يقال لهم ذلك وان لم يقل اويقوله رب العزة ويسمعه ملايكته
لينفعهم في دينهم او يملهم ذلك فتحدثوا به نفوسهم وارجعوا من العيش الرافه والحال الناعمة
والاترف ابطار النعمة ومن الترفه وساكنكم لعلكم تسئلون قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين تكلم بهم
وتوبخ اي راجعوا واجلسوا كما كنتم ونعم شوافي مرافقكم حتى يسئلكم عبيدكم ومن تملكون امره وينفذ فيه
امركم ونهيكم ويقولوا لكم بم تامرون وما تامرون وكيف وتدر كادة المنعمين للحدمين
اويتباكم الناس في اندبتكم المعاون في نوازل الخطوب ويستشير ونكم في المهمات والعوارض و
ويستشعون تدابيركم وتستفيون بارايكم اويسلكم الوافدون عليكم والطماع ويستمطرون
صحايب لفكم وعشرون اخلاف معروفكم وايادكم الا انهم كانوا الذين ينفقون اموالهم رياء
الناس وطلب الثناء اوكانوا بخلا فقيل لهم ذلك تبكيتا الى تهكم وتوبيخا الى فما ذالت تلك دعواهم
حتى جعلناهم حصدا خامدين تلك اشارة الى ويلنا لانها دعوى كانه قيل فما زالت تلك

الدعوى

الدعوى دعوهم والدعوى والدعوى بمعنى الدعوة كما قال الله تعالى واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين
فان قلت لم سميت دعوى قلت لان القايل كان يدعوا فيقول هذا وفتك وتلك مرفوع او منصوب
اسما او خبرا ولذلك دعواهم والحصيد الزرع المحصود اي جعلناهم مثل الحصيد شبههم به في ا
ستيصالهم واصطلامهم كما تقول جعلناهم رمادا اي مثل الرماد والضمير المنصوب هو الذي كان
مبتدا والمنصوب بعده كانا خبرين فلما دخل عليها جعل بعضها حميما على المعمولية فان قلت
كيف ينصب جعل ثلث مفاعيل قلت حكم الاثنين حكم الواحد لان معنى قولك جعلته حلوا حامضا
جعلته جامعا للطعمين وكذلك معنى ذلك جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود ما خلقنا السماء
والارض وما بينهما لاعبين لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه مما عندنا ان كنا فاعلين اي وما سوينا هذا التسقف المرفوع
وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من اصناف الخلايق مشحونة بفروب البدايع والعجايب كما يسوي
الصبارة سقوفهم وشهم وسايرزخارفهم اللهو واللعب وانما سوينا ها للفوايد الدينية
والحكم الربانية تكون مطارح افكار واستدلال ونظر لعبا ذا بمع ما يتعلق لهم بها من المنافع
التي لا تعد ولا تحصى ثم بين ان اتخاذ اللهو واللعب واشباهه عن افعالي
بوان الحكمة صارفة عنه والافانا قادر على اتخاذه ان كنت فاعلا لاني على كل شئ قدير وقوله لاتخذناه
من لدنا كقوله زرقا من لونا اي من جهة قدرتنا وقيل اللهو والولد بلغة اليمن المراة وقيل المراة
وقيل من لدناه من الملايكة لا من الانس رد الولادة المسيح وعزير بل عدف بالحق على عن عبادته
ولا يسحرون الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون وله من السموات والارض ومن
عنده لا يستكبرون بل اضراب عن اتخاذ اللهو واللعب وشئ به منه لزانه كانه قال سبحانه ان نتخذ
اللهو واللعب من غادتنا وموجب حكمتنا والشفعنا بنا عن القبيح ان تغلب اللعب بالجد وندحض
الباطل ولذلك القذف والدمغ تصويرا لابطاله واهداره ومحقه كانه جرم صلب كالصخرة مثلا
قذف به على جرم وخواجوف فدمغه ثم قال ولكم ما تصفونه به مما لا يجوز عليه وعلى حكمته وعز
فيدمغه بالنصب وهو في ضعف قوله سر ساترك منزلي لبني تميم والحق بالحجاز فاستريحا وقري
فيدمغه من عنده هم الملايكة والمراد انهم مكرمون منزلون لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند
الملوك على طريق التمثيل والبيان لشرفهم وفضلهم على جميع خلقه فان قلت الاستحسار مبالغة
في الحسور وكان الابلغ في وصفهم ان ينفي عنهم ادنى الحسور قلت في الاستحسار بيان ازالتهم
فيه يوجب غاية الحسور واقصاره وانهم احقا لتلك العبادة البابرة بان يشعر وا بانهم فعلوا
يسبحون الليل والنهار لا يفترون اي يسبحهم متصل دايم في جميع اوقاتهم لا يتخللهم فترة بغراغ

او شغل اخر ام اتخذوا من الارض هم ينشرون لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب
العرش عما يصفون هذه ام المنقطعة الكائنة بمعنى بل والهمزة قد ارتبت بالاضراب عما قبلها والا
والانكار لما بعدها والمنكر هو اتخاذهم الهة من الارض هم ينشرون الموتى ولعمري ان نشر الموتى
بعض الموات فان قلت كيف انكم اليهم اتخاذ الهة تنشر وما كانوا يدعون ذلك لالهتهم وكيف
ابعد شيء عن هذه الدعوى وذلك انهم كانوا مع اقرارهم الله عز وجل انه خلق السموات والارض
ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وبانه القادر على المقدورات كلها و
على النشأة الاولى منكرين البعث ويقولون من يحيي العظام وهي رميم وكان عندهم من قبيل المحال
الخارج عن قدرة القادر كثاني القديم فكيف يدعونه لا يوصف بالقدرة راسا قلت الامر
كما ذكرت ولكنهم بادعائهم لها الالهية يلزمهم ان يدعوا لها الانشار لانه لا يستحق هذه الاسم
الا قادر على كل مقدور والانشار من جملة المقدورات وفيه باب من التهكم بهم والتوبيخ و
والتخييل واشعار بان ما استبعدوه من الله لا يصح استبعاده لان الالهية لما صحت صح معها الاقتدار
على الابداء والاعادة ونحوه قوله من الارض قولك فلان من مكة او من المدينة تريد مكتي او مدني
ومعنى فنسبتها الى الارض الايذان بانها الاصنام التي تعبد في الارض لان الهة على ضربين ارضية و
سماوية ومن ذلك قول الامة التي قال لها رسول الله صلعم اين ربك فاشارت الى السماء فقال
انها مؤمنة لانه فهم منها ان مرادها نفي الالهة الارضية التي قال لها رسول الله صلعم اين ربك فاشارت
التي قال رسول الله صلعم اين ربك فاشارت التي هي الاصنام لاثبات السماء مكان الله عز وجل و
يجوز ان يراد الهة من جنس الارض لانهم اما ان ينحت من بعض الحجارة او تعمل من بعض جواهر
الارض فان قلت لا بد من نكتة في قوله هم قلت النكتة فيه افادة معنى الخصوصية كانه
قيل ام اتخذوا الهة لا تقدر على الانشار الا هم وحدهم وقرأ الحسن ينشرون وهما لغتان.
انشر الله الموتى ونشرها وصفت الهة بالا كما توصف بغير لو قيل الهة غير الله فان قلت
ما منعك من الرفع على البدل قلت لان او بمنزلة ان لان الكلام معه موجب والبدل
لا يسوغ الا في الكلام غير الموجب كقوله تع ولا يلتفت منكم احد ومضوا وذلك لان اعم ا
العام يصح نفيه ولا يصح ايجابه والمعنى لو كان يتولاهما ويدبر امرهما الهة شيء غير الواحد
الذي هو فاطرهما لفسدتا وفيه دلالة على امرين احدهما وجوب ان لا يكون مدبرهما الا
واحدا والثاني ان لا يكون ذلك والواحد الا اياه وحده لقوله الا الله فان قلت لم يوجب
الامران قلت لعلمنا ان الرعية تفسد بتدبير الملكين لما يحدث بينهما من التعاكب

والشاكر

والشاكر والاختلاف وعن عبد الملك بن مروان حين قتل عمرو بن سعيد الاشدق كان
والله اغر على من دم ناظري ولكن لا يجتمع فحلان في شول وهذا طريقة التمانع فلمتكلمين فيها
تجاول وطراد ولان هذه الافعال محتاجة الى تلك الذات المتميزة بتلك الصفات حتى تثبت
وتشعر لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون لما كانت عادة الملوك والجبابرة اي لا يسألهم في
ملكهم عن افعالهم وعما يوردون ويصدرون عن تدبيره ملكهم هيبا واجلالا مع جواز الخطأ
والزلل وانواع الفساد عليهم كان ملك الملوك ورب الارباب خالقهم ورازقهم اولى
بان لا يسأل عن افعاله مع ما علم واستقر في العقول من ان ما يفعله كله مفعول بدواعي الحكمة
ولا يجوز عليه الخطأ ولا فعل القبائح وهم يسئلون اي هم مملوكون مستعبدون خطاؤن
فما اخلفهم بان يقال لهم لم فعلتم في كل شيء فعلوه ام اتخذوا الهة قل هاتوا برهانكم كرر ام اتخذوا
الهة استفظاعا لشأنهم واستطفاء لكفرهم اي وصفهم الله تع بانه له شريكا فهاتوا برهانكم على ذلك
اما من جهة العقل واما من جهة الوحي فانكم لا تجدون كتابا من كتب الاولين الا وتوحيد الله وتنزيهه
من الانداد مدعو اليه والاشراك به منهي عنه متوعد عليه فيه هذا ذكر من معي وذكر من قبلي
اي هذا الوحي الوارد في معنى توحيد الله ونفي الشركاء عنه كما ورد على فعد ورد على جميع الانبياء
فهو ذكر اي عظة للذين معي يعني امته وذكر للذين من قبلي يريد الانبياء وقرئ ذكر من معي وذكر من
قبلي بالتنوين ومن مفعول منصوب بالذكر كقوله او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما وهو الاصل
والاضافة من اضافة المصدر الى المفعول كقوله غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم
سيغلبون وقرأ من معي ومن على الاضافة في هذا القراءة وادخال الجار مع عليه عهيب والعذر فيه
انه اسم هو ظرف نحو قبل وبعد وعند ولدن وما اشبه ذلك قد حذفت عليه من كما يقدر على ا
اخواته بل اكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون كانهم قيل بل عندهم ما هو اصل الشر والفساد
كله وهو الجهل وفقد العلم وعدم التمييز بين الحق والباطل فمن ثم هذا الاعراض ومن ثم ورد
هذا الانكار وقرئ الحق بالرفع على توسط التاكيد بين السبب والمسبب والمعنى ان اعراضهم سبب
الجهل هو الحق لا الباطل ويجوز ان يكون المنصوب ايضا على هذا المعنى كما تقول هذا عند الله
الحق الباطل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم انه لا اله الا انا فاعبدون وقالوا اتخذ الرحمن
ولدا سبحانه يوحى ويوحى مشهورتان وهذه الايات مقررة لما سبقها من اي التوحيد برئت
في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله تعالى ذاته عن ذلك ثم اخبر عنهم بانهم عباد والعبودية
تنافي الولادة الا انهم مكرمون مقهورون عندي مفضلون على سائر العباد لما هم عليه من احول و

وصفات ليست لغيرهم فذلك هو الذي عن منهم من زعم انهم اولادي تعالت عن ذلك علوا كبيرا
بل عباد مكرمون لا يسبقونه القول وقرا مكرمون ولا يسبقونه بالضم من سابقته فسبقته فاسبقه
والمعنى انهم لا يقولون شيئا حتى يقوله فلا يسبق قولهم والمراد بقولهم فاشت اللام مناب الاضافة
اي لا يتقدمون قوله بقولهم كما تقول سبقت بفرسي فرسه وكما ان قولهم تابع لقوله فعملهم ايضا
كذلك مبني على امره لا يعملون عملا ما لم يؤمروا به وجميع ما ياتون ويذرون مما قدموا واخروا بعين
الله وهو مجازيهم عليه وهم بامره يعملون يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم فلاحاطتهم بذلك يضبطون
انفسهم ويراعون احوالهم ويراعون اوقاتهم ولا يشفعون الا من ارتضى ومن تحفظهم انهم لا
يجسرون ان يشفعوا الا لمن ارتضاه الله واهله للشفاعة في ازدياد الثواب وازدياد
التعظيم وهم من خشيته مشفقون ثم انهم مع هذا كله من خشية الله مشفقون اي متوقعون
من امارة ضعيفة كائنون على حذر ورقبة لا يامنون مكر الله وعن رسول الله صلعم انه راى
جبريل ليلة المعراج ساقطا كالحلس من خشية الله ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه
نجهنم كذلك نجزي الظالمين اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وبعد
ان وصف كرامتهم عليه وقرب منزلتهم عليه واثنى عليهم واضاف اليهم تلك الافعال
السنية والافعال المرضية فاجابا بالعذاب الشديد وانذر بعذاب جهنم من اشرك منهم ان
كان ذلك على سبيل الفرض والتمثيل مع احاطة علمه لا يكون كما قال ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا
يعملون قصد بذلك تعظيم امر الشرك وتعظيم شان التوحيد قرا لم ير بغير واو ورتقا بفتح التاء وكلاهما
في معنى الفتق كالخلق والنقض اي كانتا مرتوقتين فان قلت الرتق صالح ان يقع موقع
مرتوقتين لانه مصدر فما بال الرتق قلت هو على تقدير موصوف اي كانتا شيئا رتقا ومعنى ذلك
ان السماء كانت لاصقة بالارض لا فضاء بينهما او بين السموات متلاصقات وكذلك الارضون لا
فرج بينها ففتقها الله وفرج بينها وقيل تفتقهما بالمطر والنبات بعد ما كانت مضمنة وانما قيل
كانتا دون كن لان المراد جماعة السموات وجماعة الارض ونحوه قولهم لقاحان سوداوان
اي جماعتان فعل في المضمر كما فعل في المظهر فان قلت متى راوهما ارتقا حتى جاء تقريرهم
بذلك قلت فيه وجهان احدهما وارد في القران النبي هو معجزة في نفسه فقام مقام المرئي
المشاهد والثاني ان ملاصق الارض والسماء وتباينهما كلاهما جائز في العقل فلا بد للمتباين دون
التلاصق من مخصص وهو القديم سبحانه وجعلنا من الماء كل شيء حي افلا يؤمنون وجعلنا لا يخلو
الى واحد او اثنين فان تعدى الى واحد والمعنى خلقنا من الماء كل حيوان كقوله والله خالق كل شيء دابة

من ماء

من ماء او كانما خلقناه من الماء لفرط احتياجه اليه وجه وقلة حسن عنه كقوله خلق الانسان من عجل
وان تعدى الى اثنين فالمعنى صيرنا كل شيء حي لبس من الماء لا بد له منه ومن هذا نحو من في قوله عليه
السلم ما انا من دد ولا الدد مني وقرئ حيا وهو المفعول الثاني والظرف لغو وجعلنا في الارض
رواسي ان تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون اي كراهة تميد بهم وتضطرب
او لان لا تميد بهم فحذف لا واللام وانما جاز حذف اللام لعدم الالباس كما تراد لذلك في نحو قوله
لئلا يعلم اهل الكتاب وهذا مذهب الكوفيين الفج الطريق الواسع فان قلت في الفجاج معنى
الوصف فما لها قدمت على السبل ولم تؤخر كما من في قوله تعالى لتسلكوا منها سبلا فجاجا قلت
لم تقدم وهي صفة ولكن جعلت حالا كقوله لعزة من حسنا طلل قديم قلت ما الفرق بينهما من جهة
الفاعل فان قلت احدهما اعلام بانه جعل فيها طرقا واسعة والثاني بانه حين خلقها خلقها على تلك
الصفة فهو بيان لما ابهم ثم حفظه بالامساك بقدرته من ان يقع على الارض ويتزلزل او بالشهب
عن شمع الشياطين على سكانه من الملائكة وهم عن اياتها معرضون وهو الذي خلق الليل والنهار
والشمس والقمر عن اياتها اي عما وضع الله فيها من الادلة والعبر بالشمس والقمر وساير النيرات ومسايرها
وطلوعها وغروبها على الحساب القويم والترتيب العجيب الدال على الحكمة البالغة والقدرة الباهرة و
واي جهل اعظم من جهل من اعرض عنها ولم يذهب به وهمه الى تدبرها والاعتبار بها والاستدلال على
عظمة من شان اوجدها عن عدم ودبرها ونصبها هذه النصبة واودعها ما اودعها مما لا يعرف
كنهه الا هو عزت قدرته ولطف علمه وقرا عن اياتها على التوحيد اكتفاء بالواحدة في الدلالة على
الجنس اي هم متفطنون يرد عليهم من المنافع الدنيوية كالاستضاءة بقمريها والاشد ايكواكبها
وحيوة الارض والحيوان بامطارها وهم عن كونها اية بينة على الخالق معرضون كل في فلك
يسبحون التنوين فيه عوض للمضاف اليه اي كلهم في فلك يسبحون والضمير في الشمس والقمر والمراد
بها جنس الطوالع كل يوم وليلة جعلوها متكاثرة لتكاثر مطالعها وهو السبب في جمعها بالشموس
والاقمار والا فالشمس واحدة والقمر واحد وانما جعل الضمير واو العقلاء للوصف بفعلهم وهو
السباحة فان قلت الجملة ما محلها قلت النصب على الحال من الشمس والحال من القمر فان قلت
كيف اشتد بهما دون الليل والنهار ينصب الحال عنهما قلت كما يقول رايت زيدا وهندا شيرجة
ونحو ذلك اذا حيث بصفة يختص بها بعض يتعلق به العامل ومنه قوله تعالى في السورة ووهبنا له
اسحق ويعقوب نافلة او لا محل لها لاستئنافها فان قلت لكل واحد من على حدة فكيف قيل جميعهم
يسبحون في فلك قلت هذا كقولهم كساهم الامير حلة وقلدهم سيفا اي كل واحد منهم او كساهم

وقلدهم هذين الجنسين فاكتفى بما يدل على الجنس اختصارا ولان العوض الدلالة على الجنس وما
جعلنا لبشر من قبلك الخلد افاين مشرفهم الخالدون كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير
فتنة والينا ترجعون كانوا يقدرون انه سيموت فيتمنون موته فنفى الله عنه الشماتة بهذا اي قضى الله
ان لا يخلد في الدنيا بشر افلا انت ولا هم الا عرضة للموت فاذا كان الامر كذلك قال متى اشفى
هولاء وفي معناه قول القايل شعر فقل للشامتين بنا افيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا اي نختبركم
بما يجب فيه الصبر من البلايا وبما يجب فيه الشكر من النعم والينا مرجعكم فنجازيكم على حسب ما
يوجد منكم من الصبر او الشكر وانما سمي ذلك بلاء وهو عامل بما يكون اعمال العاملين قبل
وجودهم لانه في صورة الاختبار وفتنة مصدر موكد لنبلوكم من غير لفظه واذا راك الذين كفروا
ان يتخذونك الا هزوا اهذا الذي يذكر الهتكم وهم بذكر الرحمن كافرون في قرا الذكر يكون تحقير
وبخلافه فاذا دلت الحال على احدهما اطلق ولم يقيد كقولك الرجل سمعت فلانا يذكرك فان
كان الذاكر صديقا فهو شاد وان كان عدوا فذم منه قوله تعالى في سمعنا مذكرهم وقوله اهذا الذي
يذكر الهتكم والمعنى انهم عاكفون بهمهم على ذكر الهتهم وما يجب ان لا يذكر به من كونهم شفعاء وشهداء
وليس هم ان يذكرها ذاكر بخلاف ذلك واما ذكر الله وما يجب ان يذكر به من الوحدانية فهم به
كافرون لا يصدقون به اصلا فهم بان يتخذوا هزوا منك فانك محق وهم مبطلون وقيل معنى
معنى بذكر الرحمن قولهم ما نعرف الرحمن الا مسيلمة وقولهم وما الرحمن نسجد لما تامرنا وقيل يذكر
بما انزل عليك من القران والجملة في موضع الحال اي يتخذونك هزوا وهم على حال هي اصل
الهزو والسخرية وهي الكفر بالله خلق الانسان من عجل ساريكم اياتي فلا تستعجلون كانوا يستعجلون
عذاب الله واياته الملجئة الى العلم والاقرار ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين فاراد نهيهم
عن الاستعجال ورجوعهم فقدم اولا دم الانسان على افراط العجلة وانه مطبوع عليها ثم نهاهم وز
جرهم كانه قال ليس ببدع منكم ان تستعجلوا فانكم مجبولون على ذلك وهو طبعكم وسجيتكم وعن
ابن عباس انه اراد بالانسان ادم وانه حين بلغ الروح صدره ولم يبالغ فيه اراد ان يقوم
وروي لما دخل الروح في عينيه نظر الى ثمار الجنة ولما دخل جوفه اشتهى الطعام وقيل خلقه
الله في اخر النهار يوم الجمعة قبل غروب الشمس فاسرع في خلقه قبل مغيبها وعن عباس انه النضر بن
الحارث والظاهر ان المراد الجنس وقيل العجل الطين بلغة حمير قال شاعرهم والنخل ينبت بين
بين الماء والعجل والله اعلم بصحته فان قلت لم نهاهم عن الاستعجال مع قوله خلق الانسان من
عجل وقوله وكان الانسان عجولا اليس هذا من تكليف ما لا يطاق قلت هذا كما ركب فيه

الشهوة

وامره بان يغلبها لانه اعطاها القدرة التي يستطيع بها فمنع الشهوة وترك العجلة وقرئ خلق الانسان
لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون جواب
لو محذوف وحين مفعول به ليعلم اي لو يعلمون الوقت الذي سيعجلون عنه بقولهم متى هذا
الوعد وهو وقت صلب صعب شديد يحيط بهم فيه النار من ورا وقدام فلا يقدرون على دفعها
ومنعها من انفسهم ولا يجدون ناصرا ينصرهم لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال
ولكن جهلهم به هو الذي هونه عندهم ويجوز ان يكون يعلم متروكا بلا تعدية لو كان معهم علم
ولم يكونوا جاهلين لما كانوا مستعجلين وحين منصوب بمضمر اي حين لا يكفون عن وجوههم
النار يعلمون انهم كانوا على الباطل وينفي عنهم هذا الجهل العظيم اي لا يكفونها بل ياتيهم بغتة فلا
يستطيعون ردها ولا هم ينصرون بل تفجاهم فتغلبهم يقال في المغلوب في المحاجة مبهوت ومنه
فبهت الذي كفر اي غلب ابرهيم الكافر وقرا الاعمش ياتيهم فيبهتهم على التذكير والضمير للوعد او
للحين فان قلت فاللام يرجع الضمير المونث في هذه القراة قلت الى النار او الى الوعد لانه في
في معنى النار وهو التي وعدوها او على تاويل العدة والموعدة او الى الحين لانه في معنى الساعة
او الى البغتة وقيل في القراة الاولى الضمير للساعة وقرا الاعمش بغتة بفتح الغين ولقد استهزئ
برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون تذكير بانظاره اياهم وامهاله و
تقبيح وقت التذكير عليهم اي لا يمهلون بعد طول الامهال سلى رسول الله صلعم عن استهزائهم به بان
له في الانبياء عليهم السلام وان ما يفعلونه به يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين بالانبياء ما فعلوا قل من
يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن بل هم عن ذكر ربهم معرضون ام لهم الهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون
نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون اي من باسه وعذابه بل هم معرضون عن ذكره لا يخطرونه ببالهم
فضلا من الرحمن ان يخافوا حتى اذا رزقوا الكلاة منه عرفوا من الكالي وصلحوا للسوال عنه والمراد انه
امر رسوله بسوالهم عن الكالي ثم بين انهم لا يصلحون لذلك لاعراضهم عن ذكر من يكلاهم اضرب عن
ذلك بما في ام من معنى بل وقال الهم الهة تمنعهم من العذاب تجاوز منعنا وحفظنا ثم استانف
فبين ان ما ليس بقادر على نصر نفسه ومنعها ولا بمصحوب من الله بالنصر والتاييد كيف يمنع غيره
وينصره بل متعنا هولاء واباءهم حتى طال عليهم العمر ثم قال بل ما هم فيه من الحفظ والكلاة انما هو منا
لا من مانع يمنعهم من اهلاكنا وكالانا هم واباءهم الماضين الا استيفاء لهم ما لحيوة الدنيا وامهالا
لا كما متعنا غيرهم من الكفار وامهلناهم حتى طال عليهم الامد وامدت ايام الروح والطمانينة فحسبوا
ان لا يزالوا على ذلك لا يغلبون ولا ينزع عنهم ثوب امنهم واستمتاعهم وذلك طمع فارغ وامل

كاذب افلا يرون انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها افهم الغالبون قل انما انذركم بالوحي ولا يسمع
الصم الدعاء اذا ما ينذرون وليس منهم بعضهم من عذاب ربك لنقولن ماويلنا انا كنا ظالمين
انا ننقص ارض الكفرة ودار الحرب ونحذف اطرافها بتسليط المومنين عليها وظهار
على اهلها وردها دار اسلام فان قلت اى فايدة فى قوله نأتي الارض قلت الفايدة فيه
تصوير بكون الله يجريه على ايدى المسلمين وان عساكرهم وسرايامهم كانت تغزو اطراف البلاد
وتاتيها غالبة عليها ناقصة من اطرافها وقرئ ولا يسمع الصم ولا تسمع بالياء والتاء اى لا يسمع
انت ولا يسمع رسول الله ولا يسمع الصم من الصمع فان قلت الصم لا يسمع دعا المبشر كما لا
يسمعون دعا المنذر فكيف قيل اذا ما ينذرون قلت اللام فى الصم اشارة الى هولا
المنذرين كانه للجنس لا للعهد والاصل ولا يسمعون اذا ما ينذرون فوضع الظاهر موضع
المضمر للدلالة على تصامهم وسد حواسماعهم اذا انذروا اى صم على هذه الصفة من الجرءة وا
لجسارة على التصام من ايات الانذار وليس منهم من هذا الذى ينذرون به ادنى شئ لاذعنوا
وذلوا واقروا بانهم ظلموا انفسهم حين تصاموا عاعرضوا عن المس والنفحة بناء المبالغات
لان النفح فى معنى القلة والنزارة يقال نفحته الدابة وبورك لبسير ونفحة بعطية دخنة و
ولبنة المزارة ونصب الوان القسط يوم القيمة فلا تظلم نفس شيأ وان كان مثقال حبة من خردل
اتينا بها وكفى بنا حاسبين وصف الموازين بالقسط وهو العدل مبالغة كانها فى انفسها قسط
او على حذف المضاف اى ذوات القسط واللام فى ليوم القيمة مثلها فى قولك جيء لخمس ليال
خلون من الشهر ومنه بعثت النايحة سحر ترجمت يؤم لها فعرفها لشهرة اعوام ودالفاسم
سابع وقيل لاهل يوم القيمة اباة اولاطهم فان قلت ما المراد بوضع الموازين قلت فيه قولان
احدهما ارصاد للحساب السوى والجزا على حسب الاعمال بالعدل من غير ان يظلم عبادة
مثقال ذرة فمثل ذلك يوضع الموازين لتوزن بها الموزونات والثانى انه يضع للموازين
الحقيقة ويزن بها الاعمال عن الحسن وهو ميزان له كفتان ولسان يروى ان داود عليه
السلام سال ربه ان يريه الميزان فلما راعى عليه ثم اغاق فقال يا الهى من ذا الذى يقدر ان
يملا كفته الحسنات فقال يا داود انى اذا رفت عن عبدى ملاتها بتمرة فان قلت كيف توزن
الاعمال وانما هى اعراض قلت فيه قولان احدهما توزن صحايف الاعمال والثانى الاجعل
فى كفة الحسنات جواهر بيض شرقة وفى كفة السيات جواهر سود مظلمة وقرئ مثقال حبة
على كان الناقة كقوله وان كان ذو عسرة وقرا ابن عباس ومجاهد اتينا بها وهى مفاعلة

من الاثيان

من الاثيان بمعنى المجازاة والمكافاة لانهم اتوه بالاعمال واتاهم باجزاء وقرا حميد اتينا بها من
الثواب وفى حرف ابى جيء بها وانت ضمير المثقال لاضافة الى الحبة كقولهم ذهبت بعض اصابعه
ولقد اتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرى للمتقين اى اتيناهما جامعة من الشرايع
الفرقان وهو التوراة واتيناه ضياء وذكر للمتقين والمعنى انه فى نفسه وضاء ذكر او اتيناهما
جامعة من الشرايع والمواعظ ضياء وذكرا وعن ابن عباس الفرقان الفتح كقوله يوم الفرقان و
عن الضحاك فلق البحر وعن محمد بن كعب المخرج من الشبهات وقرا ابن عباس ضياء وقرئ وهو حال
عن الفرقان والذكر الموعظة او ذكرا يحتاجون اليه فى دينهم ومصالحهم او الشرف الذين يخشون
ربهم بالغيب صم من الساعة مشفقون محل الذين جر على الوصفية او نصب على المدح او رفع عليه
وهذا ذكر مبارك انزلناه فانتم له منكرون هو القران وبركته كثرة منافعه وغزارة خيره
ولقد اتينا ابرهيم رشده الرشد الاهدى الوجوه الصلاح قال الله تع فان انستم منه رشدا فادفعوا
فعوا اليهم اموالهم وقرئ رشده والرشد والرشد كالعدم والعدم ومعنى اضافه اليه انه
رشد مثله وازه رشد له شان من قبل وكنا به عالمين من قبل موسى وهرون ومعنى علمه به انه
علم منه احوالا بديعة واسرارا عجيبة وصفات قدسية واحدها حاصيا اتقدم لخالته وخالصته
وهذا كقولك فى خير الناس انت لم تبخلان فكلامك هذا من الاحتوا على محاسن اوصاف جمة
اذا ما يتعلق باتينا اغير رشده او بمحذوف اى اذكر من اوقات رشده هذا الوقت اذ قال لابيه وقومه
ما هذه التماثيل التى انتم لها عاكفون قالوا وجدنا اباءنا لها عابدين وقوله ما هذه التماثيل جاهل
لهم وتعاب بحقارتها وبصغر شانها مع علمه بتعظيمهم واجلالهم لها تبيينا للعاكفين مفعولا او
واجرية مجراه مالا تعدى كقولك فاعلون العكوف لها او واقعون لها فان قلت هلا
قيل عليها كقوله ترتع على اصنام لهم قلت لو قصد التعدية لتعداه بصلته التى بنى على ما اقبح
التعليد والقول المستقل بغير برهان وما اعظم كيد الشيطان للمقلدين حيث استدرجهم الى
ان قلدوا اباءهم فى عبادة التماثيل وعفروا لها جباههم وهم معتقدون انهم على كل شئ وجا
دون فى نصرة مذهبهم ومجادلون لاهل الحق عن باطلهم وكفى اهل التعليد سبة عن عبدة الاصنام
منهم قال لقد كنتم انتم واباكم فى ضلال مبين اتم من التاكيد الذى لا يصح مع الاخلال به لان
العطف على ضمير هو فى حكم بعض الفعل ممتنع ونحوه اسكن انت وزوجك الجنة اراد للمقلدين
والمقلدين جميعا منخرطون فى سلك ضلال لا يخفى على من به ادنى مسكة لاشاد الفريقين
الى غير دليل بل الى هوى متبع وشيطان مطاع فالوا احقا بالحق ام انت من الاعبين لا

لا يشعادهم ان يكون ما هم عليه ضلالا بقوا متعجبين من تغليله ايام وحسبوا انما قاله على وجه المزاح
والملاعبة لا على طريق الجد فقالوا له هذا الذي جئتنا به اموجد وحق ام لعب ومزل قال بل ربكم
رب السموات والارض الذي فطرهن وانا على ذلكم من الشاهدين الضمير في وطرهن للسموات والارض
او التماثيل وكونه للتماثيل ادخل في تضليلهم وابت عليه في الاحتجاج عليهم وشهادته على ذلك
ارلاوه بالحجة عليه وتصحيحه بها كما يصح الدعوى بالشهادة كانه قال وانا ابين ذلك وابرهن عليه
كما يبين المدعاوي بالبينات لاني لست مثلكم فاقول ما لا اقدر على اثباته بالحجة كما لا مقدروا
على الاحتجاج لمذهبكم ولم ترضوا على اباكم وجدتم عليه اباكم وتالله لاكيدن اصنامكم بعد ان تولوا
مدبرين فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه مرجعون قرأ ابن عامر وابن عمر وابن عباس وقرئ تولوا
بمعنى تولوا وتقويها قوله فتولوا عنه مدبرين فان قلت ما الفرق بين الباء والتاء قلت
ان الباء هي الاصل والتاء من الواو المبدلة منها وان التاء مبدل فيها زيادة وهو التعجب كانه تعجب
من تسهل الكيد على يده وتأتيه لان ذلك كان امرا مقوطا منه لصعوبته وتعذره ولعمري ان
مثله صعب متعذر في كل زمان خصوصا في كل مرود مع عشيرته وتكثيره وقوة سلطانه
وتهالكه على نصرة دينه ولكن اذا الله سبحانه يسر عقد شيء يسر وجه ان ادرج به في يوم عيد لهم فبدا
وابت الاصنام قد خلوا وسجدوا لها وضعوا طعاما خرجوا به معهم وقالوا الى ان ترجع
بركت الاطعمة على طعامنا قد بهوا وبقي ابن صهيم فنظر الى الاصنام وكانت سبعين صنما مصطفة
وثم صنم عظيم مستقبل الباب وكان من ذهب وفي عنقه جوهران تقبان بالليل فكسرها كلها بالفاس
في يده حتى لم يبق الا الكبير علق الفاس في عنقه عن قتادة قال ذلك سرا من قومه وروي سمعه
رجل واحد قطاع جذاذا من الجذ وقرا بالكسر والفتح وقرئ خذرا جمع حذيذ وجذذا جمع جذة
وانما ابقى الكبير لانه غلب في ظنه انهم لا يرجعون الا اليه لما شاهدوه من انكاره لدينهم
وسبته لالههم فكلهم بما اجاب به من قوله بل فعله كبيرهم هذا فسلوهم وعن الكلبي اليه الكبير هم
ومعنى هذا اليه لعلهم يرجعون اليه كما يرجع الى العالم في حل المشكلات فيقولون له طهوا لا نكسوة
وما لك صحيحا والفاس على عاتقه قال هذا بنا على ظنه بهم لما جرب وذاق من مكابرتهم لعقولهم
واعتقادهم في الهتهم وتعظيمهم لها او علم مع قاله انهم لا يرجعون اليهم لاستهزائهم وسخريتهم
وان قياس حال من يحد له ويوهله للعبادة ان يرجع اليه في حل المشكلات فان قلت
فاذا رجعوا الى الصنم بمكابرتهم لعقولهم ورسوخ الاشراك في اعراقهم فاي فائدة وبنية
في رجوعهم اليه حتى يجعله ابرهيم صلوات الله عليه عرضا قلت اذا رجعوا تبين انه

عاجز لا ينفع ولا يضر ولا يظهر انهم في عبادته على جهل عظيم قالوا من فعل هذا بالهتنا انه
لمن الظالمين اي ان من فعل هذا الكسر والحطم لشديد الظلم معدود في الظلمة اما الجراءة
على الالهة الحقيقة عندهم بالتوقيس والاعظام واما لانهم راوا اقراطا في حطمها
وتماديا في الاستهانة بها قال سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابرهيم قال فلت ما حكم الفعلين
بعد سمعنا فتى واي فرق بينهما قلت هما صفتان لفتى الا ان الاول وهو يذكرهم لابد
منه ليتم لانك لا تقول سمعت زيدا وسكت حتى تذكر شيئا مما يسمع وانا التاني
فليس ذلك فان قلت ابرهيم ما هو قلت قيل هو خبر مبتدا محذوف
او منادا والصحيح انه فاعل يقال لان المراد الاسم لا المسمى قالوا فاتوا به على اعين
الناس في محل الحال بمعنى معاينا مشاهدا اي يمرأى منهم ومنظر فان قلت
ما معنى الاستعلاء في على قلت هو وارد على طريق المثل اي بثباتا به
مرأى الاعين ويتمكن فيها ثبات الراكب على المركوب وتمكنه منه لعلهم يشهدون
عليه بما سمع منه بما فعله يخزون عقوبشاروي ان الخبر بلغ الى نمرود واشراف
قومه فامروا باحضاره قالوا اانت فعلت هذا بالهتنا يا ابرهيم هذا من معاريض
الكلام ولطايف هذا النوع لا يتغلغل فيها الا اذهان الراضة من علما المعاني والعقول
فيه ان يقصد ابرهيم صلوات الله عليه لم يكن الى ان ينيب الفعل القادر عنه الى
الفتى وانما قصد ليقرر بنفسه واثباته لها على اسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه
من الزامهم الحجة وسكتهم وهذا كما قال لك صاحبك وقد كتب كتابا
بخط رشيق وانت شهير بحسن الخط انت كتبت هذا وصاحبك اي لا تحسن
الخط اولا يقدر الا خرمشة فكسرة له قلت له بل كتبته انت كان قصدك بهذا
الجواب تقريره لك مع الاستهزاء به لا تقيد عنك واثباته للاولى والخرمشة لان اثباته
والامر وابر بينهما للعاجز منكما للاستهزاء به واثبات للقادر والقايل ان علة تلك
الاصنام حسين ابصرها مصطفة ومرتبة وكان غيظ كسرها اكبر واشد من زيادة
تعظيمهم له فاسند اليه الفعل هو الذي نيب لاشهانته بها وحطمه لها والفعل
كما يسند الى مباشرة يسند الى الحامل عليه ويجوز ان يكون حكاية لما يقول الجانون
مذهبهم كانه قال لهم ما شكرون ان يفعله كبيرهم فان من حق من يعبد ويدعى الهة
ان يقدر على هذا او اشد منه قال بل فعله كبيرهم هذا فسلوهم ان كانوا ينطقون

ويحكى انه قال فعله كبيرهم هذا غضب ان تعبد معه هذه الصغار وهو اكبر منها وقرا محمد من السميع
فعله كبيرهم يعني فلعله اي فلعل الفاعل كبيرهم فلما رجعوا الى انفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون
فلما القمهم الحجر واخذ بمخانقهم رجعوا الى انفسهم فقالوا انتم الظالمون على الحقيقة لا من ظلمتموه
حين قلتم من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين ثم نكسوا على رؤسهم لقد علمت ما هولا ينطقون
نكسته قلبته فجعلت اسفله اعلاه وانكس انقلب اي استقاموا حين رجعوا الى انفسهم وجا
وا بالفكرة الصالحة ثم انتكسوا وانقلبوا عن تلك الحالة فاخذوا بالمجادلة بالبا والمكابرة وان
هولا مع تقاصر حالها عن حال الحيوان الناطق الهة معبودة مضارة منهم او انتكسوا عن كونهم
مجادلين لابرهيم مجادلين عنه حين نفوا عنها القدرة على النطق او قلبوا على رؤسهم حقيقة
لفرط اطراقهم خجلا وانكسارا والخزا الا مما بهتهم به الهتهم فما احاروا جوابا الا ما هو حجة عليهم
وقرا نكسوا بالتشديد نكسوا على لفظ وسمي فاعله اي انفسهم على رؤسهم قرا به رضوان عبد المعبود
قال فتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيا ولا يضركم اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون
ان صاحبه متضجرا ضجره ما جرى من شبابهم على عبادتها بعد انقطاع عذرهم وبعد وضوح الحق
وزهوق والباطل متاقف بهم والام لبيان لمتاقف به اي لكم ولالهتكم هذا التاقف قالوا حر
قوه وانصروا الهتكم ان كنتم فاعلين قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابرهيم اجمعوا راهم لما غلبوا با
هلاكه وهكذا المبطل اذا قرعت شبهته بالحجة وافتضح لم يكن احد ابغض اليه عليه من المحق ولم يبق
له مفزع الا مناصبته كما فعلت قريش برسول الله صلعم حين عجزوا المعارضة والذي اشار اليه
يا حراقة نمروذ وعن ابن عمر رضي الله عنه رجل من اعراب العجم يريد الاكراد وروي انهم حين
هموا باحراقه حبسوه ثم هنوا هيشا كابكوني وجمعوا شهرا اصناف الخشب حتى ان كانت المرضى
تمره فتقول ان عافاني الله لاجمعن حطبا ثم اشعلوا نارا عظيمة كادت الطير تحترق في الجو
من وهجها ثم وضعوها في المنجنيق مقيدا مغلولا فرموا به فيها فناداها جبرئيل عليه السلام يا نار
كوني بردا وسلاما ويحكى ما احترقت منه الا وثاقه وقال له جبرئيل حين رمى به هلك
حاجة فقال اما اليك فلا فسل ربك قال حسبي من سوالي علمه بحالي وعن ابن عباس انما نجى
بقوله حسبي الله ونعم الوكيل واطل عليه النمروذ من الصرح فاذا هو في روضة ومعه جليس
له من الملايكة فقال اني مقرب الى الهك فذبح اربعة الاف بقرة وكف عن ابراهيم وكان
ابراهيم اذ ذاك ابن ست عشرة سنة واختاروا المعاقبة بالنار ولانها اهول ما يعاقب وا
فظه ولذلك جا لا يعاقب بالنار الا خالقها ومن ثم قالوا ان كنتم فاعلين اي ان كنتم

ناصرين

ناصرين الهتكم نصرا موزرا فاختاروا له هل المعاقبات وهي العراق بالنار والا فرطتم في نصر
تها على عظموا النار وتكلفوا في تشهير امرها وتفخيم شانها ولم يالوا جهدا في ذلك جعلت
النار لطاوعتها فعل الله وارادتها كامورا من شي فامتثله والمعنى ذات برد وسلاما
فبولغ في ذلك كان ذاتها برد وسلام والمراد بردي فيسلم منك ابرهيم او ابردي
بردا غير ضار وعن ابن عباس ولم يقل ذلك لاهلكته بردها فان قلت كيف بردت
النار وهو نار قلت نزع الله عنها طبع الله الذي طبعها عليه من الحر وابقاها على الاضاءة
والاشراق والاستعمال كما كانت والله على كل شي قدير ويجوز ان يدفع بقدرته عن جسم
ابرهيم اذى حرها وتذيقه فيها عكس ذلك كما يفعل بخزنة جهنم ويدل عليه قوله
على ابراهيم وارادوا ان يكيدوه ويمكروا به فما كانوا الا مغلوبين مقهورين غالبوه
بالجدال فغلبه الله ولقنه بالمسكت وفزعوا الى القوة والجبروت فنصره وقواه ونجيناه
ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين نجينا من العراق الى الشام وبركاته الواصلة الا
العالمين ان اكثر الانبيا فيه بعثوا فانتشرت في العالمين شرايعهم واثارهم الدينية وهي
البركات الحقيقة وقيل بارك الله فيه بكثرة الما والشجر والثمر والخصب وطيب عيش الغني
والفقير وعن سفيان انه خرج الى الشام فقيل له الى اين فقال الى بلد يملا فيه الجراب بدرهم
وقيل ما من ما عذب الا وينبع اصله من تحت الصخرة التي بيت المقدس وروي انه نزل بفلسطين
ولوط بالمونفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة ووهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا صا
لحين النافلة ولد الولد وقيل سال اسحق فاعطيه واعطى يعقوب نافلة اي زيادة و
فضلا من غير سوال يهدون بامرنا فيه ان من صلح ليكون قدوة في دين الله فالهداية
محتومة عليه مامور هو بها من جهة الله ليس له ان يخل بها ويتثاقل عنها واول ذلك
ان يهتدي بنفسه لان الاشعاع بهداه اعم والنفوس الى الاقتدا اميل وجعلنا
هم ايمة يهدون بامرنا واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلوة وايتا الزكوة وكانوا
لنا عابدين اصله ان يفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات او فعل الخيرات وكذلك
اقام الصلوة وايتا الزكوة ولوطا اتيناه حكما وعلما ونجيناه من القرية التي تعمل ا
لخبائث انهم كانوا قوم سوء فاسقين حكما حكمة وهو ما يجب فعله اصلا بين الخصوم
وقيل النبوة والقرية سدوم وادخلناه في رحمتنا انه من الصالحين اي في اهل
رحمتنا او في الجنة ومنه الحديث هذا رحمتي ارحم بها من اشاء ونوحا اذ نادى من

قبل فاستجبنا له فنجيناه واهله من الكرب العظيم ونصرناه من القوم الذين كذبوا باياتنا انهم
كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين وداود وسليمن اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم
القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمن وكلا اتيناه حكما وعلما وسخرنا مع داود
الجبال ومن قبل هولا المذكورين هو نصر الله مطاوعة انتصر وسمعت هذليا يدعو على سارق
اللهم انصرهم منه اي اجعلهم منتصرين منه والكرب الطوفان وما كان فيه من تكذيب قومه
اي واذكرهما واذ بدل منهما والنفش الانتشار بالليل وجمع الضمير لانه اراد هما والمتحاكمين اليه
وقرى لحكمهما والضمير في فهمناها للحكومة او الفتوى والقرى فافهمناها حكم داود بالغنم لصاحب
الحرث فقال سليمن وهو ابن حلي عشرة سنة غير هذا ارفق بالفريقين فعزم عليه ليحكمن فقال ارى
ان تدفع الغنم الى اهل الحرث يشفعون بالبانها واولادها واصوافها والحرث الى ارباب
الشا يقومون عليه حتى يعود كهيئته يوم افسدتم بشر اذان فقال القضا ما قضيت وامضى
الحكم بذلك فان قلت احكما بوحي ام باجتهاد قلت قيل حكما جميعا بالوحي الا ان حكومة
داود نسخت بحكومة سليمن وقيل اجتهد جميعا فجا اجتهاد سليمن اشبه بالصواب فان
قلت ما وجه كل واحدة من الحكومتين قلت اما وجه حكومت داود فلان الضرر ولما وقع
بالغنم فسلمت نجايبها الى المجني اليه كما قال ابو حنيفة في العبد اذا جنى على النفس يدفعه
المولى بذلك او يدفعه وعند الشافعي يبيعه في ذلك او يفديه ولعلك قيمة الغنم كانت
على قدر النقصان في الحرث ووجه حكومت سليمن انه جعل الانتفاع من الغنم بازا ما فات
من الانتفاع بالحرث من غير ان يزول الضرر والنقصان مثاله ما قاله اصحاب الشافعي فيمن غصب
عبدا فابق من يده انه يضمن القيمة فينتفع بها المغصوب منه بازا ما قوته الغاصب من منافع
العبد فاذا ظهر ترادا فان قلت فلو وقعت هذه الواقعة في شريعتنا ما حكمتها فان قلت
ابو حنيفة واصحابه لا يرون فيها ضمانا او بالليل او بالنهار الا ان يكون مع البهيمة سايق
او قايد والشافعي يوجب الضمان بالليل وفي قوله ففهمناها سليمن دليل على ان الاصوب
كان مع سليمن وفي قوله وكلا اتيناه حكما وعلما دليل على انهما جميعا كانا على الصواب
سبحن حال بمعنى مسبحات او استيناف كان قايلا قال كيف سخرهن فقال يسبحن والطير اما معطوف
على الجواب او مفعول معه فان قلت لم قدمت الجبال على الطير قلت لان تسخيرها
وتسبيحها اعجب وادل على القدرة وادخل في الاعجاز لانها جماد والطير حيوان ناطق روي انه
كان يمر بالجبال مسبحا وهي تجاوبه وقيل كانت تسير معه فان قلت كيف ينطق الجبال وتسبح

قلت

قلت بان يخلق الله فيها الكلام كما خلقه في الشجرة حين كلم موسى وجواب اخر وهو ان
يسبح من راها تسير الله فلما حلت على التسبيح وصفت به وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير
وكنا فاعلين وعلمناه صفة لبوس لكم اي قادرين على ان يفعل هذا وان كان عجيبا عندكم
وقيل كنا نفعل ومثل ذلك بالانبيا واللبوس واللباس قال اليس لكل حالة لبوسها والمراد الدرع
قال قتادة كانت صفايح فاول من حلقها وسردها داود فجمعت الحلقة والتحصنكم بالنون
واليا وتخفيف الصاد وتشديدها فالنون لله عز وجل والتا للصفة او للبوس على تاويل الدرع
واليا لداود او للبوس لتحصنكم من باسكم فهل انتم شاكرون ولسليمن الريح عاصفة تجري بامره
الى الارض باركنا فيها وكنا بكل شي عالمين قرى الريح والرياح بالرفع والنصب فيهما فالرفع
على الابتدا والنصب للعطف على والجبال فان قلت وصف هذه الرياح بالعطف
تارة وبالرخاوة اخرى فما التوفيق بينهما قلت كانت في نفسها رخية طيبة كالنسيم
فاذا مرت بكرسيه ابعدت به في مدة يسيرة على ما قال غدوها شهر ورواحها شهر
فكان جمعها بين الامرين ان يكون رخا في نفسها وعاصفة في عملها مع سليمن وهبوبها
على حسب ما يريد ويحتكم اية الى اية ومعجزة معجزة وقيل كانت في وقت رخا وفي
وقت عاصفا لهبوبها على حكم ارادته وقد احاط علمنا بكل شي فنجري الاشيا كلها ما يقتضيه
علمنا وحكمتنا ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك وكنا لهم حافظين
اي يغوصون له في البحر فيستخرجون الجواهر ويتجاوزون ذلك على الاعمال والمهر وبنا المدائن
والقصور واختراع الصنايع العجيبة كما قال يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل والله
حافظهم ان يزيغوا عن امره او يبدلوا او يغيروا او يوجد منهم فساد في الجملة فيما هم
مسخرون فيه وايوب اذ نادى ربه اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين فاستجبنا له وكشفنا
ما به من ضر واتيناه اهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين اي ناداه باني
مسني وقرى اني بالكسر على اضمار القول او لتضمن النداء معناه والضر بالفتح الضرر في كل
شي وبالضم الضرر بالنفس من مرض وهزال فرق بين البنا بين الافتراق المعنيين الطف
في السوال حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة وذكر بغاية الرحمة ولم يصرح بالمطلوب
ويحكى ان عجوزا تعرضت لسليمن بنت عبد الملك فقالت يا امير المومنين بنت جرذان سبي
على العصي فقال لها الطفت في السوال لا جرم لاردنها بنت وبنت العهود وملابستها حبا
كان ايوب عليه السلام رويتا من ولد اسحق ابن يعقوب عليهما السلام وقد اشتباه

الله وبسط الدنيا وكثر اهله وماله كان له سبعة بنين وسبع بنات وله اصناف البهايم و
خمسة ماية قدان يشعها خمسماية عبد لكل عبد امراة وولدة وتحيل قاتيلاه بذهاب
ولده انهدم عليهم البيت فهلكوا او بذهاب ماله فهلكوا او بالمرض في بدنه ثماني عشرة سنة
وعن قتادة ثلث عشرة وعن مقاتل سبعا وسبع اشهر وسبع ساعات وقالت له امراته
يوما لو دعوت الله فقال لها كم كانت مدة الرخا فقال ثمانين سنة فقال انا استحي من الله ان
ادعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي فلما كشف الله عنه احيى ولده ورزقه مثلهم ونوا
قل منهم وروي انه امراته ولدت بعده سنة وعشرين ابنا اي لرحمتنا الفايدين وانا مذكرهم
بالاحسان لاقسامهم او رحمة منا لايوب وتذكرة لغيره من الفايدين ليصبروا كما صبر حتى يثا
بوا كما اثيب في الدنيا والاخرة واسمعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين وادخلناهم
في رحمتنا انهم من الصالحين وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه في الظلمات
ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك نجي
المومنين قيل في ذا الكفل هو الياس وقيل زكريا وادريس وقيل يوشع بن نون وكانه سمي
بذلك لانه ذو الحظ من الله والمجد وعلى الحقيقة وقيل كان له ضعف عمل الانبيا في زمانه
وضعف ثوابهم وقيل خمسة من الانبيا ذوو اسمين اسرايل ويعقوب والياس وذا الكفل
عيسى والمسيح يونس وذا النون محمد واحمد والنون الحوت فاضيف اليه برم بقومه لطول ما ذكرهم
فلم يذكروا واقاموا على كفرهم فراغمهم وظن ان ذلك يسوغ حيث لم يفعله الا غضبا لله
وانفة لدينه وبغضا الكفر واهله وكان عليه ان يصابر وينتظر الاذن من الله في المهاجرة
عنهم فابتلي بنظر الحوت ومعنى مغاضبة بقومه انه اغضبهم بمفارقته لخوفهم حلول العقاب
عنهم عندها وقرا ابو شرف مغضبا قرئ نقدر ونقدر مخففا ومثقلا ويقدر بالياء بالتخفيف
ويقدر ويقدر على البنا للمفعول مخففا ومثقلا وفسرت بالتضييق عليه وبتقدير الله عليه
عقوبة وعن ابن عباس انه دخل على معوية فقال لقد ضرني امواج القران البارحة فيها فلم
اجد لنفسي الا بك قال وما هي يا معوية فقال هذه الاية وقال او يظن ان لا يقدر قال هذا من
القدر لا من القدرة والمخفف يصح ان يفسر بالقدرة على معنى ان لن نعمل فيه قدرتنا وان
يكون من باب التمثيل بمعنى فكانت حاله ممثلة بحال من يظن ان لن نقدر عليه في مراغمته
قومه من غير انتظار لامر الله ويجوز ان يسبق ذلك الى وهمه بوسوسة الشيطان ثم يردعه
ويرده بالبرهان كما يفعل المومن المحقق بسرعات الشيطان وما يوسوس اليه في كل وقت

ومنه

قوله تع وتظنون بالله الظنونا والخطاب للمومنين في الظلمات اي في الظلمة الشديدة المتكاثفة
في بطن الحوت كقوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات وقوله يخرجونهم من الظلمات
الى النور وقيل ظلمات بطن الحوت والبحر والليل وقيل ابتلع حوته حوت اكبر منه فحصل في
ظلمتي بطني الحوت وظلمة البحر اي بانه لا اله الا انت او بمعنى اي عن النبي صلعم ما من مكروب
يدعو بهذه الدعا الا استجيب له وعن الحسن ما نجاه الله والله الا اقراره على نفسه بالظلم ننجي ونجي
ونجي والنون لا تدغم في الجيم ومن تحمل نصحته فجعله فعل وقال نجي النجا المومنين فاسكن
الثاني مصدره ونصب المومنين بالنجا فمتعسف بارد التعسف ساله ربه ان يرزقه ولدا يرثه
ولا يدعه وحيدا بلا وارث ثم رده امرا من الله مستسلما فقال وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرني
فردا وانت خير الوارثين اي ان لم يرزقني من يرثني فلا ابالي فانك خير وارث اصلاح
زوجه ان حملها صالحة للولادة بعد عقرها وقيل تحسين خلقها وكانت سيئة الخلق فاستجبنا له
ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا
الضمير للمذكورين من الانبيا يريد انهم ما استحقوا الاجابة الى طلباتهم الا لمبادرتهم انواب
الخير ومسارعتهم في تحصيلها كما يفعل الراغبون في الامور الجادون وقرا رغبا ورهبا
بالاسكان وهو كقوله يحذر الاخرة ويرجوا رحمة ربي وكانوا لنا خاشعين وقيل
متواضعين وسيل الاعمش فقال اما اني سالت ابرهيم فقال اما اني سالت ابرهيم فقال
الا تدري قلت اقدمي قال سنة اذا ارخى ستره واغلق بابه فليرا منه خيرا لعلك
ترى انه ياكل حشا ويبس خبثنا ويطاطي راسه والتي احصنت فرجها فنفخنا فيها من
روحنا وجعلنا وابنها اية للعالمين احصانا كليا من الحلال والحرام جميعا كما قالت
ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا فان قلت نفخ الروح في الجسد عبارة عن احيايه قال الله تع
فاذا سويته ونفخت فيه من روحي اي احييته واذا ثبت ذلك كان قوله فنفخنا
فيها من روحنا ظاهر الاشكال انه يدل على احيا مريم قلت معناه نفخنا الروح في
عيسى فيها اي احيينا في جوفها ونحو ذلك ان تقول الزمار نفخت في بيت فلان اي نفخت
في المزمار في بيته ويجوز ان يراد وفعلنا النفخ في مريم من جهة روحنا وهو جبرئيل
صلوات الله عليه لانه نفخ في جيب درعها فوصل النفخ الى جوفها فان قلت هلا قيل
اثنتين كما قال وجعلنا الليل والنهار اثنين قلت لان حالهما بمجموعها اية واحدة
وهي ولادتها اياه من غير فحل ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون و

وتقطعوا امرهم بينهم كل الينا راجعون فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه
وانا لكاتبون وحرم على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج
وهم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد الحق فاذا هي شاخصة ايضا والذين ظلموا يا ويلنا قد
كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين الامة الملة وهذه اشارة الى ملة الاسلام هي ملتكم التي يجب
ان تكونوا عليها لا تنحرفون اليها ملة واحدة غير مختلفة وانا الهكم اله واحد فاعبدون ونصب
الحسن امتكم على البدل من هذه ورفع امة خبرا وعنه رفعهما جميعا بخبرين لهذه او نوى ا
للثاني مبتدا والخطاب للناس كافة والاصل وتقطعتم الا ان الكلام حرف الى الغيبة على
طريقة الالتفات كانه ينعى عليهم ما افسدوه الى اخرين ويقبح فعلهم عندهم ويقول لهم الا ترون
الى عظيم ما ارتكب هولا في دين الله والمعنى جعلوا امر دينهم فيما بينهم قطعا كما يتوزع الجماعة
التي ويقتسمونه فيطير لهذا نصيب ولذلك نصيب تمثيلا لاختلافهم فيه وضمير ورتبهم
فرقا واحزابا شتى ثم توعدهم بان هولاء الفرق المختلفة اليه يرجعون فهو محاسبهم ومجازيهم
الكفران مثل في حرمان الثواب كما ان الشكر مثل في اعطايه اذا قيل شكور وقد نفي نفي ا
الجنس ليكون ابلغ من ان يقول فلا تكفر سعيه وانا له كاتبون اي نحن كاتبون ذلك السعي
وشيق في صحيفة عمله وما نحن مثبتون فهو غير ضايع عليه صاحبه استعير الحرام للممتنع وجوده
ومنه قوله عز وعلا ان الله حرمها على الكافرين اي منعها منهم والى ان يكونا لهم وقرا حرم
بالفتح والكسر وحرم وحرم ومعنى اهلكناها عزمنا على اهلاكها او قدرنا ومعنى الرجوع
الرجوع من الكفر الى الاسلام والاباية ومجاز الاية ان قوما عزم الله على الاهلاك غير متصور ان
يرجعوا او ينيبوا الى ان تقوم القيمة فحينئذ يقولون ويرجعون يا ويلنا قد كنا في غفلة من
من هذا بل كنا ظالمين يعني انهم مطبوعون على قلوبهم فلا يزالون على كفرهم ويموتون
عليه حتى يروا العذاب وقرئ انهم بالكسر وحق هذا ان يتم الكلام قبله فلا بد من تقدير
محذوف كانه قيل وحرام على قرية اهلكناها ذاك وهو المذكور في الاية المتقدمة من
العمل الصالح والسعي المشكور غير المكفور ثم علل فقيل انهم لا يرجعون عن الكفر
فكيف لا يمتنع ذلك والقراة بالفتح يصح حملها على هذا اي لانهم لا يرجعون ولا
صلة على الوجه الاول فان قلت ثم تعلقت حتى واقعة غاية له وايات
الثلاث هي قلت هي متعلقة بحرام وهي غاية له لان امتناع رجوعهم لا يزول
حتى يقوم القيمة وهي حتى التي يحكى بعدها الكلام والكلام المحكي الجملة من الشرط

والجزا

والجزا اعني اذا وما في حيزها حذف المضاف الى ياجوج وماجوج وهو سدها كما حذف المضاف
الى القرية وهو اهلها وقيل فتحت كما قيل اهلكناها وقرئ اجوج ومما قيلتان من جنس
الانس يقال الناس عشرة اجزا تسعة منها ياجوج وماجوج وهم راجع الى الناس المسو
قين الى المحشر وقيل ياجوج وماجوج يخرجون حتى يفتح السد الحدب النشز من الارض
وقرا ابن عباس من كل حدث وهو القبر الثا حجابة والفا تميمية وقرئ ينسلون بضم
السين ونسل وغسل اسرع واذا هي اذا المفاجاة وهي تقع في المجازات سادة مسد الفاء
كقوله تع اذا هم يقنطون فاذا جات الفا معها تعاونتا على الوصل الجزا بالشرط فيتا
كد ولو قيل فاذا هي شاخصة او فهي شاخصة كان سديدا هي ضمير منهم توضحه الابصار
وتفسيره كما فسر الذين ظلموا او سروا يا ويلنا متعلق بمحذوف تقديره يقولون يا
ويلنا ويقولون في موضع من الذين كفروا انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم
انتم لها واردون لو كان الهة ما وردوها وكل فيها خالدون لهم فيها زفير وهم فيها
لا يسمعون يحتمل الابليس واعوانه لانهم بطاعتهم لهم واشاعهم خطواتهم في حكم عبدتهم
ويصدقه ما روي ان النبي صلعم دخل المسجد وصناديد قريش في الحطيم وحول الكعبة
ثلثماية وستون صنما فعرض له النضر بن الحرث فكلمه رسول الله حتى افحمه ثم تلا عليهم انكم
وما تعبدون من دون الله حصب الاية فاقبل عبد الله ابن الزبعرى فراهم يتهامسون
وقال ففيم خوضكم فاخبره الوليد بن المغيرة بقول رسول الله فقال عبد الله اما والله
لو وجدته لخصمته فدعوه فقال ابن الزبعرى انت قلت ذاك قال نعم قال قد خصمتك
ورب الكعبة اليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملايكة
وان قلت لم قرنوا بالهتهم قلت لانهم لا يزالون لمقارنتهم في زيادة غم و
حسرة حيث اصابهم ما اصابهم بسببهم والنظر الى وجه العدو باب من العذاب ولانهم
قدروا انهم يستشفعون بهم في الاخرة ويشفعون بشفاعتهم فاذا صادفوا الامر على
عكس ما قدروا لم يكن شي ابغض اليهم منهم فان قلت اذا عنيت بما تعبدون الاصنام
فما معنى لهم زفير قلت اذا كانوا هم واصنامهم في قرن واحد جاز ان يقال
لهم زفير وان لم يكن الذا فيهن الا هم دون الاصنام للتغليب ولعدم الالباس والحصب
المحصوب به اي يحصب بهم في النار والحصب الرمي وقرئ بسكون الصاد وصفا بالمصدر
وقرا حطب وخضب بالضاد متحركا وساكنا وعن ابن مسعود يجعلون في توابيت

ثوابت من نار فلا يسمعون ويجوز ان يصمهم الله كما يعمهم ان الذين سبقت لهم منا الحسنى
الحسنى اولئك عنها مبعدون الحسنى الخصلة المفضلة في الحسن تانيث الاحسن اما
السعادة واما البشرى بالثواب واما التوفيق للطاعة يروى ان عليا رضي الله عنه
قرا هذه الاية ثم قال انا منهم وابو بكر وعمر وعثمان وطلحة وزبير وسعد وسعيد و
عبد الرحمن بن عوف ثم اقيمت الصلوة فقام يجر رداه وهو يقول لا يسمعون حسيسها
وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون والحسيس الصوت الذي يحس والشهوة طلب
النفس اللذة لا يحزنهم الفزع الاكبر وتتلقيهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون
وقرا لا يحزنهم من احزن والفزع الاكبر قيل النفخة الاخيرة لقوله يوم ينفخ في الصور
ففزع من في السموات ومن في الارض وعن الحسن الانصراف الى النار وعن الضحاك
حين تطبق عن النار وقيل حين يذبح الموت على صورة املح اي يستقبلهم الملائكة
مهنئين على ابواب الجنة ويقولون هذا وقت ثوابكم الذي وعدكم ربكم قد حل يوم
نطوي السماء كطي السجل للكتاب كما اول خلق نعيده الى العامل في يوم نطوي لا يحزنهم و
والفزع او تتلقيهم وقرئ يطوي على البناء للمفعول والسجل بوزن العسل والسجل
بوزن الدلو وروي فيه الكسر وهو الصحيفة اي كما يطوي الطومار للكتابة اي
ليكتب فيه او لما يكتب فيه لان الكتاب اصله المصدر كالبناء ثم يوقع على المكتوب
ومن جمع فمعناه للمكتوبات اي لما يكتب فيه المعاني الكثيرة وقيل السجل لك يطوي
بني ادم اذا رفعت اليه وقيل كاتب كان لرسول الله صلعم والكتاب على هذا اسم الصحيفة
المكتوب فيها كما بدانا اول خلق نعيده وعدا علينا اول خلق مفعول نعيد الذي
يفسر نعيده والكاف مكفوفة لها والمعنى نعيد اول خلق كما بداناه تشبيها
بالاعادة بالابداء في شاول المقدرة لهما على السوا فان قلت وما اول خلق نعيده
كما بدا قلت اوله ايجاده عن العدم فكما اوجده اولا عن عدم نعيده ثانيا عن
عدم فان قلت ما بال خلق منكرا قلت هو كقولك هو اول رجل
جاني تريد الرجال ولكنك وحدته ونكرته ارادة تفصيلهم رجلا رجلا فلذلك
معنى اول خلق اول خلق بمعنى اول الخلائق لان الخلق مصدر لا يجمع ووجه آخر
وهو ان ينتصب الكاف بفعل مضمر تفسيره نعيده وما موصولة اي نعيد مثل
الذي بداناه نعيده واول خلق ظرف لبدانا اي اول خلق او حال من ضمير الموصول

الساقط

الساقط من اللفظ الثابت في المعنى وعدا مصدر مؤكد لان قوله نعيده عده للاعادة
انا كنا فاعلين اي قادرين على ان نفعل ذلك ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان
الارض يرثها عبادي الصالحون وعن الشعبي زبور داود والذكر التورية وقيل اسم لجنس
ما انزل على الانبياء من الكتب والذكر ام الكتاب يعني اللوح اي يرثها المؤمنون بعد اجلاء
الكفار كقوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها وقال موسى
لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين
وعن ابن عباس هي ارض الجنة وقيل الارض المقدسة ترثها امة محمد صلعم ان
في هذا لبلاغا لقوم عابدين وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قل انما يوحى الي انما الهكم
اله واحد فهل انتم مسلمون فان تولوا فقل اذنتكم على سواء الاشارة الى المذكور في هذه
السورة من الاخبار والوعد والوعيد والمواعظ البالغة والبلاغ الكفاية وما يبلغ به
البغية ارسل صلعم رحمة للعالمين لانه جاء بما يسعدهم ان اتبعوه ومن خالف ولم يتبع
فانما اتي من عند نفسه حيث ضيع نصيبه منها ومثاله ان يفجر الله عينا غدقة فيسقي
ناس زروعهم ومواشيهم بمائها فيفلحوا ويبقى ناس مفرطون عن السقي فيضيعوا فالعين
المفجرة في نفسها عين نعمة من الله ورحمة للفريقين ولكن الكسلان محنة على نفسه حيث
حرمها ما ينفعها وقيل كونه رحمة للكفار من حيث ان عقوبتهم اخرت بسببه وامنوا به
عذاب الاستيصال انما لقصر الحكم على شيء او لقصر الشيء على حكم كقولك انما زيد قائم وانما
يقوم زيد قد اجتمع المثالان في هذه الاية لان انما يوحى الي مع فاعله بمنزلة انما يقوم
زيد وانما الهكم اله واحد بمنزلة انما زيد قائم وفائدة اجتماعهما للدلالة على ان الوحي الى
رسول الله صلعم مقصور على استئثار الله تعالى بالوحدانية وفي قوله فهل انتم مسلمون ان
الوحي الوارد على هذا السنن موجب ان يخلصوا التوحيد لله وان يخلعوا الانداد
وفيه ان صفة الوحدانية يكون طريقها السمع ويجوز ان يكون المعنى ان الذي يوحى الي
فيكون ما موصولة آذن مفعول من اذن اذا علم ولكنه كثر استعماله في الجري
مجرى الانذار ومنه قوله تعالى فاذنوا بحرب من الله ورسوله وقول ابن حلزة آذنتنا
ببينها اسماء والمعنى اني بعد توليكم واعراضكم عن قبول ما عرض عليكم من وجوب توحيد
الله وتنزيهه عن الانداد والشركاء كرجل بينه وبين اعدائه هدنة فاحس منهم
بغدرة فنبذ اليهم العهد وشهر النبذ واشاعه واذنهم جميعا بذلك اي مستوين

القوم صح

يصح ان صح

يوحى صح

على سواء

في الاعلام به لم يطو عن احد منهم وكاشف كلهم وقشر العصا عن لحائها وان ادري
اقريب ام بعيد ما توعدون وما توعدونه من غلبة المسلمين عليكم كاين لا محالة
ولا بد ان يلحقكم بذلك الذلة والصغار وان كنت لا ادري متى يكون ذلك لان
الله لم يعلمني علمه ولم يطلعني عليه انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون ولا يخفى
عليه ما تجاهرون به من كلام الطعانين في الاسلام وما تكتمونه في صدوركم من الاحن
والاحقاد للمسلمين وهو مجازيكم عليه وان ادري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين وما
ادري لعل تاخير هذا الموعد امتحان لكم لينظر كيف تعملون او يتمتع لكم الى حين ليكون
ذلك حجة عليكم وليقع الموعد في كل وقت هو فيه حكمة قال رب احكم بالحق وربنا
الرحمن المستعان على ما تصفون قرئ قل وقال على حكاية قول رسول الله صلعم
ورب احكم على الاكتفا بالكسرة ورب احكم بالضم وربي احكم على البنا للتفضيل و
ربي احكم من الاحكام امر باستعجال العذاب لقومه فعذبوا ببدر ومعنى بالحق
لا تحابهم وشدد عليهم كما هو حقهم كما قال واشدد وطاتك على مضر قرئ يصفون
بالياء والتاء وكانوا يصفون الحال على خلاف ما جرت عليه وكانوا يطمعون ا
ان تكون لهم الشوكة والغلبة فكذب الله ظنونهم وخيب آمالهم ونصر رسول الله صلعم
والمومنين وخذلهم قال رسول الله صلعم من قرا اقترب للناس حسابهم حاسبه الله
حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القران
سورة الحج مكية غير ست ايات وهي هذا في خصمان الى صراط الحميد وهي بمار وسبعون اية
بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شي عظيم الزلزلة شدة التحريك
والازعاج وان يضاعف زليل الاشياء عن مقارها ومراكزها ولا يخلو الساعة من ان يكون
على تقدير الفاعلة لها كانها تزلزل الاشياء على المجاز الحكمي فتكون الزلزلة مصدرا مضافا
الى فاعله او على تقدير المفعول فيها على طريقة الاتساع في الظرف واجرائه مجرى المفعول
به كقوله تع بل مكر الليل والنهار وهي الزلزلة المذكورة اذا زلزلت الارض زلزالها واختلف
في وقتها فعن الحشر انها يكون يوم القيمة وعن علقمة والشعبي عند طلوع الشمس من مغربها
امر بني آدم بالتقوى ثم علل وجوبها عليهم بذكر الساعة ووصفها باهول صفة ينظر
والى تلك الصفة ببصايرهم ويتصورها بعقولهم حتى يبقوا على انفسهم ويرجموها
من شدايد ذلك اليوم بامثال ما اوهم به ربهم من التردي بلباس التقوى الذي لا يومنهم

الله عالم صح

من تلك الافزاع الا ان يتردوا به وروي ان هاتين الايتين نزلتا ليلا في غزوة بني المصطلق فقرا
هما رسول الله صلعم فلم ير اكثر باكيا من تلك الليلة فلما اصبحوا لم يحطوا السروج عن الدواب
ولم يضربوا الخيام وقت النزول ولم يطبخوا قدرا وكانوا من بين جزين وباك ومفكر
يومئذ ترى ذهلا تذهل كل مرضعة منصوب بتذهل والضمير للزلزلة وقرا تذهل على البنا
للمفعول وتذهل كل مرضعة اي تذهلها الزلزلة والذهول الذهاب عن الامر مع
دهشة فان قلت لم قيل مرضعة دون مرضع قلت المرضعة التي هي في حال
الارضاع ملقمة ثديها الصبي والمرضع التي شانها ان ترضع وان لم تباشر الارضاع في حال
وصفها به فقيل مرضعة ليدل على ان ذلك الهول اذا فوجئت به هذه وقد القمت الرضيع
ثديها نزعته عن فيه لما يلحقها من الدهشة عما ارضعت عن ارضاعها او عن الذي
ارضعته وهو الطفل وعن الحسن تذهل المرضعة عن ولدها الغير فطام وتضع كل
ذات حمل حملها وتضع الحامل في بطنها لغير تمام وترى الناس سكارى وما هم بسكارى
وقرئ وترى بالضم من ارتبك قايما والناس منصوب ومرفوع والنصب ظاهر ومن رفع جعل
الناس اسم ترى وانثه على تاويل الجماعة وقرا بسكرى وهو نظير جوعى وعطشى جوعان و
وعطشان وسكارى وبسكارى نحو كسالى وعجالى وعن الاعمش سكرى بالضم وهو غريب
والمعنى وتراهم سكارى على التشبيه وما هم بسكارى على التحقيق ولكن عذاب الله شديد
ولكن ما رهقهم من خوف عذاب الله هو الذي اذهب عقولهم وتمييزهم وردهم ونحو حال
ممن يذهب السكر بعقله وتمييزه وقيل وتراهم سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الشراب
فان قلت لم قيل اولا ترون ثم قيل ترى على الافراد قلت لان الروية اولا
علقت بالزلزلة فجعل الناس جميعا رايتين لها وهي معلقة اخيرا بكون الناس على
حال السكر فلا بد ان يجعل كل واحد منهم رايا لسايرهم قيل نزلت في النضر بن الحارث
ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد وكان جدلا يقول الملايكة بنات
الله والقران اساطير الاولين والله غير قادر على احيا من بلي وصار ترابا وهي عامة في كل
من تعاطى الجدال فيما يجوز على الله وما لا يجوز على من الصفات والافعال ولا يرجع الى علم ولا
يعض فيه بضرس قاطع وليس فيه اتباع للبرهان ولا يزول على النصفة فهو يخبط
خبط فهو عشواء غير فارق بين الحق والباطل ويتبع في ذلك خطوات كل شيطان
مريد عاث علم من حاله وظهر وتبين انه من جعله وليا له لم يثمر له ولاية الا الاضلال عن

طريق الجنة والهداية الى النار وما راى ابرد وسا الاسواء البدع والخشونة المنفرة بالامامة
في دين الله الا داخلين تحت كل هذا دخولا اوليا بل هم اشد الشياطين اصلالا واضطهم
لطريق الحق حيث دونوا الضلال تدوينا ولقنوا اشياعهم تلقينا وكانهم ساطوه لخو
هم ودماهم واياهم غني من قال ويارب مقفو الخطي بين قوله طريق نجاة عند تمم ستوجه
ولو قرأوا في اللوح ما لقطه فيه من بيان اعوجاج في طريقته محوا اللهم بنا على المعتقد
الصحيح الذي رضيته للايكتك في سمواتك وانبيائك في ارضك كتب عليه انه من تولية
فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير وادخلنا برحمتك في عبادك الصالحين وانكبته
علنه مثل اي ما كتب اضلال من يتولاه عليه ورقم به لظهور ذلك في حاله وقرئ انه
بالفتح والكسر فمن فتح فلان الاول فاعل كتب والثاني عطف عليه ومن كسر فعلى
حكاية المكتوب كما هو كانما كتب عليه بهذا الكلام كما تقول كتبت ان الله هو الغني الحميد
او بتقدير قيل او على ان كتب فيه معنى القول الحسن من البعث بالبرهان ونظيره الجلب
والطرد في الجلب والطرد كانه قيل ان ارتبتم في البعث فبرهان ان نشأتم وانشأ بدء خلقكم
من تراب ثم من نطفة من مضغة مخلقة وغير مخلقة العلقة قطعة الدم الجامد
والمضغة اللحمة الصغيرة قدر ما يمضغ والمخلقة المسواة الملساء من النقصان والعيب
يقال خلق السواك والعود اذا سواه وملسه من قولهم صخرة خلقاء اذا كانت ملساء
كان الله تعالى يخلق المضغة متعاونة منها ما هو كامل الخلقة اطلع من العيوب ومنها ما
هو على عكس ذلك فيقع ذلك التفاوت تفاوت الناس في خلقهم وصورهم وطولهم
لهم وقصرهم وتمامهم ونقصانهم وانما تعلقنا كم من حلال الى حال ومن خلقة الى خلقة
لنبين لكم ونقر في الارحام ما نشاء الى اجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ومنكم
من يتوفى ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئا وترى الارض هامدة
فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت بهذا التدريج قدرنا وحكمنا وان من قدر
على خلق البشر ثم من تراب او لا ثم من نطفة ثانيا ولا تناسب بين التراب والماء
وقدر على ان يجعل النطفة علقة وبينهما تباين ظاهر ثم يجعل العلقة مضغة والمضغة
عظاما قدر على اعادة ما ابداه بل هذا ادخل في القدرة من تلك واهون بالقياس
وورود الفعل غير معدى الى المبين اعلام بان افعاله هذه يتبين بها من قدرته
وعلمه ما لا يكتنهه الذكر ولا يحيط به الوصف وقرئ الى عبلة لنبين لكم ويقر بالياء

ونخرجكم والنصب والرفع وعن يعقوب نقر بالنون وضم القاف من قر الماء اذا صبه فا
لقراءة بالرفع اخبار بانه يعرفي الارحام ما يشاء ان يقره من ذلك الى اجل سمي وهو وقت
الوضع اخر ستة اشهر او تسعة او عشرا او اربع او كما شاء وقد ر ما لم يشأ اقراره محة الارحام
او سقطة والقراءة بالنصب تعليل معطوف على تعليل ومعناه خلقناكم مدرجين
هذا التدريج لغرضين احدهما ان نبين قدرتنا والثاني ان نقر في الارحام من نقر
حتى تولدا وتنشأوا وتبلغوا احد التكليف فاكلفهم ويعضد هذه القراءة قوله
ثم لتبلغوا اشدكم وجده لان الغرض الدلالة على الجنس ويحتمل نخرج كل واحد منكم
طفلا الاشد كمال القوة والعقل والتمييز وهو من الجموع التي لم يستعمل لها واحد كالا
سنة والعقود وغير ذلك وكانها شدة في غير شيء واحد فبني لذلك لقطنة للجمع
وقرئ ومنكم من يتوفى اي يتوفاه الله ارذل العمر الهرم والخرف حتى يعود بحيته الاولى
في اوان طفوليته ضعيف البنية سخيف العقل قليل الفهم بين انه كما قدر على ان يرقبه
في درجات الزيادة حتى يبلغه حد التمام فهو قادر على ان يحطه حتى تهوي به الى حالة السفلى
كيلا يعلم بعد علم شيئا اي ليصير ناسيا اذا كان عالما في شيء لم يشأ ان ينساه وينزل
عنه علمه حتى يسأل عنه من ساعته يقول لك من هذا فتقول فلان مما يلبث لحظة الا
سألك عنه وقرأ الحسن بسكون الميم الطامة الميتة الياسة وهذه دلالة ثانية على البعث
والظاهر رؤيتها مشاهدة معاينة كرؤيتها الله يحيي في كتابه اهتزت وربت تحركت
بالنبات وانتفخت وفي زيادتها اذا انتفخت وانبتت من كل زوج بهيج الرائع
الحسن السار للناظر اليه اي ذلك الذي ذكرنا من خلق بني ادم واحيا الارض مع
ما في تضاعيف ذلك من اصناف الحكم واللطائف حاصل بهذا وبهوالي في حصوله
ولولاه لم يتصور كونه وهو ان الله هو الحق اي الثابت الموجود وانه قادر على احياء الموتى
وعلى كل مقدور وانه حكيم لا يخلف ميعاده وقد وعد الساعة والبعث فلا بد ان يفي بما وعده
ومن الناس من حاجل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله
عن ابن عباس انه ابو جهل بن هشام وقيل كرر كما كررت سائر الاوصاف وقيل الاول
في المقلدين وهذا في المقلدين والمراد بالعلم الضروري وبالهدى الاستدلال والنظر
لانه يهدي الى المعرفة وبالكتاب المنير الوحي اي يجادل بظن وتخمين لا يجدي هذه الثلاثة

وثني العطف عبارة عن الكبر والخيلا كتصغير الخد والى الجيد وقيل عن الاعراض عن الذكر
وعن الحسن ثاني عطفه بفتح العاين اي مانع تعطفه ليضل تعليل للمجادلة قرئ بضم اليا
وفتحها فان قلت ما كان غرضه في جداله الضلال عن سبيل الله فكيف علل وما كان ايضا
مهتديا حتى اذا جادل خرج بالجدال من الهدى الى الضلال قلت لما ادى جداله الى الضلال
جعل كانه غرضه ولما كان الهدى معرضا له فتركه واعرض عنه واقبل على الجدال بالباطل
جعل كالخارج من الهدى الى الضلال له في الدنيا خزي ويذيقه يوم القيمة عذاب الحريق
ذلك بما قدمت يلال وان الله ليس بظلام العبيد وخزيه ما اصابه يوم بدر من الصغار
والقتل والسب فيما مني به من خزي الدنيا وعذاب الآخرة هو ما قدمت يداه وعدل
الله في معاقبة الفجار واثابة الصالحين ومن الناس من يعبد الله على حرف فاذا
اصابه خير اطمان به واذا اصابته فتنة انقلب على وجهه على طرف من الدين لا في وسطه وقلبه
وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب في دينهم لا على سكون وطمانينة كالذي يكون على طرف
من المعسكر فاذا حس بظفر وغنيمة قر واطمان والا قر وطار على وجهه قالوا نزلت في اعاريب
قدموا المدينة فكان احدهم اذا صح بدنه وتنجت فرسه مهرا وولدت امراته غلاما سويا
وكثر ماله وماشيته قال ما اصبت منذ دخلت في ديني هذا الا خيرا واطمان وان كان الامر
بخلافه قال ما اصبت الا شرا وانقلب وعن ابي سعيد الخدري ان رجلا من اليهود اسلم فاصابته
مصائب فتشام بالاسلام فاتى النبي صلعم فقال اقلني فقال ان الاسلام لا يقال فنزلت
خسر الدنيا والآخرة ذلك والخسران المبين المصاب بالجنة بنوك التسليم لقضا الله والخروج
الى ما يسخط الله جامع على نفسه محنتين احديهما ذهاب ما اصيب والثانية ذهاب
ثواب الصابرين فهو خسران الدارين وقرئ خاسر الدنيا والآخرة بالنصب والرفع فالنصب
على الحال والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير وهو وجه حسن او على انه خبر
مبتدا محذوف يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد استعير
الضلال البعيد من الضلال البعيد من الضلال من ابعد في التيه ضالا فضالت وبعدت
مسافة ضلالته فان قلت الضر والنفع منفيان عن الاصنام مثبتان لها في الاثنين
وهذا تناقض قلت اذا حصل المعنى ذهب هذا الوهم وذلك ان الله تع سفه الكافر بانه
يعبد جمادا لا يملك ضرا ولا نفعا وهو يعتقد بجهله وضلاله انه يشفع به حين يستشفع

ثم قال

ثم قال يوم القيمة يقول هذا الكافر يدعا وصراخ حين يرى استضراره بالاصنام وخوله النار
بعبادتها ولا يرى اثر الشفاعة التي ادعاها لها يدعو لمن اقرب من نفعه لبئس المولى
ولبئس العشير او كرر يدعو كانه قال يدعوا من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ثم
قال لمن ضره بكونه معبودا اقرب من نفعه بكونه شفيعا لبئس المولى وفي حرف
عبد الله من ضره بغير لام المولى الناصر والعشير الصاحب كقوله فبئس القرين
ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات تجري من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد
هذا الكلام قد دخله اختصار والمعنى ان الله تع ناصر رسوله في الدنيا والآخرة من كان يظن
اذ لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السما ثم ليقطع فلينظر هل يكيده ما يغيظ
فمن كان يظن من حاسديه واعاديه ان الله يفعل ذلك ويطمع فيه ويغيظ انه لا يظفر
بمطلوبه فليستقص وسعه وليستفرغ مجهوده في ازالة ما يغيظه بان يفعل ما يفعل من بلغ
الغيظ منه كل مبلغ حتى مد حبلا الى سمائه فاختنق فلينظر وليتصور في نفسه ذلك هل
يذهب نصر الله الذي يغيظه وسمى فعله كيدا لانه وضعه موضع الكيد حيث لم يقدر على
غيره او على سبيل الاستهزاء لانه لم يكد به محسودة انما كاد به نفسه والمراد ليس في يده
الا ما ليس بمذهب لما يغيظ وقيل فليمدد بحبل الى السما الظلة وليصعد عليه فليقطع
الوحي ان ينزل عليه وقيل كان قوم من المسلمين الشدة غيظهم وحقهم على المشركين ا
يستبطئون ما وعد الله ورسوله من النصر واخرون من المشركين يريدون اتباعهم
ويخشون ان لا يتم امره فنزلت وقد فسر النصر بالرزق وقيل معناه ان الارزاق بيد الله
لا تنال الا بمشيته ولا بد للعبد من الرضا بقسمته فمن يظن ان الله غير رازقه وليس به
صبر واستسلام فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فان ذلك لا يقلب القسمة ولا يرده
مرزوقا وكذلك انزلنا ايات بينات مما ذا الله يهدي من يريد اذا الذين امنوا والذين هادوا
والعابسين والنصارى والمجوس والذين اشركوا اي ومثل ذلك الانزال انزلنا القران كله
ايات بينات ولان الله يهدي به الذين يعلم انهم يؤمنون بينهم او يثبت الله الذين امنوا ويد
يدهم هدى انزله كذلك مبينا ان الله يفصل بينهم يوم القيمة ان الله على كل شيء شهيد الم
تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب
وكثير من الناس وكثير حق عليه كلمة العذاب الفصل مطلق يحتمل الفصل بينهم في الاحوال
والاماكن جميعا فلا يجازيهم جزاء واحد بغير تفاوت ولا يجمعهم في موطن واحد وقيل

الاديان خمسة اربعة للشيطان وواحد للرحمن جعل الصابئون مع النصارى لانهم نوع
وقيل يفصل بينهم يقضي بينهم اي بين المومنين والكافرين ادخلت ان على واحد من خبري
الجملة لزيادة التاكيد ونحوه قول جرير شعر ان الخليفة ان الله سربله سربال ملك
به ترجى الخواتيم فان قلت سمت مطاوعتها بادخل افعال المكلف في باب الطاعة والانقياد
وهو السجود الذي كل خضوع دونه قلت فما تصنع بقوله وكثير من الناس بما فيه من
الاعتراضين احدهما ان السجود على المعنى الذي فسرته به لا يسجده بعض الناس دون
بعض والثاني ان السجود قد اسند على سبيل العموم الى من في الارض من الانس والجن اولا فاسناده
الى كثير منهم اخرا مناقضة فان قلت لا انظم كثيرا من المفردات المتناسقة الداخلة تحت حكم
الفعل وانما ارفعه بفعل مضمر يدل عليه قوله يسجد اي يسجد له كثير من الناس سجود طا
عة وعبادة ولم اقل افسد يسجد الذي هو ظاهر بمعنى الطاعة والعبادة في حق هولاء
لا لان اللفظ الواحد لا يصح استعماله في حالة واحدة على معنيين مختلفين او ارفعه
على الابتداء والخبر محذوف وهو مثاب لان خبر مقابله يدل عليه وهو قوله حق عليه
العذاب ويجوز ان يجعل من الناس خبرا له اي من الناس الذين هم الناس على الحقيقة
وهم الصالحون والمتقون ويجوز ان يبالغ في تحقيق تكثير المحقوقين بالعذاب فيعطف
كثير على كثير ثم يخبر عنهم بحق عليهم العذاب كانه قيل وكثير وكثير من الناس حق عليهم
العذاب وقرئ حق بالضم وقرئ حقا اي حق عليهم العذاب حقا ومن اهانه الله بان
كتب عليه الشقاوة لما سبق في علمه من كفره او فسقه فقد بغى مهانا قاله من مكرم ان الله
يفعل ما يشاء لن تجد له مكرما وقرئ مكرم بفتح الراء بمعنى الاكرام انه يفعل ما يشاء
من الاكرام والاهانة ولا يشاء من ذلك الا ما يقتضيه عمل العالمين واعتقاد المعتقدين
هذان خصمان اختصموا في دينهم الخصم صفة وصف بها الفوج او الفريق فكانه قيل هذان
فوجان او فريقان مختصمان وقوله هذان للفظ واختصموا للمعنى وكقوله منهم من
يستمع اليك حتى اذا خرجوا وقيل هولاء خصمان او اختصما جارية امه المؤمنون والكافر
ون قال ابن عباس رجع الى اهل الاديان الستة في ربهم اي في دينه وصفاته روي ان
اهل الكتاب قالوا للمومنين نحن احق بالله واقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المومنون
نحن احق بالله امنا بمحمد صلعم وامنا بنبيكم وبما انزل الله من كتابهم وانتم تعرفون كتابنا ونبينا
ثم تركتموه وكفرتم به حسدا فهذه خصومهم في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب

من حميم يصب من فوق رؤسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع ولهم مقامع من
حديد كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق ان يدخل الذين
امنوا وعمل الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا
ولباسهم فيها حرير وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط العزيز الحميد هو فصل بين
الخصومة المعنى بقوله تع ان الله يفصل بينهم يوم القيمة وفي رواية عن الكسائي خصمان
بالكسر قرا وقطعت بالتخفيف كان الله تع يقدر لهم نيرانا على مقادير جثثهم يشتمل عليهم كما
تقطع الثياب الملبوسة ويجوز ان يظاهر على كل واحد منهم تلك النيران كالثياب المظاهرة
على اللابس بعضها فوق بعض ونحوه سرابيلهم من قطران الحميم الماء الحار عن ابن عباس لو سقطت
منه نقطة عن جبال الدنيا لاذابتها يصهر يذاب وعن الحسن بتشديدها للمبالغة اي اذا صب
الحميم على رؤسهم كان تاثيره في الباطن نحو تاثيره في الظاهر فيذيب امعاءهم واحشاءهم كما
يذيب جلودهم وهو ابلغ من قوله وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم والمقامع السياط في الحديث
لو وضعت مقمعة منها في الارض فاجتمع عليها الثقلان ما اقلوها وقرا الاعمش ردوا فيها والا
عادة فالرد لا يكون الا بعد الخروج فالمعنى كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم فخرجوا اعيدوا
فيها والمعنى الخروج ما يروى عن الحسن ان النار تضربهم بلهبها فترفعهم حتى اذا كانوا في ا
علاها ضربوا بالمقامع فهووا سبعين خريفا وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق والحريق الغليظ
من النار المنتشر العظيم الاهلال ويحلون عن ابن عباس من حليتا المراة فهي حال ولؤلؤا بالنصب
على ويؤتون لؤلؤا كقوله وحورا وعينا ولؤلؤ بقلب الهمزة الثانية واوا لان ولؤليا بقلبها
واوين بقلب الثانية ياء كاول ولول كاول فيمن جر ولؤلؤ وليليا بقلبها ياءين وعن ابن عباس
هداهم الله والهمهم ان يقولوا الحمد لله صدقنا وعده وهداهم الى طريق الجنة الذي ان الذين
كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد
يقال فلان يحسن الى الفقراء وينعش المضطهدين لا يراد حال ولا استقبال وانما يراد استمرار وجود ا
لاحسان منه والغشه في جميع ازمنته واوقاته ومنه قوله ويصدون عن سبيل الله اي الصدور
منهم مستمر دائم للناس اي للذين يقع عليهم اسم الناس من غير فرق بين حاضر وباد وتاتي و
طارئ ومكي وافاقي وقد استشهد به اصحاب ابي حنيفة قائلين ان المراد بالمسجد الحرام مكة على اتساع
جواز بيع دور مكة واجارتها وعند الشافعي لا يمنع ذلك وقد جاور اسحق ابن راهويه فاحتج
بقوله الذين اخرجوا من ديارهم وقال انسب الديار الى مالكها وغير مالكها واشترى عمر بن

الخطاب دار السجن من مالكية وغير مالكية وسواء بالنصب قراة حفص والباقون بالرفع ووجه
النصب انه مفعول ثاني جعلناه اي جعلناه مثوبا العاكف فيه والباد وفي القراة بالرفع الجملة
مفعول ثان الالحاد العدول عن القصد واصله الحاد الحافر وقوله بالحاد بظلم حالان مترادفان و
مفعول يرد متروك ليتناول كل متناول كانه قال ومن يرد فيه مرادا ما عادلا عن القصد ظالما
ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم يعني ان الواجب على من كان فيه ان يضبط نفسه
ويسلك طريق السداد والعدل في جميع ما يهم به ويقصده وقيل الالحاد في الحرم منع الناس عن عمارته
وعن سعيد بن جبير الاحتكار وعن عطا قول الرجل في المبايعة لا والله وبلى والله وعن عبد الله ابن
عمر انه كان له فسطاطان احدهما في الحل والاخر في الحرم فاذا اراد ان يعاتب اهله عاتبهم في الحل فقيل
له كنا نحدث ان من الالحاد فيه ان يقول الرجل لا والله وبلى والله وقرا يرد بفتح اليا من الورود ومعناه
من اتى فيه بالحاد ظالما لمكر الليل ومعناه من يراد ان يلحد فيه ظالما وخبر ان محذوف لدلالة جواب
الشرط عليه تقديره ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله المسجد الحرام نذيقهم من عذاب اليم
وكان من ارتكب فيه ذنبا فهو كذلك واذ بوانا لابراهيم مكان البيت ان لا تشرك بي شيئا وطهر
بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود واذكر حين جعلنا لابرهيم مكان البيت مباة اي مرجعا
يرجع اليه للعمارة والعبادة رفع البيت الى السماء ايام طوفان وكان من ياقوتة حمراء فاعلم الله
ابرهيم مكانه بريح ارسلها يقال لها الخجوج كنست ما حوله فبناه على اسه القديم وان هي المفسرة
فان قلت كيف يكون النهي عن الشرك والامر بتطهير البيت تفسيرا للتبوئة قلت كان التبوئة
مقصودة من اهل العبادة فكانه قيل تعبدنا ابراهيم وقلنا له لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي
من الاصنام والاوثان والاقذار ان تطوح حوله وقرئ يشرك بالياء على الغيبة واذن في الناس
بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم نادى فيهم قرا ابن محيصن
واذن والنداء بالحج ان يقولوا حجوا وعليكم بالحج وروي انه صعد ابا قبيس فقال يا ايها الناس حجوا
بيت ربكم وعن الحسن انه خطاب لرسول الله صلعم امر ان يفعل ذلك في حجة الوداع رجالا مشاة
جمع راجل كقائم وقيام وقرئ رجالا بضم الراء مخفف الجيم ومثقله ورجالى كعجالى عن ابن عباس
على كل ضامر حال معطوفة على حال كانه قيل رجالا وركبانا ياتين صفة لكل ضامر لانه في معنى الجمع وقرئ
ياتون صفة للرجال والركبان والعميق والعيد وقرا ابن مسعود معيق يقال بير بعيد العميق
والمعق ناكر المنافع لانه اراد المنافع مختصة بهذه العبادة دينية ودنيوية لا تجد في غيرها من
العبادات وعن ابي حنيفة رحمه الله انه كان يفاضل بين العبادات ان يحج فلما حج فضل الحج على العبادات

كلها

كلها لما شاهد من تلك الخصايص وكنى عن البحر والذبح بذكر اسم الله لان اهل الاسلام لا ينفكون
عن ذكر اسمه اذا نحروا وذبحوا وفيه شبه ان الحرب الاصلي فيما يتقرب به الى الله ان
يذكر اسمه وقد حسن الكلام تحسينا ان جمع بين قوله ليذكروا اسم الله قوله على
ما رزقهم ولو قيل ليسخروا في ايام معلومات بهيمة الانعام لم تر شيئا من ذلك
الحسن والروعة ويذكروا اسم الله في ايام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام
الايام المعلومات ايام العشرة عند ابي حنيفة وهو قول الحسن وقتادة وعند
صاحبيه هي ايام النحر البهيمة مبهمة في كل ذات اربع في البر والبحر فبيت بالانعام
وهي الابل والبقر والضان والمعز فكلوا منها الامر بالاكل منها امر اباحة لان
اهل الجاهلية كانوا لا يستانسون بكلهم ويجوز ان يكون ندبا لما فيه من مساواة الفقراء و
مواساتهم ومن استعمال التواضع ومن ثم استحب الفقهاء ان ياكل الموسع من
اضحيته مقدار الثلث وعن ابن مسعود انه بعث بهدي وقال فيه اذا نحرته فكل وتصدق
وابعث منه الى عتبة يعني ابنه وفي الحديث كلوا وادخروا وائتجروا واطعموا البائس
الفقير البائس الذي اصابه بؤس اي شدة والفقير الذي اضعفه الاعسار ثم
ليقضوا بعضهم قضاء التفث قص الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد
والتفث الوسخ والمراد قضاء ازالة التفث وليوفوا بدور وقرئ بتشديد الفاء
مواجب حجهم او ما عسى يندر وزد من اعمال البر في حجهم وليطوفوا طواف
الزيارة الذي هو من الاركان الحج ويقع به تمام التحلل وقيل طواف الصدر وهو
طواف الوداع ما لبيت لعتيق القديم لانه اول بيت وضع للناس عن الحسن
وعن قتادة اعتق من الجبابرة فكم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله وعن مجاهد
لم يملك قط وعن مجاهد اعتق من الغرق وقيل بيت كريم من قولهم عتاق الخيل
والطير فان قلت قد تسلط عليه الحجاج فلم يمنع قلت ما قصد التسلط على البيت
وانما تحصن به الرئيس رحمه الله فاحتال لاخراجه ثم بناه ولما قصد التسلط عليه ابرهة
فعل به ما فعل ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه واحلت لكم الانعام
ذلك خبر مبتدا محذوف اي الامر والشان ذلك كما يقدم الكاتب جملة من كتابه في بعض
المعاني ثم اذا اراد الخوض في معنى آخر قال هذا وقد كان كذا والحرمة ما لا يحل هتكه
وجميع ما كلفه الله عز وجل بهذه الصفة من مناسك الحج وغيرها ويحتمل ان يكون

عاماً في جميع تكاليفه ويحتمل ان يكون خاصاً فيما يتعلق بالحج وعن زيد ابن اسلم الحرمات
خمس الكعبة الحرام والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمحرم حتى يحل فهو خير له
اي فالتعظيم خير له ومعنى التعظيم العلم بانها واجبة المراعاة والحفظ والقيام بمراعاتها
الا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به
ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء فتخطفه الطير او تهوي به الريح في مكان سحيق
ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب لكم فيها منافع المتلو لا يستثنى من ا
لانعام ولكن المعنى الا ما يتلى عليكم اية تحريمه وذلك قوله في سورة المائدة حرمت
عليكم الميتة والمعنى ان الله قد احل لكم الانعام كلها الا ما استثناه في كتابه فحافظوا على حدوده
واياكم ان تحرموا ما احل الله سيما كتحريم عبدة الاوثان البحيرة والسائبة وغير ذلك وان
تحلوا مما حرم الله كاحلال اكل الموقوذة والميتة وغير ذلك لما حث على حرماته واحمد من
يعظمها اتبعه الامر باجتناب الاوثان وقول الزور لان توحيد الله ونفي الشركاء عنه و
صدق القول منه اعظم الحرمات واشقها خطوا وجمع الشرك وقول الزور في قران
واحد وذلك ان الشرك من باب الزور لان المشرك زاعم ان الوثن يحق له العبادة فكانه
قال فاجتنبوا عبادة الاوثان الذي هي راس الزور كله لا تقربوا شيئا منه لتمادي في
القبح والشناعة وما ظنك بشيء من قبيلة عبادة الاوثان وسمى الاوثان رجسا وكذلك
الخمر والميسر والازلام على طريق التشبيه يعني انكم كما تنفرون بطباعكم عن الرجس وتجتنبوه
فعليكم ان تنفروا عن هذه الاشياء مثل تلك النفرة ونبه على هذا المعنى بقوله رجس
من عمل الشيطان فاجتنبوه جعل العلة في اجتنابه انه رجس والرجس مجتنب ومن
الاوثان بيان للرجس وتمييز له كقولك عندي عشرون من الدراهم لان الرجس منهم كانه
قيل فاجتنبوا الرجس الذي هو الاوثان والزور من الزور هو الازور وهو الانحراف كما ان
الافك من افكه اذا صرفه وقيل الزور قولهم هذا حلال وهذا حرام وما اشبه ذلك من
افترائهم وقيل شهادة الزور عن النبي صلعم انه صلى الصبح فلما سلم قام قائما واستقبل ا
لناس بوجهه وقال وجهه عدلت شهادة الزور والاشراك بالله ثلثا وتلا هذه الاية
وقيل الكذب والبهتان وقيل قول اهل الجاهلية في تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا هو
شريك لك تملكه وما ملك يجوز في هذا التشبيه ان يكون من المركب والمفرق فان كان تشبيها
مركبا فكانه قال من اشرك بالله فقد اهلك نفسه اهلاكا ليس بعده بان صور حاله بصورة

حال

حال خر من السماء فاختطفه الطير فتفرق مرعا في حواصلها او عصفت به الريح حتى
هوت به في بعض المطارح البعيدة وان كان مفرقا فقد شبه الايمان في علو بالسماء
والذي ترك الايمان واشرك بالله بالساقط من السماء والاهواء التي تتوزع افكان
بالطير المختطفة والشيطان الذي يطوح به في وادي الضلالة بالريح التي تهوي
بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة وقرئ فتخطفه بكسر الخاء والطاء مع وبكسر التا
مع كسر عامة الشعائر وهي قراءة الحسن واصلها تختطفه وقرئ الرياح تعظيم الهداية وهي الهدايا
لانها من معالم الحج ان يختارها عظام الاجرام حسانا سمانا عالية الاثمان وتترك المكاس
في شراها فكانوا يغالبون في ثلث ويكارهون المكاس فيهن الهدي والاضحية والرقبة
وروى ابن عمر عن ابيه رضي الله عنهما انا هدي بجيبة طلبت بنيه بثلثمائة دينار فسال
رسول الله صلعم ان يبيعها ويشتري بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقرئ بل اهدها واهدى
رسول الله صلعم بمائة بدنة فيها جملا لابي جهل في انفه برة من الذهب وكان ابن عمر يسوق
البدن مجللة بالقباطي فيتصدق بلحومها وبجلالها ويعتقدون ان طاعة الله في التقرب
بها واهدائها الى بيت المعظم امر عظيم لا بد ان يقام به ويسارع فيه فانها من تقوى القلوب
اي فان تعظيمها من افعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات ولا يستقيم
المعنى الا بتقديرها لانه لا بد من راجع من الجزاء الى من ليس بنيط به وانما ذكرت القلوب
لان مراكب التقوى التي اذا ثبت فيها وتمكنت ظهر اثرها في ساير الاعضاء الى اجل مسمى
الى ان تنحر وتتصدق بلحومها ويوكل منها ثم محلها الى البيت العتيق ولكل امة جعلنا منسكا
ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام فالهكم اله واحد فله اسلموا وبشر المخبتين
الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما اصابهم والمقيمي الصلوة ومما رز
رزقناهم ينفقون وثم للتراخي في الوقت فاستعيرت التراخي في الاحوال والمعنى ان
لكم الهدايا منافع كثيرة في دنياكم ودينكم وانما يعتد الله بالمنافع الدينية قال سبحانه
وتع يريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة واعظم هذه المنافع وانفعها شوطا
في النفع محلها الى البيت اي وجوب نحرها او وقت وجوب نحرها منتهية الى البيت
كقوله تع هديا بالغ الكعبة والمراد نحرها في الحرم الذي هو في حكم البيت لان الحرم
هو حريم البيت ومثل هذا في الاتساع قولك بلغنا البلد وانما شارفتموه واتصل سيركم
بحدوده وقيل المراد بالشعائر المناسك كلها ومحلها الى البيت العتيق باباه شرع الله

لكل امة ان ينسكوا له اي يذبحوا لوجهه على التقرب وجعل العلة في ذلك ان يذكر اسمه
تعدست اسماؤه على النسائك وقرئ منسكا بفتح السين وكسرها وهو مصدر بمعنى
النسك وهو المكسور يكون بمعنى الموضع فلم اسلموا اي اخلصوا له الذكر خاصة واجعلوا
لوجهه سالما اي خالصا لا تشوبوه باشراك المخبتون المتواضعون الخاشعون من الخبت
وهو المطمئن من الارض وقيل هم الذين لا يظلمون واذا ظلموا لم ينتصروا وقرا الحسن المقيمي
الصلوة بالنصب على تقدير النون وقرا ابن مسعود والمقيمين الصلوة على الاصل والبدن
جعلناها لكم البدن جمع بدن سميت لعظم بدنها وهي الابل خاصة ولان رسول الله صلعم
الحق البقر بالابل حين قال البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة البقرة في حكم الابل صارت
البدنة في الشريعة متناولة للجنسين عند ابي حنيفة واصحابه والا فالبدن هي الابل وعليه
تدل الاية وقرا الحسن والبدن بضمتين كثمر في جمع ثمرة وعن ابن ابي اسحق بالضمتين وتشديد
النون على لفظ الوقف وقرئ بالنصب والرفع كقوله والقمر قدرناه من شعائر الله من
اعلام الشريعة التي شرعها الله واضافته الى تعظيم لكم فيها خير كقوله لكم فيها منافع
ومن شان الحاج ان يحرص على شيء فيه خير ومنافع بشهادة الله عن بعض السلف انه لم
يملك الا تسعة دنانير فاشترى بها بدنة فقيل له في ذلك فقال سمعت ربي يقول لكم فيها
خير وعن ابن عباس دنيا واخرة وعن ابرهيم من احتاج الى ظهرها ركب ومن احتاج
الى لبنها شرب فاذكروا اسم الله عليها واذكروا اسم الله ان يقول عند النحر الله اكبر لا اله
الا الله والله اكبر اللهم منك اليك صواف قائمات قد صففن ايديهن وارجلهن وقرا صوا
فن من صفوت الفرس وهو ان يقوم على ثلث وينصب الرابعة على طرف سنبكه لان ا
البدنة تعقل احدى يديها فتقوم على ثلث وقرئ صوافي اي خوالص لوجه الله وعن
عمرو بن عبيد صوافنا بالتنوين عوض عن حرف الاطلاق عند الوقف وعن بعضهم صواف
نحو مثل القرب اعط القوس باريها بسكون الياء فاذا وجبت جنوبها واطعموا القانع
وجوب الجنوب وقوعها الارض من الحائط وجبة اذا سقط ووجبت الشمس حين غربت
والمعنى فاذا وجبت جنوبها وسكنت نفاسها حل لكم الاكل منها واطعموا البائس السائل
من قنعت اليه وكنعت اذا خضعت وسالته دقوعا والمعتر كذلك سخرها لكم لعلكم تشكرون
والمعتر المعترض بغير سوال والقانع الراضي بما عنده وبما يعطى من غير سوال من قنعت
قنعا وقناعة والمعتر المعترض بالسوال وقرا الحسن والمعتري وعره وعراه واعتره

واعتراه

واعتراه بمعنى وقرا ابو رجاء القنع وهو الراضي لا غير يقال قنع فهو قنع وقانع الله على
عباده واستحمد اليهم بان سخر لهم البدن مثل التسخير الذي راوا وعلموا ياخذونها منقادة
للاخذ طيعة ويحبسونها صافة قوائمها ثم يطعنون في لباتها ولولا تسخير الله لم تطق ولم تكن
باعجز من بعض الوحوش التي هي اصغر منها جرما واقل قوة وكفى بما يتايد من شاهدا وعبرة
لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم اي لن يصيب رضى الله اللحوم المتصدق
بها ولا الدماء المهراقة بالنحر والمراد اصحاب اللحوم والدماء والمعنى لن يرضى المضحون والمقربون
ربهم الا بمراعاة النية والاخلاص والاحتفاظ بشروط التقوى في كل ما قرب به وغير ذلك
من المحافظات الشرعية واوام الورع فاذا لم يراعوا ذلك التاء وقيل كان اهل الجاهلية
اذا نحروا البدن نضحوا الدماء حول البيت ولطخوه بالدم فلما حج المسلمون ارادوا مثل ذلك
فنزلت كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هديكم وبشر المحسنين كرر تذكير النعمة بالتسخير ثم قال
لتشكروا الله على هدايته اياكم لاعلام دينه ومناسك حجه بان تكبروا وتهللوا فاختصر
الكلام بان ضمن التكبير معنى الشكر وعدى تعديته ان الله يدافع عن الذين امنوا ان الله
لا يحب كل خوان كفور خص المؤمنين بدفعه عنهم ونصرته لهم كما قال انا لننصر رسلنا
والذين امنوا وقال انهم لهم المنصورون واخرى يحبونها نصر من الله وفتح قريب و
جعل العلة في ذلك انه لا يحب اضدادهم وهو الخونة الكفرة الذين يخونون الله والرسول
ويخونون اماناتهم ويكفرون نعم الله ويعظمونها ومن قرا بدافع فمعناه يبالغ في الدفع عنهم
كما يبالغ من يغالب فيه لان فعل المغالب يجي وابلغ اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا
وان الله على نصرهم لقدير اذن ويقاتلون قرئا على لفظ المبني للفاعل والمفعول
جميعا والمعنى اذن لهم القتال فحذف الماذون فيه لدلالة يقاتلون عليه بانهم ظلموا
اي بسبب كونهم مظلومين وهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا مشركو مكة
يؤذونهم اذى شديدا وكانوا ياتون رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين مضروب
ومشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فاني لم اومر بالقتال حتى هاجر فانزلت
هذه الاية وهي اول اية اذن فيها القتال بعد ما نهي عنه في نيف وسبعين اية وقيل
نزلت في قوم خرجوا مهاجرين فاعترضهم مشركو مكة فاذن لهم في مقاتلتهم وا
والاخبار بكونهم قادرا على نصرهم عدة منه بالنصرة وارادة على سنن كلام الجبابرة وما
وما مر من دفعه عن الذين امنوا مؤذن بمثل هذه العدة ايضا الذين اخرجوا من ديارهم

فعيتوحق الا ان نقول ارنا الله ان نقولوا في محل الجر على الابدال من حق اي بغير موجب سوى
التوحيد الذي ينبغي ان يكون موجب الاقرار والتمكين لا موجب الاخراج والتسيير ومثله هل
يقمون منا الا ان امنا بالله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع
وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا دفع الله بعض الناس ببعض اظهارة وتسليط
المسلمين منهم على الكافرين بالمجاهدة ولولا ذلك لاستولى المشركون على اهل الملل
المختلفة في ان منهم وعلى متعبداتهم فهدموها ولم يتركوا للنصاري بيعا ولا لليهود
صوامع ولا للمسلمين مساجد او لغلب المشركون في ايامه محمد عليه السلام
على المسلمين وعلى اهل الكتابين الذين في دستهم وبددوا متعبدات الفريقين وقري دفاع
وطعنت بالتخفيف وسميت الكنيسة صلوة لانه يصلي فيها وقيل سمي كلمة معربة اصلها
بالعبرانية صلوبا ولينصرن الله من ينصره ان الله قوي عزيز الذين ان مكناهم في الارض
اقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور اي من
ينصر دين والياه هو اخبار من الله عز وجل بظهور الغيب عما ستكون عليه سيرة المهاجرين
رضي الله عنهم ان مكنهم في الارض وبسط لهم في الدنيا وكيف يقومون بامر الدين وعن عثمان
رضي الله عنه هذا والله تناقيل بلا بر بدان الله قد اثنى عليهم قبل ان يحدثوا من الخير ما احدثوا
وقالوا فيه دليل على صحة امر الخلفا الراشدين لان الله لم يعط التمكين ونفاذ الامر مع
السيرة العادلة غيرهم من المهاجرين لاحظ في ذلك للانصار والطلقا وعن الحسن هم
امة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الذين منصوب بدل مما في قوله من ينصره والظاهر انه مجرور
تابع للذين اخرجوا والله عاقبة الامور اي مرجعها الى حكمه وتقديره وفيه تاكيد
لما وعده من اظهار دينه واعلا كلمته وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد
وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين وكذب موسى فاميلت للكافرين ثم
اخذتهم فكيف كان نكير وكاين من قرية اهلكناها وهي ظالمة وهي خاوية على عروشها
وقصر مشيد يقول لرسوله صلى الله عليه وسلم تسلية له ليث باوحدي في التكذيب فقد
كذب الرسل قبلك اقوامهم وكفاك بهم اسوة فان قلت لم قبل وكذب موسي ولم
يقبل وقوم موسى قلت لان موسى ما كذبه قومه بنو اسرائيل وانما كذبه غير قومه وهم
القبط وفيه شيء اخر كانه قيل بعد ما ذكر تكذيب كل قوم رسولهم وكذب موسي ايضا مع
وضوح ايانه وعظم معجزاته فما ظنك بغيره الكثير بمعنى الانكار والتغيير حيث به ظهم بالنقمة

منه وبالجيوة هلاكا وبالعمارة خرابا كلم نوح اظلك من سقف بيت او خيمة او ظلة
او كرم فهو عرش والخاوي الساقط من خوى النجم اذا سقط او الخالي من خوي المنزل
اذا خلا من اهله وخوى بطن الحامل وقوله على عروشها لا يخلو اما ان يتعلق بخاوية
فتكون المعنى انها ساقطة على سقوفها اي خرت سقوفها على الارض ثم تهدمت حيطانها
فسقطت فوق السقوف او انها ساقطة او خالية مع بقاء عروشها وسلامتها واما
ان يكون خبرا بعد خبر كانه قيل هي خالية وهي على عروشها اي قائمة مطلة على
عروشها على معنى اذا السقوف سقطت الى الارض فصارت في قرار الحيطان وبقيت
الحيطان مائلة وهي مشرفة على السقوف الساقطة فان قلت ما محل الجملتين من
الاعراب اعني وهي ظالمة فهي خاوية قلت الاولى في محل النصب على الحال وا
والثانية لا محل لها لانها معطوفة على اهلكناها وهذا الفعل ليس له محل قد الحسن
معطلة من اعطله بمعنى عطله ومعنى المعطلة انها عامرة فيها الماء ومعها الا ان لا استقاء
الا انها عطلت اي تركت لا يستقى منها لهلاك اهلها والمشيد المجصص او المرفوع البنيان
والمعنى كم قرية اهلكنا وكم بير عطلنا عن سقاتها وقصر مشيد اخليناه عن ساكنيه فترك
ذكر لدلالة معطلة عليه وفي هذا دليل على ان عروشها بمعنى مع او جه وروي ان هذه
بير نزل عليها صالح مع اربعة الاف نفر ممن امن به ونجاهم الله من العذاب وهي حضر
موت وانما سميت بذلك لان صالحا حين حضرها مات وثم بلدة عند البير اسمها حاضورا
بناها قوم صالح وامروا عليهم جلهس بن جلاس واقاموا بها زمانا ثم كفروا وعبدوا
صنما وارسل الله اليهم حنظلة بن صفوان نبيا فقتلوه فاهلكهم الله وعطل بيرهم
وخرب قصورهم افلم يسيروا في الارض فيكون لهم قلوب يعقلون بها او اذان يسمعون
بها فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ويستعجلونك بالعذاب
ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون وكاين من قرية املیت
لها وهي ظالمة ثم اخذتها واليّ المصير قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين والذين امنوا
وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم والذين يحتملون انهم لم يسافروا فحثوا على
التسفير وامر وا من ابى منهم ان يكفرهم ويشاهدوا اثارهم فيعتبروا وان يكونوا
قد سافروا ورأوا ذلك ولكن لم يعتبروا فجعلوا كان لم يسافروا ولم يروا وقرئ
فتكون لهم قلوب بالتاء اي يعقلون ايجب ان يعقل من التوحيد ويسمع ما

ما يجب سماعه من الوحي فانها الضمير ضمير الشان والقصة يجي مذكرا ومونثا وفي قراة ابن مسعود
فانه ويجوز ان يكون ضميرا مبهما يفسره الابصار وفي يعمى ضمير راجع اليه والمعنى ان ابصارهم
صحيحة سالمة لا عمى بها وانما العمى بقلوبهم او لا يعتد بعمى الابصار وكانه ليس بعمى بالاضافة
الى عمى القلوب فان قلت اي فايدة في ذكر الصدور قلت الذي تعورف
واعتقد ان العمى على الحقيقة مكانها البصر وهو ان تصاب الحدقة فيما يطمس نورها
واستعمالها في القلب استعارة ومثل فلما اريد اثبات ما هو خلاف المعتقد في نسبة
العمى الى القلوب حقيقة ونفيه عن الابصار احتاج هذا التصوير الى زيادة تعيين
وفضل تعريف ليتقرر ان مكان العمى هو القلوب لا الابصار كما يقول ليس المضا للسيف
ولكنه للسانك الذي بين فكيك فقولك تعرى لما ادعيته للسانه وتثبت لان محل
المضا هو هو لا غير وكانك قلت ما نفيت المضا عن السيف واثبته للسانك فلتة
ولا سهوا مني ولكن تعمدت به اياه بعينه تعمدا انكر استعجالهم بالموعد به من العذاب العاجل
او لاجل كانه قال ولم يستعجلون به كانهم مجوزون الفوت وانما يجوز ذلك على ميعاد
من يجوز عليه الخلف والله عز وعلا لا يخلف الميعاد وما وعده لنصبهم ولو بعد حين و
هو سبحانه حليم لا يعجل ومن حلمه ووقاره واستقصاره المدد الطوال ان يوما واحد عنده
كالف سنة عندكم وقيل معناه كيف يستعجلون من يوم واحد من ايام عذابه من طول الف
سنة من سنتكم لان ايام الشدايد مستطالة او كان ذلك اليوم الواحد لشدة عذابه كالف
سنة من سني العذاب وقيل ولن يخلف الله وعده في النظرة والامهال وقرى تعدون
بالياء والتاء ثم قال وكم من اهل قرية كانوا مثلكم ظالمين قد انظرتهم حينا ثم اخذتهم
بالعذاب والمرجع الي والى حكمي فان قلت لم كانت الاولى معطوفة بالفاء وهذه با
بالواو قلت الاولى وقعت بدلا عن قوله فكيف كان نكير واما هذه حكمها حكم ما تقدمها
من الجملتين المعطوفتين بالواو اعني قوله ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك
كالف سنة والذين سعوا في اياتنا معاجزين اولئك اصحاب الجحيم وما ارسلنا من قبلك
من رسول الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته يقال سعيت في امر فلان اذا اصلحه او افسده
بسعيه وعاجزه سابقه لان كل واحد منهما في طلب اعجاز الاخر عن اللحاق به فاذا سبقه
قيل اعجزه وعجزه والمعنى سعوا في معناها بالفساد من الطعن فيها حيث سموها شعرا
وسحرا واساطير ومن شيط الناس عنها سابقين او مسابقين في زعمهم وتقديرهم

طامعين ان كيدهم للاسلام هم لهم فان قلت كان القياس ان يقال انما انا لكم بشير ومنذر
لذكر الفريقين بعده قلت الحديث مسوق الى المشركين ويا ايها الناس نداء لهم وهم
الذين قيل فيهم افلم يسيروا ووصفوا بالاستعجال وانما اقحم المومنون وثوابهم لفاضل
من رسول ولا نبي دليل قوي على تغاير الرسول والنبي وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انه سيل عن الانبياء فقال مائة الف واربعة وعشرون الفا قيل فكم الرسل منهم قال
ثلثمائة وثلثة عشر جما غفيرا والفرق بينهما ان الرسول من الانبياء من جمع الى المعجزة
الكتاب المنزل عليه والنبي غير الرسول من لم ينزل عليه كتاب وانما امر ان يدعو
الى شريعة من قبله والسبب في نزول هذه الاية ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما اعرض عنه قومه وشاقوه وخالفه عشيرته ولم يشايعوه على ما جاء
به تمنى لفرط ضجره من اعراضهم وحرصه وتهالكه على اسلامهم ان لا ينزل عليهم
ما ينفرهم لقلة تجدد ذلك طريقا الى استمالتهم واستنزالهم عن غيهم وعنادهم فاستمر به
ما تمناه حتى نزلت عليه سورة والنجم وهو في نادي قومه وذلك التمني في نفسه
فاخذ يقراها فلما بلغ قوله ومناة الثالثة الاخرى القى الشيطان في امنيته التي تمناها
اي وسوس اليه بما شبعها به فسبق لسانه على سبيل السهو والغلط الى ان قال
تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى وروى الفرانقة ولم يفطن له حتى اذا
العصمة فتنبه عليه وقيل نبهه عليه جبريل عليه السلام او تكلم الشيطان بذلك
فاسمعه الناس فلما سجد في اخر سجد معه جميع من في النادي وطابت نفوسهم وكان يمكن
الشيطان من ذلك محنة من الله وابتلاء زاد المنافقون به شكا وظلمة والمومنون
نورا وايقانا والمعنى ان الرسل والانبياء من قبلك كانت هجيراهم كذلك اذا تمنوا
مثل ما تمنيت مكن الله الشيطان ليلقوا في امانيهم مثل ما القى في امنيتك ارادة امتحان
من حولهم والله سبحانه له ان يمتحن عباده بما يشاء من صنوف المحن وانواع الفتن ليضاعف
ثواب الثابتين ويزيد في عذاب المذبذبين وقيل تمنى قرا وانشد شعر تمنى كتاب
الله اول ليلة تمنى داود الزبور على رسل وامنيته قراته وقيل تلك الغرانيق
اشارة الى الملائكة اي هم الشفعاء لا الاصنام فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي يذهب
به ويبطله ثم يحكم الله اياته والله عليم حكيم اي يثبتها ليجعل ما يلقي الشيطان فسد للذين
في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفي شقاق بعيد وليعلم الذين

اولئك الكتاب انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت لقلوبهم وان الله لهادي الذين امنوا الى صراط
مستقيم ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تاتيهم الساعة بغتة او تاتيهم والدين في قلوبهم
المرض المنافقون والشاكون والقاسية قلوبهم المشركون المكذبون وان الظالمين لفي ضلال بعيد
ان هؤلاء المنافقين والمشركين واصلة وانهم فوضع الظاهر موضع الضمير قضاء عليهم بالظلم
انه الحق من ربك اي لتعلموا ان تمكين الشيطان من الالقاء هو الحق من ربك والحكمة وان الله
لهادي الذين امنوا الى ان يتأولوا ما يتشابه في الدين بالتأويلات الصحيحة ويطلبوا لما اشكل منه
المحمل الذي يقتضيه اصول الحكمة والقوانين الممهدة حتى لا يلحقهم حيرة ولا يعتريهم شبهة
ولا تزال الذين كفروا في مرية من القرآن او الرسول او الدين او ما يقرأ عليهم من آيات الله
عذاب يوم عقيم اليوم العقيم يوم بدر وانما وصف يوم الحرب بالعقيم لان اولاد الناس
يقتلون فيه فيصرن كأنهن عقم لم يلدن اولان المقاتلين يقال لهم انبا الحرب فاذا قتلوا
وصف يوم الحرب بالعقيم على سبيل المجاز وقيل هو الذي لا خير فيه يقال ريح عقيم اذا
لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا وقيل لا مثل له في عظم امره لقتال الملائكة فيه وعن الضحاك انه
يوم القيامة وان المراد بالساعة مقدماتها ويجوز ان يراد بالساعة يوم عقيم يوم القيامة وكأنه
قيل حتى تاتيهم الساعة او يأتيهم عذابها فوضع يوم عقيم موضع الضمير للملك يومئذ لله يحكم بينهم
فالذين امنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فاولئك لهم
عذاب مهين فان قلت التنوين في يومئذ عن اي جملة عوض قلت تقديره الملك
يوم يؤتون او يوم نزول مرتهم لقوله ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تاتيهم الساعة
والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا او ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وان الله لهو خير الرازقين
ليدخلنهم مدخلا يرضونه وان الله لعليم حليم لما جمعهم الهجرة في سبيل الله سوى بينهم في
الموعد وان يعطيات منهم مثل ما يعطى من قتل منهم تفضلا منه واحسانا والله عليم مدرجات
العالمين وبما يستحقانه حليم عن تفريط المفرط منهم بفضله وكرمه ذلك ومن عاقب
بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه الله ان الله لعفو غفور روي ان طوائف من
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما اعطاهم الله
من الخير وانا نخاف ان نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان مضينا معك فانزل الله هاتين الآيتين
تسمية الابتداء بالجزاء الملابسة له من حيث انه سبب وذاك مسبب عنه كما يحملون
النظير على النظير والنقيض على النقيض للملابسة فان قلت كيف طابق ذكر العفو الغفور

هذا المواضع قلت المعاقب معبوث من جهة الله عز وجل على الاخلال بالعقاب والعفو عن
الجاني على طريق التنزيه لا التحريم ومندوب اليه ومستوجب عند الله المدح بان اشرف مذهب
اليه وسلك سبيل التنزيه فحين لم يؤثر ذلك واشتهر وعاقب ولم ينظر في قوله تعالى
فمن عفا واصلح فاجره على الله وان تعفوا اقرب للتقوى ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم
الامور فان الله لعفو غفور اي لاملوه على ترك ما بعثه عليه وهو ضامن لنصره في كرته
الثانية من اخلاله بالعفو وانتقامه من الباغي عليه ويجوز ان يضمن له النصر على الباغي
ويعوض مع ذلك بما كان اولى به من العفو ويلوح به بذكرهما بين الصفتين او دل بذكر العفو
المغفرة على انه قادر على العقوبة لانه لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده ذلك بان الله يولج
الليل في النهار ويولج النهار في الليل وان الله سميع بصير ذلك اي ذلك النصر بانه قادر
ومن ايات قدرته البالغة انه يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وبانه خالق الليل
والنهار وسخر فيهما فلا يخفى عليه ما يجري فيهما على ايدي عباده من الخير والشر البغي والانتصاف وانه يسمع ما يقولون بصير بما يفعلون فان قلت فما معنى الاجاج احد الملوحين
في الاخر قلت تحصيل طلبته هذا في مكان ضياذاك بغيبوبة الشمس وضياذاك في مكان
ظلمة هذا يطلوعها كما يفيئ التشرب بالتراج ويظلم بفقده ذلك بان الله هو الحق وان ما تدعون
من دونه هو الباطل وان الله هو العلي الكبير وقيل هون يادته في احدهما ينقص من
الاخر من الساعات وقرئ تدعون بالتاء واليا وقرأ اليماني وانا يدعون بلفظ المبني
للمفعول والواو راجعة الى الآلهة في معنى الاطلاقة اي ذلك الوصف مخلوق الليل و
النهار والاحاطة بما يجري فيهما وادراك كل قول وفعل بانه الحق الثابت الا
هيته وان كل ما يدعى الها دونه باطل الدعوة وانه لا شيء اعلى منه شانا واكبر سلطانا الم تر ان
ان الله انزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة قرئ مخضرة اي ذات خضر على مفعلة
كمبقلة ومسبعة فان قلت هلا قيل فاصبحت ولم صرف الى لفظ المضارع قلت
لنكتة فيه وهي افادة بقاء اثر المطر نانا بعد زمان كما تقول انعم علي فلان عام
كذا فاروح واغدو اشاكره ولم قلت فرخت وغدوت لم يقع ذلك الموقع
فان قلت فما له رفع ولم ينصب جوابا للاستفهام قلت لو نصب لاعطى ما هو عكس
الغرض لان معناه اثبات الاخضرار فتقلب بالنصب الى نفي الاخضرار شاله
ان تقول لصاحبك الم تراني انعمت عليك فتشكرني فتضبه فانت نافٍ لتشكره

سان تقريظه فيه وازرفعته فانت مثبت للشكر وهذا وامثاله مما يجب ان يرغب
له من اشم بالعلم في علم الاعراب وتوقير اهله ان الله لطيف واصل علمه او فضله
الى كل شيء خبير بصالح الخلق ومنافعهم له ما في السموات وما في الارض وان الله
لهو الحميد الم تر ان الله سخر لكم ما في السموات والفلك التي تجري في البحر بامره ما في
الارض من البهايم مذللة للركوب في البر ومن المراكب جارية في البحر وغير ذلك من ساير
المسخرات وقرى والفلك بالرفع على الابتدا ويمسك السما ان تقع على الارض الا باذنه
ان الله بالناس لرؤف رحيم ان تقع كراهة ان تقع الا بمشيته وهو الذي
احياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ان الانسان لكفور لكل امة جعلنا منسكا هم ناسكوه فلا ينازعنك
في الامر وادع الى ربك انك على هدى مستقيم وان جادلوك فقل الله اعلم بما تعملون
احياكم بعد ان كنتم جمادا ترابا ونطفة وعلقة ومضغة لكفور لجحود لما افاض عليه
من ضروب النعم فلا ينازعنك في الامر هو نهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي
لا يلتفت الى قولهم ولا يمكنهم من ان ينازعوك او هو زجر لهم عن التعرض لرسول الله
صلى الله عليه وسلم بالمنازعة في الدين وهم جهال لا علم عندهم وهم كفار خزاعة
روي ان بديل بن ورقا وبشر بن سفيان الخزاعيين وغيرهما قالوا للمسلمين ما لكم تاكلون
ما قتلتم ولا تاكلون ما قتله الله يعني الميتة وقال الزجاج وهو نهي له عن منازعتهم تقول
لا يضاربنك فلان اي لا تضاربه وهذا جايز في الفعل الذي لا يكون الا بين اثنين في الامر
في امر الدين وقيل في امر النسايك وقرى فلا ينزعنك اي اثبت في دينك ثباتا
لا يطمعون ان يجذبوك ليزيلوك عنه والمراد زيادة التثبت لرسول الله صلى الله
عليه وسلم بما يهيج به حميته ويلهب غضبه لله ولدينه ومنه قوله ولا يصدنك عن ايات
الله ولا تكونن من المشركين ولا تكونن ظهيرا للكافرين وهيهات ان ترتع همة رسول الله
صلى الله عليه وسلم حول ذلك الحمى ولكنه وارد على ما قلت لك من ارادة التهييج والالهاب
قال الزجاج هو من نازعته فنزعته انزعه اي غلبته اي لا يغلبنك في المنازعة فان قلت
لم جاءت نظير هذه الاية معطوفة بالواو وقد نزعت عن هذه قلت لان تلك وقعت
مع ما يدانيها ويناسبها من الاي الواردة في امر النسايك فعطفت على اخواتها واما هذه فوا
قعة مع ابا عد عن معناها فلم تجد معطفا اي وان ابوا لجاجهم الا المجادلة بعد اجتهادك
ان لا يكون بينك وبينهم تنازع فادفعهم بان الله اعلم باعمالكم وبقبحها وبما تستحقون عليها من

الجزاء

الجزاء فهو مجازيكم به وهذا وعيد وانذار ولكن برفق ولين الله يحكم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون
خطاب من الله للمؤمنين وال كافرين اي يفصل بينكم بالثواب والعقاب وسلاة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم مما كان يلقى منهم الم تعلم ان الله يعلم ما في السموات والارض ان ذلك
في كتاب ان ذلك على الله يسير وكيف يخفى عليه ما تعملون ومعلوم عند العلماء بالله
انه يعلم كل ما يحدث في السموات والارض وقد كتبه في اللوح قبل حدوثه والاحاطة بذلك
واثباته وحفظه عليه يسير لان العالم الذات لا يتعذر عليه ولا يمتنع تعلق بمعلوم ويعبد
ون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم وما للظالمين من نصير ويعبدون
ما لم يتمسكوا في صحة عبادته ببرهان سماوي من جهة الوحي والسمع ولا الجاهم اليها علم ضروري
ولا حملهم عليها دليل عقلي واذا تتلى عليهم اياتنا بينات وما للذين ارتكبوا مثل هذا
الظلم من احد ينصرهم ويصوب مذهبهم تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر مكاد
ون يسطون الذين يتلون عليهم اياتنا المنكر الفظيع من التجهم والبسور او الانكار كا
لمكرم بمعنى الاكرام وقرى يعرف والمنكر قل افانبئكم بشر من ذلكم النار والسطو
الوثب والبطش قرى النار بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف كان قايلا قال ما هو فقيل
النار اي هو النار وبالنصب على الاختصاص وبالجر بدلا من بشر من ذلكم من غيظكم
على التالين وسطوكم عليهم او مما اصابكم من الكراهة والضجر بسبب ما تلي عليكم وعد
ها الله الذين كفروا وبيس المصير وعدها الله استيناف كلام ويحتمل ان يكون النار مبتدا
ووعدها خبرا وان يكون حالا عنها اذا نصبها او جررتها باضمار قد يا ايها الناس ضرب
مثل فاستمعوا له لتعمل الذي جاء به ليس بمثل فكيف سماه مثلا قلت قد سميت الصفة
او القصة الرابعة المتلقاة بالاستحسان والاستغراب مثلا تشبيها لها ببعض الامثال المسيرة
لكونها مستحسنة مستغربة عندهم ان الذين يدعون من دون الله قرى تدعون بالتاء والياء
ويدعون مبنيا للمفعول لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا
يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب لن اخت لا في نفي المستقبل الا ان لن تنفيه
نفيا موكدا وتاكيده ههنا الدلالة على ان خلق الذباب منهم مستحيل مناف لاحوالهم كانه
قال محال ان يخلقوا فان قلت ما محل ولو اجتمعوا له قلت النصب على الحال كانه قال مستحيل
ان يخلقوا الذباب مشروطا عليهم اجتماعهم جميعا لخلقه وتعاونهم عليه وهذا من ابلغ
ما انزله الله في تجهيل قريش واستركاك عقولهم والشهادة على ان الشيطان قد خزيهم

بخزائنه حيث وصفوا بالطبيعة التي يقتضي الاقتدار على المقدورات كلها والاحاطة با
بالمعلومات عن اخرها صورا وتماثيل يتخيل منها ان يقدر على اقل ما خلقه الله وادله
واصغره ولو احقره ولو اجتمعوا لذلك وتساندوا دل من ذلك على عجزهم واشفا
قدرتهم ان هذا الخلق الاقل الادل ولو اختطف منهم شيئا واجتمعوا على ان يستخلصوه
منه لم يقدروا وقوله ضعف الطالب والمطلوب كالتسوية بينهم وبين الذباب
في الضعف ولو حققت وجدت الطالب اضعف واضعف لان الذباب حيوان
وجماد وهو غالب وذاك مغلوب وعن ابن عباس انهم كانوا يطلونها
بالزعفران وروسها بالعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من
الكوى فياكله ما قدروا حق قدره ان الله لقوي عزيز الله يصطفي من الملائكة رسلا
ومن الناس ان الله سميع بصير يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم واليه ترجع الامور
ما قدروا الله حق قدره اي ما عرفوه حق معرفته حتى لا يستموا باسمه من يولغ
عن صفاته باسرها ولا يوقعوه للعبادة ولا يتخذوه شريكا له ان الله قادر غالب
فكيف يجد العاجز المغلوب شبيها به هذا رد لما انكروه من ان يكون الرسول
من البشر وبيان ان رسل الله على ضربين ملائكة وبشر ثم ذكر انه عز وجل در
اك للدركات عالم باحوال المكلفين ما مضى منها وما غبر لا يخفى عليه منهم خافية
واليه مرجع الامور كلها والذي هو بهذه الصفات لا يسئل عما يفعل وليس
لاحد ان يعترض عليه في حكمه وتدابيره واختيار رسله يا ايها الذين امنوا اركعوا واو
اسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير الذكر شان ليس لغيره من الطاعات وفي
هذه السورة دلالات على ذلك فمن ثم دعا المومنين اولا الى الصلوة التي
هي ذكر خالص الى العبادة بغير الصلوة كالقيام والحج والغزو ثم ختم بالحث على
سائر الخيرات وقيل كان الناس اول ما اسلموا يسجدون بلا ركوع ويركعون بلا سجود
فامروا ان تكون صلوتهم بركوع وسجود وقيل معنى واعبدوا ربكم اقصدوا بر
كوعكم وسجودكم وجه الله وعن ابن عباس في قوله وافعلوا الخير صلة الارحام
ومكارم الاخلاق لعلكم تفلحون اي افعلوا هذا كله وانتم راجون للفلاح طامعون
فيه غير مستيقنين ولا يتكلوا على اعمالكم وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه
قال قلت يا رسول الله في سورة الحج سجدتان قال نعم ان لم تسجد بهما فلا تقرأها

وعن عبد الله بن عمر فضلت سورة الحج بسجدتين وبذلك اخذ الشافعي فراى سجدتين في سورة
الحج وابو حنيفة واصحابه لا يرون فيها الا سجدة واحدة لانهم يقولون قرن السجود بالركوع
قدل ذلك على انها سجدة صلوة لا سجدة تلاوة وجاهدوا في الله حق جهاده
وجاهد وامر بالغزو او بمجاهدة النفس والهوى وهو الجهاد الاكبر عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه رجع من بعض غزواته فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر
في الله اي في ذات الله ومن اجله يقال هذا حق عالم وجد عالم اي عالم حقا وجدا
او منه حق جهاده فان قلت ما وجه هذه الاضافة وكان القياس حق
الجهاد فيه او حق جهاد كم فيه كما قال وجاهدوا في الله قلت الاضافة تكون باذني
ملابسة واختصاص فلما كان الجهاد مختصا بالله من جانبه مفعول لوجهه ومن اجله
صحت اضافته اليه ويجوز ان يتسع في الظرف كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا هو
حسبكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة ابيكم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا اجتباكم
اختاركم لدينه ولنصرته ما جعل عليكم في الدين من حرج فتح باب التوبة للحرجين
وفسح بانواع الرخص والكفارات والديات والارش ونحوه قوله يريد الله
بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وامة محمد صلى الله عليه وسلم هي الامة المرحومة
الموسومة بذلك في الكتب المتقدمة نصب الملة بمضمون ما قبلها كانه قيل وسع
دينكم توسعة ملة ابيكم ثم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه او على الاختصاص
اي اعني بالدين ملة ابيكم فان قلت لم يكن ابرهيم ابا لامة كلها قلت
هو ابو رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ابا لامته لان امة الرسول صلى الله عليه
وسلم في حكم اولاده يرجع الى الله تبع وقيل الى ابرهيم وشهد للقول الاول قراءة
ابي بن كعب الله سماكم ـــ اي من قبل القران وفي سائر الكتب وفي القران اي
فضلكم على الامم وسماكم بهذا الاسم الاكرم ليكون الرسول عليكم شهيدا بانه بلغكم وتكونوا
انتم شهداء على الناس بان الرسل قد بلغتهم واذ خصكم بهذه الكرامة والاثرة فاعبدوه
وتقوا به ولا تطلبوا النصرة والولاية الا منه فهو خير مولى وناصر عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرا سورة الحج اعطى من الاجر بعدد من حج
واعتمر فيما مضى وفيما بقي

سورة المؤمنون مكية

وهي مائة وتسع عشرة وثنتا عشرة عند الكوفيين اسرة بسم الله الرحمن الرحيم قد افلح المؤمنون
الذين هم في صلوتهم قد نغصه لما هي ثبت المتوقع ولما منفيه ولا شك ان المؤمنين
كانوا متوقعين لمثل هذه البشارة وهي الاثبات الفلاح لهم فخوطبوا بما دل على ثبات
ما توقعوه ويجوز ان يكون جواب قسم محذوف كقوله قد افلح من زكيها في وقوعه جواب
قسم والفلاح الظفر بالمراد وقيل البقاء في الخير وافلح دخل في الفلاح كابشر دخل
في البشارة ويقال افلحه اصاره الى الفلاح وعليه قراءة طلحة بن مصرف افلح للبناء
للمفعول وعنه افلحوا على اكلوني البراغيث او على الابهام والتفسير وعنه افلح بضمة
بغير واو جزاء بها عنها كقوله فلو ان الاطباء كان حولي فان قلت ما المؤمن
قلت هو في اللغة المصدق واما في الشريعة فقد اختلف فيه على قولين
احدهما ان كل من نطق بالشهادتين مواطيا قلبه لسانه فهو مؤمن والاخر انه صفة
مدح لا يستحقها الا البر التقوي دون الفاسق خاشعين الخشوع في الصلوة خشية
القلب والباء البصر عن قتادة وهو الزامه موضع السجود وعن النبي صلى الله
عليه وسلم انه كان يصلي رافعا بصره الى السماء فلما نزلت هذه الاية رمى ببصره
نحو مسجده وكان الرجل من العلماء اذا اقام الى الصلوة هاب الرحمن ان يشد بصره
الى شيء او يحدث نفسه بشان من شان الدنيا والذين هم عن اللغو معرضون وقيل
هو جميع الهمة لها والاعراض عما سواها ومن الخشوع ان يستعمل الاداب فيتوقى كف
الثوب والعبث بجسده وثيابه والالتفات والتمطي والتثاوب والتغميض وتغطية
الفم والسدل والفرقعة تكسر الاصابع قلب هذا والتشبيك والاختصار وتقليب
الحصى روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ابصر رجلا يعبث بلحيته في الصلوة
فقال لو خشع قلبه خشعت جوارحه ونظر الحسن الى رجل يعبث بالحصى وهو يقول
اللهم زوجني الحور العين فقال بئس الخاطب انت تخطب وانت تعبث فان
قلت لم اضيف الصلوة اليهم قلت لان الصلوة دائرة بين المصلي و
المصلى له فالمصلي هو المنتفع بها وحده وهي عدته وذخيرته وهي صلوته واما
المصلى له ففني متعال عن الحاجة اليها والانتفاع بها اللغو ما لا يعنيك من قول او
فعل كاللعب والهزل وما توجب المروة الفاده واطراحه يعني ان بهم من الجد ما
شغلهم عن الهزل لما وصفهم بالخشوع في الصلوة اتبعه الوصف بالاعراض عن

اللغو

اللغو ليجمع لهم الفعل والترك الشاقين على الانفس اللذين هما قاعدتا بناء التكليف والذين هم
للزكوة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون الزكوة اسم مشترك بين عين ومعنى فالعين
القدر الذي يخرجه المزكي من النصاب الى الفقير والمعنى فعل المزكي الذي هو التزكية وهو الذي
اراده الله فجعل المزكين فاعلين له ولا يسوغ فيه غيره لانه ما من مصدر الا يعبر عن معناه
بالفعل ويقال لمحدثه فاعل تقول للضارب فاعل الضرب وللقاتل فاعل القتل وللمزكي
فاعل التزكية وعلى هذا الكلام كله والتحقيق فيه انك تقول في جميع الحوادث
من فاعل هذا فيقال لك فاعله الله او بعض الخلق ولم تمنع الزكوة الدالة على العين بان تتعلق
بها فاعلوها لخروجها من صحة ان يتناولها الفاعل ولكن لان الخلق ليسوا بفاعليها وقد اشد لا
مية بن الصلت المطعمون الطعام في السنة الازمة والفاعلون للزكوات ويجوز ان يراد
بالزكوة العين ويقدر مضاف محذوف وهو الاداء وحمل البيت على هذا اصح لانها فيه
مجموعة الا على ازواجهم في موضع الحال اي الا والين على ازواجهم او قوامين عليهن من
قولك كان فلان على فلانة فمات عنها فخلف عليها فلان ونظيره كان زياد على البصرة
اي واليا عليها ومنه قولهم فلانة تحت فلان ومن ثم سميت المراة فراشا والمعنى انهم لفروجهم
حافظون في كافة الاحوال الا في حال تزوجهم او تسريهم او تعلق على محذوف يدل عليه
غير ملومين كانه قيل يلامون الا على ازواجهم اي يلامون على كل مباشر الا على ما اطلق لهم
فانهم غير ملومين عليه او يجعله صلة لحافظين من قولك احفظ على عنان فرسي على تضمينه
معنى النفي كما ضمن قولهم تشديك بالله الا فعلت سعني ما طلبت منك الا فعلك فالحاصل
كانه قال والذين هم لفروجهم غير حافظين الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين
فان قلت هلا قيل من ملكت قلت لانه اريد من جنس العقلاء ما يجري مجرى
غير العقلاء وهم الاناث فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون جعل المستثنى
حدا اوجب الوقوف عنده ثم قال فمن احدث ابتغاء وراء هذا الحد مع فسحته واتساعه
وهو اباحة اربع من الحرائر ومن الاماء ما شئت فاولئك هم الكاملون في العدو
ان المشاهون فيه فان قلت هل فيه دليل على تحريم المتعة قلت
الا لان المنكوحة نكاح المتعة من جملة الازواج اذا صح النكاح والذين هم لاماناتهم و
عهدهم وقوي لاماناتهم سمي الشيء المؤتمن والمعاهد عليه امانة وعهدا ومنه قوله
تعالى ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها وقال وتخونوا اماناتكم وانما تؤدي

العيون لا المعاني وخان المؤتمن عليه لا الامانة في نفسها راعون والراعي القايم على الشيء
بحفظ واصلاح كراعي الغنم وراعي الرعية ويقال من راعي هذا الشيء اي متوليه وصاحبه
ويحتمل العموم في كل ما ائتمنوا عليه وعوهدوا من جهة الله عز وجل ومن جهة الخلق والخصوص
فيما حملوا من امانات الناس وعهودهم والذين هم على صلوتهم يحافظون وقرئ على صلوتهم
فان قلت كيف كرر ذكر الصلوة اولا واخرا قلت هما ذكران مختلفان فليس بتكرير
وصفوا اولا بالخشوع في صلوتهم واخرا بالمحافظة عليها وذلك ان لا يسهوا عنها ويؤدوها
في اوقاتها ويقيموا اركانها ويوكلوا نفوسهم بالاهتمام بها وبما ينبغي ان يتم بها اوصافها
وايضا فقد وحدث اولا ليفاد الخشوع في جنس الصلوة الى صلوة كانت وجمعت اخر
لتفاد المحافظة على اعدادها وهي الصلوات الخمس والوتر والسنن المرتبة مع كل صلوة
وصلوة الجمعة والعيدين والجنازة والاستسقاء والكسوف والخسوف وصلوة الضحى
والتهجد وصلوة التسبيح وصلوة الحاجة وغيرها من النوافل اولئك هم الوارثون اي اولئك
هم الجامعون لهذه الاوصاف هم الوارثون الاحقاء بان يتموا وراثا دون من عداهم ثم ترجم
الوارثين بقوله الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون فجاء بفخامة وجزالة لارثهم لا
يخفى على الناظر ومعنى الارث ما مر في سورة مريم انت الفردوس على تاويل الجنة وهو
البستان الواسع الجامع لاصناف الثمر روي ان الله عز وجل بنى جنة الفردوس لبنة من
ذهب ولبنة من فضة وجعل خلالها المسك الاذفر وفي رواية لبنة من مسك مذري
وغرس فيها من جيد الفاكهة وجيد الريحان ولقد خلقنا الانسان من سلالة السلالة
الخلاصة لانها تسل من بين الكدر وفعالة بنا للقلة كالعلامة والعمامة وعن الحسن ما بين
ظهراني الطين فان قلت ما الفرق بين من ومن قلت الاول للابتداء والثاني للبيان
كقوله من الاوثان فان قلت ما معنى جعلنا الانسان نطفة قلت معناه انه خلق
جوهر الانسان اولا طينا ثم جعلناه نطفة ثم جعلت جوهره بعد ذلك نطفة في قرار
مكين القرار المستقر والمراد الرحم وصفت بالمكانة التي هي صفة المستقر فيها كقولك
طريق سائر او لمكانتها في نفسها لانها مكنت بحيث هي واحرزت ثم خلقنا النطفة
علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظما فكسونا العظم لحما قرئ عظما
فكسونا العظم لحما وعظاما فكسونا العظام وعظما فكسونا العظام وعظاما فكسونا
العظم وضع الواحد مكان الجمع لزوال اللبس لان الانسان ذو عظام كثيرة ثم

ثم انشانا

انشاناها خلقا اخر اي خلقا مباينا للخلق الاول مباينة ما ابعدها حيث
جعله حيوانا وكان جمادا ونطقا وكان ابكم وسميعا كان اهم وبصيرا وكان
اكمه واودع باطنه وظاهره بل كل عضو من اعضائه وكل جزء من اجزائه
عجايب فطرة وغرايب حكمة لا تدرك بوصف الواصف ولا يبلغ بشرح الشارح
فتبارك الله وقد احتج ابو حنيفة رحمه الله عليه فيمن غصب بيضة فافرخت
عنده قال يضمن البيضة ولا يرد الفرخ لانه خلق اخر سوى البيضة فتبارك الله
فتعالى امره في قدرته وعلمه احسن الخالقين اي احسن المقدرين تقديرا فترك
ذكر المميز لدلالة الخالقين عليه ونحوه طرح المأذون فيه في قوله اذن للذين
يقاتلون لدلالة الصلة وروي عن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما بلغ قوله خلقا اخر قال فتبارك الله احسن الخالقين ثم انكم بعد ذلك
لميتون ثم انكم يوم القيمة تبعثون وروي ان عبد الله بن سرح كان يكتب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فنطق بذلك قبل املائه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
اكتب هكذا نزلت فقال عبد الله ان كان محمد نبيا يوحى اليه فانا نبي يوحى اليه فلحق
بمكة كافرا ثم اسلم يوم الفتح قرا ابن ابي عبلة وابن محيصن لمايتون والفرق بين
الميت والمايت ان الميت كالحي صفة ثابتة واما المايت فيدل عليه ا
الحدوث بقول زيد مايت الان ومايت غدا كقولك يموت ونحوهما ضيق
وضايق في قوله تع وضايق به صدرك على دليلين ايضا على اقتدار عظيم بعد
الانشاء والاختراع فان قلت فاذن لا حيوة الانشاء وحيوة البعث قلت
ليس في ذكر الحيوتين نفي الثالثة وهي حيوة القبر كما لو ذكرت ثلثي ما عندك
وطويت ذكر ثلثه لم يكن دليلا على ان الثلث ليس عندك وايضا والغرض
ذكر هذه الاجناس الثلثة الانشاء والاماتة والاعادة والمطوي ذكرها من
جنس الاعادة ولقد خلقنا فوقكم سبع طرايق وما كنا عن الخلق غافلين
ولقد انزلنا من السماء ماء الطرايق السموات لانه طورق بعضها فوق بعض
كمطارقة النعل وكل شيء فوقه مثله فهو طريقه او لانها طرق الملايكة ومتقلباتهم
وقيل الافلاك لانها طرايق الكواكب فيها مسيرها اراد بالخلق السموات
كانه قال خلقناها فوقهم وما كنا عنها غافلين وعن حفظها وامساكها ان

ان يقع فوقهم بقدرتنا او اراده الناس وانه انما خلقها فوقهم ليفتح عليهم الادن اق
والبركات منها وينعمهم بانواع منافعها وما كان غافلا عنهم وعما يصلحهم بقدر
فاسكناه في الارض بقدر بقدر سيتلون معه من المقرة ويقبلون الى المنفعة او بعدا
ارما علمنا من حاجتهم ومصالحهم وانا على ذهاب لقادر كقوله فسلكه ينابيع في
الارض وقيل جعلناه ثابتا في الارض وقيل انها خمسة انهار سيحون نهر الهند
وجيحون نهر بلخ ودجلة والفرات نهر العراق والنيل نهر مصر انزله الله من عين
الجنة فاستودعها الجبال واجراها في الارض وجعل فيها منافع للناس في اصناف
معايشهم وكما قدر على انزاله فهو قادر على رفعه وازالته وانا على ذهاب به
لقادرون وقوله على ذهاب به من اوقع النكرات واحرقها للمفصل و
المعنى على وجه من وجوب الذهاب به وطريق من طرقه وفيه ايذان باقتدار
المذهب وانه لا يتعايا عليه شئ وقوله على ذهاب به من اوقع النكرات واحرقها
للمفصل والمعنى على وجه من وجوب الذهاب به وطريق من طرقه وفيه ايذان
باقتدار المذهب وانه لا يتعايا عليه شئ اذا اراده وهو ابلغ في الايعاد من قوله
فلا راتيم ان اصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين فعلى العباد ان تستظلوا النعمة
في الماء ويقيدوها بالشكر الدايم ويخافوا نفارها اذا لم يشكر فانشانا لكم به جنات
من نخيل واعناب لكم منها فواكه كثيرة ومنها تاكلون وشجرة تخرج من طور
سيناء تنبت بالدهن وصبغ للاكلين فان لكم خص هذه الانواع الثلثة لانها
اكرم الشجر وافضلها واجمعها للمنافع ووصف النخيل والعنب بان لكم فيما جامع
بين امرين انه فاكهة يتفكه بها وطعام يوكل رطبا ويابسا رطبا وعنبا وتمرا وزبيبا
والزيتون بان دهنه صالح للاستصباح والاصطباغ جميعا ويجوز ان يكون
قوله ومنها تاكلون من قولهم يأكل فلان من حلقه يحرفها ومن ضيعة يغتلها
ومن تجارة يتربح بها يعنون انها طعمته وجبته التي منها يحصل رزقه
كانه قال وهذه الجنات وجوه ارزاقكم ومنها ترتزقون وتتقشون وشجرة
وعطف على جنات وقريت مرفوعة على الابتداء اي ومما انشئ لكم شجرة
طور سيناء وطور سينين لا خلو اما ان يضاف فيه الطور الى بقعة اسمها سيناء
وسينون واما ان يكون سينا للجبل مركبا من مضاف ومضاف اليه كامرئ القيس

وكبعلبك

فمن اضاف فمن كسر سين سيناء فقد منع الصرف للتعريف والعجمة او التانيث لانها
بقعة وفعلا لا يكون الف للتانيث كعلباء وحرباء ومن فتح فلم يصرف لان
الالف للتانيث كصحراء وهو جبل فلسطين وقيل بين مصر وايلة ومنه نودي
موسى وقرا الاعمش سينا على القصر بالدهن في موضع الحال اى نبت وفيها الدهن
وقري نبت وفيه وجهان احدهما ان انبت بمعنى نبت واشد لزهير رايت
دوي الحاجات حول بيوتهم قطينا لهم حتى اذا انبت البقل والثاني ان مفعوله
محذوف اى نبت زيتونها وفيه الزمت وقري تنبت بضم التاء وفتح الباء وحكمه
حكم تنبت وقرا ابن مسعود تخرج الدهن وصبغ الاكلين وغيره تخرج بالدهن وقرا
الاعمش وصباغ ونحوهما دبغ ودباغ والصبغ الغمس للايتدام وقيل هي اول شجرة
نبت بعد الطوفان ووصفها الله تعالى بالبركة في قوله توقد من شجرة مباركة وان
لكم في الانعام لعبرة تستعبرون منها في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة قري تسقيكم بناء
مفتوحة اى تسقيكم الانعام ومنها تاكلون اى تتعلق بها منافع من الركوب و
الحمل وغير ذلك كما يتعلق بما لا يوكل لحمه من البغال والحمير والخيل وفيها منفعة
زايدة وهي الاكل الذي هو انتفاع بذواتها والقصد بالانعام الى الابل لانها هي المحمول
عليها في العادة وعليها وعلى الفلك يحملون وقرئ بالفلك التي هي السفاين لانها كذلك
البر قال دو الرمة سفينة برزت خدري زمامها يريد صدره ولقد ارسلنا نوحا
الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله مالكم من الهة غيره افلا تتقون غيره بالرفع
على المحل وبالجر على اللفظ والجملة استيناف يجري مجرى التعليل للامر بالعبادة
افلا تخافون ان رفضوا عبادة الله الذي هو ربكم وخالقكم ورازقكم وشكر نعمة
التي لا تحصونها واجب عليكم ثم تذهبوا فتعبدوا غيره مما ليس من الاستحقاق
العبادة في شئ فقال الملاء الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل
عليكم ولو شاء الله لانزل ملايكة ان نطلب الفضل عليكم وبراسكم كقوله تعالى ويكون
لكما الكبرياء في الارض وما سمعنا بهذا في اباينا الاولين بهذا الاشارة الى نوح عليه
السلم او الى ما كلمهم به من الحث على عبادة الله اى ما سمعنا بمثل هذا الكلام او
بمثل هذا الذي يدعي وهو بشر انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وما الحجا شان
الضلال لم يرضوا للنبوة ببشر وقد رضوا الاطقية بحجر وقولهم ما سمعنا بهذا يدل على

انهم واباهم وكانوا في مترة متطاولة او تكذبوا في ذلك لانهماكهم في الغي وتميزهم
لان يدفعوا الحق بما امكنهم وبما عن لهم ارجح الناس عقلا واوزنهم قولا ان هو الا رجل
به جنة فيس بصوابه والجنة الجنون او الجن اي به جن يحملونه حتى حين اي احتملوه وا
صبروا عليه الى زمان حتى ينجلي امره عن عاقبة وان افاق من جنونه والا قتلتموه
قال رب انصرني بما كنتم في نصرته اهلاكهم فكانه قال اهلكهم بسبب تكذيبهم اياي
او انصرني بدل ما كذبوني كما يقول هذا بذاك اي بدل ذاك ومكانه والمعنى ابدلني من غم
تكذيبهم سلوة النصرة عليهم او انصرني بانجاز ما وعدتهم من العذاب وهو ما كذبوه
فيه حين قال لهم اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم فاوحينا اليه اذا صنع الفلك
باعيننا باعيننا محفظنا وكلاءتنا كان معه من الله حفاظا يكلونه بعيونهم لئلا يتعرض له ولا يفسد
عليه مفسد عمله ومنه قولهم عليه من الله عين كالئة ووحينا فاذا جاء امرنا وفار التنور
ووحينا اي تامرت كيف تصنع وتعلمك روي انه اوحي اليه ان يصنعها على مثال جؤ
جؤ الطائر روي انه قيل لنوح اذا رايت الماء يفور من التنور اخبرته امراته فركب
وقيل كان تنور ادم وكان من حجارة فصار الى نوح واختلف في مكانه فعن الشعبي
في مسجد الكوفة عن يمين الداخل مما يلي باب كندة وكان نوح عمل السفينة وسط المسجد
وقيل بالشام بموضع يقال له عين وردة وقيل بالهند وعن ابن عباس التنور وجه الارض
وعن قتادة اشرف موضع في الارض اي اعلاه وعن علي رضي الله عنه فار التنور طلع
الفجر وقيل معناه ان فوران التنور كان عند تنوير الفجر وقيل هو مثل كقولهم حمي الو
طيس والقول هو الاول فاسلك فيها من كل زوجين اثنين واهلكه الا من سبق
عليه القول منهم ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون فاذا استويت انت
ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم وقل رب انزلني منزلا مبا
ركا وانت خير المنزلين ان في ذلك لايات وان كنا لمبتلين يقال سلك
فيه غيره واسلكه قال حتى اذا اسلكوهم في قتادة شلا كما تطرد الجمالة الابلا من
كل زوجين من كل امتي زوجين ومما امة الذكر وامة الانثى كالجمال والنوق و
الحضر والرماك اثنين واحدين مزدوجين كالجمل والناقة والحصان والرمكة روي
انه لم يحمل الا ما يلد ويبيض وقرئ من كل بالتنوين اي من كل امة زوجين واثنين
تاكيد وزيادة بيان جئ بعلى مع سبق الضاد كما جئ باللام مع سبق النافع قال

الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين
ونحوه قوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وقول عمر رضي الله عنه ليتها كانت
كفافا لا علي ولا لي فان قلت لم تنهاه عن الدعاء لهم بالنجاة قلت لما تضمنته
الاية من كونهم ظالمين وايجاب الحكمة ان يغرقوا لا محالة لما عرف من المصلحة
في اغراقهم والمفسدة في استبقائهم وبعد ان املى لهم الدهر المتطاول فلم يزيدوا
الا ضلالا ولزمتهم الحجة البالغة لم يبق الا ان يجعلوا عبرة للمعتبرين ولقد بالغ
في ذلك حيث اتبع النهي عنه الامر بالحمد على هلاكهم والنجاة منهم كقوله عز
وجل فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ثم امره ان يدعوه
بدعاء هو اهم وانفع له وهو طلب ان ينزله في السفينة او في الارض عند المطابق
لمسالته وهو قوله وانت خير المنزلين فان قلت هلا قيل فقولوا القوله
فاذا استويت انت ومن معك لانه في معنى فاذا استويتم قلت لانه بينهم
وامامهم وكان قوله قولهم مع ما فيه من الاشعار بفضل النبوة واظهار كبرياء
الربوبية وان رتبة تلك المخاطبة لا يترقى اليها الا ملك او نبي وقرئ منزلا بمعنى
انزالا او موضع انزال كقوله ليدخلنهم مدخلا يرضونه ان هي المخففة من الثقيلة
واللام هي الفارقة بين النافية وبينها والمعنى وان الشان والقصة كنا مبتلين اي مصيبين
قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد او مختبرين بهذه الايات عبادنا لننظر من
يعتبر ويذكر لقوله ولقد تركناها اية فهل من مدكر ثم انشانا من بعدهم قرنا اخرين
فارسلنا فيهم رسولا منهم ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون وقال الملا من قومه
الذين كفروا وكذبوا بلقاء الاخرة واترفناهم في الحيوة الدنيا ما هذا الا بشر مثلكم ياكل
مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون قرنا ا
خرين هم عاد قوم هود وعن ابن عباس ويشهد له حركاية الله قول هود واذكروا
اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ومجئ قصة هود على اثر قصة نوح في سورة الاعراف
وسورة هود والشعراء فان قلت حق ارسل ان يعدى بالى كاخواته التي هي
وجه وانفذ وبعث فما باله عدي في القران بالى تارة وبفي اخرى كقوله كذلك
ارسلناك في امة وما ارسلنا في قرية من نذير فارسلنا فيهم رسولا اي في عاد
وفي موضع اخر والى عاد اخاهم هودا قلت لم يعد بفي كما عدي بالى ولم يجعل صلة

مثله ولكن الامة او القرية جعلت موضعا للارسال كما قال روية ارسلت فيها مصعبا
ذا افحام وقد جاء بعث على ذلك في قوله ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا ان مفسرة
لارسلنا اي قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله قلت ذكره قال قوم هود في
جوابه في سورة الاعراف وسورة هود نفسر واو قال الملأ الذين كفروا من قومه انا لنريك
في سفاهة قالوا يا هود ما جئنا ببينة وها هنا مع الواو فاي فرق بينهما قلت
الذي بغير واو على تقدير سوال سائل قال فما قال قومه فقيل له قالوا كيت واما
الذي مع الواو فعطف لما قالوه على ما قاله ومعناه انه اجتمع في الحصول هذا الحق وهذا
الباطل وشتان ما هما بلقاء الاخرة بلقاء ما فيها من الحساب والثواب والعقاب
كقولك باحتذا جوار مكة اي جوار الله في مكة حذف الضمير والمعنى من مشروبكم او حذف
منه لدلالة ما قبله عليه اذن واقع في جزاء الشرط وجواب للذين قالوا لهم من قومهم
اي تخسرون عقولكم وتغبنون في ارائكم ايعدكم ايكم اذا متم وكنتم ايا وعظا انبا انكم
مخرجون ثنى انكم للتوكيد وحسن ذلك الفصل ما بين الاول والثاني بالظرف ومخر
جون خبر عن الاول او جعل انكم مخرجون مبتدأ واذا متم خبرا على معنى اخراجكم اذا
متم ثم اخبر بالجملة عن انكم او رفع انكم مخرجون بفعل هو جزاء للشرط كانه قيل اذا متم
وقع اخراجكم ثم اوقعت الجملة الشرطية خبرا عن انكم وفي قراءة ابن مسعود ايعدكم اذا
متم هيهات هيهات لما توعدون ان هي الا حيوتنا الدنيا قرئ هيهات بالفتح والكسر
والضم كلها بتنوين وبلا تنوين وبالسكون على لفظ الوقف فان قلت ما توعدون
هو المستبعد ومن حقه ان يرتفع بهيهات كما ارتفع في قوله فهيهات هيهات العقيق
واهله فما هذه اللام قلت قال الزجاج في تفسيره البعد لما توعدون فيمن نون
فنزلة منزلة المصدر وفيه وجه آخر وهو ان يكون اللام لبيان المستبعد وما هو
بعد التصويب بكلمة الاستبعاد كما جاءت اللام في هيت لك لبيان المهيت
به هذا ضمير لا يعلم ما يعني به الا بما يتلوه من بيانه واصله ان الحيوة الا حيوتنا
الدنيا ثم وضع هي موضع الحيوة لان الخبر يدل عليها وبينها ومنه هي النفس
تتحمل ما حملت وهي العرب تقول ما شاءت والمعنى لا حيوة الا هذه الحيوة لان
ان النافية دخلت على هي التي في معنى الحيوة الدالة على الجنس فنفتها فوازنت
لا التي نفت ما بعدها نفي الجنس نموت ونحيى اي يموت بعض ويولد بعض وما نحن

بمبعوثين متعرض قرن ويأتي قرن آخر ان هو الا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له
بمؤمنين قال رب انصرني بما كذبون قال عما قليل ليصبحن نادمين ثم قالوا ما هود الا
مفتر على الله فيما يدعيه من استنبائه له وفيما بعدنا من البعث وما نحن بمصدقين
قليل صفة للزمان كقديم وحديث في قولك ما رأيته قديما ولا حديثا وفي معناه
عن قريب وما توكيد لمعنى وله المدة لانهم قد استوجبوا الهلاك وقصرها فاخذتهم
الصيحة الصيحة صيحة جبرئيل صاح عليهم فدمرهم بالحق بالوجوب في قضاياه
فجعلناهم غثاء شبههم في دمارهم بالغثاء وهو حميل السيل مما يلي واسود من
الورق والعيدان ومنه قوله فجعله غثاء احوى وقد جاء مشددا في قول امرئ القيس
من السيل والغثاء فلكة مغزل فبعدا للقوم الظالمين موضوعة مواضع افعالها
وهي من جملة المصادر التي قال سيبويه نصبت بافعال لا يستعمل اظهارها ومعنى
بعدا بعدوا اي هلكوا يقال بعد بعدا وبعدا نحو رشد رشدا ورشدا وللقوم
الظالمين بيان لمن دعي عليه بالبعد نحو هيت لك هو لما توعدون قرونا قوم صالح
ولوط وشعيب وغيرهم وعن ابن عباس بني اسرائيل اجلها الوقت الذي حد لهلاكها
وكتب ثم ارسلنا رسلنا تترى كلما جاءهم رسولنا كذبوه فاتبعنا بعضهم بعضا و
جعلناهم احاديث فبعدا لقوم لا يؤمنون ثم ارسلنا موسى واخاه هرون ما
تاتيا وسلطان مبين الى فرعون وملائه فاستكبروا في الارض وكانوا قوما عالين
تترى فعلى الالف للتانيث لان الرسل جماعة وقرئ تترى بالتنوين والتاء بدل
من الواو كما في تولج وتتقور اي متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد
اضاف الرسل اليه والى اممهم ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ولقد جاءتهم رسلهم
بالبينات لان الاضافة يكون بالملابسة والرسول يلابس المرسل والمرسل اليه
جميعا فاتبعنا الامم والقرون بعضهم بعضا في الاهلاك وجعلناهم اخبار
يسمر بها ويتعجب منها والاحاديث يكون اسم للحديث ومنه احاديث رسول
الله صلى الله عليه وسلم ويكون جميعا للاحدوثة التي هي مثل الاضحوكة والا
لعوبة والاعجوبة وهي ما يتحدث به الناس تلهيا وتعجبا وهو المراد ههنا
فان قلت ما المراد بالسلطان المبين قلت يجوز ان يراد العصا الا
انها كانت امر آيات موسى واولاها وقد تعلقت بها معجزات سيئ من انقلابها

ثم انشانا من بعدهم قرونا اخرين ما تسبق
من امة اجلها وما يستاخرون

حبه وتلقفها ما افكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربهما بها وكونها
حارسا وشمعة وشجرة خضرا مثمرة ودلوا ورشا جعلت كانها نسيت بعضها
لما اشتدت به من الفضل فلذلك انفسها اي هي ايات وحجة بينة عالين
متكبرين ان فرعون علا في الارض لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا ومتطا
ولين على الناس قاهرين بالبغي والظلم والبشر يكون واحدا وجمعا بشرا سويا
لبشرين فاما ترين من البشر ومثل وغير يوصف بهما الاثنان والجمع والمذكر و
المونث انكم اذا مثلهم ومن الارض مثلهن ويقال ايضا مما مثلاه وهم امثاله
ان الذين يدعون من دون الله عبادا امثالكم وقومهما لنا عابدون فكذبوهما فكانوا
من المهلكين وقومهما يعني بني اسرائيل كانهم يعبدوننا خضوعا ومذللا او لانه كان
مدعي الالهية فادعى للناس العبادة وان طاعتهم له عبادة على الحقيقة و
ولقد اتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون وجعلنا ابن مريم وامه اية واويناهما
الى ربوة ذات قرار ومعين موسى الكتاب اي قوم موسى التورية لعلهم يعملون
بشرائعها ومواعظها كما قال على خوف من فرعون وملائهم يريد ال فرعون وكما
يقولون هاشم وثقيف وتميم ويراد قومهم ولا يجوز ان يرجع الضمير في لعلهم الى
فرعون وملائه لان التورية انما اوتيها بنو اسرائيل بعد اغراق فرعون وملائه ولقد اتينا
موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى فان قلت لو قيل اتيتين هل كان
يكون له وجه قلت نعم لان مريم ولدت من غير مس وعيسى روح من الله القى
اليها وقد كلم في المهد وكان يحيي الموتى مع معجزات اخر فكانه اية من غير وجه واللفظ
محتمل للتثنية على تقدير وجعلنا ابن مريم وامه اية ثم حذفت الاولى لدلالة الثانية
عليها الربوة والرباة في رايهما الحركات وقرئ ربوة ورباوة بالضم ورباوة بالكسر
وهي الارض المرتفعة قيل هي ايليا ارض بيت المقدس وانها كبد الارض واقرب الارض
الى السما ثمانية عشر ميلا عن كعب وقيل دمشق وعن طها وعن الحسن فلسطين فانها
الربوة التي ذكر الله وقيل مصر والقرار المستقر من ارض مستوية منبسطة وعن
قتادة ذات ثمار وما يعني انه لاجل الثمار يستقر فيها ساكنوها والمعين الما الظاهر
الجاري على وجه الارض وقد اختلف في زيادة ميمه واصالته فوجه من جعله فعيلا
انه مدرك بالعين لظهوره من عانه اذا ادركه بعينه نحو ركبه اذا ضربه بركبته

ووجه

ووجه من جعله فعيلا انه نفاع بظهوره وجريه من الماعون وهو المنفعة يا ايها الرسل
كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون هذا النداء والخطاب ليسا على ظاهرهما
وكيف والرسل انما ارسلوا متفرقين في ازمنة مختلفة وانما الام بان كل رسول في زمانه
نودي لذلك ووصي به ليعتقد السامع ان امرا نودي لذلك ووصي له جميع الرسل
ووصوا به حقيق ان يوخذ به ويعمل عليه والمراد بالطيبات ما حل وطاب وقيل
طيبات الرزق حلال وصاف وقوام فالحلال الذي لا يعصى الله فيه والصافي الذي
لا ينسى الله فيه والقوام ما يمسك النفس ويحفظ العقل او اريد ما يستطاب وسيله
من الماكل في الفواكه ويشهد له مجيئه على عقب قوله واويناهما الى ربوة ذات قرار و
معين ويجوز ان يقع هذا الاعلام عند ابو عيسى ومريم الى الربوة فذكر على سبيل الحكاية
اي اويناهما وقلنا لهما هذا اي اعلمناهما ان الرسل كلهم خوطبوا بهذا وكلا مما رزقناكما
او عملا صالحا اقتدا بالرسل وان اهذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاتقون قرئ وان
بالكسر على الاستيناف وان بمعنى ولان وان مخففة من الثقيلة وامتكم مرفوعة معها
وتقطعوا امرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون وقرئ زبرا جمع زبور اي كتبا
مختلفة يعني جعلوا دينهم اديانا وزبرا قطعا استعيرت من زبر الفضة والحديد
وزبرا مخففة الباء كرسل في رسل اي كل فرقة من فرق هولا المختلفين المتقطعين
دينهم فرح بباطله مطمئن النفس معتقد انه على الحق فذرهم في غمرة الغمرة الماء لما هم
عليه من الباطل قال كانني ضارب في غمرة لعب وعن علي رضي الله عنه في غمراتهم
حتى حين الى ان يقتلوا او يموتوا ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع في
الخيرات بل لا يشعرون ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بايات ربهم
يؤمنون والذين هم بربهم لا يشركون سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك
ونهى عن الاستعجال بعذابهم والجزع من تاخيره وقرئ يمدهم ويسارع ويسرع
بالياء والفاعل الله سبحانه ويجوز في يسارع ويسرع ان يضمن ضمير الممد به ويسارع
مبنيا للمفعول وان هذه الامداد ليس الا استدراجا لهم الى المعاصي واستجرارا الى زيادة
الاثم بالبواب قبل وقته ويجوز ان يراد في جزاء الخيرات كما يفعل باهل
الخير من المسلمين وبل استدراك لقوله ايحسبون يعني بل هم اشباه البهائم
لا فطنة بهم ولا شعور حتى يتاملوا ويتفكروا في ذلك اهو استدراج ام مسارعة

في الخبر فان قلت ابن الراجع من خبر ان الى اسمها اذا لم يستكن فيه ضميره قلت
هو محذوف تقديره نسارع به ويسارع به ويسارع الله به كقوله ان ذلك من عزم الامور
اي ان ذلك منه وذلك لاستطالة الكلام مع امن الالباس والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم
وجلة انهم الى ربهم راجعون اولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون يؤتون
ما اتوا يعطون ما اعطوا وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة يأتون
ما اتوا اي يفعلون ما فعلوا وعنها انها قالت يا رسول الله هو الذي يزني ويسرق و
يشرب الخمر وهو على ذلك يخاف الله قال لا يا بنة الصديق ولكن هو الذي يصلي ويصوم
ويتصدق وهو على ذلك يخاف الله ان لا يقبل منه يسارعون في الخيرات يحتمل معنيين
احدهما ان يراد يرغبون في الطاعات اشد الرغبة فيبادرونها والثاني انهم يتعجلون في
في الدنيا المنافع ووجوه الاكرام كما قال فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب
الآخرة وتبناه اجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين لانهم اذا سوغ
بها لهم فقد سارعوا في نيلها وتعجلوها وهذا الوجه احسن طباقا للآية المتقدمة لان
فيه اثبات ما نفي عن الكفار للمؤمنين وقرئ يسرعون في الخيرات لها سابقون اي
فاعلون السبق لاجلها او سابقون الناس لاجلها او اياها سابقون اي ينالونها قبل
الآخرة حيث عجلت لهم في الدنيا ويجوز ان يكون لها سابقون خبرا بعد خبر ومعنى
وهم لها كمعنى قوله انت لها احمد من بين البشر يعني ان هذا الذي وصف به الصالحون
من غير خارج من حد الوسع والطاقة ولا نكلف نفسا الا وسعها ولدينا وكذلك
كل ما كلفه عبادة وما عملوه من الاعمال فغير ضايع عنده كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون
بل هو مثبت لديه في كتاب يريد اللوح او صحيفة الاعمال ناطق بالحق لا يقرون منه
يوم القيامة الا ما هو صدق وعدل لا زيادة فيه ولا نقصان ولا يظلم منهم احدا
واراد ان الله لا يكلف الا الوسع فان لم يبلغ المكلف ان يكون على صفة هؤلاء السابقين
بعد ان يستفرغ وسعه ويبذل طاقته فلا عليه ولدينا كتاب فيه عمل السابق
والمقتصد ولا نظلم احدا من حقه ولا نحطه دون درجته بل قلوبهم في غمرة من هذا و
لهم اعمال من دون ذلك هم لها عاملون بل قلوب الكفرة في غفلة غامرة لها من
هذا اي مما عليه هؤلاء الموصوفون من المؤمنين ولهم اعمال متجاوزة متخطئة
لذلك اي لما وصف به المؤمنون هم لها معتادون وبها ضارون لا يفطمون

عنها

عنها حتى يأخذهم الله بالعذاب وحتى هذه هي التي يبتدأ بعدها الكلام والكلام الجملة
الشرطية والعذاب قتلهم يوم بدر او الجوع حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلنا عليهم سنين كسني يوسف فابتلاهم
الله بالقحط حتى اكلوا الجيف والكلاب والعظام المحرقة والقر والاولاد الجوار الصراخ
باستغاثته حتى اذا اخذنا مترفيهم بالعذاب اذا هم يجأرون جأر ساعات النيام
لربه اي يقال لهم حينئذ لا تجأروا فان الجؤار غير نافع لكم انكم منا لا تنصرون
لا تغاثون ولا تمنعون منا او من جهتنا لا يلحقكم نصر ومعونة قد كانت آياتي
تتلى عليكم فكنتم على اعقابكم تنكصون مستكبرين به سامرا تهجرون قالوا الضمير
في به للبيت العتيق او للحرم كانوا يقولون لا يظهر علينا احد لانا اهل الحرم والذي
سوغ هذا الاضمار شهرتهم بالاستكبار بالبيت وانه لم يكن لهم مفخرة الا انهم ولاته
والقائمون به ويجوز ان يرجع الى آياتي الا انه ذكر لانها في معنى كتابي ومعنى استكبارهم
بالقرآن مكذبهم به استكبارا ضمن مستكبرين معنى مكذبين فعدي تعديته او يحدث
لكم استماعه استكبارا وعتوا فانتم مستكبرون بسببه او يتعلق الباء بسامرا اي
تسمرون بذكر القرآن وبالطعن فيه وكانوا يجتمعون حول البيت بالليل يسمرون
وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحرا وشعرا وسب رسول الله صلى الله عليه
وسلم او تهجرون والسامر نحو الحاضر في الاطلاق على الجمع وقرئ سمرا وسمارا و
تهجرون وتهجرون من اهجر في منطقه اذا افحش والهجر بالضم الفحش ومن هجر
الذي هو مبالغة في هجر اذا هذى والهجر بالفتح الهذيان افلم يدبروا القول ام جاءهم
ما لم يأت آباءهم الاولين ام يعرفوا رسولهم فهم له منكرون القول القرآن يقول
افلم يتدبروه ليعلموا انه الحق المبين فيصدقوا به وبمن جاء به بل اجاءهم ما لم يأت
آباءهم فلذلك انكروه واستبدعوه كقوله لتنذر قوما ما انذر آباؤهم فهم غافلون او ليخا
فوا عند تدبر آياته واقاصيصه مثل ما نزل بمن قبلهم من المكذبين ام جاءهم من الامر
ما لم يأت آباءهم حين خافوا الله فآمنوا به وبكتبه ورسله واطاعوه وآباؤهم
اسمعيل واعقابه من عدنان وقحطان وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا مضر ولا
ربيعة فانهما كانا مسلمين ولا تسبوا قسا فانه كان مسلما ولا تسبوا الحرث بن
كعب ولا اسد بن خزيمة ولا تميم بن مر فانهم كانوا على الاسلام وما شككتم فيه

من شيء فلا شكوا في ان تبعا كان مسلما وروي ان ضبة كان مسلما وكان على شرطه
سليمان بن داود ام لم يعرفوا محمدا وصحة نسبه وحلوله في سطة هاشم واما نبيه
وصدقه وشهامته وعقله واتسامه بانه خير فتيان قريش والخطبة التي خطبها
ابو طالب في نكاح خديجة بنت خويلد كفى برغائبها مناديا ام يقولون جنة بل جاءهم
بالحق واكثرهم للحق كارهون الجنة الجنون وكانوا يعلمون انه بري منها وانه ان حجهم
عقلا واتقنهم ذهنا ولكنه جاءهم بما خالف شهواتهم واهواهم ولم يوافق ما شاءوا عليه
وسط بلحومهم ودمائهم من اتباع الباطل ولم يجدوا له مرادا ولا مدفعا لانه الحق الابلج
والصراط المستقيم فاخلدوا الى البهت وعولوا على الكذب من النسبة الى الجنون والسحر و
الشعر فان قلت قوله واكثرهم فيه ان اقلهم كانوا لا يكرهون الحق قلت
كان فيهم من يترك الايمان انفة واستنكافا من توبيخ قومه وان يقولوا صبأ وترك
دين ابائه لا كراهة للحق كما يحكى عن ابي طالب فان قلت بن عم بعض الناس ان ابا طالب
صح اسلامه قلت يا سبحان الله كان ابا طالب كان اضمل اعمام رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى يشتهر اسلام حمزة والعباس ويخفى اسلام ابي طالب ولو اتبع الحق ا
هواهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن دل بهذا على عظم شان الحق وان السموات
والارض ما قامت ولا من فيهن الاية فلو اتبع اهواهم لانقلب باطلا ولذهب ما يقوم به
العالم فلا يبقى له بعده قوام او اراد ان الحق الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وهو
الاسلام لو اتبع اهواهم وانقلب شركا لجاء الله بالقيامة ولاهلك العالم ولم يؤخر و
عن قتادة ان الحق هو الله ومعناه ولو كان الله الها يتبع اهواهم ويامرهم بالشرك
والمعاصي لما كان الها ولكن شيطانا ولما قدر على ان يمسك السموات والارض بل اتيناهم
بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون بذكرهم بالكتاب الذي هو ذكرهم اي وعظهم او
صيتهم وفخرهم او بالذكر الذي كانوا يتمنونه ويقولون لو ان عندنا ذكرا من الاولين
لكنا عباد الله المخلصين وقرئ بذكراهم ام تسألهم خرجا فخراج ربك خير وهو خير الرازقين
وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم قرئ خراجا فخراج وهو ما تخرجه الى الامام من
زكوة ارضك والى كل عامل من اجرته وجعله وقيل الخرج ما تبرعت به والخراج ما لزمك
اداؤه والوجه ان الخرج اخص من الخراج كقولك خراج القرية وخرج الكردة زيادة ا
اللفظ لزيادة المعنى ولذلك حسنت قراءة من قرا خرجا فخراج ربك خير يعني ام

تسالهم

على هدايتك لهم قليلا من عطاء الخالق خير قد الزمهم الحجة في هذه الايات وقطع معاذيرهم
وعللهم بان الذي ارسل اليهم رجل معروف امره وحاله مخبور سره وعلنه خليق بان يحيي
مثله للرسالة من بين ظهرانيهم وانه لم يعرض له حتى يدعي مثل هذا الدعوى العظيمة بباطل
ولم يجعل ذلك سلما الى النيل من دنياه واستعطاء اموالهم ولم يدعهم الا الى دين الاسلام
الذي هو الصراط المستقيم مع ابراز المكنون من ادوائهم وهو اخلالهم بالتدبر والتامل
واستهتارهم بدين الاباء الضلال من غير برهان وتعللهم بانه مجنون بعد ظهور الحق و
ثبات التصديق من الله بالمعجزات والايات النيرة وكراهتهم للحق واعراضهم عما فيه
حظهم من الذكر وان الذين لا يؤمنون بالاخرة عن الصراط لناكبون يحتمل ان هؤلاء
وصفهم انهم لا يؤمنون بالاخرة لناكبون اي عادلون عن هذا الصراط المذكور وهو قوله
الى صراط مستقيم وان كل من لا يؤمن بالاخرة فهو عن القصد ناكب ولو رحمناهم وكشفنا
ما من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون لما اسلم ثمامة بن اثال الحنفي ولحق باليمامة ومنع الميرة
من اهل مكة واخذهم الله بالسنين حتى اكلوا العلهم جاء ابو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال له انشدتك بالله والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قتلت
الاباء بالسيف والابناء بالجوع والمعنى لو كشف الله عنهم هذا الضر وهو الهزال والقحط الذي
اصابهم برحمته عليهم ووجدوا الخصب لارتدوا الى ما كانوا عليه من الاستكبار وعداوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وافراطهم فيها ولذهب عنهم هذا الابلاس
وهذا التملق بين يديه يسترحمونه ولقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضر
عون حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد اذا هم فيه مبلسون واستشهد على
ذلك بانا اخذناهم اولا بالسيوف وبما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم واسرهم
فما وجدت منهم بعد ذلك استكانة ولا تضرع حتى فتحنا عليهم باب الجوع الذي
هو اشد من الاسر والقتل وهو اظم العذاب فابلسوا الساعة وخضعت
رقابهم وجاء اعناقهم واشدهم شكيمة في العناد يستعطفك او محناهم بكل محنة
من القتل والجوع فما روي فيهم لين مقادة وهم كذلك حتى اذا عذبوا بنار جهنم
فحينئذ يبلسون كقوله ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون لا يفتر عنهم وهم فيه
مبلسون والابلاس الياس من كل خير وقيل السكوت مع التحير فان قلت ما وزن
استكان قلت استفعل من الكون اي انتقل من كون الى كون كما قيل استحال اذا

اشقل من حال الى حال ويجوز ان يكون افتعل من السكون اشبعت فتحته فنشأ عنه كما جا
بمنزاح فان قلت هلا قيل وما تضرعوا او فما يتكينون قلت لان المعنى مخالفهم
فما وجدت منهم عقيب المحنة وما من عادة هو لاان يستكينوا ويتضرعوا حتى يفتح عليهم
باب العذاب الشديد وقرئ فتحنا وهو الذي اسالكم السمع والابصار والافئدة قليلا
ما تشكرون انما خص السمع والابصار والافئدة لانه يتعلق بها من المنافع الدينية
والدنيوية مالا يتعلق بغيرها ومقدمة منافعها الى ان يعملوا ابصارهم وسمعهم
فيها من آيات الله وافعاله ثم ينظروا ويستدلوا بقلوبهم ومن لم يعملها فيما خلقت
له فهو بمنزلة عادمها كما قال عز وجل فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم
من شئ اذ كانوا يجحدون بايات الله ومقدمة شكر النعمة فيها الاقرار بالمنعم بها وان
لا يجعل له ندو شريك اى يشكرون شكرا قليلا وما مزيدة للتاكيد بمعنى حقا وهو
الذي ذرأكم في الارض واليه تحشرون ذرأكم خلقكم وبثكم بالتناسل واليه تحشرون يوم
القيامة بعد تفرقكم وا اختلاف الليل والنهار افلا تعقلون وله اختلاف الليل و
النهار اى هو مختص به وهو متولية ولا يقدر على تصريفها غيره وقرئ يعقلون
بالياء عن ابي عمرو بل قالوا مثل ما قال الاولون ابداما شاكلوا كتائرا وعظاما ائنا لمبعوثون
اى قال اهل مكة كما قال الكفار قبلهم لقد وعدنا نحن وابا ونا هذا من قبل ان هذا الا
اساطير الاولين الاساطير جمع اسطار جمع سطر قال رؤبة اني واسطار سطرن سطر
وهي ما كتبه الاولون مما لا حقيقة له وجمع اسطورة كاعوفة قل لمن الارض ومن فيها
ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل افلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب العرش
العظيم سيقولون لله قل اي اجيبوني عما استعملتكم منه ان كان عندكم فيه علم وفيه
استهانة بهم وبجواز لفظ جهالتهم بالديانات ان يحهلوا مثل هذا الظاهر البين وقرئ
تذكرون بحذف التاء الثانية ومعناه افلا تتذكروه فتعلموا ان من فطر الارض ومن
فيها اختراعا كان قادرا على اعادة الخلق وكان حقيقا بان لا يشرك به بعض خلقه
في الربوبية قرئ الاول باللام لا غير والاخران باللام وهو هكذا في مصاحف اهل
البصرة والكوفة والشام وبغير اللام وهو هكذا في مصاحف اهل المدينة بالام على ا
لمعنى لان قولك من ربه ولمن هو في معنى واحد وبغير اللام على اللفظ ويجوز قراءة الا
الاول بغير لام ولكنها لم تثبت في الرواية افلا تتقون افلا تخافونه فلا تشركوا به

وتصوار

ارسله قل من بيده ملكوت كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل
بانى تسحرون اجرت فلانا على فلان اذا اغثته منه ومنعته يعنى وهو يغيث من يشا
ممن يشا ولا يغيث احد منه احدا سحرون تخدعون عن توحيده وطاعته والخادع هو الشيطان
والهوى بل اتيناهم وقرا ايهم بالفتح والضم بالحق حيث يدعون له ولدا ومعه شركا
بالحداثه من ولد وما كان معه من آلهة اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض
سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركونه لذهب كل اله
بما خلق والتفرد كل واحد من الآلهة بخلقه الذي خلقه واستبد به ولرايتم ملك
كل واحد منهم متميزا من ملك كل واحد ولغلب بعضهم بعضا كما نرون حال ملوك الدنيا
مما لكهم متمايزة وهم متغالبون وحين لم تروا كل ان لتمايز الممالك وللتغالب
فاعلموا انه اله واحد بيده ملكوت كل شئ فان قلت اذن لا تدخل الا على كلام هو جواب
اجرا فكيف وقع قوله ولذهب جوابا وجزاء ولم يتقدمه شرط ولا سؤال سائل
قلت الشرط محذوف بتقديره ولو كان معه آلهة وانما حذف لدلالة قوله
وما كان معه من اله عليه وهو جواب لمن معه الحجة من المشركين عما يصفون
من الاتخاذ والاولاد عالم الغيب بالجر صفة لله وبالرفع خبر مبتدا محذوف قل رب
اما تريني ما توعدون رب فلا تجعلني في القوم الظالمين واما على ان نريك ما نعدهم لقادرون
ما والنون لهم موكدتان اى ان كان لابد من تعذيبهم من العذاب في الدنيا وفي الآخرة فلا تجعلني
قرينا ولا تقدرني بعذابهم عن الحسن اخبره الله ان له في امته نقمة ولم يخبره ا في حياته
ام بعد موته فامره ان يدعو بهذا الدعاء فان قلت كيف يجوز ان يجعل الله النبي المعصوم
مع الظالمين حتى يطلب ان لا يجعله معهم قلت يجوز ان يسال العبد ربه ما علم انه يفعله
وان يستعيذه ممن علم انه لا يفعله اظهارا للعبودية وتواضعا لربه واحيانا له واستغفارا
صلى الله عليه وسلم اذ قام من مجلسه سبعين مرة او مائة مرة لذلك وما احسن قول
الحسن في قول ابي بكر الصديق رضي الله عنه وليتكم ولست بخيركم كان يعلم انه خيرهم و
لكن المؤمن يهضم نفسه وقرأ زيتهم بالضمة كافر افاما ترينى والتمرون للحميم وهي ضعيفة
وقوله رب كرتين من قبل الشرط وقبل الجزاء حث على فضل تضرع وجوار
كانوا ينكرون الموعد بالعذاب فيضحكون منه وتسفيها لهم له لذلك وقيل لهم
ان الله قادر على الجار ما وعدناكم فما وجه هذا الانكار او قع بالتي هي احسن السيئة

واتهم لكاذبون

هو ابلغ من ان يقابل بالحسنة السيئة لما فيه من التفضيل كانه قال دفع بالحسنى السيئة والمعنى
الصفح عن اسائتهم ومقابلتهم بما امكن فيه كانت حسنة مضاعفة بازائه وهذه قضية
قوله التي هي احسن وعن ابن عباس هي شهادة ان لا اله الا الله والسيئة الشرك وعن مجاهد
لسلم يسلم عليه اذا لقيه وعن الحسن الاعضاء والصفح وقيل هي منسوخة باية السيف
وقيل محكمة لان المداراة محثوث عليها ما لم تؤد الى ثلم دين وازراء بمروة نحن اعلم
بما يصفون بما يذكرونه من احوالك صفتها افيوصفهم لك وسودهم والله اعلم منك
واقدر على جزائهم وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان
يحضرون حتى اذا جاء احدهم الموت الهمز النخس والهمزات جمع المرة منه مهماز الرايض
والمعنى ان الشياطين يحثون الناس على المعاصي ويغرونهم عليها كما تهمز الراضة الدواب
حثا لها على المشي ونحو الهمز الاز في قوله تؤزهم ازا امر بالتعوذ من نخساتهم بلفظ ا
المهلك الى ربه المكرر لندايه وبالتعوذ من ان يحضره اصلا ونحو مواحوله وعن
ابن عباس عند تلاوة القران وعن عكرمة عند النزع حتى تتعلق بيصفون اي لا يزالون
على سوء الذكر الى هذا ولاية فاصلة بينهما على وجه الاعتراض والتاكيد للاغضاء عنهم متعينا
بالله على الشياطين ان يتنزله عن الحكم ويغريه على الانتصار منهم او على قولهم وانهم لكاذبون
قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة الا خاطب الله بلفظ الجمع للتعظيم
كقوله فان شئت حرمت النساء سواكم وقوله الا فارجموني يا اله محمد هو قائلها ومن
ورائهم برزخ الى يوم يبعثون اذا ايقن بالموت واطلع على حقيقة الامر ادركته الحسرة
على ما فرط فيه من الايمان والعمل الصالح فيه فسال ربه الرجعة وقال
لعلي اعمل صالحا في الايمان التي تركته والمعنى لعلي انه بما تركته من الايمان واعمل صالحا
كما قال تعالى يقول لعلي اتي على اس تريد اوس اسا واتي عليه وقيل فيما تركت
من المال عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا ارجعك الى الدنيا
فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدوما الى الله واما الكافر فيقول رب ارجعون كلا انها
كلمة كلا ردع عن طلب الرجعة وانكار واستبعاد والمراد بالكلمة الطائفة
من الكلام المنتظم بعضها مع بعض وقوله لعلي اعمل صالحا فيما تركت هو قائلها
لا محالة لا يخليها ولا يسكت عنها لا يشتد الحسرة عليه ويسلط الندم او هو قائلها
وحده لا يجاب اليها ولا تسمع منه ومن ورائهم برزخ والضمير للجماعة اي امامهم

جابل

جابل بينهم وبين الرجعة الى يوم يبعثون الى الاخرة فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم يو
يومئذ ولا يتسلون الصور بفتح الواو عن الحسن والصور بالكسر والفتح عن ابي رزين
وهذا دليل لمن فسر الصور بجمع الصورة ونفي الانساب يحتمل ان التقاطع يقع
بينهم حيث يتفرقون معاقبين ومثابين ولا يكون التواصل بينهم والتالف الا
بالاعمال ولغو الانساب وتبطل وانه لا يعتد بالانساب لمن وال التعاطف والتراحم
والتراحم بين الاقارب ذبقر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه
وعن ابن مسعود ولا يتسلون بادغام التاء في السين فان قلت قد ناقض
هذا ونحو قوله ولا يسال حميم حميما قوله واقبل بعضهم على يتسالون
وقوله يتعارفون بينهم فكيف التوفيق بينهما قلت فيه جوابان
احدهما ان يوم القيمة مقداره خمسين الف سنة ففيه ان منه واحوال
مختلفة يسالون ويتعارفون في بعضها وفي بعضها لا يفطنون بذلك لشدة
الهول والفزع والتناكر يكون عن النفخة الاولى واذا كانت الثانية قاموا فتعا
رفوا وتسلوا فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون عن ابن عباس
الموازين جمع موزون فاي الموزونات من الاعمال اي الصالحات التي لها
وزن وقدر عند الله من قوله فلا نقيم له يوم القيمة وزنا ومن خفت موا
زينه فاولئك الذين خسروا انفسهم في جهنم خالدون في جهنم خالدين
بدل من خسروا انفسهم ولا محل للبدل والمبدل منه لان الصلة لا محل لها او
خبر فعد خبر لاولئك او خبر مبتدا محذوف تلفح وجوههم النار تسفع
وقال الزجاج اللفح والنفح واحد الا ان النفح اشد تاثيرا وهم فيها كالحون
الصر يكن ايامي يتلى عليكم فكنتم على ايها تكذبون فالكلوح ان تتقلص الشفتان و
وتتشمر عن الاسنان كما ترى الرؤوس المشوية وعن مالك ابن دينار كان سبب
ثوبه عتبة الغلام انه من في السوق براس اخرج من التنور فغشي اليه ثلثة
ايام ولياليهن وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال شوية النار فتقلص
شفته العليا حتى تبلغ وسط راسه وتسترخي شفته السفلى تبلغ وقرى كلحون
قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا اخرجنا منها فان عدنا ظالمون
غلبت علينا ملكتنا من قولك غلبني فلان على كذا اذا اخذه منك وامتلكه

والشقاوة سوء العاقبة التي علم الله انهم يستحقونها بسوء اعمالهم قرئ وشقوتنا
وشقاوتنا بفتح الشين وكسرها فيهما فالاخسئوا فيها ولا تكلمون انه كان فريق من
عبادي يقولون ربنا امنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين ذلوا فيها
وانزجروا فيها كما تنزجر الكلاب اذا زجرت يقال خسأ الكلب وخسئ بنفسه
ولا يكلمون في رفع العذاب فانه لا يرفع ولا يخفف قيل هو اخر كلام يتكلمون
به ثم لا كلام ذلك بعد الشهيق والزفير والعواء لعوا الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون
وعن ابن عباس ان لهم ست دعوات اذا دخلوا النار قالوا الف سنة ربنا
ابصرنا وسمعنا فيجابون حق القول مني فينادون الفا ربنا امتنا اثنتين فيجابون
ذلكم وحده كفرتم اذا دعي الله فينادون الفا يا مالك لنقض علينا ثلث اولم
يكونوا فينادون الفا اخرجنا نعمل صالحا فيجابون اولم نعمر فينادون الفا رب
ارجعون فيجابون فيها في حرف الى انه كان فريق بالفتح لمعنى انه السخري بالضم والكسر
مصدر سخر كالسخر الا ان في باء النسب زيادة قوة في العمل كما قيل الحقيق حقيقة في الخصوص
وعن الكسائي والفراء ان المكسور من الفرو والمضموم من السخرة والعبودية ا
اي تسخروهم واستعبدوهم والاول مذهب الخليل وسيبويه فاتخذتموهم سخريا
حتى انسوكم ذكري وكنتم منه تضحكون قيل لهم الصحابة وقيل اهل الصفة خاصة
ومعناه اتخذتموهم هزوا وتشاغلتم بهم ساخرين حتى انسوكم بتشاغلكم بهم على
تلك الصفة ذكري فتركتموه اي تركتم ان تذكروني فتجافوني في اوليائي اني جزيتهم
اليوم بما صبروا انهم هم الفائزون قال كم لبثتم في الارض عدد سنين قالوا
لبثنا يوما او بعض يوم فاسئل العادين قال ان لبثتم الا قليلا قرئ انهم بالفتح والكسر
فالكسر استئناف اي قد فازوا حين صبروا فجزوا بصبرهم احسن الجزاء والفتح على انه
مفعول جزيتهم فوزهم قالوا في مصحف اهل الكوفة وقل في مصحف اهل
الحرمين والبصرة والشام ففي قال ضمير الله والمامور بسؤالهم من الملائكة وفي قل
ضمير الملك او في بعض رؤساء اهل النار استقصروا مدة لبثهم في الدنيا بالاضافة
الى خلودهم ولما هم فيه من عذابها لان الممتحن يستطيل ايام محنته ويستقصر
ما مر عليه من ايام الدعة اليها او لانهم كانوا في سرور وايام السرور قصارا
او لان المنقضي في حكم ما لم يكن وصدقهم الله في مقالهم بسني لبثهم في الدنيا ووبخهم

على

على غفلتهم التي كانوا عليها وقرئ فسئل العادين والمعنى لا تعرف من عدد تلك
السنين الا ان يسئله ويحسبه يوما وبعض يوم لما نحن فيه من العذاب وما
فينا اذ بعدها من فيه ان يقدر من يقدر ان يلقي اليه فكره وقيل فسئل الملائكة
الذين يعدون اعمار العباد ويحصون اعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف اي
الظلمة فانهم يقولون كما يقول وقرئ العادين اي المقدماء المعمرين فانهم
يستقصرونها فكيف عن دونهم وعن ابن عباس انساهم ما كانوا فيه من العذاب
بين النفختين لو انكم كنتم تعلمون افحسبتم اي اخلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون عبثا حال
اي عابثين كقوله لاعبين او مفعول له اي ما خلقناكم للبعث ولم يدعنا الى خلقكم
الا حكمة اقتضت ذلك وهي ان تتعبدكم بتكلفكم الشاق من الطاعات وترك
المعاصي ثم نرجعكم من دار التكلف الى دار الجزاء فيثيب المحسن ويعاقب المسيء وانكم
الينا لا ترجعون معطوف على انما خلقناكم ويجوز ان يكون معطوفا على عبثا
اي للبعث وتركتكم غير مرجوعين وقرئ ترجعون بفتح التاء فتعالى الله الملك
الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم الحق الذي يحق له الملك لان كل شيء منه
واليه او الثابت الذي لا يزول ولا يزول ملكه وصف العرش بالكرم لان الرحمة
منزل منه وهو الخير والبركة او لنسبته الى اكرم الاكرمين كما يقال بيت
كريم اذا كان ساكنوه كراما وقرئ الكريم بالرفع ونحوه ذو العرش المجيد
ومن يدع مع الله الها اخر لا برهان له فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون
وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين كقولك ما لم ينزل به سلطانا وهي
صفة لازمة نحو قوله تطير بجناحيه حتى بها للتوكيد الا ان يكون بها في الالهة
ما يجوز ان يقوم عليه برهان ويجوز ان يكون اعتراضا بين الشرط والجزاء كقولك
من احسن الى زيد لا احق بالاحسان منه فالله مثبته وقرئ انه لا يفلح بفتح الهمزة
ومعناه حسابه عدم الفلاح والاصل حسابه انه لا يفلح هو فوضع الكافرون موضع
الضمير لان من يدع في معنى الجمع وكذلك حسابه انه لا يفلح في معنى حسابهم
انهم لا يفلحون جعل فاتحة السورة قد افلح المؤمنون واورد في خاتمتها انه لا يفلح
الكافرون فتتان ما بين الفاتحة او الخاتمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
المؤمنين تسوته الملائكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك

الموت وروي ان اول سورة قد افلح واخرها من كنوز العرش من عمل بثلاث آيات
من اولها والقط باربع ايات من اخرها فقد نجا وافلح وعن ابن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحي يسمع عنده دوي
لدوي النحل وكنا ساعة فاستقبل القبلة رفع يده وقال اللهم زدنا لا تنقصنا وا
كرمنا ولا تهنا واعطنا ولا اثرنا ولا تؤثر علينا وارض عنا وارضنا وقال لقد
انزلت علي عشر ايات من اقامهن دخل الجنة ثم قرا افلح المؤمنون حتى
ختم العشرة سورة النور مدنية وهي وهي شان وقيل اربع وستون
آية بسم الله الرحمن الرحيم سورة انزلناها وفرضناها وانزلنا فيها ايات
بينات لعلكم تذكرون الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تا
خذكم بهما رافة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر سورة خبر مبتدا
محذوف وانزلناها صفة او هي مبتدا موصوف والخبر محذوف اي فيما اوحينا
اليك سورة انزلناها وقرئ بالنصب على زيدا ضربته ولا محل لانزلناها
لانها مفسرة للضمير فكانت في حكمه او على دونك سورة وانزلناها صفة
ومعنى فرضناها فرضنا احكامها التي فيها واصل الفرض القطع اي جعلناها وا
جبة مقطوعا بها والتشديد للمبالغة في الايجاب وتوكيده او لان فيها فرايض
شتى وانك تقول فرضت الفريضة او لكثرة المفروض عليهم من السلف
ومن بعدهم تذكرون بتشديد الذال وتخفيفها رفعهما على الابتدا والخبر محذوف
عند الخليل وسيبويه ومعنى فيما فرض عليكم الزانية والزاني اي جلدهما ويجوز
ان يكون الخبر فاجلدوا وانما دخلت الفا لكون الالف واللام بمعنى الذي وتضمنه
معنى الشرط تقديره التي زنت والتي زنا فاجلدوهما كما يقول من زنا فاجلدوه
كقوله والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهدا فاجلدوهم بالنصب
على اضمار فعل يفسره الظاهر وهو احسن من سورة انزلناها لاجل الامر وقرئ وا
لزان بلا ياء والجلد ضرب الجلد يقال جلده كقولك ظهره وبطنه وراسه فان
قلت اهذا حكم جميع الزناة والزواني ام حكم بعضهم قلت بل هو حكم
من ليس بمحصن منهم فان المحصن حكمه الرجم وشرط الاحصان عند ابي حنيفة
ست الاسلام والحرية والعقل والبلوغ والتزوج بنكاح صحيح شرعي والدخول

اذا

اذا فقدت واحدة منها فلا احصان وعند الشافعي رضي الله عنه الاسلام ليس بشرط لما روي
رسول الله صلى الله عليه وسلم رجم يهوديين وحجة ابي حنيفة قوله عليه السلام من اشرك
بالله فليس بمحصن فان قلت اللفظ يقتضي تعليق الحكم بجميع الزناة والزواني لان قوله والزانية
والزواني عام في الجميع يتناول المحصن وغير المحصن قلت الزانية والزاني يدلان على الجنسين
المنافيين لجنسي العفيف والعفيفة دلالة مختلفة والجنسية قائمة في الكل والبعض جميعا
فايهما قصد المتكلم فلا عليه كما يفعل بالاسم المشترك وقرئ ولا ياخذكم بالياء ورافة بفتح الهمزة
ورأفة على فعالة والمعنى اذ الواجب على المؤمنين ان يصلوا في دين الله ويستعملوا الجد وا
المثابة فيه ولا ياخذهم اللين والهوادة في استيفا حدوده وكفى برسول الله صلى الله عليه
وسلم اسوة في ذلك حيث قال لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها وقوله ان
كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر من باب التهييج والهاب الغضب لله ولدينه وقيل لا ترحموا
عليهما فيعطى الحدود او حتى لا توجعوهما ضربا وفي الحديث يولي نقص من الحد سوطا فيقول
رحمة لعبادك فيقال انت ارحم بهم مني فيؤمر به الى النار ويؤتى عن زاد سوطا لينهوا عن
معاصيك فيؤمر به الى النار وعن ابي هريرة اقامة حد بارض خير لاهلها من مطر اربعين ليلة
وعلى الامام ان ينصب للحدود رجلا عالما بصيرا يفعل كيف يضرب والرجل يجلد قائم على مجردة
ليس عليها الا ازاره ضربا وسطا لا مبرحا ولا هينا مفرقا على الاعضا كلها لا يتقي منها الا ثلثة
الوجه والراس والفرج وفي لفظ الجلد اشارة الى انه لا ينبغي ان يتجاوز الالم الى اللحم والمراة
تجلد جالسة قاعدة ولا ينزع من ثيابها الا الحشو والفرو وبهذه الاية استشهد ابو حنيفة رحمه الله
على ان الجلد حد غير محصن لا تغريب وما احتج به الشافعي رحمه الله على وجوب التغريب من قوله
عليه السلام البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام وما يروى عن الصحابة انهم جلدوا ونفوا
منسوخ عنده وعند اصحابه الاية او محمول على وجه التعزير والتاديب من غير وجوب
وقول الشافعي في تغريب الحر واحد وله في العبد ثلثة اقاويل يغرب سنة كالحر ويغرب نصف
سنة كما يجلد خمسين جلدة ولا يغرب كما قال ابو حنيفة وبهذه الاية الحبس والاذى في قوله
فامسكوهن في البيوت وقوله فاذوهما وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين قيل
تسميته عذابا دليل على انه عقوبة ويجوز ان يسمى عذابا لانه يمنع من المعاودة كما سمي نكالا ا
الطائفة الفرقة التي يمكن ان يكون خلقة واقلها ثلثة او اربعة وهي صفة غالبة كانها
الجماعة الحافة حول الشيء وعن ابن عباس في تفسيرها اربعة الى اربعين رجلا من

المصدقين بالله وعن الحسن عشرة وعن قتادة ثلثة فصاعدا وعن عكرمة رجلان فصاعدا وعن
مجاهد الواحد والصحيح ان هذه الكبيرة من امهات الكبائر وطذا قرنها الله بالشرك وقيل النفس
في قوله ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما وقال ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وسا
سبيلا وعن النبي صلى الله عليه وسلم يا معشر الناس اتقوا الزنا فان فيه ست خصال ثلث
في الدنيا وثلث في الاخرة فاما اللاتي في الدنيا فيذهب البهاء ويورث الفقر وينقص العمر
واما اللاتي في الاخرة فيوجب السخطة وسوء الحساب والخلود في النار ولذلك وفي الله عقده
الماية بكماله بخلاف حد القذف وشرب الخمر وشرع فيه العتلة والطولة وهي الرجم ونزي المؤ
منين على الزافه على الخلود فيه وامر لشهادة الطايفة للشهير فوجب ان يكون طايفة يحصل بها
التشهير والواحد والاثنان ليسوا يلك المثابة واختصاصه المؤمنين لان ذلك اقبح والفاسق
من صلحاء قومه اخجل ويشهد له قول ابن عباس الى اربعين رجلا من المصدقين بالله الفاسق الخبيث
من شانه الزنا والنتف لا يرغب في نكاح الصوالح من النسا والاتي على خلاف صفته وا
وانما يرغب في فاسقة خبيثة من شكله او في المشركة والفاسقة الخبيثة المسافحة كذلك
لا يرغب في نكاحها الصلحا من الرجال وينفرون عنها وانما يرغب فيها من يوفيها من شكلها
من الفسقة او من المشركين ونكاح المؤمن الممدوح عند الله الزانية وزعبته فيها والحاظه
بذلك من سلك الفسقة المتسمين بالزنا محرم عليه لحظور لما فيه من التشبه بالفساق وحضور
موقع التهمة والتعرض لسوء القالة فيه والغيبة وانواع المفاسد الحاظين كم فيها من التعرض
فكيف الانام بمزاوجة الزواني والقحاب وقد بينه على ذلك بقوله وانكحوا الايامى منكم والصالحين
من عبادكم وامايكم وقيل كان بالمدينة موسرات من فعايا المشركين فرغب الفقرا المهاجرين في
نكاحهن فكانوا ذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فرخصت وعن عايشة رضي الله عنها اذا الرجل
زنا بامراة ليس له ان يتزوجها طهزه الاية واذا باشرها كان زنيا وقد اجازه ابن عباس وشهد
بمن سرق ثم تجرة ثم اشتراه وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن ذلك فقال اوله
سفاح واخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال وقيل المراد بالنكاح الوطء وليس بقول لامرين
احدهما ان هذه اللفظة اينما وردت في القران لم ترد الا في معنى العقد والثاني فساد المعنى واداؤه
الى قولك الزاني لا ينزني الا بزانية لا يزني بها الا ان وقيل كان نكاح الزاني محرما في اول
الاسلام ثم نسخ والناسخ قوله وانكحوا الايامى منكم وقيل الاجماع وروي ذلك عن
سعيد بن المسيب فان قلت اي فرق بين معنى الجملة الاولى ومعنى الثانية قلت

معنى

معنى الاول صفة الزاني بكونه غير راغب في العفائف ولكن في الفواجر ومعنى الثانية
صفة الزانية بكونها غير مرغوب رغبها للاعفا ولكن للزناة بكونه غير راغب وهما
معنيان مختلفان فان قلت كيف قدمت الزانية على الزاني اولا ثم قدم عليها ثانيا
قلت سيقت ملك الاية لعقوبتهما على ما جنيا والمراة هي المادة التي منها نشاة الغاية
لانها لو لم تطمع الرجل ولم تومض له ولم تمكنه لم يطمع ولم تمكن فلما كان اصلا اولا في ذلك
بدين بذكرها واما الثاني فمسوقة لذكر النكاح والرجل اصل فيه لانه هو الراغب والخاطب
ومنه يبتدا الطلب وعن عمرو بن عبيد لا ينكح بالجزم على النهي والمرفوع ايضا فيه معنى
النهي ولكن المبغ واكد كما ان رحمك الله ويرحمك المبغ من لبرحمك ويجوز ان يكون خبرا
محضا على معنى ان عادتهم جارية على ذلك وعلى المومن ان لا يدخل نفسه تحت هذه العادة
ويتصون عنها وقري وحرم بفتح الحاء والذين يرمون المحصنات المرتبات ثم لم ياتوا
باربعة شهدا فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واولئك هم الفاسقون
الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم والذين يرمون ازواجهم ولم
يكن معهم شهدا الا انفسهم فشهادة احدهم اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين والخامسة
ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ويدرو اعنها العذاب ان شهد اربع شهادات
بالله انه لمن الكاذبين والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الكاذبين القذف بالزنا و
نفيه والنفي دل على ان المراد قذفهن بالزنا شيان احدهما ذكر المحصنات غيب الزناة والثاني
اشتراط اربعة شهد الآن القذف بغير الزنا يكفي فيه شاهدان والقذف بالزنا ان
يقول لحر البالغ العاقل لمحصنة بازانية او لمحصن بازاني يا بن الزانية يا ولد الزنا ليت
لا بيك بيت لرشدة والقذف بغير الزنا ان يقول يا اكل الربا يا شارب الخمر يا مخنث
يا محوسي يا فاسق يا خبيث يا ماص بظر امه فعليه التعزير ولا يبلغ به ادنى حد العبيد و
هو اربعون بل ينقص منه وقال ابو يوسف يجوز ان يبلغ به تسعة وسبعون وقال
الامام ان يعزر الى المايه وشروط احصان المدة خمسة الحرية والبلوغ والعقول والاسلام
والعفة وقري باربعة شهدا بالتنوين وشهدا صفة فان قلت لم شهدوا محتمعين
او متفرقين قلت الواجب عند ابي حنيفة واصحابه ان يحضروا في مجلس وا
حد وان جاوا متفرقين كانوا قذفة وعند الشافعي رحمه الله ان يحضروا متفرقين فان
قلت هل يجوز ان يكون زوج المقذومة واحدا منهم قلت يجوز عند ابي حنيفه

بخلاف الشافعي فان قلت كيف يجلد القاذف قلت كما جلد الزاني الى انه لا ينزع
عنه من ثيابه الا ما ينزع عن المراة من الحشو والفرو القاذفة ايضا كالزانية واشد الضرب
ضرب التعزير ثم ضرب الزنا ثم ضرب شرب الخمر ثم ضرب القاذف قالوا لان سبب عقوبته
محتمل للصدق والكذب الا انه عوقب صيانة للاعراض وردعا عن هتكها فان قلت
فاذا لم يكن المقذوف محصنا قلت يعزر القاذف ولا يحد الا ان يكون المقذوف معروفا
بما قذف به فلا حد ولا تعزير رد شهادة القاذف معلق عند ابي حنيفة رحمه الله باستيفاء
الحد فاذا شهد قبل الحد او قبل تمام استيفائه قبلت شهادته فاذا استوفى لم تقبل شهادته
ابدا دائما وان تاب وان كان من الابرار الاتقياء وعند الشافعي رحمه الله يتعلق رد
شهادته ابطل القذف فاذا تاب عن القذف بان يرجع عنه عاد مقبول الشهادة
وكلاهما متمسك بالاية فابو حنيفة رحمه الله جعل جزاء الشرط النهي هو الرمي الجلد ورد
الشهادة عقيب الشهادة على التابيد فكانوا مردودي الشهادة عنده في ابدهم وهو مدة
حيوتهم وجعل قوله فاولئك هم الفاسقون كلاما مستانفا غير داخل في حيز جزاء الشرط
كانه حكاية حال الرمين عند الله بعد انقضاء الجملة الشرطية والا الذين تابوا استثناء من
الفاسقين ويدل عليه قوله فان الله غفور رحيم والشافعي رضي الله عنه جعل
جزاء الشرط الجملتين ايضا غير انه صرف الابد الى مدة كونه قاذفا وهي تنتهي بالتوبة و
والرجوع عن القذف وجعل الاستثناء متعلقا بالجملة الثانية وحق المستثنى عليه
ان يكون مجرورا بدلا من هم في لهم وحقه عند ابي حنيفة ان يكون منصوبا لانه عن موجب
والنهي نقيضه ظاهر الاية ونظمها ان يكون الجمل الثالث مجموعهن جزاء الشرط كانه قيل ومن
قذف المحصنات فاجلدوهم وردوا شهادتهم وفسقوهم اي ما خرجوا لهم الجلد والرد والتفسيق
الا الذين تابوا عن الجلد واصلحوا فان الله لهم فيقبلون غير مجلودين ولا مردودين ولا مفسقين
فان قلت الكافر يقذف فيتوب عن الكفر تقبل شهادته بالاجماع والقاذف
من المسلمين يتوب عن القذف فلا تقبل شهادته كان القذف مع الكفر اهون من
القذف مع الاسلام قلت المسلمون لا يعاونون لب الكفار لانهم شهروا بعدوانهم
والطعن فيهم بالباطل فلا تلحق المقذوف بقذف الكافر من السين والشنار ما يلحقه
بقذف مسلم مثله لشدد على القاذف من المسلمين ودعا وكفا عن الحاق الشنار
فان قلت هل للمقذوف او للامام ان يعفوا عن حد القاذف قلت لهما ذلك

قبل

قبل ان يشهد الشهود ويثبت والمقذوف مندوب الى ان لا يرافع ولا يطالبه بالحد ويحسن
من الامام ان يحمل المقذوف على نظم ويقول له اعرض عن هذه ودعه لوجه الله قبل ثبات
الحد فاذا ان يعفو لانه خالص حق الله وهذا لم يصح ان يصالح عنه بمال فان قلت هل يورث
الحد قلت عند ابي حنيفة لا يورث لقوله عليه السلام الحد لا يورث ولا يورث
عند الشافعي واذا تاب القاذف قبل ان يثبت الحد سقط وقيل نزلت هذه الاية
في حسان بن ثابت حين تاب بهما قال في عائشة رضي الله عنها قاذف امراة اذا كان مسلما
حرا عاقلا بالغا غير محدود في القذف والمراة بهذه الصفة مع العفة صح اللعان بينهما
اذا قذف بصريح الزنا وهو ان يقول لها يا زانية او زنيت او رايتك تزنين واذا كان
الزوج عبدا او محدودا في قذف والمراة محصنة حد كما قذف الاجنبيات
لم ترافعه الى الامام لم يجب اللعان واللعان ان يبدا الرجل فيشهد اربع شهادات بالله انه
لمن الصادقين فيما رماها به من الزنا ويقول المراة اربع مرات اشهد بالله انه لمن الكاذبين
فيما رماني به من الزنا ثم يقول في الخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين فيما رما
ني به من الزنا وعند الشافعي رحمه الله يقام الرجل قائما حتى يشهد والمراة قاعدة ومقام المراة
والرجل قاعد حتى تشهد ويامر الامام من يضع يده على فيه ويقول له اني اخاف ان لم يكن صادقا
ان تبوء بلعنة الله وقال اللعان مكة بين المقام والبيت وبالمدينة على المنبر وبيت المقدس
في مسجده ولعان المشرك في الكنيسة وحيث يعظم واذا لم يكن له دين مع مساجدنا الا في المسجد
الحرام كقوله انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام ثم يفرق القاضي بينهما ولا يقع الفرقة
بينهما الا بتفريقه عند ابي حنيفة واصحابه الا عند زفر فان الفرقة في حكم التطليقة البائنة
عند ابي حنيفة ومحمد ولا يتابد حكمها فاذا اكذب الرجل نفسه بعد ذلك يحد حال ان يزوجها
وعند ابي يوسف وزفر والحسن بن زياد والشافعي هي فرقة بغير طلاق توجب تحريما و
ومؤبدا ليس لهما ان يجتمعا بعد ذلك بوجه وروي ازالة القذف لما نزلت قراها رسول
الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فقام عاصم بن عدي الانصاري فقال جعلني الله فداك ان
وجد رجل مع امراته رجلا فاخبر جلد ثمانين وردت شهادته ابدا وفسق وان ضربه بالسيف
قتل وان سكت سكت على غيظ وان يجي باربع شهدا فقد قضى الرجل حاجته ومضى اللهم
افتح وخرج فاستقبله هلال بن امية او عويمر فقال ما وراءك قال شر وحدث على بطن
ابن امراتي خولة وهي بنت عاصم شريك بن سحما فقال هذا والله سوالي ما اسره ع ما اتيت

فرجعا فاخبر عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلم خولة فقال لا ادري الغيرة ادركته ام بخلا
على الطعام وكان شريك زيلهم وقال هلال لقد رايته على بطنه قرلت ولاعن بينهما وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم عند قوله وقولها ان لعنة الله عليه ابين وقال القوم امين
وقال لها ان كنت الممت بذنب فاعترفي به فالرحم اهون عليك من غضب الله هو النار
وقال تحينوا بها الولادة فان جاءت بها اصيهب اثبج يضرب الى السواد فهو شريك وان جاءت
بها اورق جعدا جماليا خدلج الساقين فهو لغير النبي رميت به قال ابن عباس فجاءت باشبه الله
لشريك فقال عليه السلام لولا الايمان لكان لي ولها شان وقرئ ولم تكن بالتاء لان شهدا
اجماعة او لانهم في معنى الانفس التي هي بدل ووجه من قرا اربع ان ينتصب لانه في حكم
المصدر والعامل فيه المصدر الذي هو شهادة احدهم وهي مبتدا خبر المحذوف تقديره فواجب
شهادة احدهم اربع شهادات وقرا ان لعنة الله وان غضب الله على تخفيف ان ورفع وما بعدهما
وقرئ ان غضب الله على فعل الغضب وقرئ بنصب الخامسين على معنى ويشهد الخامسة
فان قلت لم خصت الملاعنة بان تخمس بغضب الله قلت تغليظا عليها لانها هي اصل
الفجور ومنبعه بخلابتها واطماعها ولذلك كانت مقدمة في اية الجلد ويشهد لذلك قوله عليه
السلام لخولة فالرحم اهون عليك من غضب الله ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله
تواب حكيم الفضل والتفضل وجواب لولا مسوك وتركه دال على امر عظيم لا يكتنه
ورب سكوت عنه ابلغ من منطوق به ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم
بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم الافك ابلغ ما يكون من الكذب والافتراء وقيل
هو البهتان لا يشعر به حتى يفجاك واصله الانك وهو القلب لانه قول ما قوك من وجه
والمراد ما افك به على عائشة رضي الله عنها والعصبة الجماعة من العشرة الى الاربعين
فكذلك العصابة واعصوا صبوا اجتمعوا وهم عبد الله بن ابي راس النفاق وزيد بن رفاعة
وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم والذي تولى كبره منهم
لهم عذاب عظيم لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا وقالوا هذا افك مبين
لولا جاءوا عليه باربعة شهداء اذ لم ياتوا بالشهداء فاولئك هم عند الله الكاذبون وقرا
كبره بالضم والكسر وهو عظمه والذي تولاه عبد الله لا معارنه في عداوة رسول الله صلى الله
عليه وسلم واشتهاره الفرص وطلبه سبيلا الى الغميزة اي يصيب كل نصاب في فلك
من تلك العصبة نصيبه من الاثم على مقدار في قوله هو خير لكم لمن شاء ذلك من المؤمنين

وخاصة

رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعائشة وصفوان بن المعطل ومعنى كونه خيرا لهم
انهم اكتسبوا فيه الثواب المعظم لانه كان ملامسا ومحنة ظاهرة وانه نزلت فيه ثماني عشرة
اية كل واحدة منها مستقلة بما هو تعظيم لشان رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسلية له
وتنزيه لام المؤمنين رضوان الله عليها وتطهير لاهل البيت وتهويل من تكلم في ذلك
او سمع به فلم تحجه اذناه وعبرة الطاف السامعين والتالين الى يوم القيمة وفوائد دينية
واحكام واداب لا يخفى على متاملها بانفسهم اي بالذين امنوا من المؤمنين والمؤمنات
كقوله ولا تلمزوا انفسكم وذلك نحو ما يروى ان ابا ايوب الانصاري قال لام الايوب
الا ترين ما يقال فقالت لو كنت بدل صفوان اكنت تظن بحرمة رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لا قالت ولو كنت انا بدل عائشة ما خنت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فعائشة خير مني وصفوان خير منك فان قلت هلا قيل لولا سمعتموه ظننتم بانفسكم خيرا
وقلتم ولم عدل عن الخطاب الى الغيبة وعن الضمير الى الظاهر قلت ليبالغ في التوبيخ بطريقة
الالتفات وليصرح بلفظ الايمان دلالة على ان الاشتراك فيه مقتض ان لا يصدق
مؤمن على اخيه ولا مؤمنة على اختها قول عائب والا طاعن وفيه تنبيه على ان حق
المؤمن اذا سمع قالة في اخيه ان يبني الامر فيه على الظن لا على الشك وان يقول بمل فيه
بناء على ظنه بالمؤمن الخير هذا افك مبين هكذا الا يصرح بسوء ساحته كما يقول المستيقن
المطلع على حقيقة الحال وهذا من الادب الحسن الذي قل القائم به والحافظ له وليتك
تجد من يسمع فيشكك ولا يشنع ما سمعه باخوات ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا
والاخرة فيما افضتم فيه عذاب عظيم جعل الله التفضلة بين الرمي الصادق والكاذب
ثبوت شهادة الشهود الاربعة واشباهها والذين رموا عائشة لم يكن لهم بينة على قولهم
فعادت عليه الحجة في حكمه وشريعته كاذبين وهذا توبيخ وتعنيف للذين سمعوا الافك
فلم يجدوا في دفعه وانكاره واحتجاج عليهم بما هو ظاهر مكشوف في الشرع من وجوب
تكذيب القاذف بغير بينة والتنكيل به اذا قذف امراة محصنة من عرض نساء المسلمين فكيف
بام المؤمنين الصديقة بنت الصديق وحرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحبيبة
وحبيب الله لولا الاولى للتحضيض وهذه الامتناع لوجود غيره والمعنى ولولا اني قضيت
ان افضل عليكم في الدنيا بضروب النعم التي من جملتها الامهال للتوبة وان اترحم عليكم
في الاخرة بالعفوة لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم فيه من حديث الافك قال افاض

في الحديث واندفع وهضب وخاض اذ تلقونه بالسنتكم وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم
وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم لولا اذا سمعتموه فلم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك
هذا بهتان عظيم يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مؤمنين ويبين الله لكم الايات والله عليم
اليم اذ ظرف لمسكم او لافضتم او تلقونه باخذه بعضكم من بعض يقال تلقى القول وتلقفه ومنه
قوله تعالى فتلقى ادم ربه كلمات وقرئ على الاصل تتلقونه بادغام الذال في التا وتلقونه من
لقيه بمعنى لقفه وتلقونه من القايه بعضهم على بعض وتلقونه وتالقونه من الولق والالق
وهو الكذب وتلقونه محكية عن عايشة رضي الله عنها وعن سفين سمعت امي تقرا اذا
تتقفونه وكان ابوها يقرا بحرف عبد الله بن مسعود فان قلت ما معنى قوله
بافواهكم والقول لا يكون الا بالفم قلت معناه ان الشي المعلوم يكون علمه في
القلب لا يترجم عنه اللسان وهذا الافك ليس الا قولا يجري على السنتكم ويدوره في افواهكم
من غير ترجمة على علم في القلب كقوله يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم اي تحسبونه
صغيرة وهو عند الله كبيرة موجبة وعن بعضهم انه جزع عند الموت فقيل له فقال اخاف ذنبا
لم يكن مني على بال وهو عند الله عظيم وفي كلام بعضهم لا يقولن بشي من سيئاتك حقير فلعله
عند الله نحله وهو عندك يسير وصفهم الله بارتكاب ثلثة ايام وعلق مس العذاب الاليم
بها احدها تلقي الافك بالسنتهم ذلك اذا الرجل كان يلقى الرجل فيقول له ما وراك فيحدث
بحديث الافك حتى شاع واشتهر فلم يبق بيت ولا ناد الا طار فيه والثاني التكلم بما لا
علم لهم به والثالث استغفارهم وهو عظيمة من العظم فان قلت كيف جاز الفصل
بين لولا وقلتم قلت للظروف شان وهي تنزلها من الاشيا منزلة انفسها لوقوعها
فيها وانها لا تنفك عنها فلذلك يتسع فيها ما لا يتسع في غيرها فان قلت فاي فايدة في
تقديم الظرف حتى اوقع فاصلا قلت الفايدة فيه بيان انه كان الواجب عليهم ان
يتفادوا اول سمعوا بالافك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت اهم وجب التقديم فان
قلت فما معنى يكون والكلام بدونه مثبت لو قيل ما لنا ان نتكلم بهذا قلت معناه
معنى ينبغي ويصح اي ما ينبغي لنا ان نتكلم بهذا وما يصح لنا ونحوه ما يكون لي ان اقول ليس
لي بحق وسبحانك للتعجب من عظيم الامر فان قلت ما معنى التعجب في كلمة التسبيح قلت
الاصل في ذلك ان يسبح الله عند روية التعجب من صنايعه ثم كثر حتى استعمل في كل
متعجب منه او لتنزيه الله من ان يكون حرمة سنة واخرة فان قلت كيف جاز ان

يكون

يكون امراة النبي كافرة كامراة نوح ولوط ولم يجز ان يكون ماجرة قلت لان
الانبيا مبعوثون الى اوليدعوهم ويستعطفوهم فيجب ان لا يكون معهم ما ينفرهم
عنهم ولم يكن الكفر عندهم مما ينفر واما الكشخنة فمن اعظم المنفرات اي كراهة ان تعودوا
وادا في ان تعودوا من قولك وعظت فلانا في كذا فتركه وايدهم ما داموا احيا
مكلفين وان كنتم مؤمنين فنه تهييج لهم ليتعظوا وتذكيره بما يوجب ترك العود و
هو اتصافهم بالايمان الصادر عن كل مقبح ويبين الله لكم الايات والله عليم حكيم على عليه
وحكمته بما ينزل عليكم من الشرايع ويعلمكم من الاداب الجميلة ويعظكم به من المواعظ
الشافية والله عالم بكل شي فاعل لما يفعله بدواعي الحكمة ان الذين يحبون ان تشيع
الفاحشة في الذين امنوا لهم عذاب اليم في الدنيا والاخرة والله يعلم وانتم لا تعلمون
ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله رؤف رحيم يا ايها الذين امنوا لا تتبعوا
خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يامر بالفحشا والمنكر ولولا
فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا ولكن الله يزكي من يشا والله سميع عليم
المعنى يشيعون الفاحشة عن قصد الى الاشاعة وارادة ومحبة لها وعذاب الدنيا
الحد ولقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن ابي وحسانا وفقد
صفوان الحسان فضربه ضربة بالسيف وكف بصره وقيل هو المراد بقوله والذي تولى
كبره منهم والله يعلم ما في القلوب من الاسرار والضماير وانتم لا تعلمون يعني انه قد
علم محبة من احب الاشاعة وهو معاقبه عليها وكرر المنة بترك المعاجلة بالعقاب
حاذفا وجواب لولا كما حذفه ثمه وفي هذا التكرير مع حذف الجواب مبالغة عظيمة
وكذلك في الثواب والروف الرحيم الفحشا والفاحشة ما افرط قبحه قال ابو
ذويب ضرايرحس في تفاحش غارها اي افرطت غيرتها والمنكر ما تنكره والنفوس
فتنفر عنه ولا تريضه وقرئ خطوات بفتح التا وسكونها وزكى بالتشديد والضمير لله
عز وجل ولولا ان الله يفضل عليكم بالتوبة الممحصة لما طهر منكم احد واخس الدبر من دنس
افم الافك ولكن الله يطهر من التائبين بقبول توبتهم اذا محصوها وهو سميع لقولهم
عليم بضمايرهم واخلاصهم ولا يامل اولوا الفضل منكم والسعة ان يوتوا اولي القربى و
المساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم والله
غفور رحيم هو من ائتلى اذا حلف افتعال من الالية وقيل ما الوث جهدا اذا

لم يدخر منه شيئا ويشهد للاول قراءة الحسن ولا يتأل والمعنى الا يحلفوا على ان لا يحسنوا الى المستحقين
للاستحسان او لا يقصروك في ان يحسنوا اليهم وان كان بينهم وبينهم شحنا لجنايه اقترفوها
فليعودوا عليهم بالعفو والصفح وليفعلوا بهم مثل ما يرجون ان يفعل بهم ربهم مع خطاياهم
وذنوبهم نزلت في شان مسطح وكان ابن خالة ابي بكر الصديق رضي الله عنه وكان فقيرا
من فقراء المهاجرين وكان ابي بكر ينفق عليه فلما فرط منه ما فرط الى ان لا ينفق عليه وكفى
به داعيا الى المجاملة وتركي الاشتغال والمكافات للمسيء ويروى ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قراها على ابي بكر فقال بلى احب ان يغفر الله لي ورجع الى مسطح نفقته وقال والله
لا ازعها ابدا وقرا ابو حيوة وابن قطيب ان تؤبوا بالبا على الالتفات ويعضده قوله الا
تحبون ان يغفر الله لكم ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة
ولهم عذاب عظيم يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله
دينهم الحق يعلمون ان الله هو الحق المبين الغافلات السليمات الصدور نقيات القلوب اللاتي
ليس فيهن دهاء ولا مكر لانهن لم يجربن الامور ولم يرزن الاحوال فلا يفطن لما تفطن له المجربات
العرافات قال ولقد طعنت بطفلة ميالة بلهاء تطلعني على اسرارها وكذلك البله من الرجال
في قولك اكثر اهل الجنة بله وقرئ الشهد بالياء والحق بالنصب صفة للدين وهو الجزاء وبالرفع
صفة الله ولو قلت القران كله وفتشت عما اوعد به لم تر الله عز وجل قد غلظ في تغليظه
في افك عائشة رضوان الله عليها ولا انزل من الايات القوارع المشحونة بالوعيد والتشديد
والعتاب البليغ والزجر العنيف واستطعام ما ركب من ذلك واستقطاع ما اقدم عليه
ما انزل فيه على طرق مختلفة واساليب مفنة كل واحد منها كاف في بابه ولم ينزل الا
هذه الثلاث يكفي بها حيث جعل القذفة ملعونين في الدارين جميعا وتوعدهم بالعذاب
العظيم في الآخرة وبان السنتهم وايديهم وارجلهم تشهد عليهم بما افكوا وتهيؤوا وانه يوفيهم
الحق الواجب الذي هم اهله حتى يعلموا عند ذلك فاوجز في ذلك واشبع وفصل واكد وا
جمل وكرر وجاء بما لم يقع وعيد المشركين عبرة الاوثان الا ما هو دونه في الفظاعة وما ذاك الا لامر
وعن ابن عباس رضي الله عنه انه كان بالبصرة يوم عرفة وكان عن تفسير القران حتى سئل من
هذه الاية فقال من اذنب ذنبا ثم تاب منه قبلت توبته الا من خاض في امر عائشة وهذا منه
مبالغة وتعظيم لامر الافك ولقد برا الله اربعة باربعة برا يوسف عليه السلام بلسان الشاهد
وشهد شاهد من اهلها وبرا موسى من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه ومريم بانطاق

ولدها

ولدها حين نادى من حجرها اني عبد الله وبرا عائشة بهذه الايات في كتابه المعجز المتلو على وجه
الدهر مثل هذه البرية بهذه المبالغات فانظر كم بينها وبين اولئك وما ذاك الا لاظهار علو
منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتنبيه على اناقة محل سيد ولد ادم وخيرة الاولين وا
لاخرين وحجة الله على العالمين ومن اراد ان يتحقق عظمة شانه وتقدم قدمه واحرازه لقصب
السبق دون كل سابق فليتلق ذلك من ايات الافك كيف غضب الله في حرمته وكيف بالغ
في نفي التهمة عن حجابه فان قلت ان كانت عائشة هي المرادة فكيف مثل المحصنات قلت
فيه وجهان احدهما ان يراد بالمحصنات ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وبان يخصص بان
من قذفهن فهذه الوعيد لاحق به واذا ارادوا وعائشة كبراهن منزلة وقربة عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم كانت المرادة اولا والثاني انها ام المؤمنين فجمعت ارادة لها ولبناتها من نساء
الامة الموصوفات بالاحصان والغفلة والايمان كما قال قد لي من نصر الحسين قدمي اراد عبد الله
بن الزبير واشياعه وكان اعداؤه يكنونه بحسانه وكان مضعوفا وكنيته المشهورة ابي بكر
الى ان هذا في الاسم وذاك في الصفة فان قلت ما معنى قوله هو الحق المبين قلت
معناه ذو الحق البين اي العادل الظاهر العدل الذي لا ظلم في حكمه والمحق النبي لا يوصف
بباطل ومن هذا صفته لم تسقط عنده اساءة مسيء ولا احسان محسن محق مثله ان يتقي ويحب
مجازفة الخبيثات للخبيثون والخبيثون والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات اولئك مبرؤن
مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم اي الخبيثات من القول يقال او يعد للخبيثين من الرجال
والنساء والخبيثون منهم يتعرضون للخبيثات من القول ولذلك الطيبات والطيبون واولئك
اشارة الى الطيبين وانهم مبرؤن مما يقول الخبيثون من خبيثات الكلم وهو كلام جار مجرى
المثل لعائشة وما رميت به من قول لا يطابق حالها في النزاهة والطيب ويجوز ان يكون
اولئك اشارة الى البيت وانهم مبرؤن مما يقول اهل الافك وان يراد بالخبيثات والطيبات
للنساء اي الخبائث تروحن للخبائث والخبائث للخبائث وكذلك اهل الطيب وذكر اهل الطيب
وذكر الرزق الكريم ههنا مثله في قوله واعتدنا لها رزقا كريما وعن عائشة رضي الله عنها
لقد اعطيت تسعا ما اعطيتهن امراة لقد نزل جبرئيل عليه السلام بصورتي في راحته حين
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتزوجني ولقد تزوجني بكرا وما تزوج بكرا غيري و
توفي وان راسه لفي حجري ولقد قبر ونبي ولقد حفته الملائكة في شيء وان الوحي ينزل عليه
في اهله فيفرقون عنه وان كان ينزل عليه وانا معه في لحافه وابي لابنه خليفة وصديقه

ولقد زل عذري من السما ولقد خلقت طيبة عند طيب ولقد وعدت مغفرة ورزقا كريما
يشا لسوا فيه وجهان احدهما انه من الاستيناس الظاهر الذي هو خلاف الاستيحاش لان الذي
يطرق باب غيره لا يدري ايؤذن له ام لا فهو المستوحش من خفا الاحال عليه فاذا اذن
له استاذن فالمعنى حتى يؤذن لكم كقوله لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم وهذا من باب
الكناية والارداف لان هذا النوع من الاستيناف يردف الاذن فوضع موضع الاذن
والثاني ان يكون من الاستيناس الذي هو الاستعلام والاستكشاف استفعال من انس الشي اذا ابصره
ظاهرا مكشوفا والمعنى حتى تستعلموا وتستكشفوا الحال هل راد دخولكم ام لا ومنه قولهم استانس
هل ترى احدا واستانست فلم ار احدا اي تعرفت واستعلمت ومنه بيت النابغة على مسانس
وحد ويجوز ان يكون من الانس وهو ان يتعرف هل ثم انسان وعن ابي ايوب الانصاري
قلنا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الاستيناس قال يتكلم الرجل بالتسبيحة والتكبيرة والتحميدة
يتنحنح اهل البيت والتسليم ان يقول السلام عليكم ادخل ثلث مرات فان اذن له والا رجع
وعن ابي موسى الاشعري انه اتى باب عمر فقال السلام عليكم ادخل قالها ثلثا ثم رجع
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستيذان ثلث واستاذن رجل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ايلج فقال عليه السلام لامراة يقال لها روضة قومي الى هذا
فعلمته انه لا يحسن ان يستاذن قولي له يقول السلام عليكم ادخل فسمعها الرجل فقال لها فقال
فقال ادخل وكان اهل الجاهلية يقول الرجل منهم اذا دخل بيتا غير بيته حييتم صباحا وحييتم
مساء ثم يدخل فربما اصاب الرجل مع امراته في لحاف واحد فصد الله عن ذلك وعلم الاحسن
الاجمل وكم من باب من ابواب الدين هو عند الناس كالشريعة المنسوخة قد تركوا العمل
به وباب الاستيذان من ذلك شيا انت في بيتك اذ رعف عليك في الباب بواحد من غير
استيذان ولا تحية من تحايا اسلام ولا جاهلية وهو ممن سمع ما انزل الله فيه ما قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولكن ابن الاذن الواعية يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم
حتى تستانسوا وتسلموا على اهلها ذلكم خير لكم وفي قراة عند الله حتى تسلموا على اهلها
وتستاذنوا وعن ابن عباس وسعيد بن جبير انما هو حتى تستاذنوا فاخطا الكاتب ولا
يعول على هذه الرواية وفي قراة ابي حتى تستاذنوا ذلكم الاستيذان والتسليم من الدمار
وهو الهلاك كان صاحبه دامر لعظم من ارتكب وفي الحديث من سبقت عينه استيذانه
فقد دمر وروي ان رجلا قال النبي صلى الله عليه على اله وسلم ادن استاذنت على امي قال

نعم

نعم قال انها ليس لها خادم غيري عليها كما دخلت قال اتحب ان تراها عريانة قال الرجل لا
قال فاستاذن لعلكم تذكرون اي ازل عليكم او قيل لكم هذا ارادة ان تذكروا وتتعظوا
وتعملوا بما امرتم به في باب الاستيذان يحتمل فان لم تجدوا فيها امن الاذنين فلا تدخلوها واصبروا
حتى تجدوا من ياذن لكم ويحتمل فان لم تجدوا فيها احدا من اهلها ولكم فيها حاجة فلا تدخلوها
الا باذن اهلها وذلك ان الاستيذان لم يطلع الدام على عورة ولا يسبق عينه الا ما يحل النظر اليه
فقط وانما شرع ليلا يوسف على الاحوال التي يصلق بها الناس في العادة عن غيرهم ويتحفظون
من اطلاع احد عليها ولانه تصرف في ملك غيره فلا بد من ان يكون برضاه والا اشبه
الغضب والتغلب فان لم تجدوا فيها احدا فلا تدخلوها حتى تؤذن لكم وان قيل لكم ارجعوا
هو ازكى لكم والله بما تعملون عليم ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة لكم فيها متاع
لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون فارجعوا اي لا تلحوا في اطلاق الاذن ولا تلحوا تسهيل الحجاب
ولا تقفوا على الابواب منتظرين لان هذا مما يجلب الكراهة ويقدح في قلوب الناس
خصوصا اذا كانوا ذوي مروة بالاداب الحسنة واذا نهي عن ذلك لادابه الى الكراهية
وجب الانتهاء عن كل ما يؤدي اليها من قرع الباب بعنف والتصيح بصاحب الدار وغير
ذلك مما يدخل في عادات ولم تنهه ب من اكثر الناس وعن ابي عبيد رحمه الله ما قرعت
بالسا على عالم قط وكفى بقصة بني اسد راحة وما نزل فيها من قوله تعالى ان الذين ينادون
من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون فان قلت هلا يصح ان يكون المعنى وان لم يؤذن
لكم وامرتم فلا تدخلوا مع كراهتهم قلت بعد ان جزم النبي عن الدخول مع فقد الاذن و
حده من اهل الدار حاضرين وغايبين لم يبق شبهة في كونه منهيا عنه مع انضمام الامر بالرجوع
الى فقد الاذن فان قلت فاذا عرض الامر في دار من حريق سارق او ظهور منكر يجب
انكار قلت ذال مستثنى بالدليل اي الرجوع اطيب لكم لهم واطهر لما فيه من سلامة
الصدور والعبد من الريبة او انفع وانمى خيرا ثم اوعد المخاطبين بذلك بانه عالم بما ياتون
وما يذرون مما خوطبوا به فخوف جراه عليه استثنى من البيوت التي تجب الاستيذان على
داخلها ما ليس يمسكون منها وذلك نحو الفنادق وهي الخانات والربط وحوانيت
البايعين فالمتاع المنفعة كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الرجل والسلع والبيع و
يروى ان ابا بكر رضي الله عنه قال يا رسول الله عليه وعلى اله وسلم ان الله قد انزل عليك
اية في الاستيذان وانا نختلف في تجارتنا فنزل في هذه الحانات افلا ندخلها الا باذن

وقيل الحرباب مسير فيها والمتاع التبرز يعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون وعيد للذين يدخلون الحربات
والدور الخالية من اهل الزينة قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك
ازكى لكم والله خبير بما يصنعون من لا يغض والمراد غض البصر عما يحرم والافتتاح به على ما يحل
وجوز الاخفش ان يكون مزيدة واباه سيبويه فان قلت كيف دخلت في غض البصر
دون حفظ الفروج قلت دلالة على ان امر النظر اوسع الا ترى ان المحارم لا باس بالنظر
الى شعورهن وصدورهن وتيهن واعضادهن وسوقهن واقدامهن وكذلك الجواري المستعرضات
والاجنبية ينظر الى وجهها وكفيها في احدى الروايتين واما امر الفرج فمضيق وكفاك فرقا ان
ابيح النظر الا ما استثني منه وحظر الجماع الا ما استثني منه ويجوز ان يراد مع حفظها عن الافضاء الى
ما لا حفظها مع الابداء وعن ابن ابي زيد كل ما في القران من حفظ الفرج فهو الزنا الا هذا فانه اراد به
الاستتار ثم اجتزاء به جزاء خواطرهم وافعالهم وكيف يجيلون ابصارهم وكيف يصنعون بساير
حواسهم وجوارحهم فعليهم اذ عرفوا ذلك ان يكونوا منه على تقوى وحذر في كل حركة وسكون
وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن
بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن او ابائهن او ابا بعولتهن او ابنائهن او ابنا
بعولتهن او اخوانهن او بني اخوانهن او نسائهن او ما ملكت ايمانهن او التابعين غير اولي
الاربة من الرجال او الطفل الذين لم يلحقوا على عورات النساء ولا يضربن بارجلهن ليعلم
ما يخفين زينتهن النساء مامورات ايضا بغض الابصار ولا يحل للمراة ان ينظر من الاجنبي الى
ما تحت سرته الى ركبته وان اشتهت غضت بصرها راسا ولا ينظر الى المراة الا الى مثل ذلك
وغضها بصرها من الاجانب اصلا اولى بها واحسن ومنه حديث ابن ام مكتوم عن ام سلمة
قالت كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم عند ميمونة فاقبل ابن ام مكتوم وذلك بعد ان
امرنا بالحجاب تدخل علينا فقال احتجبا فقلنا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليس اعمى لا يبصرنا
قال افعمياوان انتما السما تبصرانه فان قلت لم قدم غض الابصار على حفظ الفروج
قلت لان النظر ريد الزنا ورايد الفجور والبلوى فيه اشد واكثر ولا يكاد يقدر على الا
حتراس منه الزينة ما تزينت به المراة من حلي او كحل او خضاب فما كان ظاهرا منها كالخاتم
والفتخة والكحل والخضاب فلا باس بابدائه للاجانب وما خفي منها كالسوار والخلخال والدملج
والقلادة والاكليل والوشاح والقرط فلا تبديه الا لهولاء المدينة وذكر الزينة دون
مواقعها للمبالغة في الامر بالتصوف والتستر لان هذه الزينة واقعة على مواقع من الجسد

لا يحل

لا يحل النظر اليها لغير هولاء الذراع والساق والعضد والعنق والراس والصدر والاذن فنهى
عن ابداء الزينة نفسها ليعلم ان النظر اذا لم يحل اليها لملابستها تلك المواقع بدليل ان النظر
اليها غير ملابسة لها لا مقال حله كان النظر الى المواقع انفسها ممكنا في الخطر ثابت القدم
في الحرمة شاهدا على ان النساء ان يحتطن في سترها ويتقين الله في الكشف عنها فان قلت
ما تقول في القراميل هل يحل نظر هولاء اليها قلت نعم فان قلت اليس مواقع
الظهر ولا يحل لهم النظر الى ظهرها وبطنها وربما ورد الشعر فوقعت القراميل على ما يحاذي
ما تحت السرة قلت الامر كما قلت ويكون امر القراميل خلاف امر عيار الحلي لانه لا يقع
الا فوق اللباس ويجوز النظر الى الثواب الواقع على الظهر والبطن للاجانب فضلا عن هولاء
الا اذا كان يصف لرقته فلا يحل النظر الى القراميل واقعة عليه فان قلت
ما المراد بموقع الزينة ذلك العضو كله ام المقدار الذي يلابسه الزينة منه قلت
الصحيح انه العضو كله كما فسرت مواقع الزينة الخفية وكذلك مواقع الزينة الظاهرة الوجه
موقع الكحل في عينه والخضاب بالوسمة في خاصته وشاربه والغمرة في خديه والكف والعدم
موقع الخاتم والفتخة والخضاب بالحنا فان قلت لم سومح مطلقا في الزينة الظاهرة
قلت لان سترها فيه حرج فان المراة لا تجد بدا من مزاولة الاشياء بيدها ومن الحاجة
الى كشف وجهها خصوصا في الشهادة والمحاكمة والنكاح وتضطر الى المشي في الطرقات
وظهور قدميها وخاصة الفقيرات منهن وهذا معنى قوله الحقيقة اولئك المذكورون
كما كانوا مختصين به من الحاجة المضطرة الى مداخلتهم ومخالطتهم ولقلة توقع العشرة من جهاتهم
ولما في الطباع من النفرة عن مماسة القرائب ويحتاج المراة الى صحبتهم في الاسفار
للنزول والركوب وغير ذلك كانت جيوبهن واسعة تبدو منها نحورهن وصدورهن
وما حوالها وكن يسدلن الخمر من ورائهن فتبقى مكشوفة فامرن بان يسدلها من قدامها
حتى يغطينها ويجوز ان يراط الجيوب الصدور تسمية بما يليها ويلابسها ومنه قولهم باصح ا
الجيب وكذلك ضربت بخمارها على جيبها لقولك ضربت بيدي على الحائط اذا وضعتها عنه
وعن عائشة رضي الله عنها ما رايت نساء خيرا من نساء الانصار لما نزلت هذه الاية
قامت كل واحدة منهن الى مرطها المرحل فصدعت منه صدعة فاصبحن فاصبحن على رؤ
سهن الغربان وقرئ جيوبهن بكسر الجيم لاجل الباء كذلك بيوتا غير بيوتكم وقيل في نسائهن
وما ملكت ايمانهن من في صحبتهن وخدمتهن من الحراير والاماء والنساء وكلهن سواء في حل

نظر بعضهن الى بعض وقل ما ملكت ايمانهن من ممالك كورد الاماك جميعا وعن عايشة انها اباحت
النظر اليها لعبد هاوقال الذ لوان انك اذا وضعتي خ البقر وحرث فات حرو عن
سعيد بن المسيب ثم رجع وقال لا تفعلنكم اية التوبة المراد نها الاما وهذا هو الصحيح
لان عبد المراة تمنزلة الاجنبي منها خصيا كان او مجبوبا وعن ميمون بن مجذل
الكلابية ان معاوية دخل عليها وسعه خصي فضحكت منه فقال ما يضحكك
يا معوية اترى ان المثلة به تحلل ما حرم الله وعند ابي حنيفة رحمه الله لا يحل امساك
الخصيان واستخدامهم وبيعهم وشراهم ولم ينقل عن احد من السلف امساكهم فان قلت
روى انه ايدي رسول الله صلى الله عليه وسلم خصي فصله قلت لا يقبل فيما
تعم به البلوي الاحديث مكشوف وان صح فلعله قبل ان يبلغه اوليس من الاماك
الاربعة مم الذين يطوفون عليكم بعضكم على بعض فضل طعامكم ولا حاجة لكم الى النسا لانهم له لا يعر
فون من امر حصر اوشوخ اصحاب اذا كانوا معهن عفوا ابصارهم او بهم عنانة وفتري
غير بالبناء على الاسكان او للحال او للحكاية على الوصفية وضع الواحد موضع الجمع لانه تقيد
الجنس وسيان ما بعده انه يراد به الجمع ونحوه ويخرجكم طفلا لم تظهر فالامن شي اذا طلع عليه
فلا يعرفون ما العورة ولا يميزون سنها وبين غيرها واما من ظهر على فلان اذا قوي عليه
وظهر على القران اخذه واطاقه اي لم يبلغوا اوان القدرة على الوطي وقري على عورات
وهي لغة هذيل فان قلت لم لم يذكر الله الاعمام والاخوات قلت
سيل الشعبي عن ذلك فقال ليلا يصفها عند ابنه وللحال كذلك ومعناه ان سايير
القرابات يشرك الاب والابن في الحرمة الا الام والحال وانما خصا فاذا راها الاب
فربما وصفها الابن وليس يحرم فيدا في تصوره لها بالوصف نظره اليها وهذه ايضا
من الدلالات البليغة على وجوب الاحتياط عليهن فان كانت المراة تضرب الارض
برجلها ليتقعقع خلخالها فعلم انها ذات خلخال وقيل كانت تضرب باحدي
رجليها الاخرى ليعلم انها ذات خلخالين واذا نهين عن اظهار صوت الحلي بعدها
نهين عن اظهارها الحلي علم بذلك ان النهي عن اظهار مواضع الحلي ابلغ وانفع وتوبوا
عوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون اوامر الله ونهيه في كل باب لا يكاد
العبد الضعيف يقدر على مراعاتها وان ضبط نفسه واجتهد ولا يخلو امن مقصير
يقع منه فلذلك وصى المؤمنين جميعا بالتوبة والاستغفار وبتاميل الفلاح اذا تابوا

وليستغفروا وعن ابن عباس توبوا مما كنتم تعملونه في الجاهلية لعلكم تسعدون
في الدنيا والاخرة فان قلت قد صحت التوبة بالاسلام والاسلام يجب
ما قبله فما معنى بهذه التوبة قلت اراد نها ما يقول العلما ان من اذنب
ذنبا ثم تاب عنه يلزمه كلما تذكره ان يجدد عنه التوبة لانه يلزمه ان يستمر
على ندمه وعزمه الى ان القي ربه وقوى اية المومنين بضم الهاء وجه انها اذا
كانت مفتوحة لوقوعها قبل الالف فلما سقطت الالف لالتقا الساكنين ا
استعت حركتها حركة ما قبلها وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم
ان يكونوا فقرا يغنهم الله من فضله والله واسع عليم وليستعفف الذين لا يجدون
نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله والذين يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم مكاتبوهم
ان علمتم فيهم خيرا واتوهم من مال الله الذي اتاكم ولا تكرهوا فتياتكم ان اردن تحصنا لتبتغوا
عرض الحيوة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم الايامى والبنامى
اصلها ايايم وابايم فعلما والايم للرجل والمراة وقد ايمت وتايمتا اذا لم يزوجا
بكرين كانا او ثيبين قال فان تنكحي انكح وان تباعي وان كنت فتى منكم اتايم وعن رسول الله
صلى الله عليه وعلى اله وسلم اللهم اني اسعوذ بك من اليعنة والعيعنة والايمة والكرم والقرم
والمراد انكحوا ايايم منكم من الاحرار والحرايروم من كان فيه وغلائكم وجواريكم وقري
من عبيدكم وهذا الامر للندب لما علم من ان النكاح امر مندوب اليه وقد يكون للوجوب
في حق الاولبا عند طلب المراة ذلك وعند اصحاب الظواهر النكاح واجب وتما يدل على كونه مندوبا اليه قوله عليه السلام من احب فطرتي فليستن بسنتي وهي النكاح وعنه من كان له ما يتزوج به فلم يتزوج فليس منا وعنه من كان
احدكم يحج شيطانه باوليه عصم بن ادم مني ثلثي وعنه باعياض لا تزوجن عجوزا ولا عاقرا
فاني مكاثر والاحاديث فيه عن رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم والاثار كثيرة
وربما كان واجب الترك واذا ادى الى معصية او مفسدة وعن النبي صلى الله عليه
وسلم اذا اتى على امتي مايتي وثمانون سنة فقد حلت لهم العقوبة والقولنج والسرسب
على رؤوس الجبال وفي الحديث ماتي على الناس زمان لا ينال المعيشة فيهم الا
بالمعصية فاذا كان ذلك الزمان حلت العقوبة فان قلت لم خص الصالحين
قلت يحصن دينهم ويحفظ عليهم صلاحهم ولان الصالحين من الارقا هم الذين

مواليهم يشفعون عليهم وينزلونهم منزلة الاولاد في الاثرة والمودة وكانوا مظنة
التوصية بشانهم والاهتمام ومنزلة الوصية فيهم واما المفسدون منهم فهاطهم عند
مواليهم ذلك او اريد على الصلاح القيام بحقوق النكاح ينبغي ان يكون شريطة
غير مبينة في هذا الموعد ونظيره وهي مشية ولا يشا الحكيم الا ما اقتضته الحكمة
وما كان مصلحة ونحوه ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب
وقد جاءت الشريطة منصوصة في قوله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله
من فضله ان شا ان الله حكيم عليم ومن لم ينس هذه لم يصب معرضا بعرب
كان غنيا فافقره النكاح او بفاسق ان تاب وابقى الله كريم له شي وطبخ مسكينا
عن النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله وسلم التمسوا الرزق بالنكاح وشكا الرجل الحاجة
فقال عليك بالباة وعن عمر رضي عنه عجب لمن يصلب الغنى بالباة ولقد كان
رجل رازح الحال ثم رايته بعد سنين وقد اتسعت حاله وحسنت فسالته فقال كنت
في اول امري على ما علمت وذلك قبل ان ارزق ولدا فلما رزقت بكر ولدي تراخيت
عن الفقر فلما ولدي الثاني زدت خيرا تفاقموا ثلثه صب الله على الخير فاصبحت
الى ما ترى والله واسع غني ذو سعة لا يرزاه اغنا الخلايق ولكنه عليم يبسط الرزق
لمن يشاء بقدر وليستعفف وليجد في العفة وظلف النفس كان المستعف طالب
من نفسه العفاف وحاطها عليه لا يجدون اي استطاعة ويجوز ان يراد بالنكاح
ما ينكح به من المال حتى يغنيهم الله ترجية للمنفقين وتقدمة وعدا بالتفضل عليهم بالغنى
ليكون انتظار ذلك وتامله لطفا لهم في استعفافهم وربطا على قلوبهم وليظهر بذلك
ان فضله اولى بالاستعفا وادنى من الصلحا او ما احسن ما رتب هذه الاوامر حيث
امر اولا بما يعصم من الفتنة ويتعدى من مواقعة المعصية وهو غض البصر ثم
بالنكاح الذي يحصن بها الدين ويقع به الاستغنا بالحلال عن الحرام ثم بالحمل على النفس
الامارة السوء وعزفها عن الطموح الى الشهوة عند العجز عن النكاح الى ان يرزق القدرة
عليه والذين يبتغون مرفوع على الابتدا او منصوب بفعل مضمر يفسره فكاتبوهم
كقولك زيدا فاضربه ودخلت الفا لتضمن معنى الشرط والكتاب والمكاتبة كالعتاب
والمعاتبة وهو ان يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على الف درهم فان اداها عتق ومعناه
كتبت لك على نفسي ان تعتق مني اذا وفيت بالمال وكتبت لي على نفسك ان تفي

بذلك

بذلك او كتب عليك الوفا بالمال وكتب على العتق ويجوز عند ابي حنيفة رحمه الله
حالا ومؤجلا ومنجما وغير منجم لان الله عز وجل لم يذكر التنجيم وقياسا على ساير العقود
وعند الشافعي رضي الله عنه لا يجوز الا مؤجلا ومنجما ولا يجوز عنده بنجم واحد لان العبد
لا يملك شيا فعقده حالا منع من حصول الغرض لا يقدر وعلى خدمة في مدة معلومة
وعلى عمل معلوم موقت مثل حفر بير في مكان بعينه معلومة الطول العرض وبنا دار
قد اراه اجرها وحصتها وما بقي وان كاتبه على قيمته لم يجز وان اداها عتق وان كاتب
على وصف جاز لقلة الجهالة ووجب البسط وليس له ان يطا المكاتبة واذا ادى
عتق وكان ولاه لمولاه لانه جاد عليه بالكسب الذي هو في الاصل له وهذا الامر للندب
عند عامة العلماء وعن الحسن ليس ذلك بعزم ان شا كاتب وان شا لم يكاتب
وعن عمر رضي الله عنه هي عزمة من عزمات الله وعن ابن سيرين مثله وهو مذهب
داود خيرا قدرة اداما يفارقون عليه وقيل امانة وتكسبا وعن سليمن ان مملوكا له
اشتهى ان يكاتبه فقال اعندك مال قال افتامرني ان اكل غسالة ايدي الناس واتوهم امر
المسلمين على وجه الوجوب باعانة المكاتبين واعطائهم سهمهم الذي جعل الله لهم من البيت
المال كقوله وفي الرقاب عند ابي حنيفة واصحابه فان قلت هل يحل للمولاه اذا
كان غنيا ان ياخذ ما تصدق به عليه قلت نعم وكذلك اذا لم تف الصدقة بجميع
البدل وعجز عن اداء الباقي طاب للمولى ما اخذه لانه لم ياخذه بسبب الصدقة ولكن
بسبب عقد المكاتبة كمن اشترى الصدقة من الفقير او ورثها او وهبت له ومنه
قوله عليه السلام في حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية وعند الشافعي رحمه الله
هو الجاب على الموالي ان يحطوا لهم من مال الكتابة وان لم يفعلوا اجبروا وعن علي رضي
الله عنه يحط له الربع وعن ابن عباس يرضخ من كتابته شيا وعن عمر انه كان عبدا له
يكنى ابا امية وهو اول عبد كوتب في الاسلام فاتاه باوله نجم فدفعه اليه عمر وقال استعن
على مكاتبتك فقال لو اخرته الى اخر نجم فقال اخاف الا ادرك ذلك وهذا عند ابي حنيفة
على وجه الندب وقال انه عقد معاوضة فلا يجبر على الحطيطة كالبيع وقيل معنى واتوهم
واسلفوهم وقيل انفقوا عليهم بعد ان يودوا ويعتقوا وهذا كله مستحب وروي
انه كان لحويطب بن عبد العزى مملوك يقال له الصبيح سال ان يكاتبه فابى فنزلت
كانت اما اهل الجاهلية يساعين على مواليهن وكان لعبد الله بن ابي راس النفاق

ست حوارة وميكة وعميمة وعمرة واروى وقتيلة يكرههن على البغاء وضرب عليهن
ضرائب فشكت شتان منهن الى رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم فنزلت
ويكنى بالفتى والفتاة عن العبد والامة في الحديث ليقل احدكم فتاي وفتاتي ولا يقل
عبدي وامتي والبغا مصدر البغي فان قلت لم اقحم قوله ان اردن تحصنا قلت
لان في الاكراه لا يتاتى الا مع ارادة التحصن وامر الطيعة المواتية للبغا لا يسمى مكرها ولا
امره اكراها وكلمة ان واثبارها على اذا ايذان بان المساعيات كيف ذلك برغبة
وطواعية منهن وان ما وجد من معاودة ومسيكة من خير الشاذ النار غفور رحيم
هم طهن او طهم وطهن ان تابوا واصلحوا في قراة ابن عباس طهن غفور رحيم فان قلت
لا حاجة الى تعليق المغفرة بهن لان المكره على الزنا بخلاف المكره عليه في انها غير اثمة قلت
لعل الاكراه كان دون ما اعتبرته الشريعة من اكراه بقتل او بما يخاف منه التلف او ذهاب
عضو من ضرب عنيف او غيره حتى يسلم من الاثم وربما قصدت عن الحد الذي تعذر
فيه فتكون اثمة من مبينات هي الاية التي ولقد انزلنا اليكم ايات مبينات ومثلا
من الذين خلوا من قبلكم مبينات هي الايات التي بينت فهذه السورة او صحت في
معاني الاحكام والحدود ويجوز ان يكون الاصل مبينا فيها فاتسع في الظرف وقرئ
بالكسر اي بينت هي الاحكام والحدود وجعل الفعل طها على المجاز او من بين بمعنى بين
ومنه المثل قد بين الصبح لذي عينين ومثلا من امثال من قبلكم اي قصة عجيبة من
قصصهم كقصة يوسف ومريم يعني عائشة رضي الله عنها وموعظة للمتقين الله
نور السموات والارض مثل نوره كمشكوة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كانها
كوكب دري توقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء و
لو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس
والله بكل شيء عليم في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والا
صال ما وعظ من الايات والمثل من نحو قوله ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله لولا اذا
سمعتموه ولولا اذا سمعتموه يعظكم الله ان يعود المثل ابدا ونظير قوله الله نور السموات
والارض مثل نوره ويهدي الله لنوره كقوله زيد كرم وجود ثم يقول ينعش
الناس بكرمه وجوده ذو نور السموات وصاحب نور السموات ونور السموات
والارض الحق شبهه بالنور في ظهوره وبيانه كقوله والله ولي الذين امنوا يخرجهم

من

من الظلمات الى النور اي من الباطل الى الحق واضاف النور الى السموات والارض
لاحد معنيين اما للدلالة على سعة اشراقه وفسواء ضائه حتى تضيء له السموات
والارض واما ان يراد اهل السموات والارض والهم يستضيئون به مثل نوره
اي صفة نوره العجيبة الشان في الاضاءة كمشكاة كصفة مشكاة وهي الكوة
في الجدار غير النافذة فيها مصباح سراج ضخم ثاقب في زجاجة اراد قنديلا
من زجاج شامي ازهر شبهه في زهوته باحداله زاري من الكواكب وهي المشاهير
كالمشتري والزهرة والمريخ وسهيل ونحوها توقد هذا المصباح من شجرة اي
ابتداء تقويه من شجرة الزيتون يعني رويت زبالته بزيتها مباركة كثيرة
المنافع او لانها تنبت في الارض التي بارك فيها للعالمين وقيل بارك فيها سبعون
نبيا منهم ابراهيم عليه السلام عن رسول الله عليه السلام عليكم بهذه الشجرة زيت
الزيتون فتداووا به فانه مصحة من الباسور لا شرقية ولا غربية اي منبتها الشام
واجود الزيتون زيتون الشام وقيل لا في مضحى ولا مقناة ولكن الشمس والظل
يتعاقبان عليها وذلك اجود لحملها واصفى لدهنها قال رسول الله عليه السلام
لا خير في شجرة في مقناة ولا نبات في مقناة ولا خير فيها في مضحى وقيل ليست
مما تطلع عليه الشمس في وقت شروقها او غروبها فقط بل يصيبها بالعلة
اه والعشي به جميعا فهي شرقية غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار
نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شيء عليم
ثم وصف الزيت بالصفاء وانه لتلالؤه يكاد يضيء من غير نار نور على نور
اي هذا الذي شبهت به الحق نور متضاعف قد تناصر فيه المشكاة والزجاجة
والمصباح والزيت حتى لم يبق مما يقوي النور ويزيده اشراقا ويمده باضاءة
بقية وذلك ان المصباح اذا كان في مكان متضايق كالمشكاة كان اضوء له
واجمع لنوره بخلاف المكان الواسع فان الضوء ينبت فيه ويتشر والقنديل
اعون شيء على زيادة الانارة وكذلك الزيت وصفاؤه يهدي الله لهذا
النور الثاقب من يشاء من عباده اي يوفق لاصابة الحق من نظر وتدبر
بعين عقله والانصاف من نفسه ولم يذهب عن الجادة الموصلة اليه
يمينا وشمالا ومن لم يتدبر فهو كالاعمى الذي سوا عليه صبح الليل الدامس

وضحوة النهار الشامس وعن علي رضي الله تعالى عنه نور السموات والارض اي نشر
فيها الحق وشبه فاضات بنوره او نور قلوب اهلها به وعن ابي كعب رضي
الله عنه مثل نور من امن به وقرئ زجاجة الزجاجة بالفتح والكسر ودري منسوب
الى الدر اي ابيض متلالئ ودري بوزن سكيت يدرئ الظلام بنوره ودري
كمريق ودري كالتسكينة عن ابي زيد وتوقد بمعنى تتوقد والفعل للزجاجة
ويوقد وتوقد بالتخفيف ويوقد بالتشديد ويوقد بفتح الياء وحذف التاء
لاجتماع حرفين زايدين وهو غريب ويمسه بالياء لان التانيث ليس بحقيقي
والضمير فاضل في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو وا
الاصال رجال في بيوت يتعلق بما قبله اي كمشكاة في بعض بيوت الله وهي المساجد
كانه قيل مثل نوره كما يرى في المسجد نور المشكاة التي من صفتها كيت وكيت او
بما بعده وهو يسبح اي يسبح له رجال في بيوت وفيها تكرير كقولك زيد في الدار جالس
فيها او بمحذوف كقوله تعالى في تسع ايات اي سبحوا في بيوت والمراد بالاذن
الامر ورفعها بناؤها كقوله تعالى بناها رفع سمكها فسواها واذ يرفع ابراهيم
القواعد من البيت وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي المساجد امر الله تعالى تبنى
او تعظيمها والرفع من قدرها وعن الحسن ما امر الله تعالى ان ترفع بالبناء ولكن
بالتعظيم ويذكر فيها اسمه او فيه وهو عام في كل ذكر وعن ابن عباس رضي الله
عنهما وان يتلى فيها كتابه وقرئ يسبح على البناء للمفعول ويسند الى احد الظروف
الثلثة اعني له فيها بالغدو ورجال مرفوع بما دل عليه يسبح وهو يسبح له
وتسبح بالتاء وكسر الياء وعن ابي جعفر بالتاء وفتح الباء ووجهها ان يسند الى او
قات الغدو والاصال على زيادة الباء وتجعل وتجعل الاوقات مسبحة والمراد
ربها كصيد عليه يومان والمراد وحشيهما والاصال جمع اصيل وهو العشي والمعنى باو
قات الغدو اي بالغدوات وقرئ والايصال وهو الدخول في الاصيل يقال
اصل كاظهر واعتم لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلوة وايتاء
الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار التجارة صناعة
التاجر وهو الذي يبيع ويشتري للربح فاما ان يريد لا يشغلهم نوع من
هذه الصناعة ثم خص البيع لانه في الالهاء ادخل من قبل ان التاجر اذا انجهت

بيعه

بيعه رابحة وهي طلبة الكلية من صناعته اطلقه ما لا يلهيه شري شي
يتوقع فيه الربح في الوقت الثاني لان هذا يقين وذاك مظنون واما ان
يسمى الشري تجارة اطلاقا لاسم الجنس على النوع كما تقول رزق فلان تجارة
رابحة اذا اتخذ له بيع صالح او شري وقيل التجارة لاهل الطلب تجر فلان في كذا
اذا جلبه التاء في اقامة عوض من العين الساقطة للاعلال والاصل اقوام فلما
اضيفت اقيمت الاضافة مقام حرف التعويض فاسقطت ونحوه واخلفوك
عد الامر الذي وعدوا وتقلب القلوب والابصار اما ان تقلب وتتغير
في انفسها وهو ان تطرب من الهول والفزع وتشخص كقوله تعالى واذ زا
غت الابصار وبلغت القلوب الحناجر واما ان تقلب احوالها وتتغير
فتفقه القلوب بعد ان كانت مطبوعا عليها لا تفقه وتبصر الابصار
بعد ان كانت عميا لا تبصر ليجزيهم الله احسن ما عملوا ويزيدهم من فضله
والله يرزق من يشاء بغير حساب احسن ما عملوا اي احسن جزاء اعمالهم
كقوله تعالى للذين احسنوا الحسنى والمعنى يسبحون ويخافون ليجزيهم ثوابهم
مضاعفا ويزيدهم على الثواب تفضلا وكذلك معنى قوله تعالى الحسنى وزيادة
المثوبة الحسنى وزيادة عليها من التفضل وعطاء الله عز وجل اما تفضل واما
ثواب واما عوض والله يرزق ما يتفضل به بغير حساب فاما الثواب
فله حساب لكونه على حسب الاستحقاق والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة
يحسبه الظمان ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله
سريع الحساب السراب ما يرى في الفلاة من ضوء الشمس وقت الظهيرة يسرب
على وجه الارض كانه ما يجري والقيعة بمعنى القاع او جمع قاع وهو المنبسط
المستوي من الارض كجيرة في جار وقرئ بقيعات بتاء ممطوطة كديمات
وقيمات في ديمة وقيمة وقد جعل بعضهم بقيعاة بتاء مدورة كرجل عزهاة
شبه ما يعمله من لا يعتقد الله تعالى وينجيه من عذابه ثم يخيب في العاقبة
امله ويلقى خلاف ما قدر بسراب يراه الكافر بالمشاهدة وقد غلبه عطش
يوم القيامة فيحسبه ماء فياتيه فلا يجد ما رجاه ويجد زبانية الله عنده
ياخذونه فيقتلونه الى جهنم فيسقونه الحميم والغساق وهم الذين قال الله

تعالى فيهم عاملة ناصبة ويحسبون انهم يحسنون صنعا وقدمنا الى ما عملوا من
عمل فجعلناه هباء منثورا وقيل نزلت في عقبة بن ربيعة بن امية قد كان
تعبد ولبس المسوح والتمس الدين في الجاهلية ثم كفر في الاسلام او كظلمات
في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض
اذا اخرج يده لم يكد يراها الراجي العميق الكثير الماء منسوب الى اللج وهو معظم
ما البحر وفي اخرج ضمير الواقع فيه لم يكد يراها مبالغة في لم يرها اي لم يقرب
ان يراها فضلا عن ان يراها ومثله قول ذي الرمة اذا غير النأي المحبين لم
يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح اي لم يقرب من البراح فما له يبرح شبه
اعمالهم اولا في فوات نفعها وحضور ضررها بسراب لم يجده من خدعه من
بعيده شيئا ولم يكفه خسة وكمدا ان لم يجد كغيره من السراب حتى وجد عنده الزبا
نية تعتله الى النار ولا يقتل ظماه بالماء وشبهها ثانيا في ظلمتها وسوادها لكونها
باطلة وفي خلوها عن نور الحق بظلمات متراكمة من لج البحر والامواج والسحاب
ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ثم قال ومن لم يوله نور توفيقه وعصمته
ولطفه فهو في ظلمة الباطل لا نور له وهذا الكلام مجراه مجرى الكنايات لان الا
لطاف انما تردف الايمان والعمل او لونهما مترقبين الا ترى الى قوله تعالى و
الذين جاهدوا فينا ليهدينهم سبلنا وقوله ويضل الله الظالمين وقرئ سحاب
ظلمات على الاضافة وسحاب ظلمات برفع سحاب وتنوينه وجر ظلمات
بدلا من ظلمات الاولى الم تر ان الله يسبح له من في السموات والارض والطير صافات
كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون والله ملك السموات والارض والى
الله المصير صافات يصففن اجنحتهن في الهواء والضمير وفي علم لكل او لله تعالى و
لذلك في صلاته وتسبيحه والصلاة الدعاء ولا يبعد ان يلهم الله تعالى الطير دعاءه و
تسبيحه كما الهمها ساير العلوم الدقيقة التي لا يكاد العقلاء يهتدون اليها الم
تر ان الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من
خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه
عمن يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالابصار يقلب الله الليل والنهار ان في ذلك
لعبرة لاولي الابصار يزجي يسوق ومنه البضاعة المزجاة التي يزجيها كل

احد

احد لا يرضاها والسحاب يكون واحدا كالعماء وجمعا كالرباب ومعنى تاليف الواحد
انه يكون فزعا فيضم بعضه الى بعض وجاريته وهو واحد لان المعنى بين اجزائه
كما قيل في قوله بين الدخول وحومل والركام المتراكم بعضه فوق بعض والو
دق المطر من خلاله من فتوقه ومخارجه جمع خلل كالجبال في جبل وقرئ من خلله
وينزل بالتشديد ويكاد سنا على الادغام وبرقه جمع برقة وهي المقدار من البرق
كالغرفة واللقمة وبرقه بضمتين للاتباع كما قيل في جمع فعلة فعلات كظلمات
وسنا برقه على المد المقصور بمعنى الضوء والممدود بمعنى العلو والارتفاع من قولك
سنى للمرتفع ويذهب بالابصار على زيادة الباء كقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم
عن ابي جعفر المدني وهذا من تعديد الدلايل على ربوبيته وظهور امره حيث
ذكر تسبيح من في السموات والارض وكل ما يطير بين السماء والارض ودعاهم له وا
ابتهالهم اليه وانه سخر السحاب التسخير الذي وصفه وما يحدث فيه من
افعاله حتى ينزل المطر منه وانه يقسم رحمته بين خلقه ويبسطها ويقبضها على
ما يقتضيه حكمته ويريدهم البرق في السحاب الذي يكاد يخطف ابصارهم
ليعتبروا ويحذروا ويعاقب بين الليل والنهار ويخالف بينهما بالطول والقصر
وما هذه الا براهين في غاية الوضوح على وجوده وثباته ودلايل منادية على صفاته
لمن نظر وفكر وتبصر وتدبر فان قلت متى راى رسول الله صلى الله عليه وسلم
تسبيح من في السموات ودعاهم وتسبيح الطير ودعاه وتنزيل المطر من جبال برد
في السماء حتى قيل له الم تر قلت علمه من جهة اخبار الله تعالى اياه بذلك
على طريق الوحي فان قلت ما الفرق بين من الاولى والثانية والثالثة
في قوله تعالى من السماء من جبال من برد قلت الاولى لابتداء الغاية
والثانية للتبعيض والثالثة للبيان او الاوليان للابتداء والاخرة للتبعيض
ومعناه انه ينزل البرد من السماء من جبال فيها وعلى الاول مفعول منزل من جبال
فيها فان قلت ما معنى من جبال فيها من برد قلت فيه معنيان
احدهما ان يخلق الله تعالى في السماء جبال برد كما خلق في الارض جبال حجر
والثاني ان يريد الكثرة بذكر الجبال كما يقال فلان يملك جبالا من ذهب
والله خلق كل دابة من ماء يخلق الله ما يشاء ان الله على كل شيء قدير قرئ

فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على اربع

خالق كل دابة ولما كان اسم الدابة موقعا على المميز وغير المميز غلب المميز فاعطى ما
ولاه حكمه كان الدواب كلهم مميزون فمنهم قتل قتلا ومنهم ومشى على بطنه ومنهم من يمشي على
اربع قوائم فان قلت لم انكر المانع قوله تعالى من ماء قلت
لان المعنى انه خلق كل دابة من الماء مختص بتلك الدابة او خلقها من ماء مخصوص
وهو النطفة ثم خالف بين المخلوقات من النطفة فمنها هوام ومنها طعام ومنها
نائس ونحوه قوله تعالى تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل فان
قلت فما الذي عرفك في قوله تعالى من الماء كل شيء حي قلت قصد ثم معنى
آخر وهو ان اجناس الحيوان كلها مخلوقة من هذا الجنس الذي هو جنس الماء وذلك
انه هو الاصل وان تحللت بينه وبينها وسايط فالوا حق الملايكة من ريح خلقها
من الماء والجن من نار خلقها منه وادم من تراب خلق منه فان قلت
لم جاءت الاجناس الثلاثة على هذا الترتيب قلت قدم ما هو اعرف في القدرة
وهو الماشي بغير آلة ثنى من ارجل او قوائم ثم الماشي على رجلين ثم الماشي على اربع
فان قلت لم سمي الزحف على البطن مشيا قلت على سبيل الاستعارة كما قالوا
في الامر المستمر قد مشى هذا الامر ويقال فلان لا يمشي له امر ونحوه لاستعارة الشفة مكان
الحفلة والمشفر مكان الشفة ونحو ذلك او على طريق المشاكلة لذ الزاحف مع الماشين
لقد انزلنا اليك ايات بينات والله يهدي من يشا الى صراط مستقيم ويقولون امنا بالله وبالر
سول واطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما اولئك بالمومنين وما اولئك
بالمومنين اشارة الى القابلين امنا واطعنا اولى الفريق المتولي منهم فنعاه على الاول
اعلام من الله تعالى بان جميعهم منتف عنهم الايمان لا الفريق المتولي وحده وعلى الثاني
اعلام بان الفريق المتولي لم يكن كما ينبغي لهم من الايمان انما كان ادعا باللسان من
غير مواطاة القلب لانه لو كان صادرا عن صحة معتقد وطمانينة نفس لم يتبعقبه
التولي والاعراض والتعريف في قوله تعالى بالمومنين دلالة على انهم ليسوا بالمومنين
الذين عرفت وهم الثابتون المتصفون على الايمان الموصوفون في قوله تعالى
انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم
اذا فريق منهم معرضون معنى الى الله ورسوله الى رسول الله كقولك لجيتي زيد
وكرمه تريد كرم زيد ومنه قوله غلسته قبل القطا وفرطه روى انها نزلت

في بشر المنافق وخصمه اليهودي حين اختصما في ارض فجعل اليهودي يجره الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم والمنافق يجره الى كعب بن الاشرف ويقول ان محمدا يحيف
علينا وروي ان المغيرة بن وايل كان بينه وبين علي بن ابي طالب رضي الله عنه
خصومة في ماء وارض فقال المغيرة اما محمد فلست اتيه ولا احاكم اليه فانه يقضي
وانا اخاف ان يحيف وان يكن لهم الحق ياتوا اليه مذعنين اليه صلة ياتوا الآن
انا وجاقد جا امعدين بالى ويتصل بمذعنين لانه في معنى مسرعين في الطاعة
ولهذا احسن لتقدم صلته ودلالته على الاختصاص والمعنى انهم لمعرفتهم انه
ليس معك الا الحق المر والعدل البحت يزورون عن المحاكمة اليك اذا
كان الحق لهم ليلا نازعتهم من احداقهم بقضايك عليهم لخصومهم وان ثبت
لهم حق على خصم اسرعوا اليك ولم يرضوا الا بحكومتك لتاخذ لهم ما ذاب
لهم في ذمة الخصم افي قلوبهم مرض امرتابوا ام يخافون ان يحيف الله عليهم
ورسوله بل اولئك هم الظالمون ثم فسم الامر في صدودهم عن حكومته اذا كان
الحق عليهم بين ان يكون لهم امرضي مرتابين القلوب منافقين ومرتابين في امر
نبوته او خائفين الحيف في قضائه ثم ابطله خوفهم بقوله تعالى بل اولئك هم
الظالمون اي لا يخافون ان يحيف عليهم لمعرفتهم بحاله وانهم ظالمون يريدون
ان يظلموا من له الحق عليهم وتم طمعهم محمودة وذلك شيء لا يستطيعونه في مجلس
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تابوا الحاكمة اليه انما كان قول المومنين
اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا واولئك هم المفلحون
وعن الحسن رحمه الله عليه قول لهم مثنين باكر فع والنصب قوي لان اولى اولى
سمين بكونه اسما لكان او علما في التعريف وان يقولوا اوغل لانه لا سبيل عليه
للتنكير بخلاف قول المومنين وكان بهذا من قبيل كان في قوله تعالى ما كان الله ان
يتخذ من ولد ما يكوه لنا ان نتكلم بهذا وقرئ ليحكم على البناء للمفعول فان قلت
الى ام اسند يحكم ولا بد له من قلت قد سند الى مصدره لان معناه ليفعل
الحكم بينهم ومثله جمع بينهما والف بينهما ومثله لقد تقطع بينكم فيمن قرا بينكم
منصوبا اي وقع التقطع بينكم وهذه القراءة مجاوبة لقوله تعالى دعوا
ومن يطع الله ورسوله ويخشى الله ويتقه فاولئك هم الفاءز يروى قري

وتتقه بكسر القاف والهاء مع الوصل وبغير وصل بسكون الهاء وبسكون القاف وكسر
الهاء شبه تقه بكتف مخفف كقوله قالت سليمى اشتر لنا سويقا ولقد جمع الله
سبحانه وتعالى في هذه اسباب الفوز وعن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيرها ومن
يطع الله في فرايضه ورسوله في سننه ويخشى الله على ما مضى من ذنوبه ويتقه
فيما يستقبل وعن بعض الملوك انه سئل عن اية كافية فتليت له هذه الاية وا
واقسموا بالله جهد ايمانهم لين امرتهم ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة ان
الله خبير بما تعملون جهد يمينه مستعار من جهد نفسه اذا بلغ اقصى وسعها وذلك
اذا بالغ في اليمين وبلغ غاية سدلتها ووكادتها وعن ابن عباس رضي الله عنهما من
قال بالله فقد جهد يمينه واصل اقسم جهد اليمين اقسم يجهد اليمين جهدا فحذف
الفعل وقدم المصدر فوضع موضعه مضافا الى المفعول كقوله تعالى فضرب
الرقاب وحكم هذا المنصوب حكم الحال كانه قال جاهدين ايمانهم وطاعة معروفة
خبر مبتدا محذوف او مبتدا محذوف الخبر اي امركم والذي يطلب منكم
طاعة معروفة لا يشك فيها ولا يرتاب كطاعة الخلص من المومنين الذين طابق
باطن امرهم ظاهرة لا ايمان تقسمون بها بافواهكم وقلوبكم على خلافها او طاعتكم طاعة
معروفة بالها بالقول دون الفعل او طاعة معروفة امثل واولى بكم من هذه
الايمان الكاذبة وقرا اليزيدي طاعة معروفة بالنصب على معنى اطيعوا طاعة
ان الله خبير بعلم ما في ضمايركم ولا يخفى عليه شي من سرايركم وانه فاضحكم لا محالة ومجازيكم
على نفاقكم قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما
حملتم وان تطيعوه تهتدوا وما على الرسول الا البلاغ المبين صرف الكلام عن
الغيبة الى الخطاب على طريقة الالتفات وهو ابلغ في تبكيتهم يريد فان تتولوا فما
ضررتموه وانما ضررتم انفسكم فان الرسول ليس عليه الا ما حمله الله تعالى وكلفه
من اداء الرسالة فاذا ادى فقد خرج عن عهدة تكليفه فاما انتم فعليكم ما كلفتم من
التلقي بالقبول والاذعان فان لم تفعلوا وتوليتم فقد عرضتم نفوسكم لسخطه الله
تعالى وعذابه وان اطعتموه فقد احرزتم نصيبكم من الخروج عن الضلالة الى الهدى
فالنفع والضرر عايدان اليكم وما الرسول الا ناصح وهاد وما عليه الا ان يبلغ ما له
نفع في قبولكم ولا عليه ضرر في توليكم والبلاغ بمعنى التبليغ كالاداء بمعنى

التادية

٢٠٧

التادية ومعنى المبين كونه مقرونا بالايات والمعجزات وعد الله الذين امنوا منكم
وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم الخطاب
لرسول الله عليه السلام ولمن معه ومنكم للبيان كالتي في اخر سورة الفتح وعدهم
الله ان ينصر الاسلام على الكفر ويورثهم الارض ويجعلهم فيها خلفا كما فعل ببني
اسرائيل حين اولهم مصر والشام بعد اهلاك الجبابرة وليمكنن لهم دينهم الذي
ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدونني لا يشركون في شيا ومن
اكفر بعد ذلك واولئك هم الفاسقون وان يمكن الدين المرتضى وهو دين الا
سلام وتمكينه تثبيته وتوطينه وان يومن سربهم ويزيل عنهم الخوف الذي كانوا عليه
وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خايفين
ولما هاجروا كانوا بالمدينة يصبحون في السلاح ويمسون فيه حتى قال رجل ما ياتي علينا
يوم نامن فيه ونضع السلاح فقال صلى الله عليه وسلم لا تعبرون الا يسيرا حتى
يجلس الرجل منكم في الملا العظيم محتبيا ليس فيه حديدة فانجز الله تعالى وعده
واظهرهم على جزيرة العرب وافتتحوا بعد بلاد المشرق والمغرب ومزقوا
ملك الاكاسرة وملكوا خزائنهم واستولوا على الدنيا ثم خرج الذين على خلاف سير
بهم فكفروا بتلك الانعم وفسقوا وذلك قوله عليه السلام الخلافة بعدي ثلا
ثون سنة وليبدلنهم بالتشديد فان قلت اين القسم المتلقى باللام والنون
في ليستخلفنهم قلت هو محذوف تقديره وعدهم الله واقسم ليستخلفنهم
او نزل وعد الله في تحققه منزلة القسم فتلقى بما يتلقى به القسم كانه اقسم الله
ليستخلفنهم فان قلت ما محل يعبدونني قلت ان جعلته استينافا لم يكن
له محل كان قايلا قال ما لهم يستخلفون ويومنون قال يعبدونني وان جعلته حالا
عن وعدهم اي وعدهم الله تعالى ذلك في حال عبادتهم واخلاصهم فمحله النصب
ومن كفر يريد كفران النعمة كقوله تعالى فكفرت بانعم الله فاولئك هم الفاسقون
اي هم الكاملون في فسقهم حيث كفروا تلك النعمة العظيمة وجسروا على عمطها
فان قلت هل في هذه الاية دليل على امر الخلفا الراشدين قلت اوضح
دليل وابينه لان المستخلفين الذين امنوا وعملوا الصالحات هم هم واقيموا
الصلاة واتوا الزكاة واطيعوا الرسول لعلكم ترحمون واقيموا الصلوة معطوف

على اطيعوا الله واطيعوا الرسول وليس ببعيد ان يقع بين المعطوف والمعطوف عليه فاصل وان طال لان حق المعطوف ان يكون غير المعطوف عليه وكررت طاعة الرسول تاكيدا لوجوبها لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض وما واهم النار ولبئس المصير وقرئ لا يحسبن بالياء وفيه اوجه ان يكون معجزين في الارض هما المفعولان والمعنى لا يحسبن الذين كفروا احدا يعجز الله في الارض حتى يطمعوا هم في مثل ذلك وهذا معنى قوي جدا وان يكون فيه ضمير الرسول التقدم ذكره في قوله تعالى واطيعوا الرسول وان يكون الاصل ولا يحسبهم الذين كفروا معجزين ثم حذف الضمير الذي هو المفعول الاول وكان الذي سوغ ذلك ان الفاعل والمفعولين لما كانت لشئ واحد اقتضى بذكر الاثنين عن ذكر الثالث وعطف يقوله تعالى وما واهم النار على لا تحسبن الذين كفروا معجزين كانه قيل الذين كفروا لا يفوتون الله وما واهم النار والمراد بهم المشركون بالله جهد ايمانهم باطا الذين آمنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء امر ان يستاذن العبيد وقيل العبيد والاماء والاطفال الذين لم يحتلموا من الاحرار ثلاث مرات في اليوم والليلة قبل صلاة الفجر لانه وقت القيام من المضاجع وترك ما ينام فيه من الثياب ولبس ثياب اليقظة و بالظهيرة لانها وقت وضع الثياب للقائلة وبعد صلاة العشاء لانه وقت التجرد من ثياب اليقظة والالتحاف بثياب النوم وسمي كل واحدة من هذه الا حوال عورة لان الناس يحتل تستترهم ويحفظهم فيها والعورة الخلل ومنها اعور الفارس واعور المكان والاعور المختل العين ثم عذرهم في ترك الاستيذان وراء هذه المرات وبين وجه العذر في قوله تعالى طوافون عليكم ان بكم وبهم حاجة الى المخالطة والمداخلة يطوفون عليكم للخدمة وتطوفون عليهم للاستخدام فلو جزم الامر بالاستيذان في كل وقت لادى الى الحرج وروي ان مدلج ابن عمرو وكان غلاما انصاريا ارسله رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت الظهر لعمر رضي الله عنه ليدعوه فدخل عليه وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر لوددت ان الله عز وجل نهى ابانا وابناءنا وخدمنا ان لا يدخلوا علينا هذه الساعات الا باذن ثم انطلق معه الى النبي صلى الله عليه وسلم فوجده وقد انزلت عليه هذه الاية وهي

احدى الايات المنزلة بسبب عمر رضي الله عنه وقيل نزلت في اسماء بنت ابي مرثد قالت انا لندخل على الرجل والمراة ولعلها يكون ان في لحاف واحد وقيل دخل عليها غلام لها كبير في وقت كرهت دخوله فيه فاتت رسول الله عليه السلام فقالت ان حدمنا وغلماننا يدخلون علينا في حال نكرهها وعن ابي عمرو والحكم بالسكون ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الايات والله عليم حكيم وقرئ ثلاث عورات بالنصب بدلا عن ثلاث مرات اي اوقات ثلاث عورات وعن الاعمش عورات على لغة هذيل فان قلت ما محل ليس عليكم قلت اذا رفعت ثلاث عورات كان ذلك في محل الرفع على الوصف المعنى هن ثلاث عورات مخصوصة بالاستيذان واذا نصبت لم يكن له محل وكان كلاما مقررا للامر بالاستيذان في تلك الاحوال خاصة فان قلت لم ارتفع بعضكم قلت بالابتداء وخبره على بعض على معنى طائف على بعض وحذف لان طوافون يدل عليه ويجوز ان يرتفع بيطوف مضمرا لتلك الدلالة واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستاذنوا كما استاذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم اياته والله عليم حكيم الذين من قبلهم يريد الذين بلغوا الحلم من قبلهم وهم الرجال والذين ذكروا من قبلهم في قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا الاية والمعنى ان الاطفال ماذون لهم في الدخول بغير اذن الا في العورات الثلاث فاذا اعتاد الاطفال ذلك ثم خرجوا عن حد الطفولة بان يحتلموا او يبلغوا السن الذي يحكم فيها عليهم بالبلوغ وجب ان يغطوا عن تلك العادة ويحملوا على ان يستاذنوا في جميع الاوقات كما ألف حال الكبار الذين لم يعتادوا الدخول عليكم الا باذن وهذا مما نسي الناس عنه في غفلة وهو عندهم كالشريعة المنسوخة وعن ابن عباس رضي الله عنهما اية لا يوسن بها اكثر الناس آية الاذن واني لامر جاريتي ان تستاذن علي وسأل عطاء استاذن على اختي قال نعم وان كانت في حجرك نعم ونلا هذه الاية وعنه ثلاث ايات محدثهن الناس الاذن كله وقوله عز وجل ان اكرمكم عند الله اتقاكم فقال ناس اغتسلكم بيتا وقوله تعالى اذا حضر القسمة وعن ابن مسعود رضي الله عنه عليكم ان تستاذنوا على اباكم وامهاتكم واخوانكم وعن الشعبي ليست منسوخة فقيل له ان الناس لا يعملون

بها فقال الله المستعان وعن سعيد بن جبير يقولون منسوخة ولا والله ما هي منسوخة
ولكن الناس لها ونواتها فان قلت ما السن التي يحكم فيها البلوغ قلت قال ابو حنيفة
رحمه الله عليه ثمان عشرة سنة في البلوغ الغلام وسبع عشرة سنة في الجارية وعامة
العلماء على خمس عشرة سنة فيهما وعن علي رضي الله عنه وانه كان يعتبر القامة وتقديره
بخمسة اشبار وبه اخذ الغزنوي في قوله ما زال مذ عقدت يداه ازاره وسما فادرك
خمسة الاشبار واعتبر غير الانبات وعن عثمان رضي الله عنه انه سئل عن علام فقال
على اخضر ازاره والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح ان
يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وان يستعففن خير لهن والله سميع عليم
القاعد التي قعدت عن الحيض والولد لكبرها لا يرجون نكاحا لا يطمع فيه والمراد
بالثياب الثياب الظاهرة كالملحفة والطيلسان الذي فوق الخمار غير متبرجات
بزينة غير مظهرات زينة يريد الزينة الخفية التي اراد ها في قوله تعالى ولا
يبدين زينتهن الا لبعولتهن او غير قاصدات بالوضع التبرج ولكن التخفف
اذا احتجن اليه والاستعفاف من الوضع خير لهن لما ذكر الجائز عفه بالمتحت
بعثا منه على اختيار افضل الاعمال واحسنها لقوله تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى
وان تصدقوا خير لكم فان قلت فما حقيقة التبرج قلت تكلف
اظهار ما يجب اخفاؤه من قولهم سفينة بارز لا غطاء عليها والبرج سعة العين يريد
بياضها محيطا بسوادها كله لا يغيب منه شيء الا انه اختص بان تكشف المرأة للرجال
بابداء زينتها واظهار محاسنها وبرز او برز بمعنى ظهر من اخوات تبرج وتبلج
كذلك ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج ولا
على انفسكم ان تأكلوا من بيوتكم او بيوت آبائكم او بيوت امهاتكم او بيوت
اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت
اخوالكم او بيوت خالاتكم او ما ملكتم مفاتحه او صديقكم كان المؤمنون
يذهبون بالضعفاء وذوي العاهات الى بيوت ازواجهم واولادهم والى
بيوت قرابتهم واصدقائهم فيطعمونهم منها فخاف قلوب المطعمين وا
المطعمين ريبة في ذلك وخافوا ان يلحقهم فيه حرج وكرهوا ان يكون
اكلا بغير حق لقوله تعالى ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل فقيل لهم ليس

على

على الضعفاء ولا على انفسكم يعني عليكم ولا على من في منزل حالكم من المؤمنين حرج في مثل
ذلك وعن عكرمة كانت المؤمنين الانصار في انفسها قزازة وكانت لا تأكل
من هذه البيوت اذا استغنوا وقيل كان هؤلاء يتوقون مجالسة الناس وسوا
كلتهم لما عسى يؤدي الى الكراهة من قبلهم ولان الاعمى ربما سبقت يده الى ما سبقت
عين الكيلة اليه وهو لا يشعر والاعرج يتقبض في مجلسه ويأخذ اكثر من موضعه
فيضيق على جليسه والمريض لا يخلو من رائحة تؤذي او جرح يبض او انف يدن
او نحو ذلك وقيل كانوا يحرجون الى الغزو ويخلفون الضعفاء في بيوتهم ويدفعون
اليهم المفاتيح ويأذنون لهم ان يأكلوا من بيوتهم فكانوا يتحرجون حكي عن الحارث بن
عمرو انه خرج غازيا وخلف مالك بن زيد في بيته وماله فلما رجع رآه مجهودا فقال
ما اصابك قال لم يكن عندي شيء ولم يحل الي ان اكل من مالك فقيل ليس على هؤلاء
الضعفاء حرج فيما حرجوا عنه ولا عليكم ان تأكلوا من البيوت المذكورة وهذا كلام
صحيح وكذلك اذا فسر بان هؤلاء ليس عليهم حرج في القعود عن الغزو ولا هذا عليكم
ان تأكلوا من البيوت المذكورة لانتفاء الطائفتين في ان كل واحدة منهما منفي
عنها الحرج ومثال هذا ان يستفتك مسافر عن الافطار في رمضان وحاج مفرد عن تقديم
الحلق عن النحر فقلت ليس على المسافر حرج ان يفطر ولا عليك يا حاج ان تقدم الحلق
على النحر فان قلت هلا ذكر الاولاد قلت دخل ذكرهم تحت قوله تعالى من
بيوتكم لان ولد الرجل بعضه وحكمه حكم نفسه وفي الحديث ان اطيب ما يأكل المرء من
كسبه وان ولده من كسبه ومعنى من بيوتكم من البيوت التي فيها ازواجكم وعيالكم
ولان الولد اقرب الي ممن عددن من القرابات فاذا كان سبب الرخصة هو القرابة
كان الذي هو اقرب منهم اولى فان قلت ما معنى او ما ملكتم مفاتحه قلت اموال
الرجل اذا كان له عليها قيم ووكيل يحفظها له ان يأكل من ثمرتها ويشرب من لبن
ماشيته ويركب والمفاتح كونه في يده وحفظه وقيل بيوت الكمأليك لان مال العبد
لمولاه وقرئ مفتاحه فان قلت فما معنى او صديقكم قلت معناه او
بيوت اصدقائكم والصديق يكون واحدا وجمعا وكذلك الخليط والقطين
والعدو ويحكى عن الحسن رحمه الله عليه انه دخل داره واذا حلقة من اصدقائه
وقد استلوا سلالا من تحت سريره فيها الخيص واطايب الاطعمة وهم يأكلون

عليها ياكلون فتهللت اسارير وجهه سرورا وضحك وقال هكذا وجدناهم هكذا اوجدنا
هم يريد كبرا الصحابة ومن لقيهم من البدريين وكان الرجل منهم يدخل دار صديقه
وهو غائب فيسال جاريته ليسه فياخذ ما شاء فاذا حضر مولاها فاخبرته اعتقها سرورا
بذلك وعن جعفر بن محمد رحمة الله تعالى من عظم حرمة الصديق ان جعله الله تعالى من
الانس والثقة والانبساط وطرح الحشمة بمنزلة النفس والاب والاخ والابن وعن
ابن عباس رضي الله عنهما الصديق اكبر من الوالدين ان الجهميين لما استغاثوا لم يستغيثوا
بالابائو الامهات فقالوا فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وقالوا اذا دل ظاهر الحال على رضا
المالك قام ذلك مقام الاذن الصريح وربما سمح الاستيذان وثقل لمن قدم اليه طعام
فاستاذن صاحبه في الاكل منه ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا فاذا دخلتم
بيوتا فسلموا على انفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم الايات
لعلكم تعقلون جميعا او اشتاتا اي مجتمعين او متفرقين نزلت في بني ليث بن عمرو
من كنانة كانوا يتحرجون ان ياكل الرجل وحده فربما قعد منتظرا نهاره الى الليل فان
لم يجد من يواكله اكل ضرورة وقيل في قوم من الانصار اذا نزل بهم ضيف لا ياكلون
الا مع ضيفهم وقيل تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الناس في الاكل وزيادة
بعضهم على بعض فاذا دخلتم بيوتا من هذه البيوت لتاكلوا فبدوا بالسلام على اهلها
الذين هم منكم دينا وقرابة تحية من عند الله اي ثابتة بامره مشروعة من لدنه او
لان التسليم والتحية طلب سلامة وحياة للمسلم عليه والمحيا من عند الله ووصفها بالبركة
والطيب لانها دعوة مومن لمومن يرجى لها من الله تعالى زيادة الخير وطيب الرزق وعن انس
رضي الله عنه خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين وروي تسع سنين فما قال لي
الشيء فعلته لم فعلته ولا قال لي لشيء كسرته وكنت واقفا على راسه اصب الما على يديه
فرفع راسه فقال الا اعلمك ثلث خصال تنتفع بها فقلت بلى يا رسول الله قال متى لقيت
احدا من امتي فسلم عليه يطل واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة
الضحى فانها صلاة الاوابين وقالوا ان لم يكن في البيت احد فليقل السلام علينا من ربنا السلام
علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على اهل البيت ورحمة الله وعن ابن عباس رضي
الله عنهما اذا دخلت المسجد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين تحية من عند الله
وانتصب تحية بسلموا لانها في معنى تسليما كقولك قعدت جلوسا انما المؤمنون

الذين

الذين امنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا حتى يستاذنوه ان الذين يستا
ذنونك اولئك الذين يومنون بالله ورسوله فاذا استاذنوك لبعض شانهم فاذن
لمن شئت منهم واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم اراد عز وجل ان يريهم عظم الجناية
في ذهاب الذاهب عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير اذنه اذا كانوا معه
على امر جامع فجعل ترك ذهابهم حتى يستاذنوه ثالث الايمان بالله والايمان برسوله و
جعلهما كالتثبيت له والبساط لذكره وذلك مع تصدير الجملة بانما وايقاع المومنين
مبتدا مخبرا عنه بموصول احاطت صلته بذكر الايمانين ثم عقبه بما يريده توكيدا و
تشديدا حيث اعاده على اسلوب آخر وهو قوله تعالى ان الذين يستاذنونك
اولئك الذين يومنون بالله ورسوله وضمنه شيا آخر وهو انه جعل الاستيذان كا
لمصداق لصحة الايمانين وعرض بحال المنافقين وتسللهم لواذا ومعنى قوله تعالى
لم يذهبوا حتى يستاذنوك لم يذهبوا حتى يستاذنوه ويأذن لهم الا تراه كيف
علق الامر بعد وجود استيذانهم بمشيته واذنه لمن استصوب ان ياذن له والامر الجامع
الذي يجمع له الناس فوصف الامر بالجمع على سبيل المجاز وذلك نحو مقاتلة عدو او
تشاور في خطب مهم او تصام لارهاب مخالف او تمالح في حلف وغير ذلك
او الامر الذي نعم بضرره او بنفعه وقرئ امر جميع وقوله تعالى اذا كانوا معه على
امر جامع انه خطب جليل لا بد لرسول الله فيه من ذوي راي وقوة يظاهرونه
عليه ويعاونونه ويستضيء بارائهم ومعارفهم وتجاربهم في كفايته فمفارقة
احدهم في مثل تلك الحال مما يشق على قلبه ويستغنى وعليه رايه فمن ثم غلظ عليهم
وضيق عليهم الامر في الاستيذان مع العذر المبسوط ومساس الحاجة اليه واعتراض
ما يهمهم ويغنيهم وذلك قوله تعالى لبعض شانهم وذكر الاستغفار للمستاذنين د
دليل على ان الاحسن الافضل ان لا يحدثوا انفسهم بالذهاب ولا يستاذنوا فيه و
وقيل نزلت في حفر الخندق وكان قوم يتسللون بغير اذن وقالوا كذلك ينبغي
ان يكون الناس ومع ائمتهم ومقدميهم في الدين والعلم يظاهرونهم ولا يخذلونهم في نازلة
من النوازل ولا يتفرقون عنهم والامر في الاذن مفوض الى الامام ان شاء اذن
وان شاء لم ياذن على حسب ما اقتضاه رايه لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم
بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم

فتنة او يصيبهم عذاب اليم اذا اختاج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اجتماعكم
عنده لامر دعاكم فلا تفرقوا عنه الا باذنه ولا تقلبوا دعاءه اياكم على دعاء بعضكم بعضا
ورجوعكم عن الجمع بغير اذن الداعي اولا تجعلوا تسميته ونداءه بينكم كما يسمي بعضكم
بعضا وناديه باسمه الذي سماه به ابواه ولا تقولوا يا محمد ولكن يا نبي الله ويا رسول الله
مع التوقير والتعظيم والصوت المخفوض والتواضع ويحتمل لا تجعلوا دعاء الرسول
ربه مثل ما يدعو احاصغيركم كبيركم وفقيركم غنيكم يسأله حاجة فربما اجابه وربما رده
فان دعوات رسول الله مستجابة بسللون ينسلون قليلا قليلا وتنظير
تسللا تدرج وتدخل واللواذ الملاوذة وهو ان يلوذ هذا بذاك وذاك بهذا
يعني ينسلون عن الجماعة في الخفية على سبيل الملاوذة ويستتر بعضهم ببعض اذا حال
اي ملاوذين وقيل كان بعضهم يلوذ بالرحل اذا استاذن فيأذن له فينطلق الذي لم يلوذ
له معه وقرئ لواذا بالفتح يقال خالفه عن الامر اذا صد عنه دونه ومعنى
الذين يخالفون عن امره الذين يصدون عن امره دون المؤمنين وهم المنافقون فحذف
المفعول لان العوض ذكر المخالف والمخالف عنه الضمير في امره الله تعالى او للرسول عليه
السلام والمعنى عن طاعته ودينه فتنة محنة في الدنيا او يصيبهم عذاب اليم
في الاخرة وعن ابن عباس رضي الله عنه فتنة قتل وعن عطاء زلازل واهوال وعن
جعفر بن محمد ليسلطن عليهم سلطان جائر الا ان لله ما في السموات والارض قد يعلم
ما انتم عليه ويوم يرجعون اليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شيء عليم او خل
قد ليؤكد علمه بما هم عليه من المخالفة عن الدين والنفاق ومرجع تأكيد العلم
الى تأكيد الوعيد وذلك ان قد اذا دخلت على المضارع كانت بمعنى ربما فوافقت
ربما في خروجها الى معنى التكثير في نحو قوله فان تمس مهجور الفناء فربما اقام
به بعد الوفود وفود ونحوه قول زهير اجى ثقة لا تهلك الخمر ماله ولكنه
قد يهلك المال نائله والمعنى ان جميع ما في السموات والارض مختصة به
خلقا وملكا وعلما فكيف يخفى عليه احوال المنافقين وان كانوا يجهدون
في سترها عن العيون واخفائها ويبئهم يوم القيامة بما ابطنوا من سوء اعمالهم
ويجازيهم حق جزائهم والخطاب والالفتة في قوله قد يعلم ما انتم عليه
ويوم يرجعون اليه يجوز ان يكون جميعا للمنافقين على طريق الالتفات

ويجوز

ثم الى الا واذا راهب اليه ودونه وهو قوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين الحجر

P11

ويجوز ان يكون ما انتم عليه عاما ويرجعون للمنافقين عن رسول الله عليه السلام
من قرأ سورة النور اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة
فيما مضى وفيما بقي سورة الفرقان مكية وهي سبع وسبعون آية
بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين
نذيرا تبارك تفاعل من البركة كثرة الخير وزيادته ومنه بارك الله وفيه معنيان تبارك
بدأ خيره وتكاثر او تزايد عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته وافعاله والفرقان
مصدر فرق بين الشيئين اذا فصل بينهما وسمي به القرآن لوصله بين الحق والباطل
اولانه لم ينزل جملة واحدة ولكن مفرقا مفصولا بين بعضه وبعض فيأتي لا يزال
تنزل الآية بعد الآية الى قوله وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا
وقد جاء الفرق بمعنى قال ومشركي كافر بالفرق وعن ابن الزبير على عباده وهو
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وامته كما قال تعالى ولقد انزلنا اليكم نورا
مبينا قولوا امنا بالله وما انزل الينا والضمير في ليكون لعبده او للفرقان ويعضده
رجوعه الى الفرقان قراءة ابن الزبير للعالمين للجن والانس نذيرا منذرا او مخوفا واد
انذارا كالنكير بمعنى الانكار ومنه قوله عز وجل فكيف كان عذابي ونذر الذي له
ملك السموات والارض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره
تقديرا الذي له رفع على الابدال من الذي ينزل او رفع على المدح او نصب عليه
فان قلت كيف جاز الفصل بين البدل والمبدل منه قلت ما فصل بينهما
بشيء لان المبدل منه صلة نزل وليكون تعليل له فكان المبدل منه لم يتم الا به
فان قلت في الخلق معنى التقدير فما معنى قوله تعالى وخلق كل شيء فقدره
تقديرا كانه قال وقدر كل شيء فقدره قلت المعنى انه احدث كل شيء احدا
تام اعافيه التقدير والتسوية فقدره وهيأه لما يصلح له مثاله انه خلق الانسان
على هذا الشكل المقدر المسوى الذي تراه فقدره للتكليف والمصالح المنوطة
به في بابي الدين والدنيا وكذلك كل حيوان وجماد جاء به على الحيلة المستوية
المقدرة بمشيئة الحكمة والتدبير فقدره لامر ما ومصلحة مطابقا لما قدر له غير
متخاف عنه او سمى احداث الله تعالى خلقا لانه لا يحدث شيأ لحكمة الا على وجه
التقدير من غير تفاوت فاذا قيل خلق الله كذا فهو بمنزلة قولك احدث

واوجد من غير نظر الى وجه الاشتقاق فكانه واوجد كل شي فقدره في ايجاده
لم يوجد متفاوتا وقيل فجعل له غاية ومنتهى ومعناه فقدره للبقاء الى امد
معلوم واتخذوا من دونه الهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون
لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا الخلق بمعنى الافتعال
كما في قوله تعالى انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا والمعنى الهتهم
اسروا على عبادة الله سبحانه عبادة الهة لا عجز ابين من عجزهم لا يقدرون على شي
من افعال الله تعالى ولا من افعال العباد حيث لا يفتعلون شيئا وهم يفتعلون
لان عبدتهم يفتعلونهم بالنحت والتصوير ولا يملكون اي لا يستطيعون لانفسهم
دفع ضرر عنها او جلب نفع اليها وهم يستطيعون واذا عجزوا عن الافتعال ودفع
الضرر وجلب النفع الذي يقدر عليه العباد كانوا عن الموت والحيوة والنشور
التي لا يقدر عليها الا الله اعجز وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه واعانه
عليه قوم اخرون فقد جاوا ظلما وزورا قوم اخرون هم اليهود وقيل عداس مولى
حويطب بن عبد العزى ويسار مولى العلاء بن الحضرمي وابو فكيهة الرومي قال
ذلك النضر بن الحارث بن عبد الدار جاوا اي يستعملان في معنى فعل فيعديان تعديته
وقد يكون على معنى وردوا ظلما كما تقول جئت المكان ويجوز ان يحذف الجار ويوصل
الفعل وظلمهم ان جعلوا العربي يتلقن من العجمي الرومي كلاما عربيا اعجز بفصاحته
جميع فصحاء العرب والزور ان نهتوه بلبسه ما هو بري منه اليه وقالوا اساطير
الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة واصيلا الاولين ما سطره المتقدمون من نحو
رستم واسفنديار جمع اسطار او اسطورة كاحدوثة اكتتبها لنفسه واخذها كما
تقول استكتب الماء واصطبه اذا سكبه وصبه لنفسه واخذه وقرئ اكتتبها
على البناء للمفعول والمعنى الكتبها كاتب له لامه كان اميا لا يكتب بيده وذلك
من تمام اعجازه ثم حذفت اللام فافضى الفعل الى الضمير فصار اكتتبها اياه كاتب
كقوله تعالى واختار موسى قومه ثم بني الفعل للضمير الاساطير على حاله فصار
اكتتبها كما ترى فان قلت كيف قيل اكتتبها فهي تملى عليه وانما يقال
املت عليه فهو يكتبها قلت فيه وجهان احدهما اراد اكتتابها
او طلبه فهي تملى عليه او كتبت له وهو امي فهي تملى عليه وانما يقال املت

عليه

عليه فهو يكتبها قلت فيه وجهان احدهما اراد اكتتابها او طلبه فهي تملى عليه
او كتب له وهو امي فهي تملى عليه اي تلقى عليه من كتابه يحفظها لان سورة الالقاء
على الحافظ كسورة كصورة الالقاء على الكاتب وعن الحسن انه قول الله سبحانه يكذبهم
وانما يستقيم ان لو فتحت الهمزة للاستفهام الذي في معنى الانكار ووجهه
ان يكون نحو قوله افرح ان ارزء الكرام وحق الحسن ان يقف على الاولين بكرة
واصيلا اي دائما او في الحقيقة قبل ان ينتشر الناس وحين ياوون الى مساكنهم
قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض انه كان غفورا رحيما اي يعلم
كل سر خفي في السموات والارض ومن جملته ما تسرون انتم من الكيد لرسوله
مع علمكم ان ما تقولونه باطل وزور وكذلك باطن امر رسول الله عليه السلام
وبراءته مما تتهمونه به وهو يجازيكم ويجازيه على ما علم منكم وعلم منه فان قلت
كيف طابق قوله انه كان غفورا رحيما هذا المعنى قلت لما كان ما تقدمه في
معنى الوعيد عقبه بما يدل على القدرة عليه لانه لا يوصف بالمغفرة والرحمة
الا القادر على العقوبة او هو تنبيه على انهم استوجبوا بمكابرتهم يمهل ولا يعاجل وقالوا
ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق لولا انزل اليه ملك فيكون معه
نذيرا او يلقى اليه كنز او تكون له جنة ياكل منها وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا
مسحورا وقعت اللام في المصحف مفصولة عن هذا خارجة عن اوضاع الخط العربي
وخط المصحف سنة لا تغير وفي هذا اهانة وتصغير لشانه وتسميته بالرسول
سخرية منهم كالهم قالوا ما لهذا الزاعم وانه رسول ونحوه قول فرعون ان رسولكم
الذي ارسل اليكم لمجنون اي ان صح انه رسول فما باله حاله مثل حالنا ياكل الطعام
كما ناكل ويتردد في الاسواق لطلب المعاش كما نتردد يعنون انه كان يجب
ان يكون ملكا مستغنيا عن الاكل والتعيش ثم نزلوا عن اقتراحهم ان يكون ملكا الى
اقتراح ان يكون انسانا معه ملك حتى يتساندا في الانذار والتخويف ثم نزلوا ايضا
فقالوا وان لم يكن مرفودا بملك فليكن مرفودا بكنز يلقى اليه من السماء يستظهر به
ولا يحتاج الى تحصيل المعاش ثم نزلوا فاقتنعوا بان يكون رجلا له بستان ياكل
منه ويرتزق كما للدهاقين والمياسير او ياكلون هم من ذلك البستان
فينتفعون به في دنياهم ومعاشهم واراد بالظالمين اياهم باعيانهم وضع

الظاهر موضع المضمر يستحل بالظلم فيما قالوا وقوي فيكون بالرفع او يكون له جنة بالياء
وناكل بالنون فان قلت ما وجه الرفع والنصب في يكون قلت النصب
لانه جواب لولا بمعنى هلا وحكمه حكم الاستفهام والرفع على انه معطوف على انزل
ومحله الرفع الانزال تقول لولا ينزل بالرفع وقد عطف عليه يلقى ويكون
مرفوعين ولا يجوز النصب فيهما لانهما في حكم الواقع بعد لولا ولا يكون الا مرفوعا
والقائلون هم كفار قريش النضر بن الحارث وعبد الله ابن ابي امية ونوفل ابن
ابي حويلد ومن ضاهاهم مسحورا سحر فغلب على عقله او ذا سحر وهو الرئة عنوا انه
بشر لا ملك انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا
ضربوا لك الامثال اي قالوا فيك تلك الاقوال واخترعوا فيك تلك الصفات
والاحوال النادرة من نبوة مشتركة بين انسان وملك واي لقاء كنز عليك
من السماء وغير ذلك فبقوا متحيرين ضلالا لا يجدون قوة لا يستقرون عليه
او فضلوا عن الحق فلا يجدون طريقا اليه تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا
من ذلك جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا تكاثر خير الذي
ان شاء وهب لك في الدنيا خيرا مما قالوا وهو ان يعجل لك مثل ما وعدك في الاخرة
من الجنات والقصور وقوي ويجعل بالرفع عطفا على جعل لان الشرط اذا وقع
ماضيا جاز في جزائه الجزم والرفع كقوله وان اتاه فقير يوم مسئلة يقول
لا غائب مالي ولا حرم ويجوز في ويجعل لك اذا ادغمت ان تكون اللام في تقديرا
الجزم والرفع جميعا وقرئ بالنصب على انه جواب الشرط بالواو بل كذبوا بالساعة
واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا بل كذبوا عطف على ما حكي عنهم يقول بل اتوا
باعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة ويجوز ان يتصل بما يليه كانه قال
بل كذبوا بالساعة فكيف يلتفتون الى هذا الجواب وكيف يصدقون بتعجيل مثل
ما وعدك في الاخرة وهم لا يؤمنون بالاخرة السعير النار الشديدة الاستعار
وعن الحسن انه اسم من اسماء جهنم اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا
رأتهم من قولهم دورهم تتراءى وتتناظر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
لا تراءى ناراهما كان بعضها يرى بعضا على سبيل المجاز والمعنى اذا كانت منهم بمرأى
الناظر في البعد سمعوا صوت غليانها وشبه ذلك بصوت المتغيظ والزافر

ويجوز

ويجوز ان يراد اذا رأتهم زبانيتها تغيظوا وزفروا غضبا على الكفار وشهوة للانتقام
منهم واذا القوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا لا تدعوا اليوم ثبورا وا
حدا وادعوا ثبورا كثيرا الكرب مع الضيق كما ان الروح مع السعة ولذلك
وصف الله تعالى الجنة بان عرضها السموات والارض وجاء في الاحاديث ان لكل مؤمن
من القصور والجنان كذا وكذا ولقد جمع الله على اهل النار انواع التضييق والا
رهاق حيث القاهم في مكان ضيق يتراصون فيه تراصا كما روي عن ابن
عباس رضي الله عنهما في تفسير انه يضيق عليهم كما يضيق الزج في الرمح وهم مع
ذلك الضيق مسلسلون مقرنون في السلاسل قرنت ايديهم الى اعناقهم في الا
غلال وقيل يقرن مع كل كافر شيطانه في سلسلة وفي ارجلهم الاصفاد والثبور
الهلاك ودعاؤه ان يقال واثبوراه اي تعال يا ثبور فهذا حينك وزمانك لا تدعوا
اي يقال لهم ذلك او هم احقاء بان يقال لهم وان لم يكن ثم قول ومعنى وادعوا ثبورا
كثيرا انكم وقعتم فيما ليس بثبوركم فيه واحدا انما هو ثبور كثير اما لان العذاب انواع
والوان كل نوع منها ثبور لشدته وفظاعته او لانهم كلما نضجت جلودهم بدلوا غيرها
فلا غاية لهلاكهم اقل اذا لك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم
جزاء ومصيرا الراجع الى الموصولين محذوف يعني وعدهما المتقون وما يشاؤونه و
انما قيل كانت لان ما وعده الله وحده فهو في تحققه كانه قد كان او كان مكتوبا
في اللوح قبل ان يراهم بارمنة متطاولة الجنة جزاؤهم ومصيرهم فان قلت
ما معنى قوله كانت لهم جزاء ومصيرا قلت هو كقوله تعالى نعم الثواب
وحسنت مرتفقا فمدح الثواب ومكانه كما قال تعالى بئس الشراب وساءت
مرتفقا فذم العقاب ومكانه لان النعيم لا يتم للمتنعم الا بطيب المكان وسعته
وموافقته للمراد والشهوة والا تنغص وكذلك العقاب تتضاعف بغباوة
الموضع وضيقه وظلمته وجمعه لاسباب الاحتواء والكراهة فلذلك ذكر
المصير مع ذكر الجزاء لهم فيها ما يشاؤون خالدين كان على ربك وعدا مسؤولا والضمير
في كان لما يشاؤون والوعد المؤدى كان ذلك موعودا واجبا على ربك انجازه
حقيقا ان يسالك ويطلب لانه جزاء واجر مستحق وقيل قد ساله الناس والملائكة
في دعواتهم ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة

حسنة ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ويوم يحشرهم وما يعبدون من دو
ن الله فيقول انتم اضللتم عبادي هولاء ام هم ضلوا السبيل يحشرهم فيقول كلاهما بالنون
والياء وقرئ يحشرهم بكسر الشين وما يعبد يريد المعبودين من الملائكة والمسيح وعزير
وعن الكلبي الاصنام ينطقها الله تعالى ويجوز ان يكون عاما لهم جميعا فان قلت
كيف استعمال ما في العقلاء قلت هو موضوع على العموم للعقلاء وغيرهم بدليل
قولك اذا رايت شبحا من بعيد ما هو فاذا قيل لك انسان قلت حينئذ من هو ويد
لك قولهم من لما يعقل او اريد به الوصف كانه قيل ومعبوديهم الاتراك تقول اذا
اردت السوال عن صفة زيد ما زيد تعني اطويل ام قصير افقيه ام طبيب فان
قلت ما فايدة انتم وهم وهلا قيل اضللتم عبادي هولاء ام ضلوا السبيل قلت
ليس السوال عن الفعل ووجوده لانه لولا وجوده لما توجه هذا العتاب وانما
هو عن متوليه فلا بد من ذكره وايلائه حرف الاستفهام حتى يعلم انه المسئول عنه
فان قلت فالله سبحانه قد سبق علمه بالمسئول عنه فما فايدة هذا السوال قلت فايدته
ان يجيبوا بما اجابوا به حتى يبكت عبدتهم بتكذيبهم اياهم فيبهتوا وينخزلوا وتزيد حسرتهم
ويكون ذلك نوعا مما يلحقهم من غضب الله تعالى وعذابه ويغتبط المومنون ويفرحوا
بحالهم وبخاطفهم من فضيحة اوليك وليكون حكاية ذلك في القران لطفا للمكلفين وفيه
كسر بين لقول من يزعم ان الله يضل عباده على الحقيقة حيث يقول للمعبودين من دونه
ءانتم اضللتموهم ام هم ضلوا بانفسهم فيقرون من اضلالهم ويستعيذون به ان يكونوا
مضلين ويقولون بل انت تفضلت من غير سابقة على هولاء وابايهم تفضل جواد
كريم فجعلوا النعمة التي حقها ان تكون سبب الشكر سبب الكفر ونسيان الذكر وكان
ذلك سبب هلاكهم فاذا ابرات الملايكة والرسل انفسهم من نسبة الاضلال الذي
هو عمل الشياطين اليهم واستعاذوا منه فهم لربهم العتي العدل اشد تبرية وتنزها
منه ولقد نزهوه حين اضافوا اليه التفضل بالنعمة والتمتيع بها واسندوا نسيان
الذكر والتنبه به للبوار الى الكفرة فشرحوا الاضلال المجازي الذي اسنده الله تعالى
الى ذاته المقدس في قوله يضل من يشاء ولو كان هو المضل على الحقيقة لكان الجواب
الفيد ان يقولوا بل انت اضللتهم والمعنى ءانت وقعتهم في الضلال عن طريق الحق
ام هم ضلوا عنه بانفسهم وضل مطاوع اضله وكان القياس ضل عن السبيل

الا انهم

الا انهم تركوا الجار كما تركوه في هذاه الطريق والاصل الى الطريق والطريق وقولهم
اضل البعير في معنى جعله ضالا اي ضايعا لما كان اكثر ذلك بتفريط من صاحبه
وقلة احتياط في حفظه قيل اضله سوا كان منه فعل او لم يكن قالوا سبحانك ما كان
ينبغي لنا ان نتخذ من دونك اولياء ولكن متعتهم واباهم حتى نسوا الذكر او كانوا
قوما بورا سبحانك تعجب منهم قد تعجبوا مما قيل لهم لانهم ملايكة وانبيا معصو
مون فما ابعدهم عن الاضلال الذي هو مختص بابليس وحزبه او نطقوا سبحانك
ليدلوا على انهم المسبحون المقدسون الموسومون بذلك فكيف يليق بحالهم ان
يضلوا عباده او قصدوا به تنزيهه عن الانداد وان يكون له ملك او نبي او غيرهما
ندا ثم قالوا ما كان يصح انا ولا يستقيم ونحن معصومون ان نتولى احدا دونك
فكيف يصح لنا ان نحمل غيرنا على ان يتولونا دونك او ما كان ينبغي لنا ان نكون
امثال الشياطين في توليهم الكفار كما تولاهم الكفار قال الله تعالى فقاتلوا اولياء
الشيطان يريد الكفة وقال والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت وقرا ابو جعفر
المدني نتخذ على البناء للمفعول وهذا الفعل يعني اتخذ يتعدى الى مفعول واحد
كقولك اتخذ وليا والى مفعولين كقولك اتخذ فلانا وليا قال الله تعالى ام اتخذوا
الهة من الارض وقال واتخذ الله ابراهيم خليلا فالقراة الاول من المتعدي الى وا
حد وهو من اولياء الاصل وان نتخذ اولياء فزيدت من لتاكيد معنى النفي والثانية من
المتعدي الى مفعولين فالاول ما بني له الفعل والثاني من اولياء ومن للتبعيض اي
لا نتخذ بعض اولياء وتنكير اولياء من حيث انهم اولياء مخصوصون وهم الجن والا
صنام والذكر ذكر الله والايمان به او القران والشرايع والبور الهلاك يوصف
به الواحد والجمع ويجوز ان يكون جمع بائر كعايذ وعوذ فقد كذبوكم بما تقولون فما
تستطيعون صرفا ولا نصرا ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا هذه المفاجاة
بالاحتجاج والالزام حسنة رايعة وخاصة اذا انضم اليها الالتفات وحذف
القول ونحوها قوله عز وعلا يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة
من الرسل ان تقولوا ما ناس بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير وقول القايل
قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا ثم القفول فقد جينا خراسانا وقرئ يقولون
بالياء والتاء فمعنى من قرا بالتاء فقد كذبوكم بقولكم انهم الهة ومعنى من قرا بالياء

فقد كذبوكم بقولهم سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اولياء فان قلت
هل تختلف حكم الباء مع التاء والياء قلت اي واله هي مع التاء كقوله تعالى بل
كذبوا بالحق لما جاءهم والجار والمجرور بدل من الضمير كانه قيل فقد كذبوا بما تقولون وهي مع الياء
كقولك كتبت بالقلم وقرئ ستطيعون بالتاء والياء انصافا لعني فما يستطيعون ايها الكفار
صرف العذاب عنكم وقيل الصرف التوبة وقيل الحيلة من قولهم انه ليتصرف اي يحتال
او فما يستطيع الهتكم ان يصرفوا عنكم العذاب وان تحتالوا لكم الخطاب على العموم للمكلفين
والعذاب الكبير لاحق بكل من ظلم والكافر ظالم لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم والفاسق
ظالم لقوله تعالى ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون وقرئ يذقه بالياء وفيه لضمير
الله تعالى او ضمير مصدر نظلم وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون
في الاسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون وكان ربك بصيرا المحنة بعد المحنة
صفة لموصوف محذوف وللمعنى وما ارسلنا قبلك احدا من المرسلين الا اكلين وماشين
وانما حذف اكتفاء بالجار والمجرور اعني من المرسلين ونحوه قوله عز وعلا وما منا الا له مقام
معلوم على معنى وما منا احد وقرئ ويمشون على البناء للمفعول اي يمشيهم جواجم او الناس
ولو قرئ يمشون لكان اوجه لولا الرواية وقيل هو احتجاج على من قال مال هذا الرسول
يأكل الطعام ويمشي في الاسواق بعد ما اوحي عليهم بسائر الرسل يقول وجرت عادتي
وموجب حكمتي على ابتلاء بعضكم ايها الناس ببعض والمعنى انه ابتلى المرسلين بالمرسل
اليهم وبمناصبتهم لهم العداوة واعيا وليهم الخارجة عن حد الانصاف وانواع افاعيهم
وطلب منهم الصبر الجميل ونحوه ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن
الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور وموقع
التصرون بعد ذكر الفتنة موقع ايكم بعد الابتلاء في قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن
عملا بصيرا عالما بالصواب فيما يبتلى به وغيره فلا يضيقن صدرك ولا تستخفك
اقاويلهم فاني ناصر في صبرك عليها سعادتك وفوزك في الدارين وقيل هو تسلية له
عما عيروه به من الفقر حيث قالوا او يلقى اليه كنزا او تكون له جنة وانه جعل الاغنياء فتنة
للفقراء ليتبين هل يصبرون وانها حكمة رمستة يغني من يشاء ويفقر من يشاء
وقيل جعلناك فتنة لهم لانك لو كنت غنيا صاحب كنوز وجنان لكان
يسلم اليك وطاعتهم لك للدنيا او مزوية بالدنيا فانما بعثناك فقيرا ليكون

طاعة من يطيعك خالصة لوجه الله من غير طمع دنيا وتي وقيل كان ابو جهل والوليد بن
المغيرة والعاص بن وايل ومن في طبقتهم يقولون أن سلمنا وراسلم قبلنا عمار وصهيب
بلال وفلان وفلان ترفعوا علينا او لا لانا بالسابقة فهو افتتان بعضهم ببعض وقال الذين
لا يرجون لقاءنا لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا لقد استكبروا في انفسهم وعتوا
عتوا كبيرا اي لا يأملون لقاءنا بالخير لانهم كفرة او لا يخافون لقاءنا بالشر والرجاء في لغة
بهامة للخوف وبه فسر قوله عز وجل لا ترجون الله وقارا جعلت البصيرة لي الدار
بمنزلة لقاءه لو كان ملقيا فسروا من الايات ان ينزل الله عليهم الملائكة فيخبرهم
بان محمدا صادق حتى يصدقوه او يروا الله جهرة فيأمرهم بتصديقه واتباعه
ولا يخلوا اما ان يكونوا عالمين بأن الله لا يرسل الملائكة الى غير الانبياء وان الله لا يصح
ان يرى وانما علقوا ايمانهم بما لا يكون وانا ان لا يكونوا عالمين بذلك وانما اراد والتعنت
باقتراح ايات سوى الايات التي نزلت وقامت بها الحجة عليهم كما فعل قوم موسى
حين قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فان قلت ما معنى في انفسهم قلت
معناه انهم اضمروا الاستكبار عن الحق وهو الكفر والعناد في قلوبهم واعتقدوه كما قال
تعالى ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه وعتوا وتجاوزوا الحد في الظلم تعالى عتى سلمنا
فلان وقد وصف العتو بالكبير فبالغ في افراطه يعني انهم لم يكتفوا على هذا القول العظيم
الا انضم اليه غاية الاستكبار واقصى العتو والام جواب قسم محذوف وهذه الجملة
في حسن السكت فيها غاية وفي اسلوبها قول القائل وغارة حمراء الخ انانا بنا بها كلبيا علت
بأن كلبا بواوها وفي نحو هذا الفعل دليل على التعجب من لفظ التعجب الا ترى ان
المعنى ما اشد استكبارهم وما اكبر عتوهم وما اغلى نابا بواوها كلب يوم يرون للملائكة
لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا يوم يرون منصوب باذكر يسبان
اما بما دل عليه لا بشرى او يوم يرون الملائكة يمنعون البشرى او بعد موتهم ويؤ
يدئذ للتكرير واما باضمار اذكر اي اذكر يوم يرون الملائكة ثم قال لا بشرى يومئذ
للمجرمين اما ظاهر في موضع ضمير واما لانه عام فقد تناولهم بعمومه حجرا محجورا ذكره
سيبويه في باب المصادر غير المتصرفة المنصوبة بافعال متروك اظهارها نحو معاذ
الله وقعدك وعمرك وهذه كلمة كانوا يتكلمون بها عند لقاء عدو موتور او
هجوم نازلة او نحو ذلك يفعول حجرا وهي من حجره اذا منعه لان المستعيذ طالب

من الله ان يمنع المكروه فلا يلحقه فكان المعنى اسال الله ان يمنع ذلك منعا ويحجره حجرا ومحبة
على فعل او فعل في قراة الحسن تصرف فيه لاختصاصه بموضع واحد كما كان قعدك وعمرك
كذلك وانشدت لبعض الرجاز قالت وفيها حيرة وذعر عود بربي منكم وحجر
فان قلت فاذ قد ثبت انه من باب المصادر فما معنى وصفه بمحجور قلت
جات هذه الصفة لتاكيد معنى الحجر كما قالوا ذيل ذايل والذيل الهوان وموت مايت
والمعنى في الاية انهم يطلبون نزول الملايكة ويقترحونه وهم اذا راوهم عند الموت
او يوم القيامة كرهوا لقاهم وفزعوا منهم لانهم لا يلقونهم الا بما يكرهون وقالوا عند رويتهم
ما كانوا يقولونه عند لقاء العدو الموتور والشدة النازلة وقيل هو من قول الملايكة
ومعناه حراما محرما عليكم الغفران والجنة او البشرى اي جعل الله ذلك حراما عليكم
وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناها منثورا اليس ههنا قدوم ولا ما يشبه القدوم
ولكن مثلت حال هولاء واعمالهم التي عملوها في كفرهم من صلة رحم واغاثة ملهوف وقرى
ضيف ومن على اسير وغير ذلك من مكارمهم ومحاسنهم بحال قوم خالفوا سلطانهم وا
ستعصوا عليه فقدم الى اسبابهم وقصد الى ما تحت ايديهم فافسدها ومزقها كل ممزق
ولم يترك لها اثرا ولا عثيرا والهباء ما يخرج من الكوة مع ضوء الشمس شبيه بالغبار وفي
امثالهم اقل من الهباء منثورا صفة للهباء شبهه بالهباء في قلته وحقارته
عنده تعالى وانه لا ينتفع به ثم بالمنثور منه لانك تراه منتظما مع الضوء فاذا احركته
الريح رايته قد تناثر وذهب كل مذهب ونحوه قوله تعالى كعصف ماكول لم
يكف ان شبههم بالعصف حتى جعله موصوفا بالاكال ولا ان شبه عملهم بالهباء حتى
جعله متناثرا او مفعول ثالث لجعلناه اي فجعلناه جامعا لحقارة الهباء والتناثر
كقوله تعالى كونوا قردة خاسيين اي جامعين للمسخ والخسي ولام الهباء واو بدليل
الهبوة اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا المستقر المكان الذي يكون فيه
في اكثر اوقاتهم مستقرين متحادثين يتجالسون ويتحادثون والمقيل المكان الذي ياوون
اليه للاسترواح الى ازواجهم والتمتع بمغازلتهن وملامستهن كما ان المترفين في الدنيا
يعيشون على ذلك الترتيب وروي انه يفرغ من الحساب في نصف ذلك
اليوم فقيل اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار وفي معناه قوله عز وعلا ان
اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم وازواجهم في ظلال على الارايك متكيون

قيل

قيل في تفسير الشغل اقتضاض الابكار ولا نوم في الجنة وانما سمي مكان دعتهم واستر
واحهم الى الحور مقيلا على طريق التشبيه وفي لفظ الاحسن رمز الى ما يتزين به مقيلهم
من حسن الوجوه وملاحة الصور الى غير ذلك من التحاسين والصور والزين ويوم
تشقق السما بالغمام ونزل الملايكة تنزيلا وقرى تشقق والاصل تتشقق فحذف
بعضهم التاء وغيره ادغمها ولما كان انشقاق السماء بسبب طلوع الغمام منها
جعل الغمام كانه الذي تشق به السماء كما تقول شق السنام بالشفرة وانشق بها
ونظيره قوله عز وجل السما منفطر به فان قلت اي فرق بين قولك
انشقت الارض بالنبات وانشقت عن النبات قلت معنى انشقت
به ان الله تعالى شقها بطلوعه فانشقت به ومعنى انشقت عنه ان التربة
ارتفعت عنه عند طلوعه والمعنى ان السماء تنفتح بالغمام يخرج منها وفي الغمام
الملايكة ينزلون وفي ايديهم صحايف الاعمال وروي تنشق سما سما وتنزل الملايكة الى الارض
وقيل هو غمام ابيض رقيق مثل الضبابة ولم يكن الا لبني اسرائيل في تيههم وفي معناه
قوله تعالى هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملايكة قرى وتنزل الملايكة
ونزل ونزل الملايكة ونزلت الملايكة وانزل الملايكة ونزل الملايكة على حذف النون
الذي هو فا الفعل من تنزل قراة اهل مكة الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على
الكافرين عسيرا الحق الثابت لان كل ملك يزول يومئذ ويبطل ولا يبقى الا ملكه
ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا عض اليدين
والانامل والسقوط في اليد واكل البنان وحرف الاشنان والارم وقرعها كنايات
عن الغيظ والحسرة لانها من روادفهما فتذكر الرادفة ويدل بها على المردوف
فيرتفع الكلام في طبقة الفصاحة ويجد السامع عنده من الروعة والاستحسان
ما لا يجده عند لفظ المكنى عنه وقيل نزلت في عقبة بن ابي معيط ابن امية بن
عبد شمس وكان يكثر مجالسة رسول الله عليه السلام وقيل اتخذ ضيافة فدعا اليها
رسول الله عليه السلام فابى ان ياكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان
ابي بن خلف صديقه فعاتبه وقال صبات يا عقبة قال لا ولكن الى ان لا ياكل
من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت له والشهادة ليست في نفسي
فقال وجهي من وجهك حرام ان لقيت محمدا فلم تطا قفاه وتبزق في وجهه

وتلطم عنه فوجده ساجدًا في دار الندوة فعمل ذلك فقال عليه السلام لا التاك
خارجًا من مكة الا علوت راسك بالسيف فقتل يوم بدر امر عليٌ رضي الله عنه
فقتله وقيل قتله عاصم بن ثابت بن افلح الانصاري وقال يا محمد الي من البقيع قال
الى النار وطعن رسول الله عليه السلام ابيا باحد فرجع الى مكة فمات والام في
الظالم يجوز ان تكون للعهد يراد به عقبة خاصة ويجوز ان تكون للجنس فتتناول
عقبة وغيره تمنى ان لو صحب الرسول وسلك معه طريقا واحدًا وهو طريق
الحق ولم يتشعب به طرق الضلالة والطوي اوارادا اني كنت ضالا لم يكن لي سبيل
قط فليتني حصلت لنفسي في صحبة الرسول سبيلا يا ويلتى ليتني لم اتخذ فلانا خليلا
لقد اضلني عن الذكر بعد اذ جاني وكان الشيطان للانسان خذولا وقرئ يا ويلتي
بالياء وهو الاصل ولان الرجل ينادي ويلته وهي هلكته يقول طالما تعالى فهذا
اوانك وانما قلبت الياء الفا كما في صحاري ومدارا فلان كناية عن الاعلام كما ان
الطص كناية عن الاجناس فاه اريد بالظالم عقبة فما لمعنى ليتني لم اتخذ ابيا خليلا فكني
عن سلبه وان اريد به الجنس فكل من اتخذ من المضلين خليلا كان لخليله فسلمه علمًا
لا محالة فجعله كناية عنه عن الذكر عن ذكر الله او القرآن او موعظة الرسول ويجوز
ان يريد نطقه بشهادة الحق وكره على الاء سلام والشيطان اشارة الى خليله
سماه شيطانا لانه اصله كما يقال الشيطان ثم خذله ولم ينفعه في العاقبة اوارادا بليس
وانه هو الذي حمله على محالة المضل ومخالفة الرسول ثم خذله او اراد الجنس وكل
من شيطن من الجن والانس ويحتمل ان يكون وكان الشيطان حكاية كلام الظالم
وان يكون كلام الله تعالى اتخذت يقرأ على الادغام والاظهار والاء دغام اكثر
وقال الرسول يارب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا الرسول محمد عليه السلام
وقومه قريش حكى الله تعالى عنه شكواه قومه اليه وفي هذه الحكاية تعظيم
للشكاية وتخويف لقومه لان الانبياء كانوا اذا التجأوا اليه وشكوا اليه قومهم حل
بهم العذاب ولم ينظروا وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك
هاديا ونصيرا ثم اقبل عليه مسليا وموسيا وواعدا النصرة عليهم فقال و
وكذلك كان كل شيء قبلك مبتلى بعداوة قومه وكقال بي هاديا الى طريق قهرهم
والانتصار منهم وناصرا لك عليهم تهجورا تركوه وصدوا عنه وعن الايمان

عن النبي صلى الله عليه وسلم من تعلم القرآن وعلمه وعلق مصحفا لم يتعاهده ولم
ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقا به يقول يارب العالمين عبدك هذا اتخذني
مهجورا اقض بيني وبينه وقيل هو من هجر اذا هذى اي جعلوه مهجورا فيه
فحذف الجار وهو على وجهين احدهما زعمهم انه هذيان وباطل واسناطر الاولين
والثاني انهم كانوا اذا سمعوه هجروا فيه كقوله تعالى فانه عدو لي الا رب
العالمين وقيل المعنى وقال الرسول يوم القيامة وقال الذين كفروا لولا
انزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فوادك ورتلناه ترتيلا
نزل ههنا بمعنى انزل لا غير لخبو بمعنى اخبر والاكان متدافعا وهذا ايضا
من اعتراضاتهم واقتراحاتهم الدالة على سوء ادبهم عن الحق وتجافيهم عن اتباعه
قالوا هلا انزل عليه دفعة واحدة في وقت واحد كما انزلت الكتب
الثلثة وما له انزل على التفاريق والقائلون قريش وقيل اليهود وهذا فضول
من القول وسماه بما لا طائل تحته لان امر الاعجاز والاحتجاج به لا تختلف
بنزوله جملة واحدة او مفرقا وقوله تعالى كذلك جواب لهم اي كذلك
انزل مفرقا والحكمة فيه ان تقوى بتفريقه فوادك حتى تعيه وتحفظه
لان المتلقن انما يقوى قلبه على حفظ العلم شيئا بعد شيء وجزوا عقيب
جزء ولو القي عليه جملة واحدة لبعد به وتعيا بحفظه والرسول عليه
السلام فارقت حاله حال موسى وداود وعيسى حيث كان امتا لا يقرأ او
لا يكتب وهم كانوا قارئين كاتبين فلم يكن له بد من التلقن والتحفظ فانزل عليه
منجما في عشرين سنة وقيل في ثلث وعشرين وايضا فكان ينزل على حسب
الحوادث وجوابات السائلين ولان بعضه منسوخ وبعضه ناسخ ولا يتاتى
ذلك الا فيما انزل مفرقا فان قلت ذلك في كذلك يجب ان تكون اشارة
الى شيء تقدمه والذي تقدم هو انزاله جملة واحدة فكيف فسرته بكذلك
انزلناه مفرقا قلت لان قولهم لولا انزل عليه جملة معناه لم انزل
مفرقا والدليل على فساد هذا الاعتراض الطمع عجزوا عن ان ياتوا بنجم واحد
من نجومه وبحد واسورة واحدة من اصغر السور فابرزوا صفحة عجزهم
وسجلوا به على انفسهم حين لاذوا بالمناصبة وفزعوا الى المحاربة ثم قالوا

نزل جملة واحدة كما هم قدروا على تفاريق حتى يقدروا على جملته ورتلناه معطوف
على الفعل الذي تعلق به كذلك كانه قال كذلك فرقناه ورتلناه ومعنى ترتيله
ان قدره اية بعد اية وقفة عقيب وقفة ويجوز ان يكون المعنى وامرنا
ترتيل قراءته وذلك قوله عز وجل ورتل القران ترتيلا اي قراة بترتيل
وتثبت ومنه حديث عائشة ام المومنين رضي الله عنها في صفة قراءته لاكسرد
كم هذا لو اراد السامع ان يعد حروفه لعدها واصله الترتيل في الانسان وهو
تفليجها يقال ثغر رتل ورتل وليثة بنور الاقحوان في تفليجه وقيل هو ان ترتله
مع كونه متقرقا على تمكث وتمهل في مدة متباعدة وهي عشرون سنة ولم يفرقه في مدة
متقاربة ولا ياتونك بمثل الا جئناك بالحق واحسن تفسيرا ولا ياتونك سوال
عجيب من سوالاتهم الباطلة كقوله مثل في البطلان الا اتيناك نحن بالجواب الحق الذي
لا محيد عنه وبما هو احسن معنى وموديا من سوالهم ولما كان التفسير هو التكشيف
عما يدل عليه الكلام وضع موضع معناه فقالوا تفسير هذا الكلام كيت وكيت
كما قيل معناه كذا وكذا ولا ياتونك لحال وصفة عجيبة يقولون هلا كانت
هذه صفتك وحالك نحو ان تقرن معك ملك ينذر معك او يلقى اليك كنز او
تكون لك جنة او تنزل عليك القران جملة الا اعطيناك نحن من الاحوال
ما يحق لك في حكمتنا ومشيتنا ان تعطاه وما هو احسن تكتيفا لما بعثت عليه
ودلالة على صحته يعني ان تنزيله مفرقا وتحديهم بان ياتوا ببعض تلك التقارب
كما تنزل شيء منها اذ ظل في الاعجاز والنور للحجة من ان ينزل كله جملة ويقال طعنهم
جيوا بمثل هذا الكتاب في فصاحته مع بعد ما بين طرفيه الذين يحشرون
على وجوههم الى جهنم اولئك شر مكانا واضل سبيلا كانه قيل لهم ان الحامل لكم
على هذه السوالات انكم تضلون سبيله وتحقرون مكانه ومنزلته ولو نظر
ثم بعين الانصاف وانتم من المسحوبين على وجوههم الى جهنم للعلتم ان مكانكم شر من
مكانه وسبيلكم اضل من سبيله وفي طريقته قوله تعالى قل هل انبئكم بشر من ذلك
مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه الاية ويجوز ان يراد بالمكان الشرف
والمنزلة وان يراد الدار والمكن كقوله تعالى اي الفريقين خير مقاما واحسن
نديا ووصف السبيل بالضلال من الاسناد المجازي وعن النبي عليه السلام

يحشر الناس يوم القيامة على ثلثة اثلاث ثلث على الدواب وثلث على وجوههم وثلث
على اقدامهم يمشون نسلا ولقد اتينا موسى الكتاب وجعلنا معه اخاه هرون
وزيرا الوزارة لا تنافي النبوة فقد كان يبعث في الزمن الواحد انبيا رو
ويومرون بان يوازر بعضهم بعضا فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا فدمرناهم
تدميرا والمعنى قلنا اذهبا اليهم فكذبوهما فدمرناهم كقوله تعالى اضرب بعصاك
البحر فانفلق اي فضرب فانفلق اراد اختصار القصة فذكر حاشيتها واولها واخرها
لانها المقصود من القصة بطولها اعني الزام الحجة بعثة فدمرناهم الرسل والتحقاق
التدمير تكذيبهم عن علي رضي الله عنه فدمرتهم وعنه فدمرناهم وقرئ فدمرناهم
على التاكيد بالنون الثقيلة وقوم نوح لما كذبوا الرسل غرقناهم وجعلناهم للناس اية
واعتدنا للظالمين عذابا اليما كانهم كذبوا نوحا ومن قبله من الرسل صرحا او كان تكذيبهم
لواحد منهم تكذيبا للجميع اولم يروا بعثة الرسل اصلا كالبراهمة وجعلناهم وجعلنا اراءة
غرقهم او قصتهم للظالمين اما ان يعني بهم قوم نوح واصله واعتدنا لهم الا انه
قصد تظلمهم فاظهر واما ان يتناولهم بعمومه وعادا وثمود واصحاب الرس وقرونا
بين ذلك كثيرا عطف عاد اعلى هم في جعلناهم او على الظالمين لان المعنى وعدنا الظالمين
وقرى وثمودا وعلى ثاويل القبيلة واما المنصرف فعلى تاويل الحي او لانه
سلم الاب الاكبر قيل في اصحاب الرس كانوا قوما من عبدة الاصنام اصحاب ابار
ومواشي فبعث الله تعالى اليهم شعيبا عليه السلام فدعاهم الى الاسلام
فتمادوا في طغيانهم وايذائه فبينما هم حول الرس وهي البير غير المطوية عن
ابي عبيدة انهارت بهم فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة
قتلوا نبيهم فهلكوا وهم بقية ثمود قوم صالح وقيل هم اصحاب النبي عليه السلام
حنظلة بن صفوان كانوا مبتلين بالعنقاء وهي اعظم ما يكون من الطير سميت
لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتخ وهي تنقض على صبيانهم
فتخطفهم ان اعوزها الصيد فدعا عليها حنظلة فاصابتها الصاعقة ثم اطلعهم
قتلوا حنظلة فاهلكوا وقيل هم اصحاب الاخدود والرس هو الاخدود وقيل
الرس باذربيجان قتلوا فيها جريجا النجار وقيل كذبوا نبيهم ورسوه في بير اي
دسوه فيها بين ذلك اي بين ذلك المذكور وقد يذكر اكرانيا مختلفة ثم

يشير اليها بذلك ويحسب الحاسب اعدادا متكاثرة ثم يقول فذلك كيت وكيت
على معنى فذلك المحسوب او المعدود وكلا ضربنا له الامثال وكلا تبرنا تتبيرا
ضربنا له الامثال القصص العجيبة من قصص الاولين ووصفنا لهم ما اجروا
اليه من تكذيب الانبياء وجرى عليهم من عذاب الله وتدميره والتتبير التفتيت
والتكثير ومنه التبر وهو كسار الذهب والفضة والزجاج وكلا الاول
منصوب بما دل عليه ضربنا له الامثال وهو انذرنا او حذرنا ولقد ا
توا على القرية التي امطرت مطر السوء افلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون
نشورا اراد بالقرية سدوم من قرى قوم لوط وكانت خمسا اهلك الله تعالى
اربعا باهلها وبقيت واحدة ومطر السوء الحجارة يعني ان قريشا مروا مرارا كثيرة
في متاجرهم الى الشام على تلك القرية التي اهلكت بالحجارة من السماء افلم يكونوا في
مرار مرورهم ينظرون الى اثار عذاب الله تعالى ونكاله ويذكرون بل كانوا قوما كفرة
بالبعث لا يتوقعون نشورا وعاقبة فوضع الرجا موضع التوقع لانه انما يتوقع
العاقبة من يؤمن فمن ثم لم ينظروا ولم يذكروا ومروا بها كما مرت ركابهم او
لا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون لطمعهم في الوصول الى ثواب اعمالهم او لا يخا
فون على اللغة التهامية واذا راوك ان يتخذونك الا هزوا اهذا الذي بعث
الله رسولا ان الاولى نافية والثانية مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة
بينهما واتخذه هزوا في معنى استهزا به والاصل اتخذه موضع هزي او مهزوا
به اهذا محكي بعد القول المضمر وهذا استصغار وبعث الله رسولا واخراجه في
معرض التسليم والاقرار وهم على غاية الجحود والانكار سخرية واستهزاء ولو لم
يستهزؤا لقالوا هذا الذي زعم او ادعى انه مبعوث من عند الله رسولا ان
كاد ليضلنا عن الهتنا لولا ان صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون
العذاب من اضل سبيلا وقولهم ان كاد ليضلنا دليل على فرط مجاهدة
رسول الله عليه السلام في دعوتهم وبذله قصارى الوسع والطاقة في
استعطافهم مع عرض الايات والمعجزات عليهم حتى شارفوا بزعمهم ان
يتركوا دينهم الى دين الاسلام لولا فرط لجاجهم واستمساكهم بعبادة الهتهم
ولولا في مثل هذا الكلام جار من حيث والمعنى لا من حيث الطبيعة

مجرى

مجرى التقييد للحكم المطلق وسوف يعلمون وعيد ودلالة على انهم لا يفوتونه
وان طالت مدة الامهال ولا بد للوعيد ان يلحقهم فلا يغرنهم التاخير وقوله تعالى
من اضل سبيلا على الجواب عن قولهم ان كاد ليضلنا لانه نسبة لرسول الله الى الضلال
من حيث لا يضل غيره الا من هو ضال في نفسه ويروى انه من قول ابي جهل لعنه
الله ارايت من اتخذ الهه هواه افانت تكون عليه وكيلا من كان في طاعة الهوى
في دينه يتبعه في كل ما ياتي ويذر لا يتصور دليلا ولا يصغي الى برهان فهو عابد
هواه وجاعله الهه فيقول لرسوله هذا الذي لا يرى معبوده الا هواه كيف
تستطيع ان تدعوه الى الهدى افتتوكل عليه وتجبره على الاسلام ويقول لا بد
ان تسلم شئت او ابيت ولا اكراه في الدين وهذا كقوله عز وجل وما انت
عليهم بجبار لست عليهم بمصيطر ويروى ان الرجل منهم كان يعبد الحجر فاذا راى
احسن منه رمى به واخذ اخر ومنهم الحارث بن قيس السهمي ام تحسب ان كثيرهم
يسمعون او يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا ام هذه منقطعة
معناه بل اتحسب كان هذه المذمة اشد من الذي تقدمتها حتى حقت بالاضراب
عنها اليها وهي كونهم مسلوبي الاسماع والعقول لانهم لا يلقون الى استماع الحق اذنا
ولا الى تدبره عقلا ومشبهين بالانعام التي هي مثل في الغفلة والضلالة ثم ارجح ضلالة
منها فان قلت لم اخر هواه والاصل قولك اتخذ الهوى الها قلت ما هو الا
تقديم المفعول الثاني على الاول للعناية كما تقول علمت منطلقا ازيد الفضل عنايتك
بالمنطلق فان قلت ما معنى ذكر الاكثر قلت كان فيهم من لم يصده
عن الاسلام الا داء واحد وهو حب الرياسة وكفى به داء عضالا فان قلت
كيف جعلوا اضل من الانعام قلت لان الانعام تنقاد لاربابها التي تعلفها
وتتعهدها ويعرف من يحسن اليها ممن يسيء اليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب
ما يضرها وتهتدي لمراعيها ومشاربها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون
احسانه اليهم من اساءة الشيطان الذي هو عدوهم ولا يطلبون الثواب
الذي هو اعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو اشد المضار والمهالك
ولا يهتدون للحق الذي هو المشرع الهني والعذاب الروي الم تر الى ربك كيف
مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه

الشاه قبضا يسيرا الم تر الى ربك الم تنظر الى ربك وقدرته ومعنى مد الظل
ان جعله يمتد وينبسط فينتفع به الناس ولو شا لجعله ساكنا اي لاصقا باصل
كل مظل من جبل وبناء وبحيرة غير منبسط فلم ينتفع به احد سمي انبساط الظل
وامتداده تحركا منه وعدم ذلك سكونا ومعنى كون الشمس دليلا ان الناس
يستدلون بالشمس وباحوالها في مسيرها على احوال الظل من كونه ثابتا في
مكان وزايلا ومتسعا ومتقلصا فيبنون حاجتهم الى الظل واستغناهم عنه
على حسب ذلك وقبضه اليه انه ينسخه بضح الشمس يسيرا اي على مهل وفي هذا
القبض اليسير شيا بعد شي من المنافع ما لا يعد ولا يحصر ولو قبض دفعة وا
واحدة لتعطلت اكثر مرافق الناس بالظل والشمس جميعا فان قلت
ثم في هذين الموضعين كيف موضعها قلت موقعها البيان تفاضل الامور
الثلثة كان الثاني اعظم من الاول والثالث اعظم منهما تشبيها لتباعد ما بينهما
في الفضل بتباعد ما بين الحوادث في الوقت ووجه اخر وهو انه مد الظل
حين بني السماء كالقبة المضروبة ودحى الارض تحتها فالقت القبة ظلها على الارض
فيئا تاما في اربعة حوب لعدم النير ولو شا لجعله ساكنا مستقرا على تلك
الحالة ثم خلق الشمس وجعلها على ذلك الظل اي سلطها عليه ونصبها دليلا
متبوعا له كما يتبع الدليل في الطريق فهو يزيد بها وينقص ويمتد ويقلص
ثم نسخه بها فقبضه قبضا يسيرا سهلا غير عسير ويحتمل ان يريد قبضه
عند قيام الساعة بقبض اسبابه وهي الاجرام التي تلقي الظل فيكون قد ذكر
اعدامه باعدام اسبابه كما ذكر انشاه بانشا اسبابه وقوله تعالى قبضناه الينا
يدل عليه وكذلك قوله تعالى يسيرا كما قال تعالى ذلك حشر علينا
يسير وهو الذي جعل لكم الليل لباسا واليوم سباتا وجعل النهار نشورا
شبه ما يستر من ظلام الليل باللباس الساتر والسبات الموت والمسبوت
الميت لانه مقطوع الحيوة وهذا كقوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل
فان قلت هلا فسرته بالراحة قلت النشور في مقابلته
يأباه لبا العيون الورد وهو مرنق وهذه الاية مع دلالتها على قدرة الخالق
فيها اظهار لنعمته على خلقه لان الاحتجاب بسر الليل كم فيه لكثير من الناس

من فوايد

من فوايد دينية ودنيوية والنوم واليقظة وشبههما بالموت والحياة اي عبرة
فيهما لمن اعتبر وعن لقمان انه قال لابنه يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت
فتنشر وهو الذي ارسل الرياح نشرا بين يدي رحمته وانزلنا من السماء ما
طهورا لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسي كثيرا وقرى الريح والرياح
نشرا احياء ونشرا جمع نشور وهي المحيية ونشرا تخفيف نشر ونشرا
تخفيف نشر جمع نشور ونشري وبين يدي رحمته استعارة مليحة
اي قدام المطر طهورا بليغا في طهارته وعن محمد بن يحيى هو ما كان طاهرا في
نفسه مطهرا لغيره فان كان ما قاله شرحا لبلاغته في الطهارة كان سديدا
ويعضده قوله عز وجل وينزل عليكم من السماء ما ليطهركم به والا فليس فعول
من التفعيل في شي والطهور على وجهين في العربية صفة واسم غير صفة فالصفة
قولك ما طهور كقولك طاهر والاسم قولك لما يتطهر به طهور كالوضوء والوقود
لما يتوضأ به وتوقد به النار وقولهم تطهرت طهورا حسنا كقولك وضوءا
حسنا ذكره سيبويه ومنه وقوله صلى الله عليه وسلم لا صلاة الا بطهور
اي بطهارة فان قلت ما الذي يزيل عن الماء اسم الطهور قلت يتيقن
مخالطة النجاسة او غلبتها على الظن تغير احد اوصافه الثلثة او لم يتغير او استعماله
في البدن لاداء عبادة عند ابي حنيفة وعند مالك بن انس رحمة الله عليهما
ما لم يتغير اوصافه فهو طهور فان قلت فما تقول في احد قوله عليه
الصلاة والسلام حين سيل عن بير بضاعة فقال الماء طهور لا ينجسه شي الا ما غير
لونه او طعمه او ريحه قلت قال الواقدي كان بير بضاعة طريقا للماء الى البساتين
وانما قال ميتا لان البلدة في معنى البلد في قوله تعالى فسقناه الى بلد ميت وانه
غير جار على الفعل كقوله ومفعال ومفعيل وقرى نسقيه بالفتح وتسقى واسقى
لغتان وقيل اسقاه جعل له سقيا الاناسي جمع انسي اي انسان ونحوه ظرا
ني في ظريان على قلب النون ياء والاصل اناسين وظرانين وقرى بالتخفيف
بحذف ياء افاعيل كقولك اناعم في اناعيم فان قلت انزال الماء موصوفا
بالطهارة وتعليله بالاحياء والسقي يوذن بان الطهارة شرط في صحة
ذلك كما تقول حملني الامير على فرس جواد لاصيد عليه الوحش

قلت لما كان سقي الاناسي من جملة ما انزل له الماء وصفه بالطهور اكرا
مالهم وتتميما للمنة عليهم وبيانا ان من حقهم حين اراد الله لهم الطهارة وا
رادهم عليها ان يوثروها في بواطنهم ثم في ظواهرهم وان يربا وا بانفسهم
عن مخالطة القاذورات كلها كما ربا لهم فان قلت لم خص الانعام من
بين ما خلق من الحيوان الشارب قلت لان الطير والوحش يتبعد
في طلب الماء فلا يعوزها الشرب بخلاف الانعام ولانها قنية الاناسي و
عامة منافعهم متعلقة بها فكان الانعام عليهم بسقي انعامهم كالانعام بسقيهم
فان قلت فما معنى تنكير الانعام والاناسي ووصفها بالكثرة قلت
معنى ذلك ان علية الناس وجلهم مسخون بالقرب من الاودية والانهار
ومنابع الماء فهم غنية عن سقي الماء واعقابهم وهم كثير منهم لا يعيشهم
الا ما ينزل الله تعالى من رحمته وسقيا سمائه وكذلك قوله تعالى لنحيي به بلدة
ميتا يريد بعض بلاد هولاء المبتعدين من مظان الماء فان قلت لم قدم
احيا الارض وسقي الانعام على سقي الاناسي قلت لان حياة الاناسي بحياة
ارضهم وحيوة انعامهم فقدم ما هو سبب حياتهم وتعيشهم على سقيهم ولانهم
اذا ظفروا بما يكون سقيا ارضهم ومواشيهم لم يعدموا سقياهم ولقد صرفناه بينهم
ليذكروا فابى اكثر الناس الا كفورا يريد ولقد صرفنا هذا القول بين الناس
في القران وفي سائر الكتب والصحف التي انزلت على الرسل وهو ذكر
نشاء السحاب وانزال القطر ليتفكروا ويعتبروا ويعرفوا حق النعمة فيه
ويشكروا فابى اكثرهم الا كفران النعمة وجحودها وقلة الاكتراث لها
وقيل صرفنا المطر بينهم في البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة
وعلى الصفات المتفاوتة من وابل وطل وجود ورذاذ وديمة
ورهام فابوا الا الكفور وان يقولوا مطرنا بنوء كذا ولا يذكروا صنع
الله تعالى ورحمته وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما من عام اقل مطرا من عام
ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ما شاء وتلا هذه الاية وروي ان الملائكة
يعرفون عدد المطر ومقداره في كل عام لانه لا يختلف ولكن يختلف فيه
البلاد وسينتزع من ههنا جواب في تنكير البلدة والانعام والاناسي كانه قال

لنحيي

لنحيي به بعض البلاد الميتة ونسقيه بعض الانعام والاناسي وذلك البعض كثير
فان قلت هل يكفر من ينسب المطر الى الانواء قلت ان كان لا يراها
من الانواء ويجحد ان تكون هي والانواء من خلق الله تعالى فهو كافر وان كان
يرى ان الله خالقها وقد نصب الانواء دلايل وامارات عليها لم يكفر ولو شئنا لبعثنا
في كل قرية نذيرا فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا يقول لرسوله صلى الله
عليه وسلم ولو شئنا لخففنا عنك اعباء نذارة جميع القرى ولبعثنا في كل
قرية نبيا ينذرها وانما قصرنا الامر عليك وعظمناك واجللناك وفضلناك
على ساير الرسل فقابل ذلك بالتشدد والتصبر ولا تطع الكافرين فيما يريدونك
عليه وانما اراد بهذا تهييجه وتهييج المؤمنين وتحريكهم والضمير للقران او لترك
الطاعة الذي يدل عليه ولا تطع والمراد ان الكفار يجدون ويجتهدون في توهين
امرك فقابلهم من جدك واجتهادك وعضك على نواجذك بما تغلبهم به وتعلوهم
وجعله جهادا كبيرا لما يحتمل فيه من المشاق العظام ويجوز ان يرجع الضمير في به
الى ما دل عليه ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا من كونه نذير كافة القرى لانه لو بعث
في كل قرية نذيرا لوجبت على كل نذير مجاهدة قريته فاجتمعت على رسول الله عليه
السلام تلك المجاهدات كلها فكبر جهاده من اجل ذلك وعظم فقال له وجاهدهم
بسبب كونك نذير كافة القرى جهادا كبيرا جامعا لكل مجاهدة وهو الذي مرج
البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا سمي
الماءين الواسعين الكبيرين بحرين والفرات البليغ العذوبة حتى يضرب الى
الحلاوة والاجاج نقيضه ومرجهما خلاهما متجاورين متلاصقين وهو بقدرته يفصل
بينهما ويمنعهما التمازج وهذا من عظيم اقتداره وفي كلام بعضهم وبحران احدهما مع
الاخر ممزوج وما العذب منهما بالاجاج ممزوج برزخا حايلا من قدرته كقوله
تعالى بغير عمد ترونها يريد بغير عمد مرئية وهي القدرة وقرئ ملح على فعل وقيل
كانه حذف من مالح تخفيفا كما قال وصلبانا بردا يريد باردا فان قلت وحجرا محجورا
ما معناه قلت هي الكلمة التي يقولها المتعوذ وقد فسرناها وهي ههنا حجرا محجورا
كما قال لا يبغيان اي لا يبغي احدهما على صاحبه بالممازجة فانتفاء البغي ثمة
كالتعوذ ههنا جعل كل واحد منهما في صورة الباغي على صاحبه بالممازجة

فانتفاء البغي تمة كالتعوذ ههنا جعل كل واحد منهما في صورة الباغي على صاحبه
بالمعارضة فهو يتعوذ منه وهي من احسن الاستعارات واشهدها على البلاغة
وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا اراد
فتقسيم البشر قسمين ذوي نسب ذكورا ينتسب اليهم يقال فلان بن فلان وفلانة
بنت فلان وذوات صهر اي اناثا يصاهر بهن ونحوه قوله عز وجل فجعل منه
الزوجين الذكر والانثى وكان ربك قديرا اجيب خلق من النطفة الواحدة
بشرا نوعين ذكرا وانثى ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم وكان
الكافر على ربه ظهيرا اي مظاهرا كالعون والمعاون وفعيل بمعنى مفاعل
سيبويه غريزي والمعنى ان الكافر بمظاهرة الشيطان على ربه بالعداوة والشرك روي انها
تركت في ابي جهل ويجوز ان يريد بالظهير الجماعة كقوله تعالى والملائكة بعد ذلك
ظهيرا كما جاء الصديق والخليط ويريد بالكافر الجنس وان بعضهم مظاهر لبعض
على اطفاء نور دين الله تعالى وقيل معناه وكان الذي يفعل هذا الفعل وهو
عبادة ما ينفع ولا يضر على ربه ضينا محضا من قولهم ظهرت به اذا خلفته خلف
ظهرك لا تلتفت اليه وهذا الخوقوله تعالى اولئك لا خلاق لهم في الاخرة ولا يكلمهم
الله ولا ينظر اليهم وما ارسلناك الا مبشرا ومنذرا قل ما اسئلكم عليه من اجر الا من
شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا مثال الامر شاء المراد الا فعل من شاء واستثناء ليس
عن الاجر قول ذي شفقة عليك قد سعى لك في تحصيل مال ما اطلب منك
ثوابا على ما سعيت الا ان تحفظ هذا المال ولا تضيعه فليس حفظك المال لنفسك
من جنس الثواب ولكن صورته هو بصورة الثواب وسماه باسمه فافاد فائدتين
احديهما قلع شبهة الطمع في الثواب من اصله كانه يقول لك ان حفظك لمالك
ثوابا فاني اطلب الثواب والثانية اظهار الشفقة البالغة وانك ان حفظت
مالك اعتد بحفظك ثوابا ورضي به كما يرضى المثاب بالثواب ولعمري ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان مع المبعوث اليهم هذا القدر وفوقه ومعنى اتخاذهم
الى الله سبيلا تقربهم اليه وطلبهم عنده الزلفى بالايمان والطاعة وقيل المراد
التقرب بالصدقة والنفقة في سبيل الله وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح
بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا امره بان يثق به ويسند امره اليه في اكتفاء

سرورهم مع التمسك بقاعدة التوكل واساس الاتكاء وهو طاعته وعبادته وتنزيهه
وتحميده وعرفه ان الحي الذي لا يموت حقيق بان يتوكل عليه وحده ولا يتكل على غيره
من الاحياء الذين يموتون وعن بعض السلف انه قرأها فقال لا ينبغي لذي عقل ان
يثق بعد هذا بمخلوق ثم اراه ان ليس اليه من امر عباده شيء امنوا ام كفروا وانه خبير
باحوالهم كاف في جزاء اعمالهم الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام
ثم استوى على العرش الرحمن فسئل به خبيرا في ستة ايام يعني في قدر مقدارها
هذه المدة لانه لم يكن حينئذ نهار ولا ليل وقيل ستة ايام من ايام الاخرة وكل يوم
الف سنة والظاهر انها من ايام الدنيا وعن مجاهد انها طوال يوم الاحد واحرها يوم
الجمعة ووجه ان يسمي الله تعالى الملائكة تلك الايام المقدرة بهذه الاسماء فلما خلق الشمس
وادارها وترتيب العالم على ما هو عليه جرت التسمية على هذه الايام واما الداعي
الى هذا العدد اعني الستة دون سائر الاعداد فلا نشك انه داع حكمة لعلمنا انه
لا يقدر تقديرا الا لداع حكمة وان كنا لا نطلع عليه ولا طمعنا في معرفته ومن ذلك
تقدير الملائكة الذين هم اصحاب النار بتسعة عشر وحملة العرش بثمانية والشهور
باثني عشر والسموات سبعا والارض كذلك والصلوات خمسا واعداد النصب
والحدود وغير ذلك والاقرار بداعي الحكمة في جميع افعاله وبان ما قدره حق
وصواب هو الايمان وقد نص عليه في قوله عز وعلا وما جعلنا اصحاب النار
الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد
الذين امنوا ايمانا ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في
قلوبهم مرض والكافرون ماذا اراد الله بهذا مثلا ثم قال تعالى وما يعلم جنود ربك
الا هو وهو الجواب ايضا في ان لم يخلقها في لحظة وهو قادر على ذلك وعن سعيد بن
جبير رضي الله عنه انما خلقها في ستة ايام وهو يقدر على ان يخلقها في لحظة تعليما
لخلقه الرفق والتثبت وقيل اجتمع خلقها يوم الجمعة فجعله الله عيد المسلمين
الذي خلق مبتدأ والرحمن خبره او هو صفة للحي والرحمن خبر مبتدأ محذوف
او بدل عن المستتر في استوى وقرئ الرحمن بالجر صفة للحي وقرئ فسل والباء في
به صلة سل كقوله تعالى سال سائل بعذاب واقع كما تكون عن صلته في نحو قوله
تعالى ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم فسال به كقوله اهتم به واعتنى به واشتغل به

وسال عنه كقولك بحث عنه وفتش عنه او صلته خبيرا او تجعل خبيرا مفعول
يريد فسل عنه رجلا عارفا يخبرك برحمته او فسل رجلا خبيرا به وبرحمته او
فسل بسواله خبيرا كقولك رايت به اسدا اي برويته والمعنى ان سالته
وجدته خبيرا او تجعله حالا عن الهاء تريد فسل عنه عالما بكل شيء وقيل الرحمن
اسم من اسماء الله تعالى مذكور في الكتب المتقدمة ولم يكونوا يعرفونه وقيل فسل
بهذا الاسم من يخبرك من اهل الكتاب حتى يعرف من ينكره ومن ثم كانوا يقولون
ما نعرف الرحمن الا الذي باليمامة يعنون مسيلمة وكان يقال له رحمن اليمامة
واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن وزادهم نفورا وما الرحمن يجوز
ان يكون سوالا عن المسمى به لانهم ما كانوا يعرفونه لهذا الاسم والسوال عن المجهول
بما ويجوز ان يكون سوالا عن معناه لانه لم يكن مستعملا في كلامهم كما استعمل الرحيم
والرحوم والراحم او لانهم انكروا اطلاقه على الله لما تامرنا اي للذي تامرناه بمعنى
تامرنا بسجوده على قوله امرتك الخير او لامرك لنا وقرئ بالياء كان بعضهم قال لبعض
السجد لما يامرنا محمد او يامرنا المسمى بالرحمن ولا نعرف ما هو وفي زادهم ضمير اسجدوا
للرحمن لانه هو المفعول تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا
منيرا البروج منازل الكواكب السبعة السيارة الحمل والثور والجوزاء والسرطان
والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت
سميت بالبروج التي هي القصور العالية لانها لهذه الكواكب كالمنازل لسكانها وا
شتقاق البرج من التبرج لظهوره والسراج الشمس كقوله تعالى وجعل الشمس
سراجا وقرئ سرجا وهي الشمس والكواكب الكبار معها وقرا الحسن والاعمش
وقمرا منيرا وهي جمع قلة ليلة قمرا كانه قال وذا قمر منيرا لان الليالي تكون قمرا
بالقمر فاضافه اليها ونظيره في بقاء حكم المضاف بعد سقوطه وقيام المضاف
اليه مقامه قول حسان بردى يصفق السلسل يريد ما بردى ولا يبعد
ان يكون القمر بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب وهو الذي جعل
الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا الخلفة واحد منهما الاخر
والمعنى جعلهما ذوي خلفة اي ذوي عقبة اي يعقب هذا ذاك وذاك
هذا ويقال الليل والنهار يختلفان كما يقال يعتقبان ومنه قوله تعالى واختلاف

الليل

الليل والنهار لايات ويقال بفلان خلفة واختلاف اذا اختلف كثيرا الى
متبرزه وقرئ يذكر ويذكر وعن ابي بن كعب تتذكر والمعنى لينظر في اختلافهما
الناظر فيعلم ان لا بد لانتقالهما من حال الى حال وتغيرهما من ناقل ومغير
ويستدل بذلك على عظم قدرته ويشكر الشاكر على النعمة فيهما من السكون
بالليل والتصرف بالنهار كما قال الله عز وجل ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار
لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله او ليكونا وقتين للمتذكرين والشاكرين
من فاته في احدهما ورده من العبادة قام به في الاخر وعن الحسن رحمة
الله من فاته عمله من التذكر والشكر بالنهار كان له في الليل مستعتب وعباد
الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وعباد الرحمن
مبتدا خبره في اخر السورة كانه قيل وعباد الرحمن الذين هذه صفاتهم او
اولئك يجزون الغرفة ويجوز ان يكون الذين يمشون واضافتهم الى الرحمن
تخصيصا وتفضيلا وقرئ وعباد الرحمن وقرئ يمشون هونا حال او صفة
للمشي بمعنى هينين او مشيا هينا الا ان في وضع المصدر موضع الصفة مبالغة
والهون الرفق واللين ومنه الحديث احبب حبيبك هونا ما وقوله صلى الله عليه
وسلم المومنون هينون لينون والمثل اذا عز اخوك فهن ومعناه اذا عاسر
فياسر والمعنى انهم يمشون بسكينة ووقار وتواضع لا يضربون باقدامهم
ولا يخففون بنعالهم اشرا وبطرا ولذلك كره بعض العلماء الركوب في
الاسواق ولقوله ويمشون في الاسواق سلاما تسلما منكم لا نجاهلكم ومتاركة
لا خير بيننا ولا شر اي نتسلم منكم تسلما فاقيم السلام مقام التسلم وقيل قالوا
سدادا من القول يسلمون فيه من الايذاء والاثم والمراد بالجهل السفه وقلة
الادب وسوء الرعة من قوله الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا
وعن ابي العالية نسختها اية القتال ولا حاجة الى ذلك لان الاغضاء عن
السفهاء وترك المقابلة مستحسن في الادب والمروة والشريعة واسلم للعرض
والورع والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما البيتوتة خلاف الظلول وهو ان
يدركك الليل نمت او لم تنم وقالوا من قرا شيئا من القران في صلاة وان
قل فقد بات ساجدا وقائما وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد

بعد العشاء والظاهر انه وصف لهم باحياء الليل او الكثرة تقال فلان يظل صائما و يبيت قائما والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما غراما هلاكا وخسرانا ملحا لازما قال يوم النار ويوم الخفار كانا عذابا وكانا عواما وقال ابن قتادة يكن غراما وان يعط جزيلا فانه لا يبالي ومنه الغريم لالحاحه وزامه وصفهم باحياء الليل ساجدين وقائمين ثم عقبه بذكر دعوتهم بهذه اننا نا بالهم مع اجتهادهم خائفون مبتهلون الى الله تعالى في صرف العذاب عنهم كقوله تعالى والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة اطلقت مستقرا ومقاما ساءت في حكم بئست وفيها ضمير مبهم يفسره مستقرا والمخصوص بالذم محذوف معناه ساءت مستقرا ومقاما هي وهذا الضمير هو الذي ربط الجملة باسم ان وجعلها خبرا لها ويجوز ان يكون ساءت بمعنى احزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حالا او تمييزا والتعليلان يصح ان يكونا متداخلين ومترادفين وان يكونا من كلام الله تقاولا وحكاية لهم والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما قرئ يقتروا بكسر التاء وضمها ويقتروا بتخفيف التاء وتشديدها والقتر والاقتار والتقتير والتضييق الذي هو نقيض الاسراف والاسراف مجاوزة الحد في النفقة ووصفهم بالقصد الذي هو بين الغلو والتقصير وبمثله امر رسول الله عليه السلام ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقيل الاسراف انما هو الانفاق في المعاصي وانما في القرب فلا اسراف وسمع رجلا رجلا يقول لا خير في الاسراف فقال لا اسراف في الخير وعن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه انه ذكر عبد الملك بن مروان حين زوجه ابنته واحسن اليه فقال وصلت الرحم وفعلت وضعفت وجاد بكلام حسن فقال ابن لعبد الملك انما هو كلام اعدّه لهذا المقام فسكت عبد الملك فلما كان بعد ايام دخل عليه والابن حاضر فساله عن نفقته واحواله فقال الحسنة بين السيئتين فوقف عبد الملك انه اراد ما في هذه الاية فقال لابنه يا بني اهذا ايضا مما اعدّه وقيل اولئك اصحاب محمد كانوا لا ياكلون طعاما للتنعم واللذة ولا يلبسون ثوبا للجمال والزينة ولكن كانوا ياكلون ما يسد جوعتهم ويعينهم على عبادة ربهم ويلبسون ما يستر عورة القسم ويكنهم من الحر والقر وقال عمر رضي الله عنه كفى سرفا ان لا يشتهي الرجل شيئا الا اشتراه واكله

والقوام

والقوام العدل بين الشيئين كالاستقامة الطريق واعتدالها ونظير القوام من الاستقامة السواء بين الاستواء وقرئ قواما بالكسر وهو ما يقام به الشيء يقال انت قوامنا بمعنى ما تقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص والمنصوبان اعني بين ذلك قواما جائزان تكونا خبرين معا وان جعل بين ذلك لغوا وقواما مستقرا وان تكون الظرف خبرا وقواما حالا موكدة واجاز الفراء ان يكون بين ذلك اسم كان على انه مبني لاضافته الى غير متمكن كقوله لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت وهو من جهة الاعراب لا باس به ولكن المعنى ليس بقوي لان ما بين الاسراف والتقتير قوام لا محالة فليس في الخبر الذي هو معتمد الفائدة فائدة والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما حرم الله اي حرم قتلها والمعنى حرم قتلها والا بالحق متعلق بهذا القتل المحذوف او بلا يقتلون وتلقى هذه المفتعلات العظام عن الموصوفين بتلك الخلال العظيمة في الدين للتعريض بما كان عليه اعداء المومنين من قريش وغيرهم كانه قيل والذين برآهم الله وطهرهم مما اتم عليه والقتل لغير حق يدخل فيه الوأد وغيره عن ابن مسعود رضي الله عنه قلت يا رسول الله اي الذنب اعظم قال ان تجعل لله ندا وهو اي قال ان تزاني حليلة جارك فانزل الله تعالى تصديقه وقرئ يلق فيه الثاما وقرئ يلقا بإثبات الالف وقد مر مثله والاثام جزاء الاثم يوزن الوبال والنكال ومعناهما قال جزى الله ابن عروة حيث امسى عقوقا والعقوق له اثاما وقيل هو الاثم ومعناه يلق جزاء اثام وقرا ابن مسعود اثاما اي شدائد يقال ذو آيام لليوم العصيب يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما يضاعف بدل من يلق لانهما في معنى واحد كقوله من تانتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تاججا وقرئ يضعف ويضعف له العذاب بالنون ونصب العذاب وقرئ بالرفع على الاستيناف او على الحال وكذلك يخلد وقرئ ويخلد على البناء للمفعول مخففا ومثقلا من الاخلاد والتخليد وقرئ فوتخلد بالتاء على الالتفات ببدل مخفف ومثقل وكذلك سيئاتهم فان قلت

ما معنى مضاعفة العذاب وابدال السيات حسنات **قلت** اذا ارتكب
المشرك معاصي مع الشرك عذب على الشرك وعلى المعاصي جميعًا فتضاعف
العقوبة المضاعفة المعاقب عليه وابدال السيات حسنات انه يمحوها
بالتوبة ويثبت مكانها الحسنات الايمان والطاعة والتقوى وقيل تبدلهم
بالشرك ايمانًا وبقتل المسلمين قتل المشركين وبالزنا عفة واحصانًا ومن تاب
وعمل صالحًا فانه يتوب الى الله متابًا يريد ومن يترك المعاصي ويندم عليها
ويدخل في العمل الصالح فانه بذلك تائب الى الله متابًا مرضيًا عنده مكفر الخطاياه
محصلا للثواب او فانه تائب متابًا الى الله الذي يعرف حق التائبين ويفعل
بهم ما يستوجبون والذي يحب التوابين ويحب المتطهرين وفي كلام بعض
العرب ان الله افرح بتوبة العبد من المضل الواحد والظمآن الوارد والعقيم
الوالد او فانه يرجع الى الله تعالى والى ثوابه مرجعًا حسنًا واي مرجع والذين
لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كرامًا يحتمل الطعم ينفرون عن محاضر
الكذابين ومجالس الخطائين فلا يحضرونها ولا يقربونها تنزهًا عن مخالطة
الشر واهله وصيانة لدينهم عما يتلبس لان مشاهدة الباطل شركة فيه و
لذلك قيل في النظارة الى الكل ما لم تستوجبه الشريعة هم شركاء فاعليه في الاثم
لان حضورهم ونظرهم دليل الرضا به وسبب وجوده والزيادة فيه لان
الذي سلط على فعله هو استحسان النظارة ورغبتهم في النظر اليه وفي مواعظ
عيسى بن مريم عليها السلام اياكم ومجالسة الخطائين ويحتمل الطعم لا يشهدون شهادة
الزور فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وعن قتادة مجالس الباطل
وعن ابن الحنفية رضي الله عنه اللهو والغناء وعن مجاهد اعياد المشركين اللغو
كل ينبغي ان يلغى ويطرح والمعنى واذا مروا باهل اللغو والمشتغلين به مروا
معرضين عنهم مكرمين انفسهم عن التوقف عليهم والخوض معهم كقوله
عز وجل واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم
لا نبتغي الجاهلين وعن الحسن لم تشفهم المقاضي وقيل اذا سمعوا من الكفار
الشتم والاذى اعرضوا وصفحوا وقيل اذا ذكروا النكاح لنزهوا عنه والذين
اذا ذكروا بايات ربهم لم يخروا عليها صمًا وعميانًا لم يخروا عليها

ليس ينفي للخرور وانما هو اثبات له ونفي للصمم والعمى كما تقول لا يلقاني زيد سالمًا
هو نفي للسلام لا للقاء وللمعنى لم يصموا اذا ذكروا بها اكبوا عليها حرصًا على استماعها
وصمموا كما لم يصم العميان حيث لا يعولونها ولا يتبصرون ما فيها كالمنافقين واشباههم
والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين واجعلنا للمتقين
اماما قرئ ذرياتنا وذرياتنا وقرت اعين وقرات اعين سألوا ربهم
ان يعزهم ازواجًا واعقابًا عمالا لله يسرون بمكاطمهم وتقر بهم عيونهم
وعن محمد بن كعب ليس شيء اقر لعين المؤمن من ان يرى زوجته واولاده
مطيعين لله تعالى وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو الولد اذا رآه يكتب الفقه
وقيل سألوا ان يلحق الله بهم ازواجهم وذرياتهم في الجنة ليتم طعم سرورهم اراد
بمة فاكتفى بالواحد لوالة على الجنس ولعدم اللبس كقوله تعالى ثم يخرجكم طفلا
او اراد واجعل كل واحد منا اماما او اراد جمع ام كصايم وصيام او اراد وا
جعلنا اماما واحدًا لاتحادنا واتفاق كلمتنا وعن بعضهم في الاية ما يدل على ان
الرياسة في الدين يجب ان تطلب ويرغب فيها وقيل نزلت بهذه الايات في الغيرة
المبشرين بالجنة **فان قلت** من في قوله تعالى من ازواجنا ما هي **قلت**
يحتمل ان تكون بيانية كانه قيل هب لنا قرة اعين ثم بينت القرة وفسرت
بقوله من ازواجنا وذرياتنا ومعناه ان يجعلهم الله تعالى طعم قرة اعين وهو
من قولهم رأت منك اسدًا اي انا اسد وان تكون ابتدائية على معنى هب
لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا من طاعة وصلاح **فان قلت** ثم قال قرة اعين
فنكر وقلل **قلت** اما التنكير فلاجل تنكير القراة لان المضاف كالبديل الى تنكير
الا تنكير للمضاف اليه كانه قال هب لنا منهم سرورًا وفرحًا وانما قيل اعين
دون عيون لانه اراد اعين المتقين وهي قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم
قال الله تعالى وقليل من عبادي الشكور ويجوز ان يقال في تنكير اعين انها اعين
خاصة وهي اعين المتقين اولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية
وسلاما خالدين فيها حسنت مستقرًا ومقامًا المراد بالغرفات الغرفات وهي العلالي
في الجنة فوحد اقتصارًا على الواحد الدال على الجنس والدليل عليه قوله تعالى
وهم في الغرفات امنون وقراة من قرا في الغرفة بما صبروا بصبرهم على الطاعات

وعن الشهوات وعلى اذى الكفار ومجاهدتهم وعلى الفقر وغير ذلك واطلاقه لاجل
الشياع فى كل مصبور عليه وقرى ويلقون كقوله تعالى ولقاهم نضرة وسرورا
ويلقون كقوله تعالى يلق اثاما والتحية دعاء بالتعمير والسلام دعاء بالسلامة يعنى ان الملا
يكة يحيونهم ويسلمون عليهم او يحيى بعضهم بعضا ويسلم عليهم او يعطون البقية
والتخليد مع السلامة كلا فانه اللهم وفقنا لطاعتك واجعلنا مع اهل رحمتك
وارزقنا تمام نعمتك فى دار رضوانك قل ما يعبؤ بكم ربى لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف
يكون لزاما لما وصف عبادة العباد وعدد صالح طاعتهم وحسن طاعتهم واثنى عليهم
من اجلها ووعدهم الرفيع من درجاتهم فى الجنة اتبع ذلك بيان انه انما اكرمت
اولئك وعبابهم واعلى ذكرهم ووعدهم ما وعدهم لاجل عبادتهم فامر رسوله
ان يصرح للناس ويحزم طمعهم القول بان الاكرمات طعم عند ربهم انما هو للعبادة
وحدها لا لمعنى اخر لولا عبادتهم لم يكترث لهم البتة ولم يعتد بطعمهم ولم يكونوا
عنده شيئا يبالى به والدعاء العبادة وما متضمنة لمعنى الاستفهام وهى محل النصب
وهى عبارة عن المصدر كانه قيل واى عباءٍ يعبأ بكم لولا دعاؤكم يعنى انكم لا تشا
هلون شيئا من العبء بكم لولا عبادتكم وحقيقة قولهم ما عبأت به ما اعتددت
به من كوراني ومما يهمنى وقال الزجاج فى تاويل ما يعبأ بكم ربى اى وزن يكون
لكم عنده ويجوز ان تكون نافية فقد كذبتم يقول اذا علمتكم ان حكمى
انى لا اعتد بعبادى الا لعبادتهم فقد خالفتم بتكذيبكم حكمى فسوف يلزمكم اثر
تكذيبكم حتى يكبكم فى النار وتظيره فى الكلام ان تقول الملك لمن استعصى عليه
ان من عادتى ان احسن الى من يطيعنى ويتبع امرى فقد عصيت
فسوف ترى ما احل بك بسبب عصيانك وقيل معناه ما يصنع بكم ربى
لولا دعاؤه اياكم الى الاسلام وقيل ما يصنع بعبئكم لولا دعاؤكم معه الطعنة
فان قلت الى من يتوجه هذا الخطاب قلت الى الناس على الاطلاق
ومنهم مومنون عابدون ومكذبون عاصون فخوطبوا بما وجد فى جنسهم من
العبادة والتكذيب وقرى فقد كذب الكافرون وقيل يكون العذاب
لزاما وعن مجاهد هو القتل يوم بدر وانه لو رم بين القتل لزاما وقرى
لزاما بالفتح بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت والوجه ان ترك سلم

كان

كان غير منطوق به بعد ما علم انه مما توعد به لاجل الاطعام وتناول ما لا يكتنهه
الوصف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الفرقان لقى الله
يوم القيامة وهو مومن بان الساعة اتية لا ريب فيها وادخل الجنة بغير حساب
سورة الشعراء مكية وهى مائتان وعشرون وسبع ايات بسم الله الرحمن الرحيم
طسم تلك ايات الكتاب المبين طسم بتفخيم الالف وامالتها واظهار النون و
ادغامها الكتاب المبين الظاهر اعجازه وصحة انه من عند الله تعالى والمراد به
السورة او القران والمعنى ايات هذا المولف من الحروف المبسوطة تلك ايات
الكتاب المبين لعلك باخع نفسك الا يكونوا مومنين النجع ان يبلغ بالذبح
النخاع بالباء وهو عرق مستطن الفقار وذلك اقصى حد الذابح ولعل للا
لاشتقاق يعنى اشفق على نفسك ان تقتلها حسرة على ما فاتك من اسلام
قومك الا يكونوا مومنين لئلا يومنوا او لامتناع ايمانهم او حنيفة ان لا يومنوا
وعن قتادة باخع نفسك على الاضافة ان نشا ننزل عليهم من السماء اية
فظلت اعناقهم لها خاضعين اراد اية ملجئة الى الايمان قاسرة عليه
فظلت معطوف على الجزاء الذى هو ننزل لانه لو قيل انزلنا لكان صحيحا
ولنظيره فاصدق واكن كانه قيل اصدق وقد قرى لو شئنا لانزلنا وقرى
فتظل اعناقهم فان قلت كيف صح مجىء خاضعين خبرا عن الاعناق قلت
اصل الكلام فظلوا لها خاضعين فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك
الكلام على اصله كقولهم ذهبت اهل اليمامة كان الاصل غير فذكر اولا وصفت
بالخضوع الذى هو للعقلاء قيل خاضعين كقوله تعالى ساجدين وقيل اعناق
الناس راساهم يقال جاءنا عنق من الناس لفوج منهم وقرى فظلت اعناقهم
لها خاضعة وعن ابن عباس رضى الله عنهما نزلت هذه الاية فينا وفى بنى
امية قال ستكون لنا عليهم الدولة فتذل لنا اعناقهم بعد صعوبة وتحقهم
هوان بعد عزة وما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين
فقد كذبوا فسياتيهم انبا ما كانوا به يستهزءون اى وما يجدد لهم الله بوحيه
موعظة وتذكيرا الا جددوا هم الاعراض والتكذيب والاستهزاء فان قلت
انما خولف بينهما لاختلاف الاعراض كانه قيل حتى اعرضوا عن الذكر فقد

كذبوا به وحين كذبوا به فقد خف عندهم قدره وصار عرضة للاستهزاء والسخرية
لان من كان قابلا للحق مقبلا عليه كان مصدقا به لا محالة ولم يظن به التكذيب
ومن كان مصدقا به كان موقرا له فسياتيهم وعيد لهم وانذار بالهم سيعلمون
اذا مسهم عذاب الله يوم بدر او يوم القيمة ما الشيء الذي كانوا يستهزؤن به
وهو القران وسياتيهم انباؤه واحواله التي كانت خافية عليهم اولم يروا الى
الارض كم انبتنا فيها من كل زوج كريم ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين
وان ربك لهو العزيز الرحيم ووصف الزوج وهو الصنف من النبات بالكرم
والكريم صفة لكل ما يرضى ويحمد في بابه يقال وجه كريم اذا رضي في حسنه وجماله
وكتاب كريم مرضي في معانيه وفوايده وقال حتى يشق الصفوف من كرمه
اي من كونه مرضيا في شجاعته وباسه والنبات الكريم المرضي فيما يتعلق به
من المنافع ان في انبات تلك الاصناف لاية على ان منبتها قادرا على احياء
الموتى وقد علم الله ان اكثرهم مطبوع على قلوبهم غير مرجو ايمانهم وان ربك
لهو العزيز في انتقامه من الكفرة الرحيم لمن تاب وامن وعمل صالحا فان قلت
ما معنى الجمع بين كم وكل ولو قيل كم انبتنا فيها من زوج كريم قلت قد دل
كل على الاحاطة بازواج النبات على سبيل التفصيل وكم على ان هذا المحيط متكاثر
مفرط الكثرة فهذا معنى الجمع بينهما وبه نبه على كمال قدرته فان قلت فما معنى
وصف الزوج بالكريم قلت يحتمل معنيين احدهما ان النبات على نوعين
نافع وضار فذكر كثرة ما انبت في الارض من جميع اصناف النبات النافع
وخلى ذكر الضار والثاني ان يعم جميع النبات نافعه وضاره ويصفهما جميعا
بالكرم وينبه على انه ما انبت شيئا الا وفيه فايدة لان الحكيم لا يفعل فعلا الا لغرض
صحيح ولحكمة بالغة وان غفل عنها الغافلون ولم يتوصل الى معرفتها العاقلون
فان قلت فحين ذكر الازواج ودل عليها بكلمتي الكثرة والاحاطة وكانت
بحيث لا يحصيها الا عالم الغيب كيف قال ان في ذلك لاية وهلا قال لايات
قلت فيه وجهان ان يكون ذلك مشارا به الى مصدر انبتنا فكانه قال ان
في الانبات لاية اي اية وان يراد ان في كل واحد تلك الازواج لاية وقد
سبقت لهذا الوجه نظاير واذ نادى ربك موسى ان ايت القوم الظالمين

قوم فرعون الا يتقون سجل عليهم بالظلم بان قدم القوم الظالمين ثم عطفهم عليهم
عطف البيان كان معنى القوم الظالمين وترجمته قوم فرعون وكانهما عبارتان
تعتقبان على مودى واحد ان شاء ذاكرهم عبر عنهم بالقوم الظالمين وان شاء عبر
بقوم فرعون وقد استحقوا هذا الاسم من جهتين من جهة ظلمهم انفسهم بالكفر وسرار
رتهم ومن جهة ظلمهم لبني اسرائيل باستعبادهم لهم قرئ الا يتقون بكسر النون
بمعنى الا يتقوني فحذفت النون لاجتماع النونين والياء للاكتفاء بالكسرة
فان قلت بم تعلق قوله الا يتقون قلت هو كلام مستانف اتبعه
عز وجل ارساله اليهم للانذار والتسجيل عليهم بالظلم تعجيبا لموسى عليه السلام
من حالهم التي شعت في الظلم والعسف ومن امنهم العواقب وقلة خوفهم
وحذرهم من ايام الله ويحتمل ان يكون لا يتقون حالا من الضمير في الظالمين اي
يظلمون غير متقين الله تعالى وعقابه فادخلت همزة الانكار على الحال واما من
قرا الا تتقون على الخطاب فعلى طريقة الالتفات اليهم وجبههم وضرب وجوههم
بالانكار والغضب عليهم كما ترى من يشكوا من ركب جناية الى بعض اصحابه
والجاني حاضر فاذا اندفع في الشكاية وحر مزاجه وحمي غضبه قطع مباثة
صاحبه واقبل على الجاني يوبخه ويعنف به ويقول له الم تتق الله الم تستحي
من الناس فان قلت فما فايدة هذا الالتفات والخطاب مع موسى عليه
السلام في وقت المناجاة والملتفت اليهم غيب لا يشعرون قلت
اجرا ذلك في تكليم المرسل اليهم في معنى اجرايه بحضرتهم والقائه الى مسامعهم
لانه مبلغه ومنهيه وناشره بين الناس وله فيه لطف وحث على زيادة التقوى
وكم من اية انزلت في شان الكافرين وفيها اوفر نصيب للمؤمنين تدبرا لها
واعتبارا بموردها وفي الا يتقون بالياء وكسر النون وجه اخر وهو ان
يكون المعنى الا يا ناس اتقوني كقوله تعالى الا يسجدوا قال رب اني اخاف
ان يكذبون ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فارسل الى هرون ولهم
علي ذنب فاخاف ان يقتلون ويضيق وينطلق بالرفع لانهما معطوفان
على خبر ان وبالنصب لعطفهما على صلة ان والفرق بينهما في المعنى ان الرفع يفيد
ان فيه ثلث علل خوف التكذيب وضيق الصدر وامتناع انطلاق اللسان

اللسان والنصب على ان خوفه متعلق بهذه الثلثة فان قلت في النصب
تعليق الخوف بالامور الثلاثة وفي حملها نفي انطلاق اللسان وحقيقة الخوف
قلت قد علق الخوف تيكذبهم وبما يحصل له اليه من ضيق الصدر وا
لحبسة في اللسان زايدة على ما كان به على ان تلك الحبسة التي كانت به قد زالت
بدعوته وقيل بقيت منها بقية تيسره فان قلت اعتذارك هذا
يرد الرفع لان المعنى اني اخاف ضيق الصدر غير منطلق اللسان قلت
يجوز ان يكون هذا قبل الدعوة واستجابتها ويجوز ان يريد القدر اليسير الذي بقي به
ويجوز ان لا يكون مع حل العقدة من لسانه من الفصحاء المصاقع الذين اوتوا
سلاطة الالسنة وبسطة المقال وهرون كان بذلك الصفة فاراد ان يقرن به
ويد عليه قوله عزوجل واخي هرون هو افصح مني لسانا ومعنى فارسل الى هرون
ارسل اليه جبريل بنبأ وازرني به واشدد به عضدي وبهذا كلام مختصر وقد بسطه
في غير الموضع وقد اخس في الاختصار حيث قال فارسل الى هرون فجاء بما يتضمن
معنى الاستيناء ومثله في تقصير الطويل والحسن قوله تعالى فقلنا اذهبا الى القوم
الذين كذبوا بايانا فدمرناهم تدميرا حيث اقتصر على ذكر طرفي القصة اوطفا
واخرهما وهما الانذار والتدمير ودل بذكرهما على ما هو الغرض من القصة الطويلة
كلها وهو اطعمهم قوم كذبوا بايات الله فاراد الله تعالى الزام الحجة عليهم فبعث
اليهم رسولين فكذبوهما فاهلكهم فان قلت كيف ساغ لموسى عليه السلام ان
يامره الله تعالى بامر فلا يتعقبه بسمع وطاعة من غير توقف ويستبدل بعلل وقد علم ان
الله من ورايه قلت قد امتثل ولكنه التمس من ربه ان يعضده باخيه
حتى يعاونا على تنفيذ امره وتبليغ رسالته فمهد قبل التماسة عذره فيما التمسه
ثم التمس بعد ذلك وتمهيد فيه وكفى بطلب العون دليلا على التقبل لا على التعلل
اراد بالذنب قتله القبطي وقيل كان خبأ ذو فرعون وسلمه فاتون يعني وطعم على تبعة
ذنب وهي قود ذلك القتل فاخاف ان يقتلوني به فحذف المضاف او سمى تبعة
الذنب ذنبا كما سمى جزاء السيئة سيئة فان قلت قد ابيت ان تكون تلك الثلاث
عللا وجعلتها تمهيد العذر فيما التمسه فما قولك في هذه الرابعة قلت هذه
استدفاع للبلية المتوقعة وفرق من ان يقتل قبل اداء الرسالة فكيف يكون تعللا

والدليل

والدليل عليه ما جاء بعده من كلمة الردع والموعدة بالكلاءة والدفع قال كلا فاذهبا
باياتنا انا معكم مستمعون جمع الله له الاستجابتين معا في قوله تعالى كلا فاذهبا لانه
استدفعه بلاهم فوعده الدفع بردعه عن الخوف والتمس منه الموازرة باخيه
فاجابه بقوله تعالى اذهبا اي اذهب انت والذي طلبته وهو هرون
فان قلت علام عطف قوله فاذهبا قلت على الفعل الذي يدل عليه
كلا كانه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب انت وهرون وقوله تعالى معكم
مستمعون من مجاز الكلام يريد انا لكما ولعدوكما كالناصر الظهير لكما عليه
اذا حضر واستمع ما يجري بينكما وبينه فاظهركما وعليكما وليس شوكته عنكما
وفكه ويجوز ان يكونا خبرين لان او تكون مستمعون مستقا ومعكم لغوا
فان قلت لم جعلت مستمعون قرينة معكم في كونه من باب المجاز والله تعالى
يوصف على الحقيقة بانه سامع وسميع قلت ولكن لا يوصف بالمستمع
على الحقيقة لان الاستماع جار مجرى الاصغاء والاستماع من السمع بمنزلة النظر من
الرويه ومنه قوله تعالى قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرانا
عجبا ويقال استمع الى حديثه اي اصغى اليه وادركه حاسة السمع ومنه قوله
صلى الله عليه وسلم من استمع الى حديث قوم وهم له كارهون صب في اذنيه
البرم فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين فان قلت الرسول يكون
بمعنى المرسل وبمعنى الرسالة فجعل ثم بمعنى المرسل فلم يكن بد من تثنيه وجعل
ههنا بمعنى الرسالة فجازت التثنية فيه اذا وصف به بين الواحد والقنية
والجمع كما يفعل في الصفة بالمصادر نحو صوم وزور قال الكتبي اليها وخبر الرسول
اعلمهم بنواحي الخبر فجعله للجماعة والشاهد في الرسول بمعنى الرسالة قوله
لقد كذب الواشون ما فهت عندهم بسر ولا ارسلتهم برسول ويجوز ان يوحد لان
حكمهما لتساندهما واتفاقهما على شريعة واحدة واتحادهما لذلك والاخوة كان حكما
واحدا فكانهما رسول واحد او اريد ان كل واحد منا ان ارسل فمعنا بني اسرائيل ان ارسل
بمعنى اي ارسل لتضمن الرسول بمعنى الارسال وتقول ارسلت اليك ان افعل كذا الى
في الارسال من معنى القول كما في المناداة والكتبة ونحو ذلك ومعنى هذا الارسال
التخلية والاطلاق كقولك ارسل البازي تريد ظهم يذهبوا معنى لي فلسطين وكانت

حذا اني رسول كما نبي في قوله تعالى
ان رسولا رب فقد ج

سكنها ويروى انها انطلقا الى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب ان ههنا انسانا يزعم انه رسول رب العالمين فقال ايذن له لعلنا نضحك منه فاديا اليه الرسالة فعرف موسى عليه السلام فقال له الم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت وانت من الكافرين الوتيد القضي لوقوب عهده من الولادة وفي رواية عن ابي عمر ومن عمرك سبكوه اكم سنين قيل مكث عندهم ثلثين سنة وقيل وكز القبطي وهو ابن ثنتي عشرة سنة وفرمنهم على اثرها والله اعلم بصحيح ذلك وعن الشعبي فعلتك بالكسر وهي قتلة القبطي لانه قتله بالوكزة وهو ضرب من القتل واما الفعلة فلانها كانت وكزة واحدة عدد وعليه نعمته من تربيته وتبليغه مبلغ الرجال ودخوله بما جرى على يده من قتل خنازه وحظم ذلك وقطعه بقوله وفعلت فعلتك التي فعلت وانت من الكافرين يجوز ان يكون حالا اي قتلته وانت لذلك من الكافرين النعمتي او وانت أذوا ك ممن تكفرهم الساعة وقد افترى عليه او جهل امره لانه كان يعاشرهم بالتقية قال الله عز وعلا عاصم من يريد ان يتشبه من كبيرة ومن بعض الصغاير فما بال الكفر ويجوز ان يكون قوله وانت من الكافرين حكما عليه بانه من الكافرين بالنعم وبمن كانت عادته لفران النعم لم يكن قتل خواص المنعم عليه بدعا منه او بانه من الكافرين بفرعون والهيته اومن الذين كانوا يكفرون في دينهم فقد كانت لهم الهة يعبدونها لهم بشهد لذلك قوله عز وجل ويذرك والهتك وقرى والاهتك قال فعلتها اذا وانا من الضالين ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين فاجابه موسى عليه السلام بان تلك الفعلة انما فرطت منه وهو من الضالين اي الجاهلين وقراة ابن مسعود رضي الله عنه من الجاهلين مغفرة وللمعنى من الفاعلين فعل اولي الجهل والسفه كما يوسف عليه السلام لاخوته هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون اوالمخطئين كمن يقتل خطا من غير تعمد للقتل او الذاهبين عن الصواب اوالناسين من قوله تعالى ان تضل احديهما فتذكر احداهما الاخرى وكذب فرعون ودفع الوصفيه بالكفر عن نفسه وبرأ ساحته بان وضع الضالين موضع الكافرين

ربا

ربا يحمل من رشح للنبوة عين تلك الصفة وتلك نعمة تمنها على ان عبدت بني اسرائيل ثم كر على امتنانه عليه بالتربية فابطله من اصله واثبتا صلة من سخطه والى ان يسمى نعمة الا نعمة حيث بين ان حقيقة انعامه عليه تعبيد بني اسرائيل لان تعبيدهم وقصدهم بذبح ابنائهم هو الذي في حصوله عنده وتربيته فكانه امتن عليه بتعبيدهم ثم اذا حققت وتعبيدهم تذليلهم واتخاذهم عبيدا يقال عبدت الرجل واعبدته اذا اتخذته عبدا قال غلام بعيد في قومه وقد كثرت فيهم ايا عز ما شاء واعبدان فان قلت اذا جواب وجزاء معا والكلام وقع جوابا للغرعون فكيف وقع جزاء قلت قول فرعون وفعلت فعلتك فيه معنى انك جازيت نعمتي بما فعلت فقال له موسى نعم فعلتها مجازيا لك قتلي لقوله لان نعمته كان عنده جديرة بان تجازى بنحو ذلك فان قلت الخوف والفرار لم يكونا منه وحده ولكن منه ومن ملاء به الموتمرين بقتله بدليل قوله تعالى ان الملا يأتمرون بك ليقتلوك واما الامتنان فمنه وحده وكذلك التعبيد فان قلت تلك اشارة الى ماذا او ان عبدت ما محلها من الاعراب قلت تلك اشارة الى الخصلة شنعاء بهمة لا يدرى ما هي الا تفسيرها وحل ان عبدت الرفع بخطف بيان لتلك ونظيره قوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع والمعنى تعبيدك بني اسرائيل نعمة تمنها علي وقال الزجاج ويجوز ان يكون ان في تفعل ذلك لكفلني اهلي ولم يلقوني في اليتيم قال فرعون وما رب العالمين قارب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين لما قال له موسى ان ههنا من يزعم انه رسول رب العالمين قال له عند دخوله وما رب العالمين يريد اي شئ رب العالمين وهذا السؤال لا يخلوا اما ان يريد به اي شئ هو من الاشياء التي شوهدت وعرفت اجناسها فاجاب بما يستدل به عليه من افعاله الخاصة على ذلك واما التفتيش عن حقيقة الخاصة التي هي فوق فطر العقول فتفتيش عن ما لا سبيل اليه والسائل عنه متعنت غير طالب الحق والذي يليق بحال فرعون ويدل عليه الكلام ان يكون سؤاله هذا انكارا لان يكون العالمين رب سواه لادعايه الالهية قال لمن حوله الا

الا تسمعون قال ربكم ورب ابائكم اولا ولين قال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون
فلما اجاب موسى بما اجاب عجب قومه من جوابه حيث نسب الربوبية الى غيره
فلما ثنى بتقرير قوله جنته الى قومه وظن به حيث سماه رسولهم فلما ثلث بتقرير
اخر احتدم وقال لين اتخذت الها غيري وهذا يدل على صحة هذا الوجه الاخير
فان قلت كيف قيل وما بينهما على التثنية والمرجوع اليه مجموع قلت
اريد وما بين الجنسين فعل بالمضمر ما فعل بالظاهر من قال في الهيجا جمالين فان قلت
ما معنى قوله ان كنتم موقنين واين لفرعون وملايه الايقان قلت معناه
ان كان يرجى منكم الايقان الذي يودي اليه النظر الصحيح نفعكم هذا الجواب
والا لم ينفع او ان كنتم موقنين بشيء قط فهذا اولى ما توقنون به لظهوره
وانارة دليله فان قلت ومن كان حوله قلت اشراف قومه كانوا
خمسماية رجل عليهم الاساور وكانت للملوك خاصة فان قلت ذكرا
السموات والارض وما بينهما قد استوعب به الخلايق كلها فما معنى ذكرهم وذكر
ابائهم بعد ذلك وذكر المشرق والمغرب قلت قد عم اولا ثم خصص من
العام للبيان انفسهم واباهم لان اقرب المنظور فيه من العاقل نفسه ومن
ولد منه وما شاهد وعاين من الدلايل على الصانع والناقل من هيئة الى هيئة ومن
حال الى حال من وقت ميلاده الى وقت وفاته قال رب المشرق والمغرب وما بينهما
ان كنتم تعقلون قال لين اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين ثم خصص
المشرق والمغرب لان طلوعهما لشمس من احد الخافقين وغروبها في الاخر على
تقدير مستقيم في فصول السنة وحساب مستو من اظهر ما استدل به ولظهوره
انتقل الى الاحتجاج به خليل الله عن الاحتجاج بالاحياء والامامة على نمرود بن
كنعان فبهت الذي كفر وقرى رب المشارق والمغارب الذي ارسل اليكم
بفتح الهمزة فان قلت كيف قال اولا ان كنتم موقنين واخرا ان كنتم تعقلون
قلت لاين اولا فلما راى منهم شدة الشكيمة في العناد وقلة الاصغاء الى عرض
الحجج خاشن وعارض ان رسولكم لمجنون بقوله ان كنتم تعقلون فان قلت الم يكن
لاسجننك اخصر من لاجعلنك من المسجونين ومؤديا مؤداه قلت اما اخصر
فنعم واما مؤداه فلا لان معناه لاجعلنك واحدا ممن عرفت حالهم في

٢٢٨

سجوني وكان من عادته ان ياخذ من يريد سجنه فيطرحه في هوة داهية في
الارض بعيدة العمق فردا لا يبصر فيها ولا يسمع فكان ذلك اشد من القتل قال
اولو جيتك بشيء مبين قال فات به ان كنت من الصادقين الواو في قوله
تعالى اولو جيتك واو الحال دخلت عليها همزة الاستفهام معناه اتفعل بي
ذلك ولو جيتك بشيء مبين اي جايبا بالمعجزة وفي قوله تعالى ان كنت من الصادقين
انه لا ياتي بالمعجزة الا الصادق في دعواه لان المعجزة تصديق من الله تعالى لمدعي
النبوة والحكيم لا يصدق الكاذب ومن العجب ان مثل فرعون لم يخف عليه
هذا وخفي على ناس من اهل القبلة حيث جوزوا القبيح على الله تعالى حتى لزمهم تصديق
الكافرين بالمعجزات وتقديره ان كنت من الصادقين في دعوال ايت به
فحذف الجزا لان الامر بالاتيان به يدل عليه ما لقي عصاه فاذا هي ثعبان
مبين ثعبان مبين ظاهر الثعبانية لا شيء يشبه الثعبان كما تكون الاشيا المز
ورة بالشعوذة والسحر وروي انها انقلبت حية ارتفعت في السماء قدر ميل
ثم انحطت مقبلة الى فرعون وجعلت تقول يا موسى مرني بما شئت ويقول
فرعون اسالك بالذي ارسلك الا اخذتها فاخذها فعادت عصا ونزع
يده فاذا هي بيضا للناظرين للناظرين دليل على ان بياضها كان سببا لجمع النظارة
على النظر اليه لخروجه عن العادة وكان بياضا نوريا روي ان فرعون لما ابصر
الاية الاولى قال فهل غيرها فاخرج يده فقال له ما هذه قال يدك فما فيها فاد
خلها في ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشى الابصار وسد الافق قال للملا
حوله ان هذا لساحر عليم فان قلت ما العامل في قوله قلت هو منصوب
نصبين نصب في اللفظ ونصب في المحل فالعامل وفي النصب اللفظي ما يقدر في
الظرف والعامل في النصب المحلي وهو النصب على الحال قال ولقد اخبر فرعون
لما ابصر الايتين وبقي لا يدري اي طرفيه اطول حتى زل عنه ذكر دعوى الا
طفية وحط عن منكبيه كبرياء الربوبية وارتعدت فرايصه وانتفخ شجره
خوفا وفرقا وبلغت به الاستكانة لقومه الذين هم عنده بزعمه عبيده وهو
الههم ان طفق يوامرهم ويعترف لهم بما حذر منه وتوقعه واحس به
من جهة موسى وعليه على ملكه وارضه وقوله تعالى ان هذا لساحر عليم

قول باهت اذا غلب وتمحل اذا لزم يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تامرون
تامرون من المؤامرة وهي المشاورة او من الامر الذي هو ضد النهي جعل ا
العبيد امرين وزلهم مامورا لما استولى عليه من فرط الذهن والخبرة وماذا
منصوب اما لكونه في معنى المصدر واما لانه مفعول به من قوله امرتك الخير
قالوا ارجه واخاه وابعث في المداين حاشرين ياتوك بكل سحار عليم قرئ
ارجه وارجه بالهمز والتخفيف وهما لغتان يقال ارجه وارجاته اذا
اخرته ومنه المرجئة وهم الذين لا يقطعون بوعيد الفساق ويقولون
هم مرجون لامر الله والمعنى اخره ومناظرته لوقت اجتماع السحرة وقيل
اجلسه حاشرين شرطا يحشرون السحرة وعارضوا قوله ان هذا الساحر
بقولهم بكل سحار فجاوا بكلمة الاحاطة وصفة المبالغة ليطامنوا من نفسه
ويسكنوا بعض قلقه وقرا الاعمش بكل ساحر فجمع السحرة لميقات يوم معلوم اليوم
المعلوم يوم الزينة وميقاته وقت الضحى لانه الوقت الذي وقته موسى
عليه السلام من يوم الزينة في قوله موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس
ضحى والميقات ما وقت به اي حدد من زمان او مكان ومنه مواقيت الاحرام
وقيل للناس هل انتم مجتمعون هل انتم مجتمعون استبطا لهم في الاجتماع والمراد
منه استعجالهم واستحثاثهم كما يقول الرجل لغلامه هل انت منطلق اذا اراد
ان يحوك منه ويحثه على الانطلاق كما يخيل له ان الناس قد انطلقوا وهو وا
قف ومنه قول نابط شرا هل انت باعث دينار لحاجتنا او عبد رب
اخا عون بن مخراق يريد ابعثه الينا سريعا ولا نبطي به لعلنا نتبع السحرة ان
كانوا هم الغالبين لعلنا نتبع السحرة اي في دينهم ان غلبوا موسى ولا نتبع موسى
في دينه وليس غرضهم باتباع السحرة وانما الغرض الكلي ان لا يتبعوا موسى
فساقوا الكلام مساق الكناية لانهم اذا اتبعوهم لم يكونوا متبعين لموسى
فلما جا السحرة قالوا لفرعون اين لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم
لمن المقربين وقرئ نعم بالكسر وهما لغتان ولما كان قوله ان لنا لاجرا في
معنى جزا الشرط لدلالته عليه وكان قوله وانكم اذا لمن المقربين معطوفا
عليه ومدخلا في حكمه دخلت اذا تارة في مكاطفا الذي تقتضيه من الجواب

والجزا

والجزا وعدهم ان يجمع لهم الى الثواب الى سحرهم الذي قدروا انهم يغلبون به
موسى القربة عنده والزلفى قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون والقوا حبالهم
وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون اقسموا بعزة فرعون وهي
من ايمان الجاهلية وهكذا كل حلف بغير الله ولا يصح في الاسلام الا الحلف
بالله معلقا ببعض اسمائه او صفاته كقولك بالله والرحمن وربي ورب
العرش وعزة الله وقدرة الله وجلال الله وعظمة الله قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا تحلفوا بابائكم ولا بامهاتكم ولا بالطواغيت ولا تحلفوا الا بالله ولا تحلفوا
بالله الا وانتم صادقون ولقد استحدث الناس في هذا الباب في اسلامهم جاهلية
بنيت لها الجاهلية الاولى وذلك ان الواحد منهم لو اقسم باسماء الله تعالى كلها
وصفاته على شي لم يقبل منه ولم يعتد به حتى يقسم براس سلطانه فاذا اقسم
به فتلك عندهم جهد اليمين الذي ليس وراءها حلف الحالف فالقى موسى عصاه
فاذا هي تلقف ما يافكون فالقى السحرة ساجدين ما يافكون ما يقلبونه عن
وجهه وحقيقته بسحرهم وكيدهم ويزورونه فيخيلون في حبالهم وعصيهم
انها حيات تسعى بالتمويه على الناظرين او افكهم سمي تلك الاشيا افكا مبالغة
روي انهم قالوا ان يك بك ما جاته موسى سحرا فلن يغلب وان كان من عند الله
فلن يخفى علينا فلما قذف عصاه فتلقفت ما اتوا به علموا انه من عند الله فامنوا
وعن عكرمة اصبحوا سحرة وامسوا شهدا وانما عبر عن الخرور بالالقاء لانه ذكر
مع الالقاءات فسلك به طريق المشاكلة وفيه ايضا مع مراعاة المشاكلة
انهم حين راوا ما راوا لم يتمالكوا ان رموا بانفسهم الى الارض ساجدين كانهم
اخذوا فطرحوا طرحا فان قلت فاعل الالقاء ما هو لو صرح به قلت
هو الله عز وجل بما خولهم من التوفيق او ايمانهم او ما عاينوا من المعجزة
الباهرة ولك ان لا تقدر فاعلا لان القوا بمعنى خروا وسقطوا قالوا
امنا برب العالمين رب موسى وهرون رب موسى وهرون عطف
بيان لرب العالمين لان فرعون كان يدعي الربوبية فارادوا ان يعزلوه و
معنى اضافته اليهما في ذلك المقام انه الذي يدعوا اليه هذان والذي اجرا
على ايديهما ما جرى قال امنتم له قبل اذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فسوف

تعلمون لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين قالوا لاضير انا
الى ربنا منقلبون انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا اول المومنين فلسوف
تعلمون اي وبال ما فعلتم الضر والضير والصور واحدا ارادوا لاضرر علينا
في ذلك بل لنا فيه اعظم النفع لما يحصل لنا في الصبر عليه لوجه الله تعالى من
تكفير الخطايا والثواب العظيم مع الاعواض الكثيرة او لاضير علينا فيما تتوعدنا
به من القتل انه لابد لنا من الانقلاب الى ربنا بسبب من اسباب الموت والقتل اهون
اسبابه واوجاها او لاضير علينا في قتلك انك ان قتلتنا انقلبنا الى ربنا انقلاب
من يطمع في مغفرته ويرجوا رحمته لما رزقنا من السبق الى الايمان وخبر لا محذوف
والمعنى لاضير في ذلك ان كنا معناه لان كنا وكانوا اول جماعة مومنين من
اهل زمانهم او من رعية فرعون او من اهل المشهد وقرئ ان كنا بالكسر وهو
من الشرط الذي يجيء به المدل بامره المتحقق بصحته وهم كانوا متحققين انهم
اول المومنين ونظيره قول العامل لمن يوخر جعله ان كنت عملت لك فوفني حقي
ومنه قوله عز وجل ان كنتم خرجتم جهادا في سبيل وابتغاء مرضاتي مع علمه انهم
لم يخرجوا الا لذلك واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي انكم متبعون قرئ اسر
بقطع الهمزة ووصلها وسر انكم متبعون علل الامر بالاسراء باتباع فرعون وجنوده
اثارهم والمعنى اني بنيت تدبير امركم وامرهم على ان تتقدموا ويتبعوكم حتى
يدخلوا مدخلكم ويسلكوا مثل لكم من طريق البحر فاطبقه عليهم فاهلكهم وروي
انه مات في تلك الليلة في كل بيت من بيوتهم ولد فاشتغلوا بموتاهم حتى
خرج موسى بقومه وروي ان الله تعالى اوحى الى موسى عليه السلام ان اجمع بني
اسرائيل كل اربعة ابيات في بيت ثم اذبحوا الجداء واضربوا بدمائها على ابوابكم
فاني سامر الملائكة ان لا يدخلوا بيتا على بابه دم وسامرهم بقتل البكار القبط
واخبزوا خبزا فطيرا فانه اسرع لكم ثم اسر بعبادي حتى تنتهي الى البحر
فياتيك امري فارسل فرعون في المداين حاشرين فارسل فرعون في اثره
الف الف وخمسمائة الف ملك مسور مع كل ملك الف وخرج فرعون في
جمع عظيم وكانت مقدمته سبعمائة الف كل رجل على حصان وعلى راسه
بيضة وعن عباس رضي الله عنهما خرج فرعون في الف حصان سوى الاناث

فلذلك

فلذلك استقل قوم موسى وكانوا ستمائة الف وسبعين الفا ان هولاء لشرذمة
قليلون والهم لنا لغائظون وانا لجميع حذرون وسماهم شرذمة قليلين ان
هولاء محكي بعد قول مضمر والشرذمة الطائفة القليلة ومنها قولهم ثوب شراذم
للذي بل وتقطع قطعا ذكرهم بالاسم الدال على القلة ثم جعلهم قليلا بالوصف
ثم جمع القليل فجعل كل حزب منهم قليلا واختار جمع السلامة الذي هو للقلة وقد
يجمع القليل على اقلة وقلل ويجوز ان يريد بالقلة الذلة والقماة ولا يريد قلة العدد
والمعنى انهم لقلتهم لا يبالي بهم ولا يتوقع غلبتهم وعلوهم ولكنهم يفعلون افعالا
تغيظنا وتضيق صدورنا ونحن قوم من عادتنا التغيظ والحذر واستعمال الحزم في
الامور فاذا خرج علينا خارج سارعنا الى حسم فساده وهذه معاذير اعتذر بها
الى اهل المداين لئلا يظن به ما يكسر من قهره وسلطانه وقرئ حذرون وحا
زرون وحادرون بالدال غير المعجمة فالحذر اليقظ والحاذر الذي يحدد حذره وقيل
المودي في السلاح وانما يفعل ذلك حذرا واحتياطا لنفسه والحادر السمين اا
القوي قال احب الصبي السوء من اجل امه وابغضه من بغضها وهو حادر اراد
انهم اقويا اشدا وقيل مدججون في السلاح قد كساهم ذلك حذارة في اجسامهم
فاخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم وعن مجاهد سماها كنوزا لانهم
لم ينفقوا منها في طاعة الله تعالى والمقام المكان يريد المنازل الحسنة والمجالس
البهية وعن الضحاك المنابر وقيل السرر في الحجال كذلك واورثناها بني اسرائيل
فاتبعوهم مشرقين كذلك يحتمل ثلثة اوجه النصب على اخرجناهم مثل ذلك
الاخراج الذي وصفناه والجر على انه وصف لمقام اي مقام كريم مثل ذلك
المقام الذي كان لهم والرفع على انه خبر لمبتداء محذوف اي الامر كذلك فاتبعوهم
فلحقوهم وقرئ فاتبعوهم مشرقين داخلين في وقت الشروق من شرقت
الشمس شروقا اذا طلعت فلما تراءى الجمعان قال اصحاب موسى انا لمدركون قال
كلا ان معي ربي سيهدين سيهديني طريق النجاة من ادراكهم واضرارهم وقرئ
فلما تراءت الفئتان انا لمدركون بتشديد الدال وكسر الراء من ادرك الشيء اذا
تتابع ففني ومنه قوله عز وجل بل ادرك علمهم في الاخرة قال الحسن رحمة
الله عليه جهلوا علم الاخرة وفي معناه بيت الحماسة ابعد بني امي الذين تتابعوا

ارحى الحياة ام من الموت اقرع والمعنى انا لمتتابعون فى الهلاك على ايديهم حتى لا يبقى
منا احد فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق وكان كل فرق كالطود
العظيم وازلفنا ثم الاخرين وازلفنا موسى ومن معه اجمعين ثم اغرقنا الاخرين
الفرق الجزء المنفرق منه وقرئ كل فلق والمعنى واحد والطود الجبل العظيم
المنطاد فى السماء وازلفنا ثم حتى انفلق البحر وقرئ وازلقنا بالقاف اى الزلنا
الاخرين قوم فرعون اى قربناهم من بنى اسرائيل او ادنينا بعضهم من بعض وجمعنا
هم حتى لا يلحق انهم احد او قدمناهم الى البحر وقرئ وازلقنا بالقاف اى ازلقنا
الله اقدامهم والمعنى اذ صيرناهم بقوله تدارکتما عبدا وقد قتل عبرتها وذبيان
اذ زلت باقدامها النعل ويحتمل ان يكون الله طريقهم فى البحر على خلاف ما جعل لبنى
اسرائيل يبسا فيزلقهم فيه عن عطاء بن السائب ان جبريل كان بين بنى اسرائيل
وبين ال فرعون فكان يقول لبنى اسرائيل الحقى احركم باولكم وتقبل القبط فيقول
رويدكم يلحق احركم فلما انتهى موسى عليه السلام الى البحر قال له مومن ال فرعون
وكان بين يدى موسى اين امرت فهذا البحر امامك وقد غشك ال فرعون قال
امرت بالبحر ولا يدرى موسى ما يصنع فاوحى الله تعالى اليه ان اضرب بعصاك البحر
فضربه فصار فيه اثنى عشر طريقا لكل سبط طريق وروى ان يوشع قال يا كليم الله
اين امرت فقد غشينا فرعون والبحر امامنا فقال موسى صهنا فخاض يوشع الماء
وضرب موسى بعصاه البحر قد خلوا وروى ان موسى قال عند ذلك اللهم يا من
كان قبل كل شئ والمكون لكل شئ والكائن بعد كل شئ ويقال هذا البحر يهوكر
القلزم وقيل هو بحر من وراء مصر يقال له اساف ان فى ذلك لاية وما كان اكثرهم
مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم ان فى ذلك لاية اية اية واية لا توصف
وقد عاينها الناس وساء امرها فيهم وما تتنه عليها اكثرهم ولا امن باسه وبنوا
اسرائيل الذين كانوا اصحاب موسى عليه السلام لخصوصيتهم بالانجاء قد سالوه
بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وطلبوا رويته الله تعالى حصرة وان ربك لهو
العزيز المنتقم من اعدائه الرحيم باوليائه واتل عليهم نبا ابراهيم اذ قال
لابيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين كان ابراهيم
عليه السلام يعلم انهم عبدة اصنام ولكنه ساطهم ليتبين لهم ان ما يعبدونه ليس

من

من استحقاق العبادة فى شئ كما تقول للتاجر وانت تعلم ان ماله الرقيق ثم
تقول له الرقيق جمال وليس بمال فان قلت ما تعبدون سوال عن
المعبود فحق الكلام ان يقولوا اصناما كقوله تعالى ويسلونك
ماذا ينفقون قل العفو ماذا قال ربكم قال الحق ماذا تنزل ربكم قالوا خيرا
قلت هولاء قد جاءوا بعصة ابراهيم كاملة كالمستهزئ بن طهاء والمفتحين ناتها
على جواب ابراهيم وعلى ما قصدوه من اظهار ما فى تقوسهم من الابتهاج والافتخار
الاثر اهم كيف عطفوا على قولهم نعبد فنظل طاهرا كافين ولم يقتصروا على
زيادة نعبد وحده ومثاله ان تقول لبعض السطار ما تلبس فى بلادك فيقول
البس البرد الاحمى فاجر دليله بين جواز الحمى وانما قالوا نظل لانهم كانوا يعبدون
ونها بالنهار دون الليل قال هل يسمعونكم اذ تدعون او ينفعونكم او يضرون
لابد فى يسمعونكم من تقدير حذف المضاف معناه هل يسمعون دعاءكم وقرا
اقتادة يسمعونكم اى هل يسمعونكم الجواب عن دعائكم وهل تقدرون على
ذلك وجا مضارعا مع اتفاقه فى اذ على حكاية الحال الماضية ومعناه استحضروا
الاحوال الماضية التى كنتم تدعونها فيها وقولوا هل سمعوا او اسمعوا قط وهذا
ابلغ من التسكت قالوا بل وجدنا ابانا كذلك يفعلون قال افرايتم ما كنتم تعبدون
انتم وابا وكم الاقدمون فانهم عدو لى لارب العالمين لما اجابوه بجواب المقلدين
لاباطهم قال لهم رفعوا امر تقليدكم هذا الى اقضى غاياته وهى عبادة الاقدمين
الاولين من اباءكم فان التقدم والاولية لا يكون برهانا على الصحة والباطل
لا ينقلب حقا بالقدم وما عبادة من عبد هذه الاصنام الا عبادة اعداء له
ومعنى العداوة قول الله تعالى كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا
ولان المغرى على عبادتها اعدا الانسان وهو الشيطان وانما قال عدو لى
تصويرا للمسئلة فى نفسه على معنى انى فكرت فى امرى فرايت عبادتى طهاء
عبادة للعدو فاجتنبتها واثرت عبادة من الخير منه كله وارادهم بذلك
النصيحة فصح لطائفة اولا وبنى عليها تدبير امره لينظروا فيقولوا
ما نصحنا ابراهيم الا بما نصح به نفسه وما اراد لنا الا ما اراد لروحه
ليكون ادعى لهم الى القبول والبعث على الاستماع منه ولو قال لهم انهم عدو لكم

لم يكن تلك المثابة ولانه دخل في باب من التعريض وقد يبلغ التعريض للمنصوح
ما لا يبلغه التصريح لانه يتامل فيه فربما قاده التامل الى التقبل ومنه ما يحكى
عن الشافعي رضي الله عنه ان رجلا واجهه بشيء فقال لو كنت تحب انت لاحتجت
الى ادب وسمع رجل ناسا يتحدثون في الحجر فقال ما هو ببيتي ولا ببيتكم والعدو
والصديق يجيئان في معنى الواحدة والجماعة قال وقوم على دوي ميرة اراهم
عدوا وكانوا صديقا ومنه قوله تعالى وهم لكم عدو شبها بالمصادر
للموازنة كالقبول والولوع والحنين والصهيل الا رب العالمين استثناء منقطع
كانه قال ولكن رب العالمين الذي خلقني فهو يهدين والذي يطعمني ويسقين واذا
مرضت فهو يشفين والذي يميتني ثم يحيين فهو يهديني يريد انه حين اتم
خلقه ونفخ فيه الروح عقب ذلك هدايته المتصلة التي لا تنقطع الى كل ما يصلحه
ويعينه الا فمن هداه الى ان يغتذي بالدم في البطن امتصاصا ومن هداه الى
معرفة الثدي عند الولادة والى معرفة مكانه ومن هداه لكيفية الارتضاع
الى غير ذلك من هدايات المعاش والمعاد وانما قال مرضت دون امرضني لان
كثيرا من اسباب المرض تحدث بتفريط من الانسان في مطاعمه ومشاربه و
غير ذلك ومن ثم قالت الحكماء لو قيل لاكثر الموتى ما سبب اجالكم لقالوا التخم
والذي اطمع انه يغفر لي خطيئتي يوم الدين وقرئ خطاياي والمراد ما يبدر منه
من بعض الصغاير لان الانبياء معصومون مختارون على العالمين وقيل هي قوله
اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم وقوله لسارة هي اختي وما هي الا معاريض
كلام وتخيلات للكفرة ليست بخطايا يطلب لها الاستغفار فان قلت
اذا لم يبدر منهم الا الصغاير وهي تقع مكفرة فما له اثبت لنفسه خطيئة
او خطايا وطمع ان تغفر له قلت الجواب سيق لي ان استغفار الانبياء
تواضع منهم لربهم وهضم لانفسهم ويدل عليه قوله تعالى اطمع ولم يجزم
القول بالمغفرة وفيه تعليم لاممهم وليكون لطفا لهم في اجتناب المعاصي
والحذر منها وطلب المغفرة مما يفرط منهم فان قلت لم علق مغفرة
الخطيئة بيوم الدين وانما تغفر في الدنيا قلت لان اثرها يتبين يومئذ
وهو الان خفي لا يعلم رب هب لي حكما والحقني بالصالحين واجعل لي

لسان صدق في الاخرين واجعلني من ورثة جنة النعيم الحكم الحكمة او الحكم
بين الناس بالحق قبل النبوة لان النبي ذو حكمة وذو حكم بين عباد الله و
الحاق الصالحين ان يوفقه لعمل ينتظم به في جملتهم او يجمع بينه وبينهم في
الجنة ولقد اجابه حيث قال وانه في الاخرة لمن الصالحين واغفر لابي انه
كان من الضالين ولا تخزني يوم يبعثون الاخزاء من الخزاي وهو الهوان
ومن الخزامة وهي الحياء وهذا ايضا من نحو استغفارهم مما علموا انه مغفور
وفي يبعثون ضمير العباد لانه معلوم او ضمير الضالين وان يجعل من جملة
الاستغفار لابيه يعني ولا تخزني يوم يبعث الضالون وابي فيهم يوم
لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم الا حال من اتى الله الا حال من
اتى الله بقلب سليم وهو من قوله تحية بينهم ضرب وجيع وما توابه
الا السيف وبيانه ان يقال لك هل لزيد مال وبنون فتقول ماله وبنونه
سلامة قلبه يريد نفي المال والبنين عنه واثبات سلامة القلب له بدلا عن
ذلك وان شئت حملت الكلام على المعنى وجعلت المال والبنين في معنى الغنى
كانه قيل يوم لا ينفع غنى الا غنى من اتى الله بقلب سليم لان غنى الرجل في دينه
لسلامة قلبه كما ان غناه في الدنيا بماله وبنيه ولك ان تجعل الاستثناء
منقطعا ولا بد مع ذلك من تقدير المضاف وهو الحال والمراد بها سلامة
القلب وليس هي من جنس المال والبنين حتى يؤول المعنى الى ان
المال والبنين لا ينفعان وانما ينفع سلامة القلب ولو لم تقدر المضاف
لم يتحصل للاستثناء معنى وقد جعل من مفعولا لينفع اي لا ينفع مال ولا
بنون الا رجلا سلم قلبه مع ماله حيث انفقه في طاعة الله ومع بنيه حيث
ارشدهم الى الدين وعلمهم الشرايع ويجوز على هذا الا من اتى الله بقلب سليم
من فتنة المال والبنين ومعنى سلامة القلب سلامته من افات الكفر وا
والمعاصي ومما اكرم الله تعالى به خليله ونبه على جلالة محله في الاخلاص ان
حكى استثناه هذا حكاية راض باصابته فيه ثم جعله صفة له في قوله تعالى
وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم ومن بدع التفاسير تفسير
بعضهم السليم باللديغ من خشية الله تعالى وقول اخر هو الذي سلم وسلم

واسلم وسالم واستسلم وما احسن ما رتب ابراهيم عليه السلام كلامه مع المشركين
حين سالهم اولا عما يعبدون سوال مقرر تسمع وعلى تقليدهم لا مستفهم ثم الحى
على الهتهم فابطل امرها بالها لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع وعلى تقليدهم
اباهم الاقدمين فكسره واخرجه من ان يكون شبهه فضلا ان يكون حجة
ثم صور المسئلة فى نفسه ووطنهم حتى تخلص منها الى ذكر الله عز وعلا فعظم
شانه وعدد نعمه من لدن خلقه وانشائه الى حين وفاته مع ما يرجى فى
الاخرة من رحمته ثم اتبع ذلك ان دعاه بدعوات المخلصين وابتهل اليه
ابتهال الاوابين ثم وصله بذكر يوم القيامة وثواب الله وعقابه وما يدفع اليه
المشركون يومئذ من الندم والحسرة على ما كانوا عليه من الضلال وعتى الكرة
الى الدنيا ليؤمنوا ويطيعوا وازلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين
وقيل لهم اينما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم او ينتصرون فكبكبوا
فيها هم والغاوون الجنة تكون قريبة من موقف السعداء ينظرون
اليها ويغتبطون بالهم المحشورون اليها والنار تكون بارزة مكشوفة للاشقياء
بمراى منهم يتحسرون على انهم المسوقون اليها قال الله تعالى وازلفت الجنة
للمتقين غير بعيد وقال تعالى فلما راوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا
يجمع عليهم الغموم كلها والحسرات فتجعل النار تمر اى منهم فيهلكون غما فى كل لحظة
ويوبخون على اشراكهم فيقال لهم اين الهتكم هل ينفعونكم بنصرتهم لكم او هل ينفعون
انفسهم بانتصارهم لانهم والهتهم وقود النار وهو قوله تعالى فكبكبوا فيها
هم اى الالهة والغاوون وعبد لهم الذين برزت لهم الجحيم والكبكبة تكرير الكبت
جعل التكرير فى اللفظ دليلا على التكرير فى المعنى كانه اذا القى فى جهنم ينكب مرة
بعد مرة حتى يستقر فى قعرها اللهم اجرنا منها يا خير مستجار وجنود ابليس اجمعون
قال اوهم فيها يختصمون بالله ان كنا لفى ضلال مبين اذ نسوكم برب العالمين
وما اضلنا الا المجرمون وجنود ابليس شياطينه اى متبعوه من عصاة الانس
والجن يجوز ان ينطق الله الاصنام حتى يصح التقاول والتخاصم ويجوز ان يجرى
بين العصاة والشياطين والمراد بالمجرمين الذين اضلوهم راساهم وكبراؤهم
كقوله تعالى ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيل وعن السدى

الاولون

الاول الذين اقتدينا بهم وعن ابن جريج ابليس وابن ادم القاتل لانه اول من
سن القتل وانواع المعاصى فما لنا شافعين ولا صديق حميم فما لنا من كما ترى
لهم اصدقاء لانه لا يتصادق فى الاخرة الا المومنون واما مشاء اهل النار فبينهم
والتعادى والتباغض قال الله تعالى الاخلاء بعضهم يومئذ لبعض عدو
الا المتقين او فما لنا من شافعين ولا صديق حميم من الذين كنا نعدهم
شفعاء واصدقاء لانهم كانوا يعتقدون فى اصنامهم انهم شفعاؤهم عند الله
وكان لهم الاصدقاء من شياطين الانس او ارادوا لهم وقعوا فى مهلكة علموا
ان الشفعاء والاصدقاء لا ينفعونهم ولا يدفعون عنهم فقصدوا بنفيهم نفى
ما يتعلق بهم من النفع لان ما لا ينفع حكمه حكم المعدوم والحميم من الاحتمام
وهو الذى يهمه ما يهمك او من الحامة بمعنى الخاصة وهو الصديق الخاص
فان قلت جمع الشافع ووحد الصديق قلت لكثرة الشفعاء فى العادة
وقلة الصديق الا ترى ان الرجل اذا امتحن بارهاق ظالم نهضت جماعة وافرة
من اهل بلده لشفاعته رحمة له وحسبة وان لم تسبق له باكثرهم معرفة واما
الصديق وهو الصادق فى ودادك الذى يهمه ما اهمك فاعز من بيض الانوق
وعن بعض الحكماء انه سئل عن الصديق فقال اسم لا معنى له ويجوز ان يريد بالصديق
الجمع فلو ان لنا كرة فنكون من المومنين ان فى ذلك لاية وما كان اكثرهم
مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم الكرة الرجعة الى الدنيا ولو فى مثل
هذا الموضع فى معنى التمنى كانه قيل فليت لنا كرة وذلك لما بين معنى لو و
وليت من التلاقى فى التقدير ويجوز ان تكون على اصلها وتحذف الجواب
وهو لفعلنا كيت وكيت كذبت قوم نوح المرسلين اذ قال لهم اخوهم
نوح الا تتقون القوم مؤنثة وتصغيرها قويمة ونظير قوله المرسلين
والمراد نوح عليه السلام قولك فلان يركب الدواب ويلبس البرود وما له
الا دابة وبرد وقيل اخوهم لانه كان منهم من قول العرب يا اخا بنى تميم
يريدون يا واحدا منهم ومنه بيت الحماسة لا يسئلون اخاهم حين
يندبهم فى النائبات على ما قال برهانا انى لكم رسول امين فاتقوا الله وا
اطيعون كان امينا فيهم مشهورا بالامانة كمحمد صلى الله عليه وسلم فى

في قريش واطيعوني في نصحي لكم وفيما ادعوكم اليه من الحق وما اسالكم عليه
من اجر ان اجري الا على رب العالمين فاتقوا الله واطيعون عليه على هذا
الامر وعلى ما انا فيه يعني دعاه ونصحه ومعنى فاتقوا الله واطيعون
فاتقوا الله في طاعتي وكرره ليوكده عليهم ويقرره في نفوسهم مع تعليق كل
واحدة منهما بعلة جعل علة الاول كونه امينا فيما بينهم وفي الثاني حسم طمعه
عنهم قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون قال وما علمي بما كانوا يعملون ان
حسابهم الا على ربي لو تشعرون وما انا بطارد المومنين ان انا الا نذير
مبين قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين قال رب ان قومي
كذبون فافتح بيني وبينهم فتحا ونجني ومن معي من المومنين وقرى واتباعك
واتباعك جمع تابع كشاهد واشهاد او جمع تبع كبطل وابطال والواو للحال و
حقها ان يضمر بعدها قد في واتبعك وقد جمع الارذل على الصحة وعلى التكسير
في قوله عز وجل الذين هم اراذلنا والرذالة والتذالة الخسة والدناة
وانما استرذلوهم لاتضاع نسبهم وقلة نصيبهم من الدنيا وقيل كانوا من
اهل الصناعات الدنية كالحياكة والحجامة والصناعة لا تزري بالديانة
وهكذا كانت قريش يقول في اصحاب محمد عليه السلام وما زالت اتباع
الانبيا كذلك حتى صارت من سماتهم واماراتهم الا ترى هرقل حين سال
ابا سفيان عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم فلما قال ضعفا الناس واراذلهم
قال ما زالت اتباع الانبيا كذلك وعن ابن عباس رضي الله عنهما هم الفاغة
وعن عكرمة الحاكة والاساكفة وعن مقاتل السفلة وما علمي واي شي علمي والمراد
انتفا علمه باخلاص اعمالهم واطلاعه على سر امرهم وباطنه وانما قال هذا لانهم
طعنوا مع استرذالهم في ايمانهم وانهم لم يومنوا عن نظر وبصيرة وانما ا
امنوا هوى وبديهة كما حكى الله عنهم في قوله سبحانه وتعالى الذين هم اراذ
لنا بادي الراي ويجوز ان يتغابى لهم نوح عليه السلام بما فيفسر قولهم الا
رذلين بما هو الرذالة عنده من سوء الاعمال وفساد العقايد ولا يلتفت
الى ما هو الرذالة عندهم ثم يبني جوابه على ذلك فيقول ما علي الا اعتبار الظوا
هر دون التفتيش عن اسرارهم والشق عن قلوبهم وان كان لهم عمل شي فالله

محاسبهم

محاسبهم ومجازيهم عليه وما انا الا منذر لا محاسب ولا مجاز لو تشعرون ذلك
ولكنكم تجهلون فتلتاقون مع الجهل حيث يسركم وقصد بذلك رد اعتقا
دهم وانكار ان يسمى المومن رذلا وان كان افقر الناس واوضعهم نسبا فان
الغنى غنى الدين والنسب نسب التقوى وما انا بطارد المومنين يريد ليس
من شاني ان اتبع شهواتكم واطيب نفوسكم بطرد المومنين الذين صح ايمانهم
طمعا في ايمانكم وما علي الا ان انذركم انذارا بينا بالبرهان الصحيح الذي يتميز به الحق
من الباطل ثم انتم اعلم بشانكم ليس هذا باخبار بالتكذيب لعلمه ان عالم
الغيب والشهادة اعلم ولكنه اراد اني لا ادعوك عليهم لما عاظوني وآذوني
وانما ادعوك لاجلك ولاجل دينك ولانهم كذبوني في وحيك ورسالتك
فاحكم بيني وبينهم والفتاحة الحكومة والفتاح الحاكم لانه يفتح المستغلق
كما سمي فيصلا لانه يفصل بين الخصومات فانجيناه ومن معه في الفلك المشحون
ثم اغرقنا بعد الباقين ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك
لهو العزيز الرحيم الفلك السفينة وجمعه فلك قال الله تعالى وترى الفلك
فيه مواخر قالوا احد بوزن قفل والجمع بوزن اسد كسروا فعلا على فعل كما
كسروا فعلا على فعل لانهما اخوان في قولك العرب والعرب والرسد والرشد
فقالوا اسد واسد وفلك وفلك ونظيره بعير هجان وابل هجان ودرع دلاص
ودروع دلاص قالوا احد بوزن كناز والجمع بوزن كرام والمشحون المملو يقال شحنها
عليهم خيلا ورجالا كذبت عاد المرسلين اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون اني لكم
رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب
العالمين اتبنون بكل ريع اية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون قرى
بكل ريع بالكسر والفتح وهو المكان المرتفع قال المسيب بن علس في الال تر
فعا ويخفضها ريع يلوح كانه سحل ومنه قولهم كم ريع ارضك وهو ارتفاعها
والاية العلم وكانوا ممن يهتدون بالنجوم في اسفارهم فاتخذوا في طرقهم
اعلاما طوالا فعبثوا بذلك لانهم مستغنين عنها بالنجوم وعن مجاهد ريع بروح
الحمام والمصانع ماخذ الما وقيل القصور المشيدة والحصون لعلكم تخلدون ترجون
الخلود في الدنيا او تشبه حالكم حال من يخلد وفي حرف اني كانكم وقرى

تخلدون ترجون الخلود في الدنيا او تسبه حالكم حال من يخلد وفي حرف افي
كانكم وقرئ تخلدون بضم التاء مخففا ومشددا واذا بطشتم بطشتم جبارين
فاتقوا الله واطيعون واتقوا الذي امدكم بما تعلمون واذا بطشتم بسوط
او سيف كان ذلك ظلما وعلوا او قيل الجبار الذي يقتل ويضرب على الغضب
وعن الحسن تبادرون تعجيل العذاب لا تتبنون متفكرين في العواقب امدكم
بانعام وبنين وجنات وعيون اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم بالغ في
تنبيههم على نعم الله حيث اجملها ثم فصلها مستشهدا بعلمهم وذلك انه ايقظهم عن سنة
غفلتهم عنها حيث قال امدكم بما تعلمون ثم عددها عليهم وعرفهم المنعم بتعديد
ما يعلمون من نعمته وانه كما قدر ان يتفضل عليكم بهذه النعمة فهو قادر على الثواب
والعقاب فاتقوه ونحوه قوله عز وجل ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد
فان قلت كيف قرن البنين بالانعام قلت هم الذين يعينونهم على حفظها
والقيام عليها قالوا سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين فان قلت لو قيل
اوعظت او لم تعظ كان اخصر والمعنى واحد قلت ليس المعنى بواحد
وبينهما فرق لان المراد سواء علينا افعلت هذا الفعل الذي هو الوعظ ام لم تكن
اصلا من اهله ومباشريه فهو ابلغ في قلة اعتدادهم بوعظه من قولك ام لم
تعظ ان هذا الا خلق الاولين وما نحن بمعذبين فكذبوه فاهلكناهم ان في ذلك
لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم من قرا خلق الاولين
بالفتح فمعناه ان ما جئت به اخلاق الاولين وتخرصهم كما قالوا اساطير الاولين
او ما خلقنا هذا الا خلق القرون الخالية نحيى كما حيوا ونموت كما ماتوا ولا بعث
ولا حساب ومن قرا خلق بضمتين وبواحدة فمعناه ما هذا الذي نحن عليه من
الدين الا خلق الاولين وعادتهم كانوا يدينونه ويعتقدونه ونحن بهم مقتدون
او ما هذا الذي نحن عليه من الحياة والموت الا عادة لم يزل عليها الناس
في قديم الدهر او ما هذا الذي جئت به من الكذب الا عادة الاولين كانوا
يلفقون الكذب مثله ويسطرونه كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم
صالح الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه
من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتتركون فيما ههنا امنين في جنات

وعيون

وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم اتتركون يجوز ان يكون ان كارا
لان يتركوا مخلدين في نعيمهم لا يزالون عنه وان يكون تذكيرا بالنعمة في
تخلية الله اياهم وما يتنعمون به من الجنات وغير ذلك مع الامن والدعة
فيما ههنا في الذي استقر في هذا المكان من النعيم ثم فسره بقوله تعالى في جنات
وعيون وهذا ايضا اجمال ثم تفصيل فان قلت لم قال ونخل بعد قوله
والجنة تتناول النخل اول شيء كما يتناول النعم الابل كذلك من بين الازواج
حتى انهم كيذكرون الجنة ولا يقصدون الا النخل كما يذكرون النعم ولا يريدون
الا الابل قال زهير تسقي جنة سحقا قلت فيه وجهان ان يخص النخل
بافراده بعد دخوله في جملة سائر الشجر تنبيها على انفراده عنها بفضله عليها
وان يريد بالجنات غيرها من الشجر لان اللفظ يصلح كذلك ثم يعطف
عليها النخل الطلعة هي التي تطلع من النخل لنصل السيف في جوفه شماريخ
القنو والقنو اسم للخارج من الجذع كما هو بعرجونه وشماريخه والهضيم اللطيف
الضامر من قولهم كشح هضم وطلع اناث النخل فيه لطف وفي طلع الجا
جبل جفا وكذلك طلع البرني الطف من طلع اللون فذكرهم نعمة الله في ان
وهب لهم اجود النخل وانفعه لان الاناث ولادة التمر والبرني اجود
التمر واطيبه ويجوز ان يريد ان نخيلهم اصابت جودة المنابت وسعة الماء
وسلمت من العاهات فحملت الحمل الكثير واذا كثر الحمل هضم واذا قل جاء فاخرا
وقيل الهضيم اللين النضيج كانه قال ونخل قد ارطب تمره وتنحتون من الجبال
بيوتا فرهين فاتقوا الله واطيعوا امر المسرفين وقرا الحسن وتنحتون بفتح
الحاء وقرئ فرهين وفارهين والفراهة الكيس والنشاط ومنه خيل فرهة
استعير لامتثال الامر وارتسامه طاعة الامر المطاع او جعل الامر مطاعا على
المجاز الحكمي والمراد الامر ومنه قولهم لك علي امرة مطاعة وقوله تعالى
واطيعوا امري الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون قالوا انما انت من المسحرين
ما انت الا بشر مثلنا فات باية ان كنت من الصادقين فان قلت
ما فايدة قوله ولا يصلحون قلت فايدته ان فسادهم فساد مصمت
ليس معه شيء من الصلاح كما يكون حال بعض المفسدين مخلوطة ببعض الصلاح

المسحر الذي سحر كثيرا حتى غلب على عقله وقيل هو من السحر الرية وانه بشر قال
هذه ناقة الله لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب
يوم عظيم الشرب النصيب من الماء نحو السقي والبيت للحظ من السقي والقوت وقرئ
بالضم روي انهم قالوا نريد ناقة عشراء تخرج من هذه الصخرة فتلد سقيا فقعد
صالح يتفكر فقال له جبريل صل ركعتين وسل ربك الناقة ففعل فخرجت ا
الناقة وبرئت بين ايديهم ونتجت سقيا مثلها في العظم وعن ابي موسى رايت
مصدرها فاذا هو ستون ذراعا وعن قتادة اذا كان يوم شربها شربت ماءهم
كله ولهم شرب يوم لا تشرب فيه الماء بسوء بضرب او عقر او غير ذلك عظم
اليوم لحلول العذاب فيه ووصف اليوم به ابلغ من وصف العذاب لان الوقت
اذا عظم بسببه كان موقعه من العظم اشد فعقروها فاصبحوا نادمين فا
فاخذهم العذاب ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو
العزيز الرحيم وروي ان مستطعا الجاها الى مضيق في شعب فرماها بسهم فاصاب
رجلها فسقطت ثم ضربها قدار وروي ان عاقرها قال لا اعقرها حتى ترضوا ا
اجمعين فكانوا يدخلون على المراة في خدرها فيقولون اترضين فتقول نعم
وكذلك صبيانهم فان قلت لم اخذهم العذاب وقد ندموا قلت لم
يكن ندمهم ندم تائبين ولكن ندم خائفين ان يعاقبوا على العقر عقابا عاجلا كمن يرى
في بعض الامور رايا فاسدا ويبني عليه ثم يندم ويتحسر كندامة الكسعي او ندموا
ندم تائبين ولكن في غير وقت التوبة وذلك عند معاينة العذاب وقال عز وعلا
وليست التوبة للذين يعملون السيئات الاية وقيل كانت ندامتهم على ترك الولد وهو
بعيد واللام في العذاب اشارة الى عذاب يوم عظيم كذبت قوم لوط المرسلين
اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون
وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتاتون الذكران من العالمين
وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم بل انتم قوم عادون اراد بالعالمين الناس
اي اتاتون من بين اولاد ادم على فرط كثرتهم وتفاوت اجناسهم وعليه اناثهم
على ذكورهم في الكثرة ذكرانهم كان الاناث قد اعوزتكم او اتاتون انتم من بين
من عداكم من العالمين الذكران يعني انكم يا قوم لوط وحدكم مختصون بهذه الفاحشة

والعالمون

والعالمون على هذا القول كل ما ينكح من الحيوان من ازواجكم يصلح ان تكون تبيينا لما
خلق وان تكون للتبعيض ويراد بها خلق العضو المباح منهن وفي قراءة ابن مسعود
ما اصلح لكم ربكم من ازواجكم وكانهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنساء لهم
العادي المتعدي في ظلمه المتجاوز فيه الحد ومعناه اترتكبون هذه المعصية
على عظمها بل انتم قوم عادون في جميع المعاصي فهذا من جملة ذاك او بل انتم احقا
بان توصفوا بالعدوان حيث ارتكبتم مثل هذه العظيمة قالوا لئن لم تنته يا لوط
لتكونن من المخرجين لئن لم تنته عن نهينا وتقبيح امرنا لتكونن من جملة من اخر
جناه من بين اظهرنا وطردناه من بلدنا ولعلهم كانوا يخرجون من اخرجوه
على اسوا حال من تعنيف به واحتباس لاملاكه وكما يكون حال الظلمة اذا اجلوا بعض
من يغضون عليه وكما كان يفعل اهل مكة بمن يريد المهاجرة قال اني لعملكم
من القالين ومن القالين ابلغ من ان تقول اني لعملكم قال كما تقول فلان
من العلماء فيكون ابلغ من قولك فلان عالم لانك تشهد له بكونه معدودا
في زمرتهم ومعز ومساهمة لهم في العلم ويحرز ان يريد من الكاملين في قلاكم
والقلى البغض الشديد كانه بغض يقلي الفواد والكبد وفي هذا دليل على عظم
المعصية والمراد القلى من حيث الدين والتقوى وقد تقوى همة الدين في
دين الله حتى تقرب كراهته للمعاصي من الكراهة الجبلية رب نجني واهلي مما يعملون
فنجيناه واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الاخرين مما يعملون
من عقوبة عملهم وهو الظاهر ويحتمل ان يريد بالنجية العصمة فان قلت
فما معنى قوله فنجيناه واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين قلت معناه
انه عصمه واهله من ذلك الا العجوز فانها كانت غير معصومة منه لكونها را
ضية به ومعينة عليه ومحرشة والراضي بالمعصية في حكم العاصي فان
قلت كان اهله مومنين ولولا ذلك لما طلب لهم النجاة فكيف ا
ستثنيت الكافرة منهم قلت الاستثناء انما وقع من الاهل وفي هذا الاسم
لها معهم شركة بحق الزواج وان لم تشاركهم في الايمان فان قلت في الغابرين
صفة لها كانه قيل الا عجوزا غابرة ولم يكن الغبور صفتها وقت نجيهم قلت
معناه الا عجوزا مقدرا غبورها ومعنى الغابرين في العذاب والهلاك

عيه الناجين وامطرنا عليهم مطرا فسا مطر المنذرين ان في ذلك لاية وما كان
اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم قيل انها هلكت مع من خرج من القرية
بما امطر عليهم من الحجارة والمراد بتدميرهم الاستيفاك بهم واما الامطار فعن قتادة
امطر الله على شذاذ القوم حجارة من السماء فاهلكهم وعن ابن زيد لم يرض بالا
بالايتفاك حتى اتبعه مطرا من حجارة وفاعل وسا مطر المنذرين ولم يرد بالمنذرين
قوما باعيانهم انما هو للجنس والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم كذبت
اصحاب الايكة المرسلين اذ قال لهم شعيب الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله
واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين قرى اصحاب الايكة
بالهمزة وبتخفيفها وبالجر على الاضافة وهو الوجه ومن قرا بالنصب زعم
ان ليكة بوزن ليلة اسم بلد فتوهم قاد اليه خط المصحف حيث وجدت مكتوبة
في هذه السورة وفي سورة ص بغير الف وفي المصحف اشيا كتبت على خلاف قياس
الخط المصطلح عليه وانما كتبت في هاتين السورتين على حكم لفظ اللافظ كما يكتب
اصحاب النحو لان ولولى على هذه الصورة لبيان لفظ المخفف وقد كتبت في
ساير القران على الاصل والقصة واحدة على ان سلم لا يعرف وروي ان اصحاب
الايكة كانوا اصحاب شجر ملتف وكان شجرهم الدوم فان قلت هلا قيل اخوهم
شعيب كما في ساير المواضع قلت قالوا ان شعيبا لم يكن من اصحاب الايكة
وفي الحديث ان شعيبا اخا مدين ارسل اليهم والى اصحاب الايكة اوفوا الكيل ولا تكو
نوا من المخسرين وزنوا بالقسطاس المستقيم الكيل على ثلثة اضرب واف وطفيف
وزائد فامر بالواجب الذي هو الايفا ونهى عن المحرم الذي هو التطفيف ولم
يذكر الزايد وكان تركه عن الامر والنهي دليل على انه ان فعله فقد احسن وان لم
يفعله فلا عليه قرى بالقسطاس مضموما ومكسورا وهو الميزان وقيل القرسطوت
فان كان من القسط وهو العدل وجعلت العين مكررة فوزنه فعلاس والا فهو
باعي وقيل هو بالرومية العدل ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا في الارض
مفسدين واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين يقال بخسه حقه اذا نقصه اياه
ومنه قيل للمكس البخس وهو عام في كل حق ثبت لاحد ان لا يهضم وفي كل ملك ان
لا يغصب عليه مالكه ولا يتحيف منه ولا يتصرف فيه الا باذنه تصرفا شرعيا يقال

عثى

عثى في الارض وعثى وعات وذلك نحو قطع الطريق والغارة واهلاك الزروع
وكانوا يفعلون ذلك مع توليهم انواع الفساد فنهوا عن ذلك وقرى الجبلة
بوزن الايلة والجبلة بوزن الخلقة ومعناهن واحد اي ذوي الجبلة وهو كقولك
والخلق الاولين قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا وان نظنك
لمن الكاذبين فان قلت هل اختلف المعنى بادخال الواو هنا وتركها في
قصة ثمود قلت اذا دخلت وان الرسول لا يجوز ان يكون مسحرا ولا
يجوز ان يكون بشرا واذا تركت الواو فلم يقصد الا معنى واحد وهو كونه
مسحرا ولا يجوز ان ثم قرر بكونه بشرا مثلهم فان قلت ان المخففة
من الثقيلة ولامها كيف تفرقتا على فعل الظن وثاني مفعوليه قلت اصلهما
ان تتفرقا على المبتدا والخبر كقوله ان زيد لمنطلق فلما كان البابان اعني باب
كان وباب ظننت من جنس باب المبتدا والخبر فعل ذلك في البابين فقيل ان
كان زيد لمنطلقا وان ظننته لمنطلقا فاسقط علينا كسفا من السماء ان كنت
من الصادقين قال ربي اعلم بما تعملون وقرى كسفا بالسكون والحركة وكلاهما جمع
كسفة نحو قطع وسدر وقيل الكسف والكسفة كالريع والريعة وهي القطعة
وكسفه قطعه والسما السحاب والمظلة وما كان طلبهم ذلك الا لتصميمهم على الجحود
والتكذيب ولو كان فيهم ادنى ميل الى التصديق لما اخطروه ببالهم فضلا ان يطلبوه
والمعنى ان كنت صادقا انك نبي فادع الله ان يسقط علينا كسفا من السماء ربي
اعلم بما تعملون يريد ان الله اعلم باعمالكم وبما تستوجبون عليها من العقاب فان
اراد ان يعاقبكم باسقاط كسف من السماء فعل وان اراد عقابا اخر فاليه
الحكم والمشية فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم
ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم فاخذهم
الله بنحو ما اقترحوا بعذاب الظلة ان ارادوا بالسما السحاب وان ارادوا المظلة
فقد خالف بهم عن مقترحهم يروى انه حبس عنهم الريح سبعا وسلط عليهم
الوهد فاخذهم بانفاسهم لا ينفعهم ظل ولا ماء ولا سرب فاضطروا الى ان خرجوا
الى البرية فاظلتهم سحابة وجدوا لها بردا ونسيما فاجتمعوا تحتها فامطرت
عليهم نارا فاحترقوا وروي ان شعيبا عليه السلام بعث الى امتين اصحاب

مدين واصحاب الايكة فاهلكت مدين بصيحة جبريل واصحاب الايكة بغداب
يوم الظلة فان قلت كيف كرر فى هذه السورة فى اول كل قصة واخرها
ما كرر قلت كل قصة منها كتنزيل برأسه وفيها من الاعتبار مثل ما فى غيرها
فكانت كل واحدة منها تدلى بحق فى ان تفتتح بما افتتحت به صاحبتها وان
تختم بما اختتمت به ولان فى التكرير تقريرا للمعانى فى الانفس وتثنيتا طها فى
الصدور والاترى انه لا طريق الى تحفظ العلوم الا ترديد ما يراد تحفظه منها
وكلما ازداد ترديده كان امكن له فى القلب وارسخ فى الفهم واثبت للذكر وابعد
من النسيان ولان هذه القصص طرقت بها اذان وقرعت الانصات للحق
وقلوب غلف عن تدبره فكرت بالوعظ والتذكير وروجعت بالترديد
والتكرير لعل ذلك يفتح اذنا او يقشع غلفا او يصقل عقلا طال عهده بالصقل
او يجلو افهما قد عطى عليه تراكم الصدا وانه لتنزيل رب العالمين نزل به
الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين وانه وان
هذا التنزيل يعنى ما تنزل من هذه القصص والايات والمراد المتنزل و
والمانى تنزل به الروح جعل الله الروح نازلا به على قلبك اى خفظكه وفهمك
اياه واثبته فى قلبك اثبات مالا ينسى كقوله عز وجل سنقرئك فلا تنسى
بلسان عربى اما ان يتعلق بالمنذرين فيكون المعنى لتكون من الذين انذروا
بهذا اللسان وهم خمسة هود وصالح وشعيب واسماعيل ومحمد صلوات
الله عليه وعليهم اجمعين واما ان يتعلق بنزل فيكون المعنى نزله باللسان
العربى لتنذر به لانه لو نزله باللسان الاعجمى لتجافوا عنه اصلا ولقالوا ما
نصنع بما لا نفهمه فيتعذر الانذار به وفى هذا الوجه ان تنزيله بالعربية
التى هى لسانك ولسان قومك تنزيل له على قلبك لانك تفهمه وتفهمه قومك
ولو كان اعجميا لكان نازلا عن سمعك دون قلبك لانك تسمع احاد حروف
لا تفهم معانيها ولا تعيها وقد يكون الرجل عارفا بعدة لغات فاذا كلما
بلغته التى لقنها اولا وتشاغليها وتطبع بها لم يكن قلبه الا الى معانى الكلام
يتعلقها قلبه ولا يكاد يفطن الالفاظ حتى حرت وان كلم بغير تلك
اللغة وان كان ماهرا بمعرفتها كان نظره اولا فى الفاظها ثم فى معانيها

فهذا

فهذا القرآن نزل على قلبه للتنزيله بلسان عربى مبين وانه لفى زبر الاولين وانه
وان القرآن يعنى ذكره مثبت فى سائر الكتب السماوية وقيل ان معانيه
فيها وبه نحج لابى حنيفة رحمه الله عليه فى جواز القراءة بالفارسية فى الصلاة
على ان القرآن قد ان اذا ترجم بغير العربية حيث قيل وانه لفى زبر الاولين لكون
معانيه فيها وقيل الضمير لرسول الله عليه السلام وكذلك فى ان يعلمه وليس بواضح
اولو لم يكن لهم اية ان يعلمه علماء بنى اسرائيل ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقرأه
عليهم ما كانوا به مؤمنين وقرئ يكن بالتانيث وجعلت اية اسما وان يعلمه
خبرا وليست كالاولى لوقوع النكرة اسما والمعرفة خبرا وقد خرج لها وجه آخر
لنتخلص من ذلك فقيل فى تكن ضمير القصة واية ان يعلمه جملة واقعة موقع
الخبر ويجوز على هذا ان يكون لهم اية هى جملة الشان وان يعلمه بدلا عن اية
ويجوز مع نصب الاية تانيث تكن كقوله عز وجل ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا ومنه
سنت بسنت قمضى وقدمها وكانت عادة منه اذا هى عردت اقدامها وقرئ
تعلمه بالتاء وعلماء بنى اسرائيل عبد الله بن سلام وغيره قال الله سبحانه وتعالى واذا
تتلى عليهم قالوا امنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين فان قلت
كيف خط فى المصحف علموا بواو قبل الالف قلت خط على لغة من يميل الا
لف الى الواو وعلى هذه اللغة كتبت الصلوة والزكوة والربوا الاعجم الذى
لا يفصح وفى لسانه عجمة واستعجام والاعجمى مثله الا ان فيه لزيادة النسبة
زيادة تاكيد وقرئ الحسن الاعجمين ولما كان من يتكلم بلسان وقالوا الكل ذى
صوت من البهايم والطيور وغيرها اعجم قال حميد ولا عربيا شاقه صوت اعجما
كذلك سلكناه فى قلوب المجرمين لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم فيبتهم بغتة
وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظرون افبعذابنا يستعجلون افرايت ان
متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون سلكناه
ادخلناه ومكناه والمعنى انا انزلنا هذا القرآن على رجل عربى بلسان عربى مبين
فسمعوا به وفهموه وعرفوا فصاحته وانه معجز لا يعارض بكلام مثله والقسم الى ذلك
اتفاق علما اهل الكتاب والكتب المنزلة قبله على ان البشارة بانزاله وتحلية
المنزل عليه وصفته فى كتبهم وقد تضمنت معانيه وقصصه وصح بذلك

الهاس عند انه وليت باساطير كما زعموا فلم يومنوا به وجحدوه وسموه شعرا
تارة وسحرا اخرى وقالوا انهوس تلفيق محمد وافترائه ولو نزلناه على بعض الاعاجم
الذي لا يحسن العربية فضلا ان يقدر على نظم مثله فقراه عليهم هكذا فصيحا معجزا
متحديا به لكفروا به كما كفروا ولتحاملوا الجحود هم عذرا ولسموه سحرا ثم قال كذلك
سلكناه اي مثل هذا السلك سلكناه في قلوبهم وهكذا مكناه وقررناه فيها وعلى
مثل هذه الحال وهذه الصفة من الكفرية والتكذيب له وضعناه فيها فكيف
ما فعل طبعهم وضع على اي وجه ودبر امرهم فلا سبيل الى ان يتفكروا اعتماهم عليه من
جحوده وانكاره كما قال الله تبارك وتعالى ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس
فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين فان قلت كيف
اسند السلك بصفة التكذيب الى ذاته قلت اراد به الدلالة على تمكنه تمكنا
في قلوبهم اشد التمكن واشته فجعله بمنزلة امر قد جبلوا عليه وفطروا الا
ترى الى قولهم هو مجبول على الشح يريدون تمكن الشح فيه لان الامور الطبيعية
اثبت من العارضة والدليل عليه انه اسند ترك الايمان به اليهم على عقبه
وهو قوله لا يومنون به فان قلت ما موقع لا يومنون به من قوله سلكناه
في قلوب المجرمين قلت موقعه منه موقع الموضح والملخص لانه سوق
لاثباته مكذبا مجحودا في قلوبهم فاتبع ما يقدر هذا المعنى من الطعن لا يزالون
على التكذيب به وجحوده حتى يعاينوا الوعيد ويجوز ان يكون حالا اي سلكناه
فيها غير مومن به وقرا الحسن رحمة الله عليه فتاتيهم بالتاء يعني الساعة
في قوله فياتيهم بغتة فيقولوا قلت ليس المعنى ترادف رويته العذاب
ومفاجاته وسوال النظرة فيه في الوجود وانما المعنى ترتبها في الشدة كانه قيل
لا يومنون بالقران حتى تكون رويتهم للعذاب فما هو اشد منها وهو لحوقه طعنهم
مفاجاة فما هو اشد منه وهو سوالهم النظرة ومثال ذلك ان تقول لمن تقطع
ان اساءت مقتك الصالحون فمقتك الله فانك لا تقصد طفا الترتيب ان مقت
الله يوجد عقيب مقت الصالحين وانما قصدك الى ترتيب شدة الامر على المسيء
وانه يحصل له بسبب الاساءة مقت الصالحين فما هو اشد من مقتهم وهو مقت
الله وترى ثم يقع في هذا الاسلوب فيحل موقعه افبعذابنا يستعجلون بئيت

بقية التحرير وفي حرف ابن
وثبته بقتة فان قلت
ما معنى التعقيب

طعم

لهم بانكارهم الحكم ومعناه كيف يستعجل العذاب من هو معوض لعذاب يسال
فيه من جنس ما هو فيه اليوم من النظرة والامهال طرفة عين فلا يجاب اليها و
يحتمل ان يكون هذا حكاية توبيخ يوبخون به عند استنظارهم يومئذ ويستعجلون
على هذا الوجه حكاية حال ماضية ووجه اخر متصل بما بعده وذلك ان استعجالهم
بالعذاب انما كان لاعتقادهم انه غير كائن ولا لاحق طعنهم والطعم ممتعون باعمار
طوال في سلامة وامن فقال عز وجل افبعذابنا يستعجلون اشرا وبطرا واستهزاء
واتكالا على الامل الطويل ثم قال هب ان الامر كما يعتقدون من تمتعهم وتنعمهم
فاذا الحقهم الوعيد بعد ذلك ما ينفعهم حينئذ ما مضى من طول اعمارهم وطيب عيشهم
وعن ميمون بن مهران انه لقي الحسن في الطواف وكان يمنى لقاءه فقال له تخطى قلم
يزده على تلاوة هذه الاية فقال ميمون لقد وعظت فابلغت وقرئ يمتعون با
بالتخفيف وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون ذكرى وما كنا ظالمين منذرون
رسل ينذرونهم ذكرى منصوبة بمعنى تذكرة اتالآن انذروا ذكرا متقاربا بان
فكانه قيل مذكرون تذكرة واما لانها حال من الضمير في منذرون اي ينذرونهم
ذوي تذكرة واما لانها مفعول له على معنى لطعنهم ينذرون لاجل الموعظة والتذكرة
او مرفوعة على انها خبر مبتدا محذوف بمعنى هذه ذكرى والجملة اعتراضية
او صفة بمعنى منذرون ذوو اذكرى او جعلوا ذكرى لامعانهم في التذكرة
واطنابهم فيها ووجه اخر وهو ان يكون ذكرى متعلقة باهلكنا مفعولا له
والمعنى وما اهلكنا من اهل قرية ظالمين الا بعد ما الزمناهم الحجة بارسال المنذرين
اليهم ليكون اهلاكهم تذكرة وعبرة لغيرهم فلا يعصوا مثل عصيانهم فان قلت
كيف عزلت الواو عن الجملة بعد الاولى ليوصل عنها في قوله تعالى وما اهلكنا من
قرية الا ولها كتاب معلوم قلت الاصل عزل الواو لان الجملة صفة للقرية
واذا زيدت فلتاكيد وصل الصفة بالموصوف كما في قوله تعالى سبعة
وثامنهم كلبهم وما تنزلت الشياطين وما ينبغي لطعم وما يستطيعون انهم عن السمع
لمعزولون فلا تدع مع الله الها اخر فتكون من المعذبين كانوا يقولون ان
محمدا كاهن وما ينزل عليه من جنس ما تتنزل به الشياطين على الكهنة
فكذبوا بان ذلك مما لا يتسهل للشياطين ولا يقدرون عليه لطعم رجوم

بالشهب معزولون عن استماع كلام اهل السماء وقرا الحسن رحمة الله عليه الشياطون
ووجهه انه راى اخره كاخر يبرين وفلسطين فتخير بين ان يجري الاعراب
على النون وبين ان يجريه على ما قبله فيقول الشياطين والشياطون كما تخيرت
العرب بين ان يقولوا هذه يبرون ويبرين وفلسطون وفلسطين وحقه
ان يشتقه من الشيطوطة وهي الهلاك كما قيل له الباطل وعن الفرا غلط
الشيخ في قراته الشياطون ظن انها النون التي على هجاين فقال النضر بن شميل
ان جاز ان يحتج بقول العجاج ورؤبة فهلا جاز ان يحتج بقول الحسن وصاحبه
يريد محمد بن السميفع مع انا نعلم ان انهما لم يقرا به الا وقد سمعا فيه قد علم ان
ذلك لا يكون ولكنه اراد ان يحرك منه لازدياد الاخلاص والتقوى وفيه
لطف لساير المكلفين كما قال عز وجل ولو تقول علينا بعض الاقاويل فان
كنت في شك مما انزلنا اليك وانذر عشيرتك الاقربين واخفض جناحك
لمن اتبعك من المومنين فان عصوك فقل اني بري مما تعملون فيه وجهان
احدهما ان يومر بانذار الاقرب فالاقرب من قومه ويبدا في ذلك بمن
هو اولى بالبداة ثم بمن يليه وان يقدم انذارهم على انذار غيرهم كما روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لما دخل مكة قال كل ربا في الجاهلية موضوع
تحت قدمي هاتين واول ما اضعه ربا العباس والثاني ان يومر بان لا ياخذه
ما ياخذ القريب من العطف والرافة ولا يحابيهم في الانذار والتخويف وروي
انه صعد الصفا لما نزلت فنادى الاقرب فالاقرب فخذا فخذا وقال يا بني عبد
المطلب يا بني هاشم يا بني عبد مناف يا عباس عم النبي ويا صفية عمة رسول
الله اني لا املك لكم من الله شيا سلوني من مالي ما شيتم وروي انه جمع بني عبد
المطلب وهم يومئذ اربعون رجلا الرجل منهم ياكل الجذعة ويشرب العس
على رجل شاة وقعب من لبن فاكلوا وشربوا حتى صدروا ثم انذرهم فقال
يا بني عبد المطلب لو اني اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقي قالوا
نعم قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد وروي انه قال يا بني عبد المطلب
يا بني هاشم يا بني عبد مناف افتدوا انفسكم من النار فاني لا اغني عنكم شيا
ثم قال يا عايشة بنت ابي بكر ويا حفصة بنت عمر ويا فاطمة بنت محمد ويا صفية

عمة

عمة محمد اشتريا انفسكن من النار فاني لا اغني عنكن شيا الطاير اذا اراد
ان ينحط للوقوع كسر جناحه وخفضه واذا اراد ان ينهض للطيران
رفع جناحه فجعل خفض جناحه عند الانحطاط مثلا في التواضع ولين ا
لجانب ومنه قول بعضهم وانت الشهير بخفض الجناح فلا تك في رفعه
اجار لا ينهاه عن التكبر بعد التواضع فان قلت المتبعون للرسول
هم المومنون هم المتبعون للرسول فما قوله لمن تبعك من المومنين قلت
فيه وجهان ان تسميهم قبل الدخول في الايمان مومنين لمشارفتهم ذلك
وان يريد بالمومنين المصدقين بالسنتهم وهم صنفان صنف صدق وا
تبع الرسول فيما جا به وصنف ما وجد منه الا التصديق فحسب ثم اما ان
يكونوا منافقين او فاسقين والمنافق والفاسق لا يخفض لهما الجناح
والمعنى من المومنين من عشيرتك وغيرهم يعني انذر قومك فان اتبعوك
واطاعوك فاخفض لهم جناحك وان عصوك ولم يتبعوك فتبرا منهم
ومن اعمالهم من الشرك بالله وغيره وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك
حين تقوم وتقلبك في الساجدين انه هو السميع العليم وتوكل على الله يكفك
شر من يعصيك منهم ومن غيرهم والتوكل تفويض الرجل امره الى من يملك
امره ويقدر على نفعه وضره وقال والمتوكل من ان دهمه امر لم يحاول
دفعه عن نفسه بما هو معصية لله فعلى هذا اذا وقع الانسان في محنة
ثم سال غيره خلاصه لم يخرج من حد التوكل لانه لم يحاول دفع ما نزل به عن
نفسه بمعصية الله وفي مصاحف اهل المدينة والشام فتوكل وبه قرا نافع
وابن عامر وله محملان في العطف ان يعطف على فقل او فلا تدع على العزيز
الرحيم على الذي يقهر اعداك بعزته وينصرك عليهم برحمته ثم اتبع كونه
رحيما على رسوله ما هو من اسباب الرحمة وهو ذكر ما كان يفعله في جوف
الليل من قيامه للتهجد وتقلبه في تصفح احوال المتهجدين من اصحابه
ليطلع عليهم من حيث لا يشعرون ويستبطن سرايرهم وكيف يعبدون
الله وكيف يعملون لاخرتهم كما يحكى انه حين نسخ قيام الليل طاف تلك
الليل بيوت اصحابه لينظر ما يصنعون لحرصه عليهم وعلى ما يوجد منهم

من فعل الطاعات وتكثير الحسنات فوجدها لبيوت الزنامير لما سمع منها من دند
نتهم بذكر الله والتلاوة والمراد بالساجدين المصلون وقيل معناه يراك حين
تقوم للصلاة بالناس جماعة وتقلبه في الساجدين تصرفه فيما بينهم بقيامه
وركوعه وسجوده وقعوده اذا امهم وعن مقاتل انه سال ابا حنيفة رحمة
الله عليه هل تجد الصلاة في الجماعة في القران فقال لا يحضرني فتلا له هذه الاية
ويحتمل انه لا يخفى عليه حالك كلما قمت وتقلبت مع الساجدين في كفاة امور الدين
انه هو السميع لما تقوله العليم بما تنويه وتعمله وقيل هو تقلب بصره فيمن يصلي
خلفه من قوله عليه السلام اتموا الركوع والسجود فوالله اني لاراكم من خلف
ظهري اذا ركعتم وسجدتم وقرئ وتقلبك هل انبئكم على من تنزل الشياطين
تنزل على كل افاك اثيم يلقون السمع واكثرهم كاذبون على كل افاك اثيم
هم الكهنة والمتنبئة كشق وسطيح ومسيلمة وطليحة يلقون السمع الشياطين كانوا
قبل ان يحجبوا بالرجم يستمعون الى الملاء الاعلى فيختطفون بعض ما يتكلمون
به مما اطلعوا عليه من الغيوب ثم يوحون به الى اوليائهم من اوليك واكثرهم
كاذبون فيما يوحون به اليهم لانهم يسمعونهم ما لم يسمعوا وقيل يلقون الى اوليائهم
السمع اي المسموع من الملائكة وقيل الافاكون يلقون السمع الى الشياطين فيتلقون
وحيهم اليهم او يلقون المسموع من الشياطين الى الناس واكثر الاقاويل كا
ذبون يفترون على الشياطين ما لم يوحوا اليهم وترى اكثر ما يحكمون به ما
طلا وزورا وفي الحديث الكلمة يخطفها الجني فيقرها في اذن وليه فيزيد
فيها اكثر من مائة كذبة والقر الصب فان قلت كيف دخل حرف الجر على
من المتضمنة لمعنى الاستفهام والاستفهام له صدر الكلام الا ترى الى قولك
على زيد مررت ولا تقول ازيد مررت قلت ليس معنى التضمن ان الاسم
دل على معنيين معا معنى الاسم ومعنى الحرف وانما معناه ان الاصل امن
فحذف حرف الاستفهام واستمر الاستعمال على حذفه كما حذف من هل والا
والاصل اهل قال اهل رأونا بسفح القاع ذي الاكم فاذا ادخلت حرف الجر
على من فقدر الهمزة قبل حرف الجر في ضميرك كانك تقول اعلى من تنزل الشياطين
كقولك اعلى زيد مررت فان قلت يلقون ما محله قلت يجوز ان

يكون

ان يكون في محل النصب على الحال اي تنزل ملقين السمع وفي محل الجر صفة لكل
افاك لانه في معنى الجمع وان لا يكون له محل بان يستانف كان قائلا قال
لم تنزل على الافاكين فقيل يفعلون كيت وكيت فان قلت كيف
قيل واكثرهم الكاذبون بعد ما قضى عليهم ان كل واحد منهم افاك قلت
الافاكون هم الذين يكثرون الافك ولا يدل ذلك على انهم لا ينطقون
الا بالافك فاراد ان هولاء الافاكين قل من يصدق منهم فيما يحكي عن الجني
واكثرهم مفتر عليه فان قلت وانه لتنزيل رب العالمين وما تنزلت
به الشياطين هل انبئكم على من تنزل الشياطين فرق بينهن وهن اخوات
قلت اريد التفريق بينهن بايات ليست من معناهن ليرجع الى ا
لمجيء بهن وتطريه ذكر ما فيهن كرة بعد كرة فيدل بذلك على ان المعنى الذي نزلن
فيه من المعاني التي اشتدت كراهة الله لخلافها ومثاله ان يحدث الرجل
بحديث في صدره اهتمام بشيء منه وفضل عناية فتراه يعيد ذكره ولا
ينفك عن الرجوع اليه والشعراء يتبعهم الغاوون الم تر انهم في كل واد يهيمون
وانهم يقولون ما لا يفعلون والشعراء مبتدا ويتبعهم الغاوون خبره و
معناه انهم لا يتبعهم على باطلهم وكذبهم وفضول قولهم وما هم عليه من
الهجاء وتمزيق الاعراض والقدح في الانساب والسبب بالحرم والغزل
والاستهتار ومدح من لا يستحق المدح ولا يستحسن ذلك منهم ولا يطرب على
قولهم الا الغاوون والشعهاء والشطار وقيل الغاوون الراوون وقيل ا
الشياطين وقيل هم اقريش عبد الله بن الزبعرى وهبيرة بن ابي وهب
المخزومي ومسافع بن عبد مناف وابو عزة الجمحي ومن ثقيف امية بن
ابي الصلت قالوا نحن نقول مثل قول محمد وكانوا يهجونه ويجتمع اليهم الا
عراب من قومهم يستمعون اشعارهم واهاجيهم وقرا عيسى بن عمر و
والشعراء بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر قال ابو عبيد كان الغالب
عليه حب النصب قرا حمالة الحطب والشارق والشارقة انزلناها وقرئ
يتبعهم على التخفيف ويتبعهم بسكون العين تشبيها لبعه بعضه ذكر الوادي
والهيوم فيه تمثيل لذهابهم في كل شعب من القول واغتساقهم وقلة مبالا

لا لهم بالغلو في المنطق ومجاوزة حد القصد فيه حتى يفضلوا اجبن الناس
على عشرة واشحهم على خاتم وان يهتوا الترى ويفسوا النفي وعن الفرزدق
ان سليمان بن عبد الملك سمع قوله فبتن بجانبي مصرعات وبت افض اغلاق
الختام فقال قد وجب عليك الحد فقال يا امير المومنين قد ذرا الله عني الحد
بقوله تعالى وانهم يقولون ما لا يفعلون الا الذين امنوا وعملوا الصالحات
وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب
ينقلبون استثنى الشعرا المومنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله وتلاوة
القران وكان ذلك اغلب عليهم من الشعر واذا قالوا شعرا قالوه في توحيد الله
والثناء عليه والحكمة والموعظة والزهد والاداب الحسنة ومدح رسول
الله عليه السلام والصحابة وصلحاء الامة وما لا باس به من المعاني التي
لا يتلطخون فيها بذنب ولا يتلبسون بشانية ولا منقصة وكان هجاوهم
على سبيل الانتصار ممن يهجوهم قال الله تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء من
القول الا من ظلم وذلك من غير اعتداء ولا زيادة على ما هو جواب لقوله
تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وعن عمرو بن
عبيد رحمه الله ان رجلا من العلوية قال له ان صدري ليجيش بالشعر فقال
فما يمنعك منه فيما لا باس به والقول فيه ان الشعر باب من الكلام فحسنه
كحسن الكلام وقبحه كقبحه وقيل المراد بالمستثنين عبد الله بن رواحة وحسان
بن ثابت والكعبان كعب بن مالك وكعب بن زهير والذين كانوا ينافحون
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكافحون هجاة قريش وعن كعب
بن مالك رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له اهجهم فوالذي نفسي
بيده لهو اشد عليهم من النبل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
لحسان بن ثابت رضي الله عنه قل وروح القدس معك ختم السورة
باية ناطقة بما لا شي اهيب منه واهول ولا انكا لقلوب المتاملين ولا
اصدع لاكباد المتدبرين وذلك قوله تعالى وسيعلم وما فيه من الوعيد
البليغ وقوله الذين ظلموا واطلاقه وقوله اي منقلبون وابهامه وقد
تلاها ابو بكر لعمر رضي الله تعالى عنهما حين عهد اليه وكان السلف الصالح

يتوا

يتواعظون بها ويتناذرون شدتها وتفسير الظلم بالكفر تعليل ولان
يخاف فيبلغ الامن خير لك من ان تامن فتبلغ الخوف وقرا ابن عباس
رضي الله عنهما اي منقلب ينقلبون ومعناها ان الذين ظلموا يطمعون ان
ينفلتوا من عذاب الله تعالى وسيعلمون ان لهم وجه من وجوه الانفلات
وهو النجاة اللهم اجعلنا ممن جعل هذه الاية بين عينيه فلم يغفل عنها
وعلم ان من عمل سيئة فهو من الذين ظلموا فنعوذ بالله منها قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الشعرا كان له من الاجر عشر حسنات
بعدد من صدق بنوح وكذب به وبهود وشعيب وصالح وابراهيم و
بعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد صلوات الله عليهم اجمعين
سورة النمل مكية تسعون وثلاث ايات لوفي بسم الله الرحمن الرحيم
طس تلك ايات القران وكتاب مبين طس قرى بالتفخيم والامالة و
تلك اشارة الى ايات السورة والكتاب المبين اما اللوح وابانته انه قد
خط فيه كل ما هو كاين فهو بينه للناظرين فيه ابانة واما السورة واما
القران وابانتهما انهما يبينان ما اودعاه من العلوم والحكم والشرايع وان
اعجازهما ظاهر مكشوف واضافة الايات الى القران والكتاب المبين على
سبيل التفخيم لها والتعظيم لان المضاف الى العظيم يعظم بالاضافة اليه فان
قلت لم انكر الكتاب المبين قلت ليبهم بالتنكير فيكون افخم له كقوله
تعالى في مقعد صدق عند مليك مقتدر فان قلت ما وجه عطفه
على القران اذا اريد به القران قلت كما يعطف احدى الصفتين على الا
خرى في نحو قولك هذا فعل الشجي والجواد الكريم لان القران هو المنزل
المبارك المصدق لما بين يديه وكان حكمه حكم الصفات المستقلة بالمدح
فكانه قيل تلك الايات ايات المنزل المبارك واي كتاب مبين وقرا
ابن ابي عبلة وكتاب مبين بالرفع على تقدير وايات كتاب مبين
فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فان قلت ما الفرق
بين هذا وبين قوله الر تلك ايات الكتاب وقران مبين قلت لا فرق
بينهما الا ما بين المعطوف والمعطوف عليه من التقدم والتاخر وذلك

على ضربين ضرب جار مجرى التشبيه لا يترجح فيه جانب على جانب وضرب
فيه ترجح فالاول نحو قوله عز وجل وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا ومنه
ما نحن بصدده والثاني نحو له شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم
هدى وبشرى للمؤمنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وبالاخرة
هم يوقنون هدى وبشرى في محل النصب او الرفع فالنصب على الحال اي ها
دية ومبشرة والعامل فيها ما في تلك من معنى الاشارة والرفع على ثلثة
اوجه على هي هدى وعلى البدل من الايات وعلى ان يكون خبرا بعد خبر اي
جمعت انها ايات وانها هدى وبشرى والمعنى في كونه ما هدى للمؤمنين
انها زايدة في هداهم قال الله تعالى فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا فان قلت
وهم بالاخرة يوقنون كيف اتصاله بما قبله قلت يحتمل ان يكون من
جملة صلة الموصول ويحتمل ان تتم الصلة عنده ويكون جملة اعتراضية
كانه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات من اقامة الصلوات وا
ايتاء الزكوة هم الموقنون بالاخرة الوجه ويدل عليه انه عقد جملة ابتدائية
وكرر فيها المبتدا الذي هو هم حتى صار معناها وما يوقن بالاخرة حق الايقان
الا هؤلاء الجامعون بين الايمان والعمل الصالح الان خوف العاقبة يحملهم
على تحمل المشاق ان الذين لا يؤمنون بالاخرة زينا لهم اعمالهم فهم يعمهون
فان قلت كيف اسند تزيين اعمالهم الى ذاته وقد اسنده الى الشيطان
في قوله تعالى وزين لهم الشيطان اعمالهم قلت بين الاسنادين
فرق وذلك ان اسناده الى الشيطان حقيقة واسناده الى الله تعالى
مجاز وله طريقان في علم البيان احدهما ان يكون من المجاز الذي يسمى الاستعارة
والثاني ان يكون من المجاز الحكمي فالطريق الاول انه لما متعهم بطول العمر وسعة
الرزق وجعلوا انعام الله بذلك عليهم واحسانه اليهم ذريعة الى اتباع شهوا
تهم وبطرهم وايثارهم الروح والترفه ونفارهم عما يلزمهم فيه التكاليف
الصعبة والمشاق المتعبة فكانه زين لهم بذلك اعمالهم واليه اشارة الملا
ئكة في قولهم ولكن متعهم واباهم حتى نسوا الذكر بل متعت هؤلاء واباهم حتى
جاءهم الحق والطريق الثاني ان امهاله الشيطان وتخليته حتى زين لهم

ملابسة

ملابسة ظاهرة للتزيين فاسند اليه لان المجاز الحكمي يصححه بعض الملابسات
وقيل هي اعمال الخير التي وجب عليهم ان يعملوها زينها الله لهم فعموا عنها
وضلوا ويعزى الى الحسن والعمه التحير والتردد كما تكون حال الضال
عن الطريق وعن بعض الاعراب انه دخل السوق وما ابصرها قط فقال
رايت الناس عمهين اراد مترددين في اعمالهم واشغالهم اولئك الذين
سوء العذاب وهم في الاخرة هم الاخسرون وانك لتلقى القران
من لدن حكيم عليم سوء العذاب القتل والاسر يوم بدر والاخسرون
اشد الناس خسرانا لانهم لو امنوا لكانوا من الشهداء على جميع الامم
فحشروا ذلك مع الخسران النجاة وثواب الله لتلقى القران لتؤتاه وتلقنه
من عند اي حكيم واي عليم وهذا معنى مجيئهما نكرتين وهذه الاية بساط
وتمهيد لما يريد ان يسوق بعدها من الاقاصيص وما في ذلك من لطائف
حكمته ودقائق علمه اذ قال موسى لاهله اني انست نارا ساتيكم منها بخبر
او اتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون اذ منصوب بمضمر وهو اذكر
كانه قال على اثر ذلك خذ من اثار حكمته وعلمه قصة موسى عليه السلام
ويجوز ان ينتصب بعليم روي انه لم يكن مع موسى عليه السلام غير
امراته وقد نهى الله تعالى عنها بالاهل فتبع ذلك ورود الخطاب على
لفظ الجمع وهو قوله امكثوا الشهاب الشعلة والقبس النار المقبوسة
واضاف الشهاب الى القبس لانه يكون قبسا وغير قبس ومن قرا بالتنوين
جعل القبس بدلا ومن او صفة لما فيه من معنى القبس والخبر ما يخبر
به عن حال الطريق لانه كان قد ضله فان قلت ساتيكم منها بخبر
ولعلي اتيكم منها بخبر كالمتدافعين لان احدهما ترج والاخر تيقن قلت
قد يقول الراجي اذا قوي رجاه سافعل كذا وسيكون كذا مع تجويزه
الخيبة فان قلت كيف جاء بسين التسويف قلت عدة لاهله
اله ماتيهم به وان ابطا او كانت المسافة بعيدة فان قلت لم جاء باو
دون الواو قلت بنى الرجا على انه ان لم يظفر بحاجتيه جميعا لم يعدم

واحدة منهما اذ ما هداية الطريق واما اقتباس النار ثقة بعادة الله انه لا يكاد
يجمع بين حرمانين على عنده وما ادراه حين قال ذلك انه ظافر على النار بحاجتيه
الكلتين جميعا وهما العزان عز الدنيا وعز الاخرة فلما جاءها نودي ان بورك
من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين ان هي المفسرة لان النداء فيه
معنى القول والمعنى قيل له بورك فان قلت يجوز ان تكون المخففة من
الثقيلة وتقديره نودي بانه بورك والضمير وضمير الشان قلت لا لانه
لا بد من قد فان قلت فعلى اضمارها قلت لا يصح لانها علامة
لا تحذف ومعنى بورك من في النار ومن حولها بورك من في مكان النار
ومن حول مكانها ومكانها البقعة التي حصلت فيها وهي البقعة المباركة
المذكورة في قوله تعالى نودي من شاطئ الوادي الايمن في البقعة المباركة
من الشجرة وتدل عليه قراءة ابي رضي الله عنه تباركت الارض ومن حولها وعنه
بوركت النار والذي بوركت له البقعة وبورك فيها ومن حول ليها حدوث
امر دبني فيها وهو تكليم موسى عليه السلام واستنباؤه له واظهار المعجزات
عليه ورب خير يتجدد في بعض البقاع فينشر الله بركة ذلك الخير في اقاصيها
ويبث اثامنه في اباعدها فكيف بمثل ذلك الامر العظيم الذي جرى في تلك
البقعة وقيل المراد بالمبارك فيهم موسى عليه السلام والملائكة الحاضرون
والظاهر انه عام في كل من كان في تلك البقعة في تلك الارض وفي ذلك
الوادي وحواليها من ارض الشام ولقد جعل الله تعالى ارض الشام بالبركات
موسومة في قوله تعالى ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين
وحقت ان تكون كذلك فهي مبعث الانبياء صلوات الله عليهم ومهبط
الوحي وكفاتهم احياء وامواتا فان قلت فما معنى ابتداء خطاب الله
تعالى موسى بذلك عند مجيئه قلت هي بشارة له بانه قد قضى امر عظيم
ينتشر منه في ارض الشام كلها البركة وسبحان الله رب العالمين تعجب
لموسى من ذلك وايذان بان ذلك مزيدة ومكونه رب العالمين تنبيها على
ان الكافرين من عظائم الامور وجلائل الشؤون يا موسى انه انا الله رب

العالمين

العالمين العزيز الحكيم والق عصاك الهاء في انه يجوز ان يكون في ضمير الشان والشان
انا الله مبتدا وخبره العزيز الحكيم صفتان للخبر وان يكون راجعا الى ما دل عليه
ما قبله يعني ان مكلمك انا والله بيان لانا والعزيز الحكيم صفتان للمبين وهذا
تمهيد لما اراد ان يظهره على يده من المعجزة يريد انا القوي القادر على ما يبعد
من الاوهام لقلب العصا حية الفاعل كلما افعله بحكمة وتدبير فان قلت
علام عطف قوله والق عصاك قلت على بورك لان المعنى نودي
ان بورك من في النار وان الق عصاك كلاهما تفسير لنودي والمعنى قيل
له بورك من في النار وقيل له الق عصاك كلا والدليل على ذلك قوله تعالى
وان الق عصاك بعد قوله ان يا موسى اني انا الله على تكرير حرف التفسير
كما تقول كتبت اليك ان حج وان اعتمر وان شئت ان حج واعتمر فلما راها
تهتز كانها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى لا تخف اني لا يخاف لدي المرسلون
الا من ظلم ثم بدل حسنا من بعد سوء فاني غفور رحيم قرا الحسن رحمة الله
عليه جان على لغة من يجد في الهرب من التقاء الساكنين فيقول شابة
وذابة ومنها قراءة عمر بن عبيد والضالين لم يعقب لم يرجع يقال عقب
المقاتل اذا كر بعد الفرار قال ولا عقبوا اذ قيل هل من معقب ولا نزلوا
يوم الكريهة منزلا وانما رغب لظنه ان ذلك لامر نزل به ويدل عليه
اني لا يخاف لدي المرسلون والا بمعنى لكن لانه لما اطلق نفي الخوف عن الرسل
كان ذلك مظنة لطرو الشبهة فاستدرك ذلك والمعنى ولكن من ظلم
منهم اي فرطت منه صغيرة مما يجوز على الانبياء كالذي فرط من آدم ويونس
وداود وسليمان واخوة يوسف عليهم السلام ومن موسى بوكزة القبطي
ويوشك ان يقصد بهذا التعريض ما وجد من موسى وهو من التعريضات
التي يلطف ماخذها وسماه ظلما كما قال موسى رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي
والحسن والسوء حسن التوبة وقبح الذنب وقرئ الا من ظلم بحرف التنبيه
وعن ابي عمرو في رواية عصمة حسنا وادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء
من غير سوء في تسع ايات الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين في
في تسع ايات كلام مستانف وحرف الجر فيه يتعلق بمحذوف والمعنى اذهب

في تسع ايات الى فرعون ونحوه فعدت الى الطعام فقال منهم فريق يحسد
الانس الطعاما ويجوزان يكون المعنى والق عصاك وادخل يدك في تسع
ايات اي في جملة تسع ايات وعدادهن ولقايل ان يقول كانت الايات
احدى عشرة ثنتان منها اليد والعصا والتسع الغلق والطوفان والجراد
والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب في بواديهم والنقصان في ثمارهم
عليهم فلما جاءتهم اياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين المبصرة الظاهرة البينة
جعل الابصار لها وهو في الحقيقة لمتعاطيها لانهم لا بسوها وكانوا سببا
منها بنظرهم وتفكرهم فيها ويجوزان يراد بحقيقة الابصار كل ناظر فيها من
كافة اولي العقل وان يراد ابصار فرعون وملا به لقوله تعالى واستيقنتها
انفسهم اذ جعلت كانها تبصر فتهدي لان العمى لا تقدر على الاهتداء فضلا ان
تهدي غيرها وقولهم كلمة عمياء وكلمة عوراء لان الكلمة الحسنة تهدي وترشد و
البينة تضل وتغوي ونحوه قوله تعالى لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات
والارض بصائر فوصفها بالابصار كما وصفها بالابصار وقرا علي وابن الحسين
وقتادة مبصرة وهي نحو فجيعة ومجلبة ومجفرة اي مكانا يكثر فيها التبصر
وتجد والبها واستيقنتها انفسهم فانظر كيف كان عاقبة المفسدين الواو
في واستيقنتها واو الحال وقد بعدها مضمرة والعلو الكبر والترفع عن الانقياد
بما جاء به موسى عليه السلام كقوله تعالى فاستكبروا وكانوا قوما عالين قالوا انؤمن
لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون وقرئ علينا وعلينا بالضم والكسر كما قرئ
عتيا وعتيا وذكر الانفس انهم جحدوا بها لاستنكارهم واستفظاعهم في قلوبهم وضمائرهم
والاستيقان ابلغ من الايقان وقد فرق بين المبصرة والمبين واي ظلم اعظم
من ظلم من اعتقد واستيقن انها ايات بينة واضحة جاءت من عند الله ثم كابر
سحتها حتى عاد امرها بكثير فالا شبهة فيه ولقد اتينا داود وسليمان علما وقالا
الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين علما طائفة من العلم او علما
سنيا غزيرا فان قلت الدين بهذا موضع الفاء دون الواو كقولك
اعطيته فشكر ومنعته فصبر قلت بلى ولكن عطفه بالواو اشعارا
بان ما قالا به بعض ما احدث فيهما ايتاء العلم وشيء من مواجبه فاضمر ذلك

عطف عليه من لم تؤت علما او من لم يؤت مثل علمهما وفيه انهما فضلا على
كثير وفضل عليهما كثير وفي الاية دليل على شرف العلم وانافة محله وتقدم حملته
واهله وان نعمة العلم من اجل النعم واجزل القسم وان من اوتيه حقيق ان
فضلا كثير من عباد الله كما قال الله تعالى والذين اوتوا العلم درجات وانما عرف
رسول الله عليه السلام ورثة الانبياء الا لمدانا نلقمهم في الشرف والمنزلة لانهم
القوام بما بعثوا من اجله وفيها انه يلزمهم لهذه النعمة الفاضلة كوازم منها ان
يجهدوا انفسهم على اداء حقوقه من فضلهم على غيرهم وفيها التذكير بالتواضع وان
يعتقد العالم انه وان فضل على كثير فقد فضل عليه مثلهم وما احسن قول
عمر رضي الله عنه كل الناس افقه من عمر وورث سليمان داود ويا ايها
الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين و
حشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون وورث منه
النبوة والملك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر وكان داود عليه
السلام اكثر تعبدا وسليمان اقفى واشكر لنعمة الله وقال يا ايها الناس شاهرا
النعمة الله وتنويها بها واعترافا لمكانها ودعا للناس الى التصديق بذكر المعجزة
التي هي علم منطق الطير وغير ذلك مما اوتيه من عظائم الامور والمنطق
كل ما يصوت به من المفرد والمولف المفيد وغير المفيد وقد ترجم يعقوب
كتابه باصلاح المنطق وما اصطلح فيه الامفردات الكلم وقالت العرب
نطقت الحمامة وكل صنف من الطير تتفاهم اصواته والذي علم سليمان
من منطق الطير هو ما يفهم بعضه من بعض من معانيه او عرفه
ويحكى انه مر على بلبل في شجرة يحرك راسه ويميل ذنبه فقال لاصحابه
اتدرون ما يقول قالوا الله وبنيه اعلم قال يقول اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا
العفا فصاحت ناحته فاخبرانها تقول بيت ذا الخلق لم يخلقوا وصاح
طاووس فقال يقول كما تدين تدان صاح هدهد فقال يقول استغفروا الله
يا مذنبون وصاح طيطوي فقال يقول كل حي يموت وكل جديد يبلى وصاح
خطاف يقول قدموا خيرا تجدوه وصاحت رخمة فقال تقول سبحان ربي
الاعلى ملاء سمائه وارضه وصاح قمري فاخبر انه يقول سبحان ربي الاعلى وقال

الحد ايقول كل شئ هالك الا الله والقطاة تقول من سكت سلم والبغا تقول
ويل لمن الدنيا همته والديك يقول اذكروا الله يا غافلون والنسر يقول يا ابن
ادم عش ما عشت اخرك الموت والعقاب يقول في البعد من الناس انس
والضفدع يقول سبحان ربي القدوس وارا دبقوله من كل شئ كثرة ما اوحى
كما تقول يقصده كل احد ويعلم كل شئ تريد كثرة قصاده ورجوعه الى
غزارة في العلم واستكمانه كقوله تعالى وآتيت من كل شئ ان هذا
لهو الفضل المبين قول وارد على سبيل الشكر والتحدث كما قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم ولا فخر اي اقول هذا القول شكرا ولا اقوله
فخرا فان قلت كيف قال علمنا واوتينا وهو من كلام المتكبرين قلت
فيه وجهان احدهما ان يريد نفسه واباه والثاني ان هذه النون تقال طما
نوه الواحد المطاع وكان ملكا مطاعا فحكى اهل طاعته على صفته وحاله التي
كان عليها وليس التكبر من لوازم ذلك وقد تتعلق تحمل الملك وتفخيمه واظهار
انهته وسياسته مصالح فيعود تكلف ذلك واجبا وقد كان رسول الله عليه
السلام يفعل نحوا من ذلك اذا وفد عليه وفد او احتاج ان يرجح في عين
عدو او الاثري كيف امر العباس رضي الله عنه بان يجلس ابا سفيان حيث يمر
عليه الكتائب روي ان معسكره كان مائة فرسخ في مائة فرسخ خمسة وعشرون
للجن وخمسة وعشرون للانس وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون
للوحش وكان له الف من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة منكوحة وسبعمائة
سرية وقد نجبت له الجن ساطا من ذهب وابريسم فرسخا في فرسخ وكان
يوضع منبره في وسطه وهو من ذهب فيقعد عليه وحوله ثلثمائة الف
كرسي من ذهب وفضة فيقعد الانبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي
الفضة وحوطهم الانس وحول الانس الجن والشياطين وتظله الطير باجنحتها
حتى لا تقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر
ويروي انه كان يامر الريح العاصف فتحمله ويامر الرخاء فتسيره فاوحى الله اليه
وهو يسير بين السماء والارض اني قد زدت في ملكك لا يتكلم احد بشئ الا
القته الريح في سمعك فيحكى انه مر بحراث فقال لقد اوتي ال داود ملكا عظيما

فالقته

فالقته الريح في اذنه فنزل فمشى الى الحراث وقال انما مشيت اليك تمنيا لان اقدر
عليه ثم قال لتسبيحة واحدة يتقبلها الله تعالى خير مما اوتي ال داود يوزعون
يحبس اولهم على اخرهم اي يوقف سلاف العسكر حتى تلحقهم التوالي فيكونوا
مجتمعين لا يتخلف منهم احد وذلك لكثرته العظيمة حتى اذا اتوا على واد ا
لنمل قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم
لا يشعرون قيل هو واد بالشام كثير النمل فان قلت لم عدى التوابع
قلت يتوجه على معنيين احدهما ان اتباعهم كان من فوق فاتى بحرف
الاستعلاء كما قال ابو الطيب ولشد ما قربت عليك الاخم لما كان قربهن
فوق والثاني ان يراد قطع الوادي وبلوغ اخره من قولهم اتى على الشئ
اذا اتلفه وبلغ اخره كانهم اراد وا ان ينزلوا عند منقطع الوادي لانهم
ما دامت الريح بجملتهم في الطي لا يخاف حطمهم وقرئ نملة يا ايها النمل بضم
الميم وبضم النون والميم وكان الاصل النمل بوزن الرجل والنمل الذي عليه
الاستعمال تخفيف عنه لقولهم السبع في السبع قيل كانت تمشي وهي عرجاء
تتكاوس فنادت يا ايها النمل الاية فسمع سليمان كلامها من ثلثة اميال
وقيل كان اسمها طاخية وعن قتادة انه دخل الكوفة فالتف عليه الناس
فقال سلوني عما شئتم وكان ابو حنيفة رحمه الله عليه حاضرا وهو غلام حدث
فقال سلوه عن نملة سليمان اكانت ذكرا ام انثى فسالوه فاخرهم فقال ابو
حنيفة رحمه الله عليه كانت انثى فقيل له من اين عرفت قال من كتاب الله
وهو قوله تعالى قالت نملة ولو كانت ذكرا لقال قال نملة وذلك ان
النملة مثل للحمامة والشاة في وقوعها على الذكر والانثى فيميز بينهما بعلامة
نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة انثى وهو وحي وقرئ مسكنكم ولا يحطمنكم
بتخفيف النون وقرئ لا يحطمنكم بفتح الطاء وكسرها واصله يتحطمنكم ولما
جعلها فاعلة والنمل مقول طهم كما يكون في اولي العقل اجرى خطابهم مجرى
خطابهم فان قلت لا يحطمنكم ما هو قلت يحتمل ان يكون جوابا للامر
وان يكون نهيا بدلا من الامر الذي هو بدل الشرط وانه في معنى لا
تكونوا حيث انتم فيحطمنكم على طريقة لا ارينك ههنا اراد لا يحطمنكم جنود

سليمان فجا بما هو ابلغ ونحوه عجب من نفسي ومن اشفاقها فتبسم ضاحكا من
قولها وقال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل
صالحا ترضاه وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين ومعنى تبسم ضاحكا
تبسم شارعا في الضحك واحد فيه يعني انه قد تجاوز حد التبسم الى الضحك
وكذلك ضحك الانبيا واما ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى
بدت نواجذه فالغرض المبالغة في وصف ما وجد منه من الضحك النبوي
والافيد والنواجذ على الحقيقة لا يكون عند الاستغراب وقرا ابن السميفع
ضحكا **فان قلت** ما اضحكه من قولها **قلت** شيان اعجابه بما دل من قولها
على ظهور رحمته ورحمة جنوده وشفقتهم وعلى شهرة حاله وحالهم في باب التقوى
وذلك قولها وهم لا يشعرون يعني انهم لو شعروا لم يفعلوا وسروره بما اتاه
الله مما لم يؤت احدا من ادراكه بسمعه ما همس به بعض الحكل الذي هو مثل في
الصغر والقلة ومن احاطته بمعناه ولذلك اشتمل على دعا وعلى استنزاع الله
شكر ما انعم به عليه من ذلك وعلى استبقايه لزيادة العمل الصالح والتقوى
وحقيقة اوزعني اجعلني ازع شكر نعمتك عندي واكفه وارتبطه لا ينفلت
عني حتى لا انفك شاكرا لك وانما ادرج ذكر والديه لان النعمة على الوالدين خصوصا
النعمة الراجعة الى الدين فانه اذا كان تقيا نفعهما بدعائه وشفاعته وبدعاء
المؤمنين لهما كل ما دعوا له وقالوا رضي الله عنك وعن والديك وروي ان النملة
احست بصوت الجنود ولا تعلم الهم في الهواء فامر سليمان عليه السلام الريح
فوقفت ليلا يدعرن حتى دخلن مساكنهن ثم دعا بالدعوة ومعنى وادخلني
برحمتك في عبادك الصالحين واجعلني من اهل الجنة وتفقد الطير فقال ما لي
لا ارى الهدهد ام كان من الغايبين لاعذبنه عذابا شديدا او لاذبحنه
او ليأتيني بسلطان مبين ام هي المنقطعة نظر الى مكان الهدهد فلم يبصره
فقال ما لي لا اراه على معنى انه لا يراه وهو حاضر لساتر ستره او غير ذلك
ثم لاح له انه غايب فاضرب عن ذلك واخذ يقول اهو غايب كانه يسال
عن صحة ما لاح له ونحوه قولهم انها لابل ام شا وذكر من قصة الهدهد ان
سليمان عليه السلام حين تم له بنا بيت المقدس تجهز للحج بحشره فوافى الحرم

واقام به ما شا وكان يقرب كل يوم طول مقامه بخمسة الاف ناقة وخمسة
الاف بقرة وعشرين الف شاة ثم عزم على اليمن فخرج من مكة صباحا يوم
سهيلا فوافى صنعا وقت الزوال وذلك مسيرة فراى ارضا حسنا اعجبته
خضرتها فنزل ليتغدى ويصلي فلم يجد الما وكان الهدهد فنافته وكان
يرى الما من تحت الارض كما يرى الما في الزجاجة فيجي الشياطين فيسلخونها
كما يسلخ الاهاب ويستخرجون الما فتفقده لذلك وحين نزل سليمان عليه
السلام حلق الهدهد فراى هدهدا واقعا فانحط اليه فوصف له ملك سليمان
وما سخر له من كل شي وذكر له صاحبه ملك بلقيس وان تحت يدها اثني عشر
الف فايد تحت يد كل فايد ماية الف وذهب معه لينظر فما رجع الا بعد العصر
وذكر انه وقعت نفحة من الشمس على راس سليمان فنظر فاذا موضع الهدهد
خالي فدعا عفريت الطير وهو النسر فساله عنه فلم يجد عنده علمه ثم
قال لسيد الطير وهو العقاب على انه فارتفعت فنظرت فاذا هو مقبل فقصدته
فناشدها الله فقال بحق الذي قواك واقدرك على الا رحمتني فتركته وقالت
ثكلتك امك ان نبي الله حلف ليعذبنك قال وما استثنى قالت بلى او ليا
تيني بعذر مبين فلما دنى منه اخذ براسه فمده اليه قال يا نبي الله اذكر
وقوفك بين يدي الله فارتعد سليمان عليه السلام وعفى عنه ثم ساله تعذيبه
ان يؤدب بما يحتمله حاله ليعتبر به ابنا جنسه وقيل كان عذاب سليمان
للطير ان ينتف ريشه ويشمسه وقيل ان يطلي بالقطران ويشمس وقيل
ان يلقى للنمل تاكله وقيل ايداعه القفص وقيل التفريق بينه وبين الفه
وقيل لالزمنه صحبة الاضداد وعن بعضهم اخبق السجون معاشرة الاضدا
وقيل لالزمنه خدمة اقرانه **فان قلت** من اين حل له تعذيب الهدهد
قلت يجوز ان يبيح الله له ذلك لما راى فيه من المصلحة والمنفعة كما
اباح ذبح البهايم والطيور للاكل وغيره من المنافع واذا سخر له الطير ولم
يتم سخر من اجله الا بالتاديب والسياسة جاز ان يبيح له ما يصلح به وقرى
ليأتيني وليأتين والسلطان الحجة والقدر **فان قلت** قد حلف على احد
ثلثة اشيا فحلفه على فعليه لا مقال فيه ولكن صح حلفه على فعل الهدهد

ومن ابن درى انه ياتى بسلطان حتى يقول والله ليأتينى بسلطان **قلت** لما نظم الثلثة
باو فى الحكم الذى هو الحلف الى الكلامة الى قولك ليكونن احد الامور يعنى ان كان
الاتيان بالسلطان لم يكن تعذيب ولا ذبح وان لم يكن كان احدهما وليس فى
هذا ادعا درايمة على انه يجوز ان يتعقب حلفه بالفعلين وحى من الله بانه سياتيه
بسلطان مبين فثلث بقوله او ليأتينى بسلطان مبين عن دراية واتقان فمكث
غير بعيد فقال احطت بما لم تحط به وجئتك من سبا بنبا يقين قرى فمكث بفتح
الكاف وضمها غير زمان بعيد كقوله عن قريب ووصف مكثه بقصر المدة
للدلالة على اسراعه خوفا من سليمان عليه السلام وليعلم كيف كان الطير
مسخرا له وبيان ما اعطى من المعجزة الدالة على نبوته وعلى قدرة الله عز وجل
احطت بادغام الطاء فى التاء باطباق وبغير الهم الله الهدهد فكافح سليمان
عليه السلام لهذا الكلام على ما اوتى من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمة والاحاطة
بالمعلومات الكثيرة ابتلاله فى علمه وتنبيها على ان فى ادنى خلقه واضعفه من
احاط علما بما لم يحط به لتتحاقر اليه نفسه ويتصاغر اليه علمه ويكون الطفا له
فى ترك الاعجاب الذى هو فتنة العلماء واعظم بها فتنة والاحاطة بالشىء
علما ان يعلم من جميع جهاته لا يخفى عليه شىء ولا يكون فى زمانه احد اعلم منه
سبا قرى بالصرف ومنعه وقد روى بسكون الباء وعن ابن كثير فى رواية
سبا بالالف لقولهم ذهبوا ايدى سبا وهو سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان
فمن جعله اسما للقبيلة لم يصرف ومن جعله اسما للحى او الاب الاكبر صرف
قال من سبا الحاضرين مارب اذ يبنون من دون سيله العرما وقال الوارد
دون ويتم فى ذرى سبا قد عصى اعناقهم جلد الجواميس ثم سميت مدينة
مارب بسبا وبينها وبين صنعا مسيرة ثلث كما سميت معاقر بمعاقرين
اد ويحتمل ان يراد المدينة والقوم والنبا الخبر الذى له شان وقوله
تعالى من سبا بنبا من جنس الكلام الذى سماه المحدثون البديع وهو من
محاسن الكلام التى تتعلق باللفظ بشرط ان يجى مطبوعا او بصنعة عالم بجواهر
الكلام يحفظ معه صحة المعنى سداده ولقد جا ههنا زايدا على الصحة
فحسن وبدع لفظا ومعنى الا ترى انه لو وضع مكان بنبا بخبر لكان

المعنى

صحيحا وهو كما جا اصح لما فى النبا من الزيادة التى يطابقها وصف الحال
انى وجدت امراة تملكهم واوتيت من كل شىء ولها عرش عظيم وجدتها
وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم
عن السبيل فهم لا يهتدون الا يسجدوا لله الذى يخرج الخبا فى السموات والارض
ويعلم ما يخفون وما يعلنون الله لا اله الا هو رب العرش العظيم المراة بلقيس
بنت شراحيل وكان ابوها ملك ارض اليمن كلها وقد وكن اربعون ملكا
ولم يكن له ولد غيرها فغلبت على الملك وكانت هى وقومها مجوسا يعبدون
الشمس والضمير فى تملكهم راجع الى سبا فان اريد به القوم فالامر ظاهر وان
اريدت المدينة فمعناه تملك اهلها وقيل فى وصف عرشها كان ثمانين
ذراعا فى ثمانين وسمكه ثمانين وقيل ثلثين مكان ثلثين وكان من ذهب
وفضة مكللا بانواع الجواهر وكانت قوايمه من ياقوت احمر واخضر و
در وزمرد وعليه سبعة ابيات على كل بيت باب مغلق **فان قلت**
كيف استعظم عرشها مع ما كان ترى من ملك سليمان **قلت** يجوز ان
يستصغر حالها الى حال سليمان فاستعظم لها ذلك العرش ويجوز ان لا يكون
لسليمان عليه السلام مثله وان عظمت مملكته فى كل شىء كما يكون لبعض
امراء الاطراف شىء لا يكون مثله للملك الذى يملك عليهم امرهم ويستخدمهم
ومن نوك القصاص من يقف على قوله ولها عرش ثم يبتدى عظيم
وجدتها يريد امر عظيم ان وجدتها وقومها يسجدون للشمس فرمن استعظام
الهدهد عرشها فوقع فى عظمة وهى مسخ كتاب الله **فان قلت** فكيف
قال واوتيت من كل شىء مع قول سليمان واوتينا من كل شىء كانه سوى
بينهما **قلت** بينهما فرق بين لان سليمان عطف قوله على ما هو معجز
من الله وهو تعليم منطق الطير فرجع اولا الى ما اوتى من النبوة والحكمة
واسباب الدين ثم الى الملك واسباب الدنيا وعطفه الهدهد على الملك فلم
يرد الا ما اوتيت من اسباب الدنيا اللايقة بحالها فبين الكلامين بون
بعيد **فان قلت** كيف خفى على سليمان مكانها وكانت المسافة
بين محطه وبين بلدها قريبة وهى مسيرة ثلث بين صنعا ومارب

قلت لعل الله عز وجل اخفى عنه ذلك لمصلحة راها كما اخفى مكان يوسف
على يعقوب عليهما السلام فان قلت من اين للهدهد التهدي الى معرفة
الله عز وجل ووجوب السجود له وانكار سجودهم للشمس واضافته الى ا
الشيطان وتزيينه قلت لا يبعد ان يلهمه الله تعالى ذلك كما الهمه و
غيره من الطيور وساير الحيوان المعارف اللطيفة التي لا يكاد العقلا
الرجاح العقول يهتدون لها ومن اراد استقرا ذالك فعليه بكتاب
الحيوان خصوصا في زمن شيء سخر له الطيور وعلم منطقها وجعل ذلك
معجزة له من قرا تشديد اراد فصدهم عن السبيل لان لا يسجدوا فحذف
الجار مع ان ويجوز ان تكون لا مزيدة ويكون المعنى فهم لا يهتدون الى ان
يسجدوا ومن قرا بالتخفيف فهو الا يا اسجدوا لا للتنبيه ويا حرف نداو
مناداه محذوف كما حذفه من قال الا يا اسلمي يا دار مي على البلاء وفي
حرف عبد الله وهي قراة الاعمش هلا بقلب الهمزتين ما وعن عبد الله هلا تسجدون
بمعنى الا تسجدون على الخطاب وفي قراة ابي رضي الله عنه الا تسجدون
لله الذي يخرج الخبء من السماء والارض ويعلم سركم وما تعلنون وسمي
المخبوء بالمصدر وهو النبات والمطر وغيرهما مما خباه الله عز وجل من
غيوبه وقرى الخب على تخفيف الهمزة بالحذف والخبا على تخفيفها بالقلب
وهي قراة بن مسعود ومالك بن دينار ووجهها ان تخرج على لغة من
يقول في الوقف هذا الخبو ورايت الخبا ومررت بالخبي ثم اجرى الوصل
مجرى الوقف على لغة من يقول الكماة والحماة لانها ضعيفة مستزلة
وقرى تخفون وتعلنون بالتاء والياء وقيل من احطت الى العظيم
هو كلام الهدهد وقيل كلام رب العزة وفي اخراج الخبء امارة على انه
من كلام الهدهد لهندسته ومعرفته الما تحت الارض وذلك بالهام من
يخرج الخبء في السموات والارض جلت قدرته ولطف علمه ولا يكاد
يخفى على ذي الفراسة النظار بنور الله مخايل كل مختص بصناعة او فن
من العلم في روايته ومنطقه وشمايله ولهذا وره ما عمل عبد عملا الا
القى الله عليه ردا عمله فان قلت اسجدة التلاوة واجبة في

القراتين

٢٤٩

في القراتين جميعا ام في احداهما قلت هي واجبة فيهما جميعا لان مواضع
السجدة اما امر بها او مدح لمن اتى بها او ذم لمن تركها واحدى القراتين امر
بالسجود والاخرى ذم للتارك وقد اتفق ابو حنيفة والشافعي رحمة الله
عليهما على ان سجدات القران اربع عشرة وانما اختلفا في سجدة ص فهي عند ابي
حنيفة رحمة الله عليه سجدة تلاوة وعند الشافعي رضي الله عنه سجدة شكر
وفي سجدتي سورة الحج وما ذكره الزجاج من وجوب السجدة مع التخفيف
دون التشديد فغير مرجوع اليه فان قلت هل يفرق الواقف
بين القراتين قلت نعم اذا خفف وقف على لا يهتدون ثم ابتداء
الا يا اسجدوا وان شا وقف الا يا ثم ابتداء اسجدوا اذا شدد لم يقف
الا على العرش العظيم فان قلت كيف الهدهد بين عرش بلقيس و
عرش الله تعالى في الوصف بالعظيم قلت بين الوصفين بون عظيم لان
وصف عرشها بالعظم تعظيم له بالاضافة الى عروش ابناء جنسها من الملوك
ووصف عرش الله بالعظيم بالرفع قال سننظر اصدقت ام كنت من الكاذبين
سننظر من النظر الذي هو التامل والتصفح واراد اصدقت ام كذبت الا ان
كنت من الكاذبين ابلغ لانه اذا كان معروفا بالانخراط في سلك الكاذبين
كان كاذبا لا محالة واذا كان كاذبا الهم بالكذب فيما اخبر به فلم يوتوبه
اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ما يرجعون تول عنهم
تنح عنهم الى مكان قريب تتوارى فيه ليكون ما يقولونه يسمع منك ويرا
جعون من قوله عز وجل يرجع بعضهم الى بعض القول فيقال دخل عليها
من كوة فالقى الكتاب اليها وتوارى في الكوة فان قلت لم قال فالقه
اليهم على لفظ الجمع قلت لانه قال وجدتها وقومها يسجدون للشمس
فقال فالقه الى الذين هذا دينهم اهتماما منه بامر الدين واستغلالا به
وعن غيره وبنى الخطاب في الكتاب على لفظ الجمع كذلك قالت يا ايها
الملا اني القي الي كتاب كريم انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم
الا تعلوا علي واتوني مسلمين كريم حسن مضمونه وما فيه او وصفته
بالكرم لانه من عند ملك كريم او مختوم قال صلى الله عليه وسلم كرم

الكتاب ختمه وكان عليه السلام يكتب الى العجم فقيل له انهم لا يقبلون
الا كتابا عليه خاتم فاصطنع خاتما وعن ابن المقفع من كتب الى اخيه كتابا
ولم يختمه فقد استخف به وقيل مصدره بسم الله الرحمن الرحيم هو استيناف
وتبيين لما القي اليها كانها لما قالت اني القي الي كتاب كريم قيل لها
ممن هو وما هو فقالت انه من سليمان وانه كتب وكتب وقرا عبد الله وانه
من سليمان وانه عطفا على اني وقرئ انه من سليمان وانه بالفتح على انه بدل
من كتاب كانه قيل القي الي انه من سليمان ويجوز ان يريد ولانه من سليمان
ولانه كانها عللت كرمه بكونه من سليمان وتصديره باسم الله وقرا ابي رضي
الله عنه ان من سليمان وان بسم الله على ان المفسرة وان في ان لا تعلوا
مفسرة ايضا لا تعلوا لا تتكبروا كما يفعل الملوك وقرا ابن عباس رضي الله
عنه بالغين معجمة من الغلو وهو مجاوزة الحد وروي ان نسخة الكتاب
من عبد الله سليمان بن داود بلقيس ملكة سبا السلام على من اتبع الهدى اما
بعد فلا تعلوا علي واتوني مسلمين وكانت كتب الانبياء صلوات الله عليهم
جملا لا يطيلون ولا يكثرون وطبع الكتاب بالمسك وختمه بخاتمه فوجدها
الهدهد راقدة في قصرها بمارب وكانت اذا رقدت غلقت الابواب و
وضعت المفاتيح تحت راسها قد حل من كوة ووضع الكتاب على نحرها وهي
مستلقية وقيل نقرها فانقبضت فزعة وقيل اتاها والقادة والجنود
حواليها فزفرت ساعة والناس ينظرون حتى رفعت راسها فالقى الكتاب
في حجرها وكانت قارية كاتبة عربية من تبع بن شراحيل الحميري
فلما رات الخاتم ارتعدت وخضعت وقالت لقومها ما قالت مسلمين
منقادين او مؤمنين قالت يا ايها الملا افتوني في امري ما كنت قاطعة
امرا حتى تشهدون الفتوى الجواب في الحادثة استشفت على طريق
الاستعارة بالفتا في السن والمراد بالفتوى ههنا الاشارة عليها بما عندهم
فيما حدث عليها من الراي والتدبير وقصدت بالانقطاع اليهم والرجوع
الى استشارتهم واستطلاع ارائهم استعطافهم وتطييب نفوسهم ليمالئوها
ويقوموا معها قاطعة امرا الا بمحضركم وقيل كان اهل مشورتها ثلثمائة

وثلثة

٢٥٠

وثلثة عشر رجلا كل واحد على عشرة الاف قالوا نحن اولوا قوة واولوا باس
شديد والامر اليك فانظري ماذا تامرين ارادوا بالقوم قوة الاجساد وقوة
الالات والعدد وبالباس النجدة والبلاء في الحرب والامر اليك اي هو موكول
اليك ونحن مطيعون لك فمرينا بامرك نطعك ولا نخالفك كانهم اشاروا
عليها بالقتال او ارادوا نحن من ابناء الحرب لا من ابناء الري والمشورة وانت
ذات الراي والتدبير فانظري ماذا ترين نتبع رايك قالت ان الملوك
اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون
بما احست منهم الميل الى المحاربة رات من الراي الميل الى الصلح والابتداء
بما احسن ورتبت الجواب فزينت اولا ما ذكروه وارتهم الخطا فيه بان
الملوك اذا دخلوا قرية عنوة وقهرا افسدوها اي خربوها ومن ثم قالوا
للفساد الخربة واذلوا اعزتها واهانوا اشرافها وقتلوا واسروا فذكرت
لهم عاقبة الحرب وسوء مغبتها ثم قالت وكذلك يفعلون ارادت وهذه
عادتهم المستمرة الثابتة التي لا تتغير لانها كانت في بيت الملك القديم فسمعت
نحو ذلك ورات ثم ذكرت بعد ذلك حديث الهدية وما رات من الراي الشديد
وقيل هو تصديق من الله تعالى لقولها وقد يتعلق الساعون في الارض بالفساد
بهذه الاية ويجعلوها حجة لانفسهم ومن استباح حراما فقد كفر فاذا احتج
له بالقران على التحريف فقد جمع بين كفرين واني مرسلة اليهم بهدية فناظرة
بم يرجع المرسلون مرسلة اليهم بهدية اي مرسلة رسلا بهدية اصانعة
بها عن ملكي فناظرة ما يكون منه حتى اعمل على حسب ذلك فروي انها بعثت
خمسمائة غلام عليهم ثياب الجواري وحليهن الاساور والاطواق والقرطة
راكبي خيل مغشاة بالديباج محلاة اللجم والسروج بالذهب الموضع بالجواهر و
خمسمائة جارية على رماك في زي الغلمان والف لبنة من ذهب وفضة
وتاجا مكللا بالدر والياقوت المرتفع بالمسك والعنبر وحقا فيه درة عذراء
او جزعة معوجة الثقب وبعثت رجلين من اشراف قومها المنذر بن
عمرو واخر ذا راي وعقل وقالت ان كان نبيا ميز بين الغلمان والجواري
وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك في الجزعة خيطا ثم قالت للمنذر ارى

ان نظر اليك غضبان فهو ملك فلا يهولنك وان رايته بشا لطيفا
فهو نبي فاقبل الهدهد فاخبر سليمان عليه السلام فاخبر الجن فضربوا لبن
الذهب والفضة وفرشوه في ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا
حول الميدان حايطا شرفه من الذهب والفضة وامر باحسن الدواب
في البر والبحر فربطوها على يمين الميدان ويساره على اللبن وامر باولاد
الجن وهم خلق كثير فاقيموا على اليمين واليسار ثم قعد على سريره والكراسي
من جانبيه واصطفت الشياطين صفوفا فراسخ والانس صفوفا
فراسخ والوحش والسباع والطيور والهوام كذلك فلما دنا القوم ونظروا
بهتوا وراوا السدواب تروث على اللبن فتقاصرت اليهم نفوسهم ورموا بما
معهم ولما وقفوا بين يديه نظر اليهم بوجه طلق وقال ما وراكم وقال ابن
الحق واخبره جبريل عليه السلام بما فيه فقال لهم ان فيه كذا وكذا ثم
امر الارضة فاخذت شعرة ونفذت فيها فجعل دزفها في الشجرة واخذت
دودة بيضا الحنطة بفيها ونفذت فيها فجعل دزفها في الفواكه ودعا بالماء
وكانت الجارية تاخذ الماء بيدها فتجعله في الاخرى ثم تضرب به وجهها وا
الغلام كما ياخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية وقال للمنذر ارجع اليهم
فقالت هو نبي وما لنا به طاقة فشخصت اليه في اثني عشر الف قيل تحت
كل قيل الوف فلما جا سليمان قال اتمدونني بمال فما اتاني الله خير مما اتاكم بل انتم
بهديتكم تفرحون وفي قراة بن مسعود رضي الله عنه فلما جاروا اتمدونني و
وقرى بحذف الياء والاكتفاء بالكسرة وبالادغام كقوله تعالى اتحاجوني
وبنون واحدة اتمدوني الهدية اسم المهدي كما ان العطية اسم المعطى فتضاف
الى المهدي والمهدى له تقول هذه هدية فلان تريد هي التي اهداها او اهديت
اليه والمضاف اليه ههنا هو المهدى اليه والمعنى ان ما عندي خير مما عندكم
وذلك ان الله تعالى اتاني الدين الذي فيه الحظ الاوفر والغنى وسع واتاني
من الدنيا ما لا يستزاد عليه فكيف يرضى مثل بان يمد بمال وان يصانع به
بل انتم قوم لا تعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا فلذلك تفرحون بما تنزا
دون ويهدى اليكم لان ذلك مبلغ همتكم وحالي خلاف حالكم وما ارضى منكم بشي

ولا

ولا افرح به الا بالايمان وترك المجوسية فان قلت ما الفرق بين قولك
بالواو فقد جعلت مخاطبي عالما يزاد مي عليه في الغنى واليسار وهو مع ذلك
يمدني بالمال واذا قلته بالفاء فقد جعلته ممن خفيت عليه حالي فانا
اخبره الساعة بما لا احتاج معه الى امداده كاني اقول له انكر عليك ما
فعلت فاني غني عنه وعليه ورد قوله فما اتاني الله فان قلت فما وجه
الاضراب قلت لما انكر عليهم الامداد وعلل انكاره اضرب عن ذلك الى
بيان السبب الذي حملهم عليه وهو انهم لا يعرفون سبب رضا ولا فرح
الا ان يهدى اليهم شي من الدنيا التي لا يعلمون غيرها ويجوز ان تجعل الهدية
مضافة الى المهدي ويكون المعنى بل انتم بهديتكم هذه التي اهديتموها تفرحون
فرح افتخار على الملوك بانكم قدرتم على اهداء مثلها ويحتمل ان يكون عبارة
عن الرد كانه قال بل انتم من حقكم ان تاخذوا هديتكم وتفرحوا بها ارجع
اليهم فلناتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون
قال يا ايها الملا ايكم ياتيني بعرشها قبل ان ياتوني مسلمين ارجع خطاب للرسول
وقيل للهدهد محملا كتابا اخر لا قبل لا طاقة وحقيقة القبل المقاومة
والمقابلة اي لا يقدرون ان يقابلوهم وقرا ابن مسعود رضي الله عنه لا قبل
لهم بهم والضمير في منها لسبا والذل ان يذهب عنهم ما كانوا فيه من العز وا
الملك والصغار ان يقعوا في اسر واستعباد ولا يقتصر بهم على ان يرجعوا
سوقة بعد ان كانوا ملوكا يروى انها امرت عند خروجها الى سليمان عليه
السلام فجعل عرشها في اخر سبعة ابيات بعضها في بعض في اخر قصر من قصور
سبعة لها وغلقت الابواب ووكلت به حرسا يحفظونه ولعله اوحى
الى سليمان عليه السلام باستيثاقها من عرشها فاراد ان يغرب عليها ويريها بذلك
بعض ما خصه الله تعالى به من اجراء العجايب على يده مع اطلاعها على عظيم
قدرة الله تعالى وعلى ما يشهد لنبوة سليمان عليه السلام ويصدقها وعن
قتادة رحمة الله عليه اراد ان ياخذه قبل ان تسلم لعلمه انها اذا اسلمت لم
يحل له اخذ مالها وقيل اراد ان يؤتى به فينكر ويغير ثم ينظر اثبته ام
تنكره اختبارا لعقلها قال عفريت من الجن انا اتيك به قبل ان يقوم

من مقامك واني عليه لقوي امين وقرئ عفرية والعفر والعفريت والعفرية
والعفارية من الرجال الخبيث المنكر الذي يعفر اقرانه ومن الشياطين ا
الخبيث المارد وقالوا كان اسمه ذكوان لقوي على حمله امين اتي به كما هو لا اختزل
منه شيئا ولا ابدله قال الذي عنده علم من الكتاب انا اتيك به قبل ان يرتد اليك
طرفك فلما راه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني اشكر ام اكفر و
من شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربي غني كريم الذي عنده علم من
الكتاب رجل كان عنده اسم الله الاعظم وهو يا حي يا قيوم وقيل يا الهنا واله كل شيء
الها واحدا لا اله الا انت وقيل يا ذا الجلال والاكرام وعن الحسن رحمة الله عليه
الله والرحمن وقيل هو اصف بن برخيا كاتب سليمان عليه السلام وكان صديقا
عالما وقيل اسمه اسطوم وقيل هو جبريل وقيل ملك ايد الله به سليمان وقيل هو
سليمان نفسه كانه استبطاء العفريت فقال له انا اريك ما هو اسرع مما تقول
وعن ابن هيعة بلغني انه الخضر عليه السلام علم من الكتاب من الكتاب المنزل
وهو علم الوحي والشرايع وقيل هو اللوح والذي عنده علم منه جبريل عليه السلام
واتيك في الموضعين يجوز ان يكون فعلا واسم فاعل الطرف تحريك اجفانك اذا
نظرت فوضع موضع النظر ولما كان الناظر موصوفا بارسال الطرف في نحو قوله
وكنت اذا ارسلت طرفك رايدا لقلبك يوما اتعبتك المناظر رايت الذي لا
كله انت قادر عليه ولا عن بعضه انت صابر وصف برد الطرف ووصف
الطرف بالارتداد ومعنى قوله قبل ان يرتد اليك طرفك انك ترسل طرفك
الى شيء فقبل ان ترده ابصرت العرش بين يديك ويروى ان اصف قال
لسليمان عليه السلام مد عينيك حتى ينتهي طرفك فمد عينيه فنظر نحو ا
اليمن ودعا اصف فغار العرش في مكانه بمارب ثم نبع عند مجلس سليمان
بالشام بقدرة الله قبل ان يرتد طرفه ويجوز ان يكون هذا مثلا لاستقصار مدة
المجيء به كما تقول لصاحبك افعل كذا في الخطة وفي ردة طرف والتفت و
يصونها عن سمة الكفران ويرتبط به النعمة ويستمد المزيد وقيل الشكر قيد للنعمة
بوارد فلما اقشعت نافرة فرجعت في نصابها فاستدع شاردها بالشكر وا
واستدم راهنها بكرم الجوار واعلم ان سبوغ ستر الله متقلص عما قريب اذا انت

لم

لم ترج لله وقارا غني عن الشكر كريم بالانعام على من يكفر نعمته والذي قال سليمان
عليه السلام عند رؤية العرش شاكرا لربه جرى على كلمة ابناء جنسه من انبياء
الله والمخلصين من عباده يتلقون النعمة القادمة بحسن الشكر كما يشيعون
النقمة المودعة بجميل الصبر قال نكروا لها عرشها تنظر اتهتدي ام تكون من
الذين لا يهتدون نكروا اجعلوه منكرا متغيرا عن هيئته وشكله كما تنكر
الرجل للناس لئلا يعرفوه قالوا وتسعوه وجعلوا مقدمه مؤخرا واعلاه
اسفله وقرئ تنظر بالجزم على الجواب وبالرفع على الاستئناف اتهتدي لمعرفته
او للجواب الصواب اذا سئلت عنه او للدين والايمان بنبوة سليمان عليه
السلام اذا رات تلك المعجزة البينة من تقدم عرشها وقد خلفته واغلقت
عليه الابواب ونصبت عليه الحراس فلما جاءت قيل اهكذا عرشك قالت كانه
هو واوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين هكذا ثلث كلمات حرف التنبيه وا
كاف التشبيه واسم الاشارة لم تقل اهذا عرشك ولكن امثل هذا عرشك لئلا
يكون تلقينا فقالت كانه هو ولم تقل هو هو ولا ليس به وذلك من رجاحة
عقلها حيث لم تقطع في المحتمل واوتينا العلم من كلام سليمان وملايه فان قلت
علام عطف هذا الكلام وبما اتصل قلت لما كان المقام الذي سئلت فيه
عن عرشها واجابت بما اجابت به مقاما اجرى فيه سليمان وملاوة ما يناسب
قولهم واوتينا العلم نحو ان يقولوا عند قولها كانه هو قد اصابت في جوابها
وطبقت المفصل وهي عاقلة لبيبة وقد رزقت الاسلام وعلمت قدرة الله
وصحة النبوة بالايات التي تقدمت عند وفدة المنذر بن عمرو ولهذه الاية
العجيبة من امر عرشها عطفوا على ذلك قولهم واوتينا نحن العلم بالله وبقدرته
وبصحة ما جاء من عنده قبل علمها ولم نزل على دين الاسلام شكرا لله على فضلهم
عليها وسبقهم الى العلم بالله والاسلام قبلها وصدها ما كانت تعبد من
دون الله انها كانت من قوم كافرين وصدها عن التقدم الى الاسلام عبادة
الشمس ونشوها بين ظهراني الكفرة ويجوز ان تكون من كلام بلقيس مو
صولا بقولها كانه هو والمعنى واوتينا العلم بالله وبقدرته وبصحة نبوة
سليمان عليه السلام قبل هذه المعجزة او قبل هذه الحالة تعني ما تبينت من

الايات عند وفدة المنذر ودخلنا في الاسلام قال الله عز وجل وصدها قبل ذلك
عما دخلت فيه صلا لها عن سواء السبيل وقيل وصدها الله او سليمان عما كانت
تعبد بتقدير حذف الجار وايصال الفعل وقرئ انها بالفتح على انه بدل من فاعل
صد او بمعنى لانها قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن
ساقيها قال انه صرح ممرد من قوارير قالت رب اني ظلمت نفسي واسلمت
مع سليمان لله رب العالمين الصرح القصر وقيل صحن الدار وقرا ابن كثير
ساقيها بالهمز ووجهه انه سمع سؤوقا فاجرى عليه الواحد والممرد الملس
وروي ان سليمان عليه السلام امر قبل قدومها فبني له على طريقها قصر من زجاج
ابيض واجرى من تحته الماء والقى فيه من دواب البحر السمك وغيره ووضع
سريره في صدره فجلس عليه وعلف الطير والجن والانس وانما فعل ذلك
ليزيدها استعظاما لامره وصحة لنبوته وشاثا على الدين وزعموا ان الجن
كرهوا ان يتزوجها فتفضي اليه باسرارهم لانها كانت بنت جنية وقيل خافوا
ان يولد له منها ولد فتجتمع له فطنة الانس والجن فيخرجون من ملك سليمان
الى ملك اشد منه واقطع فقالوا له ان في عقلها شيئا وهي شعراء الساقين ور
جلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش واتخذ الصرح ليعرف ساقها ورجلها
فكشفت عنهما فاذا هي احسن الناس ساقا وقدما الا انها شعراء ثم صرف بصره
وناداها انه صرح ممرد من قوارير وقيل هي السبب في اتخاذ النورة امر بها
الشياطين فاتخذوها واستنكها سليمان واحبها واقرها على ملكها وامر الجن
فبنوا لها سلحين وعمدان وكان يزورها في الشهر مرة فيقيم عندها ثلثة
ايام وولدت له وقيل بل زوجها ذا تبع وسلطه على اليمن وامر زوبعة
امير جن اليمن ان يطيعه فبنى له المصانع ولم يزل اميرا حتى مات سليمان عليه
السلام ظلمت نفسي تريد بكفرها فيما تقدم وقيل حسبت ان سليمان يغرقها
في اللجة فقالت ظلمت نفسي بسوء ظني لسليمان عليه السلام ولقد ارسلنا الى
عود اخاهم صالحا ان اعبدوا الله فاذا هم فريقان يختصمون وقرئ ان اعبدوا
ابالضم على اتباع النون الباء فريقان فريق مؤمن وفريق كافر وقيل اريد
بالفريقين صالح وقومه قبل ان يؤمن منهم احد يختصمون يقول كل فريق الحق

معنى قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون
السيئة العقوبة والحسنة التوبة فان قلت ما معنى استعجالهم بالسيئة
قبل الحسنة وانما يكون ذلك اذا كانتا متوقعتين احديهما قبل الاخرى
قلت كانوا يقولون لجهلهم ان العقوبة التي بعدها صالح ان وقعت
على زعمه تبنا حينئذ واستغفرنا مقدرين ان التوبة مقبولة في ذلك
الوقت وان لم تقع فنحن على ما نحن عليه فخاطبهم صالح على حسب قولهم
واعتقادهم ثم قال لهم هلا تستغفرون الله قبل نزول العذاب لعلكم ترحمون
تنبيها لهم على الخطاء فيما قالوه وتجهيلا فيما اعتقدوه قالوا اطيرنا بك
وبمن معك قال طائركم عند الله بل انتم قوم تفتنون كان الرجل يخرج مسافرا
فيمر بطائر فيزجره فان مر سانحا تيمن وان مر باحا تشام فلما نسبوا الخير والشر
الى الطائر استعير لما كان سببهما من قدر الله تعالى وقسمته او من عمل العبد الذي
هو السبب في الرحمة والنعمة ومنه قالوا طائر الله لا طائرك اي قدر الله الغالب
الذي ينسب اليه الخير والشر لا طائرك الذي تتشام به وتتيمن فلما قالوا اطيرنا
بكم اي تشاءمنا وكانوا قد قحطوا قال طائركم عند الله اي سببكم الذي يجيء منه خيركم
وشركم عند الله وهو قدره وقسمته ان شاء رزقكم وان شاء حرمكم ويجوز ان يريد
عملكم مكتوب عند الله فمنه نزل بكم ما نزل عقوبة لكم وفتنة ومنه قوله تعالى
طائركم معكم وكل انسان الزمناه طائره في عنقه وقرئ تطيرنا بك على الاصل
ومعنى تطير به تشام به وتطير منه تفر منه تفتنون تختبرون او تعذبون
او يفتنكم الشيطان بوسوسته اليكم الطيرة وكان في المدينة تسعة رهط
يفسدون في الارض ولا يصلحون المدينة الحجر وانما جاز تمييز التسعة بالرهط
لانه في معنى الجماعة فكانه قيل تسعة انفس والفرق بين الرهط والنفر ان الرهط
من الثلثة الى العشرة او من التسعة الى العشرة والنفر من الثلثة الى التسعة
واسماؤهم عن وهب الهذيل بن عبد رب غنم بن غنم رباب بن مهرج مصدع
ابن ممرج عمير بن كردبة عاصم بن مخرمة سبيط بن صدقة سمعان بن صفي
قدار بن سالف وهم الذين سعوا في عقر الناقة وكانوا عتاة قوم صالح وكانوا
من ابناء اشرافهم ولا يصلحون يعني ان شانهم الافساد الخبث الذي لا يخلط

بشئ من الصلاح كما ترى بعض المفسدين قد يندر منه بعض الصلاح قالوا تقاسموا
بالله لنبيتنه واهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك اهله وانا لصادقون تقاسموا
يحتمل ان يكون امرا وخبرا في محل الحال باضمار قد اي قالوا متقاسمين وقرئ
لتقسموا وقرئ لنبيتنه بالتاء والباء والنون فتقاسموا مع التاء والنون يصح
فيه الوجهان ومع الباء لا يصح فيه الا ان يكون خبرا والتقاسم والتقسم كالتظاهر
والتظهر التحالف والمبالغة مباغتة العدو ليلا وعن الاسكندر انه اشير عليه بكلمات
فقال ليس من ايمن الملوك سلتراق الظفر وقرئ مهلك بفتح الميم واللام وكسرها
من هلك ومهلك بضم الميم من اهلك ويحتمل المصدر والمكان والزمان فان قلت
كيف يكونون صادقين وقد قصدوا ما فعلوا قالوا بالخبر على خلاف المخبر عنه
قلت كانهم اعتقدوا انهم اذا بيتوا صالحا وبيتوا اهله جمعوا بين البياتين ثم
قالوا ما شهدنا مهلك اهله فذكروا احدهما كانوا صادقين لانهم فعلوا البياتين
جميعا لا احدهما وفي هذا دليل قاطع على ان الكذب قبيح عند الكفرة الذين لا
يعرفون الشرع ونواهيه ولا يخطر ببالهم الا تري انهم قصدوا قتل نبي الله ولم
يرضوا لانفسهم بان يكونوا كاذبين حتى حلفوا للصدق في خرصهم جبلة يتقون
بها عن الكذب ومكروا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة
مكرهم انا دمرناهم وقومهم اجمعين مكرهم ما اخفوه من تدبير الفتك بصالح وا
واهله ومكر الله اهلاكهم من حيث لا يشعرون شبه بمكر الماكر على سبيل الاستعارة
روي انه كان لصالح عليه السلام مسجد في الحجر في شعب يصلي فيه فقالوا ا
زعم صالح انه يفرغ منا الى ثلث فنحن نفرغ منه ومن اهله قبل الثلث فخرجوا
الى الشعب وقالوا اذا جاء يصلي قتلناه ثم رجعنا الى اهله فقتلناهم فبعث
الله صخرة من الطفب خاطهم فبادروا فطبقت الصخرة عليهم فم الشعب فلم يدر قو
مهم ابن هم ولم يدروا ما فعل بقومهم وعذب الله كلا منهم في مكانه ونجى صالحا و
من معه وقيل جاروا بالليل شاهري سيوفهم وقد ارسل الله الملائكة ملأ دار صالح
فدمغوهم بالحجارة يرون الحجارة ولا يرون رامينا انا دمرناهم لاستيناف ومن قرأ بالفتح رفعه بدلا من العاقبة او خبر مبتدا محذوف تقديره هي تدبيرهم او
نصبه على معنى لانا او على انه خبر كان اي كان عاقبة مكرهم الدمار فتلك بيوتهم

٧٥٤

خاوية بما ظلموا ان في ذلك لاية لقوم يعلمون وانجينا الذين امنوا وكانوا يتقون
خاوية حال عمل فيها ما دل عليه تلك وقرأ عيسى بن عمر خاوية بالرفع على خبر المبتدإ
المحذوف ولوطا اذ قال لقومه اتاتون الفاحشة وانتم تبصرون ائنكم لتاتون الرجال
شهوة من دون النساء بل انتم قوم تجهلون واذكر لوطا او وارسلنا لوطا لدلالة
ولقد ارسلنا عليه لوا ذ بدل على الاوظرف على الثاني وانتم تبصرون من بصر القلب
اي تعلمون انها فاحشة لم تسبقوا اليها وان الله انما خلق الاثنى للذكر ولم يحل الذكر
للذكر ولا الانثى فهي مضادة الله في حكمته وحكمه وعلمكم بذلك اعظم الذنوب واد خل في
القبح والسماجة وفيه دليل على ان القبيح من الله افبح منه عباده لانه اعلم العالمين
واحكم الحاكمين او تبصرونها بعضكم من بعض لانهم كانوا في نادي يرتكبونها معا
معالنين لا يستتر بعضهم من بعض خلاعة ومجانة وانها كانت المعصية وكان ابا
نواس بني على مذهبهم قوله وح باسم ما تاتي وذرني من الكنى فلا خير في اللذات
من دونها ستر او تبصرون اثار العصاة قبلكم وما نزل بهم فان قلت فسرت
تبصرون بالعلم وبعده بل انتم قوم تجهلون فكيف يكونون عالمين جهلاء قلت
اوادا بالجهل السفاهة والمجانة التي كانوا عليها فان قلت تجهلون صفة
لقوم والموصوف لفظه لفظ الغائب فهلا طابقت الصفة الموصوف
فتقول ياليا، دون التاء وكذلك بل انتم قوم تفتنون قلت اجتمعت الغيبة
والمخاطبة فغلبت المخاطبة لانها اقوى وارسخ اصلا من الغيبة فما كان جواب
قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون فانجيناه واهله
الا امرأته قدرناها من الغابرين وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين وقرا
الاعمش جواب قومه بالرفع والمشهورة احسن يتطهرون يتنزهون عن القاذ
ورات كلها فينكرون هذا العمل القذر ويغيظنا انكارهم وعن ابن عباس رضي الله
عنهما هو استهزاء قدرناها قدرنا كونها من الغابرين فالتقدير واقع على الغبور
في المعنى قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير امايشركون امر رسوله
صلى الله عليه وسلم ان يتلو هذه الايات الناطقة بالبراهين على واحدانيته
وقدرته على كل شئ وحكمته وتحميده والسلام على انبيائه عليهم الصلاة والسلام
من الرحمن الرحيم والمصطفين من عباده وفيه تعليم حسن وتوقيف على ادب

جميل وبعث على التيمن بالذكرين والتبرك بهما والاستظهار بمكانهما على قبول ما
يلقى الى السامعين واصغائهم اليه وانزاله من قلوبهم المنزلة التي ينبغيها المسمع
ولقد توارث العلماء والوعاظ والخطباء كابرا عن كابر هذا الاب فحمدوا الله
وصلوا على رسوله امام كل مفاد وقبل كل عظة وتذكرة وفي مفتتح كل خطبة
وتبعهم المترسلون فاجروا عليه اوايل كتبهم في الفتوح والتهاني وغير ذلك
من الحوادث التي لها شان وقيل هو متصل بما قبله وامر بالتحميد على الهالكين
من كفار الامم والصلوة على الانبياء واشياعهم الناجين وقيل هو خطاب
للوط عليه السلام وان يحمد الله على هلاك كفار قومه ويسلم على من اصطفاه
الله ونجاه من هلكتهم وعصمه من ذنوبهم معلوم ان لا خير فيما اشركوه اصلا حتى
يوازن بينه وبين من كل هو خالق كل خير وسالكه وانما هو الزام لهم وتبكيت
وتهكم بحالهم وذلك انهم اثروا عبادة الاصنام على عبادة الله ولا يوثر عاقل شيئا
على شيء الا لداع يدعوه الى ايثاره من زيادة خير ومنفعة فقيل لهم مع العلم
بانه لا خير فيما اثروه وانهم لم يوثروه لزيادة الخير وانما هو هوى وعبث
لينبهوا على الخطاء المفرط والجهل المورط واضلالهم التمييز ونبذهم المعقول وليعلموا ان
الايثار يجب ان يكون للخير الزايد ونحوه ما حكاه عن فرعون ام انا خير من هذا الذي
هو مهين ولا يكاد يبين ومع علمه انه ليس لموسى مثل انهاره التي كانت تجري
تحته ثم عدد سبحانه الخيرات والمنافع التي هي اثار رحمته وفضله كما عددها في
موضع اخر ثم قال هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء وقرئ تشركون با
التاء والياء وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قراها قال بل الله خير
وابقى واجل واكرم امن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به
حدايق ذات بهجة ما كان لكم ان تنبتوا شجرها اله مع الله بل هم قوم يعدلون
فان قلت ما الفرق بين ام وام في اما تشركون وامن خلق قلت تلك
متصلة لان المعنى ايهما خير وهذه منقطعة بمعنى بل وهذه الهمزة لما قال الله تعالى
خير ام الالهة قال بل امن خلق السموات والارض خير تقريرا لهم بان من قدر
على خلق العالم خير من جماد لا يقدر على شيء وقرا الاعمش امن بالتخفيف و و
جهه ان يجعل بدلا من الله كانه قال امن خلق السموات والارض خيرا اما تشركون

فان

فان قلت اي نكتة في نقل الاخبار عن الغيبة الى التكلم عن ذاته في قوله تعالى
فانبتنا قلت تاكيد معنى اختصاص الفعل بذاته والايذان بان انبات الحدايق
المختلفة الاصناف والالوان والطعوم والروايح والاشكال مع حسنها وبهجتها بماء
واحد لا يقدر عليه الا هو وحده الا ترى كيف رشح معنى الاختصاص بقوله
تعالى ما كان لكم ان تنبتوا شجرها ومعنى الكينونة الابتغاء اراد ان تاتي ذلك
محال من وكذلك قوله بل هم بعد الخطاب ابلغ من تخطئة رايهم والحديقة البستان عليه
حايط من الاحدق وهو الاحاطة وقيل ذات لان المعنى جماعة حدايق ذات
بهجة كما يقال النساء ذهبت والبهجة الحسن لان الناظر يبتهج به اله مع الله غيره يقرن
به ويجعل شريكا له وقرئ الها مع الله بمعنى اتدعون او تشركون ولك ان تحقق
الهمزتين وتوسط بينهما مدة وتخرج الثانية بين بعدلون يعدلون به غيره او
يعدلون عن الحق الذي هو التوحيد امن جعل الارض قرارا وجعل خلالها انهارا
وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا ايله مع الله بل اكثرهم لا يعلمون امن
جعل وما بعده بدل من امن خلق فكان حكمها حكمه قرارا وسواها للاستقرار
عليها حاجزا كقوله تعالى برزخا امن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم
خلفاء الارض ايله مع الله قليلا ما تذكرون الضرورة الحالة المحوجة الى اللجاء وا
والاضطرار افتعال منها يقال اضطره الى كذا والفاعل والمفعول مضطر والمضطر
الذي احوجه مرض او فقر او نازلة من نوازل الدهر الى اللجاء والتضرع الى الله
تعالى وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو المجهود وعن السدي الذي لا حول ولا
قوة وقيل المذهب اذا استغفر فان قلت قد عم المضطرين بقوله يجيب المضطر
اذا دعاه وكم من مضطر يدعوه فلا يجاب قلت الاجابة موقوفة على ان يكون
المدعو به مصلحة فيبطل التناول على العموم خلفاء الارض خلفا فيها وذلك
توارثهم سكناها والتصرف فيها قرنا بعد قرن او اراد بالخلافة الملك والتسلط
وقرئ يذكرون بالياء مع الادغام وبالتاء مع الادغام والحذف وما مزيدة اي
تذكرون تذكرا قليلا والمعنى نفي التذكر والقلة تستعمل في معنى النفي امن يهديكم
في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته ايله مع الله
تعالى الله عما يشركون يهديكم بالنجوم في السماء والعلامات في الارض اذا جن

الليل عليهم سافرين في البر والبحر امن يبدء الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء
والارض اليه مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين **فان قلت** كيف
قيل لهم امن يبدء الخلق ثم يعيده وهم منكرون للاعادة **قلت** قد ارتحت
علتهم بالتمكين من المعرفة والاقرار فلم يبق لطعنهم عذر في الانكار من السماء للماء ومن
الارض النبات ان كنتم ان مع الله الها غاير دليلكم عليه قل لا يعلم من في
السموات والارض الغيب الا الله وما يشعرون ايان يبعثون **فان قلت**
لم رفع اسم الله والله يتعالى ممن ان يكون ممن في السموات والارض **قلت** جاء على لغة
بني تميم حيث يقولون ما في الدار احد الا حمار يريدون ما فيها الا حمار كما احد الم يذكروه
قوله عشية ما تغني الرماح مكانها ولا النبل الا المشرفي المضعم وقولهم ما اتاني زيد
الا عمرو وما اعانه اخوانكم الا اخوانه **فان قلت** ما الداعي الى اختيار المذهب
التميمي على الحجازي **قلت** دعت اليه نكتة سرية حيث اخرج المستثنى مخرج قوله
الا اليعافير بعد قوله ليس بها انيس ليرد المعنى الى قولك ان كان الله ممن في
السموات والارض فهم يعلمون الغيب يعني ان علمهم الغيب في استحالته كاستحالة
ان يكون الله منهم كما ان معنى ما في البيت ان كانت اليعافير انيسا ففيها انيس للقول
بخلوها عن الانيس **فان قلت** هلا زعمت ان الله ممن في السموات والارض كما يقول
المتكلمون الله في كل مكان على معنى ان علمه في الاماكن كلها وكان ذاته فيها حتى
لا تحمله على مذهب بني تميم **قلت** يابى ذلك ان كونه تعالى في السموات والارض
مجاز وكونهم فيهن حقيقة واردة المتكلم بعبارة واحدة حقيقة ومجازا غير
صحيحة على ان قولك من في السموات والارض وجمعك بينه وبينهم في اطلاق
اسم واحد فيه اطهام تسوية والايهامات منزلة عنه تعالى وعن صفاته تعالى الا
ترى كيف قال صلى الله عليه وسلم لمن قال ومن يعصهما فقد غوى بئس خطيب
القوم انت وعن ام المومنين عايشة رضي الله عنها من زعم انه يعلم ما في غد فقد
اعظم على الله الفرية والله تعالى يقول قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب
الا الله وعن بعضهم اخفى عينه عن الخلق ولم يطلع عليه احدا ليلا يا من احد
من عبيده مكره وقيل نزلت في المشركين حين سالوا رسول الله عليه السلام
عن وقت الساعة ايان بمعنى متى ولو سمي به لكان فعالا من ان تبين ولا تصرف

وقرى

وقرى ادارك بكسر الهمزة بل ادرك علمهم في الاخرة بل هم في شك منها بل هم منها
عمون فريا بل ادرك بل ادارك بالف بينهما بلا ادرك بالتخفيف والنقل بل ادره
بفتح اللام وتشديد الدال واصله بل ادرك على الاستفهام بلما درك بل ادرك
ام تدارك ام ادرك فهذه ثنتي عشرة قراة وادارك اصله تدارك فادغمت
التاء في الدال وادرك افتعل ومعنى ادرك علمهم انتهى وتكامل وادارك تتابع
واستحكم وهو على وجهين احدهما ان اسباب استحكام العلم وتكامله بان القيامة
كاينة لا ريب فيه قد حصلت لهم ومكنوا من معرفة وهم شاكون جاهلون
وهو قوله تعالى بل هم في شك منها بل هم منها عمون يريد المشركين ممن في السموات
والارض لانهم لما كانوا في جملتهم نسب فعلهم الى الجميع كما يقال بنو افلان فعلوا كذا
وانما فعله ناس منهم **فان قلت** ان الاناة سبقت لاختصاصه بعلم الغيب
وان العباد لا علم لهم بشئ منه وان وقعت بغتهم ونشورهم من جملة الغيب
وهم لا يشعرون به فكيف لام هذا المعنى وصف المشركين بانكارهم البعث مع
استحكام سببا بالعلم والتمكن من المعرفة **قلت** لما ذكر ان الغيب لا يعلمون
الغيب ولا يشعرون البعث الكاين ووقته الذي يكون فيه وكان هذا بيانا
لعجزهم ووصفا لقصور علمهم وصل به ان عندهم خبرا ابلغ منه وهو انهم يقولون
للكاين الذي لا بد ان يكون وهو وقت جزاء العصاة لا يكون مع ان عندهم اسباب
معرفة كونه واستحكام العلم به والوجه الثاني ان وصفهم باستحكام العلم وتكامله
تهكم بهم كما تقول لاجهل الناس ما اعلمك على سبيل الطعن وذلك حيث سكوا
او عموا عن اثباته الذي الطريق الى علمه مسلوك فضلا ان يعرفوا وقت كونه الذي
لا طريق الى معرفته وفي ادرك علمهم وادارك علمهم وجه اخر وهو ان يكون ادرك
بمعنى انتهى وضن من قولك ادركت الثمرة لان تلك غايتها التي عندها تقدم
وقد فسره الحسن باضمحل علمهم وتدارك من تدارك بنو افلان اذا تتابعوا
في الهلاك **فان قلت** فما وجه قراة من قرا ادرك على الاستفهام
قلت هو استفهام على وجه الانكار لادراك علمهم وكذلك من قرا ام ادرك
وام تدارك لانها ام التي بمعنى بل والهمزة **فان قلت** فمن قرا بلى ادرك
وبلى ادرك **قلت** لما جاء بلى بعد قوله وما يشعرون كان معناه بلى يشعرون

ثم فسر الشعور بقوله ادرك علمهم في الآخرة على سبيل التهكم التي معناه المبالغة
في نفي العلم فكانه قال شعورهم بوقت الاخرة انهم لا يعلمون كونها فيرجع
الى نفي الشعور على ابلغ ما يكون واما من قرا بلى ادرك على الاستفهام فمعناه
بلى يشعرون متى يبعثون ثم انكر علمهم بكونها لم يتحصل لهم شعور بوقت كونها
لان العلم بوقت الكائن تابع للعلم بكون الكائن في الاخرة في شان الاخرة ومعناها
فان قلت هذه الاضرابات الثلاث ما معناها قلت ما هي الا تنزيل
لاحوالهم وصفهم اولا بانهم لا يشعرون وقت البعث ثم بانهم لا يعلمون ان القيامة
كائنة ثم بانهم يخبطون في شك ومرية فلا يزيلونه والازالة مستطاعة
الا ترى ان من لم يسمع اختلاف المذاهب وتضليل اربابها بعضهم لبعض كان
امره اهون ممن سمع بها وهو جاثم لا يشخص به طلب التمييز بين الحق والباطل
ثم بما هو اشوا حالا وهو العمى وان يكون مثل البهيمة قد عكف همه على بطنه وفرجه
لا يخطر بباله حقا ولا باطلا ولا يفكر في عاقبة وقد جعل الاخرة مبدا عماهم
ومنشاه فلذلك عداه بمن دون عن لان الكفر بالعاقبة والجزاء هو الذي
جعلهم كالبهائم لا يتدبرون ولا يتبصرون وقال الذين كفروا ايذا كنا ترابا واباؤ
نا اينا لمخرجون لقد وعدنا هذا نحن واباؤنا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين
العامل في اذا ما دل عليه اينا لمخرجون وهو تخرج لان بين يدي اسم الفاعل فيه
عقابا وهي همزة الاستفهام وان ولام الابتداء وواحدة منها كافية فكيف اذا
اجتمعن والمراد الاخراج من الارض او من حال الفناء الى الحياة وتكرير حرف
الاستفهام بادخاله على اذا وان جميعا انكار على انكار وجحود عقيب جحود
ودليل على كفر موكد مبالغ فيه والضمير في اناطهم ولاباطهم لان كونهم
ترابا قد تناول لهم واباليهم فان قلت قدم في هذه الاية هذا على نحن
واباؤنا وفي اية اخرى قدم نحن واباؤنا على هذا قلت التقديم دليل على
ان المقدم هو الغرض المتعمد بالذكر وان الكلام انما سيق لاجله ففي احدى الايتين
دل على ان اتخاذ البعث هو الذي تعمد بالكلام وفي الاخرى على ان اتخاذ
المبعوث بذلك الصدد قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة
المجرمين لم تلحق علامة التانيث بفعل العاقبة لان تانيثها غير حقيقي

ولان

ولان المعنى كيف كان اخر امرهم واراد بالمجرمين الكافرين وانما عبر عن
الكفر بلفظ الاجرام ليكون لطفا للمسلمين في ترك الجرائم وتخوف عاقبتها
الا ترى الى قوله تعالى قد مدم عليهم ذلهم بذنبهم وقوله تعالى مما خطا
ياهم اغرقوا ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون ولا تحزن عليهم
لانهم لم يتبعوك ولم يسلموا فيسلموا وهم قومه قريش كقوله تعالى لعلك
باخع نفسك على اثارهم ان يؤمنوا بهذا الحديث اسفا في ضيق في حرج
صدر من مكرهم وكيدهم لك ولا تبال بذلك فان الله تعالى يعصمك من الناس
يقال ضاق الشيء ضيقا وضيقا بالفتح والكسر وقد قرئ بهما والضيق ايضا
تخفيف الضيق قال الله تعالى ضيقا حرجا قرئ مخففا ومثقلا ويجوز ان يراد
في امر ضيق من مكرهم ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل عسى ان
يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون استعجلون العذاب الموعود فقيل
لهم عسى ان يكون ردفكم بعضه وهو عذاب يوم بدر فزيدت اللام للتاكيد
كالباء في ولا تلقوا بايديكم او ضمن معنى فعل يتعدى باللام نحو دنا لكم وازف
لكم ومعناه تبعكم ولحقكم وقد عدي بمن قال فلما ردفنا من عمير وصحبه
تولوا سراعا والمنية تعنق يعني دنونا من عمير وقرا الاعرج ردف لكم
بوزن ذهب وهما لغتان والكسر افصح وعسى ولعل وسوف في وعد الملوك
ووعيدهم يدل على صدق الامر وجده وما لا مجال للشك بعده وانما يعنون
بذلك اظهار وقارهم وانهم لا يعجلون بالانتقام لادلالهم بقهرهم وغلبتهم وو
ثوقهم بان عدوهم لا يفوتهم وان الرمزة الى الاغراض كافية من جهتهم
فعلى ذلك جرى وعد الله ووعيده وان ربك لذو فضل على الناس ولكن
اكثر الناس لا يشكرون الفضل والفاضلة والافضال ولفلان فواضل
في قومه وفضول ومعناه انه مفضل عليهم بتاخير العقوبة وانه لا يعاجلهم
بها واكثرهم لا يعرفون حق النعمة فيه ولا يشكرونه ولكنهم بجهلهم يستعجلون
وقوع العقاب وهم قريش وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون
قرئ تكن يقال كننت الشيء والننته اذا استرته واخفيته يعني انه يعلم
ما يخفون وما يعلنون من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكايدهم

وهو معاقبهم على ذلك بما يستوجبونه وما من غايبة في السماء والارض الا في كتاب
مبين سمي الشي الذي يغيب ويخفى غايبة وخافية فكانت التا فيهما بمنزلتها في العافية
والعاقبة ونظيرهما النطيحة والرمية والذبيحة في الها اسما غير صفات ويجوز
ان يكونا صفتين وتاوهما للمبالغة كالرواية في قولهم ويل للشاعر من رواية
السوء كانه قال وما من شي شديد الغيبوبة والخفا الا وقد علمه الله واحاط به
واثبته في اللوح المبين البين الظاهر ينظر فيه من الملايكة ان هذا القران
يقص على بني اسرايل اكثر الذي هم يختلفون وانه لهدى ورحمة للمؤمنين
قد اختلفوا في المسيح فتحزبوا فيه احزابا ووقع بينهم التناكر في اشياء كثيرة
حتى لعن بعضهم بعضا وقد نزل القران ببيان ما اختلفوا فيه لو انصفوا
واخذوا به واسلموا يريد اليهود والنصارى للمومنين لمن انصف منهم وامن
اي من بني اسرايل او من غيرهم ان ربك يقضي بينهم بحكمه وهو العزيز العليم بينهم
بين من امن بالقران ومن كفر به فان قلت ما معنى يقضي بحكمه ولا يقال
زيد يضرب بضربه ويمنع بمنعه قلت معناه ما يحكم به وهو عدله لانه لا يقضي
الا بالعدل فسمي المحكوم به حكما او اراد بحكمته وتدل عليه قراة من قرا بحكمة
جمع حكمة وهو العزيز فلا يرد قضاوه العليم بمن يقضي له ويقضي عليه او العزيز
في انتقامه من المبطلين العليم بالفصل بينهم وبين المحقين فتوكل على الله انك
على الحق المبين امره بالتوكل على الله وقلة المبالاة باعداء الدين وعلل التوكل
بانه على الحق الابلج الذي لا يتعلق به الشك والظن وفيه بيان ان صاحب
الحق حقيق بالوثوق بصنع الله ونصرته وان مثله لا يخذل انك لا تسمع الموتى
ولا تسمع الصم الدعا اذا ولوا مدبرين وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم ان
تسمع الا من يومن باياتنا فهم مسلمون فان قلت انك لا تسمع الموتى يشبه
ان يكون تعليلا اخر للتوكل فما وجه ذلك قلت وجهه ان الامر بالتوكل
جعل مسببا عما كان يغيظ رسول الله عليه السلام من جهة المشركين
واهل الكتاب من ترك اتباعه ويتسع ذلك بالعداوة والاذى فلام ذلك
ان يعلل توكل متوكل مثله بان اتباعهم امر قد يئس منه فلم يبق الا الاستصبار
عليهم لعداوتهم واستكفا شرورهم واذاهم وشبهوا بالموتى وهم احيا صحاح ا

الحواس

٢٥٨

الحواس لانهم اذا سمعوا ما يتلى عليهم من ايات الله فكانوا اقماع القول لا تعيه اذا لهم
وكانت سماعهم كلا سماع كانت حالهم لاستيفاء جذوى السماع كحال الموتى الذين
فقدوا مصحح السماع وكذلك تشبيههم بالصم الذين ينعق بهم فلا يسمعون وشبهوا
بالعمي حيث يضلون الطريق ولا يقدر احد ان ينزع ذلك عنهم ويجعلهم
هداة بصيرا الا الله عز وجل فان قلت ما معنى قوله تعالى اذا ولوا
مدبرين قلت هو تاكيد لحال صم لانه اذا تباعد عن الداعي بان يولي عنه مدبرا
كان ابعد عن ادراك صوته وقرى ولا يسمع الصم وما انت بهادي العمي على الاصل
وتهدي العمي وعن ابن مسعود رضي الله عنه وما ان تهدي العمي وهداه عن الضلال
كقولك سقاه عن العيمة اي ابعده عنها بالسقي وابعده عن الضلال بالهدى
ان تسمع اي ما يجدي اسماعك الا على الذين علم الله انهم يومنون باياته اي يصدقون
بها فهم مسلمون اي مخلصون من قوله عز وجل بلى من اسلم وجهه الله يعني جعله
سالما لله خالصا له واذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم ان
الناس كانوا باياتنا لا يوقنون سمي معنى القول ومؤداه بالقول وهو ما وعدوا
به من قيام الساعة والعذاب ووقوعه حصوله والمراد مشارفته وظهور
شراطها وحين لا تنفع التوبة ودابة الارض الجساسة جا في الحديث ان طولها
ستون ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب وروي لها اربع قوايم وزغب
وريش وجناحان وعن ابن جريج في وصفها راس ثور وعين خنزير واذن فيل
وقرن ايل وعنق نعامة وصدر اسد ولون نمر وخاصرة هر وذنب كبش
وخف بعير وما بين المفصلين اثني عشر ذراعا بذراع ادم عليه السلام وروي
لا تخرج الا راسها وراسها تبلغ عنان السماء او يبلغ السحاب وعن ابي هريرة
رضي الله عنه فيها من كل لون وما بين قرنيها فرسخ للراكب وعن الحسن رحمة الله
عليه لا يتم خروجها الا بعد ثلثة ايام وعن علي كرم الله وجهه انها تخرج ثلثة
ايام والناس ينظرون فلا يخرج الا ثلثها وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سيل
من اين تخرج الدابة فقال من اعظم المساجد حرمة على الله يعني المسجد الحرام وروي
انها تخرج ثلاث خرجات تخرج باقصى اليمن ثم تتكمن ثم تخرج بالبادية ثم تتكمن
دهرا طويلا فبينا الناس في اعظم المساجد حرمة واكرمها على الله فما يهولهم

الا خروجها من بين الركن هذا دار بني مخزوم عن يمين الخارج من المسجد فقوم
يهربون وقوم يقفون نظارة وقيل تخرج من الصفا فتكلمهم بالعربية بلسان ذلق
فتقول ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون يعني ان الناس كانوا لا يوقنون بخروجي لان
خروجها من الايات وتقول الا لعنة الله على الظالمين وعن السدي تكلمهم ببطلان
الاديان كلها سوى دين الاسلام وعن ابن عمر رضي الله عنهما تستقبل المغرب فتصرخ
صرخة تنفذه ثم تستقبل المشرق ثم الشام ثم اليمن فتفعل مثل ذلك وروي
تخرج من اجياد وروي بينا عيسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون
اذ تضطرب الارض تحتهم تحرك القنديل وينشق الصفا مما يلي المسعى فتخرج
الدابة من الصفا ومعها عصى موسى عليه السلام وخاتم سليمان فتضرب المومن
في مسجده او فيما بين عينيه بعصى موسى فتنكت نكتة بيضا فتفشو تلك النكتة
في وجهه حتى يضيء لها وجهه او فتترك وجهه كانه كوكب دري ويكتب بين عينيه
مومن وتنكت الكافر بالخاتم في انفه فتفشو النكتة حتى يسود لها وجهه ويكتب
بين عينيه كافر وروي فتجلو وجه المومن بالعصا وتخطم انف الكافر بالخاتم
ثم تقول لهم يا فلان انت من اهل الجنة ويا فلان انت من اهل النار وقرئ تكلمهم من
الكلم وهو الجرح والمراد به الوسم بالعصا والخاتم ويجوز ان يكون تكلمهم من الكلم ايضا
على معنى التنكير تعالى فلان مكلم اي مجرح ويجوز ان يستدل بالتخفيف على ان المراد
بالتكليم التجريح كما فسر لنحرقنه بقراءة علي كرم الله وجهه لنحرقنه وان يستدل بقراءة
ابي تنبئهم وبقراءة ابن مسعود رضي الله عنه تكلمهم بان الناس على انه من الكلام والقراءة
بان مكسورة حكاية لقول الدابة اما لان الكلام بمعنى القول او باضمار القول اي
تقول الدابة ذلك او هي حكاية لقوله تعالى عند ذلك **فان قلت** اذا
كانت حكاية لقول الدابة فكيف تقول باياتنا **قلت** قولها حكاية لقول الله
تعالى او على معنى بايات ربنا او لاختصاصها بالله واثرتها عند الله تعالى وانها
من خواص خلقه اضافت ايات الله الى نفسها كما يقول بعض خاصة الملك خيلنا
وبلادنا وانما هي خيل مولاه وبلاده ومن قرا بالفتح فعلى حذف الجار اي تكلمهم
بان ويوم نحشر من كل امة فوجا ممن يكذب باياتنا فهم يوزعون فهم يوزعون م
يحبس اولهم على اخرهم حتى يجتمعوا فيكبكبوا في النار وهذه عبارة عن كثرة

٢٥٩

العدد وتباعد اطرافه كما وصفت جنود سليمان بذلك وكذلك قوله فوجا فان
وعن ابن عباس رضي الله عنهما ابو جهل والوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة يتشاقون
بين يدي اهل مكة وكذلك يحشر قادة سائر الامم بين ايديهم الى النار **فان قلت**
اي فرق بين من الاولى والثانية **قلت** الاولى للتبعيض والثانية للتبيين
كقوله تعالى من الاوثان حتى اذا جاوا قال اكذبتم باياتي ولم تحيطوا بها علما
اما ذا كنتم تعملون ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون الواو للحال
كانه قال اكذبتم بها بادي الراي من غير فكر ولا نظر يؤدي الى احاطة العلم بكنهها
ولها حقيقة بالتصديق او بالتكذيب او للعطف اي اجحدتموها ومع جحودكم
لم تلقوا اذهانكم لتحققها وتبصرها فان المكتوب اليه قد يجحد ان يكون الكتاب
من عند من كتبه ولا يدع مع ذلك ان يقراه ويتفهم مضامينه ويحيط بمعانيه
ام ماذا كنتم تعملون بها للتبكيت لا غير وذلك انهم لم يعملوا الا التكذيب فلا يقدر
ون ان يكذبوا ويقولوا قد صدقنا بها وليس الا التصديق بها او التكذيب ومثاله
ان تقول لراعيك وقد عرفته رويعي سوء اتاكل نعمي ام ماذا تعمل بها فتجعل ما
تبتدي به وتجعله اصل كلامك واساسه هو الذي صح عندك من اكله وفساده
وترمي بقولك ام ماذا تعمل بها مع علمك انه لا يعمل بها الا الاكل تبهته وتعلمه علمك
بانه لا يجي منه الا اكلها وانه لا يقدر ان يدعي الحفظ والاصلاح لما شهر من خلاف ذلك
او اراد اما كان لكم عمل في الدنيا الا الكفر والتكذيب بايات الله ام ماذا كنتم تعملون
من غير ذلك يعني انه لم يكن لهم عمل غيره كانهم لم يخلقوا الا للكفر والمعصية وانما
خلقوا للايمان والطاعة يخاطبون بهذا قبل كبهم في النار ثم يكبون فيها وذلك
قوله ووقع القول عليهم يريد ان العذاب الموعود يغشاهم بسبب ظلمهم وهو
التكذيب بايات الله فيشغلهم عن النطق والاعتذار كقوله تعالى هذا يوم لا
ينطقون الم يروا انا جعلنا الليل ليبصروا فيه والنهار مبصرا ان في ذلك لا
لايات لقوم يومنون جعل الابصار للنهار وهو لاهله **فان قلت**
ما للتقابل لم يراع في قوله ليسكنوا ومبصرا حيث كان احدهما علة والا
والاخر حالا **قلت** هو مراعى من حيث المعنى وهكذا النظم المطبوع غير المتكلف
لان معنى مبصرا ليبصروا فيه طرف التقلب في المكاسب ويوم ينفخ في الصور

ففزع من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله وكل اتوه داخرين فان
قلت لم قيل ففزع دون فيفزع قلت لنكتة وهي الاشعار بتحقق الفزع
وثبوته وانه كاين لا محالة واقع على اهل السموات والارض لان الفعل الماضي يدل
على وجود الفعل وكونه مقطوعا به والمراد فزعهم النفخة الاولى حين يصعقون
الا من شاء الله الا من ثبت الله قلبه من الملايكة قالوا هم جبريل وميكال واسرافيل
وملك الموت عليهم السلام وقيل الشهداء وعن الضحاك الحور وخزنة النار وحملة
العرش وعن جابر رضي الله عنه منهم موسى عليه السلام لانه صعق مرة ومثله قوله
عز وجل ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله
وقرئ اتوه واياه ودخرين والجمع على المعنى والتوحيد على اللفظ والداخر والدخر
الصاغر وقيل معنى الاتيان حضورهم الموقف بعد النفخة الثانية ويجوز ان يراد
رجوعهم الى امره وانقيادهم له وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب
صنع الله الذي اتقن كل شيء انه خبير بما تفعلون جامدة من جمد في مكانه اذا لم
يبرح يجمع الجبال فتسير كما تسير الريح السحاب فاذا انظر اليها حسبها واقفة
ثابتة في مكان واحد وهي تمر مرا حثيثا كما تمر السحاب وهكذا الاجرام العظام
المتكاثرة العدد اذا تحركت لا تكاد تبين حركتها كما قال النابغة في صفة جيش
بارعن مثل الطود تحسب انهم وقوف لحاج والركاب تهملج صنع الله من المصادر
المؤكدة كقوله تعالى صنع الله وصبغة الله الا ان موكده محذوف وهو الناصب
ليوم ينفخ والمعنى ويوم ينفخ في الصور وكانت وكيت اثاب الله المحسنين وعاقب
المجرمين ثم قال صنع الله يريد به الاثابة والمعاقبة وجعل هذا الصنع من جملة
الاشياء التي اتقنها الله واتى لها على الحكمة والصواب حيث قال صنع الله الذي
اتقن كل شيء يعني ان مقابلة الحسنة بالثواب والسيئة بالعقاب من جملة اي
حكامة للاشياء واتقانه لها واجرائه لها على قضايا الحكمة انه عالم بما يفعل العباد
وبما يستوجبون عليه فيكافيهم على حسب ذلك ثم لخص ذلك بقوله من جاء
بالحسنة الى اخر الايتين فانظر الى بلاغة هذا الكلام وحسن نظمه وترتيبه ومكانه
اضماره ورصانة تفسيره واخذ بعضه بحجزة بعض كانما افرغ افراغا واحدا
ولامر ما اعجز القوى واخرس الشقاشق ونحو هذا المصدر اذ جاء عقيب

كلام

كلام جار كالشاهد بصحته والمنادي بسداده على سداده وانه ما كان ينبغي ان يكون
الا كما قد كان الا ترى الى قوله تعالى صنع الله وصبغة الله ووعد الله وصبغة الله ووعد الله
وفطرة الله بعد ما وسمها باضافتها اليه بسمة التعظيم كيف تلاها بقوله الذي اتقن كل شيء
ومن احسن من الله صبغة الله لا يخلف الميعاد ولا تبديل لخلق الله وقرئ تفعلون على ا
الخطاب من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ امنون فله خير منها يريد
الاضعاف وان العمل يتقضى والثواب يدوم وثبت ان ما بين فعل العبد وفعل
السيد وقيل فله خير منها اي له خير حاصل من جهتها وهو الجنة وعن ابن عباس رضي الله
عنهما الحسنة كلمة الشهادة وقرئ يومئذ مفتوحا مع الاضافة لانه اضيف الى غير
متمكن ومنصوبا مع تنوين فزع فان قلت ما الفرق بين الفزعين قلت
الفزع الاول هو ما لا يخلو منه احد عند الاحساس بشدة تقع وهول يفجا من
رعب وهيبة وان كان المومن يامن لحاق الضرر به كما يدخل الرجل على الملك
بصدر هيبات وقلب وجاب وان كانت ساعة اعزاز وتكرمة واحسان وتوليه
واما الثاني فالخوف من العذاب فان قلت فمن قرا من فزع بالتنوين ما معناه
قلت يحتمل معنيين من فزع واحد وهو خوف العقاب واما ما يلحق الانسان
من التهيب والرعب لما يرى من الاهوال والعظائم فلا يخلوان منه لان البشرية تقتضي
ذلك وفي الاخبار والاثار ما يدل عليه ومن فزع شديد مفرط الشدة لا يكتنهه الوصف
وهو خوف النار امن يعدى بالجار وبنفسه كقوله تعالى افامنوا مكر الله ومن
جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون الا ما كنتم تعملون وقيل السيئة الا
شراك يعبر عن الجملة بالوجه والراس والرقبة فكانه قيل فكبوا في النار كقوله تعالى
فكبكبوا فيها ويجوز ان يكون ذكر الوجوه ايذانا بانهم يكبون على وجوههم فيها
منكوسين هل تجزون يجوز فيه الالتفات وحكاية ما يقال لهم عند الكبت
باضمار القول انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء وامرت
ان اكون من المسلمين وان اتلو القران فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن
ضل فقل انما انا من المنذرين امر رسوله عليه السلام بان يقول امرت ان اخص
الله وحده بالعبادة ولا اتخذ له شريكا كما فعلت قريش وان اكون من الحنفاء
الثابتين على ملة الاسلام وان اتلو القران من التلاوة او التلو كقوله عز وجل

واتبع ما يوحى اليك والبلدة مكة حرسها الله تعالى اختصها من بين ساير البلاد باضافة
اسمه اليها لانها احب بلاده اليه واكرمها عليه واعظمها عنده وهكذا قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين خرج من مهاجره فلما بلغ الحزورة استقبلها بوجهه الكريم
فقال اني اعلم انك احب بلاد الله الى الله ولولا ان اهلك اخرجوني ما خرجت واشار
اليها اشارة تعظيم لها وتقريب دالا على انها موطن نبيه ومهبط وحيه ووصف
ذاته بالتحريم الذي هو خاص وصفها بالها محرمة لا ينتهك حرمتها الا ظالم مضاد
لربه ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم لا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها
واللاجي اليها امن وجعل دخول كل شي تحت ربوبيته وملكوته كالتابع لدخولها
تحتهما وفي ذلك اشارة الى ان ملكا ملك مثل هذه البلدة عظيم الشان قد ملكها و
وملك اليها كل شي اللهم بارك لنا في سكناها وامنا فيها شر كل ذي شر ولا تنقلنا
من جوار بيتك الا الى دار رحمتك وقرى التي حرمها واتل عليهم هذا القران عن ابي
رضي الله وان اتل عن ابن مسعود رضي الله عنه فمن اهتدى باتباعه اياي فيما انا
بصدده من توحيد الله ونفي الانداد عنه والدخول في الملة الحنيفية واتباع
ما نزل علي من الوحي فمنفعة اهتدائه راجعة اليه لا الي ومن ضل ولم يتبعني
فلا علي وما انا الا رسول منذر وما علي الرسول الا البلاغ وقل الحمد لله سيريكم اياته
فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون ثم امره ان يحمد الله على ما خوله من نعمة
النبوة التي لا توازنها نعمة وان يهدد اعداه بما سيريهم الله من اياته التي تلجيهم
الى المعرفة والاقرار بانها ايات الله وذلك حين لا ينفعهم المعرفة يعني في الاخرة
عن الحسن وعن الكلبي رحمة الله عليهما الدخان وانشقاق القمر وما حل بهم من نقمات
الله في الدنيا وقيل هو كقوله تعالى سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم الاية
وكل عمل يعملونه فالله تعالى عالم به غير غافل عنه لان الغفلة والسهو لا يجوزان على
عالم الذات وهو من وراء جزاء العاملين قرى تعملون بالياء والتاء عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة طس سليمان كان له من الاجر عشر حسنات بعدد
من صدق سليمان وكذب به وهود وشعيب وصالح وابراهيم ويخرج من قبره وهو
ينادي لا اله الا الله سورة القصص مكية وهي ثمانون وثماني ايات
بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك ايات الكتاب المبين نتلوا عليك من نبا موسى

وفرعون

وفرعون بالحق لقوم يؤمنون من نبا موسى وفرعون مفعول نتلوا اي نتلوا عليك بعض
خبرهما بالحق محققين كقوله تعالى تنبت بالدهن لقوم يؤمنون لمن سبق في علمنا انه يؤمن
لان التلاوة انما تنفع هؤلاء دون غيرهم ان فرعون علا في الارض وجعل اهلها شيعا
يستضعف طائفة منهم يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم انه كان من المفسدين ان فرعون
جملة مستانفة كالتفسير للجمل كان قائلا قال وكيف كان نباهما فقال ان فرعون وعلا
في الارض يعني ارض مملكته طغى فيها وجاوز الحد في الظلم والعنف شيعا فرقا يشيعونه
على ما يريد ويطيعونه لا يملك احد منهم ان يلوي عنقه قال الاعشى وبلدة يرهب الجواب
وجلتها حتى تراه عليها يبتغي الشيعا او يشيع بعضهم بعضا في طاعته او اصنافا في استخدامه يستحر
صنفا في بناء وصنفا في حرث وصنفا في حفر ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية او فرقا مختلفة
قد اغرى بعضهم العداوة وهم بنو الاسرائيل والقبط والطائفة المستضعفة بنوا اسرائيل
وسبب ذبح الابناء ان كاهنا قال له يولد مولودا في بني اسرائيل يذهب ملكك على يده وفيه
دليل بين على نحانة حمق فرعون فانه ان صدق الكاهن لم يدفع القتل الكاين وان كذب
فما وجه القتل ويستضعف حال من الضمير في وجعل او صفة لشيعا او كلام مستانف ويذبح
بدل من يستضعف وقوله تعالى انه كان من المفسدين بيان ان القتل ما كان الا فعل المفسدين
فحسب لانه فعل لا طائل تحته صدق الكاهن او كذب ونريد ان نمن على الذين استضعفوا
في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين فان قلت على م عطف قوله تعالى ونريد ان نمن
وعطفه على نتلوا ويستضعف غير سديد قلت هي جملة معطوفة على قوله تعالى ان فرعون له
علا في الارض لانها نظيرة تلك في وقوعها تفسيرا لنبا موسى وفرعون واقتصاصا له
ونريد حكاية حال ماضية ويجوز ان يكون حالا من يستضعف او يستضعفهم فرعون ونحن
نريد ان نمن عليهم كيف يجتمع استضعافهم في ارادة الله تعالى المنة عليهم
واذا اراد الله شيئا كان ولا يتوقف الى وقت اخر لما كانت منة الله بخلاصهم
من فرعون قرينة الوقوع جعلت ارادة في وقوعها كانها مقارنة لاستضعافهم ائمة
مقدمين في الدين والدنيا يطاء الناس اعقابهم وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فادات
يقتدى بهم في الخير وعن مجاهد دعاة الى الخير وعن قتادة ولاة كقوله تعالى وجعلكم ملوكا
الوارثين يرثون فرعون وقوعه ملكهم وكل ما كان لهم ونمكن لهم في الارض ونري فرعون
وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون مكن له اذا جعل له مكانا يقعد عليه او يرقد فوطاه

ومهده ونظيره ارض له ومعنى التمكين لهم في الارض وهي ارض مصر والشام ان يجعلها بحيث
لا تنبو بهم ولا تغث عليهم كما كانت في ايام الجابرة وينفذ امرهم ويطلق ايديهم ويسلطهم وقرى
ويرى فرعون وهامان وجنودهما اي يرون منهم ما حذروه من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود
منهم واوحينا الى موسى ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه
اليك وجاعلوه من المرسلين اليم البحر قيل هو نيل مصر فان قلت ما المراد بالخوفين حتى
اوجب احدهما ونهى عن الآخر قلت اما الاول فالخوف عليه من القتل لانه كان اذا صاح
خافت ان يسمع الجيران صوته فينموا عليه واما الثاني فالخوف من الغرق ومن الضياع
ومن الوقوع في يد بعض العيون المبثوثة من قبل فرعون في تطلب الولدان وغير ذلك من
المخاوف فان قلت ما الفرق بين الخوف والحزن قلت الخوف عم يلحق الانسان لمتوقع
والحزن عم يلحقه لواقع وهو فراقه والاخطار به فنهيت عنهما جميعا واومنت بالوحي اليها
ووعدت ما يسليها ويطاء من قلبها ويملاها غبطة وسرورا وهو ردة اليها وجعله من المرسلين
وروي انه ذبح في طلب موسى عم تسعون الف وليد وروي انها حين افرايت وضربها
الطلق وكانت بعض القوابل الموكلات بحبالى بني اسرائيل مصافية لها فقالت لها لينفعني
حبك اليوم فعالجتها فلما وقع الى الارض هالها نور بين عينيه وارتعش كل مفصل منها ودخل
حبه قلبها ثم قالت ما جئتك الا لاقبل مودتك واخبر فرعون ولكني وجدت لابنك حبا ما وجدت
مثله فاحفظيه فلما خرجت جاعيون فرعون فلفته في خرقة ووضعته في تنور مسجور لم تعلم
ما تصنع لما طاش من عقلها فطلبوا فلم يلقوا شيئا فخرجوا وهي لا تدري مكانه فسمعت بكاء
التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله النار عليه بردا وسلاما فلما الح فرعون في طلب الولدان
اوحى الله تعالى اليها فالقته في اليم وقد روي انها ارضعته ثلثة اشهر في بردي مطلي بالقار
من داخله فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ان فرعون وهامان وجنودهما
كانوا خاطئين اللام في ليكون هي لام كي التي معناها التعليل كقولك جئتك لتكرمني سواء
بسواء ولكن معنى التعليل فيها واردا على طريق المجاز دون الحقيقة لانه لم يكن داعيهم
الى التقاط ان يكون لهم عدوا وحزنا ولكن المحبة والتبني غير ان ذلك لما كان نتيجة
التقاطهم له وثمرته شبه بالداعي الذي يفعل الفاعل الفعل لاجله وهو الاكرام الذي هو
نتيجة المجيء والتادب الذي هو ثمرة الضرب في قولك ضربته ليتادب وتحريره ان هذه اللام
حكمها حكم الاسد حيث استعيرت لما يشبه التعليل كما يستعار الاسد لمن يشبه الاسد

وقرى

وقرى وحزنا وهما لغتان كالعدم والعدم كانوا خاطئين في كل شيء فليس خطاؤهم في تربية
عدوهم ببدع منهم او كانوا مذنبين مجرمين فعاقبهم الله بان ربى عدوهم ومن هو سبب هلاكهم
على ايديهم وقرى خاطين تخفيف خاطئين او خاطين الصواب الى الخطاء وقالت امراة فرعون
قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا وهم لا يشعرون روي انهم حين
التقطوا التابوت الله تعالى عنها قرات في جوف التابوت نورا فعالجته ففتحته فاذا يصبي
نوره بين عينيه وهو يمص ابهامه لبنا فاحبوه وكانت لفرعون بنت برصاء وقالت له الاطباء
لا تبرا الا من قبل البحر يوجد فيه شبه انسان دواؤها ريقه فلطخت البرصاء برصها بريقه
فبرات وقيل لما نظر الى وجهه برات فقالت ان هذه نسمة مباركة فهذا احد ما عطفهم عليه
فقال الغواة من قومه وهو الصبي الذي يحذر منه فايذن لنا في قتله فهم بذلك فقالت السبية
رضي الله تعالى عنها قرة عين لي ولك فقال فرعون لك لا لي وروي في حديث لو قال هو قرة
عين لي كما هو لك لهداه الله تعالى كما هداها وهذا على سبيل الفرض والتقدير اي لو كان غير
مطبوع على قلبه كاسية لقال مثل قولها ولاسلم كما اسلمت هذا ان صح الحديث تاويله
والله اعلم بصحته وروي انها قالت له لعله من قوم اخرين ليس من بني اسرائيل قرة عين خبر
مبتدا محذوف ولا يقوى ان تجعله مبتدا ولا تقتلوه خبرا ولو نصب لكان اقوى وقراة
ابن مسعود رضي الله تعالى عنه دليل على انه خبر قرا لا تقتلوه قرة عين لي ولك بتقديم
لا تقتلوه عسى ان ينفعنا فان فيه مخايل اليمن ودلايل النفع لاهله وذلك الى عاينت
من النفع والارتضاع للابهام وبرء البرصاء ولعلها توسمت في سماية النجابة الموذنة بكونه
نفاعا او تبناه فانه اهل للتبني ولان يكون ولدا لبعض الملوك فان قلت وهم لا يشعرون
حال فما ذوا حالها قلت ذوا حالها ال فرعون وتقدير الكلام فالتقطه آل فرعون ليكون
لهم عدوا وحزنا وقالت امراة فرعون كذا وهم لا يشعرون انهم على خطاء عظيم في
التقاطه ورجاء النفع منه وتبنيه وقوله ان فرعون الاية جملة اعتراضية واقعة بين المعطوف
والمعطوف عليه مؤكدة لمعنى خطائهم وما احسن نظم هذا الكلام عند المرتاض بعلم محاسن
النظم واصبح فواد ام موسى فارغا ان كادت لتبدي به لولا ان ربطنا على قلبها لتكون
من المؤمنين فارغا صفرا من العقل والمعنى انها حين سمت بوقوعه في يد فرعون طار عقلها
ولما دهمها من فرط الجزع والدهش ونحوه قوله تعالى وافئدتهم هواء اي جوف لا عقول فيها ومنه بيت
حسان الا ابلغ ابا سفيان عني فانت مجوف نخب هواء وذلك ان القلوب مراكز العقول

الا ترى الى قوله تعالى فتكون لهم قلوب يعقلون بها وتدل عليه قراءة من قرأ فرغا وقرئ فرغا
من قولهم دماؤهم بينهم فرغ اى هدر يعنى بطل قلبها وذهب وبقيت لا قلب لها من شدة
وما ورد عليها لتبدى به لتصحر به والضمير لموسى والمراد بامره وقصته وانه ولدها لولا ان
ربطنا على قلبها بالهام الصبر كما يربط على الشئ المنفلت ليقر ويطمئن لتكون من المؤ
منين من المتصدقين بوعد الله وهو قوله تعالى انا رادوه اليك ويجوز واصبح فؤادها فارغا
من الهم حين سمعت ان فرعون عطف عليه وتبناه ان كادت لتبدى بانه ولدها لانها
لم تملك نفسها فرحا وسرورا انما سمعت لولا ان طامنا قلبها وسكنا قلقه الذى حدث به
من شدة الفرح والابتهاج لتكون من المؤمنين الواثقين بوعد الله لا بتبنى فرعون وتعطفه
وقرئ موسى عم بالهمزة جعلت الضمة فى جارة الواو وهى الميم كانها فيها فهمزت كما تهمزوا
ووجوه وقالت لاخته قصيه فبصرت به على جنب وهم لا يشعرون قصيه اتبعى اثره
وتتبعى خبره وقرئ فبصرت بالكسر يقال بصرت به عن جنب وعن جنابة بمعنى عن بعد وقرئ
عن جانب وعن جنب والجنب الجانب يقال قعد الى جنبه والى جانبه اى نظرت اليه مزورة
متخانقة مخاتلة وهم لا يحسون بانها اخته وكان اسمها مريم وحرمنا عليه المراضع من قبل
فقالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون التحريم استعارة للمنع لان
من حرم عليه الشئ فقد منعه الا ترى الى قولهم محظور ومحجر وذلك لان الله تعالى منعه ان يرضع
ثديا فكان لا يقبل ثدى مرضع قط حتى اهمهم ذلك والمرضع جمع مرضع وهو مرضع الرضاع يعنى
الثدى والرضاع من قبل من قبل قصها اثره روى انها لما قالت وهم له ناصحون قال هامان
لتعرفه وتعرفه اهله فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون والنصح اخلاص العمل من شائب
الفساد فانطلقت الى امها بامرهم فجاءت بها والصبى على يد فرعون يعلله شفقة عليه وهو
يبكى يطلب الرضاع فحين وجد ريحها استانس والتقم ثديها فقال لها فرعون ومن انت منه
فقد ابى كل ثدى الا ثديك قالت انى امرت طيبة الريح طيبة اللبن لا اولى بصبى الا قبلنى
فدفعه اليها واجرى عليها وذهبت به الى بيتها وانجز الله تعالى وعده فى الرد فعندها ثبت
واستقر فى علمها ان سيكون نبيا وذلك قوله تعالى ولتعلم ان وعد الله حق يريد وليثبت
علمها ويتمكن فان قلت كيف حل لها ان تاخذ الاجر على ارضاع ولدها قلت ما كانت تاخذه
على انه اجر على الرضاع ولكنه مال حربى كانت تاخذه على وجه الاستباحة وقوله ولكن اكثرهم
لا يعلمون داخل تحت علمها المعنى لتعلم ان وعد الله حق ولكن اكثر الناس لا يعلمون انه

حق

حق فيرتابون ويشبه التعريض بما فرط منها حين سمعت بخبر موسى عم فجزعت واصبح
فؤادها يروى انها حين التفت التابوت فى اليم جاءها الشيطان فقال لها يا ام موسى
كرهت ان يقتل فرعون موسى فتوجرى ثم ذهبت فوليت فقتله فلما اتيها الا خبرت
بان فرعون اصابه فقالت وقع فى يد العدو فنسيت وعد الله ويجوز ان يتعلق ولكن بقوله
ولتعلم ومعناه ان الرد انما كان لهذا الغرض الدينى وهو علمها بصدق وعد الله ولكن الاكثر
لا يعلمون بان هذه هو الغرض الاصلى الذى ما سواه تبع له من قرة العين وذهاب الحزن
ولما بلغ اشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزى المحسنين واستوى واعتدل
وتم استحكامه وبلغ المبلغ الذى لا يزاد عليه كما قال ليقط واستحملوا امركم
لله دركم شزر المريرة لا فحما ولا ضرعا وذلك اربعون سنة ويروى انه
لم يبعث نبى الا على راس الاربعين سنة العلم التوراة والحكم السنة وحكمة الانبياء سنتهم
قال الله تعالى واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة وقيل معناه آتيناه
سيرة الحكماء العلماء وسمتهم قبل البعث فكان لا يفعل فعلا يستجهل فيه ودخل المدينة على
حين غفلة من اهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا عدوه فاستغاثه
الذى من شيعته على الذى من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان
انه عدو مضل مبين قال رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له انه هو الغفور الرحيم
المدينة مصر وقيل مدينة منف من ارض مصر وحين اغفلتهم ما بين العشائين وقيل وقت القائلة
ويوم عيد لهم هم مشتغلون فيه بلهوهم وقيل لما ثبت وعقل اخذ يتكلم بالحق وينكر عليهم فاخافوه
فلا يدخل قرية الا على تفعل وقرأ سيبويه فاستغاثه من شيعته ممن شايعه على دينه
من بنى اسرائيل وقيل هو الشامرى من عدوه من مخالفيه من القبط وهو قانون وكان
يتسخر الاسرائيلى لحمل الحطب الى مطبخ فرعون والوكز الدفع باطراف الاصابع وقيل يجمع
الكف وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه فلكزه باللام فقضى عليه فقتله فان قلت لم جعل
قتل الكافر من عمل الشيطان وسماه ظلما لنفسه واستغفر منه قلت لانه قتله قبل
ان يؤذن له فى القتل فكان ذنبا يستغفر منه وعن ابن جريج ليس لنبى ان يقتل ما لم
يؤمر قال رب بما انعمت على فلن اكون ظهيرا للمجرمين بما انعمت على يجوز ان يكون
قسما جوابه محذوف تقديره اقسم بانعامك على بالمغفرة لاتوبن فلن اكون ظهيرا
للمجرمين وان يكون استعطافا كانه قال رب اعصمنى بحق ما انعمت على من المغفرة

فلن اكون ان عصمتني ظهيراً للمجرمين واراد بمظاهرة المجرمين اما صحبة فرعون وانتظامه
في جملته وتكثيره سواده حيث كان يركب بركوبه كالولد مع الوالد وكان يسمى ابن فرعون
واما مظاهرة من ادت مظاهرته الى الجرم والاثم كمظاهرة الاسرائيلي المؤدية
الى القتل الذي لم يحل له وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لم يستثن فابتلي به مرة
اخرى يعني لم يقل فلن اكون ان شاء الله وهذا نحو قوله عز وجل ولا تركنوا الى الذين
ظلموا وعن عطاء رحمه الله عليه ان رجلا قال له ان اخي يضرب بقلمه ولا يعدو رزقه قال
فمن الرأس يعني من يكتب له قال خالد بن عبد الله القسري قال فاين قول موسى
وتلا هذه الاية وفي الحديث ينادي مناد يوم القيامة اين الظلمة واشباه الظلمة
~~فيرمى بهم في جهنم~~ واعوان الظلمة حتى من لاق لهم دواة او برى لهم قلما فيجمعون
في تابوت ~~الظلمات واعوان الظلمة~~ حتى من لاق لهم دواة او برى من حديد فيرمى بهم جهنم
وقيل معناه بما انعمت علي من القوة فلن استعملها الا في المظاهرة اوليائك واهل طاعتك
والايمان بك ولا ادع قبطيا يغلب احدا من بني اسرائيل واصبح في المدينة خائفا يترقب
فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه قال له موسى انك لغوي مبين يترقب المكروه وهو
الاستفادة منه او الاخبار وما يقال فيه ووصف الاسرائيلي بالغي لانه كان سبب قتل رجل
وهو يقاتل آخر فلما اراد ان يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى اتريد ان تقتلني
كما قتلت نفسا بالامس ان تريد ان تكون جبارا في الارض وما تريد ان تكون من المصلحين
وقرئ يبطش بالضم والذي هو عدو لهما القبطي لانه ليس على دينهما ولان القبط كانوا اعدا
بني اسرائيل والجبار الذي يفعل ما يريد من الضرب والقتل بظلم ولا ينظر في العواقب ولا يدفع
بالتي هي احسن وقيل المتعظم الذي لا يتواضع لامر الله ولما قال هذا افشى على موسى فانتشر
الحديث في المدينة ورقي الى فرعون وهموا بقتله وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى قال
يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين قيل الرجل مؤمن
آل فرعون وكان ابن عم فرعون ويسعى يجوز ارتفاعه وصفا لرجل وانتصابه حالا عنه
لانه قد تخصص بان وصف بقوله من اقصى المدينة يسعى واذا جعل صلة لجاء لم يجز في يسعى
الا الوصف والايتمار التشاور يقال الرجلان يتأمران ويأتمران لان كل واحد منهما يأمر
صاحبه بشيء او يشير عليه بامر والمعنى يتشاورون بسببك لك بيان وليس بصلة النا
صحين فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين ولما توجه تلقاء مدين

قال

قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل يترقب التعرض له في الطريق او ان يلحق تلقاء
مدين قصدها ونحوها ومدين قرية شعيب عليه السلام سميت بمدين بن ابراهيم ولم تكن
في سلطان فرعون وبينها وبين مصر ثمان وكان موسى عليه السلام لا يعرف اليها الطريق
قال ابن عباس رضي الله عنهما خرج وليس له علم بالطريق الا حسن ظنه بربه وسواء
السبيل وسطه ومعظم نهجه وقيل خرج حافيا لا يعيش الا بورق الشجر فما وصل حتى
سقط خف قدمه وقيل جاء ملك على فرس بيده عنزة فانطلق به ولما ورد ماء مدين وجد
عليه امة من الناس يسقون ماء مدين ماء وهم الذي يستقون منه وكان بئرا فيما روي
وورود محيه والوصول اليه وجد عليه وجد فوق شفيره ومستقاه امة جماعة
كثيفة العدد من الناس من اناس مختلفين ووجد من دونهم امرأتين تذودان
قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وابونا شيخ كبير من دونهم من هو اقوى
منكما ما اسفل من مكانهم والذواد الطرق والدفع انما كانتا تذودان لان الماء من
هو اقوى منهما فلا يتمكنان من السقي وقيل كانتا تكرهان المزاحمة على الماء وقيل لئلا
تختلط اغنامهما باغنامهم وقيل تذودان عن وجوههما نظر الناظر لتشتريهما ما خطبكما
ما شأنكما وحقيقته ما مخطوبكما اي مطلوبكما من الزياد فسمي المخطوب خطبا كما سمي
المشؤون شأنا في قولك ما شأنك يقال شأنت شأنه اي قصدت قصده وقرئ
لا نسقي ويصدر والرعاء بضم النون والياء والراء والرعاء اسم جمع كالرخال والثناء واما الرعاء
بالكسر فقياس كصيام وقيام كبير كبير السن فسقى لهما ثم تولى الى الظل فقال رب اني لما
انزلت الي من خير فقير فسقى لهما فسقى عنهما لاجلهما وروي ان الرعاة كانوا يضعون
على راس البئر حجرا لا يقله الا سبعة رجال وقيل عشرة وقيل مائة قافلة واحدة وروي
انه سألهم دلوا من ماء فاعطوه دلوهم وقالوا استق بها وكانت لا ينزعها الا اربعون
فاستقى بها وصبها في الحوض ودعا بالبركة وروي عنهما واصدرهما وروي انه دفعهم من الماء
حتى سقى لهما وقيل كانت بئرا اخرى عليها الصخرة وانما فعل هذا رغبة في المعروف
واغاثة للملهوف والمعنى انه وصل الى ذلك الماء وقد ازدحمت عليه امة من اناس مختلفة
متكاثفة العدد ورأى الضعيفين من ورائهم مع غنيمتهما متراقبين لفراغهم فما اخطأت
همته في دين الله تعالى تلك الفرصة مع كان به من النصب وسقوط خف القدم والرجوع
ولكنه رحمهما فاغاثهما وكفاهما امر السقي في مثل تلك الرحمة بقوة قلبه وقوة ساعده وما

وما اتاه الله من الفضل في متانة الفطرة ورصانة الجبلة وفيه مع ارادة اقتصاص امره وما اوتي
من البطش والقوة وما لم يفعل عنه على ما كان به من انتهاز فرصة الاحتساب ترغيب في الخير
وانتهاز فرصة وبعث على الاقتداء في ذلك بالصالحين والاخذ بسيرهم ومذاهبهم فان
قلت لم ترك المفعول غير مذكور في قوله تعالى يسقون وتذودان ولا نسقي قلت لان الغرض
هو الفعل لا المفعول الا ترى انه انما رحمهما لانهما كانتا على الزياد وهم بالسقي ولم يرحمهما لان
مذودهما غنم ومسقيهم ابل مثلا وكذلك قولهما لا نسقي حتى يصدر الرعاء المقصود فيه السقي لا
المسقي فان قلت كيف طابق جوابهما سؤاله قلت سالهما عن سبب الذود فقالتا السبب
في ذلك انا امراتان ضعيفتان مستورتان لا نقدر على مساجلة الرجال ومزاحمتهم فلا بد لنا
من تاخير السقي الى ان يفرغوا وما لنا رجل يقوم بذلك وابونا شيخ قد اضعفه الكبير فلا يصلح
للقيام بتنا اليه عذرهما في توليهما السقي بانفسهما فان قلت كيف ساغ لنبي الله الذي وهو
شعيب عليه السلام ان يرضى لابنتيه بسقي الماشية قلت الامر في نفسه ليس بمحظور
فالذي لا يأباه واما المروة فالناس مختلفون في ذلك والعادات متباينة فيه واحوال العرب
فيه خلاف احوال العجم ومذهب اهل البدو فيه غير مذهب اهل الحضر خصوصا اذا كانت
الحالة حالة ضرورة اني لاي شيء انزلت الي قليلا او كثير غث او سمين لفقير وانما عدي
فقير باللام لانه ضمن معنى سائل وطالب قيل ذكر ذلك وان حضرة البقل تترا اي في بطنه
من الهزال ما سا الله لا اكلة ويحتمل ان يريد اني فقير من الدنيا لاجل ما انزلت الي من خير الدين
وهو النجاة من الظالمين لانه كان عند فرعون في ملك وثروة قال ذلك رضى بالبدل السني
وفرحا به وشكرا له وكان الظل ظل سمرة فجاءته احدهما تمشي على استحياء قالت اني
يدعوك ليجزيك وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين على استحياء
في موضع الحال اي مستحيية متحفزة وقيل قد اشترت بكم درعها روي انهما لما رجعتا
الى ابيهما قبل الناس واعنامهم حفل بطان قال لهما ما اعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا
رحمنا فسقى لنا فقال لاحدهما اذهبي فادعيه لي فتبعها موسى فالزقت الريح ثوبها بجسدها
فوصفته فقال لها امشي خلفي وانعتي الي الطريق فلما قص عليه قصته قال له لا تخف
فلا سلطان لفرعون بارضنا فان قلت كيف ساغ لموسى ان يعمل ان يقول امراة
وان يمشي معها وهي اجنبية قلت اما العمل بقول امراة فكما نعمل بقول الواحد حرا كان
او عبدا ذكرا كان او انثى في الاخبار وما كانت الا مخبرة عن ابيها بانه يدعوه ليجزيه

واما مماشاته امراة اجنبية فلا باس بها في نظاير تلك الحال مع ذلك الاحتياط والتورع
فان قلت كيف صح له اخذ الاجر على البر والمعروف قلت يجوز ان يكون قد فعل ذلك
لوجه الله تعالى على سبيل البر والمعروف وقبل اطعام شعيب واحسانه لا على سبيل
اخذ الاجر ولكن على سبيل التقبل لمعروف مبتدا كيف وقد قص عليه قصصه وعرفه
انه من بيت النبوة من اولاد يعقوب عليه السلام ومثله حقيق بان يضيف ويكرم
خصوصا من دار نبي من انبياء الله تعالى وليس بمنكر ان يفعل ذلك لاضطرار
الفقر والفاقة طلبا للاجر وقد روي ما يعضد كلا القولين روي انها لما قالت له ليجزيك
كره ذلك ولما قدم اليه الطعام امتنع وقال انا اهل بيت لا نبيع ديننا بطلاع الارض
ذهبا ولا ناخذ على المعروف ثمنا حتى قال شعيب عليه السلام هذه عادتنا مع كل
من ينزل بنا وعن عطاء بن الثابت رفع صوته بدعائه ليسمعهما فلذلك قيل له ليجزيك
اجر ما سقيت اي جزاء سقيك والقصص مصدر كالعلل سمي به المقصوص قالت احداهما
يا ابت استاجره ان خير من استاجرت القوي الامين كبراهما كانت تسمى صفراء والصغرى
صغيرا وصغرا هي التي ذهبت به وطلبت الى ابيها ان يستاجره وهي التي تزوجها وعن
ابن عباس رضي الله عنهما ان شعيبا عليه السلام احفظته الغيرة فقال وما علمك بقوته
وامانته فذكرت اقلال الحجر ونزع الدلو وانه صوب راسه حتى بلغته رسالته وامرها
بالمشي خلفه وقولها ان خير من استاجرت القوي الامين كلام حكيم جامع لا يزاد عليه لانه
اذا اجتمعت هاتان الخصلتان اعني الكفاية والامانة في القائم بامرك فقد فزع بالك وتم
مرادك وقد استغنت بارسال هذا الكلام الذي سياقه سياق المثل والحكمة ان تقول
استاجره لقوته وامانته فان قلت كيف جعل خير من استاجرت اسما لان والقوي
الامين خبرا قلت هو مثل قوله الا ان خير
الناس حيا وهالكا اسير ثقيف عندهم في السلاسل ان في العناية هي سبب التقديم
وقد صدقت حتى جعل لها ما هو احق بان يكون خبرا اسما وورود الفعل بلفظ الماضي
للدلالة على انه امر قد جرب وعرف ومنه قولهم اهون ما عملت لسان ممخ وعن ابن
مسعود رضي الله عنهما افرس الناس ثلثة بنت شعيب وصاحب يوسف في قوله
عسى ان ينفعنا وابو بكر في عمر رضي الله عنهما قال اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين
على ان تاجرني ثماني حجج فان اتممت عشرا فمن عندك وما اريد ان اشق عليك

ستجدني ان شاء الله من الصالحين وروي انه انكحه صغيرا وقوله هاتين فيه دليل على انه
كانت له غيرهما تاجرني من اجرته اذا كنت له اجيرا كقولك ابوته اذا كنت له ابا وثماني
حجج ظرفه او من اجرته كذا اذا اتيته اياه ومنه تعزية رسول الله صلى الله عليه وسلم اجركم الله
ورحمكم وثماني حجج مفعول به ومعناه رعية ثماني حجج فان قلت كيف صح ان ينكحه احدى
ابنتيه من غير تمييز قلت لم يكن ذاك عقد للنكاح ولكن مواعدة ومواصفة امر قد عزم عليه
ولو كان عقدا لقال انكحتك ولم يقل اني اريد ان انكحك فان قلت كيف صح ان يمهرها
اجارة نفسه في رعية الغنم ولا بد من تسليم ما هو مال الا ترى الى ابي حنيفة رحمة الله عليه
كيف منع ان يتزوج امراة بان يخدمها سنة وجوز ان يتزوجها بان يخدمها عبده سنة او يسكنها
داره سنة لانه في الاول مسلم نفسه وليس بمال وفي الثاني وهو مسلم مالا وهو العبد
او الدار قلت الامر على مذهب ابي حنيفة رحمة الله تعالى عليه على ما ذكرت واما الشافعي
رحمة الله عليه فقد جوز التزوج على الاجارة لبعض الاعمال او الخدمة اذا كان المستاجر له او
المخدوم فيه امرا معلوما ولعل ذلك كان جائزا في تلك الشريعة ويجوز ان يكون المهر شيئا
آخر وانما اراد ان يكون راعي غنمه هذه المدة فاراد ان ينكحه ابنته فذكر له المرادين وعلق
الانكاح بالرعية على معنى اني افعل هذا اذا فعلت ذلك او على وجه المعاهدة لا على وجه
المعاقدة ويجوز ان يستاجره لرعية ثمان سنين بمبلغ معلوم ويوفيه اياه ثم ينكحه ابنته
به ويجعل قوله على ان تاجرني ثماني حجج عبارة عن ما جرى بينهما فان اتممت عمل عشر حجج
فمن عندك فاتمامه من عندك لا من عندي يعني لا الزمكه ولا اصممه عليك بالزام اتم الاجلين
ولكنك ان فعلته فهو منك تفضل وتبرع والا فلا عليك وما اريد ان اشق عليك
بالزام اتم الاجلين وايجابه فان قلت ما حقيقة قولهم شققت عليه وشق الامر قلت
حقيقته ان الامر اذا تعاظمك فكانه شق عليك ظنك باثنين تقول تارة اطيقه وتارة
لا اطيقه او وعده المساهلة والمسامحة من نفسه وانه لا يشق عليه فيما استاجره له
من رعي غنمه ولا يفعل نحو ما يفعل المعاسرون من المشترعين من المناقشة في مراعاة
الاوقات والمداقة في استيفاء الاعمال وتكليف الرعاة اشغالا خارجة من حد الشرط
وهكذا كان الانبياء عليهم السلام اخذين بالاسمح في معاملات الناس ومنه الحديث كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم شريكي فكان خير شريك لا يداري ولا يشاري ولا
يماري وقوله ستجدني ان شاء الله من الصالحين يدل على ذلك يريد بالصلاح

حسن

حسن المعاملة ووطاة الخلق ولين الجانب ويجوز ان يريد الصلاح على العموم ويدخل تحته
حسن المعاملة والمراد باشتراط مشيئة الله فيما وعد من الصلاح والاتكال على توفيقه فيه
ومعونته لا انه يستعمل الصلاح ان شاء الله وان استعمل خلافه قال ذلك بيني وبينك
ايم الاجلين قضيت فلا عدوان علي والله على ما نقول وكيل ذلك مبتدا وبيني وبينك
خبره وهو اشارة الى ما عاهده اليه شعيب عليه السلام يريد ذلك الذي قتله وعاهدتني
عليه وشارطتني عليه قائم بيننا جميعا لا يخرج كلانا عنه لا انا عما شرطت ولا انت عما شرطت
على نفسك ثم قال اي اجل قضيت من الاجلين اطولهما الذي هو العشر او اقصرهما
اي الذي هو الثمان فلا عدوان علي اي لا يعتدى علي في طلب الزيادة عليه فان قلت
تصور العدوان انما هو في احد الاجلين الذي هو الاقصر وهو المطالبة بتتمة العشر فما معنى
تعليق العدوان بهما جميعا قلت معناه كما اني ان طولبت بالزيادة على العشر كان عدوانا
لا شريك فيه فكذلك ان طولبت بالزيادة على الثمان اراد بذلك تقرير امر الخيار وانه
ثابت مستقر وان الاجلين على السواء اما هذا واما هذا من غير تفاوت بينهما في القضاء
واما التتمة فموكولة الى رايي ان شئت اتيت بها والا لم اجبر عليها وقيل معناه فلا
اكون معتديا وهو في نفي العدوان عن نفسه كقولك لا اثم علي ولا تبعة علي وفي قراءة
ابن مسعود رضي الله عنه اي الاجلين ما قضيت وقرئ ايما بسكون الياء كقوله
تنظرت نصرا والشماكين ايهما علي من الغيث اشتملت مواطرة وعن قطيب عدوان
بالكسر فان قلت ما الفرق بين موقعي ما المزيدة في القراءتين قلت ووقعت
في المستفيضة موكدة لابهام اي زايدة في شياعها وفي الشاذة تاكيدا للقضاء كانه
قال اي الاجلين صممت على قضائه وجردت عزيمتي له الوكيل الذي وكل اليه الامر
ولما استعمل في مواضع الشاهد والمهيمن والمقيت عدوي بعلى لذلك روي ان شعيبا
عليه السلام كانت عنده عصى الانبياء فقال لموسى عليه السلام بالليل ادخل ذلك البيت
فخذ عصا من تلك العصي فاخذ عصا هبط بها ادم من الجنة ولم ينزل الانبياء يتوارثون
حتى وقعت الى شعيب عليه السلام فمسها وكان مكفوفا فضن بها فقال غيرها فما وقع
في يده الا هي سبع مرات فعلم ان له شانا وقيل اخذها جبريل بعد الموت ادم فكانت
معه حتى لقي بها موسى ليلا وقيل اودعها شعيبا ملك في صورة رجل فامر بنيه ان ياتيه
بعصا فاتته بها فردها سبع مرات فلم يقع في يدها غيرها فدفعها اليه ثم ندم لانها وديعة

فتبعه فاختصما فيها ورضيا بحكم بينهما اول طالع فاتاهما الملك فقال القياها فمن رفعها فهي له
فعالجها الشيخ فلم يطقها ورفعها موسى عليه السلام وعن الحسن رحمة الله عليه انها كانت الاعصا
من الشجر اعتراضا اعتراضا وعن الكلبي الشجرة التي منها جودي شجرة العوسج ومنها كانت عصاه
ولما اصبح قال له شعيب اذا بلغت مفرقة الطريق فلا تاخذ على يمينك فان الكلا وان كان بها
اكثر الا انها ان فيها تنينا اخشاه عليك وعلى الغنم فاخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر
على كفها فمشى على اثرها فاذا عشب وريف لم ير مثله فنام فاذا بالتنين قد اقبل فحاربته
العصا حتى قتلته وعادت الى جنب موسى عم دامية والتنين مقتولا ارتاح لذلك ولما
الى شعيب عليه السلام مس الغنم فوجدها ملأ البطون غزيرة اللبن فاخبر موسى ففرح وعلم
ان لموسى عليه السلام والعصا شانا وقال له اني وهبت لك من نتاج غنمي هذا العام
كل اردع ودرعا فاوحى اليه في المنام ان اضرب بعصاك يستقي الغنم ففعل ثم سقى فما اخطات
واحدة الا وضعت ادرع ودرعا فوفى له بشرطه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي الاجلين قضى موسى فقال ابعدهما وابطاهما وروي انه قضى اوفاهما وتزوج صغراهما
وهذا خلاف الرواية التي سبقت فلما قضى موسى الاجل وسار باهله انس من جانب
الطور نارا قال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر او جذوة من النار
لعلكم تصطلون الجذوة باللغات الثلاث وقرئ بهن جميعا العود الغليظ كانت في راسه
نارا او لم تكن قال كثيرا بانت حواطب ليلى يلتمس لها جذل الجذى
غير خوار ولا دعر وقال والقى على قيس من النار جذوة شديدا عليها حرها
والتهابها فلما اتاها نودي من شاطئ الواد الايمن في البقعة المباركة من الشجرة ان يا موسى
اني انا الله رب العالمين وان الق عصاك فلما راها تهتز كانها جان ولى مدبرا ولم يعقب
يا موسى اقبل ولا تخف انك من الآمنين اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء
من الاولى والثانية لابتداء الغاية اي اتاه النداء من شاطئ الوادي من قبل الشجرة
ومن الشجرة بدل من قوله من شاطئ الوادي بدل الاشتمال لان الشجرة كانت نابتة
على الشاطئ كقولك قال لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم وقرئ بالضم والفتح واضمم
اليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملائه انهم كانوا
قوما فاسقين والرهب بفتحتين والضمتين وفتح وسكون وضم وسكون وهو
وضم وسكون وهو الخوف فان قلت ما معنى قوله واضمم اليك جناحك من الرهب

قلت

قلت فيه معنيان احدهما ان موسى عليه السلام لما قبل الله تعالى العصا حية فزع واضطرب
فاتقاها بيده كما يفعل الخائف من الشيء فقيل له ان اتقاك بيدك فيه عضاضة عند الاعداء
فاذا لقيتها فكما تتقلب حية فادخل يدك تحت عضدك مكان اتقائك بها ثم اخرجها
بيضاء ليحصل الامران اجتناب ما هو عضاضة عليك واظهار معجزة اخرى والمراد بالجناح
اليد لان يد الانسان بمنزلة جناحي الطائر واذا ادخل يده اليمنى تحت عضد يده اليسرى
فقد ضم جناحه اليه والثاني ان يراد بضم جناحه اليه تجلده وضبطه نفسه وتشدده عند
انقلاب العصا حية حتى لا يضطرب ولا يرهب استعارة من فعل الطائر لانه اذا خاف
نشر جناحيه وارخاهما والا فجناحاه مضمومان اليه مشمران ومنه ما يحكى عن عمر بن عبد
العزيز رحمة الله عليه ان كاتبا له كان يكتب بين يديه فانفلتت منه فلتة ريح فخجل
وانكسر فقام وضرب بقلمه الارض فقال له عمر خذ قلمك واضمم اليك جناحك وليفرخ
روعك فاني ما سمعتها من احد اكثر مما سمعتها من نفسي ومعنى قوله من الرهب من اجل الرهب
اي اذا اصابك الرهب عند روية الحية واضمم اليك جناحك جعل الرهب الذي كان
يصيبه سببا وعلة فيما امر به من ضم جناحه اليه ومعنى واضمم اليك جناحك وقوله اسلك
يدك في جيبك على احد التفسيرين واحد ولكن خولف بين العبارتين وانما كرر المعنى
الواحد لاختلاف الغرضين وذلك ان الغرض في احدهما خروج اليد بيضاء وفي الثاني اخفاء
الرهب فان قلت قد جعل الجناح وهو اليد في احد الموضعين مضموما وفي الآخر مضموما
اليه وذلك ان قوله واضمم اليك جناحك وقوله واضمم يدك الى جناحك في التوفيق
بينهما قلت المراد بالجناح المضموم هو اليد اليمنى وبالمضموم اليه اليد اليسرى وكل واحدة
من يمنى اليدين ويسراهما جناح ومن بدع التفاسير ان الراهب الكم بلغة حمير وانهم
يقولون اعطني مما في رهبك وليت شعري كيف صحته في اللغة وهل سمع من الاثبات
الثقات الذين يرتضى عربيتهم ثم ليت شعري كيف موقعه في الاية وكيف تطبيقه
المفصل كسائر كلمات التنزيل على ان موسى عليه السلام ما كان عليه ليلة المناجاة الا رز
ماتقة من صوفها كمي لها فذانك وقرئ مخففا مشددا فالمخفف مثنى ذلك والمشدد مثنى
ذلك برهانان حجتان بينتان تبرتان فان قلت لم سميت الحجة برهانا قلت لبياضها
وانارتها من قولهم للمراة البيضاء برهرهة بتكرير العين واللام معا والدليل على زيادة
النون وقولهم ابره الرجل اذا جاء بالبرهان ونظيره تسميتهم اياها سلطانا من السليط

وهو الزيت لانارتها قال رب اني قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون واخي هرون
هو افصح مني لسانا فارسله معي ردءا يصدقني اني اخاف ان يكذبون يقال رداته اعنته
والردا اسم ما يعان به فعيل بمعنى مفعول به كما ان الدف اسم لما يدف به قال سلامة بن جندل
وردى كل ابيض مشرفي شحيذ الحد عضب ذي فلول وقرئ ردا على التخفيف كما قرئ الخب
ردءا يصدقني بالرفع والجزم صفة وجواب نحو وليا يرثني سوءا فان قلت تصديق اخيه
ما الفايدة فيه قلت ليس الغرض بتصديقه ان يقول له صدقت او يقول للناس صدق موسى
وانما هو ان تلخص بلسانه الحق ويبسط القول فيه ويجادل به الكفار كما يفعل الرجل المنطق
ذو العارضة فذلك جار مجرى التصديق المفيد كما يصدق القول بالبرهان الا ترى الى قوله
واخي هرون هو افصح مني لسانا فارسله معي وفضل الفصاحة انما يحتاج اليه لذلك
لا لقوله صدقت فان سحبان وباقلا يستويان فيه او يصل جناح كلامه بالبيان حتى
يصدقه الذي يخاف تكذيبه فاسند التصديق الى هرون لانه السبب فيه اسنادا مجازيا
ومعنى الاسناد المجازي ان تصديق حقيقة في المصدق فاسناده اليه حقيقة وليس
في السبب تصديق ولكن استعير له الاسناد لانه لابس التصديق بالسبب كما لابسه
الفاعل بالمباشرة والدليل على هذا الوجه قوله اني اخاف ان يكذبون وقراءة من قرا
ردءا يصدقوني وفيها تقوية للقراءة بجزم يصدقني قال سنشد عضدك باخيك ونجعل
لكما سلطانا فلا يصلون اليكما باياتنا انتما ومن اتبعكما الغالبون العضد قوام اليد
وبشدتها تشتد قال طرفة ابني لبيني لستم بيد الا يد ليست لها عضد ويقال في دعاء
الخير شد الله عضدك في ضده وقت الله في عضدك ومعنى سنشد عضدك باخيك
سنقويك به ونعينك فاما ان يكون ذلك لان اليد تستبد بشدة العضد والجملة
تقوى اليد على مزاولة الامور واما لان الرجل شبه باليد في اشتدادها باشتداد العضد
فجعل كانه يد مشتدة بعضد شديد سلطانا غلبة وتسلطا او حجة واضحة باياتنا
متعلق بنحو ما تعلق به في تسع ايات اي اذهبا باياتنا او نجعل لكما سلطانا او نسلطكما
باياتنا او بيلا يصلون اي تمتنعون منهم باياتنا او هو بيان للغالبون لا صلة لامتناع
تقدم الصلة على الموصول ولو تاخر لم يكن الا صلة له ويجوز ان يكون قسما جوابه لا
يصلون مقدما عليه او من لغو القسم فلما جاءهم موسى باياتنا قالوا ما هذا الا
سحر مفترى وما سمعنا بهذا في اياتنا الاولين سحر مفترى سحر تعمله انت ثم تفتريه

بشدة صح

على الله

على الله او سحر ظاهرا افتراؤه او موصوف بالافتراء كساير انواع السحر وليس بمعجزة من عند
الله في ابائنا حال منصوبة عن هذا اي كائنا في زمانهم وايامهم يريد ما حدثنا بكونه فيهم
ولا يخلوا من ان يكونوا كاذبين في ذلك وقد سمعوا وعلموا بنحوه او يريدوا انهم لم يسمعوا
بمثله في فظاعته او ما كان الكهان يخبرون بظهور موسى ومجيئه بما جاء به وهذا دليل انهم
حجوا وبهتوا وما وجدوا ما يدفعون به ما جاءهم من الايات الا قولهم هذا سحر وبدعة
لم يسمعوها بمثلها وقال موسى ربي اعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار
انه لا يفلح الظالمون يقول ربي اعلم منكم بحال من اهله الله للفلاح الاعظم حيث جعله نبيا
وبعثه بالهدى ووعده حسن العقبى يعني نفسه ولو كان كما تزعمون كاذبا ساحرا مفتريا
لما اهله كذلك لانه غني حكيم لا يرسل الكاذبين وينبي الساحرين ولا يفلح عنده الظالمون
وعاقبة الدار هي العاقبة المحمودة والدليل عليه قوله عز وجل اولئك لهم عقبى الدار جنات
عدن وقوله وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار والمراد بالدار الدنيا وعاقبتها وعقباها
ان يختم للعبد بالرحمة والرضوان وتلقي الملائكة بالبشرى عند الموت فان قلت العاقبة
المحمودة والمذمومة كلتاهما يصح ان تسمى عاقبة الدار لان الدنيا اما ان تكون خاتمتها
بخير او بشر قلت قد وضع الله سبحانه الدنيا مجازا الى الآخرة واراد بعباده ان لا
يعملوا فيها الا الخير وما خلقهم الا لاجله ليتلقوا خاتمة الخير وعاقبة الصدق ومن عمل
فيها خلاف ما وضعها الله له فقد حرف فاذن عاقبتها الاصلية هي عاقبة الخير واما عاقبة
السوء فلا اعتداد بها لانها من نتايج تحريف العجار وقرئ كثير قال موسى بغير واو على
ما في مصاحف اهل مكة وهي قراءة حسنة لان الموضع موضع سؤال وبحث عما اجابهم
به موسى عند تسميتهم مثل تلك الايات الباهرة سحرا اي مفترى ووجه الاخرى انهم
قالوا ذلك وقال موسى عليه السلام هذا ليوازن الناظر بين القول والقول ويتصور
فساد احدهما وصحة الآخر وبضدها تتبين الاشياء وقرئ تكون بالتاء والياء
وقال فرعون يا ايها الملأ اعلمت لكم من اله غيري فاوقد لي يا هامان على الطين
فاجعل لي صرحا لعلي اطلع الى اله موسى فاني لاظنه من الكاذبين روي انه لما
امر ببناء الصرح جمع هامان العمال اجتمع خمسون الف بناء سوى الاتباع والاجراء
وامر ببطيخ الاجر والجص ونجر الخشب وضرب المسامير فشيدوه حتى بلغ ما لم يبلغه
بنيان احد من الخلق فكان الباني لا يقدر ان يقوم على راسه بيتي فبعث الله تعالى

جبريل عليه السلام عند غروب الشمس فضربه بجناحه فقطعه ثلاث قطع وقعت قطعة
على عسكر فرعون فقتلت الف الف رجل وقعت قطعة في البحر وقطعة في المغرب ولم
يبق احد من عماله الا خد ملكه ويروى في هذه القصة ان فرعون ارتقى فوقة فرمى
بنشابة نحو السماء فاراد الله تعالى ان ينتهم فرد دت اليه وهي ملطوخة بالدم فقال
قد قتلت اله موسى فعند ما بعث الله تعالى جبريل للهدمة والله اعلم بصحته قصد بنفي علمه
بالله غيره نفي وجوده معناه ما لكم من اله غيري كما قال الله سبحانه وتعالى قل انبئون الله
بما لا يعلم في السموات ولا في الارض معناه بما ليس فيهن وذلك لان العلم تابع للمعلوم
لا يتعلق به الا على ما عليه فاذا كان الشيء معدوما لم يتعلق به موجودا فمن ثمة كان انتفاء
العلم بوجوده لانتفاء وجوده بانتفاء العلم بوجوده ويجوز ان يكون على ظاهره وان الها
غيره غير معلوم عنده ولكنه مظنون بدليل قوله تعالى وانى لاظنه من الكاذبين واذا
ظن موسى كاذبا في اثباته الها غيره ولم يعلمه كاذبا فقد ظن ان وجود الها غيره ولو لم
يكن المخذول ظانا كما يقين بل عالما بصحة قوله موسى عليه السلام لقوله موسى له لقد
علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر لما تكلف ذلك البيان
العظيم وما تعب في بنائه هامان لعله يطلع بزعمه الى اله موسى وان كان جاهلا مغطر
الجهل به وبصفاته حيث حسب انه في مكان وانه يطلع اليه كما كان يطلع اليه اذا صعد
في علبته وانه ملك السما، كما انه ملك الارض ولا ترى بينة انبث شهادة على اقباط
جهل وغباوته وجهل هامان وغباوتهم من انهم راموا نيل اسباب السموات بصرح
يبنونه وليت شعري اكان يلبس على اهل بلاده وتضحك من عقولهم حيث صادفهم
اعني الناس احلامهم من الغطس واشباههم بالبهايم لذلك ام كان في نفسه بتلك الصفة
وان صح ما حكي من رجوع النشابة اليه ملطوخة بالدم فنهكم به بالفعل كما جاء التهكم بالقول
في غير موضع من كتاب الله بنظير اية من الكفرة ويجوز ان يفسر الظن على القول الا
وبالتيقن كقوله فعلت لهم ظنوا بالفي مدرج ويكون بناء صرح مناقضة لما ادعاه من العلم
واليقين وقد خفيت على قومه لغباوتهم وبلههم اولم تخف عليه ولكن كلا كان يخالف على
نفسه سوطه وسيفه وانما قال اوقد لي يا هامان ولم يقل اطبخ لي الاجر واتخذه لانه
اول من عمل الاجر فهو بعلم الصنعة ولان هذه العبارة احسن طباقا لفصاحة القرآن
وعلو طبقته واشبه بكلام الجبارة وام يا هامان وهو وزيره ورديفه بالايفاد

منادا باسمه بيانا وسط الكلام دليل التعظم والتجبر وعن عمر رضي الله عنه انه حين سافر
الى الشام ورأى القصور المشيدة بالاجر قال ما علمت ان احدا بنى بالاجر غير فرعون والطلوع
والاطلاع الصعود يقال طلع الجبل واطلع بمعنى والمستكبر هو وجوده في الارض بغير الحق
وظنوا انهم الينا لا يرجعون الاستكبار بالحق انما هو لله عز وجل وهو المتكبر على الحقيقة
اي المتبالغ في كبريائه ان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حكي عن ربه الكبرياء ردائي
والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما القيته في النار وكل مستكبر سواه فاسكبا
بغير الحق يرجعون بالفتح والضم فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان
عاقبة الظالمين فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم من الكلام الفخم الذي دل به على
عظمة شانه وكبريائه سلطانه شبههم استحقارا لهم واستقلالا لعددهم وان كانوا
الكثير والجم الغفير بحصيات اخذ من اخذ في الكفة فطرحهن في البحر ونحو ذلك قوله تعالى
والقيا فيها رواسي شامخات ومحات الارض والجبال فدكتا دكة واحدة وما قدروا
الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه وما هي
الا تصويرات وتمثيلات لاقتداره وان كل معدود وان عظم وجل فهو مستصغر الى
جنب قدرته وجعلناهم ائمة يدعون الى النار ويوم القيمة لا ينصرون واتبعناهم
في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة من المقبوحين فان قلت ما معنى قوله وجعلناهم
ائمة يدعون الى النار قلت معناه ودعوهم ائمة دعاة الى النار وقلنا انهم
ائمة دعاة الى النار كما يدعى خلفاء الحق ائمة دعاة الى الجنة وهو من قولك جعله
بخيلا وفاسقا اذا دعاه وقال انه بخيل وفاسق ويقول اهل اللغة في نقيضه
وبخله جعله بخيلا وفاسقا ومنه قوله عز وجل وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن
اناثا ومعنى دعوتهم الى النار دعوتهم الى موجباتها من الكفر والمعاصي ويوم
القيامة لا ينصرون كما تنصر الائمة الدعاة الى الجنة ويجوز خذلانهم في حق كانوا
ائمة الكفر ومعنى الحد لان منع الالطاف وانما يمنعها من علم انها لا تنفع فيه وهو المصمم
على الكفر الذي لا تنفع عنه الايات والنذر ومجراه مجرى الكناية لان منع الالطاف يرادف
التصميم والغرض بذكره التصميم نفسه فكانه قيل صمموا على الكفر حتى كانوا ائمة فيه
دعاة اليه والى سوء عاقبته فان قلت واي فايدة في ترك المردوف الى الرادفة
قلت ذكر الرادفة يدل على وجود المردوف فيعلم وجود المردوف مع الدليل الشاهد

بوجوده فيكون اقوى لانباته من ذكره الا ترى انك تقول لولا انه مصمم على الكفر مقطوع
امره مبتوت حكمه لما منعت منه الالطاف فبذكر منع الالطاف يحصل العلم بوجود
التصميم على الكفر وزيادة وهو قيام الحجة على وجوده وينصر هذا الوجه قوله تعالى
ويوم القيامة لا ينصرون كانه قيل وخذلناهم في الدنيا وهم يوم القيامة مخذولون
لما قال واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة اى طردا وابعادا عن الرحمة ويوم القيامة
هم من المقبوحين اى من المطرودين المبعدين ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما
اهلكنا القرون الاولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون بصائر نصب على الحال
والبصيرة نور القلب الذى يستبصر به كما ان البصر نور العين التى تبصر به يريد اتيناه التوراة
انوارا للقلوب لانها كانت عميا لا تستبصر ولا تعرف الحق من الباطل وارشادا
بانهم كانوا يخبطون في ظلال ورحمة لانهم لو عملوا بها وصلوا الى نيل الرحمة لعلهم يتذكرون
ارادة ان يتذكروا ان شبهت الارادة بالمترجي فاستعير لها ويجوز ان يراد به ترجي موسى لتذكرهم
كقوله تعالى لعله يتذكر وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين
ولكنا انشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا في اهل مدين تتلوا عليهم اياتنا
ولكنا كنا مرسلين الغربي المكان الواقع في شق الغرب وهو المكان الذى وقع فيه ميقات
موسى عليه السلام من الطور وكتب الله له في الالواح والامر المقضى الى موسى الوحى الذى
اوحى اليه والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وما كنت حاضرا المكان الذى
اوحينا فيه الى موسى ولا كنت من جملة الشاهدين للوحى اليه او على الوحى اليه وهم نقباؤه
الذى اختارهم لميقات حتى تقف من جهة المشاهدة على ما جرى من امر موسى في ميقاته
وكتبه التوراة له في الالواح وغير ذلك فان قلت كيف يتصل قوله تعالى ولكنا انشأنا
قرونا بهذا الكلام ومن اى وجه يكون استدراكا قلت اتصاله به وكونه استدراكا له
من حيث ان معناه ولكنا انشأنا بعد هذا الوحى الى عهدك قرونا كثيرا فتطاول عليهم
وهو القرن الذى انت فيهم العمر اى امد انقطاع الوحى واندرست العلوم فوجب ارسالك
اليهم فارسلناك وكسبناك العلم بقصص الانبياء عليهم السلام وقصة موسى كانه قال
وما كنت شاهدا لموسى وما جرى عليه ولكنا اوحيناه اليك فذكر سبب الوحى الذى هو
اطالة الفترة ودل به على المسبب على عادة الله عز وجل في اختصاراته فان قلت هذه الاستدراكات
شبيه الاستدراكين بعده وما كنت ثاويا اى مقيما في اهل مدين وهم شعيب عليه السلام

والمؤمنون

والمؤمنون به تتلوا عليهم اياتنا تقرأها عليهم تعلما منهم يريد الايات التى فيها قصة
شعيب وقومه ولكنا ارسلناك واخبرناك وعلمناكها وما كنت بجانب الطور اذ نادينا
ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما اتيتهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون اذ نادينا
يريد مناداتنا ليلة المناجات وتكليمه ولكن علمناك رحمة وقرئ رحمة بالرفع اى هى
رحمة ما اتيتهم من تذيرهم في زمان الفترة بينك وبين عيسى عليه السلام وهى خمسمائة وستون
سنة وكنحوه عز وجل لتنذر قوما ما انذر اباؤهم ولو لا ان تصيبهم مصيبة بما قدمت
ايديهم فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك ونكون من المؤمنين
لولا الاولى امتناعية وجوابها محذوف والثانية تحضيضية واحدى الفاءين للعطف
والاخرى جواب لولا لكونها في حكم الامر من قبل ان الامر مما يبعث على الفعل والنهى
والحضض من وأحد والمعنى ولو لا انهم قائلون اذا عوقبوا بما قدموا من الشرك والمعاصى
لما ارسلت الينا رسولا محتجين بذلك علينا لما ارسلنا اليهم يعنى ان ارسالنا الرسول
انما هو لئلا يلزموا الحجة ولا يلزموها لقوله عز وجل لئلا يكون للناس على الله حجة بعد
الرسل ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير لو لا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك
فان قلت كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة هى السبب في الارسال لا القول
لدخول حرف الامتناع عليها دونه قلت القول هو المقصود بان يكون سببا للارسال
الرسل ولكن العقوبة لما كانت هى السبب للقول وكان وجوده بوجودها جعلت العقوبة
كانها سبب الارسال بواسطة القول فدخلت عليها لولا وجئ بالقول معطوفا عليها
بالفاء المعطية معنى السببية ويوال معناه الى قولك ولولا قولهم هذا اذا اصابتهم
مصيبة لما ارسلنا ولكن اخترت هذه الطريقة لنكتة وهى انهم لو لم يعاقبوا مثلا
على كفرهم وقد عاينوا ما الجيء به الى العلم اليقين لم يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا
انى السبب في قولهم هذا هو العقاب لا غير لا التأسف على ما فاتهم من الايمان
بخلافهم وفي هذا من الشهادة القوية على استحكام كفرهم ورسوخه فيهم ما لا يخفى لقوله
عز وجل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه لما كانت اكثر الاحمال تتزاول بالايدى جعل
كل عمل معبرا عنه باجتراح الايدى وتقديم الايدى وان كان من اعمال القلوب
وهذا من الاتساع في الكلام وتصيير الاقل تابعا للاكثر وتغليب الاكثر على الاقل
فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا اوتى مثل ما اوتى موسى اولم يكفروا بما اوتى موسى

من قبل قالوا ساحران تظاهرا وقالوا انا بكل كافرون فلما جاءهم الحق وهو الرسول
المصدق بالكتاب المعجز مع ساير المعجزات وقطعت معاذيرهم وسد طريق احتجاجهم
قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي موسى من الكتاب المنزل جملة واحدة من قلب العصا حية
وفلق البحر وغيرها من الايات فجاؤا بالاقتراحات المبنية على التعنت والعناد كما قالوا
لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك وما اشبه ذلك اولم يكفروا يعني ابناء جنسهم ومن
مذهبهم مذهبهم وعنادهم وهم الكفرة في زمن موسى عليه السلام بما اوتي موسى وعن الحسن
رحمة الله عليه قد كان للعرب اصل في ايام موسى عليه السلام فمعناه على هذا اولم يكفر
اباؤهم قالوا في موسى وهرون ساحران تظاهرا اي تعاونا وقرئ اظاهرا على الادغام
وسحران بمعنى ذوي سحر وجعلوا هما سحرين مبالغة في موضعهما بالسحر او ارادوا نوعان
من السحر بكل بكل واحد منهما فان قلت بم علقت قوله من قبل في هذا التفسير
قلت باولم يكفروا ولي ان اعلقه باوتي فينقلب المعنى الى ان اهل مكة الذين قالوا
هذه المقالة كما كفروا بمحمد عليه السلام وبالقران فقد كفروا بموسى وبالتوراة وقالوا
في موسى ومحمد عليهما السلام ساحران تظاهرا او في الكتابين سحران تظاهرا وذلك
حين بعثوا الرهط الى راسا اليهود بالمدينة يسئلونهم فرجع الرهط الى قريش فا
فاخبروهم انه نعته وصفته وانه في كتابهم فرجع الى الرهط الى قريش فاخبروهم
بقول اليهود فقالوا عند ذلك ساحران تظاهرا قل فاتوا بكتاب من عند الله
هو اهدى منهما اتبعه ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون
اهواءهم ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظا
لمين هو اهدى منهما مما انزل على موسى ومما انزل على هذا الشرط من نحو ما ذكرت
انه شرط المدل انه بالامر المتحقق لصحته لان امتناع الاتيان بكتاب اهدى
من الكتابين امر معلوم متحقق لا مجال فيه للشك ويجوز ان يقصد بحرف الشك
التهكم بهم فان قلت ما الفرق بين فعل الاستجابة في الايات بينه في قوله فلم
يستجبه بعد ذلك مجيب حيث عدوى بغير اللام قلت هذا الفعل يتعدى الى الدعاء
بنفسه والى المداعي باللام ويحذف الدعاء اذا عدوى الى الداعي في الغالب فيقال استجاب
الله دعاه او استجاب له ولا يكاد يقال استجاب له دعاه واما البيت فمعناه فلم
يستجب دعاه على حذف المضاف فان قلت فالاستجابة تقتضي دعاء ولا دعاء ههنا قلت

عن محمد عم

قوله يؤتوا

فاوتوا بكتاب امر بالاتيان والامر بعث على الفعل ودعا اليه فكانه قال فان لم يستجيبوا
دعاك الى الاتيان بالكتاب الاهدى فاعلم انهم قد الزموا ولم تبق لهم حجة الا اتباع الهوى
ثم قال ومن اضل ممن لا يتبع دينه الا هويه بغير هدى من الله اي مطبوعا على قلبه ممنوع
الالطاف ان الله لا يهدي اي لا يلطف بالقوم الثابتين على الظلم الذين اللاطف بهم عابث
وقوله بغير هدى في موضع الحال يعني مخذولا مخلى بينه وبين هواه ولقد وصلنا لهم القوم
لعلهم يتذكرون الذين اتيناهم الكتاب من قبله وهم به يؤمنون قرئ وصلنا بالتشديد
والتخفيف والمعنى ان القران اتاهم متتابعا متواصلا وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا و
مواعظ ونصايح ارادة ان يتذكروا فيفلحوا او نزل عليهم نزولا متصلا بعضه في اثر
بعض كقوله تعالى وما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين نزلت
في مومني اهل الكتاب وعن رفاعة بن قرظة نزلت في عشرة انا احدهم وقيل في اربعين
من مومني اهل الانجيل اثنان وثلثون جاؤا مع جعفر من ارض الحبشة وثمانية من الشام
والضمير في من قبله للقران واذا تتلى عليهم قالوا امنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله
مسلمين فان قلت اي فرق بين الاستيناف بين انه وانا قلت الاول تعليل للايمان
به لان قوله حقا من الله حقيق بان يؤمن به والثاني بيان لقوله امنا به لانه يحتمل ان يكون
ايمانا قريب العهد وبعيده فاخبروا ان ايمانهم به متقادم لان اياهم القدماء قرؤا في
الكتب الاول ذكره وابناؤهم من بعدهم من قبل وجوده ونزوله مسلمين كائنين
على دين الاسلام لان الاسلام صفة كل موحد مصدق للوحي اولئك يؤتون
اجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون واذا سمعوا
اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين
بما صبروا بصبرهم على الايمان بالتوراة والايمان بالقران وبصبرهم على الايمان بالقران
قبل نزوله وبعد نزوله او بصبرهم على اذى المشركين واهل الكتاب ونحوه يؤتكم
كفلين من رحمته بالحسنة السيئة بالطاعة المعصية المتقدمة او بالحلم الاذى سلام
عليكم توديع ومتاركة وعن الحسن كلمة حلم من المؤمنين لا يريد مخالطتهم وصحبتهم
فان قلت من خاطبوا بقولهم ولكم اعمالكم قلت اللاغين الذين دل عليهم قوله تعالى
واذا سمعوا اللغو انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو اعلم
بالمهتدين لا تهدي من احببت لا تقدر ان تدخل في الاسلام كل من احببت ان يدخل فيه

من قومك وغيرهم لانك عبد لا تعلم المطبوع على قلبه من غيره ولكن الله يدخل في الاسلام من يشاء وهو الذي علم انه غير مطبوع على قلبه وان الطاف تنفع فيه فيعرفون به الطافه حتى تدعوه الى القبول وهو اعلم بالمهتدين بالقابلين من الذين لا يقبلون قال الزجاج اجمع المسلمون انها نزلت في ابي طالب وذلك ان ابا طالب قال عند موته يا معشر بني هاشم اطيعوا محمدا وصدقوه تفلحوا وترشدوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا عم تأمرهم بالنصيحة لانفسهم وتدعها لنفسك قال فما تريد يا ابن اخي قال اريد منك كلمة واحدة فانك في آخر يوم من ايام الدنيا ان تقول لا اله الا الله اشهد لك بها عند الله قال ابن اخي قد علمت انك لصادق ولكني اكره ان يقال خرع عند الموت ولولا ان يكون عليك وعلى بني ابيك غضاضة ومسبة بعدي لقلتها ولاقررت بها عينك عند الفراق لما ارى من شدة وجدك ونصيحتك ولكني سوف اموت على ملة الاشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا اولم نمكن لهم حرما امنا يجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن اكثرهم لا يعلمون قالت قريش وقيل ان القائل الحارث وخالفنا العرب بذلك واغاظ كلمة رأس اي قليلون ان يتخطفونا من ارضنا فالتمهم الله الجر بانه مكن في الحرم الذي امنه بحرمة البيت وامن قطانه بحرمته وكانت العرب في الجاهلية حولهم يتغاورون ويتناحرون وهم امنون وحرهم ولا يخافون وبحرمة البيت هم قادرون بواد غير ذي زرع والثمرات والارزاق تجبى اليهم من كل اوب فاذا خولهم الله ما حولهم من الامن والرزق بحرمة البيت واحدها وهم لغرة عبدة اوثان فكيف يستقيم ان يعرضهم للتخوف والتخطف ويسلبهم الامن اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة الاسلام واسناد الامن الى اهل الحرم حقيقة والى الحرم مجازا يجبى اليه يجمع ويجلب قرى بالتاء والياء وقرى يجبى بالنون من الجبي وتعديته بالى كقولك يجبى الى فيه ويجبى الى الناقة وثمرات بضمتين وبضمة وسكون ومعنى الكلية الكثرة كقوله تعالى واوتيت من كل شيء ولكن اكثرهم لا يعلمون متعلق بقوله من لدنا اي قليل منهم يعرفون بان ذلك رزق من عند الله لعلموا ان الخوف والامن من عنده ولما خافوا التخطف اذا امنوا به وخلعوا انداده فان قلت بم انتصب رزقا قلت ان جعلته مصدرا ثم جاز ان ينتصب بمعنى ما قبله لان معنى يجبى اليه ثمرات كل شيء ويرزقها ثمرات كل شيء واحد وان يكون مفعولا له وان جعلته بمعنى مرزوق

كان حالا

كان حالا من الثمرات لتخصصها بالاضافة كما ينتصب عن النكرة المتخصصة بالصفة وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين هذا تخويف لاهل مكة من سوء عاقبة قوم كانوا في مثل حالهم في انعام الله تعالى عليهم وبالرفود في ظلال الامن وخفض العيش فبطروا النعمة وقابلوها بالاشر والبطر فدمر هم الله وخرب ديارهم وانتصب معيشتها اما بحذف الجار وايصال الفعل كقوله تعالى واختار موسى قومه واما على الظرف بتقدير كقولك زيد ظني مقيم او بتقدير حذف الزمان المضاف اصله بطرت ايام معيشتها كخفوق النجم واما بتضمين بطرت معنى كفرت وغمطت وقيل بطرت حالها سوء احتمال الغنى وهو ان لا يحفظ حق الله فيه الا قليلا من المكنى قال ابن عباس رضي عنهما لم يسكنها الا المسافر وما اقام الطريق يوما او ساعة ويحتمل ان شؤم معاصي المهلكين بقي اثره في ديارهم فكل من سكنها من اعقابهم لم يبق فيها الا قليلا وكنا نحن الوارثين لتلك المساكن من سكنيها او تركناها على حال لا يسكنها احد او خربناها وسويناها بالارض كما قال

تخلق الاثام عن اصحابها حينا وبدركها الفناء فتتبع وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها رسولا يتلو اعليهم اياتنا وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون وما كانت عادت ربك ان يهلك القرى في كل وقت حتى يبعث في القرية التي هي امها اي اصلها وقصبتها التي هي اعمالها وتوابعها رسولا لالزام الحجة وقطع المعذرة مع علمه انهم لا يؤمنون او وما كان في حكم الله وسابق قضائه ان يهلك القرى في الارض حتى يبعث في ام القرى يعني مكة رسولا وهو محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء وقرى امها بضم الهمزة وكسرها لاتباع الخبر وهذا بيان لعدوله وتقدس عن الظلم حيث اخبر بانه لا يهلكهم الا اذا استحقوا لاهلاك بظلمهم ولا يهلكهم مع كونهم ظالمين الا بعد تاكيد الحجة والالزام ببعثة الرسل ولا يجعل علمه ما حوالهم حجة عليهم تنزه ذاته ان يهلكهم وهم غير ظالمين كما قال الله وما كان ربك مهلك القرى بظلم واهلها مصلحون فنص في قوله بظلم انه لو اهلكهم وهم مصلحون لكان ذلك ظلما منه وان حاله في عناه وحكمته منافية للظلم دل ذلك بحرف النفي مع لامه كما قال الله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم

وما اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وابقى افلا تعقلون
واي شيء اصبتموه من اسباب الدنيا فما هو الا تمتع وزينة اياما قلائل وهي مدة
الحيوة المقتضية وما عند الله وهو ثوابه خير في نفسه من ذلك وابقى لان بقاءه
دائم سرمد وقرئ يعقلون بالياء وهو ابلغ في الموعظة وعن ابن عباس رضي
الله عنهما ان الله تعالى خلق الدنيا وجعل اهلها ثلثة اصناف المؤمن والمنافق
والكافر فالمؤمن يتزول والمنافق يتزين والكافر يتمتع افمن وعدناه وعدا
حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيمة من المحضرين
هذه الاية تقرير وايضاح للتي قبلها والوعد الحسن الثواب لانه منافع دائمة
على وجه التعظيم والاستحقاق واي شيء احسن منها ولذلك سمى الله تعالى الجنة
بالحسنى ولاقيه كقوله تعالى ولقاهم نضرة وسرورا وعكسه فسوف يلقون
غيا من المحضرين من الذين احضروا النار ونحوه فكنت من المحضرين فكذبوه
فانهم لمحضرون قيل نزلت في رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي جهل وقيل
في علي وحمزة رضي الله تعالى عنهما وابي جهل وقيل في عمار بن ياسر
رضي الله عنه والوالدين المغيرة فان قلت فسر لي الفاين وثم اخبرني
عن مواقعها قلت قد ذكر في الاية التي قبلها متاع الحياة الدنيا وما عند الله
وتفاوتهما ثم عقبه بقوله تعالى افمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه على معنى ابعد
هذا التفاوت الظاهر يسوى بين ابناء الاخرة وابناء الدنيا فهذا معنى الفا
الاولى وبيان موقعها واما الثانية فللتسبب لان لقا الموعود مسبب عن الوعد
الذي هو الضمان في الخير واما ثم فلتراخي حال الاحضار عن حال التمتيع لا تشبيها
لالتراخي وقته عن وقته وقرئ ثم هو بسكون الهاء كما قيل عضد في عضد تشبيها
للمتصل بالمتصل وسكون الهاء في فهو وهو ولهو احسن لان الحرف الواحد
لا ينطق به واحده فهو كالمتصلة ويوم يناديهم فيقول اين شركائي الذين
كنتم تزعمون شركائي مبني على زعمهم وفيه تهكم فان قلت زعم يطلب مفعولين
كقوله ولم ازعمك عن ذاك معزلا فاين هما قلت محذوفان تقديره الذين كنتم
تزعمونهم شركائي ويجوز حذف المفعولين في باب ظننت ولا يصح الاقتصار
على احدهما قال الذين حق عليهم القول ربنا هؤلاء الذين اغوينا اغويناهم كما

غوينا

كما غوينا تبرانا اليك ما كانوا ايانا يعبدون الذين حق عليهم القول الشياطين او ائمة الكفر
ورؤوسه ومعنى حق عليهم القول وجب عليهم مقتضاه ويثبت وهو قوله تعالى لاملان
جهنم من الجنة والناس اجمعين وهؤلاء مبتدا والذين اغويناه صفته والراجع الى
الموصول محذوف واغويناهم الخبر والكاف صفة مصدر محذوف تقديره اغويناهم
فغووا غيا مثل غوينا يعنون انا لم نغو الا باختيارنا لا ان فوقنا مغوين اغوونا
بقسر منهم والجاء او ادعونا الى الغي وسولوه لنا فهؤلاء كذلك غووا باختيارهم
لان غوانا لهم لم يكن الا وسوسة وتسويلا لا قسرا والجاء فلا فرق اذن بين
غينا وغيهم وان كان تسويلنا داعيا لهم الى الكفر فقد كان في مقابلته دعاء الله لهم
الى الايمان بما وضع فيهم من ادلة العقل وما بعث اليهم من الرسل وانزل عليهم
من الكتب المشحونة بالوعد والوعيد والمواعظ والزواجر وناهيك بذلك
صارفا عن الكفر وداعيا الى الايمان وهذا معنى ما حكاه الله تعالى عن الشيطان
ان الله وعدكم وعد الحق وعدتكم فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان
الا دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم والله عز وجل قدم
هذا المعنى اول شيء حيث قال لابليس ان عبادي ليس لك عليهم سلطان
الا من اتبعك من الغاوين تبرانا اليك منهم ومما اختاروه من الكفر بانفسهم
هوى منهم للباطل ومقتا للحق ولا بقوة منا على استكراههم ولا سلطان ما كانوا
ايانا يعبدون انما كانوا اهواءهم ويطيعون شهواتهم واخلاء الجملتين من العاطف
لكونهما مقرونتين بمعنى الجملة الاولى وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا
لهم وراوا العذاب لو انهم كانوا يهتدون ولو انهم كانوا يهتدون لوجه
من وجوه الحيل يدفعون به العذاب او لو انهم كانوا مهتدين مؤمنين لما راوه
وتمنوا لو كانوا مهتدين او تحيروا عند رؤيته وسدروا فلا يهتدون طريقا
حكى اولا ما يوبخهم به من اتخاذهم له شركاء ثم ما يقوله الشياطين او ائمتهم
عند توبيخهم لانهم اذا اوبخوا بعبادة الالهة اعتذروا بان الشياطين هم
الذين اغووناهم وزينوا لهم عبادتنا ثم ما يشبه الشماتة بهم من استغاثتهم
آلهتهم وخذلانهم لهم وعجزهم عن نصرتهم ثم ما يبكتون به من الاحتجاج عليهم
بارسال الرسل وازاحة العلل ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين فعميت

فيهو مبتدأ فهم الانبا لون
فعميت عليهم الانبا ١٢

عليهم الانبا، فصارت الانبا، كالعمى عليهم جميعا لا يهتدون اليهم فهم لا يتساءلون لا يسأل بعضهم بعضا كما يتساءل الناس في المشكلات لانهم بتيها وون جميعا وفي عمى الانبا، عليهم والعجز عن الجواب وقرى فعميت والمراد بالنبا، الخبر عما اجاب به المرسل اليه رسوله واذا كانت الانبا، لهول ذلك اليوم ر ذلك اليوم يتعقعون في الجواب عن مثل هذا السؤال ويعوضون الامر الى علم الله وذلك قوله سبحانه وتعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب فما ظنك بالضلال من ايمهم فاما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى ان يكون من المفلحين فاما من تاب من المشركين من الشرك وجمع بين الايمان والعمل الصالح فعسى ان يفلح عند الله وعسى عن الكرام تحقيق ويجوز ان يراد ترجي التائب وطمعه كانه قال فليطمعوا ان يفلح وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون الخيرة من التخير كالطيرة من التطير يستعمل مستعمل بمعنى المصدر وهو التخير وبمعنى المتخيرة كقولهم محمد عليه السلام خيرة الله من خلقه ما كان لهم الخيرة بيان لقوله ويختار لان معناه ويختار ما يشاء، ولهذا لم يدخل العاطف والمعنى ان الخيرة لله تعالى في افعاله وهو اعلم بوجوه الحكمة فيها ليس لاحد من خلقه ان يختار على قبل السبب فيه قول الوليد بن المغيرة لو لا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يعني لا يبعث الله الرسل باختيار المرسل اليهم وقيل معناه ويختار الذي لهم فيه الخيرة اي يختار للعباد ما هو خير لهم واصلح وهو اعلم بمصالحهم من انفسهم من قولهم في الامرين ليس فيهما خيرة فاختر فان قلت فاين الراجع من الصلة الى الموصول اذا جعلت موصولة قلت اصل الكلام ما كان لهم فيه الخيرة فحذف فيه كما حذف منه في قوله تعالى ان ذلك من العزم الامور لانه مفهوم سبحان الله اي الله بري من اشراكهم وما يحملهم عليه من الجراة على الله واختارهم عليه ما لا يختار وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون ما تكن صدورهم من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم على حسده وما يعلنون مطاعنهم فيه وقولهم ملا احراز عليه غيره في النبوة وهو الله لا اله الا هو الحمد والاولى والاخرة وله الحكم واليه ترجعون وهو الله وهو المستاثر بالالهية المختص بها ولا اله الا هو تقرير لذلك كقولك الكعبة القبلة لا قبلة الا هي فان قلت الحمد في الدنيا ظاهر فما الحمد في الاخرة قلت هو قولهم الحمد لله

٢٧٤

الله الذي اذهب عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده وقيل الحمد لله رب العالمين والتحميد هناك على وجه الحمدة لا الشهوة الكلفة وفي الحديث يلهمون التسبيح والتقديس له كالحكم القضايا بين عباده قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة من الا غير الله يا تيكم بضياء افلا تسمعون قل ارايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة من الا غير الله يا تيكم بليل تسكنون فيه افلا تبصرون افرايتم وقرى اريتم بحذف الهمزة وليس بقياسي ومعناه اخبروني من يقدر على هذا والسرمد الدايم المتصل من السرد وهو المتابعة ومنه قولهم في الاشهر الحرم ثلثة سرد وواحد فرد والميم مزيدة ووزنه فعمل ونظيره دلامص من الدلاص فان قلت ملا قبل بنهار تتصرفون فيه كما قيل بليل تسكنون فيه قلت ذاك الضياء وهو ضوء الشمس لان المنافع التي تتعلق به متكاثرة ليس التصرف والمعاش وحده والظلام ليس بتلك المثابة ومن ثم قرن بالضياء، افلا تسمعون لان السمع يدرك ما لا يدركه البصر من ذكر منافعه ووصف فوائده وقرن بالليل افلا تبصرون لان غيرك ابصر من منفعة الظلام ما تبصره انت من السكون ونحوه ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ومن رحمته ازواج بين الليل والنهار لاعراض ثلثة لتسكنوا في احدهما وهو الليل ولتبتغوا من فضل الله في الآخر وهو النهار ولازادة تشكركم وقد سلكت بهذه الآية طريقة الالف ويوم يناديهم فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون في تكرير التوبيخ باتخاذ الشركاء ايذان بان لا شيء اجلب لغضب الله من الاشراك به كما لا شيء ادخل في مرضاته من توحيده اللهم فكما ادخلتنا في اهل توحيدك فادخلنا في ناجين من وعيدك ونزعنا من كل امة شهيدا فقلنا هاتوا برهانكم فعلموا ان الحق لله وضل عنهم ما كانوا يفترون ونزعنا واخرجنا من كل امة شهيدا وهو نبيهم لان الانبياء الامم شهدا عليهم بشهدون بما كانوا عليه فقلنا للامة هاتوا برهانكم فيما كنتم عليه من الشرك ومخالفة الرسول فعلموا حينئذ ان الحق لله ولرسوله لا الشياطين وظل عنهم وغاب عنهم عبثة الشيء الضايع ما كانوا يفترون من الباطل والكذب ان قرون كان من قوم موسى فبغى عليهم وانيا من الكنوز ما ان مفاتحة لتنوء بالعصبة اولي القوة اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين قارون اسم اعجمي كهارون ولم ينصرف للعجمة والتعريف ولو كان فاعولا من قرن لانصرف وقيل معنى كونه من قومه انه آمن به وقيل كان ابن عم موسى عليه السلام هو قرون بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب عليه السلام وموسى بن عمران بن قاهث

وقيل كان موسى ابن اخيه وكان يسمى المنور لحسن صورته وكان اقرا بني اسرائيل للتوراة ولكنه
نافق كما نافق السامري وقال اذا كانت النبوة لموسى فالمذبح والقربان الى هرون فمالي
وروي انه لما جاوز بهم موسى البحر وصارت الرسالة والحبورة لهارون يقرب القربان ويكون راسا
فيهم وكان القربان الى موسى فجعله الى هارون اخيه وحد قارون في نفسه وحسدهما وقال لموسى
الامر لكما ولست على شيء الى متى اصبر قال موسى هذا صنع الله قال والله لا اصدقك حتى تاتي باية
فامر راسا بني اسرائيل ان ياتي كل واحد بعصاه فخزمها والقاها في القبة التي كان الوحي ينزل
عليه فيها وكانوا يحرصون عصيهم بالليل فاصبحوا واذا بعصا هرون تهتز وليها ورق اخضر
وكانت من شجر اللوز فقال قرون ما هو باعجب مما تاتي من السحر فبغى عليهم من البغي وهو الظلم
قيل ما ملكه فرعون على بني اسرائيل فظلمهم وقيل من البغي وهو الكبر والبذخ تبذخ عليهم بكثرة ماله
وولده وقيل زاد عليهم في الثياب شبرا المفاتح جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به وقيل هي
الخزائن وقياس واحدها مفتح بالفتح ويقال ناية الحمل اذا اثقله حتى اماله والعصبة الجماعة الكثيرة
والعصابة مثلها وعصوصبوا اجتمعوا وقيل كانت تحمل مفاتيح خزائنه ستون بغلا لكل خزانة
مفتاح ولا يزيد المفتاح على اصبع وكانت من جلود وقال ابو رزين يكفي الكوفة مفتاح
وقد بولغ في ذكر ذلك بلفظ الكنوز والمفاتح والنوء والعصبة واولي القوة وقرا بديل
بن ميسرة لينوء بالياء ووجهه ان يفسر المفاتح بالخزائن ويعطيها حكم ما اضيفت اليه للملابسة
والاتصال كقولك ذهبت اهل اليمامة ومحل اذ منصوب تنوء لا تفرح كقوله عز وجل ولا تفرحوا
بما اتاكم وقول القائل ولست بمفراح اذا الدهر سرني وذلك انه لا يفرح بالدنيا الا من رضي
بها واما من قبله الى الآخرة يعلم انه مفارق ما فيه عن قريب لم تحدثه نفسه بالفرح وما احسن
ما قال اشد الغم عندي في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا وابتغ فيما اتاك الله الدار الآخرة
ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض ان الله
لا يحب المفسدين وابتغ فيما اتاك الله من الغنى والثروة الدار الآخرة بان تفعل فيه افعال
الخير من اصناف الواجب والمندوب اليه وتجعله زادك الى الآخرة ولا تنس نصيبك وهو ان تاخذ
منه ما يكفيك ويصلحك واحسن الى عباد الله كما احسن الله اليك واحسن بشكرك وطاعتك
لله كما احسن اليك والفساد في الارض ما كان عليه من الظلم والبغي وقيل ان القائل موسى عم وقرئ
وابتغ قال انما اوتيته على علم عندي اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون وهو اشد
منه قوة واكثر جمعا ولا يسال عن ذنوبهم المجرمين علم علم اي على استحقاق واستيجاب لما في

من العلم

٢٧٥

من العلم الذي فضلت به الناس وذلك انه كان اعلم بني اسرائيل بالتوراة وقيل هو علم الكيمياء
عن سعيد بن المسيب رضي الله عنه كان موسى عم يعلم علم الكيمياء فافاد يوشع ابن نون ثلثة
وكالب بن يوفنا ثلثة وقارون ثلثة فخدعهم قارون حتى اضاف علمهما الى علمه فكان ياخذ
الرصاص والنحاس فيجعلهما ذهبا وقيل علم الله تعالى موسى عليه السلام علم الكيميا فعلمه موسى
اخته فعلمته اخته قارون وقيل هو بصره بانواع الدهقنة والتجارة وساير المكاسب وقيل
عندي معناه في ظني كما تقول الامر عندي كذا كانه قال انما اوتيته على علم كقوله تعالى ثم اذا
خولناه رحمة منا قال انما اوتيته على علم ثم زاد عندي اي هو في ظني ورايي هكذا يجوز
ان يكون اثباتا لعلمه بان الله تعالى قد اهلك من القرون قبله من هو اقوى منه واغنى
لانه قد قراه في التوراة واخبر به موسى عم وسمعه من حفاظ التواريخ والايام كانه
قيل اولم يعلم في جملة ما عنده من العلم هذا حتى لا يغتر بكثرة ماله وقوته ويجوز ان يكون
نفيا لعلمه بذلك لانه لما قال اوتيته على علم عندي فتنفخ بالعلم وتعلم به قيل اعنده
مثل ذلك العلم الذي ادعاه وراى نفسه به مستوجبة لكل نعمة ولم يعلم هذا العلم النافع
حتى بقي نفسه مصارع الهالكين واكثر جمعا للمال او اكثر جماعة وعددا فان قلت ما وجه
اتصال قوله تعالى ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمين بما قبله قلت لما ذكر قارون من اهلك
من قبله من القرون الذين كانوا اقوى منه واغنى قال على سبيل التهديد له والله
مطلع على ذنوب المجرمين لا يحتاج الى سؤالهم عنها واستعلامهم وهو قادر على ان
يعاقبهم عليها كقوله تعالى والله خبير بما تعملون والله بما تعملون خبير وما اشبه ذلك فخرج
على قومه في زينته قال الذين يريدون الحيوة الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون
انه لذو حظ عظيم في زينته قال الحسن رحمة الله عليه في الحمرة والصفرة وقيل خرج
على بغلة شهباء عليها الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه اربعة الاف على زينة
وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الاحمر وعن يمينه ثلثمائة غلام وعن يساره ثلثمائة
جارية بيض عليهن الحلي والديباج وقيل في تسعين الفا عليهم المعصفرات وهو
اول يوم رؤي فيه المعصفر كان المتمنون قوما مسلمين وانما تمنوه على سبيل الرغبة
في اليسار والاستغناء كما هو عادة البشر وعن قتادة تمنوه ليتقربوا به الى الله
وينفقوه في سبل الخير وقيل كانوا قوما كفارا الغابط هو الذي يتمنى مثل نعمة صاحبه
من غير ان تزول عنه والحاسد هو الذي يتمنى ان يكون نعمة صاحبه له دونه فمن

فمن الغبطة قوله تعالى يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون ومن الحسد ولا تتمنوا ما فضل
الله به بعضكم على بعض وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل يضر الغبط قال لا الا كما
يضر العضاه الخبط والحظ الجد وهو البخت والدولة وصفوه بانه وجل مجدود مبخوت
يقال فلان ذو حظ وحظيظ ومحظوظ وما الدنيا الا احاظ وجدود وقال الذين اوتوا
العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا وما يلقاها الا الصابرون ويلك اصله
الدعاء بالهلاك ثم استعمل في الزجر والردع والبعث على ترك ما لا يرتضى كما استعمل
الا ابا لك واصله الدعاء على الرجل بالاقراف في الحث على الفعل والراجع في ولا يلقاها
للكلمة التي تكلم بها العلماء او للثواب لانه في معنى المثوبة او الجنة او للسيرة والطريقة
وهي الايمان والعمل الصالح الصابرون على الطاعات وعن الشهوات وعلى ما قسم
الله من القليل والكثير فخسفنا به وبداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون
الله وما كان من المنتصرين كان قارون يوذي نبي الله موسى عليه السلام كل وقت
وهو يداريه للقرابة التي بينهما حتى نزلت الزكاة فصالحه عن كل الف دينار على
دينار وعن كل الف درهم على درهم فحسبه فاستكثره فشحت به نفسه فجمع بني اسرائيل
وقال ان موسى اردكم على كل شيء وهو يريد ان ياخذ اموالكم فقالوا انت كبيرنا وسيدنا
فمر بما شئت قال نبرطل فلانة البغي حتى ترميه بنفسها فيرفضه بنوا اسرائيل فجعل
لها الف دينار وقيل طستا من ذهب وقيل طستا من ذهب مملوءة ذهبا
وقيل حكمها فلما كان يوم عيد قام موسى عليه السلام فقال يا بني اسرائيل من سرق
قطعناه ومن افترى جلدناه ومن زنا وهو غير محصن جلدناه وان احصن رجمناه
فقال قارون وان كنت انت قال وان كنت انا قال فان بني اسرائيل يزعمون
انك فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها موسى بالذي فلق البحر وانزل التورية
ان تصدق فتداركها الله فقال كذبوا بل جعل لي قارون جعلا على ان اقذفك بنفسي
فخر موسى ساجدا يبكيه وقال يا رب ان كنت رسولك فاغضب لي فاوحى اليه ان مر
الارض بما شئت فانها مطيعة لك فقال يا بني اسرائيل ان الله تعالى بعثني الى قرون كما
بعثني الى فرعون فمن كان معه فيلزم مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا جميعا غير
رجلين ثم قال يا ارض خذيهم فاخذتهم الركب ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاوساط
ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاعناق وقارون واصحابه يتضرعون الى موسى ويناشدونه

بالله

بالله والرحم وموسى لا يلتفت اليهم لشدة غضبه ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم واوحى
الله تعالى الى موسى ما افظك استغاثوا بك مرارا فلم ترحمهم اما وعزتي لو اياي دعوا
مرة واحدة لوجدوني قريبا مجيبا فاصبحت بنوا اسرائيل يتناجون بينهم واموالهم من
المنتصرين من المنتقمين من موسى او من الممتنعين من عذاب الله يقال نصره من عدوه
فانتصر اي منعه منه فامتنع واصبح الذين تمنوا مكانه بالامس يقولون ويك ان الله يبسط
الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا ان من الله علينا لخسف بنا ويكانه كالا يفلح الكا
فرون قد يذكر الامس ولا يراد به اليوم الذي قبل يومك ولكن اليوم المستقرب على طريق
الاستعارة مكانه منزلته من الدنيا وي مفصولة عن كان وهي كلمة تنبيه على الخطا وتندم
ومعناه ان القوم قد نبهوا على خطاهم وتمنيهم وقولهم يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون
وتندموا ثم قالوا كانه لا يفلح الكافرون اي ما اشبه الحال بان الكافرين لا ينالون الفلاح
وهو مذهب الخليل وسيبويه قال الشاعر وي كان من يكن له شيب يحبب ومن يفتقر يعش
عيش ضر وحكى الفراء ان اعرابية قالت لزوجها ابن ابنك فقال وي كانه وراء البيت
وعند الكوفيين ان ويك بمعنى ويلك وان المعنى الم تعلم انه لا يفلح الكافرون ويجوز ان يكون
الكاف كاف الخطاب مضمومة الى وي كقوله ويك عنتر اقدم وانه بمعنى لانه واللام لبيان
المقول لاجله هذا القول او لانه لا يفلح الكافرون كان ذلك وهو الخسف بقارون من الناس
من يقف على وي ويبتدئ كانه ومنهم من يقف على ويك وقرا الاعمش لولا من الله علينا و
قرئ لخسف بنا وفيه ضمير الله ولا يخسف بنا كقولك انقطع به ولتخسف بنا تلك الدار الآخرة
نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين تلك تعظيم لها وتفخيم
لشانها يعني تلك التي سمعت بذكرها وبلغك وصفها ولم يعلق الموعد بترك العلو والفساد
ولكن بترك ارادتهما وميل القلوب اليهما كما قال الله تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا
فعلق الوعيد بالركوب وعن علي كرم الله وجهه ان الرجل ليعجبه ان يكون شراك نعله
اجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها وعن الفضيل انه قراها ثم قال ذهبت الاماني
ههنا وعن عمر بن عبد العزيز انه كان يرددها حتى قبض ومن الطماع من يجعل العلو لفرعون
والفساد لقارون متعلق بقوله تعالى ان فرعون وقارون علا في الارض ولا تبغ الفساد
في الارض ويقول من لم يكن له مثل فرعون وقارون فله تلك الدار الآخرة ولا يتدبر قوله
تعالى والعاقبة للمتقين كما تدبره علي والفضيل وعمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنهم

من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون
معناه فلا يجزون فوضع الذين عملوا يهيج تهجين لحالهم وزيادة تبغيض للسيئة الى قلوبهم الس
معين الا ما كانوا يعملون وهذا من فضله العظيم وكرمه الواسع ان لا يجزى السيئة الا بمثلها
ويجزى الحسنة بعشر امثالها وبسبعمائة وهو معنى قوله فله خير منها ان الذين فرض عليك القران
لرادك الى معاد قل ربي اعلم بمن جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين فرض عليك القران اوجب
عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه يعني ان الذي حملك صعوبة هذا التكليف لمشيئتك عليها
ثوابا لا يحيط به الوصف ولرادك بعد الموت الى معاد اي معاد والى معاد ليس لغيرك من
البشر وتنكير المعاد كذلك وقيل المراد به مكة ووجهه ان يرادّه اليها يوم الفتح ووجه
تنكيره انها كانت في ذلك اليوم معادا له شان ومرجعا له اعتداد لغلبة رسول الله
صلى الله عليه وسلم عليها وقهره لاهلها ولظهور عز الاسلام واهله وذل الشرك وحزبه
والسورة مكية فكان الله تعالى وعده وهو في مكة في اذى وغلبة من اهلها انه يهاجر به
منها ويعيده اليها ظاهرا ظافرا وقيل نزلت عليه وهو في مهاجره وقد اشتاق الى مولده
ومولد ابائه وحرم ابراهيم فنزل جبرائيل عليه السلام فقال له اشتاق الى مكة قال نعم فاوحاها
اليها فان قلت كيف اتصل قوله قل ربي اعلم بما قبله قلت لما وعد رسوله الرد الى معاد قال
قل للمشركين ربي اعلم من جاء بالهدى يعني نفسه وما يستحق من الثواب في معاده ومن هو
في ضلال مبين يعنيهم وما يستحقونه من العقاب في معادهم وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب
الا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيرا للكافرين فان قلت قوله تعالى الا رحمة من ربك ما وجه
الاستثناء فيه قلت هذا الكلام محمول على المعنى كانه قيل وما القى اليك الكتاب الا رحمة من ربك
ويجوز ان يكون الا بمعنى لكن للاستدراك اي ولكن لرحمة من ربك القى اليك ولا يصدنك
عن ايات الله بعد اذ انزلت اليك وادع الى ربك ولا تكونن من المشركين وقرئ
يصدنك من اصده بمعنى صدهم وهي في لغة كلب وقال اناس اصدوا الناس بالسيف عنهم
صدود السواقي عن انوف الحرائم بعد اذ انزلت اليك بعد وقت انزاله فاذا تضاف
اليه اسماء الزمان كقولك حينئذ وليلتئذ ويومئذ وما اشبه ذلك والنهي عن مظاهرة الكا
فرين ونحو ذلك من باب التهييج الذي سبق ذكره ولا تدع مع الله الها اخر لا اله الا هو
كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون الا وجهه الا اياه والوجه يعبر به عن الذات قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا طسم القصص كان له من الاجر بعدد من صدق موسى

وكذب

وكذب ولم يبق ملك في السموات والارض الا شهد له يوم القيامة انه كان صادقا
ان كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون

بسم الله الرحمن الرحيم

الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون الحسبان لا يصح
تعليقه بمعاني المفردات ولكن بمضامين الجمل الا ترى انك لو قلت حسبت زيدا
وظننت الفرس لم يكن شيئا حتى تقول حسبت زيدا عالما وظننت الفرس جوادا
لان قولك زيد عالم او الفرس جواد كلام دال على مضمون فاردت الاخبار عن ذلك
المضمون ثابتا عندك على وجه الظن لا اليقين فلم تجد بدا في العبارة عن ثباته عندك
على ذلك الوجه من ذكر شطر الجملة مدخلا عليهما فعل الحسبان حتى يتم لك غرضك فان قلت
فاين الكلام الدال على المضمون الذي يقتضيه الحسبان في الاية قلت هو قوله تعالى ان
يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون وذلك ان تقديره اتركهم غير مفتونين لقولهم امنا
فالترك اول مفعولي حسب ولقولهم امنا هو الخبر واما غير مفتونين فتتمة الترك لانه
من الترك الذي هو بمعنى التصيير لقوله فتركته جزر السباع ينشنه الا ترى انك قبل المجيء
بالحسبان تقدر ان تقول تركتهم غير مفتونين لقولهم امنا على تقدير حاصل ومستقر قبل اللام
فان قلت ان يقولوا علة تركهم غير مفتونين فكيف يصح ان يقع خبرا مبتدا قلت كما تقول
خروج مخالفة الشر وضربه للتاديب والمخالفة في قولك خرجت مخالفة الشر وضربته
تاديبا معمولين وتقول ايضا حسبت خروجه لمخافة الشر وظننت ضربه للتاديب
فتجعلهما مفعولين كما جعلتهما مبتدا وخبرا والفتنة الامتحان شدائد التكليف
من مفارقة الاوطان ومجاهدة الاعداء وساير الطاعات السياقة وهجر الشهوات
والملاذ وبالفقر والقحط وانواع المصائب في الانفس والاموال وبمكابرة الكفار
على اذاهم وكيدهم وضرارهم والمعنى احسب الذين اجروا كلمة الشهادة على السنتهم
واظهروا القول بالايمان انهم يتركون لذلك غير ممتحنين بل يمتحنهم الله بضروب المحن
حتى يبلو صبرهم وثبات اقدامهم وصحة عقائدهم ونصوع نياتهم ليتميز المخلص من غير
المخلص والراسخ في الدين من المضطرب والمتمكن من العابد على حرف كما قال الله تعالى
لتبلون في اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين

اشركوا اذاً كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من العزم الامور وروى انها نزلت
في ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جزعوا من اذى المشركين وقيل
في عمار بن ياسر رضي الله عنه وكان يعذب في الله وقيل في ناس اسلموا بمكة فكتب اليهم
المهاجرون لا يقبل منكم اسلامكم حتى تهاجروا فخرجوا فتبعهم المشركون فردوهم فلما
نزلت كتبوا بها اليهم فخرجوا فاتبعهم المشركون فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا
وقيل في مهجع بن عبد الله مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو اول قتيل من المسلمين
يوم بدر رماه بدر عامر بن الحضرمي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء
مهجع وهو اول من يدعى الى باب الجنة من هذه الامة فجزع عليه ابواه وامراته ولقد
فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ولقد فتنا موصول
باحسب او بلا يفتنون كقولك الا يمتحن فلانا وقد امتحن من هو خير منه يعني ان اتباع
الانبياء قبلهم قد اصابهم من الفتن والمحن نحو ما اصابهم او ما هو اشد منه فصبروا كما
قال الله تعالى وكاي من نبي قتل معه ربيون كثير فما وهنوا الاية وعن النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم قد كان من قبلكم يوخذ فيوضع المنشار على راسه فيفرق فرقتين ما يصرفه
ذلك عن دينه ويمشط بامشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك
عن دينه فليعلمن الله بالامتحان الذين صدقوا بالايمان وليعلمن الكاذبين فيه فان قلت
كيف وهو عالم بذلك فيما لم يزل قلت لم يزل يعلمه معدوما ولا يعلمه موجودا الا اذا وجد
والمعنى وليميزن الصادق منهم من الكاذب ويجوز ان يكون وعدا ووعيدا كانه
قال وليثبتن الذين صدقوا وليعاقبن الكاذبين وقرا علي رضي الله عنه والزهري
فليعلمن من الاعلام اي وليعرفن الله الناس من هم او ليسمنهم بعلامة يعرفون بها
من بياض الوجوه وسوادها ولحن العيون وزرقتها ام حسب الذين يعملون السيئات
ان يسبقونا ساء ما يحكمون ان يسبقونا ان يفوتونا يعني ان الجزاء يلحقهم لا محالة وهم
لم يطمعوا في الفوت ولم يحدثوا به نفوسهم ولكنهم لغفلتهم وقلة فكرهم في العاقبة
واصرارهم على المعاصي في صورة من يقدر ذلك ويطمع فيه ونظيره وما انتم بمعجزين
في الارض ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون فان قلت اين مفعولا
حسب قلت اشتمال صلة ان على مسند ومسند اليه سد مسد المفعولين كقوله عز وجل
ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ويجوز ان يضمن معنى قدر وام منقطعة ومعنى الاضراب فيها

ان هذا الحسبان

٢٧٨

ان هذا الحسبان ابطل من الحسبان الاول لان ذاك يقدر انه لا يمتحن لايمانه وهذا يظن
انه لا يجازى بمساويه ساء ما يحكمون بئس الذي يحكمونه حكمهم وبئس الذي يحكمونه حكمهم
هذا الحذف المخصوص بالذم من كان يرجوا لقاء الله فان اجل الله لات وهو السميع العليم
ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ان الله لغني عن العالمين لقاء الله مثل للوصول الى العاقبة
من تلقى ملك الموت والبعث والحساب فالجزاء مثلث تلك الحال بحال عبد قدم على سيده
بعد عهد طويل وقد اطلع مولاه على ما كان ياتي ونذر فاما ان يلقاه بشر وترحيب
لما مضى من افعاله او بضد ذلك لما سخط منها فمعنى قوله تعالى من كان يرجوا لقاء الله من
كان يامل تلك الحال وان يلقى فيها الكرامة من الله والبشرى فان اجل الله وهو الموت
لات لا محالة فليبادر العمل الصالح الذي يصدق رجاه ويحقق امله ويكتسب به القربة
عند الله والزلفى وهو السميع العليم الذي لا يخفى عليه شيء مما يقوله عباده ومما يفعلونه
فهو حقيق بالتقوى والخشية وقيل يرجوا يخاف من قول الهذلي في صفة غسال اذ
السعة الدبر لم يرج لسعها فان قلت فان اجل الله لات كيف وقع جوابا للشرط
قلت اذا علم ان لقاء الله عبث به تلك الحال الممثلة والوقت الذي يقع فيه تلك الحال
هو الاجل المضروب للموت فكانه قال من كان يرجوا لقاء الله فان لقاء الله لات لان
الاجل واقع فيه اللقاء كما تقول من كان يرجوا لقاء الملك فان يوم الجمعة قريب
اذا علم انه يقعده للناس يوم الجمعة ومن جاهد نفسه في منعها وما تامر به وحملها على ما
تاباه فانما يجاهد لها لان منفعة ذلك راجعة اليها وانما امر الله ونهى رحمة لعباده وهو
الغني عنهم ومن طاعتهم والذين امنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم
احسن الذي كانوا يعملون اما ان يريد قوما مسلمين صالحين قد اساؤا في بعض اعمالهم
وسيئاتهم مغمورة بحسناتهم فهو يكفرها عنهم اي يسقط عقابها بثواب الحسنات ويجزيهم
احسن الذي كانوا يعملون اي احسن جزاء اعمالهم واما قوما مشركين امنوا وعملوا
الصالحات فالله عز وجل يكفر سيئاتهم بان يسقط عقاب ما تقدم لهم من الكفر والمعاصي
ويجزيهم احسن اعمالهم في الاسلام ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك
لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما الى مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون وصى حكمه حكم
امر في معناه وتصرفه يقال وصيت زيدا بان يفعل خيرا كما تقول امرته بان يفعل
ومنه بيت الاصلاح وذبيانية وصت بنيها بان كذب القراطف والقروف كما قال

امرتهم بان يتهيوها ومنه قوله سبحانه وتعالى وصى بها ابراهيم بنيه اى وصاهم بكلمة التوحيد
وامرهم بها وقولك وصيت زيدا بعمرو ومعناه وصيته بتعهد عمرو ومراعاته ونحو ذلك وكذلك
معنى قوله تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا ووصيناه بايتاء والديه حسنا او بايلاء
والديه حسنا اى فعلا ذا حسن او ما هو فى ذاته حسن لفرط حسنه كقوله تعالى وقولوا
للناس حسنا وقرى حسنا واحسانا ويجوز ان يجعل حسنا من باب قولك زيدا باضمار
اضرب اذا رايته متهيا للضرب فتنصبه باضمار اولهما او افعل بهما لان التوصية
بهما دالة عليه وما بعده مطابق له كانه قال قلنا اولهما معروفا ولا تطعهما فى الشرك اذا حملاك
عليه وعلى هذا التفسير ان وقف على والديه وابتدا حسنا حسن الوقف وعلى التفسير
الاول لا بد من اضمار القول معناه وقلنا ان جاهداك ايها الانسان ما ليس لك به
علم اى لا علم لك بالهيته والمراد بنفى العلم نفى المعلوم كانه قال لتشرك بى شيئا لا يصح
ان يكون الها ولا يستقيم وصاه بوالديه وامره بالاحسان اليهما ثم نبه بنهيه عن طاعتهما
اذا اراداه على ما ذكر على ان كل حق وان عظم ساقط اذا جاء حق الله وانه لا طاعة
لمخلوق فى معصية الخالق ثم قال الى مرجع من آمن منكم ومن اشرك فاجازيكم حق جزائكم
وفيه شيئان احدهما ان الجزاء الى فلا تحدث نفسك بجفوة والديك وعقوقهما لشركهما
ولا تحرمهما بترك ومعروفك فى الدنيا كما انى لا امنعهما رزقى والثانى التحذير من متابعتهما
على الشرك والحث على الثبات والاستقامة فى الدين بذكر المرجع والوعيد روى ان سعيد
بن ابى وقاص الزهرى رضى الله عنه حين اسلم قالت امه وهى حمنة بنت ابى سفيان
بن امية بن عبد شمس يا سعد بلغنى انك قد صبات فوالله لا يظلنى سقف بيت من الصح
والريح وان الطعام والشراب على حرام حتى تكفر بمحمد وكان احب ولدها اليها فابى سعد
وبقيت ثلثة ايام كذلك فجاء سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا اليه فنزلت
هذه الاية والتى فى لقمان والتى فى الاحقاف فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يداريها ويتراضاها بالاحسان وروى انها نزلت فى عياش بن ابى ربيعة المخزومى
وذلك انه هاجر مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه متزافقين حتى نزلا المدينة فخرج ابو جهل
بن هشام والحرث بن هشام اخواه لامه اسما بنت مخرمة المراة من بنى تميم من بنى
حنظلة فنزلا بعياش وقالا له ان من دين محمد صلة الارحام وبر الوالدين وقد تركت
امك لا تاكل ولا تشرب ولا تاوى بيتا حتى تراك وهى اشد حبا لك منا فاخرج معناه

وقتلا

وقتلا منه فى الذروة والغارب فاستشار عمر رضى الله عنه فقال هما يخدعانك ولك على
ان اقسم مالى بينى وبينك فما زالا به حتى اطاعتهما وعصى عمر فقال عمر رضى الله عنه
اما اذا عصيتنى فخذ ناقتى فليس فى الدنيا بعير يلحقها فان رابك منهم ريب فارجع
فلما انتهوا الى البيداء قال ابو جهل ان ناقتى قد كلت فاحملنى معك قال نعم فنزل
ليوطى النفس وله فاخذاه وشداه وثاقا وجلده كل واحد منهما مائة جلدة وذهبا
به الى امه فقالت لا تزال فى عذاب حتى ترجع عن دين محمد فنزلت والذين آمنوا
وعملوا الصالحات لندخلنهم فى الصالحين فى الصالحين فى جملتهم والصلاح من
ابلغ صفات المؤمنين وهى متمنى انبياء الله قال الله عز وجل حكاية عن سليمان
عليه السلام وادخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين وقال الله تعالى فى ابراهيم عليه
السلام وانه فى الاخرة لمن الصالحين او فى مدخل الصالحين وهى الجنة وهذا نحو قوله
تعالى ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم الاية ومن الناس
من يقول امنا بالله فاذا اوذى فى الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء
نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم اوليس الله باعلم بما فى صدور العالمين وليعلمن
الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين هم ناس كانوا يؤمنون بالسنتهم فاذا مسهم
اذى من الكفار وهو المراد بفتنة الناس كان ذلك صارفا لهم عن الايمان كما ان
عذاب الله صارفا للمؤمنين عن الكفر او كما يجب ان يكون عذاب الله صارفا واذا
نصر الله المؤمنين وغنمهم اعترضوهم وقالوا انا كنا معكم اى مشايعين لكم فى دينكم
ثابتين عليه ثباتكم ما قدر احد ان يفتننا فاعطونا نصيبا من الغنم ثم اخبر سبحانه
وتعالى انه اعلم بما فى صدور العالمين من العالمين بما فى صدورهم من ذلك ما تكن
صدور هؤلاء من النفاق وهذا اطلاع منه للمؤمنين على ما ابطنوه ثم وعد المؤ
منين واوعد المنافقين وقرى ليقولن بفتح اللام وقال الذين كفروا للذين آمنوا
اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شىء انهم لكاذبون
امروهم باتباع سبيلهم وهى طريقتهم التى كانوا عليها فى دينهم وامروا انفسهم بحمل
خطاياهم فعطف الامر على الامر وارادوا ليجتمع هذان الامران فى الحصول ان تتبعوا
سبيلنا وانا نحمل خطاياكم والمعنى تعليق الحمل بالاتباع وهذا قول صناديد قريش
كانوا يقولون لمن آمن منهم لا نبعث نحن ولا انتم فان عسى كان ذلك فانا نتحمل

عنكم الاثم وترى في المتسمين بالاسلام من يستهين باولئك فيقول لصاحبه اذا اراد
ان يشجعه على ارتكاب بعض العظائم افعل هذا وانا في عنقي وكم من موذ رتمثل هذان
الضمان من ضعفة العامة وجهلتهم ومنه ما حكي ان ابا جعفر المنصور رفع اليه بعض
اهل الشوحواليه فلما قضاها قال يا امير المؤمنين بقيت الحاجة العظمى قال وما هي
قال شفاعتك يوم القيامة فقال لعمر بن عبيد اتاك وهؤلاء وانهم قطاع الطريق
في المالس فان قلت كيف سماهم كاذبين وانما ضمنوا شيئا علم الله انهم لا يقدرون
على الوفاء وضامن ما لا يعلم اقتداره على الوفاء به لا سيما كاذبا لا حين ضمن ولا حين
عجز لانه في الحالين لا يدخل تحت حد الكاذب وهو المخبر عن الشيء لا على ما هو عليه
قلت سبحانه الله حالهم حيث علم ان ما ضمنوه لا طريق لهم الى الوفاء به فكان ضمانهم
عنده لا على ما عليه المضمون بالكاذبين الذين خبرهم لا على ما عليه المخبر عنه ويجوز ان يريد
انهم كاذبون لانهم قالوا ذلك بافواههم على خلاف ما في قلوبهم الذين يقولون الشيء وفي
قلوبهم نية الخلف وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم وليسئلن يوم القيامة عما كانوا
يفترون وليحملن اثقالهم اي اثقال انفسهم واثقالا بغير اثقالا اضر غير الخطايا التي
ضمنوا للمؤمنين حملها ومن اثقال الذين كانوا سببا في ضلالهم وليسئلن سؤال
تقريع عما كانوا يفترون اي يختلقون من الاكاذيب والاباطيل وقرئ من خطاياهم
ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما فاخذهم
الطوفان وهم ظالمون كان عمر نوح عليه السلام الفا وخمسين سنة بعث على
راس اربعين ولبث في قومه تسعمائة وخمسين وعاش بعد الطوفان ستين وعن
ابن عباس انه عاش الفا واربعمائة سنة فان قلت ملا قيل تسعمائة وخمسين سنة
قلت ما اورده الله تعالى احكم لانه لو قيل كما قلت لجاز ان يتوهم اطلاق هذا العدد
على اكثره وهذا التوهم زايل مع مجيئه كذلك كانه قيل تسعمائة وخمسين سنة كاملة
وافية العدد الا ان ذلك اختصر واعذب لفظا واملا بالفائدة وفيه نكتة اخرى
وهي ان القصة مسوقة لذكر ما ابتلي به نوح عليه السلام من امته وما كابده من طول
المصابرة تسلية لرسول الله عليه السلام وتثبيتا له فكان ذكر راس العدد الذي
لا راس اكثر منه اوقع واوصل الى الغرض من استطالة الناس مدة صبره فان قلت
فلم جاء المميز اولا بالسنة وثانيا بالعام قلت لان تكرير اللفظ الواحد في الكلام

الواحد حقيق بالاجتناب في البلاغة الا اذا وقع ذلك لاجل غرض يتوجبه المتكلم من تفخيم
او تهويل او تنويه او نحو ذلك والطوفان ما اطاف واحاط بكثرة وغلبة من سيل
او ظلام ليل او نحو مما قال العجاج وعم طوفان الظلام الاتاما فانجيناه واصحاب
السفينة وجعلناها اية للعالمين اصحاب السفينة كانوا ثمانية وسبعين نفسا
نصفهم ذكور ونصفهم اناس منهم اولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم
وعن محمد بن اسحاق كانوا عشرة فمنهم رجال وخمس نسوة وقد روي عن النبي صلى
الله عليه وسلم كانوا ثمانية نوح واهله وبنوه الثلاثة والضمير في وجعلناها
للسفينة او للحادثة والقصة وابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم
خير لكم ان كنتم تعلمون نصب ابراهيم باضمار اذكر وابدل عنه اذ بدل الاشتمال
لان الاحيان تشتمل على ما فيها او هو معطوف على نوحا واذ ظرف لارسلنا يعني
ارسلناه حين بلغ من السن والعلم مبلغا صلح فيه لان يعظ قومه وينصحهم
ويعرض عليهم الحق ويامرهم بالعبادة والتقوى وقرئ ابراهيم النخعي وابو حنيفة رحمهما
عليها وابراهيم بالرفع على معنى ومن المرسلين ابراهيم ان كنتم تعلمون يعني ان كان
فيكم علم بما هو خير لكم مما هو شر لكم او ان نظرتم بعين البصيرة دون عين
الجهل العمياء علمتم انه خير لكم انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا
ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق
واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون وقرئ تخلقون من خلق بمعنى التكثير
في خلق وتخلقون من تخلق بمعنى تكذب وتخرص وقرئ افكا وفيه وجهان
ان يكون مصدرا كذبا نحو كذب ولعب والافك مخفف منه كالكذب واللعب
من اصلها وان يكون صفة على فعل اي خلقا افكا ذا افك وباطل واختلاقهم
الافك تسميتهم الاوثان آلهة وشركاء لله او يشفعا اليه او سمي الاصنام افكا
وعلمهم لها وتخرصهم لها خلقنا للافك فان قلت لم نكر الرزق ثم عرفه قلت لانه
اراد لا يستطيعون ان يرزقوكم شيئا من الرزق فابتغوا عند الله الرزق كله فانه
هو الرزاق واحده لا يرزق غيره اليه ترجعون وقرئ بفتح التاء افاستعدوا واللقاء
بعبادته والشكر له على نعمه وان تكذبوا فقد كذب امم قبلكم وما على الرسول الا البلاغ
المبين وان تكذبوني فلا تضرونني بتكذيبكم فان الرسل قبلي قد كذبتهم امهم وما فرض

انفسهم حيث حل لهم ما حل بسبب تكذيب الرسل واما الرسول فقد تم امره حين ابلغ
البلاغ المبين الذي دال معه الشك وهو اقترانه بايات الله ومعجزاته او وان كنت مكذبا
فيما بينكم فلي في ساير الانبياء اسوة وصلوة حيث كذبوا وعلى الرسول ان يبلغ وما عليه
ان يصدق ولا يكذب وهذه الاية والايات التي بعدها الى قوله تعالى فما كان جواب قومه
محتملة ان تكون من جملة قول ابراهيم عليه السلام لقومه وان يكون ايات وقعت في شان
رسول الله صلى الله عليه وسلم وشان قريش بين قصة ابراهيم عليه السلام واخرها
فان قلت اذا كانت من قول ابراهيم فما المراد بالامم قبله قلت قوم شيث وادريس
ونوح وغيرهم وكفى بقوم نوح امة في معنى امم جمعه مكذبة ولقد عاش ادريس عليه السلام
الف سنة في قومه الى ان رفع الى السماء وآمن به الف انسان منهم على عدد سنيه واعقابهم
على التكذيب فان قلت فما تصنع بقومه قل سيروا في الارض قلت هي حكاية كلام الله تعالى
حكاه ابراهيم عليه السلام لقومه كما يحكي رسولنا عليه السلام كلام الله على هذا المنهاج في
كثير القرآن فان قلت فاذا كانت خطابا لقريش فما وجه توسطها بين بطرفي قصة ابراهيم
والجملة او الجمل الاعتراضية لا بد لها من اتصال اذا وقعت معترضة فيه الا تراك لا تقول
مكة وزيد ابوه قايم خير بلاد الله قلت ايراد قصة ابراهيم خليل الله كان ممنوا بنحو ما مني به
من شرك قومه وعبادتهم الاوثان فاعترض بقوله تعالى وان تكذبوا على معنى انكم
يا معشر قريش ان تكذبوا محمدا فقد كذب ابراهيم قومه وكل امة نبيها لان قوله تعالى
فقد كذب امم من قبلكم لا بد من تناوله لامة ابراهيم وهي كما ترى اعتراض واقع
متصل ثم ساير الايات الواطية عقبها من اذيالها وتوابعها لكونها ناطقة بالتوحيد
ودلايله وهدم الشرك وتوهين قواعده وصفة قدرة الله تعالى وسلطانه
ووضوح صحته وبرهانه الم تروا كيف يبدي الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير
قرى تروا بالتاء والياء ويبدئ ويبدئ وقوله تعالى ثم يعيده ليس بمعطوف
على يبدي وليست الرؤية واقعة عليه وانما هو اخبار على حياله بالاعادة بعد
الموت كما وقع النظر في قول الله تعالى كيف بدا الخلق ثم الله ينشئ النشاة الآخرة
على البدء دون الانشاء ونحوه قولك ما زلت اوثر فلانا واستخلفه على من اخلفه
فان قلت هو معطوف بحرف العطف فلا بد له من معطوف عليه فما هو قلت هو جملة قوله
اولم يروا كيف يبدي الله الخلق وكذلك واستخلفه معطوف على جملة قوله ما زلت

اوثر فلانا

اوثر فلانا ذلك يرجع الى ما يرجع اليه هو في قوله تعالى وهو اهون من معنى بعيد
قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف بدا الخلق ثم الله ينشئ النشاة الاخرة ان الله
على كل شيء قدير دل بقوله النشاة الاخرة على انهما نشاتان وان كل واحد منهما انشاء
اي ابتداء واختراع واخراج من العدم الى الوجود لا تفاوت بينهما الا ان الاخرة انشاء
بعد انشاء مثله والاولى ليست كذلك وقرى النشاة والنشاة كالرافة والرأفة
فان قلت ما معنى الافصاح باسمه مع ايقاعه مبتدا في قوله تعالى ثم الله ينشئ النشاة
الاخرة بعد اضماره في قوله تعالى كيف بدا الخلق وكان القياس ان يقال كيف بدا الله
الخلق ثم ينشئ النشاة الاخرة قلت الكلام معهم كان واقعا في الاعادة وفيها
كان تصطك الركب فلما قررهم في الابداء بانه من الله احتج عليهم بان الاعادة ان شاء
مثل الابداء فاذا كان الله الذي لا يعجزه شيء هو الذي ثم يعجزه الابداء فهو الذي
وجب ان لا يعجزه الاعادة فكانه قال ثم ذلك الذي انشا النشاة الاولى هو الذي
ينشئ النشاة الاخرة فللدلالة التنبيه على هذا المعنى ابرز اسمه واوقعه مبتدا يعذب
من يشاء ويرحم من يشاء واليه تقلبون يعذب من يشاء يعذبه ويرحم من يشاء رحمته
ومتعلق المشيئتين مفسر مبين في مواضع من القران وهو من يستوجبها من الكافر
والفاسق اذا ايتوبا ومن المعصوم والتائب تقلبون تردون وترجعون وما
انتم بمعجزين في الارض ولا في السماء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير وما انتم
بمعجزين ربكم اي لا تفوتونه ان هربتم من حكمه وقضائه في الارض الفسيحة ولا في السماء
التي هي افسح منها وابسط لو كنتم فيها كقوله تعالى ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار
السماوات والارض فانفذوا وقيل ولا من في السماء التي هي افسح كما قال حسان
امن يهجو رسول الله عليه السلام ويمدحه وينصره سواه ويحتمل ان يراد لا تعجزونه
كيف ما هبطتم في مهاوي الارض واعماقها او علوتم في البروج والقلاع الذاهبة
في السماء كقوله عز وجل ولو كنتم في بروج مشيدة او لا تعجزون امره الجاري في
السماء والارض اي يجري عليكم فيصيبكم ببلاء يظهر من الارض او ينزل من السماء
والذين كفروا بايات الله ولقائه اولئك يئسوا من رحمتي واولئك لهم عذاب
اليم بايات الله بدلايله على وحدانيته وكتبه ومعجزاته ولقائه والبعث يئسوا
من رحمتي وعيد اي ييأسون يوم القيامة كقوله تعالى ويوم تقوم الساعة يبلس

المجرمين او هو وصف لحالهم لان المؤمن انما يكون راجيا خاشعا فاما الكافر فلا يخطر
بباله رجاء ولا خوف او شبه حالهم في انتفاء الرحمة عنهم بحال من ييئس من الرحمة وعن قتادة
ان الله تعالى ذم قوما هانوا عليه فقال اولئك يئسوا من رحمتي وقال انه لا ييأس من روح
الله تعالى الا القوم الكافرون فينبغي للمؤمن ان لا ييأس من روح الله ولا من رحمته وان
لا يأمن عذابه وعقابه صفة المؤمن ان يكون راجيا لله خائفا فما كان جواب قومه الا
ان قالوا اقتلوه او حرقوه فانجاه الله من النار ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون
قرئ جواب قومه بالنصب والرفع قالوا قال بعضهم لبعض او قاله واحد منهم وكان
الباقون راضين فكانوا جميعا في حكم القائلين وروي انه لم ينتفع في ذلك اليوم بالنار
يعني يوم القى ابراهيم في النار وذلك لذهاب حرها وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا
مودة بينكم في الحيوة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ما وراكم
النار وما لكم من ناصرين قرئ على النصب بغير اضافة وباضافة على الرفع كذلك فالنصب
على وجهين على التعليل اي لتودوا بينكم وتتواصلوا لاجماعكم على عبادتها واتفاقكم
عليها وابتلاقكم كما يتفق الناس على مذهب فيكون ذلك سبب تحابهم وتصادقهم
وان يكون مفعولا ثانيا كقوله عز وجل اتخذ الهه هواه اي اتخذتم الاوثان سبب المودة
بينكم على تقدير حذف المضاف او اتخذتموها مودة بينكم بمعنى مودودة بينكم لقوله تعالى
ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله وفي الرفع وجهان ان يكون
خبرا لان على ان ما موصولة وان يكون خبر مبتدا محذوف والمعنى ان الاوثان مودة
بينكم اي المودودة او سبب مودة وعن عاصم مودة بينكم بفتح بين مع الاضافة كما
قرئ لقد تقطع بينكم ففتح وهو فاعل وقرا ابن مسعود رضي الله عنه اوثانا انما مودة
بينكم في الحياة الدنيا اي انما تتوادون عليها او تودونها في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة
يقوم بينكم التلاعن والتباغض والتعادي يتلاعن العبدة ويتلاعن العبدة والاصنام
كقوله تعالى ويكونوا عليهم ضدا فامن له لوط وقال اني مهاجر الى ربي انه هو العزيز
الحكيم كان لوط عليه السلام ابن اخت ابراهيم عليه السلام وهو اول من آمن له
حين راى النار لم تحرقه وقال يعني ابراهيم اني مهاجر من كوثى وهو من سواد الكوفة
الى حران ثم منها الى فلسطين ومن ثمة قالوا لكل نبي هجرة ولابراهيم هجرتان وكان
معه في هجرته لوط وامراته سارة وهاجر وهو ابن خمس وسبعين سنة الى ربي حيث

امرني

امرني بالهجرة اليه انه هو العزيز الذي يمنعني من اعدائي الحكيم الذي يامرني الا ما هو مصلحتي
ووهبنا له اسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب واتيناه اجره في الدنيا
وانه في الآخرة لمن الصالحين اجره الثناء الحسن والصلاة عليه آخر الدهر والذرية الطيبة
والنبوة وان اهل الملك كلهم يتولونه فان قلت فما بالاسماعيل عليه السلام لم يذكر
وذكر اسحاق عليه السلام وعقبه قلت قد دل عليه في قوله تعالى في ذريته النبوة والكتاب
وكفى الدليل لشهرة امره وعلو قدره فان قلت ما المراد بالكتاب قلت قصد به جنس
الكتاب حتى دخل تحته ما نزل على ذريته من الكتب الاربعة التي هي التوراة والزبور
والانجيل والقرآن ولوطا اذ قال لقوله اينكم لتاتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد
من العالمين اينكم لتاتون الرجال وتقطعون السبيل وتاتون في ناديكم المنكر فما
كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين ولوطا
معطوف على ابراهيم او على ما عطف عليه والفاحشة الفعلة البالغة في القبح وما سبقكم
بها من احد من العالمين جملة مستانفة مقررة لفاحشة لتلك الفعلة كان قائلا قال لم كانت
فاحشة فقيل له لان احدا قبلهم ولم يقدم عليها اشمئزازا فيها في طباعهم لفرط قبحها
حتى اقدم عليها قوم لوط لخبث طينتهم وقذر طباعهم قالوا لم يستزد ذكر على ذكر قبل
قوم لوط قط وقرئ انكم بغير استفهام في الاول دون الثاني قالوا ابو عبيد وجدته في
الامام بحرف واحد بغير ياء ورايت الثاني بحرفين الياء والنون وقطع السبيل عمل
قطاع الطريق من قتل الانفس واخذ الاموال وقيل اعتراضهم السابلة الفاحشة
وعن الحسن رحمة الله عليه قطع السبيل باتيان ما ليس بحرث المارة والمنكر عن ابن
عباس رضي الله عنهما وهو الحذف بالحصى والرمي بالبنادق والفرقعة ومضغ العلك
والسواك بين الناس وحل الازرار والسباب والفحش في المزاح وعن عائشة رضي الله
عنها كانوا يتحابقون اي يتضارطون وقيل السخرية بمن مر بهم وقيل المجاهرة في ناديهم
بذلك العمل وكل معصية فاظهارها اقبح من سترها ولذلك جاء في الحديث من خرق جلباب
الحياء فلا غيبة له ولا يقال للمجلس ناد الا ما دام فيه اهله فاذا قاموا عنه لم يبق ناديا
ان كنت من الصادقين فيما تعدناه من نزول العذاب قال رب انصرني على القوم المفسدين
كانوا يفسدون الناس بحملهم على ما كانوا عليه من المعاصي والفواحش طوعا وكرها
ولانهم وابتدعوا الفاحشة وسنوها فيمن بعدهم قال الله تعالى الذين كفروا وصدوا

٢٨٢

عن سبيل الله زدنا بهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون فاراد لوط عليه السلام ان
يشتد غضب الله عليهم فذكر لذلك صفة المفسدين في دعايه ولما جاءت ارسلنا ابراهيم
بالبشرى قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية ان اهلها كانوا ظالمين بالبشرى على البناء للمفعول
والنافلة ويعقوب عليهما السلام واضافة مهلكوا اضافة تخفيف لا تعريف
والمعنى الاستقبال والقرية سدوم التي قيل فيها الجور من قاصي سدوم كانوا ظالمين
معناه ان الظلم قد لهجت منهم الجادة في الايام السالفة وهم عليه مصرون وظلمهم كفرهم
والوان معاصيهم قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله الا امراته
كانت من الغابرين ان فيها لوطا ليس اخبارا لهم بكونه بالمن فيها واتما هو جواب عن قولهم
وهو ابلغ في نفي الجدال في شانه لانهم لما عللوا اهلاك اهلها بظلمهم اعترض عليهم بان فيها من
هو برئ من الظلم واراد بالجدال اظهار الشفقة عليه وهكذا يجب للمؤمن من التحزن لاخيه
والتشمر في نصرته في حياطته والخوف ان يمسه اذى او يلحقه ضرر قال قتادة لا يترى المؤمن
ان لا يحوط المؤمن الا ترى الى جوابهم بانهم اعلم منهم بمن فيها يعنون نحن اعلم منك واخبر
بحال لوط وحال قومه وامتياره منهم الامتياز البين وانه لا يستأهل ما يستأهلون
فحقض على نفسك وهون عليك الخطب وقرئ لننجينه بالتشديد والتخفيف وكذلك
منجوك وما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقالوا لا تخف ولا تحزن
انا منجوك واهلك الا امراتك كانت من الغابرين ان صلة كتبت وجود الفعلين مترتبا احدهما على الآخر في وقتين متجاورين لا فاصل بينهما كانهما وجدا في جزء واحد من الزمان
كانه قيل كما احس بمجيئهم فاجاءه الماء من غير ريث ضيق عليهم من قومه وضاق بهم ذرعا
وضاق بشانهم وبتدبير امرهم ذرعه اي طاقته وقد جعلت العرب ضيق الصدر والذرع
عبارة عن فقد الطاقة كما قالوا رحب الذراع بكذا اذا كان مطيقا له والاصل فيه ان الرجال
اذا طاقت ذراعا لزملائه القصير الذراع فضرب ذلك مثلا في العجز والقدرة انا منزلون
على اهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون الرجز والرجس العذاب من
قولهم ارتجز وارتجس اذا اضطرب لما يلحق المعذب من القلق والاضطراب وقرئ
منزلون مخففا ومشددا ولقد تركنا منها اية بينة لقوم يعقلون منها من القرية اية بينة
هي اثار منازلهم الدارسة وقيل بقية الحجارة وقيل الماء الاسود على وجه الارض وقيل الخبر

عاصفا بهم لقوم متعلق بتركنا او ببينة والى مدين اخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله
وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا في الارض مفسدين وارجوا او افعلوا ما ترجون به العاقبة
فان قيم المسبب مقام السبب اوامر وا بالرجاء والمراد اشتراط ما يسوغه من الايمان
كما يؤمر الكافر بالشرعيات على ارادة الشرط وقيل هو من الرجاء بمعنى الخوف فكذبوه
فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين والرجفة الزلزلة الشديدة وعن الضحاك
صيحة جبرائيل عليه السلام لان القلوب رجفت لها في دارهم في بلدهم او في ديارهم
فاكتفى بالواحد لانه لا يلبس جاثمين باركين على الركب ميتين وعادا وثمود وقد تبين
لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين
وعادا منصوب باضمار اهلكنا لان قوله تعالى فاخذتهم الرجفة يدل عليه لانه في معنى الاهلاك
وقد تبين لكم ذلك يعني ما وضعه من اهلاكهم من جهة مساكنهم اذا انتظرتم اليها عند مروركم
بها وكان اهل مكة يمرون عليها في اسفارهم فيبصرونها وكانوا مستبصرين عقلاء متمكنين
من النظر والافتكار ولكنهم لم يفعلوا ان اوكانوا مبتئين ان العذاب نازل بهم لان الله
تعالى قد بين لهم على السنة الرسل ولكنهم لجوا حتى هلكوا وقارون وفرعون وهامان
ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين وكلا اخذنا بذنبه
فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض
ومنهم من اغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون سابقين فائتين
ادركهم امر الله فلم يفوتوه الحاصب لقوم لوط وهي ريح عاصف فيها حصباء وقيل حجارة
كان بهم والصيحة لمدين وثمود والخسف لقارون والغرق لقوم نوح وفرعون مثل الذين
اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان اوهن البيوت لبيت
العنكبوت لو كانوا يعلمون الغرض تشبيه ما اتخذوه متكلا ومعتمدا في دينهم وتولوه
من دون الله بما هو مثل عند الناس في الوهن وضعف القوة وهو نسج العنكبوت
الا ترى الى مقطع التشبيه وهو قوله تعالى وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت
فان قلت ما معنى قوله تعالى لو كانوا يعلمون وكل احد يعلم ومن بيت العنكبوت
قلت معناه لو كانوا يعلمون ان هذا مثلهم فان امر دينهم بالغ هذه الغاية
من الوهن ووجه اخر وهو اذا صح تشبيه ما اعتمدوه في دينهم بيت العنكبوت
فقد تبين ان دينهم او من الاديان لو كانوا يعلمون او اخر الى الكلام بعد تصحيح

التشبيه يخرج المجاز فكانه قال وان ومن ما يعتمد عليه في الدين عبادة الاوثان
لو كانوا يعلمون ولقائل ان يقول مثل المشركين الذي يعبد الوثن بالقياس الى المومن
الذي يعبد الله مثل عنكبوت يتخذ بيتا بالاضافة الى رجل بنى بيتا باجر وحصل او بنخته
من صخر وكما ان او هن البيوت اذا استقريتها بيتا بيت العنكبوت وكذلك او
اضعف الاديان اذا استقريتها دينا دين عبادة الاوثان لو كانوا يعلمون
ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم وقرى يدعون بالياء
والتاء وهذا توكيد للمثل وزيادة عليه حيث لم يجعل ما يدعونه شيئا وهو العزيز
الحكيم فيه تجهيل لهم حيث اعبدوا ما ليس بشيء لانه جماد وليس معه صحة العلم والقدرة
اصلا وتركوا عبادة القاهر القادر على كل شيء الحكيم الذي لا يفعل شيئا الا لحكمة
وتدبير وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون كان الجهلة والسفهاء
من قريش يقولون ان رب محمد يضرب المثل بالذباب والعنكبوت ويضحكون
من ذلك فكذلك قال وما يعقلها الا العالمون اي لا يعقل صحتها وحسنها وفائدتها
الا هم لان الامثال والتشبيهات انما هي الطرق الى المعاني المحتجبة فلا تستبين
تبرزها وتكشف عنها وتصورها للافهام كما صور بهذا التشبيه الفرق بين حال المشرك
وحال الموحد وعن النبي عليه السلام انه تلا هذه الآية فقال العالم من عقل عن الله
فعمل بطاعته واجتنب سخطه خلق الله السموات والارض بالحق ان في ذلك لآية
للمومنين بالحق اي بالغرض الصحيح الذي هو حق لا باطل وهو ان تكونوا بما كان عبا
دة عبرة للمعتبرين منهم ودلائل على عظم قدرته الا ترى الى قوله ان في ذلك لآية للمو
منين وكقوله تعز وعلا وما خلقنا السموات والارض وما بينهما باطلا ثم قال ذلك
ظن الذين كفروا اتل ما اوحي اليك من الكتاب واقم الصلوة ان الصلوة تنهى
عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله اكبر والله يعلم ما تصنعون الصلوة تكون لطفا
في ترك المعاصي فكانها ناهية عنها فان قلت كم من مصل يرتكب الفواحش قلت
قلت الصلاة التي هي الصلوة عند الله المستحق بها الثواب ان يدخل خاشعا القلب
والجوارح فقد روي عن حاتم كان رجلي على الصراط والجنة عن يميني والنار عن يساري
وملك الموت من فوقي واصلي بين الرجاء والخوف لم يحوطها بعد ان يصليها فلا
يحطها فهي الصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر وعن ابن عباس رضي الله عنهما

ومن لم تامره صلاته بالمعروف ونهيه عن المنكر لم يزدد بصلاته من الله الا بعدا
او عن الحسن رحمة الله عليه من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فليست صلاته بصلاة
ومي ويل عليه وقيل من كان مراعيا للصلوة حجزه ذلك الى ان ينتهي عن الفحشاء
يوما فقد روي انه قيل لرسول الله عليه السلام ان فلانا يصلي بالنهار ويسرق
بالليل فقال ان صلاته لترده وروي ان فتى من الانصار كان يصلي مع الصلوات
ولا يدع شيئا من الفواحش الا ركبه فوصف له فقال ان صلاته ستنهاه فلم يلبث
ان تاب وعلى كل حال فان المراعي للصلوة لا بد ان يكون ابعد من الفحشاء والمنكر
ممن لا يراعيها وايضا فلم من مصلين تنهاهم الصلاة عن الفحشاء والمنكر واللفظ لا
يقتضي ان لا يخرج واحد من المصلين عن قضيتها كما تقول ان زيدا ينهى عن المنكر
فليس غرضك انه ينهى عن جميع المناكير وانما تريد ان هذه الخصلة موجودة فيه
وحاصلة منه من غير اقتضاء للعموم ولذكر الله اكبر يريد وللصلوة اكبر من غيرها
من الطاعات وسماها بذكر الله كما قال الله تعالى فاسعوا الى ذكر الله وانما
قال ولذكر الله ليستقل بالتعليل كانه قال وللصلاة اكبر لانها ذكر الله او لذكر
عند الفحشاء والمنكر وذكر نهيه عنها ووعيده عليها اكبر فكانه اولى بان تنهى
من اللطف الذي في الصلوة وعن ابن عباس رضي الله عنهما ولذكر الله اياكم
برحمته اكبر من ذكركم اياه بطاعته والله يعلم ما تصنعون من الخير والطاعات
فيثيبكم احسن الثواب ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا
الذين ظلموا منهم وقولوا امنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون

